وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 « أبو القاسم سعد الله »

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص : علم الاجتماع الديني

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الديني بعنوان :

الخطاب الديني في المساجد الجزائرية

دراسة ميدانية لبعض مساجد ولايات الجزائر العاصمة، وهران وقسنطينة

إعداد الطالب :

- بن حليمة محمد

تحت إشراف :

أ . د : الزبير عرُّوس

2015 -- 2014

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 « أبو القاسم سعد الله »

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص : علم الاجتماع الديني

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الديني بعنوان :

الخطاب الديني في المساجد الجزائرية

دراسة ميدانية لبعض مساجد ولايات الجزائر العاصمة، وهران وقسنطينة

إعداد الطالب :

- بن حليمة محمد

تحت إشراف :

أ . د : الزبير عرُّوس

2015 -- 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

لا تكفي كل كلمات الشكر والعرفان ، حتى أستوفي حق الأستاذ الدكتور : **الزبير عرُّوس** لما قدمه لي من دعم ومساندة ، وما بذله من عون ، فشكراً مليون مرة على التوجيهات المستمرة والنصح الدائم حتى إكمال هذا العمل .

كما لا يمكن أن أجهل فضل كل من : **نقروش حميد وأخواي الصحراوي وعبد القادر** وكذا **السيدة حموري نسيمة** على الدعم المعنوي والمادي وأسدي إليهم فائق الشكر والعرفان .

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان والامتنان إلى إطارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف خاصة **عبد المجيد بوضياف والأستاذ عيسى ميقاري** وكذا السادة : مدراء الشؤون الدينية والأوقاف وإلى أئمة المساجد المدروسة بكل من الجزائر العاصمة ، وهران وقسنطينة على مد يد العون فيما يخص الجانب الميداني

محمد بن حليمة

إهـــداء

إلى الذين رحلوا ، تاركين فراغاً كبيراً في حياتي لا يوصف ،

إلى جدتي ، أمي وجدي طيب الله ثراهم وجعل الجنة مثواهم .

إلى الصديق ، صاحبي في ظلمة الأيام ، الذي قلت عنه الأميّ الذي علمني كيف تسير الحياة ، لا نزلت أشد أزري به . . . أبي الحاج كراك .

إلى كل عائلة بن حليمة كبيراً وصغيراً . . .

وإلى قرّة عيني الأولى . . . ابنتي (أميمة) .

إلى زوجتي شاكراً صبرها علي .

وإلى ثمرة زواجنا ، إلى التي تأخذ العقل كلما أراها ابنتي (إيمان)

وإلى بهيّ الطلعة (محمد خليل) حفظه الله ورعاه .

إلى أصدقائي في النضال ، خاصة : رضا جواهرة

إلى كل المناضلين من أجل فكرة

إلى كل هؤلاء ، أهدي هذا العمل المتواضع

محمد بن حليمة

فهرس المحتويات

مقدمة 15

الباب الأول : الجانب المنهجي للدراسة .

الفصل الأول : تحديد الموضوع وإشكالية الدراسة .

أولاً : أسباب اختيار الموضوع 21

1 – الأسباب الموضوعية 21

2 – الأسباب الذاتية 22

ثانياً : أهداف الدراسة 22

ثالثاً : الإشكالية 23

رابعاً : الفرضيات 27

خامساً : تحديد المفاهيم والمصطلحات 28

1 . الإيديولوجيا 28

2 . التربية 30

3 . التغيّر الاجتماعي 34

4 . التنشئة الاجتماعية والدينية 36

5 . الثقافة 38

6 . الحقل الاجتماعي والديني 40

7 . الدين 41

8 . الضبط الاجتماعي 44

9 . المقدس 46

الفصل الثاني : منهج وتقنيات الدراسة .

تمهيد 50

المبحث الأول : المقاربة النظرية للدراسة 51

أولاً : الممارسة النقدية عند أركون 51

1 . التناول العلمي للظاهرة الدينية 51

2 . إبستيمولوجية أركون 51

3 . أركون وأحداث 11 سبتمبر 52

ثانياً : محمد أركون ونقد فهم الإسلام 52

1 . الفهم الكلاسيكي 53

2 . الإسلام والعلمانية 54
3 . أركون والاجتهاد 55
ثالثاً : المشروع الفكري لأركون 56
1 . هاجس التجاوز عند أركون 56
2 . النظرة الكونية للأخلاق 57
3 . حوار الأديان في فكر أركون 58
رابعاً : الأنسنة والتأويل عند أركون 59
1 . مفهوم الأنسنة 60
2 . مفهوم التأويل 61
3 . عوائق الأنسنة 62
4 . الأبعاد الفلسفية للأنسنة 65
المبحث الثاني : المنهج المستعمل في الدراسة 66
أولاً : تعريفات المنهج 66
1 . التعريف اللغوي 66
2 . التعريف الاصطلاحي 66
3 . أهمية المنهج 67
ثانياً : منهج تحليل المحتوى 69
ثالثاً : المنهج الكمي 70
رابعاً : المنهج الوصفي 71
المبحث الثالث : التقنيات المستعملة في الدراسة 72
أولاً : تعريف التقنيات 72
ثانياً : التقنيات المستعملة 73
1 . الملاحظة بدون مشاركة 73
2 . المقابلة 73
3 . الاستبيان (الاستمارة) 74
ثالثاً : الوثائق 75
1 . الجريدة الرسمية 76
2 . المذكرات 76
3 . التعليمات 77
خلاصة الفصل 77

الفصل الثالث : الدراسات السابقة .

تمهيد 79

المبحث الأول : الدراسات باللغة العربية 80

أولاً : دراسات خاصة بالموضوع 80

1 . الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي ... والتبديد 80

2 . تجديد الخطاب الديني ، الرؤى والمضامين 81

3 . خطابنا الإسلامي في عصر العولمة 83

4 . القرآن ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني 85

5 . نقد الخطاب الديني 86

ثانياً : دراسات متنوعة 88

1 . القرآن والسلطان ، هموم إسلامية معاصرة 88

2 . الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية 90

المبحث الثاني : الدراسات باللغة الأجنبية 91

أولاً : دراسات خاصة بالموضوع 91

1 . وضعية المجتمع المعاصر اتجاه الخطاب الديني 91

2 . الخطاب الديني في الكتاب المدرسي الجزائري 93

3 . فعالية وإشكالية الخطاب الديني عند جون لادريار 95

4 . هل خطاب جديد حول الدين يعتبر ضروري للعلمانية ؟ 98

5 . الدعائم الإعلامية للخطاب الديني 99

ثانياً : دراسات متنوعة 101

1 . الفلسفة وخصوصية الخطاب الديني ، بول ريكور 101

2 . الدين والجنس، والخطاب الاجتماعي في النقاش حول 102

خلاصة الفصل 104

الباب الثاني : الجانب النظري للدراسة .

الفصل الرابع : ماهية الخطاب الديني .

تمهيد 108

المبحث الأول : تعريف الخطاب الديني 109

أولاً : التعريف اللغوي للخطاب 109

ثانياً : التعريف الاصطلاحي للخطاب 110

المبحث الثاني : عناصر الخطاب الديني 112
أولاً : المخَاطِب (الملْقي) 112
ثانياً : المخَاطَب (المتَلَقي) 114
ثالثاً : مخاطب به 115
رابعاً : الزمن والمكان 116
المبحث الثالث : أنواع الخطاب الديني 117
أولاً : خطاب الوسطية الإسلامية 117
ثانياً : الخطاب الصوفي 117
ثالثاً : الخطاب النصوصي 118
رابعاً : خطاب الغضب والتطرف والعنف 120
المبحث الرابع : خصائص الخطاب الديني 121
أولاً : التنوع والعالمية 121
ثانياً : الشمولية 122
ثالثاً : الوسطية وعدم التطرف 123
رابعاً : الموضوعية والصدق 123
خامساً : التجدد والمعاصرة 124
سادساً : الطمأنينة والاستقرار 125
سابعاً : خطاب نهضوي مؤثر 126
ثامناً : خطاب ثابت غير متغيّر 126
تاسعاً : خطاب وحدوي 127
المبحث الخامس: معالم الخطاب الديني 127
أولاً : الخطاب واجب على كل مسلم 128
ثانياً : الخطاب رباني 129
ثالثاً : الخطاب بالحكمة والموعظة الحسنة 130
1 . أسلوب الحكمة 130
2 . أسلوب الموعظة الحسنة 131
رابعاً : الخطاب مع المخالفين 132
خلاصة الفصل 133

الفصل الخامس : مكونات الخطاب الديني .

تمهيد 136
المبحث الأول : القرآن والخطاب الديني 137
أولاً : من جهة القضايا والموضوعات 137
1 . قضية الولاء والبراء 137
2 . قضية الصلح 138
3 . القضايا الاجتماعية العامة 139
4 . قضية المرأة 140
ثانياً : من جهة الشكل والصياغة 142
1 . قرآنية الخطاب في الأحكام 142
2 . قرآنية الخطاب في الاصطلاحات 143
المبحث الثاني : الشمولية والعموم في الخطاب الديني 144
أولاً : معاني الخطاب الديني 144
ثانياً : الشمولية في القرآن 145
ثالثاً : جوانب الشمولية 146
1 . من حيث الموضوعات 146
2 . من حيث الملقي أو المخاطِب 147
3 . من حيث المتلقي أو المخاطَب 148
4 . من حيث الزمان والمكان 148
المبحث الثالث : مقاصد الخطاب الديني 149
أولاً : فهم المرحلة والواقع 149
ثانياً : ترتيب الأولويات 151
ثالثاً : تحديد الأهداف 152
المبحث الرابع : جوانب الخطاب الديني 153
أولاً : جانب الخطاب 154
1 . مخاطبة الناس بما يعرفون 154
2 . المخاطبة على قدر الفهم 155
3 . الابتعاد عن التفاصح 156
ثانياً : جانب الملقي أو المخاطِب 156
1 . معرفة الجنس 157

2 . معرفة السيرة 158
3 . معرفة اللسان 159
خلاصة الفصل 160

الفصل السادس :

آليات الخطاب الديني ومنطلقاته الفكرية .

تمهيد 163
المبحث الأول : آليات الخطاب الديني 164
أولاً : التوحيد بين الفكر والدين 164
ثانياً : رد الظواهر إلى مبدأ واحد 166
ثالثاً : الاعتماد على سلطة التراث والسلف 167
رابعاً : اليقين الذهني والحسم الفكري 168
خامساً : إهدار البُعد التاريخي 169
المبحث الثاني : المنطلقات الفكرية للخطاب الديني 171
أولاً : منطلق الحاكمية 171
ثانياً : منطلق النص 173
ثالثاً : إشكالية المقدس في الخطاب الديني 175
1 . المقدس التاريخي 177
2 . المقدس الديني 178
3 . المقدس الإثني 180
المبحث الثالث : الخطاب الديني والإيديولوجية 182
أولاً : الخطاب الديني بين العقيدة والسياسة 182
ثانياً : الوظيفة الإيديولوجية للخطاب الديني 184
ثالثاً : بنية الخطاب الديني الإيديولوجي 186
خلاصة الفصل 188

الفصل السابع : تجديد الخطاب الديني .

تمهيد 191
المبحث الأول : مفهوم تجديد الخطاب الديني 192
أولاً : تعريف التجديد 192
ثانياً : دعوة الإسلام لتجديد الخطاب 194

ثالثاً : من يقوم بالتجديد ؟ 194
رابعاً : ضوابط تجديد الخطاب الديني 196
المبحث الثاني : مشاكل تواجه تجديد الخطاب الديني 198
أولاً : العزلة 198
ثانياً : مشكلة الانغلاق 199
ثالثاً : الموروث الثقافي 200
رابعاً : معوقات العمل الثقافي 201
خامساً : عجز المؤسسات الدينية 203
المبحث الثالث : مراحل تجديد الخطاب الديني 204
أولاً : مرحلة البداية 204
ثانياً : مرحلة التغريب والعصرنة 205
ثالثاً : مرحلة العولمة 208
رابعاً : مرحلة فرض التجديد بالقوة 210
المبحث الرابع : المحاولات الغربية لتجديد الخطاب الديني 211
أولاً : دوافع الغرب في تجديد الخطاب الديني 211
ثانياً : أهداف الغرب في تجديد الخطاب الديني 213
ثالثاً : تأثير دعوات التجديد على المسلمين 214
رابعاً : ملاحظات على دعوات التجديد 215
خلاصة الفصل 217

الفصل الثامن : المساجد في الإسلام .

تمهيد 219
المبحث الأول : تعريف المسجد في الإسلام 220
أولاً : تعريف المسجد في اللغة 220
ثانياً : تعريف المسجد شرعاً أو في الاصطلاح 220
ثالثاً : المسجد في القرآن الكريم 222
1 . المسجد الحرام والبيت الحرام 222
2 . المسجد والمساجد والبيوت 223
رابعاً : المسجد في الحديث النبوي الشريف 223
خامساً : أنواع المساجد في الإسلام 225
1 . المسجد 225

2 . المسجد الجامع 225
المبحث الثاني : هيئة المسجد وإدارته 226
أولاً : ترابط المساجد 226
ثانياً : انتشار المساجد 227
ثالثاً : الشكل المعماري للمساجد 228
رابعاً : اختيار القائمين على المساجد 230
المبحث الثالث : مكان المسجد ومكانته 231
أولاً : مكانة المسجد في الخطاب الديني 231
ثانياً : فضل بناء وعمارة المساجد 233
01 . العمارة البنائية 234
02 . العمارة المعنوية 234
03 . العمارة الاجتماعية 234
ثالثاً : عمارة المسجد في هذا العصر 235
المبحث الرابع : مهام المسجد في الإسلام 237
أولاً : أداء الصلاة 237
ثانياً : التربية والتعليم 240
ثالثاً : مجالس الذكر 241
رابعاً : الحلقات العلمية 243
خلاصة الفصل 244

الفصل التاسع : دور المسجد وأهميته في الإسلام .

تمهيد 247
المبحث الأول : دور المسجد في الحياة الاجتماعية 248
أولاً : تقوية الوازع الديني 248
ثانياً : وحدة المجتمع وتماسكه 250
ثالثاً : الحماية من الانحراف والجريمة 252
رابعاً : التكافل الاجتماعي 254
المبحث الثاني : الآثار التربوية للمسجد 256
أولاً : التعارف والأخوة بين المسلمين 256
ثانياً : التفقه في الدين الإسلامي 259
ثالثاً : انحسار المنكرات والفواحش 261

المبحث الثالث : أسباب انحسار دور المسجد وأوجه الإصلاح 263
أولاً : مظاهر انحسار دور المسجد 263
ثانياً : نتائج انحسار دور المسجد 266
ثالثاً : أوجه إصلاح دور المسجد 268
رابعاً : أهم الوسائل لإصلاح دور المسجد 269
خلاصة الفصل 271

الباب الثالث : الجانب الميداني للدراسة .

الفصل العاشر : التعريف بميدان الدراسة .

تمهيد 276
المبحث الأول : التعريف بمجتمع الدراسة 277
أولاً : الدراسة الاستطلاعية 277
ثانياً : كيفية اختيار العيّنة 278
ثالثاً : مجالات الدراسة 279
المبحث الثاني : التعريف بالعناصر المستجوبة 280
أولاً : إمام أستاذ رئيسي 282
ثانياً : إمام أستاذ 284
ثالثاً : إمام مدرس 285
المبحث الثالث : خصائص ومميزات مجتمع الدراسة 286
أولاً : السن 286
ثانياً : المستوى التعليمي 288
ثالثاً : الحالة المدنية 290
رابعاً : الأقدمية في منصب العمل 291
خلاصة الفصل 292

الفصل الحادي عشر :

الصفات والسمات الشخصية للخطيب .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الأول 295
ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الأولى 308
ثالثاً : استنتاج الفرضية الأولى 314

الفصل الثاني عشر :

الطريقة الإدارية للتسيير .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الثاني 317
ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الثانية 330
ثالثاً : استنتاج الفرضية الثانية 335

الفصل الثالث عشر :

الصورة الشاملة للدين الإسلامي .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الثالث 340
ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الثالثة 354
ثالثاً : استنتاج الفرضية الثالثة 359

الفصل الرابع عشر : عرض نتائج الدراسة .

أولاً : الاستنتاج الجزئي للفرضيات الثلاث 363
ثانياً : الاستنتاج العام 366
ثالثاً : صعوبات الدراسة 372

خاتمة 373
قائمة المصادر والمراجع 377
الجداول الإحصائية 395
الملاحق .

مقدمــة :

إن الخطاب الديني الذي نحاول دراسته ، هو الخطاب الديني الإسلامي ، دون غيره من الخطابات الأخرى ، ولما نقول الخطاب الديني ، فلسنا نقول الدين الإسلامي ، أو لما نقول الخطاب المستمد أو المبني على القرآن الكريم ، فلسنا نقول القرآن الكريم ، وتأويل آياته أو تفسيرها حديثاً أو قديماً ليس هو القرآن الكريم . إن ما يقدم للجماهير ، أو للمستمعين أو الواردين إلى المسجد هو اجتهاد الخطيب أو ما نقله أو حفظه من التراث فيما يخص قضية من القضايا . فالخطيب يدعم خطابه بآي القرآن ، حتى يكون هذا الخطاب ، خطاباً قرآنياً يأخذ به قلوب مستمعيه وعقولهم ، فيقنع ويثير العواطف لتلقي ما يريد إلقاؤه ، وتحقيق أهدافه التي سطرها عند تحضيره لهذا الخطاب .

وتبرز أهمية الخطاب الديني من أهمية التحديات وجديتها التي يعيشها المجتمع الإسلامي في الوقت الراهن ، فما يفرضه الوضع من تغير وتحول فكري وسياسي ، جعل أعلام الخطاب الديني يحركون هذا الخطاب حتى يتلاءم مع ما تفرضه طبيعة التطور الحاصل ، والاستفادة من العصرنة والتحديث لكي لا تعيش المجتمعات الإسلامية على الهامش ، وتعيش حالة من التمزق بين الواقع ذي الطبيعة المحافظة ، أو النزوع نحو تحقيق انسجام مناسب مع مظاهر الحضارة والتقدم ، وهو ما يسمى بمحاولات التجديد للقيام بقطيعة بين السلطة التقليدية للخطاب الديني والرغبة الملحة في تطوير الذات والانخراط في الحضارة الكونية .

إن الكثير من أعلام الخطاب الديني ، يقعون في خلط بين الدين الإسلامي ، وبين الخطاب الديني الناقل له ، أو المفسر لكلياته وجزئياته ، أي يقعون في خلط بين ما يسمى التفريق ما بين الذِكر تعبيراً عن الدين ، وما بين الفكر ، تعبيراً عن فهم الإنسان لهذا الذِكر ، وعدم التفريق بينهما هو الذي حمل الخطاب الديني إلى مكانة الدين في حد ذاته ، وأخذ ما للدين من قداسة وتقديس ، وأصبح الذي يريد فهم الخطاب الديني أو يطالب بإعادة النظر فيه حسب متطلبات الواقع يضع نفسه موضع الشك وفق فهم دوغمائي مغلق يسيطر اليوم على صياغة الخطاب الديني .

والخطاب الديني يتأثر بالكثير من العوامل التي تسعى لصياغته ، منها الخطيب كجهة أولى ، ذلك الشخص المكلف أو المسؤول عن الإلقاء ، ومنها الجهة التي قامت بتعيين هذا الإمام في هذا المكان بالذات ، ومنها تأثير المرجعية الدينية والتوجه المذهبي كممثل عن صورة من صور الدين ، قد يعتقدها أفراد المجتمع ، وتهدف الجهات الوصية إلى جعلها الصورة الشاملة . ففي الدين الإسلامي ، يشترط في الخطيب الكثير من الشروط ، أبرزها يتعلق بشخصيته ، حيث ينبغي له أن يكون عالماً بما يقدم ، كما يستطيع الإجابة على اهتمامات وانشغالات المتوجهين إليه بالسؤال ، أي عالماً بأحكام الدين ومقاصده ، حتى يستطيع توجيه أفراد المجتمع الباحثين عن إسقاطات دينية لمشاكلهم الدنيوية .

توجد الكثير من الصفات الواجب توفرها في أي خطيب يعتلي منبر الإمامة ، وهي الصفات التي كانت مبنية على العديد من الإسقاطات ، أهمها ما هو متوارث في التراث الإسلامي حول الدعاة والأئمة من علم وتقوى وورع ومصداقية ، ومنها ما هو إسقاط لما يعيشه الإمام بين أفراد المجتمع واحتكاكه الدائم بالمصلين ، فهو المرجعية الدينية لهم ، يرجعون إليه في أمور دينهم ودنياهم ومنحهم نظرة الدين الصحيح لكل ما يستجد عليهم . أضف إلى ذلك ما يقدم له من تكوين يمنحه مواصفات الخطيب الناجح المتمكن في تسيير الشؤون الدينية والدنيوية للمسجد الذي يعين على رأسه .

أما الجهة الثانية ، فهي جهة جد مؤثرة على معالم الخطاب الديني وكيفية صياغته ، لأنها تقوم بتنظيم وتكوين وتأطير وتوجيه ، ثم مراقبة الأئمة في المساجد ، فهي تنظر لنفسها بأنها المسؤولة شرعاً وقانوناً عن المساجد ، كما هي مسؤولة عن صياغة أي خطاب يقدم لأفراد المجتمع بما أنهم رعية السلطان أو الحاكم أو الرئيس ، تلك هي ما أسميناه في هذه الدراسة بالوصاية ، وهي ممثلة بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، ومنطلق الوصاية في تأطير الخطاب الديني ، يعود إلى كون الإمام مجرد موظف لديها ، يبلغ عنها ، وليست له الحرية في الخروج عن ما تريد ، فالخطاب الديني بالنسبة لها وسيلة لتبرير وتعزيز الخيارات الوطنية للدولة .

إن الخطاب الديني هو خطاب فيه الكثير من التقديس ، وله جوهر تبجيلي وإيديولوجي ، وفي كثير من الأحيان دوغمائي حسب محمد أركون . كما أنه خطاب سياسي معبِئ للمواطنين ، تستعمله الوصاية لتحقيق سياساتها اتجاه المواطن في مختلف الميادين ، الثقافية ، التربوية ، الاجتماعية وخاصة السياسية . فمن خلال الخطاب الديني تسعى الوصاية إلى نشر الثقافة الإسلامية ذات الخصوصية الوطنية بين أفراد المجتمع ، كما تستعمل الإمام لغرس المبادئ التربوية التي تبنى عليها المنظومة التربوية الوطنية ، وتستغل رجوع المواطن إلى الإمام وقدسية المسجد لحل المشاكل الاجتماعية التي يستعصى حلها ، وكل هذا تضعه ضمن استغلالها الأمثل للفضاء المسجدي ، من خلال عملية التسيير الإداري بمختلف الوسائل الإدارية والبشرية ، فكلها آليات بيد الوصاية تتمكن بها من التحكم اللازم في كل جزئيات العملية الدينية منذ تعيين الإمام ، ووصولاً إلى مختلف النشاطات التي يقوم بها .

كما أن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية لا يستطيع الخروج عن الفقد المالكي والعقيدة الأشعرية ، فهي تمثل الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، ولأن القائمين على هذا الخطاب يرون بأن انتشار مذاهب وطرق جديدة في الفقه ، العقيدة والسلوك سوف يسبب زعزعة كبيرة لاستقرار المجتمع ويزيد من عوامل وأسباب الجدال والتفرقة ، كما أن انتشار مثل هذه المذاهب يهدد الوحدة والانسجام الدينين اللذين كانا سبباً في استقرار الجزائر لقرون خلت ، على الرغم بأن هذا الأمر يعتبر حد من حرية الرأي التي تطالب بها فئات كثير من المجتمع في ظل العولمة وعالمية حقوق الإنسان .

من هذه المنطلقات حاولنا تقديم هذه الأطروحة أو الدراسة ، التي تكونت من ثلاثة أبواب مقسمة إلى مجموعة من الفصول نحاول تقديمها باختصار على الشكل التالي :

1 – الباب الأول : وهو الإطار المنهجي للدراسة ، حيث تضمن ثلاثة فصول هي :

- الفصل الأول تحت عنوان **" تحديد الموضوع وإشكالية الدراسة "** ، اشتمل على خمس نقاط : أسباب اختيار الموضوع ، الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها ، بناء الإشكالية ، صياغة الفرضيات ، لنصل إلى تحديد المفاهيم التي تم تداولها خلال الدراسة .
- الفصل الثاني تحت عنوان **" منهجية وتقنيات الدراسة "** ، تكون من ثلاثة مباحث أساسية : المقاربة النظرية للدراسة ، وهي المرجعية النظرية في عملية التفسير والتحليل لمختلف المعطيات الواردة في الإطار الميداني واستخلاص النتائج ، ثم المبحث الثاني حول المنهج ، فقدمنا تعريفاً للمنهج المستعمل ، وكيفية استعماله في الدراسة . أما المبحث الثالث فكان حول التقنيات المستعملة ، والتي تنوعت حسب الموضوع ، من ملاحظة بدون مشاركة إلى مقابلة ، ثم

التقنية الأساسية وهي الاستبيان بالمقابلة وأخيراً مختلف الوثائق التي منحت لنا من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف أو مديريات الشؤون الدينية بالولايات الثلاث ، مثل : الجريد الرسمية .

- الفصل الثالث بعنوان **" الدراسات السابقة "** ، شمل على تمهيد بيّنا فيه ضرورة الاعتماد على الدراسات السابقة في عملية بناء الموضوع والاستعانة بهذه الدراسات للتعمق أكثر وإعطاء بعد سوسيولوجي للتفسيرات والتحليلات التي قمنا بها ، فكانت منقسمة إلى دراسات عربية وأخرى أجنبية ، حيث أدرجنا في كل نقطة العديد من الدراسات التي تطرقت للخطاب الديني ، وهي الدراسات الخاصة بالموضوع أو الدراسات العامة والتي لم نركز عليها كثيرا .

2 – الباب الثاني : الإطار النظري للأطروحة ، تضمن هذا الباب ستة فصول ، وهي :

- الفصل الرابع تحت عنوان **" ماهية الخطاب الديني "** ، ضمّ خمسة مباحث : التعريف بالخطاب الديني ، عناصره ، أنواعه ، مقوماته ، خصائصه ، وأخيراً معالمه .
- الفصل الخامس فكان تحت عنوان **" مكونات الخطاب الديني "** ، شمل على أربعة مباحث : القرآن والخطاب الديني ، سواء من جهة القضايا أو الموضوعات أو من جهة الشكل والصياغة ، ثم الشمولية والعموم في الخطاب الديني ، يليها مقاصد الخطاب الديني وأخيراً جوانب الخطاب الديني ، سواء من ناحية الخطاب أو من جانب الخطيب ، حيث ركزنا في هذا الفصل على علاقة الخطاب الديني بالقرآن الكريم وكيفية الاستناد عليه .
- الفصل السادس تحت عنوان **" آليات الخطاب الديني ومنطلقاته الفكرية "** ، وضمّ ثلاث مباحث ، في كل مبحث مجموعة من النقاط ، فكان المبحث الأول حول آليات الخطاب الديني ، وهي خمس آليات كما حددها نصر حامد أبو زيد ، مع التوسع فيها ، ثم المبحث الثاني حول المنطلقات الفكرية لهذا الخطاب وأخيراً مبحث حول الخطاب الديني والإيديولوجية .
- الفصل السابع بعنوان **" تجديد الخطاب الديني "** ، شمل على أربعة مباحث رئيسية وهي : مفهوم تجديد الخطاب الديني ، مشاكل تواجه تجديد الخطاب الديني ، المراحل التي مرَّ بها هذا التجديد ، وأخيراً المحاولات الغربية لتجديد الخطاب الديني .
- الفصل الثامن بعنوان **" المساجد في الإسلام "** ، تضمن أربعة مباحث وهي : تعريف المسجد في الإسلام لغة وشرعاً ، هيئة المسجد وإدارته ، مكان المسجد ومكانته وأخيراً مهام المسجد في الإسلام ، حيث احتوت هذه المباحث على الكثير من النقاط .
- الفصل التاسع تحت عنوان **" دور المسجد وأهميته في الإسلام "** ، احتوى على ثلاثة مباحث أدرجنا في العديد من النقاط ، حيث تطرقنا إلى دور المسجد في الحياة الاجتماعية كمبحث أول ، الآثار التربوية للمسجد كمبحث ثانٍ ، وفي المبحث الثالث أدرجنا أسباب انحصار دور المسجد وأوجه الإصلاح ، وختمنا الفصل بخلاصة ما تم تقديمه .

3 – الباب الثالث : الإطار الميداني للأطروحة ، حيث تضمن خمسة فصول ، وهي :

- الفصل العاشر تحت عنوان **" التعريف بميدان الدراسة "** ، والذي شمل على ثلاثة مباحث وهي ، المبحث الأول : التعريف بمجتمع الدراسة ، وأدرجنا فيه الدراسة الاستطلاعية ، كيفية اختيار العيّنة ومجالات الدراسة . المبحث الثاني : التعريف بالعناصر المستوجبة وأخيراً المبحث الثالث : خصائص ومميزات مجتمع الدراسة .
- الفصل الحادي عشر بعنوان **" الصفات والسمات الشخصية للخطيب "** ، وهو فصل لعرض وتحليل معطيات الفرضية الأولى ، أو المحور الأول ، ضمّ ثلاث نقاط وهي : عرض وتحليل جداول المحور الأول ، تحليل معطيات الفرضية الأولى وأخيراً استنتاج الفرضية الأولى .
- الفصل الثاني عشر بعنوان **" الطريقة الإدارية للتسيير "** ، وهو فصل خاص بعرض وتحليل معطيات الفرضية الثانية ، أو المحور الثاني من الاستبيان بالمقابلة ، حيث ضمّ ثلاث نقاط أساسية ، وهي : عرض وتحليل جداول المحور الثاني ، تحليل معطيات الفرضية الثانية وأخيراً استنتاج الفرضية الثانية .
- الفصل الثالث عشر بعنوان **" الصورة الشاملة للدين الإسلامي "** ، وهو فصل خاص بعرض وتحليل معطيات الفرضية الثالثة ، أو المحور الثالث ، تضمن مثل سابقيه ثلاث نقاط وهي : عرض وتحليل جداول المحور الثالث ، تحليل معطيات الفرضية الثالثة وأخيراً استنتاج الفرضية الثالثة .
- الفصل الرابع عشر والأخير بعنوان **" نتائج الدراسة "** ، والذي شمل على ثلاثة نقاط وهي : الاستنتاج الجزئي للفرضيات الثلاث ، الاستنتاج العام ، وأخيراً الصعوبات التي أعاقت السير العادي للدراسة . وختمنا الدراسة بخاتمة حاولنا من خلالها تقديم عصارة الجهد المبذول ، ثم رصدنا قائمة المصادر والمراجع التي استندنا عليها ، ثم جمعنا لتسهيل عملية البحث والاستطلاع عنوانين مختلف الجداول المستعملة .

الباب الأول :

الجانب المنهجي

الفصل الأول :

تحديد الموضوع وإشكالية الدراسة

أولاً : أسباب اختيار الموضوع .

ثانياً : أهداف الدراسة .

ثالثاً : الإشكالية .

رابعاً : الفرضيات .

خامساً : تحديد المفاهيم والمصطلحات .

الفصل الأول :

تحديد الموضوع وإشكالية الدراسة

أولاً : أسباب اختيار الموضوع .

لأي موضوع بحث ، ولأي دراسة علمية أكاديمية في الحقل المعرفي أسباب تؤدي بالباحث أو الدارس إلى الانطلاق في كشف خباياها ، حيث في غالب الأحيان ما تكون هذه الأسباب إما موضوعية ، لها صلة بالبُعد العلمي والأكاديمي ، حيث يعتبر البحث العلمي أساس كل عملية للوصول إلى الحقائق ، ثم تسهل وضع هذه الحقائق في إطار قواعد أو قوانين أو نظريات علمية ، ويكون في مختلف الميادين الوصول إلى الحقائق باستعمال البحث وفق مناهج علمية وفي ظل استئناس بمدرسة أو مدارس نظرية مختلفة . وتكون أسباب تتعلق بالباحث والدارس في حد ذاته ، وهي ما تسمى بالدوافع أو الأسباب الذاتية . ومن هذا المنطلق نقسم أسباب اختيار موضوع دراستنا هذه إلى هذين النوعين من الأسباب ونوردهم على الشكل التالي :

1 – الأسباب الموضوعية :

من بين الأسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضوع ، خاصة بعد القيام بعمل استقصائي سواء في الجانب الميداني أو النظري ، نذكر منها على سبيل الحصر ما يلي :

- الرغبة العلمية والمعرفية في التعرف على حقيقة البناء الديني للخطاب في المساجد الجزائرية ، من خلال وضع الإطار العام (الأفكار ، الطرق والوسائل) لواقع الخطاب الديني ، أي مدى تلاؤم هذا الخطاب مع ما تريده المؤسسات الرسمية ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، من خلال تحديد أهداف العملية التربوية ، التعليمية ، الثقافية والفكرية .
- محاولة الكشف عن إمكانية التخصص الذي أزاول فيه الدراسة (علم الاجتماع الديني) ، من سبر أغوار مواضيع ودراسات تعتبر حكراً على تخصصات أخرى ، وذلك من خلال وضع هذه الدراسة أو الأطروحة في إطار علم الاجتماع الديني ، ومحاولة الكشف عن مكونات الخطاب الديني ، العراقيل التي تواجهه ، طرق ووسائل العمل المختلفة في المساجد الجزائرية لإيصال الدين الإسلامي الحنيف من منبعه الأصيل إلى أفراد المجتمع الجزائري .
- وضع صياغة سوسيودينية للخطاب الديني في الجزائر ، وذلك من خلال قيامنا بدراسة النقد الموجه إلى الخطاب الديني ، ومقارنة هذه الانتقادات بالواقع الاجتماعي والسوسيولوجي ، أي محاولة صياغة مرجعية سوسيودينية للخطاب الديني في الجزائر ، عبر عقد مقارنة بين ما هو كائن ، وبين ما ينبغي أن يكون ، بين ما هو معمول به في الحقل الديني ومختلف الانتقادات ، وبين ما هو مرجوا منه على ضوء الكتاب والسنة .
- وبصفة عامة ، فمهمة أي باحث في جميع ميادين البحوث العلمية ، وبالأخص في علم الاجتماع ، تعتبر مجرد محاولة لتشخيص وتحديد موضوع البحث ، بهدف فصله عن المواضيع الأخرى . لأن الظواهر الاجتماعية متداخلة العناصر ، ولا يمكن دراستها دراسة موضوعية مستقلة عن هذه الظواهر الأخرى ، إذ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتخصص الذي يعمل فيه الباحث .

2 – الأسباب الذاتية :

يقول ريمون أرون (Raymond ARON) حول اختيار الموضوع والأسباب الذاتية « إنه لا يمكن بلوغ الأمانة العلمية ، دون الاعتراف بالمحددات الشخصية للاختيار »[1]، ما نسميه نحن بالأسباب الشخصية أو الذاتية ، والتي نذكر منها على سبيل الحصر :

- من خلال معايشتنا للحياة الدينية داخل المسجد ، سواء في أداء الصلوات اليومية أو حضور النشاطات المناسباتية وخاصة صلاة الجمعة ، وما يحمل الخطيب من كلام في كل المواضيع وكيفية تعامل المصلين مع ما يقدم إليهم من مادة دينية (إرشادات ومواعظ) ، وما يقال حول إتقان وتأثير وتأثر هذا الخطاب بالواقع الاجتماعي والانتقادات الموجهة إلى كل طرف من أطراف العملية .
- فضولنا نحو معرفة كل ما يتعلق بالخطاب الديني من قريب أو بعيد ، خاصة الضجة التي أحدثها في الفترة الأخيرة ومطالبة الكثير بالتجديد والتطوير ، خاصة في المجال السوسيوديني الذي تبقى الدراسات به ليست بالكثافة المعروفة في معظم التخصصات الأخرى .
- محاولة القيام بعمل جديد ، يمكن أن يكون نقطة بداية لأبحاث أخرى مستقبلية ، تكون هذه الدراسة أو الأطروحة ضالة الباحثين والدارسين ، حيث يمكن الاعتماد عليها والرجوع إليها ، أو الانطلاق من محتوياتها .

ثانياً : أهداف الدراسة .

لكل دراسة هدف أو غرض يجعلها ذات قيمة علمية ، والهدف « من الدراسة يفهم عادةً على أنه السبب الذي من أجله قام الباحث بإعداد هذه الدراسة ، والبحث العلمي هو الذي يسعى إلى تحقيق أهداف عامة غير شخصية ذات قيمة ودلالة علمية »[2]. ومن أهم الأهداف التي نسعى إلى تحقيقيها من خلال هذه الدراسة نذكر ما يلي :

- إن الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه من خلال هذا الطرح السوسيولوجي حول الخطاب الديني في المساجد الجزائرية هو المساهمة و لو بالنزر القليل في إبراز معالم الخطاب الديني وتقصي ترابط أو تنافر هذا الخطاب مع الواقع الاجتماعي ، أي محاولة إظهار العوامل المختلفة في صياغة الخطاب الديني في الجزائر من خلال إبراز وإظهار العوامل المؤثرة فيه .
- الكشف عن عناصر الخطاب الديني في هذا العصر ، خاصة من خلال الدراسات التي تدعوا إلى تجديد وتطوير الخطاب الديني ، ومحاولة معرفة المؤثرات التي تعيق وصوله إلى تحقيق أهدافه ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، معرفة الاتجاهات والخلفيات الحقيقية في تأطير الخطاب الديني سواء القائمة أو المقترحة كبديل للخطاب الديني القائم .

---

[1] Aron RAYMOND : **Les étapes de la Pensée Sociologique,** Ed ,GALLIMARD,France, 1967, P: 18.

[2] محمد شفيق : **البحث العلمي – الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية** ، المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ، 1998 ، ص : 55 .

- الكشف عن أبعاد الخطاب الديني ، وتوضيح مختلف الحقائق التي تدور حوله ، خاصة جملة الانتقادات التي وجهت إليه ، وتحميله أسباب وعوامل تأخر الأمة الإسلامية عن الركب الحضاري ، ومقارنة مكونات الخطاب الديني ورسالته بالتطور الحاصل في العالم في مختلف المجالات .
- البحث عن أسباب تخلف الخطاب الديني عن أداء مهامه ، وهو الحامل للواء الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان ، واقتراح أساليب وتقنيات ومناهج معرفية وتربوية جديدة تُمكّن الخطاب الديني من مواكبة التطورات التي يعرفها عالم اليوم .

ثالثاً : الإشكالية .

يعتبر الخطاب الديني أحد الركائز الأساسية التي يعتمد عليها العمل الديني ، حيث يتواصل من خلاله المهتمون بالشأن الفكري والثقافي مع المجتمع ، أو بالأحرى مع أبناء المجتمع . والخطاب الديني المقصود هنا ، هو خطاب الدين الإسلامي ، دون غيره من الخطابات المتنوعة والمعروفة . وبالتالي « لا بد للمسلم في عصرنا الحاضر ... أن يعرف طريقه ويحدد وجهته ، ويدرك ما يحيط به من اتجاهات ، لتكون خطاه في هذه الحياة على أقوم السبل ، وأوضح المناهج ، وينأى في رحلة العمر عن العبث والضياع »[1] . كما يفترض فيه أن يؤسس على جملة من المبادئ والقيّم التي تستقي من الحق والصدق ، ويراعي الخلفية الثقافية والعقائدية والاجتماعية للمتلقي ، فضلاً على التزام الوضوح والشفافية في جميع الأحوال والظروف ، أين يشكل أبرز المتحكمات في إنتاج الثقافة الدينية لأفراده .

إن أي خطاب يستلزم توافر ثلاثة أطراف ، المخَاطِب (الإمام في هذه الدراسة) وموضوع الخطاب والمتلقي ، والعنصر الأساس في هذا الموضوع هو الطرف الذي يتولى توجيه الخطاب ، لأنه يقوم بقراءة النصوص وتفسيرها وتأويلها ، فمنهم من يُقدِّم آراءه « على نصوص الوحي ... ، وما كان لهم أن يفعلوا ذلك ، فليس للقارئ أن يخرج آية من كتاب الله عن ظاهرها بوجود التأويلات الفاسدة ، لأن ذلك تقوّلٌ على الله بغير وجه حق »[2] . أي أن هذا الخطيب أو ذاك « يعتقد هو في نفسه أنه من أهل الاجتهاد وأن قوله معتمد به ، وتكون مخالفته تارة في جزئي وهو أخف ، وتارة في كلي من كليات الشريعة وأصولها العامة ، كانت من أصول الاعتقادات أو الأعمال ، فتراه آخذاً ببعض جزئياتها في هدم كلياتها حتى يصير منها إلى ما ظهر له ببادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا راجع رجوع الافتقار إليها »[3] . فهو يهدد بذلك انسجام النص الإلهي ، حيث يخرج عن مقصود الشارع الذي ضمنه وحيه ، إلى مقاصد ذاتية ، يحكمها هوى القارئ (الخطيب) .

ففي كثير من الأحيان يكون التفسير والتأويل وفق ثقافة الخطيب الذاتية ، ومكتسباته المعرفية وانتمائه الإيديولوجي ، وبالتالي يقوم بتصدير خطاب وفق فهمه الخاص ، إذ ما يصل إلى ذهن المتلقِي يكون بعيداً عن قصد

---

(1) عمر عودة الخطيب : **لمحات في الثقافة الإسلامية** ، ط 03 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، ص : 17 – 18 .

(2) ابن قيِّم الجوزية : **إعلام المُوقِعين عن رب العالمين** ، ط 01 ، سلسلة مكتبة ابن القيّم ، المجلد 04 ، تقديم وتعليق : أبو عبيدة مشهور آل سلمان ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2002 ، ص : 249 .

(3) أبو إسحاق الشاطبي : **الموافقات في أصول الشريعة** ، ط 01 ، المجلد الخامس ، ضبط وتقديم : أبو عبيدة آل سلمان ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الخُبَر ، المملكة العربية السعودية ، 1997 ، ص : 142 .

المشرِّع وعن دلالة النص . وهو ما يسجله الكثير من المفكرين ، وحتى الناقمين على أحوال الأمة الإسلامية (عربية وغير عربية) ، وعلى وضعية الانحطاط التي يعيشها العالم الإسلامي ، ويضعون نصب أعينهم الخطاب المستعمل . فالخطاب الديني لم ينجح في حماية المجتمع من مختلف الظواهر السلبية كالتطرف والغلو ، بل إن موجة التشدد تصاعدت ، وأنتجت ظاهرة جديدة هي : (الإرهاب) . ولم يفلح في وقاية الشباب من الآفات وأمراض الفكر التي تمكنت من عقولهم ونفوسهم .

هذا الفكر يحمل الكثير من المفاهيم المتداخلة ، والتي تحتاج إلى دراسة متأنية ، وفيها نوع من الإجماع ، غير أن هذا « الإجماع لم يقع إلا في الظاهر ، وهو إجماع معتمد على تلبيس الحقائق التاريخية وإخفاء الأوضاع الاجتماعية وجهل الوظائف الإيديولوجية للأديان . ذلك أن الغرب عندما يدعو إلى بعث الإله وتقوية التيار الروحي يسعى وراء التغلب على أزمة الحضارة التي يعانيها : لا الأزمة الأخلاقية الناتجة على المادية فقط كما شاع القول عن المسلمين ، بل أزمة العقلنة ، أي اجتهاد الإنسان بقواه البشرية في سبيل إدراك الأشياء على ما هي عليه »[1].

ويظهر جلياً عدم الوعي بظهور الحركات المروعة للآمنين ، والتي اتخذت سبيل المواجهة بالعنف ، والجماعات والحركات الإسلامية ، أو ما يسمى بالحركات الأصولية ، حيث يرفض أركون حبس الإسلام فيها ، فيقول :« لم يعد لأحد الحق ... أن يحبس الإسلام كله ، كما يطيب لبعضهم ، في عبارة هي : (الأصولية) والتطرف الإسلامي ، والتيار الإسلامي »[2]، فهي تستعير من الإسلامي التقليدي ، أو التراث مفرداتها وتبحث في الأمكِنة الدينية . المساجد وأماكن الحج . عن ملاجئ منيعة من أجل احتجاج أشد فعالية . فالتراث ينقل أكثر « من مجرد الأفكار القابلة للتشكل المنطقي . إنه يجسد حياة كاملة تشمل الفكر والعواطف والعقائد والمطامح والممارسات والأعمال ... ويمكن للطاقة الفردية والجماعية أن تمتح من معينه دون أن تستنفده . ولذا فإنه يتضمن التواصل الروحي للنفوس التي تحس وتفكر وتريد في ظل وحدة المثال الوطني أو الديني نفسه »[3].

« مما لا شك فيه أن القصور في الخطاب الديني لا يعني قصوراً في أحكام الدين ، هناك فرق بين الدين كوحي رباني يشكل نظرية حياة متكاملة خالدة وبين إخفاق المسلمين في ترجمة النظرية إلى واقع حضاري ، ولعل قصور الخطاب الديني المعاصر يرجع في أغلب الأحوال إلى خلل كبير في المفاهيم والمصطلحات الناشئة ، وانضواء عدد معتبر من منابر الخطاب الديني تحت سلطة أناس تنقصهم الكفاءة العلمية المطلوبة في إدارة الشأن الديني »[4]. فهي أباطيل أو اتهامات « موجهة للأشخاص لا للخطاب ، كما أن في بعضها مبالغة وتحريض وسوء أدب لا يليق بأهل الفكر والنظر ممارسته . كما أن لبعض الاتهامات قدر من الوجاهة لدى طوائف محدودة جغرافياً محسوبة على الخطاب الإسلامي ، ومن ثم لا

---

[1] محمد أركون : **الفكر العربي (مع مقدمة من المؤلف خاصة بالطبعة العربية) ،** ط 03 ، ترجمة : عادل العوّا ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص : 11 .

[2] محمد أركون : **نافذة على الإسلام ،** ط 01 ، ترجمة : صيَّاح الجهيّم ، دار عطية للنشر ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 13 .

[3] محمد أركون : **الفكر الإسلامي . قراءة علمية ،** ط 02 ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 31 – 32 .

[4] إبراهيم حماني : " **الخطاب الديني والتحديات المعاصرة (الخطاب الفقهي نموذجاً)** " ، **الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال ،** محاضرات الندوة الفكرية الثامنة أيام 03 ، 04 و 05 أفريل 2010 بالوادي ، إصدارات الرابطة الولائية للفكر والإبداع بولاية الوادي ، بمساهمة دار الثقافة بالوادي ، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع ، الوادي ، الجزائر ، 2010 ، ص : 13 .

ينبغي التعميم »[1]. فقد فشل العقل العربي والإسلامي في بناء خطاب متناسق حول أية قضية من القضايا التي ظلت تطرح نفسها عليه ، « فلم يستطع تشييد إيديولوجيا نهضوية يركن إليها ... ولا بناء نظرية ثورية يسترشد بها »[2].

على العموم ، يهدف الخطاب الديني إلى الإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة والبرهان العلمي والدليل المنطقي ، فهو يقوم على الحكمة ومخاطبة الناس بما يفهمون وما تقبله العقول وليس بما يعجز عن فهمه وإدراكه ، فليس المطلوب من الخطاب الديني تقديم تاريخ المسلمين وشرح الأحاديث وتلاوة القرآن وبرامج الفتاوى وأمثالها ... لكن الصورة الشاملة للخطاب الديني التي تعبر عن الالتزام بمقاصد الدين وقيّمه .

فالخطاب الديني يحتاج إلى « الكثير من العمل العلمي والمنهجي والموضوعي لتفكيك عناصره والكشف عن مضامينه وتفاعله مع التغيرات والتحولات التي نشهدها محلياً ، إقليمياً وعالمياً ، وبالتالي فكل الإشكالات والمعضلات المطروحة في خطابنا الديني من الأجدر والأنفع والمطلوب أن تعالج ضمن مباحث علوم الإنسان والمجتمع ، ليتم توصيفها بدقة وتصنيفها بإحكام وتحليلها ومعالجتها بعلمية وموضوعية »[3].

ويرى الخطاب الديني أن المؤسسة الرسمية ــ ممثلة في هذه الأطروحة بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ــ أو حتى السلطة ، تقوم على تطبيق الدين الإسلامي وفق متطلبات المجتمع ، ووفق الظروف المختلفة ، حيث يكون في الأساس الإسلام كما يسعى « إلى بناء المجتمع الصالح ... يسعى إلى بناء الدولة الصالحة ... دولة متميزة عن كل ما سواها من الدول بأهدافها ومناهجها ومقوماتها وخصائصها »[4]. ويرى كذلك أن المؤسسة الرسمية من خلال نشاطها وعملها اليومي داخل المجتمع ، وفي إطار مختلف المؤسسات ، تسعى إلى تقديم وتوفير العوامل المساعدة على إنتاج الفرد الصالح ، وهو ما يسهر على تطبيقه إطارات المؤسسات الرسمية كل في مجال اختصاصه . ومنها المساجد كفضاء أو حقل ديني مقدس بالنسبة للمسلمين .

وهذا لا يمنع من اتهام المؤسسة الرسمية من استعمال الخطاب الديني ، وتطويقه بالكثير من الإجراءات والأوامر والتوجيهات ، بما أنها تملك حق توظيف الخطباء والأئمة ، وتملك حق تعيينهم وتوقيفهم وحتى تحويلهم من مكان إلى آخر . وقد يكون لها حجتها بأن أفراد المجتمع إذا ما تركت لهم الحرية المطلقة سوف ينقلب ذلك إلى خدمة جهة دون الجهات الأخرى . ويعود ذلك ، لتأكد المؤسسة الرسمية وكل الأطراف داخل المجتمع الجزائري من تأثير النص القرآني ، أو تأثير الخطاب الديني « على سير التحالفات السياسية وإقناع الجمهور بعدالة قضية كل من الجهات المتصارعة ، فأخذت

---

[1] إبراهيم حماني : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 17 .

[2] محمد عابد الجابري : **الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية** ، ط 05 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مارس 1994 ، ص . ص : 197 - 198 .

[3] عبد الحفيظ غرس الله : " **الخطاب الديني من منظور العلوم الاجتماعية** " ، **الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال** ، محاضرات الندوة الفكرية الثامنة أيام 03 ، 04 و 05 أفريل 2010 بالوادي ، إصدارات الرابطة الولائية للفكر والإبداع بولاية الوادي ، بمساهمة دار الثقافة بالوادي ، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع ، الوادي ، الجزائر ، 2010 ، ص : 107 .

[4] يوسف القرضاوي : **من فقه الدولة في الإسلام ، مكانتها .. معالمها .. طبيعتها .. موقفها من الديمقراطية والتعددية والمرأة وغير المسلمين** ، ط 03 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2001 ، ص : 30 .

كل مجموعة بتجنيد ما تستطيعه من الفقهاء والمفسرين من أجل تأويل النصوص القرآنية تأويلاً يدعم مطالبها السياسية ويقوي موقفها من المطالبة بالسلطة والحفاظ عليها بعد استلامها »[1].

فالمسجد في الجزائر ، وحتى في العالم الإسلامي أجمع ، فضاء مقدس ، وأفراد المجتمع ينظرون إليه على أساس أنه ينتمي إلى أعضاء المجتمع الإسلامي جميعاً . لكن تم استغلال البعض للحماية التي يكفلها وذلك لتحقيق أهداف سياسية صريحة . فإذا استخدم المسجد لمثل هذه الأغراض الدعائية أو كأداة للحفاظ على السلطة ، فهذا لا يؤدي إلى التقليل من شأن روحانية المكان باعتباره مكاناً للعبادة والعلاقة الروحية التي تربط بين المؤمن وربّه .

لقد عرفت المجتمعات الإسلامية تغيرات جذرية ، ولعل هذا التغيّر يضع موضع الشك طبيعة إسلامية هذه المجتمعات حيث كان التغيير كبيراً جداً إلى حد أن معنى العلاقة بين الفرد والله ، بين العابد والمعبود ، قد أصبح موضوعاً جديداً للنقاش الديني ، والفقهي منه على وجه الخصوص . ويعود ذلك نتيجة للانقطاع الذي حدث في القرن الثامن عشر ، عندما تعرض التوازن التقليدي بين الفقهاء والحكام لتغيير كبير ، حيث حاول أو اغتصب كل جانب لأدوار ومهام الجانب الآخر . وبسبب كذلك عدم القابلية الذي عرف ويُعرف بين المقدس والعلماني في الإسلام ، حيث أنه كان ولا يزال من الممكن تبرير هذه التغييرات لأفراد المجتمع ، ولكن الوضع مختلف اليوم تماماً ، فنحن نشهد في الكثير من الدول الإسلامية نوع من المصادرة للحرية الدينية من جانب من يتقلدون السلطة السياسية ، أو من بأيديهم مقاليد الحكم ، أو في سياق الأطروحة من يمثلون السلطة الرسمية .

هذه السلطة التي تتهم بالتقصير ، أو تعرف في إطار عملها الدائم نوع من التقصير . أضف إلى ذلك نوع من الرقابة الشديدة الممارسة من أجل الحفاظ على وحدة الخطاب لا تنوعه ، وواحدية المصدر لا تنوعه أو تشعبه يؤدي إلى تداخل يعرفه الواقع المعاش داخل المساجد الجزائرية ، يضفي إلى « أن كل مداخلة نقدية ، بأسلوب علوم الإنسان والمجتمع تصيب ضمناً أو صراحة الخطاب الإسلاموي ، كما تصيب ادعاءات السلطة في الشرعية »[2].

وفي مثل هذا الوضع ، فإن أي علاقة مباشرة بين العلماء أو الدعاة أو المفكرين ، أو حتى المشتغلين في الحقل الديني ، مع من أصبح ينظر إليهم من قبل من هم في السلطة على أنهم مشحونون سياسياً ، وبالتالي على أنهم شيء يتعين قمعه . وهكذا فإن الضغوط السياسية تفضي إلى فقدان الحرية السياسية . غير أن حقيقة الخطاب الديني ، ومن ثم الشريعة الإسلامية تهدف في الأساس إلى إصلاح النفوس وتنشئة الإنسان الصالح ، حيث يرى أعلام الخطاب الديني بأن الشريعة الإسلامية محققة لهذه الغاية على أتم الوجوه وأكمل الصور ، وذلك كله ضمن منظور عام ، أو ضمن منظور يحمل نوع من الخصوصية التي تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات .

---

[1] نضال عبد القادر الصالح : **المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع** ، ط 01 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مايو 2006 ، ص : 214 .

[2] محمد أركون : **نافذة على ... ، مرجع سبق ذكره** ، ص : 174 .

من هذه المنطلقات النظرية ، وبناء على كل المعطيات التي لا يمكن حصرها ، وبالنظر إلى المفاهيم التي بُنيت عليها هذه الإشكالية ، يمكننا طرح العديد من التساؤلات التي نذكر منها على سبيل الحصر :

- **هل الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، أسير الصفات الشخصية للخطيب وإسقاط مباشر لثقافته الذاتية ومكتسباته المعرفية وقناعته الإيديولوجية ؟**
- **هل الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، الطريقة الإدارية التي يتعاطى بها المهتمون بشؤون التثقيف الديني في إدارة المجتمع ؟**
- **هل الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، الصورة الشاملة للالتزام بمقاصد الدين الإسلامي وقيّمه بمختلف جوانبه الفقهية ، العلمية ، الثقافية ، الدعوية والتربوية ؟**

رابعاً : الفرضيات .

تعتبر الفرضيات أو الفروض « تصميم مبدئي تظل صحته موضع اختبار . ويلزم أن يعتقد الباحث في صحة فرضه . فالهدف من وضع الفروض هو اختباره حتى يمكن استكشاف مدى تطابقه مع الحقائق والبيانات »[1]، أو هو « تخمين أو استنتاج ذكي يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتاً لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر ... ويكون الفرض كمرشد له في البحث والدراسة التي يقوم بها »[2].

من هذه المنطلقات ووفق تساؤلات الإشكالية ، نضع ثلاث فرضيات وهي :

1 ــ الفرضية الأولـى :

يقوم الخطيب في المسجد بتقديم خطاب لا يستطيع الخروج به عن ثقافته الذاتية ومكتسباته العلمية ، ففي الكثير من الأحيان ما تسيطر قناعة الخطيب ومدى تأثره بما يحدث في المجتمع الخارجي ، وبذلك فهو أسير هذه المعطيات ولا يستطيع أن يخفي هذه القناعات حتى لو عارضت الخطاب الرسمي .

2 ــ الفرضية الثانيـة :

من أجل الحفاظ على وحدة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، ولأن المسجد مؤسسة دينية تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ممثلة الخطاب الرسمي ، فهي تسهر بمختلف الوسائل على توجيه وتحديد معالم الخطاب الديني الموجه إلى أفراد المجتمع ، باستعمال وسائل وطرق إدارية تفرض على الخطيب إتباعها والالتزام بها .

3 ــ الفرضية الثالثـة :

الخطاب الديني في المساجد الجزائرية هو كل بيان باسم الدين الإسلامي يوجه للناس سواء المسلمين أو غير المسلمين لتعريفهم بالإسلام ، يأخذ أشكال مختلفة ، مبني على فهم دقيق لطريق المخاطبين وعقلياتهم وبيئاتهم . فهو يشمل النشاط الإسلامي بشكل عام ، الفقهي منه والعلمي والدعوي والثقافي والتربوي والاجتماعي .

---

[1] محمد منير حجاب : **الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية ،** ط 03 ، سلسلة دراسات وبحوث إعلامية (6) ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2000 ، ص : 25 .

[2] أحمد بدر : **أصول البحث العلمي ومناهجه ،** ط 09 ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر ، 1996 ، ص : 97 .

خامساً : تحديد المفاهيم والمصطلحات .

إن المفهوم هو « مجموعة الرموز التي يستعين بها الفرد . لتوصيل ما يريده من معاني لغيره من الناس ، ومن السهل التعبير عن المفاهيم الملموسة ومن الصعب التعبير عن بعض المفاهيم التي تحتاج إلى الكثير من التحديد . وكثيراً ما يرتبط المفهوم بالتعريفات السابقة له ، كما يتجدد المفهوم بتجديد الخصائص البنائية والوظيفية له »[1]، حيث يقصد بتحديد المفاهيم والمصطلحات في أي دراسة « تبيان ما تعنيه من مقاصد ، وتوضيح ما تتضمنه من معانٍ ، وما تظهره من صفات ، ويتضح المفهوم عندما يعقله الإنسان ، ويميزه عن غيره الذي يشترك معه في الصفات »[2]. وسوف نحاول في هذه النقطة تقديم المفاهيم المستعملة ، إلى جانب تقديم في ختام كل مفهوم الاستخدام الإجرائي ، أي الطريقة التي تمت بها استخدام المفهوم أو كيفية استعماله خلال هذه الأطروحة أو الدراسة ، مع ترتيبها حسب تسلسلها الأبجدي ، وليس حسب الأهمية .

1 . الإيديولوجيا :

أ . تعريف الإيديولوجيا :

يقول الأستاذ عبد الله العروي : « إن كلمة إيديولوجيا دخيلة على جميع اللغات الحية ، تعني لغوياً في أصلها الفرنسي ، علم الأفكار ، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي ، إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر ، ثم رجعت إلى الفرنسية ، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية . ليس من الغريب في هذه الحالة أن يعجز الكتاب العرب عن ترجمتها بكيفية مرضية . إن العبارات التي تقابلها ــ منظومة فكرية ، عقيدة ، ذهنية ، ... إلخ ــ تشير فقط إلى معنى واحد من بين معانيها . إننا نجد في العلوم الإسلامية لفظة لعبت دوراً محورياً كالدور الذي تلعبه اليوم كلمة إيديولوجيا ، وهي لفظة الدعوة ، في الاستعمال الباطني ، غير أنه من المستحيل إحياؤها والاستعاضة بها عن كلمة إيديولوجيا ، التي انتشرت رغم عدم مطابقتها لأي وزن عربي »[3].

فكلمة إيديولوجية « أصبحت كلمة عربية بعد أن تم تعريبها في مجالات الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفلسفي ، كما في مجال النقد الأدبي ، ونظرية الأدب والفن . وهي تعني (المنظور) الذي يحدد للإنسان معايير الصواب والخطأ ، والثواب والعقاب ، والمحرم والمحلل ، بالمعنى الاجتماعي لا الديني ، ــ أي المسموح به المرغوب ، والممنوع المعيب ــ بكل ما يتداخل مع بنية هذا المنظور ويشكله من أهواء ومصالح ورغبات محكومة بقوانين الوجود الاجتماعي »[4].

وحسب ريمون بودون فإن للإديديولوجيا ثمانية معايير . فهي تعلن عن نفسها من خلال :

1 ــ الطابع الصريح والواضح لصياغتها ،

2 ــ وإرادتها في الالتفاف حول معتقد إيجابي أو معياري خاص ،

---

[1] أمين الساعاتي : **تبسيط كتابة البحث العلمي ، من البكالوريوس ، إلى الماجستير .. وحتى الدكتوراه ،** ط 01 ، المركز السعودي للدراسات الإستراتيجية ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1991 ، ص : 36 .

[2] عقيل حسين عقيل : **فلسفة مناهج البحث العلمي ،** مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1999 ، ص : 05 .

[3] عبد الله العروي : **مفهوم الإيديولوجيا ،** ط 05 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص : 09 .

[4] نصر حامد أبو زيد : **الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية ،** ط 02 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1996 ، ص . ص : 10 – 11 .

3 ــ إرادتها في التمييز بالنسبة إلى منظومات معتقدية أخرى ماضية أو حالية ،

4 ــ انغلاقها أمام التجديد ،

5 ــ الطابع المتشدد لاقتناعاتها ،

6 ــ الطابع الأهوائي (Passionnel) لانتشارها ،

7 ــ مطالبتها بالانتماء ،

8 ــ وأخيراً ارتباطها بمؤسسات مكلفة بدعم وتحقيق المعتقدات المعينة[1].

إلى جانب ذلك ، فالإيديولوجية تعتبر القاطرة التي تقود الإنسان إلى أسباب الحياة ، كما تقدم له الأسباب التي تجعله يضحي بحياته من أجلها ، فلكل إيديولوجيا دوغمائييها ومتعصبيها ، وهو ما يبيّن أنها بالمعنى الدقيق ظاهرة دينية .

ب . استعمالات مفهوم الإيديولوجيا :

لمفهوم الإيديولوجيا خمس استعمالات أساسية ، حيث تكون « البنية المشتركة هي سبب تداخل الاستعمالات المعاصرة »[2]. وهذه الاستعمالات ترتبط بالمنطلق الفكري الذي يستعمله المعتقد لهذه الإيديولوجية ، حيث تختلف المنطلقات التي تميز الإيديولوجية ، فكل استعمال من هذه الاستعمالات يفرق بين الظاهر والخفي ، وبين الملموس والحقيقي ، وبين الوجود والقيمة ، وهذا ما نوضحه في النقاط التالية :

1 ــ استعمال القرن الثامن عشر لمفهوم الإيديولوجية : حيث كانت تعني الأفكار المسبقة الموروثة عن العهود السابقة وما تميزت به من جهل واستعباد للفرد واستغفال له ، فميّز هذا العصر التقليد ، والذي يقابله استعمال العقل الذي يحاول الكشف عن البديهيات ، فهو عقل لا يختلف بين الفرد والجماعة ، ينظر إلى الإيديولوجية من منطلق العقل الفردي .

2 ــ استعمال الفلاسفة الألمان : مثل هيغل والرومانسيين بوجه خاص ، حيث تعني لديهم الإيديولوجية منظومة فكرية تعبر عن الروح التي تحفز حقبة تاريخية إلى هدف مرسوم في خطة التاريخ العام ، فينظر إلى الإيديولوجية انطلاقاً من التاريخ كخطة واعية بذاتها .

3 ــ استعمال نيتشه : حيث تعتبر الإيديولوجية جملة الأوهام أو مجموعها ، وكذلك التعديلات والحيل التي يعاكس بها الإنسان باعتباره ضحية قانون الحياة . فينظر إلى الإيديولوجية انطلاقاً من الحياة كظاهرة عامة تفصل عالم الجماد عن عالم الأحياء .

4 ــ استعمال فرويد : حيث يعتبر الإيديولوجية مجموعة الأفكار التي تنتج عن التعاقل ، أين يبرز السلوك المعاكس لقانون اللذة والضروري لبناء الحضارة . فينظر إلى الإيديولوجية انطلاقاً من اللذة وهي ميزة الحيوان ، وبالتالي ميزة الإنسان الأولى .

---

[1] ريمون بودون : " **ثمانية معايير مميزة للمنظومات الإيديولوجية** " ، **دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة (الإيديولوجيا)** ، ط 02 ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، العدد رقم 08 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص : 19 .

[2] عبد الله العروي : " **استعمالات مفهوم الإيديولوجيا** " ، **دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة (الإيديولوجيا)** ، ط 02 ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، العدد رقم 08 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص : 21 .

5 ــ أما في الفكر الإسلامي فالإيديولوجية مركبة ، ولعل أصل هذا التركيب من الاختلاف الذي يعرفه العالم الإسلامي في المذاهب والنظريات ، فالمرادفات المتداولة لهذا المفهوم كالرأي الحر أو التفكير المستقبل ، لا تعبر إلا جزئياً عن دوافعه وتقلباته المرتبطة بالفكر الإسلامي كبنية كلية . وبالتالي فالاستعمال الذي سنأخذ به يقوم ضمناً على اعتبار الاجتهاد كمجهود في سبيل بناء إيديولوجي شامل .

ج ـ الإيديولوجيا والخطاب الديني :

إننا ننطلق من السؤال المهم التالي : هل للخطاب الديني وظيفة إيديولوجية ؟ أي هل لهذا الخطاب كما هو متداول بين معتنقيه وظيفة إيديولوجية ؟ وهل يكون لهذا الخطاب بما أنه قراءة للكتاب والسنة النبوية ، أن يخدم أغراضاً إيديولوجية ؟ والسؤال له « معينين أساسيين ، معنى واقعياً وآخر معيارياً . بالنسبة للأول ، نستهدف من وراء طرح هذا السؤال ... ما إذا كان يمارس بشكل يعطيه وظيفة إيديولوجية ، أو بكيفية تحوله إلى قناع تتستر وراءه مصالح ونزعات إيديولوجية من أي نوع كانت . أما بالنسبة للمعنى الثاني ، أي المعنى المعياري ، فما نستهدفه هو أن يعرف ما إذا كان هذا الخطاب يمثل وعاء مناسباً لتناول مسائل ذات طابع إيديولوجي أو ذات علاقة بالتفكير الإيديولوجي »[1].

د ـ التعريف الإجرائي :

إن إدراج مفهوم الإيديولوجيا في هذا الدراسة يعود بالأساس كونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخطاب الديني ، ما دمنا نتحدث عن جملة الأفكار التي ترتبط بالإنسان ، أو الفرد ، حيث كل حركات وسكنات الخطيب أو الإمام داخل المسجد ، ومن ثم الخطاب لها إسقاطات إيديولوجية ، ولها منطلقات إيديولوجية معينة تؤثر في دور الخطاب في المسجد والمجتمع بصفة عامة ، هذا من جهة الإمام .

من جهة ثانية ، فكل سلوكات ، تصرفات ، ومختلف الإجراءات التي تقوم بها المؤسسة الرسمية ، تجاه المؤسسات الدينية الحديثة والتقليدية ، بما فيها المساجد ، لها إسقاطات إيديولوجية تخدم النظام الذي يرعاها أو يسيّرها ويسيطر عليها ، وبالتالي فالخطاب الذي يتم تسويقه لا يخرج عن هذه الأطر . ومن جهة أخيرة ، فإن المقبل على المسجد ، ومهما كانت نوعيته ، بسيط مثل أي مواطن ، أو حامل لفكرة معينة فهي تحمل بين طياتها فكراً إيديولوجياً يتصارع مع الفكر الإيديولوجي المطروح من خلال الخطاب المقدم له أثناء تواجده بالمسجد .

2 ـ التربيـة :

أ ـ التربية في اللغـة :

يتضمن مصطلح التربية العديد من الدلالات اللغوية ، والتي تشير كلها إلى ما تحتويه العملية التربوية من أنشطة ، فهو من الرَّبِّ ، بمعنى التربية ، كانوا يرَبُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها . وكذلك الرباني من الرب ، بمعنى التعليم والتربية . « والرباني ، العالم الراسخ في العلم والدين ، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله وقيل : العالم العامل المعلم ، وقيل الرَّبَّاني : العالي الدرجة في العلم . فربيت الأمر إذا أصلحته ومتَّنته ، وربا يربو بمعنى زاد ونما ، وربَّ المعروف والصنيعة

---

[1] محمد حافظ دياب : **سيد قطب ، الخطاب والإيديولوجيا** ، دار العالم الثالث للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) ، ص : 117 .

والنعمة : أي نمَّاها ، وزادها ، وأتمها وأصلحها »[1]. ورَبِيَ يَرْبَى ، أي نشأ وترعرع[2]. فيتضح أن التربية لغة « تدور حول الإصلاح ، والقيام بأمر المتربي ، وتعهده ورعايته بما ينميه . وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني »[3].

ب ـ التربية في الاصطلاح :

تُعد التربية « وسيلة المجتمع الفعالة التي يستطيع عن طريقها تحقيق أهدافه الوجودية ، والفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، بما يتفق مع تصور أبناء المجتمع للوجود ، وما ينبثق عن هذا التصور من مفاهيم ، وعقائد ، وأفكار . وذلك عن طريق استخدام المعلومات كافة ، ومجموعة المعارف العلمية ، والوسائل التربوية التي توصل إليها الإنسان في تأهيل أفراد المجتمع كل حسب ميوله وقدراته الذاتية ليكونوا على أفضل مستوى فني في تقديم الخدمات المتعددة لمجتمعهم ، لذلك فإن التربية تختلف من مجتمع إلى آخر ، وذلك يعود إلى تصور أبناء المجتمع للوجود وما يعكسه هذا التصور من مفاهيم خاصة بالقضايا الوجودية الأساسية والتي تشكل اهتمامات وطموحات الإنسان »[4].

وبصفة عامة فالتربية « هي تلك العملية التي يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الإنسانية وبناء الإنسان الكامل داخل الهيكل الأدبي ، بناء يبلغ الإنسان معه غايته التي يرجوها من الكمال الإنساني ، ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية . فلا يهمل فيها هذا الهيكل ذاته ويكون وفقاً لمعايير تتفق عليها الجماعة التي تتم في وسطها عملية البناء حسب الأدوار التي يقوم بها الفرد المعد للبناء والمراد من التربية . ولهذا كانت التربية عامة شاملة بخلاف التعليم أو الثقافة والتي يقتصر دورها على بعض المراحل في حياة الإنسان أو على الأقل بعد البناء الأول وثمرة من ثماره »[5].

ج ـ التربية في القرآن الكريم :

لم ترد كلمة التربية في القرآن الكريم ، لكنها وردت في ثلاث مواضع بمرادفاتها أو مشتقاتها ، مرة بصيغة الاسم ، ومرتين بصيغة الفعل .

- **تعني الحكمة والعلم والتعليم :** قال تعالى : ﴿ **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُم تعْلَمُونْ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُون** ﴾[6]، أي « ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين ، أي حكماء علماء حلماء . وقال الضحاك : أي تفهمون معناه »[7].

---

(1) العلامة ابن منظور: **لسان العرب ،** المجلد الرابع ، باب الراء ، دار الحديث (طبع ، نشر ، توزيع) ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص : 26 .

(2) نفس المرجع ، ص : 56 .

(3) خالد بن حامد الحازمي : **أصول التربية الإسلامية ،** ط 01 ، سلسلة المنظومة التربوية (05) ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 2000 ، ص : 18 .

(4) نفس المرجع ، ص . ص : 227 – 228 .

(5) محمد يوسف حمودة : **منهج التربية عند الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ،** ط 01 ، مشيخة الطريقة العزمية ، دار المدينة المنورة للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1989 ، ص : 35 .

(6) سورة آل عمران ، الآية رقم : 79.

(7) إسماعيل ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ،** ط 01 ، ج 01 ، دار الآفاق العربية ، نشر ، توزيع ، طباعة ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، ص : 550 .

- **تعني الرعاية والعناية :** قال تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَحْمَة وقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيانِي صَغِيْراً** ﴾[1]، وقول فرعون لموسى : ﴿ **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِيْنا مِنْ عُمْرِكَ سِنِيْنَا** ﴾[2]، أي ألست أنت الذي ربيناه بيننا ، وأنعمنا عليه مدة من السنين . ومعنى قوله ربياني أي قاموا على تنميته ، أي أنه تمت إحاطته بنوع من العناية والرعاية ، وهي مدلولات تدل على القيام بالعملية التربوية .

د ـ مصطلحات تربوية :

توجد العديد من المصطلحات المرادفة لكلمة تربية ، سواء في كتب التربية الحديثة أو في كتب التراث ، منها ما هو مرادف كامل ، ومنها من يؤدي جزء أو وظيفة من وظائف التربية ، إذ أن كلمة تربية ، خاصة في كتب التراث لم تستعمل بالمفهوم الحديث ، وفي هذا المقام نقدم بعض هذه المصطلحات .

- **الإصلاح :** يقول تعالى : ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وآَخَرَ سَيِّئاً** ﴾[3]، ويقول : ﴿ **وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضَ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا** ﴾[4].

- **التأديب :** أدبته ، أي علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق ، حيث يقع الأدب على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان من الفضائل . والتأديب يتضمن الإصلاح والنماء ، وهو الذي يتأدب به الأديب من الناس ، وسمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد من الأخلاق ، وينهاهم عن المقابح منها .

- **التهذيب والتطهير :** التهذيب كالتنقية والتطهير ، وهذب الشيء ، نقاه وطهره ورجل مهذب : أي مطهر الأخلاق[5]، والتطهير التنزه والكف عن الإثم ، ورجل طاهر الثياب أي منزه .

- **التنشئة :** والتنشئة من المرادفات اللصيقة تماماً بالتربية ، حيث تأخذ نفس المعاني وتقوم بنفس الأدوار ، فيقال نشَّأَ الوالد ولده على الخير ، أي رباه وعوّده عليه منذ الصغر ، ويقال نشأ في أهل فلان ، أي تربى وترعرع بينهم .

- **التزكية :** تأتي التزكية في الكثير من المرات بمعنى التطهير ، كقوله تعالى : ﴿ **كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِيكُم وَيُعَلِمُكُم الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾[6]. وفي هذا الإطار يقول ابن كثير :« يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة »[7]. وقوله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** ﴾[8]. أي نجح من طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ .

---

(1) سورة الإسراء ، الآية رقم : 24 .

(2) سورة الشعراء ، الآية رقم : 18 .

(3) سورة التوبة ، الآية رقم : 102 .

(4) سورة الأعراف ، الآية رقم : 56 .

(5) العلامة ابن منظور: **مرجع سبق ذكره** ، المجلد التاسع ، ص : 64 .

(6) سورة البقرة ، الآية رقم : 151 .

(7) إسماعيل ابن كثير : **مرجع سبق ذكره** ، ج 01 ، ص : 280 .

(8) سورة الأعلى ، الآية رقم : 14 .

هـ . التربية في المنظور الإسلامي :

من المضامين اللغوية ، استنتج القائمون على العملية التربوية في المنهج الإسلامي العديد من النتائج التي أعطت صفات وسمات التربية بصفة عامة ، أو التربية الإسلامية بصفة خاصة ، والتي تقوم على أن التربية تتكون من عناصر أساسية لا تتم العملية إلا بها ، ونذكر منها : أولاً : الحفاظ على فطرة النشء ورعاياها . ثانياً : تنمية المواهب والاستعدادات التي تحفز الفرد على القيام بواجباته تجاه نفسه ومن ثم اتجاه المجتمع . ثالثاً : القيام بالعملية التوجيهية التي تمكن هذه المواهب والاستعدادات من وصول درجة الكمال البشري . ورابعاً : التدرج في العملية التربوية[1].

وتعرف التربية من منظور الدين الإسلامي على أساس أنها « عملية هادفة ومستمرة وشاملة لجميع جوانب الشخصية التي ترعى الفرد روحه وعقله وجسده في توازن لتزكية النفس البشرية والترقي بها لبلوغ درجات عليا في الكمال الإيماني ، بالإضافة إلى تنمية قدراته ومهاراته وإعداده لتحمل المسؤولية الشرعية المتمثلة في أصل التكليف ورعاية الحقوق والواجبات الشرعية والاجتماعية والإنسانية لتحقيق السعادة الدنيوية ورضوان الله تعالى وفق منهجية تتسم بالاتزان والسلامة من التناقضات وتراعي حاجات الأفراد وتوظف إمكاناتهم لتمكنهم من التعايش مع الواقع الحياتي »[2]. كما تم الاستخلاص العديد من النتائج من المنظور الإسلامي للتربية ، نذكر أهمها :

- التربية عملية هادفة ، لها أغراضها ، أهدافها وغاياتها .
- أن المربي الحق على الإطلاق هو الله سبحانه وتعالى ، خالق الفطرة وواهب المواهب ، وهو الذي سن سنناً من أجل نموها وكمالها ، وشرع شريعة لتحقيق صلاحها وسعادتها .
- التربية تقتضي رسم خطط ومناهج تسير فيها العملية التربوية ، حيث تتدرج مع الفرد طوراً فطور ، ومرحلة فمرحلة .
- عمل المربي أو القائم على العملية التربوية تابع لخلق الله سبحانه ، وبالتالي تابع لشرعه ودينه[3].

و . التعريف الإجرائي :

ويبقى الهدف الرئيس لأي مؤسسة ، سواء أكانت اجتماعية أو دينية ، هو ضمان تربية دينية واجتماعية للأفراد المشاركين فيها ، وكذلك بالنسبة للمساجد الجزائرية ، حيث تسعى إلى تلقين المتوافدين عليها من مختلف المستويات ، ومن مختلف الأعمار ، الخطاب الضروري الذي يجعلهم يتفاعلون بطرق إيجابية مع المجتمع ، وهو الهدف الأسمى والأساسي للتربية ، التي تهتم كما ذكرنا بالفرد من المنشأ إلى أرذل العمر ، حتى يقوم بدوره المخول له في المجتمع ،

---

[1] عبد الرحمن النحلاوي : **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع** ، ط 03 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق سورية ، 2004 ، ص : 17 .

[2] بلغيث الغانمي : **منهج التربية الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاته من خلال البيئة المدرسية** ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، تحت إشراف : نايف الشريف ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، 2008 – 2009 ، ص : 30 .

[3] أريج الأنصاري : **دور مؤسسات التربية الإسلامية في مواجهة العولمة اللغوية** ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، تحت إشراف : آمال المرزوقي ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، 2008 – 2009 ، ص : 37 .

ويستعين في ذلك بما يتلقاه من مواعظ وخطب ودروس ونشاطات مناسباتية وغيرها من النشاطات الدينية التي يعرفها المسجد ، المنظمة من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، أو من طرف لجنة المسجد ، أو من طرف الإمام نفسه .

وتكون وسيلة المساجد أو الخطيب في هذه المساجد ، الخطاب الديني بمختلف مكوناته ، أنواعه ومقاصده وأهدافه التي وضحها الدين الإسلامي ، وبالتالي العمل من أجل الحفاظ على التراث الديني والمساهمة في التوعية الاجتماعية لأفراد المجتمع ، وهو المقصود بالتربية بمفهومها الواسع في هذه الأطروحة أو الدراسة .

3 ـ التغيّر الاجتماعي :

أ ـ تعريف التغيّر : يعتبر « التغير والتبدل في أحوال الناس والثقافات والمجتمعات والحضارات من بين أهم القضايا التي شغلت بال الفلاسفة والمفكرين والمتخصصين في مختلف فروع المعرفة على مر العصور . وعندما ظهرت فروع للعلوم الاجتماعية تخصص في كل مجال باحثون جعلوا تجليات هذه الظاهرة محور اهتماماتهم »[1]، وهو ما يجعل التغير الاجتماعي يظل واحداً من أهم الميادين التي يهتم بها علم الاجتماع ، « حتى أن بعضهم ذهب إلى القول بأن التغير الاجتماعي هو المادة الرئيسية لعلم الاجتماع : بصفة أن المجتمعات لا تتوقف عن عملية التغير المستمر . ويلاحظ أن جميع المدارس الاجتماعية متفقة على أهمية هذه الظاهرة »[2]. وهو من المنظور الإسلامي :« مبدأ أو قانوناً اجتماعياً لا سبيل إلى إنكاره ، كل ما في الأمر أن للإسلام تصوراته حيال مادة (التغيّر) وما يقابله من (الثبات) أيضاً »[3].

يرى علماء الاجتماع الحديث أنه لا يوجد سبب مهيمن لحدوث التغير الاجتماعي ، فهم يعترفون بتعدد الأسباب وكثرة أنماط التغير ، فقد تكون داخلية ، خارجية أو حتى أنماط مختلطة . كما يعتبرون أن مسارات التغير يمكن أن تكون أحادية الخط أو دائرية تكرارية . ويمكن توقع حدوث بعضها ، كما يصعب توقع حدوث البعض الآخر منها ، لأنها تكون في إحدى مراحل تطورها ، مولدة لمطلب التجدد .

ب ـ تعريف التغيّر الاجتماعي :

فمفهوم التغير الاجتماعي (Changement Social) ، يعتبر من المفاهيم التي لازمت الإنسانية منذ فجر نشأتها ، وحتى وقتنا الحاضر ، وحقيقة من حقائق المجتمع الإنساني . فلا يوجد مجتمع ساكن مهما كان بدائياً أو حتى متخلفاً . ونلاحظ كيف تتغير القيّم من عصر إلى عصر آخر ، ومن مجتمع إلى مجتمع مغاير ، بل في المجتمع الواحد ، لا يقتصر التغيّر على النواحي الاجتماعية فقط ، وإنما تتعداها إلى مختلف مناحي الحياة ، مثل : حلول الوسائل التكنولوجية في أساليب الإنتاج محل اليد العاملة . والتغير الاجتماعي يشير إلى التحولات التي تطرأ على بناء أي مجتمع خلال مدى زمني معين ، ما يعني وجود قوى اجتماعية تسهم في حدوث التغير في اتجاه معين وبدرجات متفاوتة ، فقد يطال بناء

---

[1] إياد محمد عماوي : " **ملامح التغير الاجتماعي في الريف الفلسطيني : دراسة ميدانية لعادات الزواج في ثلاث قرى بمحافظة طولكرم** " ، **سلسلة الدراسات الإنسانية** ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد السادس عشر ، العدد 01 ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، رام الله ، فلسطين ، يناير 2008 ، ص : 274 .

[2] محمد البستاني : **الإسلام وعلم الاجتماع** ، ط 01 ، موسوعة الفكر الإسلامي (03) ، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ص : 164 .

[3] نفس المرجع ، ص : 165 .

المجتمع بأكمله كما يحدث أثناء الثورات ، كما يمكنه أن ينحصر في تغير نظام اجتماعي معين كالأسرة السياسة أو الدين[1]. فقد اختلف علماء الاجتماع في مفهوم التغيّر الاجتماعي ، فقد رأى فون فيزي (Von WEISE) استخدام التغير بديلاً محايداً من فكرة التقدم ، أو يتم استخدامه استخداماً إحصائياً يجعله تصوراً كمياً خالصاً ، ويجعله يقتصر على التحولات التي تعرفها العلاقات الإنسانية والاجتماعية ، بينما يرى جينزبرج (Ginsberg) التغير الاجتماعي إنما هو تغير في البناء الاجتماعي مثل : حجم المجتمع ... أو في نمط التنظيم »[2].

ج ـ التغيّر من منظور إسلامي :

أما في المنظور الإسلامي ، فالعنصر الثقافي مركب من ثلاث عناصر أو أقسام : فلسفي ، أخلاقي ومعرفي ، حيث يشمل القسم الأول على الجانب الفكري من الكون والمجتمع والإنسان ، أما القسم الثاني (الأخلاقي) ، فهو مجموعة القيم التي تجسد تعامل الناس بعضهم مع بعض ، حيث سمح الإسلام للمجتمعات الإنسانية إعمال العقل في مسايرتها أو مواجهتها ، بما أن الإنسان ينزع للخير . أما القسم الثالث والأخير ، البعد المعرفي ، وما يشتمل على ضروب العلم أو الفن وما تواكبها من أدوات ثقافية . فالإسلام يقر بمشروعيتها ما دام أنه يلح على طلب العلم والمعرفة وإتقان أدواتها .

لقد أشار الله وتعالى إلى التغيير في العديد من المواضع ، حيث يقول : ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[3]، ويقول : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ الله لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[4]، أي أن التغيير جاء على النفس البشرية ، « فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا ، وعصى أمرنا »[5]. فالمحور الأساس الذي تدور عليه عجلة التغيير « هو تغيير ما بالنفس ، والانطلاق بها إلى الأفضل والإبداع وتلك سنة اجتماعية ، وفي طريق التغيير تظهر العقبات والعراقيل وتوضع القيود وتقام السدود والحوائل وعلى المسلم أن يجد الحلول المناسبة لهذه العقبات والعراقيل »[6]. فتغيير ما بالنفس يتم بتزكيتها ، أين يقوم الإنسان بمختلف الوسائل ، خاصة بما يحمله الخطاب الديني من عوامل يتأثر بها المسلم ، تكون له مثل الحصن المنيع من كل المؤثرات الداخلية والخارجية ، ما تحمله النفس البشرية من استعدادات للشر والانحراف ، أو ما يحمله المحيط الخارجي .

---

[1] السيد الحسيني : **مفاهيم علم الاجتماع ،** ط 2 ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، 1987 ، ص : 217 .

[2] محمد عاطف غيث : **قاموس علم الاجتماع ،** دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1995 ، ص : 314 .

[3] سورة الرعد ، الآية رقم : 11 .

[4] سورة الأنفال ، الآية رقم : 53 .

[5] محمد بن جرير الطبري : **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ،** المجلد الخامس ، تحقيق : إسلام منصور عبد الحميد وآخرون ، دار الحديث (طبع . نشر . توزيع) ، القاهرة ، مصر ، 2010 ، ص : 755 .

[6] فلسطين الصيفي : **المضامين التربوية في كتابات فتحي يكن ،** بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول التربية ، تخصص تربية إسلامية ، تحت إشراف : محمد خليل أبو دف ، قسم أصول التربية . تربية إسلامية ، كلية التربية ، الجامعة الإسلامية غزة ، فلسطين ، 2008 – 2009 ، ص : 23 .

د ـ التعريف الإجرائي :

ونقصد بالتغير الاجتماعي في هذه الدراسة ، مجموعة التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري ، ومختلف أبعادها المتشعبة (الاجتماعية ، الثقافية والدينية) ، خاصة البُعد الديني ، الذي أفرز ميلاد حركات وجماعات دينية تبنت العديد من المذاهب الإسلامية ، رغم أن المذهب السائد هو المذهب المالكي الذي يعتبر أصلح وأعدل المذاهب الفقهية ، إضافة إلى مجموعة من الخصائص والمميزات التي منحته مرونة وقدرة على التكيّف مع الزمن . كل هذا جعله يعبر عن الوحدة المذهبية الدينية ، أو ما يسمى بالوسطية المذهبية والأصالة الحضارية ، ما جعل القائمين على المؤسسات الدينية (المساجد) يتبنونه من أجل حماية المجتمع الجزائري من الانقسامات العقائدية والمذهبية التي عرفتها مختلف بقاع العالم الإسلامي .

هذا من الجانب الفقهي ، أما من الجانب الفكري ، فمفهوم التغير الاجتماعي ، هو جملة الأفكار والنظريات الدينية التي أخذت ، خاصة في الآونة الأخيرة غطاء التطور والتجديد للخطاب الديني ، والمطالبة بإعادة النظر في مكونات هذا الخطاب ، أي الرؤى والمضامين ، بكل ما تحمل من وجهات نظر مختلفة ، أخرجت حسب البعض أصحابها عن الملة وأدخلتهم دائرة الكفر والإلحاد .

4 ـ التنشئة الاجتماعية والدينية :

أ ـ التعريف اللغوي :

جاء في لسان العرب كلمة التنشئة من الفعل نشأ ، أي « ينشأ نشأ ونشوءا ونشاء بمعنى ربا وشب ، ونشأت في بني فلان نشأ ونشوءا : شببت فيهم ... وقيل : الناشئ فُوَيْقَ المحتلم »[1]. وفي كتاب العين كذلك ، فالتنشئة من الفعل نشأ ينشأ نشأً ونشأةً ونشاءة[2].

ب ـ التعريف الاصطلاحي :

لقد أصبح مفهوم التنشئة الاجتماعية من المفاهيم الرائجة حالياً ، فهي تدخل في مجال كل الدراسات التي تتناول مختلف أنماط تعليم الفرد ، لاسيما في سن الشباب ، حيث تسعى هذه الدراسات إلى وصف مراحل بعض المسارات الأساسية في التأهيل الاجتماعي المرتبطة بالثقافات الاجتماعية المختلفة . فهناك الكثير من الدراسات العلمية الاجتماعية حاولت التخصص في دراسة والكشف عن مختلف شؤون التنشئة الاجتماعية ودورها في عملية التأهيل الاجتماعي . فهي بصفة عامة « العملية التي يكتسب الطفل بموجبها الحساسية للمثيرات الاجتماعية ، كالضغوط الناتجة عن حياة الجماعة والتزاماتها ، وتعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين ، وأن يسلك مثلهم في العملية التي يصبح الطفل بموجبها كائناً اجتماعياً وتتضمن هذه العملية التي تساعد الفرد على التكيف والتلاؤم مع بيئته الاجتماعية ويتم اعتراف الجماعة به ويصبح متعاوناً معها وعضواً كفؤاً فيها »[3].

---

[1] العلامة ابن منظور : **مرجع سبق ذكره ،** المجلد الثامن ، باب النون ، ص : 546 .

[2] الخليل الفراهيدي : **كتاب العين ، معجم عربي . عربي ،** ط 02 ، ج 06 ، سلسلة المعاجم والفهارس ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص : 287 .

[3] عبد الرحمن العيسوي : **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ،** دار الفكر الجامعي للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، 1984 – 1985 ، ص : 183 .

فالتنشئة الاجتماعية من أهم عمليات التفاعل الاجتماعي ، ويرجع ذلك بحكم أنها هي من يصنع شخصية الإنسان . وهناك تعريفات كثيرة لعملية التنشئة الاجتماعية منها أنها : هي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد ، كما أنها عملية إدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية ، كذلك يمكن وصف عملية التنشئة الاجتماعية ، بأنها العملية التي تتشكل فيها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه لكي تتوافق مع تلك التي يعتبرها المجتمع سلوكات مرغوبة ومستحسنة للدور الراهن ، الحاضر أو المستقبلي في المجتمع .

فهي كعملية مستمرة ، لا تقتصر على مرحلة محددة من عمر الإنسان ، وإنما تمتد من الطفولة ، فالمراهقة ، فالرشد وصولاً إلى الشيخوخة ، ولهذا فهي عملية حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة ، لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها ، ولا يكاد يخلوا أي نظام اجتماعي كبير كان أم صغير ، وأي مؤسسة رسمية أو غير رسمية من هذه العملية ، ولكنها تختلف من واحدة إلى أخرى بأسلوبها لا بأهدافها .

كما أنها أساسية ، لأنها لا تنتهي بانتهاء مرحلة الطفولة فحسب ، بل مستمرة إلى غاية الشيخوخة . وتشمل كافة الأساليب التي تعمل أو لا تعمل على بناء شخصية الفرد ، أي بمعنى تأهيل « أجيال المجتمع للحياة الاجتماعية التي تقرها ظروف المجتمع وأوضاعه ، فتنمية شخصية الفرد منذ ولادته اجتماعياً وثقافياً ، واستمرار هذه التنمية وتجددها ، إنما تسعى إلى إيقاظ قدراته الفيزيقية والعقلية والأخلاقية إيقاظاً دائماً التي يريدها المجتمع وتقتضيها الظروف الاجتماعية للبيئة التي يعيش فيها »[1]. وتظهر أهميتها في الفرد من خلال اتجاهاته الاجتماعية ، أفعاله وأقواله في التعبير ، وحتى في تعامله اليومي مع غيره من الناس ، ومع نواتج ثقافته .

ج ـ التعريف الإجرائي :

ويبقى الهدف الرئيس لأي مؤسسة اجتماعية أو دينية ، هو ضمان تنشئة اجتماعية ودينية فعالة للأفراد المشاركين فيها ، وكذلك بالنسبة للمساجد الجزائرية ، حيث تسعى إلى تلقين الوافدين عليها من مختلف المستويات ، ومن مختلف الأعمار ، الخطاب الضروري الذي يجعلهم يتفاعلون بطرق إيجابية مع المجتمع ، وهو الهدف الأسمى والأساسي للتنشئة الاجتماعية والدينية التي تهتم ــ كما ذكرنا ــ بالفرد من المنشأ إلى أرذل العمر ، حتى يقوم بدوره المخول له في المجتمع .

ويستعين في ذلك بما يتلقاه من مواعظ وخطب ودروس ، خاصة خطبة الجمعة ، ودروس ونشاطات مناسباتية وغيرها من النشاطات الدينية التي يعرفها المسجد ، المنظمة من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، أو من طرف لجنة المسجد أو الإمام . وتكون وسيلة المساجد أو الخطيب في هذه المساجد ، الخطاب الديني بمختلف مكوناته ، أنواعه ومقاصده وأهدافه التي وضحها الدين الإسلامي ، وبالتالي العمل من أجل الحفاظ على التراث الديني والمساهمة في التوعية الاجتماعية لأفراد المجتمع ، وهو المقصود بالتنشئة الاجتماعية والدينية في هذه الدراسة .

---

[1] محمد بومخلوف وآخرون : **واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري (القطيعة المستحيلة)** ، ط 01 ، مخبر الوقاية والأرغنوميا ، جامعة الجزائر ، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام ، الحراش ، الجزائر ، 2008 ، ص : 27 .

5 ـ الثقافة :

أ ـ التعريف اللغوي :

يقول دينيس كوش :« للكلمات تاريخ ، وهي أيضاً ، إلى حد ما ، تصنع التاريخ . وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة لكل الألفاظ فهو قابل للإثبات ، بصفة خاصة ، في حالة مصطلح (ثقافة) »[1]. فكثير من المفاهيم في الخطاب الحديث والمعاصر . عربياً أو إسلامياً . لا تعكس الواقع العربي والإسلامي الراهن ولا تعبر عنه ، « بل هي مستعارة في الأغلب الأعم ، إما من الفكر الأوروبي ، حيث تدل هناك في أوروبا على واقع تحقق أو في طريق التحقق ، وإما من الفكر العربي الإسلامي الوسيطي ، حيث كان لها مضمون واقعي خاص ويُعتقد أنها كانت كذلك بالفعل ، وفي كلتا الحالتين فهي توظيف من أجل التعبير عن واقع مأمول غير محدد ، واقع معتم متفسخ إما من هذه الصورة أو تلك من الصور النموذجية القائمة في الوعي ــ الذاكرة العربية . ومن هنا انقطاع العلاقة بين الفكر وموضوعه ، الشيء الذي يجعل الخطاب المعبّر عنه خطاب تضمين وليس خطاب مضمون »[2].

أما في القاموس المحيط :« ثُقُف وثِقِفَ وثقافة من صار حاذقاً خفيفاً فطناً ... وثقَّفه تثقيفاً سواه وثاقفه فثقِفه كنصره فغلبه في الحِذق وامرأة ثقاف كسحابة فطنة ، وثقاف ما تسوِي من الرماح ، تقول السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، واصفة أباها : وأقام أودَه بثقافة أي سوى نفسه وشذَّبها من الأخطاء »[3].

ب ـ التعريف الاصطلاحي :

بينما المفهوم العصري أو الحديث للثقافة فله أكثر من تعريف ، على الرغم من تقارب المعاني التي تناولها المثقفون والأكاديميون في تعريفها ، « حيث تصبح في النهاية مجموع التراث الإنساني الذي أنتجه العقل في مجتمع له تاريخ واحد ولغة واحدة وروابط مشتركة ونضال مشترك ، وظروف حياتية مشتركة »[4]، فالثقافة « في المخزون الحي في الذاكرة كمركب كلي ، ونمو تراكمي مكوّن من محصلة العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات والفنون والآداب والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد والمدركات الذهنية والحسية والموروثات التاريخية واللغوية والبيئية التي تصوغ الفكر الإنساني ، وتمنحه الصفات الخلقية والقيّم الاجتماعية التي تصوغ سلوكه العملي في الحياة »[5].

فالثقافة لا تقتصر في دلالتها عل المعارف والمعلومات والأنشطة الأدبية والفنية والعلمية والعقلية والروحية والعقائدية والقيّمية الأخلاقية ، وحتى الدينية ، وإنما تمتد وتتسع وتتشعب لمختلف الممارسات والتجليات العلمية والسلوكية والحياتية ، سواء كانت بشكل فردي أو جماعي ، فضلاً عن أشكال الحكم وأنماط الإنتاج ومضامين المواقف والممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها ... أي ربط الجانب المعنوي المعرفي بالجانب المادي

---

[1] دينيس كوش : **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،** ط 01 ، ترجمة : منير السعيداني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، مارس 2007 ، ص : 15 .

[2] تركي الحمد : **الثقافة العربية أمام تحديات التغيير ،** ط 01 ، بحوث اجتماعية IV ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص : 23 .

[3] محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: **القاموس المحيط ،** ضبط وتوثيق : يوسف الشيخ البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ص : 362 .

[4] عمر شلبي : **الثقافة العربية ، الأصالة ، التحدي ، الاستجابة ،** دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ص : 18 .

[5] نفس المرجع ، ص : 18 .

العملي للحياة الإنسانية ثقافياً . فالثقافة فعل إنساني يتراكم عبر مسيرة الأفراد والمجموعات في رحلة التاريخ الطويلة ، وهكذا تكون الثقافة نشاطاً مكتسباً ومتراكماً ، وأحياناً ينسج البعض الآخر بحكم التطور الحياتي في المجالات المختلفة . إذن الثقافة ليست موجوداً غرائزياً في النفس البشرية .

يقول الأستاذ مالك بن نبي :« لكن تعدد وجوه الثقافة لا يساعدنا في تعريفها على أنها (شيء) ، بل على أنها علاقة متبادلة ، هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع ، كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد . فلكي نعرف الثقافة نجد أنفسنا مضطرين إلى أن ننظر إلى المشكلة في اتجاهين ، بل في ثلاثة اتجاهات ، حتى يتسنى لنا أن نضم عناصرها النفسية وعناصرها الاجتماعية ، ثم نقر بالعلاقة الضرورية بين هذه العناصر جميعاً ، وأخيراً لكي نصوغ هذه العلاقة صياغة تربوية وافية ، تجعل التعريف قابلاً للتنفيذ كأنه (صورة) من صور الرسم الصناعي »[1].

فجميع هذه التعاريف تشترك في نقطة واحدة ؛ وهي : تحويل الثقافة إلى مجموعة من المعارف ، والاعتقادات ، والقيّم ، والأخلاق ، والعادات ، التي يكتسبها الفرد من جراء انتمائه إلى مجتمع من المجتمعات . ويمكن إرجاع كل هذه التعاريف إلى تعريف إدوارد تايلور الذي نشر عام (1871) ، والذي يعتبر أهم كتاب في هذا الموضوع .

ج ـ الثقافة في علم الاجتماع :

يقول مالك بن نبي :« وإذا بفكرة (الثقافة) تزداد جلاء في هذا المجال المضيء ، وتصبح مفهوماً أكثر تحديداً بحيث أصبحت إحدى مشكلات علم الاجتماع ، وآن الأوان ليثور في أذهان المفكرين سؤال هو : ما هي الثقافة ؟ . وهو سؤال اضطرتهم إليه الأفكار الجديدة التي حملها إليهم ، علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأجناس ، وهو يدل على الحاجة إلى خطوة جديدة في طريق تحديد معنى الكلمة ، للانتقال من الفكرة العفوية الموروثة عن عصر النهضة الأوروبية إلى فكرة علمية جديدة »[2].

إذ يتناول علماء الاجتماع الثقافة في دراساتهم لطبيعة المجتمع الإنساني من جوانب عديدة ، حيث تعتبر كونها عنصراً مهماً من عناصر التراث الاجتماعي ، فيعود إليها الفضل فيما وصل إليه أفراد المجتمع من تطور اجتماعي وحضاري ، حيث تعمل على إكساب أفراد الجماعة صفات وسمات وخواص مميزة ، تنعكس في فكر وسلوك وأعمال الجماعة . وكذلك تعتبر من أبرز العوامل فيما يحدث أو يطرأ من تغيرات في المجتمع الإنساني ، حيث يرى الكثير من علماء الاجتماع أنه إذا كانت التغيرات الحادثة في المجتمع جراء التغيرات البيولوجية ، الطبيعية أو حتى الديموغرافية ، فإن تأثير العامل الثقافي يفوق كل العوامل الأخرى في التغير الاجتماعي .

فالثقافة عند علماء الاجتماع هي : مختلف مظاهر العلوم والفنون والآداب والفلسفة وغيرها التي يتلقاها الفرد عن الجماعة أو المجتمع ، وهي : كذلك مختلف النماذج أو القوالب التي يصب فيها الأفراد سلوكهم وتصرفاتهم ، وبالتالي سهر المجتمع على خلق الطرق وإيجاد السبل التي يسد بها المجتمع حاجاته الأساسية في تنظيم العلاقات الاجتماعية . ومن

---

[1] مالك بن نبي : **مشكلة الثقافة** ، ط 04 ، مشكلات الحضارة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، سورية 1984 ، ص : 43 .

[2] نفس المرجع ، ص . ص : 27 – 28 .

هنا يتضح أن الثقافة في التفسير السوسيولوجي ، « هي كل ما يتصل بمقومات الفرد والمجتمع ، والنواحي الاعتقادية ، والفكرية ، والسلوكية ، والاجتماعية »[1].

د ـ علاقة الثقافة بالدين :

يرى الباحثون الغربيون في علم الاجتماع عند دراسة علاقة الدين بالثقافة ، أن الثقافة هي تجسيد للدين في الواقع الاجتماعي ، ويرون كذلك بوجود تنوع في العلاقة بينهما ، وذلك من منطلق وجهة نظرهم للدين ، حيث في الغالب ما ينظرون للدين على أنه قضية ميتافيزيقية تخص الفلسفة ، وهو ظاهرة اجتماعية تعالج بنفس الطريقة التي يعالج داخل المجتمع ومؤسساته .

وهي نظرة بالطبع مبنية على الدراسات التي أقيمت حول الدين السائد في مختلف المجتمعات ، سواء كانت ديانات توحيدية أو سماوية أو ديانات وضعية مختلفة ، وهي تعاكس ، بل وتناقض النظرة الأرثوذوكسية أو السلفية للدين الإسلامي والتي ترى بجهل الدارسين الغربيين لحقيقة الدين ، ذلك الدين الحق ، الذي يسموا بالإنسان عن هذه التصورات الفارغة ، التي جاءت بها العقائد الوثنية ، والتي سارت على نحوها ديانة الغرب في مرحلة ظلامهم ، أو جاهليتهم ، وكذلك سار عليها الفرس واليونان والهنود ، والتصورات الخرافية التي تحولت إليها ــ نتيجة التغيير والتزوير ــ اليهودية والنصرانية . فالدين هو لُبّ الثقافة الإسلامية التي لها جملة من الخصائص تميزها عن غيرها من الثقافات التي تعرفها المجتمعات الأخرى .

و ـ التعريف الإجرائي :

ونقصد بالثقافة في هذه الدراسة ، الثقافة بمدلولها الشائع والمتعارف عليه ، والتي تعني بكل وضوح شخصية الأمة التي تتبنى مختلف خصائص الثقافة الإسلامية ، ويحملها الخطاب الديني ، ويحاول العمل على ترسيخها في الأجيال المتوالية والمتوارثة لها ، فرسالة الإسلام ــ في أصولها وفروعها ــ بناء متكامل يتلاءم كل التلاؤم مع فطرة الإنسان ، واستعداده للخير . كما أنه لدى المسلمين اليوم الرصيد الضخم الذي يجب أن يتحول إلى تفاعل منتج بين العقيدة والسلوك والعمل ويصاغ ــ في الإطار النفسي والفكري والخُلقي ــ التزاماً كاملاً واحتكاماً تاماً إلى مقاييس الإسلام . وهو المنهج ــ كما يصفه الإسلام الأرثوذكسي ، على حد تعبير محمد أركون ــ الذي يستطيع به المسلمون أن يواجهوا الحضارة المعادية والثقافات المسمومة والمفاهيم الدخيلة التي تعاكس المنهج الرباني ، وكذلك مواجهة ما جاءت به الحملات الاستعمارية من مناهج ملتوية في الفكر ، والأخلاق والاجتماع .

6 ـ الحقل الاجتماعي والديني :

أ ـ التعريف الاصطلاحي :

الحقل مفهوم استعاره كورت لوين (Kurt LEWIN) من ميدان الكهرومغناطيسي للدلالة على مستقطب ، أين تحدث تفاعلات بين أشخاص ينتمون إلى نفس المحيط ، لكن يحملون توجهات ومواقف مختلفة[2]. ولا يجب أن

---

[1] عمر عودة الخطيب : **لمحات في الثقافة الإسلامية** ، ط 03 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، ص : 32 .

[2] Kurt LEWIN et Pierre KAUFMAN : **Une Théorie du Champs dans les Sciences de l'homme,** Libraire Philosophique J.VARIN, France, 1968, P: 25.

نفهم (الحقل) ، على أنه نطاق محدود بسياج حوله ، أو بالمعنى الأجنبي للحقل (Domaine) ، أي المجال . ويستعمل (بيار بورديو) ، الحقل الاجتماعي لدراسة أوضاع ثقافية واجتماعية مختلفة ، تنتمي إلى نفس العالم ، فهو يدرس الحقل الديني ، أو بالمعنى الشامل الحقل المعرفي . إذ يقول :« أسمي حقلاً كل فضاء للعب ، حقل من العلاقات الموضوعية بين الأفراد أو المؤسسات المتنافسة على رهان معين »[1].

أما عن خصائص الحقل ، فإنه يظهر على هيئة فضاء بنيوي من المكانات ، وتتحدد مميزات المنتجين من خلال المكان الذي يحتلونه ووضعيتهم في علاقات الإنتاج ، وكذلك من خلال فضاء من العلاقات الموضوعية ، وهناك قوانين عامة تتحكم في هذا الحقل على اختلاف أنواعه ، وتعتبر هذه القوانين بقوانين عمل ثابتة . فالحقل هو مجال أو نطاق الحياة الاجتماعية التي أصبحت مستقلة عبر التاريخ .

والحقل الاجتماعي وحتى الديني في هذا السياق « ليس ببنية قارة ، بل هو بالأحرى لعبة من التوازنات غير المستقرة بين قوى مختلفة ، يحصل أحياناً أن تهتز هذه اللعبة لتتخذ شكلاً جديداً ، كما أن الحقل ليس متجانساً : ثمة دائماً مهيمنون ومهيمن عليهم (Dominants et Dominés) وتموقعات مركزية ، وأخرى هامشية تقع على الأطراف (Centraux et Périphériques) »[2].

ب ـ التعريف الإجرائي :

ونقصد في دراستنا هذه ، بالحقل الديني والاجتماعي ، ذلك الفضاء الاجتماعي الذي يضم أنساقاً مختلفة تتصارع من أجل البقاء والاستمرارية ، أو فضاءات تقدم إنتاجاً فكرياً وخاصة إنتاجاً دينياً نسميه الخطاب الديني الذي تحتضنه مؤسسات رسمية ، تابعة إدارياً وسياسياً وحتى دينياً للمؤسسة الرسمية ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .

فالمسجد كمؤسسة الدينية ، هي الفضاء الذي ينشط فيه الفاعلون الاجتماعيون (الأئمة أو الخطباء بمختلف رتبهم الوظيفية ، المرشدات الدينيات وكذلك رؤساء اللجان الدينية المسيرة للمسجد ــ إن وجدت ــ) ، همّها السهر على تقديم خطاب ديني معاصر يحقق تطلعات مختلف الجهات ، سواء المتلقي (الهدف الحقيقي من الخطاب) ، أي المرتاد على المسجد في أوقات معينة ، كأوقات الصلاة أو صلاة الجمعة والمناسبات ، ويحافظ على أسس الخطاب الديني الرسمي في ظل مختلف التحديات التي أفرزتها مختلف التغيرات التي عرفتها الساحة الوطنية الجزائرية في مرحلة معينة .

7 ـ الديـن :

أ ـ الدين في اللغـة :

مفهوم كلمة (الدِّين) في اللغة له معاني كثيرة مختلفة ، تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معانٍ تكاد تكون متلازمة ، بل نجد أن التفاوت بين هذه المعاني الثلاثة يرجع إلى الكلمة التي يُراد شرحها ، فهي ليست كلمة واحدة ، بل ثلاث كلمات ، فهي تعني (دانه يدينه) ، أو (دان له) ، أو (دان به) ، فهي بهذا الشكل : (دانه دينًا) ، أي أنه مَلَكَه وحَكَمَهُ ، ساسَهُ ودبره ، قهره وحاسبه ، قضى في شأنه وجازاه وكافأه . فالدِّين هنا بمعنى المُلْك والتصرف بما هو من شأن

---

[1] Pierre BOURDIEU : **Questions de Sociologie,** Les Editions Minuit, France, 1980, P: 197.

[2] دومينيك مانغونو : **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب** ، ط 01 ، ترجمة : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2008 ، ص : 15 .

الملوك والأمراء والرؤساء ؛ من السياسة والتدبير ، والحكم والقهر ، والمحاسبة والمجازاة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[1]، أي يوم المحاسبة والجزاء[2].

و(الديَّان) الحَكَم القاضي . (دان له) ، أطاعه ، وخضع له . فالدِّين هنا : هو الخضوع والطاعة ، والعبادة والورع . وكلمة الدِّين لله يصح منها كلا المعنيين : الحُكم لله ، أو الخضوع لله . فالمعنى الثاني ملازم للأول (دانه فدان له) أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع . أما (دان بالشيء)، أي اتخذه ديناً ومذهباً ، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلَّق به . فالدِّين هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً . فالمذهب العملي لكل امرئ هو عادته وسيرته ، ويقال : (هذا دِيني ودَيْدَني) . والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه . ومن ذلك القول : (ديَّنْت الرجل) أي وَكَلْتُه إلى دينه[3].

فكلمة (الدِّين) « عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظِّم أحدهما الآخر ويخضع له . فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً ، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً ، وحُكماً وإلزاماً . وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذي يعبر عنها . ونستطيع أن نقول : المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد ، ففي الاستعمال الأول ، الدِّين هو : إلزام الانقياد ، وفي الاستعمال الثاني ، هو : التزام الانقياد ، وفي الاستعمال الثالث ، هو المبدأ الذي يُلتزم الانقياد له »[4].

أما الإسلام فهو « الاسم الذي عرف به الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، ولم تكن هذه التسمية عن اجتهاد من الرسول محمد ﷺ ، وإنما كانت من الله تعالى : ﴿ **وَرَضِيْتُ لَكُمْ الإِسْلاَمَ دَيْنّاً** ﴾[5]»[6]، والإسلام من مادة (سلم) في اللغة حيث « تأتي بهذه المعاني : أولاً : معنى الخلوص والتعري من الآفات الظاهرة أو الباطنة . ثانياً : معنى الصلح والأمان . ثالثاً : معنى الطاعة والإذعان »[7].

ب ـ الدين في علم الاجتماع :

يقول الأستاذ خليل أحمد خليل :« الدين ظاهرة مميزة لكل المجتمعات البشرية الماضية ، الحاضرة والمقبلة . وهذا ما أجمع عليه كبار المنظرين للظاهرة الدينية في مطلع القرن العشرين (دور كايم ، مالينوفسكي ، فيبر) »[8]، فيرى أن الإسهام الجديد لعلم الاجتماع في تناوله للدين « كواقعة (ظاهرة) اجتماعية ــ وبالتالي ظاهرة إنسانية ــ تتحدى كل أنواع الحصر والخفض ، على الرغم من تقبُلها كيفيات متباينة في المكان وفي الزمان . فالتجربة الدينية تتجسد في نسيج الفعل الاجتماعي ، الذي تُسهم في إعطائه معنى ما ، على الرغم من كونها تتخطاها أحياناً لدرجة إنكاره ، وإنكار كل

---

(1) سورة الفاتحة ، الآية رقم : 04 .

(2) محمد عبد الله دراز : **الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، 1969 ، ص . ص : 30 – 31 .

(3) نفس المرجع ، ص : 31 .

(4) نفس المرجع ، ص : 31 .

(5) سورة المائدة ، الآية رقم : 03 .

(6) عفيف عبد الفتاح طبارَه : **روح الدين الإسلامي ، عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة** ، ط 28 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص : 13 .

(7) نفس المرجع ، ص : 13 .

(8) خليل أحمد خليل : **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع** ، ط 01، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص : 107 .

صلاحيته وصوابيته . كما هو الحال مثلاً في بعض أشكال التزهد المتطرف »[1]. بينما يرى المسلمون أن الدين هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل ، أي هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات . وينطلقون من : ﴿ **إنَّ الدين عند الله الإسلام** ﴾[2]، أي كل ما أوحى به الله من عهد نوح عليه السلام إلى عهد النبي محمد ﷺ .

وقد ورد في القرآن الكريم « بمعنى الخضوع والانقياد لله : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم وأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾[3]، ولفظ أسلم أطلقه القرآن بهذا المعنى أحياناً على المؤمنين والكافرين جميعاً ، لأنهم خاضعون لله ومنقادون له بحكم خلقتهم رضوا أم كرهوا ، تسري عليهم قوانين العالم . قال تعالى : ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينّ اللهِ يَبْغُونْ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَمَاوَات وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونْ** ﴾[4]. فمعنى أسلم هنا ، خضع لأمر الله وأطاع لما وضع في العالم من قوانين ، ثم قُصرت في الاستعمال على من أسلم وجهه لله طوعاً ، فكأن (المسلم) هو الذي رضي بإطاعة الله فاجتمعت فيه الطاعة الطبيعية والطاعة بالإرادة . والإسلام استسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والإخلاص ، فالله تعالى جعل الإسلام :« من رأفته بخلقه وتفضله على عباده أن أقدرهم على ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا مع ما قد أعدَّه لهم ناهضين بفعل الطاعات ومجانبة المعاصي ، قال تعالى : ﴿ **لا يُكَلِفُ الله نَفْساً إلاَ وُسْعَهَا** ﴾[5]، وقال : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فَي الدِيْنِ مِنْ حَرَجْ** ﴾[6]»[7].

يقول عبد الله الخريجي :« كل مجتمع نعرفه يطور أنماطاً معينة من السلوك ليواجه بها بشكل أو بآخر تلك الأمور غير المتوقعة وليعمل من خلالها على إحكام السيطرة على علاقات الإنسان بالكون الذي يعيش فيه . ويطلق الأنثروبولوجيون على هذا الجانب من الثقافة مصطلح (الدين) . ولأنه لا يوجد شعب حقق نجاحاً أو يقيناً كاملاً في مجال العلاقات الشخصية أو التكنولوجيا ، فإن الدين يصبح حتماً جزء من كل ثقافة . والمؤكد أن أشكال السلوك الديني تختلف اختلافاً كبيراً من مجتمع إلى مجتمع آخر ، فهناك فروق لا تحصى فيما يتعلق بالمعتقدات والشعائر والجوانب الأخرى من الممارسة الدينية »[8].

د ـ الدين والأخلاق :

يظهر بما لا يدع مجالاً للشك ، في مختلف المجتمعات ، وكل أفراد هذه المجتمعات حين ممارسة مختلف الشعائر والطقوس الدينية أثر الدين على الأخلاق ، حيث تستمد الحياة الخلقية قوتها من الدين ، فلولا وجود الدين ما وجدت

---

[1] خليل أحمد خليل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 107 .

[2] سورة آل عمران ، الآية رقم : 19 .

[3] سورة الزمر ، الآية رقم : 54 .

[4] سورة آل عمران ، الآية رقم : 83 .

[5] سورة البقرة ، من الآية رقم : 286 .

[6] سورة الحج ، من الآية رقم : 78 .

[7] أبي الحسن الماوردي : **أدب الدنيا والدين ،** ط 04 ، شرح وتعليق : محمد كريم راجح ، دار إقرأ ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص : 99 .

[8] عبد الله الخريجي : **علم الاجتماع الديني ،** ط 02 ، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي ، الكتاب السابع ، رامتان ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1990 ، ص . ص : 390 – 391 .

الأخلاق ، ذلك أننا نعلم « أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن الكذب والخيانة والجنايات الخلقية تجر على صاحبها الوبال ، وأنها أخلاق ذميمة ... إن ذلك يحتاج إلى وجدان خُلقي أو إيمان ديني »[1].

ويذكر الأستاذ شلحت ، أن المدرسة الاجتماعية الفرنسية « عندهم الحياة الخلقية هي الحياة الدينية ... أليست الأخلاق مجموعة متماسكة من القوانين العملية غايتها توطيد أواصر الحياة الاجتماعية بين الأفراد ؟ ومن البديهي أن الديانة لها نفس الهدف ، فهي تضم إليها الأفراد ، وتجعلهم وحدة متماسكة غايتها الذّود عن التراث الذي ورثته عن الجماعة . هذا والأخلاق والديانة تمتازان بنفس الصفات : فهما يفرقان الأمور إلى خير وشر ، حرام وحلال ، ويصدران أوامر لا يرى الفرد مندوحة عن تنفيذها ، تحت طائلة العقاب والحرمان »[2].

ثم يتابع الدكتور بقوله :« وقدر فرازر وأظهر أن الاعتقادات الدينية في الأخلاق وأتى بالنتائج التالية :

- إن الاعتقادات الدينية ساعدت على احترام السلطة المدنية ، ولا سيما الملكية ، وثبتت قواعدها .
- إن الاعتقادات الدينية سعت لتوطيد دعائم الملكية الفردية ، وأمنت للأفراد أثمار أتعابهم .
- إن الاعتقادات الدينية قوّت في النفوس احترام الزواج ، وحملت الأفراد على التقيّد بقوانين الأخلاق الجنسية قبل الزواج وبعده .
- إن الاعتقادات الدينية عملت على حفظ حياة الفرد وسلامته ، ومهدّت للأفراد سبل حياة قريرة »[3].

هـ ـ التعريف الإجرائي :

ففي إدراج مفهوم الدين في هذه الدراسة ، لم يكن بمجرد تعريف الدين باعتباره جانب مهم في الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع ، لكن لمحاولة إبراز خصوصية الدور الذي يلعبه في تركيبة الخطاب الديني ، والعوامل الدينية التي تؤثر فيه ، خاصة وأننا في ظلال مؤسسة دينية مهمة ، هي بيوت الله أو المساجد ، كون الدين يتجلى في عدة أشكال ، والتعبير عنه غالباً ما يكون بمجموعة من الممارسات والسلوكات والعبادات والطقوس ، التي تأخذ تسميات عديدة كالفعل الديني ، الظاهرة الدينية أو السلوك الديني . فكل هذه التعابير يحتويها الخطاب الديني ، ويحتويها المسجد كفضاء للتجربة والممارسة الدينية .

8 ـ الضبط الاجتماعي :

أ ـ التعريف الاصطلاحي :

يشير الضبط الاجتماعي إلى العمليات والإجراءات المقصودة وغير المقصودة التي يتخذها المجتمع أو جزء منه ، لمراقبة سلوك الأفراد فيه ، والسهر على أنهم يتصرفون وفق المعايير والقيّم والنُظم التي رسمت لهم ، حيث يرتبط الضبط

---

[1] علي الحسني الندوي : **بين الدين والمدينة ،** ط 02 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص : 14 .

[2] يوسف شلحت : **نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (الطوطمية ، اليهودية ، النصرانية ، الإسلام) ،** ط 01 ، تحقيق وتقديم : خليل أحمد خليل ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ANEP ، الجزائر ، 2003 ، ص : 197 .

[3] نفس المرجع ، ص : 197 .

الاجتماعي في المجتمع الحديث بالرأي العام ، الحكومة ، أو ما يسمى القانون ، بينما تسهم في المجتمعات التقليدية الأنماط الاجتماعية كالعادات والتقاليد والأعراف بدور كبير في الضبط الاجتماعي [1].

فقد ذهب كل من أوجبرن ونيمكوف (Ogburn et Nimkoff) إلى أن الدارسين والباحثين في علم الاجتماع يستخدمون الضبط الاجتماعي بطريقة عامة جداً في وصف كل الوسائل التي تستخدمها الجماعة ، أو المجتمع في تحقيق النظام الاجتماعي ، ويترتب عن هذا الاستخدام أن العادات الشعبية وتقسيم العمل مثلاً ، يمكن تصنيفهما من وسائل الضبط الاجتماعي ماداما يساعدان على استمرار الجماعة وتكاملها ، فالضبط في نظرهما « هو العمليات والوسائل التي تستخدمهما الجماعة في تضييق نطاق الانحرافات عن المعايير الاجتماعية »[2].

فكل عُرف اجتماعي ، وكل مظهر من مظاهر السلوك العام في المجتمع ، هو إلى درجة ما وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي ، بل إن أبسط قواعد السلوك ، أو أبسط مظاهر التقاليد والأعراف هي من أدوات الضبط الاجتماعي . والدين الإسلامي ، وبالتالي الخطاب الديني الإسلامي به « كل القيّم الاجتماعية التي تكفل سلوكاً قويماً لكل ألوان الشعوب والمجتمعات ، وفي كل وقت من الأوقات ، والإسلام إلى جانب ذلك مصدر التشريع ، فهو قانون سماوي أحصى كل صغيرة وكبيرة بمنتهى الموضوعية والعدالة الإلهية »[3]. كما « يعتبر الدين من أقوى وسائل الضبط في المجتمعات وهو من الوسائل الرسمية ذات التأثير العميق والمحدد للسلوك في تلك المجتمعات التي تطبق شرائع دينها تطبيقاً دستورياً »[4]، وهو ما ينعكس على سلوكات الأفراد في المجتمع وفي المهام الموكلة إليهم ، مثل الخطباء وأئمة المساجد وحتى القائمين عليه من الموظفين ، أو المتطوعين في تسيير شؤون اللجان المسيرة للمساجد (رؤساء اللجان أو حتى الأعضاء والواردين من مصلين ومساهمين بشكل أو بآخر) .

ب ـ التعريف الإجرائي :

ونقصد بالضبط الاجتماعي في دراستنا ، مجموعة الإجراءات والعمليات التي يحددها الخطاب الديني من خلال العناصر المكونة له ، ومن خلال عمل الإطارات الدينية داخل المساجد بهدف إعلاء وإتباع قواعد الانضباط واحترام المعايير من طرف أفراد المجتمع ، أو السهر على تحديد معالم الخطاب الذي يحافظ على الوحدة الدينية والمذهبية ، ووحدة الخطاب الذي يخضع لنفس المنبع المتمثل في المذهب المالكي ، حيث تخضع الإطارات الدينية إلى عملية مراقبة مستمرة من أجل الحفاظ على الوسطية والاعتدال حتى لا يستعمل المسجد كمؤسسة دينية تخدم مصالح غير المصلحة العامة ، فالضبط الاجتماعي أو بمعنى أوسع الضبط الديني ، يتجلى في الإصرار على تلقين الدروس الدينية الواجب العمل بها في الميدان أو الحقل الديني دون الرضوخ إلى التحولات التي يعيشها العالم الإسلامي ، هذه التحولات التي تحاول تحت مسميات مختلفة كالتطوير والتجديد لدخول المسجد لتحويله على أسس ومبادئ رسخت مع مراحل البناء التي عرفها المجتمع الجزائري قبل وبعد الاستقلال .

---

[1] أحمد زكي بدوي : **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية** ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص : 635 .

[2] عادل غيث : **المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1984 ، ص : 56 .

[3] أحمد رأفت عبد الجواد : **مبادئ علم الاجتماع** ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، مصر ، 1984 ، ص : 109 .

[4] نفس المرجع ، ص : 110 .

9 ـ المقدس :

أ ـ التعريف اللغوي :

جاء في لسان العرب :« التقديس تنزيه الله عز وجل ، وهو الطهارة ، والتقديس : التطهير والتبريك ، وتَقَدَّس أي تطهر ، وفي التنزيل : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[1]، أي نطهر أنفسنا لك ، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه أي نطهره ... ومن هذا بيت المقدس ، البيت المطهر ، أي المكان الذي يتطهر به من الذنوب »[2]. وكذلك جاءت « سبِّحوا الله وقدسوه ، وهو القدوس المقدس المتقدس ربُّ القدس . وقدَّس الرجل : أتى بيت المقدس .. وأنزلك الله حظيرة القدس ، وهي الجنَّة . والروح القدس : هو جبريل عليه السلام »[3].

ب ـ التعريف الاصطلاحي :

تحديد مفهوم المقدس ليس بالشيء السهل ، لأن تحديده يكتنفه الكثير من الصعوبة والتعقيد ، فلا شيء أغمض من المقدس ، ففي الكثير من المرات ما استعملت الكلمة لدى كاتب واحد وفي سياق واحد ، بمعنيين وحتى بعدّة معانٍ مختلفة . فالمقدس حسب العبارة تدل على التقديس ، كما تدل على المقدس الديني ، وتارة على المشوب أو المدنس أو السحري ، وتارة أخرى على المحرم ، ولا ريب أن المقدس من زاوية عامة ، هو كل ما سبق في آن واحد . فهو حسب شُلحُد تلك « القوة الخفية واللا شخصية ، الخيّرة والرهيبة ، التي يعتقد أنها وراء كل سلطان ، كل سعادة ، كما يُعتقد أنها وراء كل شقاء . وهو فوق ذلك موقف ، موقف تكون فيه الكائنات والأشياء مستبعدة من العالم الدُنيوي المدنس »[4]. لأن المقدس « يميل للأخلاق والقيم العليا ، ويحقق المرجعية على قاعدة من المثال والكمال »[5].

فالمقدس هو :« قيمة ومعنى ، حاز اتفاق الأمة أو إجماعها ، وبالتالي ، فالقداسة تنتج من الإيمان بالقيمة ، حتى بالنسبة للدين ، فالدين مقدس لأنه من عند الله ، ولكن قداسة الدين تكتسب فاعليتها في الأمة نظراً لإيمان الأمة بالدين . فالمعنى المطلق للقداسة ، يتحقق في الرسالة الدينية ، ولكن مقدسات هذه الرسالة تصبح من مقدسات الأمة ، من خلال إيمان الأمة بها »[6].

فهي (الأمة) التي تعتبر مصدر الاعتراف والإيمان والتمسك بالمقدس ، الذي يعتبر القيمة المختارة التي لها سيادة خاصة ، وتصبح تعبر عن مرجعية غير مفروضة بأي نوع من القهر ، لأنه يفترض في كل دعوة لأي مقدس أن تكون دعوة اختيارية ، حيث يكون للأمة الاختيار في إيمانها ، والإعلان عن مقدساتها ، لأن أي قهر أو قسر ، يستخدم لفرض المقدس على الأمة ، يفقد بذلك المقدس معناه .

---

[1] سورة البقرة ، من الآية رقم : 30 .

[2] العلامة ابن المنظور: **مرجع سبق ذكره ،** ج 07 ، باب القاف ، ص : 267 .

[3] أبي القاسم محمود الزمخشري : **أساس البلاغة ،** ط 01 ، القدس عاصمة الثقافة العربية 2009 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص . ص : 463 – 364 .

[4] يوسف شُلحُد : **بُنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده ،** ط 01 ، تعريب : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 23 .

[5] رفيق حبيب : **المقدس والحرية ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ص : 10 .

[6] نفس المرجع ، ص : 132 .

د ـ المقدس والحرام :

فالحرام يكون ملازماً للكائنات والأغراض المقدسة والذي يستدعي استبعاد المدنس نهائياً من مجال المقدس ، أو حرام مصدره التحريم الأول له مصدره يمتلك الطابع المؤقت تُحظر فيه الأشياء بسبب جوهرها ، أو بسبب نتيجة الطقوس التي يمارسها المقدس ، أي أنه إذا كان كل مقدس هو حرام ، فليس كل ما هو حرام مقدس . مما يعني أن الحرام أعَمُّ من المقدس وأقل عمقاً منه يأخذ صفة الإلزام من جهة ، وصفة المرفوض من جهة أخرى .

وفي القرآن الكريم تم ذكر الكثير من الحالات التي يظهر فيه الحديث عن الحرام من مصدره (حرم) ، والذي يعني التقديس ، حيث يكون هذا التقديس لمكان بعينه ، أو توقيت محدد يحمل نوع من القداسة كقوله : ﴿ **جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[1] . أو التحريم لما يحمل من رجس ، كقوله : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2]، إذ يترتب عن هذا الرجس المحرمات ، حيث يرتدي التحريم طابعاً دينياً يعني الرجال والنساء معاً ، وقد يعني النساء فقط ، مثل قوله : ﴿ **وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾[3] .

هـ ـ المكان والزمن المقدسين :

في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل على المكان والزمن المقدس ، فقد كرَّم الله مكة ، وجعلها مكان مقدس بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[4]، بل وجعلها مكاناً آمناً في قوله : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾[5] . وجعلها البيت الحرام : ﴿ **جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[6] . والمسجد ، مهما كان هذا المسجد ، وأينما وجد له نوع من القداسة التي يفرضها على المقبلين عليه لأداء الصلوات ، والقداسة هذه ، هي التي تسمح للخطيب بتقديم رسالة أو خطاب يحاول من خلاله توجيه المسلمين إلى تحقيق الكثير من الأهداف التي يعطيها الإمام صبغة من القداسة ، في هذا المكان الذي فضله الله على الكثير من الأماكن تفضيلاً كبيراً .

أما الزمن المقدس ، فقد عبر عنه الله تعالى بالزمن الحرام في الكثير من المواقع ، مثل قوله : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ**

---

[1] سورة المائدة ، الآية رقم : 96 .

[2] سورة البقرة ، الآية رقم : 173 .

[3] سورة الأنعام ، الآية رقم : 139 .

[4] سورة النمل ، الآية رقم : 91 .

[5] سورة العنكبوت ، الآية رقم : 67 .

[6] سورة المائدة ، الآية رقم : 97 .

فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1]. فالمكان المقدس « مجال أرضي ، معزول عن العالم المدنس ، يحظر على الإنسان دخوله عموماً ، لأن روحاً خفية تجلت فيه واتخذته مسكناً لها »[2]. فهو في الإسلام الكعبة الشريفة ، وفي غيرها من المناطق مكان العبادة مهما كان ، إذ يحمل نوع من القداسة . فالمكان المقدس يحمي « المؤمن من غواية الاقتراب مما يتعدى المسموح والممكن . حول هذا المبنى يقع المعبد الذي يؤدي فيه المؤمنون شعائر العبادة . وهو أيضاً محدود ، على غرار البيت »[3].

والجمعة يوم يحمل من القداسة ما أهلته كزمن مقدس لأن يكون عيداً أسبوعياً للمسلمين ، يتركون فيه التجارة واللهو ، ويستجيبون لمناداة المؤذن للالتحاق بالمكان المقدس ــ المسجد ــ خلال صلاة الجمعة . وصلاة الجمعة كمدة زمنية معلومة لديها الكثير من القدسية ، لأنها جاءت بأمر من الله تعالى في قوله : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾**[4]. وهي الفرصة الأسبوعية التي يلتقي فيها الخطيب ، أو يستقبل أكبر عدد ممكن من المصلين ، حيث تظهر نجاعة الخطاب ونجاحه بمدى تأثيره على المصلين وانتقالهم من سلوكات معهودة أو متوارثة إلى سلوكات وأعمال وفق البيان المقدم من طرف الخطيب أو الإمام .

و ـ التعريف الإجرائي :

ونقصد بالمقدس في هذه الأطروحة أو الدراسة ، ذلك المقدس الذي ينبع من الأمة ، ولا ينبع من أي سلطة ، بل السلطة تلتقي مع الأمة في هذا المقدس ، ولا تصدر من أي نخبة أو طليعة ، هذه النخبة سواء مثقفين ، سياسيين ، مسؤولين مباشرين أو أئمة وخطباء . بل يتحد الجميع ، خاصة النخبة ، كونها نابعة من الأمة ، يكون عليها حمل هذا المقدس أو المقدسات والتعبير السليم عنها ، حيث تعمل على إحياء المقدسات وجعلها نظام حياة من خلال الإبداع الخلاق . وتسهر على اكتشاف القيّم العليا والسامية التي تكمن داخل الأمة ، وتعيد إحياء فعاليتها داخل أطر جديدة ومتجددة .

---

[1] سورة التوبة ، الآية رقم : 36 .

[2] يوسف شُلحُد : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 142 .

[3] نفس المرجع ، ص : 153 .

[4] سورة الجمعة ، الآيات رقم : 09 – 10 .

الفصل الثاني :

منهج وتقنيات الدراسة

تمهيد

المبحث الأول : المقاربة النظرية للدراسة

المبحث الثاني : المنهج المستعمل في الدراسة

المبحث الثالث : التقنيات المستعملة في الدراسة

خلاصة الفصل

الفصل الثاني : منهج وتقنيات الدراسة

تمهيد :

يحدد الدارس مدخله في الدراسة ، فيحدد ما إذا كانت دراسة وصفية أم تحليلية ، وهنا يجب أن يستعين الباحث بنظرية معينة ، التي ستشكل إطاره المرجعي في عملية التفسير ، وبالتأكيد فإن الإحاطة بالنظرية يعتبر أحد ركائز التفسير الصحيح ، وهي هامة وأساسية لابد من توافرها[1]. وكون هذه الأطروحة أو الدراسة مخصصة لدراسة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، أي تسليط الضوء على الخطاب الديني في الجزائر بصفة عامة ، وذلك من خلال التطرق إلى واقع هذا الخطاب والعوامل المؤثرة فيه أو عليه داخل المساجد الجزائرية ، انطلاقاً من الإمام كفاعل أساسي ومحوري إلى الوصاية إلى تأثير الخلفيات الفكرية والإيديولوجية والمذهبية المسيطرة على أداء الفاعلين الاجتماعيين .

ومن أجل وضع كل هذه الانشغالات المعرفية في إطار نظري ، والتعبير عنها من زاوية علمية موضوعية ، حاولنا أن **نتبنى الرؤية الدينية عند عالم الاجتماع والمفكر الجزائري محمد أركون (1928 – 2010)** ، هذا الأخير الذي اجتهد كثيراً في دراسة الظاهرة الدينية دراسة علمية ، وإسقاط المناهج المعاصرة والحديثة وتطبيقها على الظاهرة الدينية ، حيث يعتبر منهج محمد أركون ، منهج مركب من مناهج علم الاجتماع المعاصر ، الأنثروبولوجيا وعلم تاريخ الأديان المقارن والمناهج التفكيكية في علم اللسانيات الحديثة ، وكل الأشياء والأمور التي حاول المفكر استعمالها من أجل الخروج أو تكوين خطاب ديني صالح لهذا العصر يستطيع النهوض بالأمة العربية والإسلامية من كبوتها ويجعلها أمة رائدة مثل الرعيل أو الجيل الأول ، لتوفر نفس الأسباب ونفس المحركات المتمثلة في القرآن الكريم ، والسنّة النبوية .

وللوصول إلى تطبيق نظرة الدكتور أركون لا بد من اختيار المنهج بعناية كبيرة ، ومن ثم اختيار منهج يمكننا من الوصول إلى النتائج المرجوة ، وبالتالي استعمال أنسب التقنيات التي توصل إلى النتائج الإيجابية ، حتى نستلهم من نظرة الدكتور محمد أركون ، والمناهج التي حاول استعمالها ، دون أن ننسى أن المناهج تتنوع وتختلف ، « فقد ظهر المنهج العلمي نتيجة للمحاولات المتعددة التي قام بها العلماء عبر العصور لمواجهة المشكلات والتغلب عليها . ومنذ بداية هذا القرن ــ القرن العشرين ــ ، أخذ العلماء يحللون المنهج العلمي تحليلاً ناقداً ، ويحاولون تحديد عملياته الأساسية »[2].

لقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول خصصناه للمقاربة النظرية بمختلف جوانبها المتعددة والكثيرة ، وكيفية الاستعانة بها في تحليل المعطيات وتفسير النتائج ، ثم المبحث الثاني ، الذي شمل على المنهج المستعمل في الأطروحة أو الدراسة وكل ما يتعلق به ، أما المبحث الثالث والأخير فخصصناه للحديث عن التقنيات المستعملة ، على اختلافها وتعددها . وكل هذا سوف نتطرق إليها بنوع من الشرح والتفصيل .

---

[1] عبد الله عبد الغني غانم : **قراءات وتطبيقات في طرق البحث الأنثروبولوجي** ، ط 01 ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص : 100 .

[2] عبد الفتاح محمد العيسوي ، عبد الرحمن محمد العيسوي : **مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث** ، سلسلة دراسات في التراث الإسلامي والعربي ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان ، 1996 – 1997 ، ص : 50 .

المبحث الأول : المقاربة النظرية للدراسة .

لا يمكن الحديث عن الدكتور محمد أركون دون التحدث عن العمليات المتتالية التي يتبعها أو ينتهجها والتي تهدف في الأول والأخير إلى القيام بعملية نقدية لا تعترف بأي حد من الحدود المعروفة أو المتعارف عليها في تراث البحث العلمي الكلاسيكي سوى حد العلم والعقل . هذه الدراسة أو هذا النقد العلمي ، حاول من خلاله الدكتور محمد أركون تناول العقل الإسلامي ليشمل بعد ذلك على العقل الديني عموماً ، حيث يبدأ بالنسق المعرفي الإبستيمولوجي وينتهي إلى الشق السياسي ، فهو لا يكتفي في البحث بالعرض والوصف ، بل كذلك يحلل وينتقد في إطار احترام حقائق الأشياء كما هي .

أولاً : الممارسة النقدية عند أركون .

1 ــ التناول العلمي للظاهرة الدينية :

يرى الدكتور محمد أركون ، أنه من أجل فهم الدين وتقديم الحلول اللازمة والضرورية ، وانتقال العقل الإسلامي من الجهل المقدس إلى قيام النهضة الإسلامية الجديدة ، يجب الفهم والتبحر في الكثير من العلوم المتخصصة ، فهو يلح ومنذ سنوات « على ضرورة دراسة العلم الأنثروبولوجي وتدريسه ، فهو الذي يخرج العقل من التفكير داخل (السياج الدوغمائي المغلق) إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير »[1]. فالعلم الأنثروبولوجي يُعلّم الباحثين كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح متفتحة متفهمة ... ، وهو ما يجعلنا نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة ... يقول :« فالقرآن هو الذي أقرَّ بأفضلية القَصَصْ على الأسطورة كوسيلة لتقديم التعاليم الإلهية المتعالية والعلم الموثوق به كبديل لأساطير الأولين »[2].

2 ــ إبستيمولوجية أركون :

لا نجد إلا القليل النادر أين خرج أركون في كل كتاباته ، تصريحاته أو مقالاته عن الإطار المنهجي والإبستيمولوجي ، فكانت كل لقاءاته محاولة لشرح الطريق المنهجي الذي يمكننا من فهم الطريقة الإبستيمولوجية التي تخرجنا من ذلك الغطاء الدوغمائي المتعصب ، أو التحرر من السياج الموضوع من طرف الدارسين الذين يبحثون في الدين الذي يؤمنون به . لأن البحث العلمي المتخصص يختلف اختلافاً جذرياً عن البحث الذي يقوم به الباحث المؤمن الذي يحاول به معرفة الديانة التي يؤمن بها والتي تسقطهم في الكثير من الأحيان إلى عرقلة إبستيمولوجية كبيرة وشاملة للوعي الإسلامي المعاصر ، « تلك العرقلة التي تجعل الجماهير ، بل عدداً كبيراً من المثقفين يجهلون أو يرفضون الطرق العلمية لإنقاذ العقول من شر الإيديولوجيات المتلاعبة بالنفوس »[3].

---

[1] محمد أركون : **القرآن ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني** ، ط 02 ، ترجمة وتعليق : هشام صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مارس 2005 ، ص : 06 .

[2] نفس المرجع ، ص : 06 .

[3] محمد أركون : **الفكر العربي ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 16 .

3 ــ أركون وأحداث 11 سبتمبر :

تعتبر أحداث 11 سبتمبر من بين المواقف القليلة جداً التي خرج فيها أركون عن منهجيته في الطرح ، التفسير أو التأويل ، حيث تحدث عن السياسة ودور هذه الأحداث في تغيير العديد من المفاهيم ، لكنه اغتنمها فرصة للحديث عن المفاهيم القديمة التي رافقت العهد الاستعماري ، وعلاقة الغرب بالعالم الإسلامي ونظرته للعرب والمسلمين . لقد خصص في هذا الإطار كتاب بأكمله للحديث عن 11 سبتمبر وهو الكتاب الذي أصدره مع جوزيف مايلا ، تحت عنوان : (من مانهاتن إلى بغداد ، ما وراء الخير والشر) .

فالتقديس حسب أركون انتقل من الناحية الدينية إلى الناحية العلمانية وفق ثلاث مفاهيم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، وهي : العنف ، التقديس والحقيقة ، حيث تكون هذه المفاهيم موجودة عند الطرفين ولكن باستعمال مصطلحات جديدة ، مثل : الحرب المقدسة أو الجهاد في الجانب الديني ، يقابله الحرب العادلة أو القانونية أو الشرعية الدولية في العلمانية . وبالمقابل ، تمت قراءة مدلولات فقه الجهاد الإسلامية تم بلورة مفاهيم مقابلها مثل : نشر الديمقراطية في العالم ليبيّن هذا التقابل ، وهذا التعامل المبيّت والمبني على خبث للطوية معالم الصراع الدائم بين الإسلام ، أوروبا والغرب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والذي تجدد بتجدد المفاهيم ودخول بعض المفاهيم الجديدة مثل : عصر التكتلات ، تعدد الثقافات ، صراع الحضارات والأديان ، عهد العولمة وغيرها من المفاهيم التي صاحبت هذه التغيرات والتحولات التي يعرفها العالم ، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 .

ثانياً : محمد أركون ونقد فهم الإسلام .

إننا نركز على الدين الإسلامي دون غيره من الديانات ــ توحيدية سماوية أو وضعية ــ ، وذلك لأن الأمر يهم العالم الإسلامي الذي ننتمي إليه ، من جهة ، وكون أركون ينتمي إلى هذا العالم رغم كل الذي قيل عنه من جهة ثانية ، ومن جهة ثالثة كون أركون نال انتقادات لاذعة أوصلته لحد التكفير من علماء يدعون انتماءهم لأهل السنة والجماعة ، فكان انتقادهم مبني على بحث المؤمنين بالديانة وليس الباحثين فيها . أما الجانب الإبستيمولوجي الذي اعتمده أركون في نقد الإسلام فكون « تأثير الإسلام على كل أصعدة الوجود ، الفردي والجماعي ، كان دائماً ثابتاً ، عميقاً ، مستمراً حتى يومنا هذا »[1].

وهذا يعني أن اهتمام أركون بالظاهرة الدينية الإسلامية كان من أجل فهم الشروط والآليات التي تتحكم في إدراك وفهم المسلمين لدينهم ، والتي تقود حتماً إلى فهم الواقع الاجتماعي ومحاولة اقتراح حلول النهضة . فكانت الظاهرة الدينية من هذا المنطلق الموضوع المركزي للبحث ، فالمكانة المركزية والمحورية التي يحتلها الدين الإسلامي في المجتمعات الإسلامية والعربية المعاصرة ، تجعل منها المسألة الأولى والأساسية التي يتطلب على الباحث والدارس وحتى المثقف دراستها والتنقيب فيها ، أو بالأحرى الاهتمام بها .

فأركون يقر بالجانبين معاً ، أي أنه من خلال دراسة الظاهرة الدينية لا محالة سوف يتمكن الباحث من معرفة طريقة تعامل المسلمين مع الدين ، ومع تأثيراته في الحياة الاجتماعية . ومن أن دراسة الظاهرة الدينية تعتبر الطريق الأمثل

---

[1] محمد أركون : **الفكر الإسلامي ، نقد واجتهاد** ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1993 ، ص : 16 .

الذي يمكن الباحث من سبر أغوار المشاكل أو المعيقات النفسية والذهنية وحتى الاجتماعية ، والتي تقف أمام نهوض الأمة العربية والإسلامية بنفس الطريقة التي قامت بها حضارة القرون الأولى من الإسلام . هذا التمهيد ، أو التعامل الأولي مع الكثير من المعطيات التي تخص الدين الإسلامي ، يقودنا إلى تسليط الضوء على العديد من الأفكار التي تبناها محمد أركون ، والتي أراد من خلالها محاولة تحديد أو على الأقل طرح جملة من الأفكار يمكن في المستقبل القريب التطرق إليها بكل حرية ، دون الخوف من سوط التكفير أو الإخراج من الملة أو حتى الردة ، وهي جملة التهم التي اتهم بها الدكتور ، ومن بين النقاط نذكر ما يلي :

1 ــ الفهم الكلاسيكي :

ويقصد أركون بالفهم الكلاسيكي للإسلام ، الدراسات الاستشراقية للدين والعالم الإسلامي ، أو ما يسمى بالاستشراق ، والذي يعني « أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى (الشرق) ، وبين ما يسمى ــ في معظم الأحيان ــ (الغرب) »[1]. وهو بذلك يعتبر « أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق ، وإعادة بنائه ، والتسلط عليه »[2].

وهي نظرة غالبية المفكرين الذين أرادوا دراسة الفكر العربي والإسلامي من أبناء هذا الفكر ، أمثال الأستاذ إدوارد سعيد ، حسن حنفي ، نصر حامد أبو زيد ، عبد الله العروي وغيرهم كثير ... لأنهم كانوا ينظرون إلى الاستشراق ألا أنه ليس فقط مجرد موضوع أو مجال سياسي تظهر ملامحه بصورة سلبية في الثقافة أو في البحث العلمي أو في المؤسسات ، بل إنه « الوعي الجغرافي السياسي المبثوث في النصوص العلمية والاقتصادية ، والاجتماعية والتاريخية واللغوية ، وهو تطوير تفصيلي ليس فقط للتمييز الجغرافي الأساسي ... بل أيضاً لسلسلة كاملة من (المصالح) التي يستعين في تحقيقها والحفاظ عليها بشتى الوسائل »[3].

ويرجع ذلك إلى كونهم لا يهتمون للواقع الاجتماعي الذي يعرفه العالم الإسلامي ، بل إنهم « لا يبالون إطلاقاً بمصير المسلمين والمجتمعات الإسلامية عندما يدرسون الإسلام أو يكتبون عنه . فهذه ليست مشكلتهم كما يقولون صراحة حتى يومنا هذا »[4]. فهُم ــ المستشرقون ــ يفسرون ويترجمون وينقلون فهمهم الخاص للإسلام وللظواهر الدينية المختلفة ، ويعتقدون أن الظاهرة الدينية في المجتمعات الإسلامية ليست لها أي علاقة علمية أو معرفية بالظاهرة الدينية في المجتمعات المسيحية ، حيث يعتقدون باختلاف المسألة جذرياً في كلتا الجهتين ، ولا يوجد أي رابط بينهم ، وبالتالي لا يدرجون الإسلام ، على الأقل إبستيمولوجياً ، ضمن إشكالية عامة تخص الظاهرة الدينية بمجملها .

إنه يعيب على الفهم الكلاسيكي للإسلام اكتفاءه بالقراءة الفللوجية للقرآن الكريم ، وتركيزه على عناصر معينة أو على الممثلين البارزين ، وتناسيه للفكر الإسلامي المهمش والشعبي . ثم يتجاوز هذا الانتقاد « ليشمل مجمل الفكر الفلسفي الغربي عامة في موقفه من الإسلام ، مشيراً بهذا الصدد إلى النقص الثقافي والعقلي للنظريات الفلسفية الكبرى

---

[1] إدوار سعيد : **الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق ،** ط 01 ، ترجمة : محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، ص : 45 .

[2] نفس المرجع ، ص : 46 .

[3] نفس المرجع ، ص : 58 .

[4] محمد أركون : **العَلمَنة والدين . الإسلام ، المسيحية ، الغرب ،** ط 03 ، ترجمة : هاشم صالح ، بحوث اجتماعية (04) ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 38 .

المبنية دون أن تأخذ بعين الاعتبار تجربة الإسلام التاريخية بصفتها إحدى التجارب العالمية الكبرى . رافضاً أيضاً انحصار فكر فلاسفة الغرب بما فيهم الأكثر تحرراً من نزعة التمركز حول الذات الغربية فوكو ، هابرماز ديريدا وغيرهم ، داخل إطار قطيعة عقلانية مقطوعة عن كل علاقة بالبعد الديني »[1].

2 ــ الإسلام والعلمانية :

لا بد أن نشير في البداية إلى أن العلمانية بكل مدلولاتها كلمة دخيلة على المجتمع الإسلامي ، فهي « بضاعة غربية لم تنبت في أرضنا ، ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكرية »[2]. فالمجتمع الإسلامي يعرف امتزاجاً كاملاً متجانساً بين الدين والدنيا ، « امتزاج الروح بالجسم ، فلا يوجد شيء منفصل اسمه الروح ، ولا شيء منفصل اسمه الجسم ، وكذلك كان الدين والعلم ، أو الدين والدنيا ، أو الدين والدولة في الإسلام »[3]. وهذا ما يدل على أن مصطلح العلمانية بالمفهوم الفكري لا الديني « مصطلح خلافي جداً ، شأنه شأن مصطلحات أخرى مثل : التحديث والتنوير والعولمة ، شاع استخدامها وانقسم الناس بشأنها بين مؤيد ومعارض . ولعل مصطلح العلمانية بالذات أكثر هذه المصطلحات إثارة للفرقة »[4].

فالمجتمع الإسلامي بكل مناهله ومشاربه يرى أن العلمانية « لا علاقة للإسلام والمسلمين بها ، وأن ما حدث هو أن بعض المفكرين العرب ... قام بنقل الأفكار العلمانية الغربية ، وأنهم تسببوا بذلك في نشر العلمانية في بلادنا ، بل يذهب بعضهم إلى أن عملية نقل وتطبيق الأفكار العلمانية تتم من خلال مخطط محكم ، أو ربما مؤامرة عالمية يقال لها أحياناً صليبية أو يهودية أو غربية »[5].

يقول أركون :« إن العلمنة ، بالنسبة لي ، هي موقف للروح ، وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة »[6]. إنها تواجه مسؤوليتين كبيرتين أو تحديين هامين ؛ فالأول : كيف نعرف الواقع بشكل مطابق وصحيح ؟ أي كيف يتوصل الإنسان إلى معرفة تحظى بالتوافق الذهني والعقلي في ظل الخصوصيات التي تميز المجتمع الإنساني ، تمكنه من التوصل والوصول إلى الحقيقة ؟ وهو ما يبيّن أن العلمنة شيء آخر ، « شيء أكبر بكثير من التقسيم القانوني للكفاءات بين الذرى المتعددة في المجتمع . إنها أولاً وقبل كل شيء مسألة تخص المعرفة ومسؤولية الروح (أي الروح البشرية ، الإنسان) . هنا تكمن العلمنة أساساً وتفرض نفسها بشكل متساوٍ وإجباري على الجميع دون استثناء »[7]، ودون النظر إلى الخصوصيات الثقافية ، التاريخية وحتى الدينية التي ولد فيها الإنسان .

---

[1] إبراهيم سعدي : " **محمد أركون : نقد فهم الإسلام** " ، **قراءات في مشروع محمد أركون ،** أعمال ندوة ، مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الجزائر02 ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، 2011 ، ص : 38 .

[2] يوسف القرضاوي : **الإسلام والعلمانية ، وجها لوجه ،** ط 07 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1997 ، ص : 46 .

[3] نفس المرجع ، ص : 46 .

[4] عبد الوهاب المسيري : **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ،** ط 01 ، المجلد الأول ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2002 ، ص : 15 .

[5] عبد الوهاب المسيري ، عزيز العظمة : **العلمانية تحت المجهر ،** ط 01، حوارات لقرن جديد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2000 ، ص : 19 .

[6] محمد أركون : **العلمنة والدين ... ، مرجع سبق ذكره ،** ص : 10 .

[7] نفس المرجع ، ص : 10 .

أما المسؤولية أو التحدي الثاني ، فبعد التوصل إلى التعرف على الواقع ، فإنه ينبغي أن نصل إلى الطريقة أو الوسيلة أو الآلية التي نوصل بها هذه المعلومات أو الحقائق أو هذا الواقع دون أن نتدخل بأي طريقة كانت في حياته ، أو أن نعمل على عرقلتها أو تقييدها بأي نوع من القيود ، وبهذا يفهم أركون العلمنة ، حيث يقول :« هكذا أفهم العلمنة أقصد العلمنة المعاشة متوتر مستمر من أجل الاندماج في العالم الواقعي ، والتي تساعد على نشر ما نعتقد أنه الحقيقة في الفضاء الاجتماعي (أي في المجتمع) . وكل ما عدا ذلك (أي كل ما يمكن أن يُقال بعدئذٍ عن العلمنة أو العلمانوية) ناتج عن كل نواقصنا في عملية البحث العلمي من أجل معرفة الواقع ، وعن نواقصنا التربوية في توصيل هذه المعرفة في ما بعد إلى الآخر ، أو الآخرين . وعن ذلك تنتج أو نتجت سلسلة من الأحداث والصراعات العلمانية أو المضادة للعلمانية »[1].

من كل ما تقدم ، فإن تحليل أركون يؤسس لحق الروح البشرية ، أي الإنسان ، والذي له « حاجات ودوافع متزامنة في اتجاهين أساسيين مترابطين : توجد أولا مرتبة الرغبة (L'instance du désir) مع كل القوى الملحقة بها ... هذه الرغبة تتأرجح ما بين الرغبة في الله مع كل القوى التي أثارتها على التاريخ ، وصولاً إلى الرغبة البسيطة المتمثلة في الإنجاب أو الغنى أو الهيمنة ... أما المرتبة الثانية أو البُعد الثاني الذي يمتاز به الإنسان ، فهو إلحاح الفهم والعقل (L'exigence de l'intelligibilité) ، هذا الإلحاح الكامن في أعمق أعماق الإنسان ... اضطر للنضال والكفاح من أجل اكتساب حقه العميق في المعرفة والفهم »[2].

« ومن هنا يتجلى المنحى الإبستيمولوجي في مقاربة مفهوم العلمنة عند محمد أركون ، ولكن هذا لا يعني أنه أهمل الأبعاد الأخرى للعلمنة مثل البُعد السياسي والبُعد الاجتماعي والثقافي وحتى البُعد الأنثروبولوجي . فالعلمنة ترتبط بمسألة السلطة الزمنية والسيادة العليا وطبيعة نظام الحكم ، كما ترتبط بظاهرة التقديس ودور العامل الروحي كعامل متعالي وأنطولوجي في حياة الأفراد والمجتمعات ، كما ترتبط العلمنة بالإيديولوجيات المعاصرة »[3].

3 ــ أركون والاجتهاد :

الاجتهاد من المفاهيم الأساسية في الدين الإسلامي ، ولها الأثر الكبير في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء ، وفي مسيرة الأمة الإسلامية على امتداد التاريخ ، فالاجتهاد في المجتمع الإسلامي هدفه السامي والأساسي « معرفة الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسوله ... ميدانه الفكر والنظر »[4] في المشاكل التي تواجه الأمة ، والمستجدة منها ولم يرد فيها حكم صريح من القرآن والسنة . لكن المعجبين بالتراث الإسلامي لا يجدون في الاجتهاد اليوم من ضرورة ، لفرط إعجابهم بما خلفه الفقهاء الأولون ، الذين اجتهدوا للواقع المعاش ، الذي عايشوه ، وافترضوا لما يمكن أن يقع في المستقبل .

---

[1] محمد أركون : **العلمنة والدين ... ، مرجع سبق ذكره ،** ص : 11 .

[2] محمد أركون : **تاريخية الفكر العربي الإسلامي ،** ط 02 ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 293 .

[3] مصطفى كيحل : **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ،** مقاربات فكرية ، ط 01 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2011 ، ص : 220 .

[4] يوسف القرضاوي : **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر ،** ط 01 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1996 ، ص : 05 .

فأركون يرفض استئثار علماء الدين بتفسير القرآن والسنة النبوية ، ويقلص كباقي الإسلاميين من أهمية المذاهب الفقهية ، لكنه يحترم كثيراً « التقليد القديم المتعلق بأحرار علماء الدين ، ولا يبغي من (نقده الجديد للعقل الإسلامي) شيئاً آخر سوى فتح باب الاجتهاد مرة ثانية . فما العقل الإسلامي إلا وسيلة ضرورية ذات طريقة علمية تسمح بتأويل القرآن والتقليد مع أخذ الظروف الحالية بعين الاعتبار »[1]. إذ يرى أركون أن الاجتهاد وسيلة يجب ألاَّ تختزل لتكون وسيلة للوعظ الحكومي ، أو ما نسميه أداة في يد السلطة الرسمية لتوظيفها في التلاعب السياسي ، أو توجيهه نحو القضايا الثانوية دون القضايا الأساسية والجوهرية التي يحتاج إليها المجتمع ، ويركز بذلك على القيام بقطيعة نهائية مع الماضي ، الذي يرى أنه جمَّدَ دور المذاهب الفقهية القديمة .

فمسألة الاجتهاد بالنسبة لمحمد أركون ، غيّرت من بُعدها وأهميتها « منذ سنوات الستينات ، ثم بشكل أكبر منذ انتصار (الثورة الإسلامية) . ومن بين العوامل العديدة التي أسهمت في فرض اللجوء إلى الاجتهاد اليوم أكثر من الماضي ، نذكر العامل المتمثل بظهور الدول المستقلة في العالم العربي والإسلامي بعد أن خاضت صراعاً مريراً من أجل نيل استقلالها . كما نذكر عامل التزايد الديمغرافي أو السكاني الضخم الذي غيَّر جذرياً خلال عشرين سنة من الأطر الاجتماعية للمعرفة في كل المجتمعات الإسلامية والعربية المعاصرة »[2].

فرغم هذه التحولات إلا أن العالم العربي والإسلامي يعيش الكثير من التأخر عن الركب على الأقل فيما يخص الفكر الإسلامي ، وذلك « بسبب ضغط الرقابة الإيديولوجية الصارمة والمعممة على كل الفئات الاجتماعية وعلى كل مستويات الثقافة في البلدان العربية والإسلامية »[3].

ثالثاً : المشروع الفكري لأركون .

1 ــ هاجس التجاوز عند أركون :

نقصد بهاجس التجاوز عند محمد أركون ، هو تجاوز الرؤية العامة للمسلمين حول تراثهم من جهة ، ومن جهة أخرى تجاوز موقف المستشرقين من هذا التراث ، حيث « ينطلق أركون من فكرة أن كل ما قيل ويقال عن التراث الإسلامي ، يبتعد قليلاً أو كثيراً عن الخطاب العلمي أو ما يتسم به من خصائص ، بمعنى أنه يندرج ضمن الخطاب الإيديولوجي ، ويتساوى في ذلك الخطاب التبجيلي الذي ينتجه المسلمون عن تراثهم ، مع الخطاب الاستشراقي الذي إن لم يكن تحقيرياً ازدرائياً فهو بارد حيادي ، لا يولي أهمية لواقع المسلمين ومعاناتهم اليومية ، بدعوى الموضوعية والحياد والاقتصار على دراسة الماضي دون الحاضر »[4].

---

[1] رون هاليبر : **العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب ، الجهود الفلسفية عند محمد أركون ،** ط 01 ، ترجمة : جمال شحيد ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، 2001 ، ص : 125 .

[2] محمد أركون : **من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ،** ط 01 ، ترجمة : هاشم صالح ، بحوث اجتماعية (II) ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص . ص : 13 – 14 .

[3] نفس المرجع ، ص : 27 .

[4] فارح مسرحي : " **آفاق المشروع الفكري لمحمد أركون** " ، **قراءات في مشروع محمد أركون ،** أعمال ندوة ، مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 02 ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، 2011 ، ص : 49 .

وهو ما جعل التراث الإسلامي بعيداً عن الدراسات والاكتشافات العلمية التي شهدها العالم ، خاصة في مجال علم الاجتماع والإنسان ، حيث تكون المهمة المستحلية والمستعجلة بالنسبة إلى محمد أركون هي :« الانخراط في البحوث الاستكشافية العلمية عن التراث الإسلامي ، فهذا هو الطريق الوحيد نحو تحرير الفكري المنتظر والمؤجل باستمرار »[1].

هذا التجاوز يتم بالسعي إلى تأسيس خطاب علمي حول التراث الإسلامي ، أي بإعادة قراءته قراءة نقدية تضعه في سياقه التاريخي والاجتماعي بعيداً عن مختلف الأشكال التقليدية ، سواء بالنسبة للمسلمين أنفسهم ، الذين أضافوا لهذا التراث الكثير من الأساطير وصلت حد الخرافة والأدلجة ، أو سواء بالنسبة للدراسات الكلاسيكية أو الاستشراق ، والتي استعملت أسلوب البتر والانتقاء وصلت حتى التدليس والافتراء على التراث الإسلامي . فمحمد أركون كان يرمي كل التراث الإسلامي في دائرة الفكر التي تخص القرون الوسطى .

فهو يرى أن الحضارة الإسلامية حتى في عصرها الذهبي أصبحت لاغية فكرياً وعلمياً بعد ظهور الحداثة الأوروبية وصعودها وتوسعها الذي لا يقاوم ، إلا أنه لا يسقط في فخ المركزية الغربية المزدرية لكل ما هو غير غربي ، والتي تجعل من كل عمل لم يتم في هذه المرحلة لا يستحق الثناء ، بل لا يدرج ضمن الأعمال العلمية . وللأمانة ، فإن موقف أركون من المستشرقين يختلف تماماً عن غالبية المسلمين من هؤلاء العلماء والمفكرين ، وهو ما تطرقنا إليه سابقاً في الفهم أو نقد الإسلاميات الكلاسيكية . فهو موقف يستند إلى نظرة منهجية وإبستيمولوجية لا دخل فيها للتقديس أو الإيديولوجية . وهذا النقد الموجه في كل اتجاه لا يعني أنه لا يوجد شيء يؤمن به أركون ، أو أنه يدخل في اتجاه العدمية النظرية ، بل إنه يفرق بين مرحلتين حاسمتين في نقد الإسلام ونقد العقل الإسلامي ، فهو يؤمن أن رجال ومفكري القروسطي عاشوا مرحلة مركبة ما بين ترجيح العقل ، لكنه مرتبط بشيء أسمى منه ، وهو الوحي ، لأنها مرحلة عرفت نزول الوحي . أما المرحلة الثانية فأركون يرى بأن توقف الوحي نهائياً هو تعبير عن ميلاد المعقولية الحديثة ، حيث يصبح العقل حراً متفتحاً ومخضعاً كل شيء لسلطانه دون قيود أو حدود دنيوية أو لاهوتية .

2 ــ النظرة الكونية للأخلاق :

تعتبر الأخلاق أحد أصول الدين الإسلامي ، « بل إنها تعد أهم وأخطر أركان دين الله في مختلف الشرائع وعلى مر العصور ، فالشرائع السماوية تتعاقب ويتم فيها النسخ والتبديل والتغيير بحيث تجيء كل شريعة مناسبة للعصر الذي نزلت على يد رسول الله فيه »[2]، أي أن الديانات كلها ، خاصة الديانات التوحيدية ، جاءت لنشر مكارم الأخلاق ولها نظرة عالمية أو كونية كما يرى أركون في تحليله ، حيث يخصص فصلاً كاملاً من أحد كتبه للمسألة الأخلاقية ، خاصة في الفكر الإسلامي ، في ظل معطيات الراهن العالمي ، ودائماً وفق نظرة منهجية اعتاد على إتباعها في مجمل دراساته المتنوعة ، الانطلاق من إشكالية حاضرة في الوقت الراهن ، ثم الرجوع إلى جذورها وأصولها التاريخية ، وأخيراً إيجاد الحلول التي تمكن الباحث من تجاوز أو الإجابة عن تساؤلات الإشكالية المطروحة .

---

[1] محمد أركون : **نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية** ، ط 01 ، ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 2011 ، ص : 222 .

[2] يعقوب المليجي : **الأخلاق في الإسلام ، مع مقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية** ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1985 ، ص : 06 .

فمسألة الأخلاق من المسائل الشائكة في مختلف حقول العلوم ، سواء في الفلسفة أو في علم الاجتماع ، أو غيرهما ... لكن ما جاء به القرآن الكريم « في مجال الأخلاق ذو قيمة عظيمة ، لا بالنسبة للحياة العلمية للمسلمين أنفسهم فحسب ، بل بالنسبة لأبناء البشر جميعاً . ومعرفة القانون الأخلاقي كما جاء به القرآن يكمل النقص في تاريخ المذاهب الأخلاقية ، ويفتح آفاقاً جديدة في دراسة المشكلة الأخلاقية ذاتها ، وفي حل كثير من المسائل والصعوبات التي تثيرها »[1]. فيكفي أنها تزود الفرد كما تزود الحكام « بشتى أنواع المبادئ والعقائد والمذاهب ، التي يمكن أن يستخدموها في تنظيم العلاقات بين الناس من أجل سعادة مجتمع سليم كريم ، ليحقق ذلك للجميع طاعة القانون والحرية والرضا . وجميع هذه الأمور تشكل حاجات أخلاقية للأفراد والجماعات ، وفي الوقت نفسه تحدد سمات الدولة التي تتماشى مع كرامة الإنسان وعزة المواطنين »[2].

لقد كانت هذه النظرة مبنية على دراسة أركون لتاريخ الفكر الأخلاقي ــ كما ذكرنا سابقاً ــ ، إذ تعتبر دراسته حلقة من الحلقات البارزة في دراسة الأخلاق عبر التاريخ ، منذ بدأ الفلاسفة يهتمون بالأخلاق والفكر الأخلاقي ، وهدف هذه الأخلاق في حياة البشر بصفة عامة ، فالأخلاق ليست خاصة بدين بعينه ، ولا شعب أو أمة بحد ذاتها ، بل هو نتاج تلاحم البشرية جمعاء . ودراسة أركون تعود إلى الدراسات التي عرفها الفكر الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى ، حيث ظهرت العديد من الدراسات ، وظهر العديد من المفكرين والمنظرين حول الأخلاق ، في مختلف الأطر ، سواء في إطار علم الكلام ضمن باب الصلاح والأصلح ، أو في إطار الأحكام السلطانية للماوردي ، أو في إطار فلسفي بحت كما فعل الجاحظ ، التوحيدي وخاصة مسكويه[3].

فالأخلاق بالنسبة لأركون فضاء منفتح على كل البشر مهما كانت منهجياتهم ، ومهما كانت المناهل والمرجعيات ، وإطاراً مقاوماً يرفض كل تمويه أو تمييع للواقع والحقيقة ، ويرفض كذلك كل رقابة أو عملية قمع منظم للروح البشرية .

3 ــ حوار الأديان في فكر أركون :

فالديانات الثلاث (اليهودية ، المسيحية والإسلام) ، مطالبة بتغيير أو تعديل من مواقفها المختلفة ، التقليدية والموروثة ، دون النظر إلى أي جهة واتهامها بالتقصير أو جعلها هي السبب ، بل يجب اتهام الجميع بالنقص والتقصير والإهمال فالنقص أو المسؤولية لا تقع على الإسلام أو العالم الإسلامي فحسب ، إنما تقع على الغرب المسيحي المتحالف أو المتواطئ مع اليهودية خاصة في القضية الفلسطينية ، التي تشكل أحد الأسباب العميقة للتصادم والصراع بين الطرفين الإسلامي والغربي عموماً .

وفي هذه القضية يقول محمد أركون :« ينبغي العلم أن الحرب الإسرائيلية ــ الفلسطينية تجسد في ذاتها بشكل مكثف جميع الهيجانات الجامحة ، والنبذ المتبادل ، والأساطير التاريخية ، والأحقاد القاتلة ، والحسابات الجيوبوليتيكية ، والمنافسات الحديثة »[4]. لذلك فهو يدعو جميع الأطراف إلى ضرورة القيام بنقد ذاتي راديكالي لكل تجارب الماضي

---

[1] السيد محمد بدوي : **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ،** دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 2000 ، ص : 65 .

[2] محمد مختار الزقزوقي : **الأخلاق والسياسة ،** مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ص : 96 .

[3] فارح مسرحي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 58 .

[4] محمد أركون : **نحو تاريخ مقارن ... ، مرجع سبق ذكره ،** ص : 306 .

وإعادة قراءة التراث الديني للديانات الثلاث على ضوء المستجدات الراهنة ، وهو بهذا النقد ، لا يهدف أبداً إلى أي شكل من أشكال التوفيق بين هذه الديانات بقدر تقديم أو وضع أسس أو قواعد إبستيمولوجية للكشف عن كيفية حصول الصيرورة الاجتماعية التاريخية المشتركة لتشكيل أنظمة الاعتقاد واللا اعتقاد .

أما بالنسبة للصيغة الجديدة لحوار الأديان ، فأركون ينطلق من نقده للحوارات التي تمت ، والتي شارك في العديد منها ، كونها تتم دون التعرض للمسائل الجوهرية والتي يعتبرها حارقة وجارحة وأساسية ، فهناك شبه اتفاق ضمني بين المتحاورين على عدم فتح هذه الملفات الكبرى ، فهو يؤدي حسب أركون إلى التشكيك في العقائد الأرثوذكسية الراسخة الموروثة عن الأديان الثلاثة منذ البداية ، وهذا ما يفوت الفرصة على هذه الحوارات وينقص من فعاليتها ويجعلها تحيد عن غاياتها ، حيث يقبع كل طرف في مواقعه اللاهوتية التي ينطلق منها دون أي تغيير أو تعديل في هذه المواقع ، وبالتالي بدل التقريب بين الأديان ، تعمل هذه الحوارات على ترسيخ المواقع التقليدية ، لذلك يعلن أركون إرادته في تجاوز الوضع والبحث عن صيغة جديدة أو طريقة مغايرة لإقامة حوار حقيقي فعال ومثمر بين الأديان .

يقول :« فلماذا الحوار إذن ؟ إما أن نتخلى عن المواقع اللاهوتية القديمة وإما أن نظل متشبثين بها . إنَّ ما سأقوله الآن يمثل تجاوزاً لكل ما قيل أو كُتب داخل إطار حوار الأديان في السنوات الماضية . إنني أريد تجاوزه لأنه يبدو لي كلاماً هشاً غير مقنع . وهو كلام لا تاريخي ، وغالباً تبجيلي لا يقدم ولا يؤخر ، أو قل إنه يؤخر لأن كل طرف يكتفي بتبجيل عقيدته عن طريق سرد المواقع التقليدية المعروفة . وبالتالي ، فهو يشبه حوار الطرشان »[1].

كما هو مطلوب بنفس القدر من المسلمين أن يكفوا عن شيطنة الغرب ككتلة واحدة ، وأن يكفوا عن تغذية العنف من خلال التلاعب بالمفهوم اللاهوتي . السياسي المدعو (الجهاد) ، ويتحولوا إلى توعية الجماهير وتعليمها وتحسين ظروف معيشتها . « لقد أصبح الإنسان هو العدو الأول للإنسان ، في ظل الشيطنة المتبادلة بين الإسلام والغرب ، ومن ثم لا بد من تدارك الوضع قبل ضياع الإنسان ، وإعادة الاعتبار للموقف الأنسني القائم على احترام الإنسان والأديان والمهموم بإرادة المعرفة ومقارعة الحق بالحق للحق كما يقول المتصوفة »[2].

رابعاً : الأنسنة والتأويل عند أركون .

تعتبر مشاريع العقلانية النقدية أو نقد العقل ، من بين أهم المشاريع الفكرية والفلسفية في العصر الحديث ، حيث تهدف هذه المشاريع إلى تخليص الفكر العربي من كبوته ، فهي تسعى إلى إنقاذ المجتمعات العربية والإسلامية من تخلفها الحضاري ، وتعمل من أجل قيام النهضة المنشودة ، إذ تتفق « جميعها في كونها تركز على نقد أسس العقل المنتج للفكر والثقافة والحداثة ، بمعنى آخر أنها مشاريع إبستيمولوجية ، هدفها هو الكشف عن الشروط والإمكانيات التاريخية والمنطقية واللغوية التي تحكم المعرفة »[3].

---

[1] فارح مسرحي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 356 .

[2] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 68 .

[3] نفس المرجع ، ص : 11 .

ومن بين المفاهيم الأساسية التي يرتكز عليها مشروع أركون نجد الأنسنة والتأويل ، حيث أنهما « مسألتان تشقان فكره من البداية وحتى النهاية »[1]، فارتبط به مفهوم الأنسنة في الفكر العربي والإسلامي منذ أطروحته للدكتوراه (نزعة الأنسنة في الفكر العربي ــ جيل مسكويه والتوحيدي ــ وواصل اهتمامه به حتى أصبح يعرف به أكثر من غيره . أما التأويل فهو جوهر مشروعه ككل ، « فهدفه الأسمى هو تقديم تأويل جديد للظاهرة الدينية بشكل عام وللفكر الإسلامي بشكل خاص »[2].

1 ــ مفهوم الأنسنة :

مصطلحات النزعة الإنسانية ، الأنسنة ، والإنسانوية ... تأتي في اللغة العربية من ترجمات المصطلح الفرنسي (Humanisme) ، والذي يشتق من الكلمة اللاتينية (Humanistas) ، والتي تعني :« تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات »[3]، حيث ينسب ظهور الأنسنة إلى « بترارك (PETRARQUE ، 1304 – 1374) ، وسلوتاتي (C. SALUTATI 1331 ، – 1406) ، لتعني من يتعاطى الدراسات الأدبية ، موروث الفروع الليبرالية عند قدامى الكتاب اللاتينيين »[4].

فقد ارتبط ظهور الأنسنة أو المذهب الإنساني بعصر الإصلاح الديني ، وعصر النهضة في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، حيث بدأ التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم ، ومن الله إلى الإنسان ، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل . إذ ركز الإصلاح الديني على الاعتراف بدور العقل ومكانته في البحث الحر والمستقل عن كل المؤسسات والهيئات سواء أكانت سياسية أو دينية ، أي زعزعة الأستاذية العقائدية التي كانت تمارسها الكنيسة ، وبالتالي رفض فكرة التوسط بين الله والإنسان وجعل العلاقة مباشرة دون وساطة الكنسية .

فأركون قام بنحت هذا المفهوم للتفرقة بين النزعة الإنسانية والأنسنة ، وذلك « لأن الأولى تركز النظر في الاجتهادات الفكرية لتعقل الوضع البشري وفتح آفاق جديدة لمعنى المساعي البشرية لإنتاج التاريخ ، مع الوعي أن التاريخ صراع مستمر بين قوى الخير والشر والعنف وقوى السلم والخير والجمال والمعرفة المنقذة من الظلام »[5]، فهي ليست نزعة شكلية سطحية اهتمت بأمور ومجالات الأدب . فقد اقترح أركون مصطلح الأنسنة ليقوم بلفت انتباه ، وهو ما يصرح به بحد ذاته ، حين يقول :« وأنا عندما اعتمدت مصطلحاً غربياً (كالأنسنة) فإني أردت لفت الانتباه إلى ضرورة إعادة التفكير في النزعة الدينية الإنسانية »[6].

هذه العبارة أو التساؤل حسب أركون يبيّن كيف يمكن مصالحة الإنسان مع نفسه بطريقة علمية ملموسة يمكن تجسيدها سياسياً ، ضمن نظام أخلاقي معاش . كما يمكن تجسيدها ضمن نظام اقتصادي فيه شيء من العدالة والمساواة في الفرص والحظوظ ، فهذا هو « تحديد الإنسية بالذات : الإنسية هي المزج بين الثقافات والحضارات وصهرها

---

[1] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 12 .

[2] نفس المرجع ، ص : 12 .

[3] عبد المنعم الحنفي : **الموسوعة الفلسفية ،** ط 01 ، دار ابن زيدون ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص : 71 .

[4] Michel BLAY: **Dictionnaires des concepts Philosophiques,** Larousse ,CNRS, Paris, France, 2006, P : 375.

[5] محمد أركون : **معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية ،** ط 01 ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان، 2001 ، ص : 07 .

[6] نفس المرجع ، ص : 30 .

في بوتقة ما ، وبيئة ما »[1]، حيث يعتقد أركون بوجود النزعة الإنسانية في الفكر العربي والإسلامي التي تقوم على الفلسفة العقلانية والتي تتخذ من الإنسان محوراً لها ، وهي من الحقائق التاريخية التي اكتشفها من خلال دراسته وبحثه في التراث الفكري للكثير من الأدباء والفلاسفة أمثال الجاحظ ، التوحيدي ومسكويه ، وذلك ما يشجعه على إعادة طرح وتنشيط قضية الأنسنة في السياقات الإسلامية المعاصرة .

وللوصول إلى تحقيق هذا الهدف ، فهو يميز بين عدة أنواع من النزعات الإنسانية ، وليس نوعاً واحداً ، فيحدد كنوع أول الأنسنة الدينية ، فسواء أكانت مسيحية أم إسلامية ، فهي بلا شك « ذاتها تحمل عدَّة تعبيرات مختلفة تمتد من الورع الهادئ والمرتاح للمؤمن المعتدل ، إلى الزهد الصارم والقوي للمؤمن المتعبد أو الناسك ، ولكن الإنسية الدينية تنتظم في جميع الحالات بالتسليم الواثق لله والارتباط المستمر به »[2]. فمصير الإنسان في الأنسنة الدينية مرتبط بالتعاليم الإلهية المنزلة ، لأن الله تعالى هو الذي يرسم له حدود فاعليته المعرفية والأخلاقية .

2 ــ مفهوم التأويل :

« ترد مصطلحات التأويل والهرمينوطيقا ، والفهم ، والشرح ، والتفسير ، والترجمة في التراث الفلسفي التأويلي متداخلة حيناً ، متناقضة حيناً آخر ، ومتطابقة أحياناً أخرى ، وذلك بسبب التضمينات الدلالية التي يأخذها كل مصطلح ، والاختلاف بين الفلاسفة التأويليين في توظيف هذا المصطلح أو ذاك ، وما يترتب عن الترجمة من لغة إلى أخرى من تشويش دلالي أو غموض والتباس يكتنف هذا المصطلح أو ذاك »[3].

فهذا التشويش أو الغموض يطرح من جديد إشكالية غياب تأصيل المفاهيم والمصطلحات في الثقافة العربية المعاصرة ، والخطاب الفلسفي العربي بالتحديد ، ولذلك نجد العديد من الترجمات للمفهوم الغربي الواحد ، وهذا ما يؤدي إلى الاختلاف ، وما يؤدي إلى الرؤية غامضة والمفهوم قلق وغير مستقر ، وذلك بسبب غياب الإلمام بالأطر المعرفية والتحولات التاريخية التي تحكم نشأة المصطلح في فضائه المعرفي الخاص به . فمثلا هرمينوطيقا في اشتقاقها اللغوي القديم لا تخرج عن معنى الشرح والتفسير لما هو غامض ومبهم ، أي شرح ما يجد العقل الإنساني صعوبة في فهمه ، سواء في الملاحم اليونانية القديمة ، أو إعادة شرح النصوص الدينية مع بداية عصر النهضة والإصلاح الديني في القرن السادس عشر الميلادي .

فالقيام بعملية قراءة الكتابات المقدسة والنصوص الدينية ، تعني القيام بعملية تأويل لتلك النصوص والكتابات ، وهي أبرز مشكلات الهرمينوطيقا المتعلقة بالنص الديني المسيحي المنطلق في الظهور ونشأة التأويل ، لأن هذا الأخير ظهر أو تشكل من اجتماع ثلاثة فنون وهي :« فن تفسير النصوص المقدسة ، التي هي فرع أساسي بالنسبة لأدبيات الكتاب التي تستهدف الكشف عن الحقيقة الربانية المغلَّفة في النص ، وفن التأويل التشريعي الذي يرمي إلى تطبيق المعنى العام لمعيار مرن على حالة خاصة ، والفيللوجيا (فقه اللغة Philologie) التي تفرض نفسها بوصفها أول علوم الإنسان

---

[1] محمد أركون : **الفكر الإسلامي . قراءة علمية** ، ط 02 ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 261 .

[2] Mohamed ARKOUN: **L'HUMANISME ARABE au IVX eme Siècle, MISKAWAYH philosophe et historien,** second Edition, Libraire Philosophique J.URIN, Paris, France, 1982, P : 356.

[3] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 85 .

المتحررة من تبعيتها الخالصة لعلم اللاهوت »[1]. فهدف الهرمينوطيقا هو تجاوز أزمة المعنى التي يعاني منها الإنسان ، وذلك بإقامة تأويل على أسس صحيحة ، يركز على تعدد القراءات بدل القراءة الواحدة للوصول إلى المعاني العميقة والخفية التي لا تظهرها القراءة السطحية .

أما في لسان العرب للعلامة ابن منظور في مادة التأويل فقد جاء :« وأوَّل الكلام وتأوَّله : دبره وقدَّره ، وأوَّله وتأوَّله : فسَّره .. والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إليه دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .. والتأوَّل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه »[2]. ويرى نصر حامد أبو زيد أن للتأويل بعدين اثنين قد يبدوان متعارضين ، لكنهما في الحقيقة متكاملين ، « البُعد الأول يتمثل في دلالة صيغة الفعل الثلاثي (آل) ومشتقاته وفيها العودة والرجوع ... ومن هذه الدلالة نفهم أن التأويل هو إرجاع الشيء أو الظاهرة موضوع الدرس إلى عللها الأولى وأسبابها الأصلية ... حيث كانت مهمة التأويل ... اكتشاف المعنى الأول والدلالة الأصلية للحدث . والبُعد الدلالي الثاني للصيغة الثلاثية هو معنى الوصول إلى الغاية ــ غاية الشيء ــ بالرعاية والسياسة والإصلاح »[3].

3 ــ عوائق الأنسنة :

يحدد محمد أركون أربعة عوائق رئيسية تقف أمام قيام الأنسنة ، وهي نفس العناصر التي استخلصها الأستاذ مصطفى كيحل في كتابه (الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون) . فعبر كل الدراسات التي قام بها محمد أركون ، ومن خلال مشروعه الكبير كانت هذه العناصر الأربع عائقاً ومشكلاً لم تسمح للعقل الإسلامي من تحقيق الوثبة النهضوية ، ولم تسمح بتحرير العقل والقيام بدوره المبدع الذي خُلق من أجله ، وهو ما سوف نتطرق إليه من خلال شرح نظرة أركون لهذه العوائق وكيفية تأخيرها ووقوفها في وجه العقل الإسلامي والفكر العربي الإسلامي .

أ ــ الأرثوذكسية :

يرى أركون في قراءته للتراث الإسلامي ولنصوصه المقدسة أن الأرثوذكسية محدداً أساسياً وعائقاً يجب تجاوزه من خلال انتهاك مسلمات العقل الأرثوذكسي ، وتفكيك فرضياته وأشكلة بداهاته ، لأنها تعارض كل محاولات أنسنة التراث وفتحه على المختلف والمتعدد وجعله يقبل أكثر من قراءة . فقد تأسست على مجموعة من النصوص ، ومنها حديث الرسول ﷺ المعروف في التراث العربي والإسلامي بحديث الفرقة الناجية ، حيث تستند كل الفرق الإسلامية على هذا الحديث وترى نفسها أنها هي الفرقة الناجية ، أي تعتبر نفسها على صواب والفرق الأخرى على خطأ ، وبالتالي فإن هذه الفرقة الوحيدة ، حسب أركون التي على حق ، وأن فهمها للدين الإسلامي وممارسته له صحيحة ، وما دونها خاطئ وعلى ضلال ، وهي ما يسميها (الجماعة الأرثوذكسية) .

كما يحدد أركون مجموعة من الشروط المعنوية للأرثوذكسية ، منها وجود حقل معنوي (Sémantique) منسجم وثابت ، يتحرك فيه بدون أي خلاف كل الناقلين والمستقبلين للوديعة الأولية (أو الرسالة الأولية) وكل توليداتها

---

[1] Michel BLAY: **Op-cit,** P: 368.

[2] العلامة ابن المنظور: **مرجع سبق ذكره ،** ج 01 ، باب الهمزة ، ص : 274 .

[3] نصر حامد أبو زيد : **نقد الخطاب الديني ،** ط 02 ، سينا للنشر ، القاهرة ، مصر ، 1994 ، ص : 140 .

وكذلك أحادية المعنى بالنسبة للنصوص المنقولة والموضحة والمشروحة بشكل مطابق وصحيح من قبل التفاسير التي وصلتنا عبر التراث . « ويفيد ذلك أن هناك حقلاً دلالياً ثابتاً لا يتغير ، ودلالات هذا الحقل المعنوي يستطيع المؤمنون إعادة تحيينها وتمثلها عبر التاريخ ، وهذه الدلالات هي واحدة ، وهي نفسها المثبتة في التفاسير التي وصلتنا »[1].

هذه الأسس أو الشروط وغيرها كثير ، لا تمكّن من أنسنة التراث وتقديم قراءة معاصرة في النصوص المقدسة إذا لم تتم عملية انتهاكها ، لأنه بالنسبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة لا يمكن الحديث عن أحادية المعنى ، فحسب علي حرب ، إذا كانت « أحادية المعنى هي خداع على المستوى المعرفي ، فإن مآلها الاستبداد السياسي والاضطهاد الديني والإرهاب العقائدي والفكري كما يشهد على ذلك تاريخ الأديان والإيديولوجيات قديماً وحديثاً ، وكما يقرأ النصوص أهل العقائد والمذاهب والباحثون عن الأصول ، من النص الديني الإنجيلي إلى القرآني حتى النص الماركسي ... فالكليانية هي الوجه الآخر لأحادية المعنى »[2].

ب ـ السياج الدوغمائي :

لا يمكن الفصل بين الأرثوذكسية والسياج الدوغمائي أو العقلية الدوغمائية ، لأنها جوهر الأولى ، فكل أرثوذكسية هي بالأساس دوغمائية . فهذا المصطلح دخيل على اللغة العربية ، ويقابله العقائدية والوثوقية ، والدوغمائية ترتبط بالروح المغلقة بغض النظر عن المضامين سواء أكانت إيديولوجية أو دينية أو طبقية أو عرقية أو غيرها ... ترتكز على ثنائية ضدية حادة ، فهي نظام من الإيمان والعقائد ونظام من اللا إيمان واللا عقائد ، حيث يحدد أركون هذا النظام بثلاثة محددات أو خصائص ، وهي :

- « عبارة عن تشكيلة معرفية مغلقة قليلاً أو كثيراً ومشكلة من العقائد واللا عقائد (القناعات واللا قناعات) الخاصة بالواقع .
- إنه يتمحور حول لعبة مركزية من القناعات ، (أو الإيمانات اليقينية ذات الخصوصية والأهمية المطلقة) .
- إنه يولد سلسلة من أشكال التسامح واللا تسامح اتجاه الآخر »[3].

كما يعتقد أركون أن الدوغمائية ما زالت تقف دون تجديد الفكر بشكل جذري في المجال العربي الإسلامي ، لأنها بهذه الخصائص والمسلمات والمبادئ القطعية تشكل حاجزاً يحجب رؤية الأشياء كما وقعت فعلاً ، وهذا الحاجز هو الذي يسميه الدكتور السياج الدوغمائي ويحدده بأنه « مجمل العقائد الدينية والتصورات والمسلمات والموضوعات التي تتيح لنظام من العقائد واللا عقائد أن يشتغل بمنأى عن كل تدخل نقدي سواء من الداخل أو الخارج ، فالمؤمنون المنغلقون داخل السياج الدوغمائي يتبعون إستراتيجية معينة ندعوها إستراتيجية الرفض . وهي تستخدم ترسانة كاملة من الإكراهات والمجريات الاستدلالية والشكلانية التي تتيح المحافظة على الإيمان أو تجيّشه وتعبئته إذا لزم الأمر »[4].

---

[1] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 110 .

[2] علي حرب : **نقد الحقيقة (النص والحقيقة II) ،** ط 01 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993 ، ص : 27 .

[3] محمد أركون : **الفكر الإسلامي ، نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 05 .

[4] محمد أركون : **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ،** ط 01 ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص : 67 .

ج ــ سيطرة المفكر فيه :

يوجد في الوقت الراهن ، أربعة أنواع من الخطاب تسيطر على الفكر الإسلامي ، تتنافس فيما بينها حول تمثيل الإسلام ، ويدعي كل واحد أنه الممثل الشرعي للدين الإسلامي ، وهي : الخطاب الإسلامي المعاصر ، وهو خطاب سياسي تمثله الحركات الإسلامية السياسية ، يعتمد على التجيش السياسي ويحظى بانتشار اجتماعي واسع ، حيث ينغرس هذا الخطاب ضمن البعد الأسطوري للتراث الذي يعلمن على غير وعي منه المضامين الدينية لهذا التراث .

ثم الخطاب الإسلامي الكلاسيكي الذي يهتم بتاريخ التراث ، أي بمراحل تشكله في المجموعات النصية الصحيحة . والخطاب الاستشراقي ، الذي يهتم بالنقد الفيللوجي والتاريخي لمرحلة التشكيل والتأسيس . أما الخطاب الرابع والأخير ، والذي يتبناه محمد أركون ، هو الخطاب الذي تستخدمه علوم الإنسان والمجتمع ، وهو الذي « يهدف إلى إعادة النظر في الخطابات الثلاثة السابقة من أجل الكشف عن الأسئلة المطموسة فيها والمرمية في دائرة المستحيل التفكير فيه ودائرة اللا مفكر فيه . وهذا ما يجعل ممكناً بالتالي القيام باستعادة نقدية معاصرة لمشكلة التراث والتراثات في الإسلام »[1].

والهدف الأساس بالنسبة لمحمد أركون من بلورة هذه المصطلحات (المفكر فيه ، المستحيل التفكير فيه ، اللا مفكر فيه) ، فيرجع إلى محاولة إثراء أو « إغناء تاريخ الفكر عن طريق إضاءة الرهانات المعرفية والثقافية والإيديولوجية للتواترات الموجودة بين مختلف التيارات الفكرية ... وإيجاد حركية للفكر الإسلامي المعاصر ، وذلك بتركيز الاهتمام على المشاكل التي كانت قد أقصيت والطابوهات (أو المحرمات) التي أقامها والحدود التي رسمها والآفاق التي توقف عن التطلع إليها »[2].

د ــ التضامن بين الدين والدولة :

أكبر ما يهدد الأنسنة في الثقافة العربية والإسلامية حسب محمد أركون ، هو ذلك « التضامن الإيديولوجي بين الدولة والدين المستقيم أو الأرثوذكسي ، وطبقة علماء الدين المحتكرين لإدارة ذهنية التحريم أو التقديس على حد تعبير ماكس فيبر . وبقدر ما يسود هذا التضامن الإيديولوجي ويقوى ، بقدر ما تضمحل النزعة الإنسانية ويتهمش الموقف الفلسفي ، وتغيب الثقافة النقدية أو تنعدم ، وهي بحاجة إلى حرية الفكر والتعبير والنشر وإنشاء الجمعيات والمنتديات داخل المجتمع المدني »[3].

هذا التضامن الإيديولوجي بين هذه العناصر يقمع الروح الإنسانية ويجعلها تتراجع ثم تموت ، حيث تسيطر عقلية التحريم والتقديس ، وبالتالي تغيب روح النقد والانفتاح والاختلاف مع الآخر ، مما يكرس أجواء الأرثوذكسية الدينية الممزوجة بالأرثوذكسية الثقافية الرسمية . وهذا ما توصل إليه أركون في دراسته لتراجع نزعة الأنسنة في العصر الكلاسيكي العربي ، وخاض معاركه الفكرية الأولى من أجل الأنسنة الحيَّة منذ اندلا ع حرب التحرير الجزائرية .

---

[1] محمد أركون : **الفكر الأصولي ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 18 .

[2] Mohamed ARKOUN : **Lectures du Coran,** maison neuve et LAROSE, Paris, France, 1982, P : 13.

[3] محمد أركون : **معارك من أجل ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 16 .

فرفض أركون لإيديولوجيا الكفاح جعل من موقفه اتجاه الثورة التحريرية موقفاً يعتبر سلبياً من منطلق المعايير الوطنية والقومية ، ويبرر هذا الموقف « كونه يحافظ على الاستقلالية الفكرية ، وعلى العلاقة النقدية مع كل موضوع يتطرق له ، ولذلك فإنه يطبق المنهج النقدي حتى على مضامين الإيمان الأكثر قداسة وعلى الأشكال الأكثر مشروعية للتضامن التاريخي مع مجتمعه ... فالأنسنة تفترض إعمال الفكر النقدي في القضايا بما في ذلك القضايا المقدسة ، ولذلك فأركون يعطي الأولوية لنقد العقل ، العقل الذي يناضل من أجل إقامة التمفصل العادل والدائم بين أولوية حقوق الروح وبين الأولويات الإيديولوجية التي تفرضها الضرورات التاريخية »[1].

وهو ما يؤكده محمد أركون حين يقول :« الدول التي تشكلت بعد الاستقلال على هيئة (الدول ــ الوطن ــ الحزب الواحد) فرضت خطاً واحداً في التفكير وحذفت ما عداه ، كل ما عداه أصبح مرمياً في دائرة اللا مفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه . أقول ذلك ونحن نعلم بأي دوغمائية وبأي ضمانة (علمية) راح خطاب التحرير الوطني ، ثم خطاب البناء الوطني الذي تلاه مباشرة يعارضان الخطاب الكولونيالي في إنكاره لوجود أمة ليبية أو تونسية أو جزائرية أو مغربية أو موريتانية . فقد راح هذان الخطابان يعتبران أن هذه الدول هي عربية وإسلامية بشكل محض ومطلق ، ولا توجد فيها أي عناصر أخرى . ثم حصلت نقاشات كثيرة وصراعات لم تنته بعد حول مسألة الهوية ، ثم بشكل أخص حول التعريب ووظائف الدين في المجتمع »[2].

4 ــ الأبعاد الفلسفية للأنسنة :

يرى أركون أن هناك أربعة أبعاد فلسفية للأنسنة ، فأنسنة النص ، التي تعني تفسيره وفهمه فهماً عقلياً من خلال معطيات العصر ، حيث يفرق أركون بين النص الشفهي والنص المكتوب ، وبين الحدث القرآني والحدث الإسلامي ، وبين مجتمعات الكتاب المقدس ومجتمعات الكتاب العادي ، أي يفرق ويميز بين كلام الله المطلق واللا نهائي ، وهو الكلام الذي ليس بمقدور البشر إدراكه ، وبين الكلام المصاغ في لغة بشرية هي اللغة العربية ، أي وجوب التمييز بين النص في بُعده المتعالي ، والنص الذي يتحقق في أحداث التاريخ ، لأنه لا يمكن أن نفصل بين اللغة وبين مضامينها المختلفة الثقافية والاجتماعية والرمزية ، والنظرية والعلمية ، فهي التي تضمن تداولها بين الناس ، وتضمن دوام وظيفتها .

أما البُعد الثاني هو أنسنة التاريخ ، والتي تعني رد التاريخ إلى طبيعته ، أي تاريخيته وأحداثه ، فالتاريخ هو جملة التحولات والأحداث التي يعيشها الإنسان ويكون هو سببها وفاعلها الأساسي ، حيث يتبنى أركون أطروحات واجتهادات الحوليات الفرنسية في التاريخ ومقاربات علم النفس التاريخي ، لكي يتخلص من التفسير الخطي للتاريخ .

والبُعد الثالث فهو أنسنة السياسي ، أي فك الارتباط بين البشري والمقدس ، أو بين السلطة والسيادة العليا في أشكال تنظيم أحوال البشر ، « ورد الفاعلية فيها إلى الإنسان ، فالإنسان هو الحاكم والمحكوم ، أي هو الذي يحكم ويسير ويُنظم ولا يوجد طرف آخر ، أي التوقف عن التفكير في شؤون الدولة من منطلقات ميتافيزيقية ، والتعامل مع الظاهرة السياسية كظاهرة واقعية بهدف فهمها واستخراج القواعد العامة التي تحكم الفعل السياسي ، ولتحقيق ذلك يميز

---

[1] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 125 .

[2] محمد أركون : **قضايا في نقد العقل الديني ، كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ،** ط 02 ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2000 ، ص : 36 .

أركون بين السلطة والسيادة العليا ، ويوضح أن منطق السلطة يختلف عن منطق السيادة العليا ، لأن السلطة تقوم على الإكراه والقسر في حين أن السيادة العليا تقوم على الرضا »[1].

أما البُعد الرابع والأخير ، فهو أنسنة العقل ، أي رفض البُعد الإلهي للعقل ، وأن العقل البشري لا يستند لأي حقيقة مطلقة متعالية ، ولا يعتمد على أي مرجعية مقدسة ، فهو نتاج مختلف الشروط والمعايير الثقافية والسياسية التي يعيش فيها ، أي العقل ظاهرة بشرية نسبية ومتغيرة ، وأنسنة العقل تعني القطيعة الإبستيمولوجية مع المفهوم اللاهوتي ، وهو ما فعله أركون عند دراسته للعقل الإسلامي الأصولي عند الشافعي ، وكذلك عند دراسته للعقل الغربي ، أين طالب بتجاوز العقل الأصولي والعقل التنويري واستبدالهما بالعقل الاستطلاعي أو المنبثق .

المبحث الثاني : المنهج المستعمل في الدراسة .

أولاً : تعريفات المنهج .

1 ـ التعريف اللغوي :

لا يمكن الحديث عن منهج البحث ما لم نحدد تعريفاً دقيقاً وشاملاً لمصطلح المنهج ، فالمنهج في اللغة العربية من مادة (نَهَجَ) ، والنهج هو الطريق ، و« طريق نَهْجٌ ، واسع وواضح ، ونَهَجَ الأمر وأنْهَجَ أي وضّح ، ومنهج الطريق وضَّحه ، والمنهاج : الطريق الواضح »[2]. ومادة (نهج) في لسان العرب للعلامة ابن منظور :« طريق نهجٌ : بيّن واضح ، وهو النهج وطرق نهجة ، وسبيل منهج : كنهج ، ومنهج الطريق : وضحه والمنهاج : كالمنهج . وفي التنزيل : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[3]. وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً »[4]. وقد يشار إلى لفظة المنهج بأنه الطريقة أو الأسلوب أو الوسيلة أو السبيل أو الخطوات التي يستخدمها الإنسان للوصول إلى غاية معينة ، أو طريقة التحكم في نشاط ما .

2 ـ التعريف الاصطلاحي :

إن تقدم العلم « مقترن بتقدم المناهج وهنا يقول ديكارت ، لا نستطيع أن نفكر في بحث حقيقة ما إذا كنّا سنبحثها بدون منهج ، لأن الدراسات والأبحاث بدون منهج تمنع العقل من الوصول إلى الحقيقة »[5]. ولكل بحث علمي أكاديمي منهج خاص يجب على الباحث أن يتبعه حتى يتمكن من ترتيب أفكاره ، وعرض نتائج بحثه بطريقة منظمة ، وتختلف المناهج باختلاف مواضيع الدراسة والإشكاليات المطروحة .

كما يعتبر المنهج « مجموعة من القواعد والإجراءات والأساليب التي تجعل العقل يصل إلى معرفة حقة بجميع الأشياء التي يستطيع الوصول إليها بدون أن يبذل مجهودات غير نافعة . وقد يبني الإنسان ويبتكر قبل أن يفكر في الأسس والمناهج التي صمم عليها هذا البناء أو الابتكار وعندما تنجح محاولاته يبدأ البعض ملاحظة واكتشاف الأسس

---

[1] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 156 .

[2] الخليل الفراهيدي : **مرجع سبق ذكره ،** ج 03 ، ص : 392 .

[3] سورة المائدة ، من الآية : 48 .

[4] العلامة ابن المنظور: **مرجع سبق ذكره ،** ج 08 ، باب النون ، ص : 714 .

[5] مروان إبراهيم : **أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ،** ط 01 ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2000 ، ص : 60 .

التي أدت إلى نجاح هذه الأعمال ثم تستخدم هذه الأسس المكتشفة فيما بعد لتصميم وبناء أفضل ، وهكذا كانت تتقدم البشرية منذ قديم الزمن »[1]. ويكون اكتساب هذه المعرفة من ميدان الدراسة ، « ولكل ظاهرة أو مشكلة بعض الخصائص التي تفرض على الباحث منهجاً معيناً لدراستها ، ويمكن للباحث أن يستخدم عدة مناهج وطرق متكاملة تعينه في تحقيق هدفه العلمي »[2].

فالعمل على تحقيق الأهداف المسطرة ، هي التي تفرض على الباحث منهج معين وتقنيات تتماشى مع إشكالية الدراسة ، ذلك أن اختيار المنهج يخضع لمجموعة من الأسئلة أو التساؤلات وهي :« ما علاقة المنهج المستخدم بالمشكلة والأهداف والفروض ؟ مدى مساعدة المنهج المستخدم في التوصل إلى بيانات يوثق بصحتها ؟ مدى مساعدة المنهج المستخدم على التحقق من صحة البيانات ؟ مدى مساعدة المنهج المستخدم في الإجابة على التساؤلات ؟ »[3]. واختبار « الفروض أهم ما تركز عليه طرق ومناهج البحث ، فالطرق والمناهج المستخدمة في حل مشاكل البحث ذات أهمية بالغة ، ذلك أن استخدام المناهج الخاطئة لا يوصل الباحث إلى حل صحيح إلا بالمصادفة ، ويجب على الباحث استخدام المناهج التي ثبت نجاحها في مجاله العلمي »[4].

فالمنهج « هو الطريقة التي يتعيّن على الباحث أن يلتزمها في بحثه ، حيث يتقيّد بإتباع مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير البحث ، ويسترشد بها الباحث في سبيل الوصول إلى الحلول الملائمة لمشكلة البحث »[5]، أو الطريق الذي يؤدي « إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة »[6]. وهو كذلك استعمال المعلومات استعمالاً صحيحاً في أسلوب علمي سليم ، يتمثل في أسلوب العرض ، والمناقشة الهادئة ، والتزام بالموضوعية التامة ، وتأييد القضايا المعروضة بالأمثلة والشواهد المقنعة ، دون إجحاف أو تردد[7]. وينطلق في الأساس من الوعي بموضوع البحث أو الدراسة ، ومن خلال كذلك الوعي بفلسفته وبالخطوات التي تتبع من أجل اكتماله وتبيان كل عناصره .

3 . أهمية المنهج :

تظهر أهمية المنهج في الدراسات والبحوث العلمية المختلفة ، من خلال الاهتمام الذي يوليه الباحثون والدارسون لمختلف الخصائص التي تميز العلوم والفنون ، وكذلك رسم المناهج المناسبة لتلك الخصائص التي تتعلق بنوع وطبيعة العلم أو الفن ، هذه المناهج هي التي تؤسس لأخذ الطريق المناسب الذي يتلاءم مع موضوع البحث المختار .

---

(1) مروان إبراهيم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 60 .

(2) عبد الباسط محمد حسن : **أصول البحث الاجتماعي ،** ط 02 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1979 ، ص : 255 .

(3) محمد منير حجاب : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 112 .

(4) أمين محمد سلام المناسبة : **قواعد البحث العلمي ومناهجه ومصادر الدراسات الإسلامية ،** مؤسسة رام للتكنولوجيات والكمبيوتر ، مؤتة ، الأردن ، 1995 ، ص : 49 .

(5) عبد الفتاح خضر : **أزمة البحث في العالم العربي ،** ط 03 ، سلسلة دراسات تصدر عن مكتب صلاح الحجيلان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1992 ، ص : 17 .

(6) عبد الهادي الفضلي : **أصول البحث ،** ط 01 ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، اللجنة الدائمة للمناهج والكتب ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص : 50 .

(7) عبد العزيز الربيعة : **البحث العلمي ، حقيقته ، ومصادره ، ومادته ، ومناهجه ، وكتابته ، وطباعته ، ومناقشته ،** ط 02 ، ج 01 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2000 ، ص : 173 .

وهذا ما أدى إلى زيادة عدد البحوث المقدمة في مختلف العلوم ، « وأصبح عددها يزداد يوماً بعد يوم في فنون مختلفة ، كمنهج البحث في العقيدة ، ومنهج البحث في الأصول ، ومنهج البحث الأدبي ، ومنهج البحث الاجتماعي ... إلى غير ذلك من المناهج في الحقول المختلفة من حقول المعرفة »[1]. أي أن المناهج بصفة عامة تلتقي في كونها تعمل على كشف الحقيقة ، أو ما يسميه الأستاذ السيد صالح بمنهج الاختراع ، أو أن هذه المناهج تعمل على تعديل أو البرهنة على المفاهيم السائدة ، وهو ما يسميه ذات الأستاذ بمنهج التصنيف[2].

وفي هذه الدراسة أو الأطروحة سوف نعتمد على **منهج تحليل المحتوى ، كما نستعين بالمنهج الكمي والمنهج الكيفي معاً** ، فالمنهج الكمي يقدم نتائج إحصائية رقمية يسهل تحليلها ، حيث تتحول النتائج الرقمية إلى دلالات سوسيولوجية ، فهو المنهج القائم على الأعداد ، أو كل ما هو قابل للكم ، فالحساب (Comptage) والقياس هما : الصيغ التي يستعين بهما المنهج الكمي ، ونتيجة البحث التي تأتي على شكل عدد أو مجموعة من الأعداد والتي تعرض عادة في الجداول الإحصائية ، أو عن طريق المنحنيات[3].

كما يسعى إلى قياس الظواهر عن طريق استعمال مؤشرات إحصائية (النسب ، المجموع ، المعامل ، معدل والإحصائيات ... إلخ) . ويدعو بطريقة صريحة إلى رقمنة الواقع ، أي التعبير عن الواقع الاجتماعي عن طريق استعمال الأرقام ، لذا يقال عنه أنه منهج صارم ، أكثر علمياً وأكثر مصداقية . ويرى موريس أنجرس :« أن المنهج الكمي يهدف إلى جمع معطيات قابلة للقياس ، وقابلة للمقارنة فيما بينها . هذا الجمع لمعطيات يمكن أن يقام بالاستعانة بتقنيات الإحصاء الشامل أو عن طريق إجراءات أخرى كالتحقيقات بالاستبيان ــ الاستمارة ــ التي تسمح بتحليل عدد أكبر من المعطيات »[4].

أما المنهج الكيفي ، فهو أكثر تقرباً إلى دراسة الآراء ، السلوكات وممارسات الأفراد ، ويعرض الحقائق بطريقة سردية وباستخدام الكلمات ، الأشكال والرسومات أحياناً ، ونادراً ما يعرض بيانات رقمية . ذلك أن العلوم الإنسانية والاجتماعية بطبيعتها علوم كيفية ، وأصول البحث فيها ستبقى كذلك ، مهما اعتمدت من وسائل كمية[5].

ويسعى المنهج الكيفي إلى البحث عن سبب ظهور ظاهرة ما بدون استعمال معطيات إحصائية ، وهذا عن طريق محاولة إظهار علاقة منطقية بين ظاهرتين ، فالمقارنة بينهما يمكن أن تحدد خصوصيات كل منهما ، سواء الخصوصيات المشتركة أو المختلفة ، فإذا كانت الخصوصيات الرئيسية متطابقة فهنا نقول أن هناك علاقة بنيوية بين هاتين الظاهرتين ، وبالتالي يمكن أن نطبق علاقة سبب ــ نتيجة بينهما ، أي فهم الظاهرة عن طريق وصف دقيق وعميق لكل

---

(1) عبد العزيز الربيعة : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 176 .

(2) سعد الدين السيد صالح : **البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية) ،** ط 03 ، مكتبة الصحابة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1993 ، ص : 10 .

(3) Mark MOUNTAUSSE et Gilles REMAUARD : **100 Fiches pour comprendre la sociologie,** Ed Bred, France, 2008, P : 17.

(4) Maurice ANGERS : **Initiation Pratique à la Méthodologie des sciences Humaines,** Armand colin, Paris, 1995, P : 123 .

(5) فريد الأنصاري : **أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، محاولة في التأصيل المنهجي ، ضوابط ، مناهج ، تقنيات ، أفاق ،** ط 01 ، سلسلة الحوار 27 منشورات الفرقان ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 ، ص : 57 .

خصوصياتها . ومن بين المناهج التابعة للمنهج الكيفي ، سوف نستعين بالمنهج الوصفي التحليلي ، أما تحليل المحتوى أو المضمون ، فهو أكثر المناهج المتبعة في تحليل معطيات المقابلة والأسئلة المفتوحة ، وسوف نتطرق لكل هذه المناهج ، وكذا كيفية استعمالها في هذه الأطروحة أو الدراسة بشيء من التفصيل .

ثانياً : منهج تحليل المحتوى .

لقد أعطى علماء الاجتماع الكثير من التعاريف لمفهوم تحليل المحتوى أو المضمون ، وأهمها تعريف بولسن ، الذي ذهب إلى أن تحليل المحتوى « هو أسلوب أو أداة بحث لوصف المحتوى الظاهر أو الواضح للرسالة الإعلامية وصفاً كمياً وموضوعياً ومنظماً »[1]. وكذلك هو أسلوب أو تقنية لدراسة تفصيلية لمحتوى الوثائق ، حيث يلعب دوراً مهماً في استخراج المعاني والمفاهيم والتخمينات غير الواضحة مباشرة من الوثيقة . ونعني بالوثيقة في أوسع معانيها ، فقد تكون نص مكتوب ، فيلم ، استبيان ، مقابلة وغيرها ... فمعظم الوسائل المستعملة من طرف علماء الاجتماع ، والتي تعبر عن جملة من الآراء والاتجاهات والمواقف يتم تحويلها من بيانات لفظية إلى مادة مكتوبة ، وبالتالي فتحليل المحتوى أو المضمون بصفة عامة ، هو « تقنية للبحث من أجل الوصف الموضوعي ، الكمي والمنهجي الواضح للقيام بعملية التفسير والتحليل »[2].

كما جمع الأستاذ سلاطنية مجموعة من التعاريف لتحليل المحتوى ، نوردها على الشكل التالي :

- إن تحليل المضمون يعني تقنية المضمون وبلورته ليتسنى وصفه وصفاً كمياً وكيفياً .
- هو أداة للملاحظة ، لكنها ليست ملاحظة مباشرة لسلوك أفراد ، أو جماعات من خلال مقابلتهم ، والحصول منهم على إجابات معينة ، وإنما هي ملاحظة غير مباشرة ، تقتصر على تحليل مضامين المادة الاتصالية للحصول على استنتاجات صحيحة ، وذات صلة بفروض الدراسة .
- إن التحليل يتناول الخصائص اللغوية ، والرمزية للمادة الاتصالية في شكل مصطلحات ، تخضع للضبط الدقيق ، وأنه يسعى لتحويل المضمون إلى مادة قابلة للتلخيص والمقارنة والقياس الكمي ، وتحليل المضمون يقوم على أساس تكرارات ورود هذه الخصائص بطريقة نظامية .
- يسعى الباحث إلى عمل تصنيف كمي يقسم بمقتضاه المضمون موضوع التحليل إلى فئات محددة استناداً إلى قواعد محددة واضحة[3].

ففي هذه الدراسة ، حيث التخصص لا يمكن فيه الاستغناء عن منهج تحليل المحتوى ، إذ يعتبر أساسياً وضرورياً في نفس الوقت ، لأنه لا يمكن الوصول إلى التحليل للمعطيات الكمية ، ولا يمكن القيام بوصف تحليلي دون اللجوء إلى

---

[1] عبد الغفار رشاد القصيبي : **مناهج البحث في علم السياسة** ، منشورات جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص : 143 .

[2] Omar AKTOUF : **Méthodologie des Sciences sociales et approche qualitative des organisations, une introduction à la démarche classique et une critique,** Les presses de l'Université du Québec, Montréal, Canada, 1987, P : 112.

[3] بلقاسم سلاطنية ، حسان الجيلاني : **أسس المناهج الاجتماعية** ، ط 01 ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص : 56 .

تحليل مادة العملية الاتصالية مع أئمة وخطباء المساجد ، حيث كانت الاستبيان بالمقابلة فيه الكثير من المعطيات غير موجودة في مختلف الأسئلة ، أضف إليها الأسئلة المفتوحة التي تنوعت فيها المعطيات ، وفي كثير من الأحيان ما كان يلجأ المبحوث إلى الحديث بإسهاب دون تدوين ذلك على أوراق الاستبيان ، وكلها معطيات تتطلب تحليلها (تحليل المضمون) .

فالاحتكاك المباشر مع أئمة المساجد المدروسة ، والنقاش المتنوع والمتعدد حول موضوع الأطروحة ، شرح الأسئلة المبهمة أو غير الواضحة في الاستبيان ، وأداء الصلوات أثناء مدة الدراسة الميدانية أعطتنا صورة وساعدتنا كثيراً في تحليل المعطيات وتفسيرها واستنتاج النتائج وفق تساؤلات الإشكالية ، وذلك وفق قواعد المنهاج المتعارف عليها في علم الاجتماع ، أو في مختلف البحوث والدراسات السوسيولوجية .

ثالثاً : المنهج الكمي .

فالمنهج الكمي أو الإحصائي يستند على استخدام الطرق الرقمية والرياضية في معالجة وتحليل البيانات والمعطيات ، وإعطاء التفسيرات والتحليلات التي يراها مناسبة حسب الواقع الاجتماعي وحسب المنطق المناسب ، حيث يرى الأستاذ عامر قنديلجي أن هذا المنهج يمر بأربع مراحل أساسية ورئيسية تم عبر جمع الأرقام والبيانات الإحصائية ، أي تجميع البيانات الرقمية المطلوبة عن الموضوع كمرحلة أولى تليها تنظيم تلك البيانات والأرقام وتبويبها وعرضها بشكل منظم في جداول إحصائية كمرحلة ثانية ، وتأتي عملية تحليل البيانات ، وتوضيح العلاقات الموجودة بين المتغيرات والارتباطات المتداخلة بين عناصر البحث كمرحلة ثالثة ، وأخيراً تفسير البيانات ، ويتم ذلك عن طريق استخدام ما تعنيه الأرقام التي تم تجميعها من نتائج وتفسيرات[1].

ويصلح في حالنا هذه ، استعمال المنهج الإحصائي الذي يعتمد على الاستدلال أو الاستقراء ، حيث يعتمد الباحث فيه « على اختيار نموذج أو عيّنة من مجتمع أكبر ، وتحليل وتفسير البيانات الرقمية المجمعة عنها ، والوصول إلى تعميمات واستدلالات على ما هو أوسع وأكبر من المجتمع الأصلي المعني بالبحث »[2]، أو الدراسة ، حيث يقوم هذا المنهج على معرفة ما تعنيه تلك الأرقام والنسب وما تخفيه تلك الإحصائيات ، ومعرفة دلالاتها السوسيولوجية ، وذلك أكثر من مجرد وصفها وتفسيرها أو حتى مجرد شرحها ، أي أن العملية ترتكز على جمع وتنظيم وتلخيص وتقديم وتحليل البيانات ، والقيام بتقارير واستنتاجات واضحة ومفيدة .

ففي هذه الدراسة ، لا يمكن أن نقدم شرحاً أو تفسيراً وافياً للأرقام المتوفرة لدينا من عملية تفريغ الجداول الإحصائية ، ولا يمكن قراءة النسب التي تم حسابها بعد عملية جمع البيانات من الاستبيان بالمقابلة المقدم إلى عيّنة الدراسة ، ما لم نستعمل الاستدلال ، أي القيام بقراءة سوسيولوجية لهذه النسب ، وهذه الأرقام حسب المحاور المحددة في الاستبيان ، وبما يخدم فرضيات الدراسة ويجيب عن تساؤلات الإشكالية .

---

[1] فريد كامل أو زينة وآخرون : **مناهج البحث العلمي ، طرق البحث النوعي ،** ط 02 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، 2007 ، ص : 122 .

[2] عامر قنديلجي : **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات ،** ط 01 ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1999، ص : 123 .

ومهما يكن من الخلفيات التي لفت أو كانت مع إجابات المبحوثين ، فإن قراءة مختلف النسب المتحصل عليها كانت لها قراءة سوسيولوجية ، ولها إسقاطات سوسيودينية ، تنوعت بين موارب ، مخالف ومتخذ موقف الحياد من الخطاب الديني المنتهج في المساجد الجزائرية ، رغم التنوع الكبير الذي عرفته الإجابات عن تساؤلاتنا في شكلها غير الرسمي ، وتوحدها وتناسقها في أوراق الاستمارة ــ الاستبيان ــ وحين استعمال المسجلة ، فكثير من الأئمة تعذر عن تسجيل آرائه وإجاباته لما وضعنا أمامه جهاز التسجيل ، لكنه تحدث بكل أريحية عندما استجبنا لطلبه بعدم التسجيل .

رابعاً : المنهج الوصفي .

« يستخدم المنهج الوصفي في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها ، أشكالها ، علاقاتها ، والعوامل المؤثرة في ذلك ، وهذا يعني أن المنهج الوصفي يهتم بدراسة حاضر الظواهر والأحداث بعكس المنهج التاريخي الذي يدرس الماضي ، مع ملاحظة أن المنهج الوصفي يشمل في كثير من الأحيان على عمليات تنبؤ لمستقبل الظواهر والأحداث التي يدرسها »[1].

فارتبط ويرتبط المنهج الوصفي بالدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ نشأته وظهوره ، حيث يقوم هذا المنهج « على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات ، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون ، والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتفسيره »[2]. ولا يتوقف المنهج الوصفي عند حد الوصف ، بل يتعدى ذلك إلى التحليل وسبر أغوار البيانات والمعلومات والمعطيات لاستخلاص نتائج جديدة تساهم في تراكم وتقدم المعرفة الإنسانية .

فلم نكتف بالوصف من أجل الوصف ، لأن المنهج الوصفي « أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة ، أو موضوع محدد ، أو فترة ، أو فترات زمنية معلومة ، وذلك من أجل الحصول إلى نتائج علمية تتسم بالدقة ، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية ، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة »[3]. فعملية الوصف هذه ، كانت بعد القراءة المتأنية والمعمقة للمعطيات المتوفرة أمامنا ، سواء من خلال استعمال الملاحظة المعمقة وغير المباشرة ، أو من خلال المقابلات المتتالية مع المسؤولين عن المساجد والأئمة ، أي بالوصاية ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف أو بمديريات الشؤون الدينية والأوقاف بالولايات الثلاث التي تم اختيارها في الدراسة (الجزائر العاصمة ، وهران وقسنطينة) .

وخلاصة هذا التقديم ، فنحن أمام استخدام لعدد من المناهج ، أو ما يسمى بالتعددية المنهجية التي نتجت عن ظهور « الاتجاهات الفينومونولوجية والبنائية في علم الاجتماع ... فهُم لا يملكون منهجاً واحداً بعينه ، وأن النجاح العلمي الحقيقي يتطلب عدم الخضوع ــ خضوع العبد ــ لمنهج بحثي واحد ، بل إنه يتطلب عوضاً عن ذلك نوعاً من

---

[1] ربحي مصطفى عليان ، عثمان محمد غنيم : **مناهج وأساليب البحث العلمي ، النظرية والتطبيق ،** ط 01 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2000 ، ص : 42 .

[2] نفس المرجع ، ص : 43 .

[3] رجاء وحيد دويدري : **البحث العلمي ، أساسياته النظرية وممارسته العلمية ،** ط 01 ، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 2000 ، ص : 194 .

الفوضى المعرفية »[1]، والتي تحاول الاستفادة قدر المستطاع من مختلف المناهج المتوفرة في الحقل المعرفي ، أين تتراكم لدى الباحث بواسطة هذه المناهج كماً هائلاً من المعلومات التي تسمح له بالتبحر والغوص في أعمال الموضوع محل الدراسة أو البحث .

المبحث الثالث : التقنيات المستعملة في الدراسة .

أولاً : تعريف التقنيات .

التقنيات هي مختلف الوسائل التي تمكّن الباحث من الحصول على البيانات من مجتمع البحث وتصنيفها وجدولتها ، ويتوقف اختيار الأداة اللازمة لجمع البيانات على عدة عوامل ، فبعض أدوات البحث تصلح في بعض المواقف والبحوث ، بينما قد لا تكون مناسبة في غيرها[2]. وهي كذلك حسب الأستاذ فريد الأنصاري :« الأدوات ، والإجراءات العملية ، التي تستعمل في تنفيذ المنهجية ، من بدايات البحث حتى نهايته ... فهي إذن عملية (تحقيق مناط) ، أي تنزيل (الضوابط) والقواعد النظرية على الميدان العملي ، لبناء البحث ولوازم ذلك »[3]. وقد يشمل البحث عدة أدوات تتناسب مع طبيعة الدراسة ، وتتفق مع المناهج المستخدمة ، « فاستخدام أكثر من وسيلة واحدة لتجميع البيانات قد يكون أمراً مرغوباً فيه ، وذلك للتقليل من التحيز والحصول على معلومات كافية ، مع ضرورة تدريب الباحث على كيفية استخدام هذه الوسائل ، والتعرف على مدى ثباتها وصحتها وموضوعيتها »[4].

ولكي يصل الباحث أو الدارس إلى مرحلة اختبار الفروض وتحقيقها ، لا بد أن يمر بمرحلة اختيار وتحديد وسيلة أو تقنيات جمع البيانات ، « فهي ــ أي التقنيات ــ ليست مرتبطة بمقاربة مفضلة بالنسبة للباحث ، وليست مرتبطة بموضوع البحث فقط »[5]، فهي ترتبط أساساً بطبيعة الموضوع المدروس والإشكالية المطروحة ، وأي دراسة وبحث ومهما كان نوعها تسير في ترابط بين هذه الثلاثية : موضوع البحث ، الإشكالية أو المقاربة النظرية ، ثم التقنيات المستعملة لجمع المعلومات وتحليلها ، حيث تسمح هذه الثلاثية في التعمق المستمر والتدقيق في الحقائق المتوصل إليها شيئاً فشيئاً .

ولطبيعة الموضوع الذي نقوم بدراسته ، حاولنا الاستعانة بأكثر من تقنية من تقنيات البحث المعروفة ، بداية بالملاحظة ، أي الملاحظة بدون مشاركة ، وذلك من خلال أداء الصلاة والبقاء مع الأئمة في مقصورة المسجد ، إلى الاستبيان ــ الاستمارة ــ كتقنية مرافقة وموجهة للمقابلة مع الأئمة ، فالاستمارة أو الاستبيان بالمقابلة هو التقنية الأساسية لجمع المعطيات . فكان الهدف من الاستبيان بالمقابلة هو التوسع أكثر في الموضوع وإيجاد إجابات حول مختلف

---

(1) جوردون مارشال : **موسوعة علم الاجتماع ،** ط 02 ، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2007 ، ص : 381 .

(2) محمد شفيق : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 112 .

(3) فريد الأنصاري : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 172 .

(4) أحمد بدر : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 334 – 335 .

(5) Pierre MONGEAU: **Réaliser son Mémoire ou sa Thèse,** Presses de l'Université du Québec, CANADA, 2008, P : 37.

الأسئلة التي تخدم الموضوع . أما الأسئلة المغلقة الموجودة في الاستبيان ، فكان من أجل تحديد إجابات عينة الدراسة حتى لا تتعدد الإجابات ، وهو يخدم حصر الموضوع ، وأخيراً استعمال الوثائق المتوفرة من طرف الوصاية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف أو مديريات الشؤون الدينية والأوقاف على مستوى الولايات الثلاث) ، وذلك حول المساجد والأئمة ، وهي الوثائق التي استعنا بها في تحليل المعطيات وإيجاد بعض الخلفيات لبعض الإجابات .

ثانياً : التقنيات المستعملة .

1 ــ الملاحظة بدون مشاركة :

تعتبر الملاحظة إحدى الإستراتيجيات البحثية الرئيسية ، التي تهدف إلى التوصل إلى معرفة عميقة لمجال من مجالات الدراسة . ونظرا لطبيعة موضوعنا اعتمدنا على الملاحظة بدون مشاركة ، هذه الأخيرة التي تعرف كأسلوب بحثي يلاحظ فيه الباحث مفردات بحثه دون أن يشارك بفعالية في الموقف موضوع البحث . وفيها يقوم الباحث بملاحظة الجماعة دون مشاركتها في أنشطتها ودون إثارة اهتمام المبحوثين ، ويكون الاتصال بأعضاء الجماعة مباشراً دون شعورهم بأنهم تحت الملاحظة المباشرة[1].

ونعني بها في هذه الأطروحة أو الدراسة كل مشاهدة لا تعتمد إلا على الحواس العادية للمشاهد ، أو « كل تفاعل وتبادل المعلومات بين شخصين أو أكثر ، أحدهما الباحث والآخر المستجيب أو المبحوث لجمع معلومات محددة حول موضوع معين ، ويلاحظ الباحث أثناءها ردود فعل المبحوث »[2]، وذلك « لما تتيحه من فرصة التعرف على السلوك الفعلي للفرد في صورته الطبيعية التلقائية كما هو في الواقع »[3].

أما عن كيفية الاستعانة بهذه الطريقة ، فقد لجأنا إليها من خلال الوقوف على ملاحظة سير وتسيير هذا القطاع الهام والمهم ، سواء تعلق الأمر بالإدارة من خلال نشاط المدراء المركزين المكلفين من طرف الدولة ، والذين يسعون جاهدين إلى تطبيق إستراتيجية السلطة في هذا القطاع الحساس ، ونقصد مديرية التكوين وتحسين المستوى بمديرياتها الفرعية المختلفة ، أو المدراء الولائيين كممثلين للسلطة المركزية والمسؤولين المباشرين في إقليم الولاية عن القطاع ، ثم بعد ذلك ملاحظة تصرفات الأئمة المعنيين داخل المسجد من خلال تحركاتهم واتصالهم بالمصلين .

2 ــ المقابلة :

إن الأنثروبولوجيين الاجتماعيين المحدثين ، يوجهون اهتماماً كبيراً لتساند الجوانب المختلفة والنظم الاجتماعية والمجتمع موضوع الدراسة ، فلا يمكن لدراسة اجتماعية لظاهرة ما ، أن تكون متكاملة بدون بحث علاقة هذه الظاهرة بالبناء الاجتماعي الكلي ، كما أنه « لفهم الحياة الاجتماعية لجماعة ما ، لا بد من معرفة بيئتهم ، تاريخهم ، وطبيعة العلاقات التي تربطهم بأناس آخرين »[4].

---

[1] جمال إسماعيل الطحاوي : **مدخل إلى البحث الاجتماعي ،** دار التيسير للطباعة والنشر والتوزيع . المنيا ، مصر ، 1998 ، ص : 102 .

[2] ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 112 .

[3] محمد الجوهري ، عبد الله الخريجي : **طرق البحث الاجتماعي ،** دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1990 ، ص : 92 .

[4] عبد الله عبد الغني غانم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 117 .

فالمقابلة وسيلة يلتقي فيها الباحث والمبحوث وجها لوجه ، ويتبادلا الحوار والتفاعل اللفظي ، حيث يحصل فيها الباحث على البيانات والمعلومات التي يريدها عن طريق إلقاء عدد من الأسئلة التي يجيب عليها المبحوث مباشرة[1].

كما تتجلى أهمية المقابلة كون « القائم بالمقابلة يمكن أن يشرح الغرض من الدراسة ، ويمكن أن يشرح بوضوح أكثر المعلومات المحددة التي يريدها ... وإذا أساء المستجوب فهم أو تفسير السؤال فإن القائم بالمقابلة يمكن أن يوضح الأمر بسؤال آخر ... وفي نفس الوقت فإن القائم بالمقابلة يمكن أن يستشف ويقيّم إخلاص وعمق نظرة الشخص المستجوب كما يستطيع القائم بالمقابلة التحقق من إجابات الشخص المستجوب في مراحل المقابلة بسؤاله بعض الأسئلة الأخرى التي تفيد من التأكد من الإجابات المعطاة »[2].

لقد استعنا في بداية دراستنا هذه ، بما يسمى بالمقابلة غير المقننة أو المفتوحة (الحرة) ، والتي « فيها لا تكون الأسئلة موضوعة مسبقاً بل يطرح الباحث سؤالاً عاماً حول مشكلة البحث ، ومن خلال إجابة المبحوث يتسلسل في طرح الأسئلة الأخرى ... ويستخدم هذا النوع في المقابلات الاستطلاعية وعندما يكون الباحث غير ملم بالمشكلة أو الظاهرة وليست لديه خلفية كاملة حولها »[3]، أين يسأل الباحث أسئلة كثيرة مفتوحة ، على أمل أنه أثناء هذه المقابلة يمكنه أن يتوسع في تفهم الاستجابات الغامضة ، وعادة ما تكون الأسئلة عامة .

إذ يتميز هذا النوع من المقابلات بالمرونة وحرية التعبير ، لأنها ليست التقنية الأساسية التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة ، أي أن الهدف من هذه المقابلات التي تمت على مستوى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، أو في مديريات الشؤون الدينية والأوقاف في كل من الجزائر العاصمة ، وهران وقسنطينة ، كانت من أجل التبحر والإلمام الكامل بأركان الموضوع ، وكل الجزئيات المساهمة فيه ، من أعلى مستوى ــ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على المستوى الوطني ــ مروراً بالمسؤولين الولائيين بالمديريات ، ورؤساء المصالح الذين تم تكليفهم بمتابعتنا ومساعدتنا في اختيار المساجد والاتصال بالأئمة .

3 ــ الاستبيان (الاستمارة) :

يعتبر الاستبيان أو الاستمارة الطريقة الأكثر شيوعاً من بين التقنيات المستعملة في الدراسة والبحث في علم الاجتماع ، ويعود ذلك لكون الباحث من خلال الاستبيان يشجع المبحوث على الرد ، مثل الأسئلة المغلقة ، أو يجد المبحوث راحته من خلال الأسئلة المفتوحة ، وقبل البدء « في تصميم الاستبيان يجب على الباحث أن يحدد الغرض من البحث وخطته ومجاله . ثم تُوضع قائمة بالنقاط التي يجب أن يحتويها كل قسم من أقسام صحيفة الاستبيان ، وذلك لتحديد الأسئلة الخاصة بكل نقطة من هذه النقاط . ويجب أن تقسيم الأسئلة إلى مجموعات متناسقة لها عناوين فرعية . كما يجب أن تُعطى الأسئلة أرقاماً حتى يمكن الاستدلال على أي سؤال بسهولة »[4].

---

[1] محمد عوض العايدي : **إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية ، مع دراسة عن مناهج البحث ،** مركز الكتاب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 151 .

[2] أحمد بدر : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 339 .

[3] ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 104 .

[4] علي محمود إسلام الفار : **معجم علم الاجتماع (إنجليزي . عربي) ،** ط 02 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 2001 ، ص : 403 .

إن **الاستبيان بالمقابلة** هو التقنية الأساسية المستعملة في هذه الدراسة ، حيث مرَّ الاستبيان بعدّة مراحل حتى جاء في شكله النهائي المقدم إلى عيّنة البحث ، فبعد العملية الاستطلاعية ، وصياغته ، تم تجريبه على أئمة مساجد **بلدية المحمدية** بالمقاطعة الإدارية للدار البيضاء ، ولاية الجزائر . **سبع مساجد(*)**. للنظر في مدى ملاءمة الأسئلة وفهمها من طرف المبحوثين ، حيث أجرينا نوع من النقاش الودي (مقابلة غير رسمية) مع الأئمة المقصودين في سلك الأئمة (إمام أستاذ رئيسي**(**)**، إمام أستاذ وإمام مدرس) ، وطلبنا منهم إجراء التعليق عليها وبيان الأسئلة الغامضة أو غير المفهومة ، ومدى تغطية الاستبيان لموضوع الدراسة ، وحتى اقتراح أسئلة إضافية لم ترد في الوثيقة .

لقد أدى هذا الإجراء إلى تعديل الاستبيان بناء على هذه الاقتراحات والملاحظات وإخراجه في شكله الأخير والنهائي وتقديمه إلى عيّنة الدراسة ، كدليل لمقابلة بشكل جديد ، حيث قمنا بإجراء محادثات ونقاشات موسعة مع المبحوثين من خلال الإجابة على الاستبيان بحضورنا ، فكانت إجاباتهم ، وحتى استفساراتهم محل نقاش أدى في الكثير من المرات إلى إعادة صياغة الأسئلة بشكل آخر ، أو إعادة تحوير ، تغيير أو استبدال بعض الأسئلة حتى يتم فهم الفحوى من أسئلتنا ، والتي أفادتنا كثيراً في تحليل العديد من المعطيات .**(أنظر الملحق رقم 01)**

ثالثاً : الوثائق .

انطلاقاً من أهمية الوثائق بصفة عامة في مجال إثراء البحوث وجعلها أكثر مصداقية وعلمية ، فقد حظيت بمكانة خاصة واهتمام كبير من طرف الباحثين ، حيث « يستخدم الباحثون الوثائق أو المصادر المختلفة (المطبوعة وغير المطبوعة) التي تضم المعلومات ، وتقدم هذه الوثائق أو المصادر الكثير من المعلومات المهمة للباحث حول دراسته ، وخاصة في المراحل الأولى التي يسعى خلالها الباحث إلى تكوين خلفية نظرية عامة عن المشكلة وموضوع الدراسة »[1]، فهذه الوثائق توفر الكثير من المعلومات والإرشادات التي نحتاج إليها في فهم الموضوع ، ونستند عليها في شرح طريقة تسيير القطاع ومدى تطابق محتوى الوثائق مع الواقع المعاش .

لقد حاولنا الاستفادة من الوثائق الرسمية المقدمة إلينا من طرف المسؤولين في كل من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، والمدراء الولائيين في الولايات الثلاث المدروسة ، والتي تخص التعريف بالأئمة وكيفية تعيينهم ومتابعة حياتهم

(*) يعود اختيار مساجد بلدية المحمدية بالجزائر العاصمة ، كونها مقر الإقامة التي أقيم فيها ، وبالتالي ساعدتني على تحرير الاستبيان بتروي وبعد استفسار الأئمة ومحاولة إشراكهم في فهم الموضوع حتى يتسنى لهم إفادتنا ، من منطلق التجربة التي يعيشونها مع المصلين أو مع الجهات الوصية ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، والملاحظة المسجلة في هذه المساجد هو غياب الأنواع الأخرى من الأئمة حسب الترتيب الذي جاء به القانون الأساسي الجديد للوظيفة العمومية ، حيث وجدنا إمام واحد على المسجد هو المسؤول على تسييره .

(**) الملاحظة المسجلة فيما يخص رتبة إمام أستاذ رئيسي ، أنه يوجد واحد فقط في المساجد السبعة المتواجدة في إقليم بلدية المحمدية ، وهي نفس الملاحظة التي سجلناها في الجانب الميداني في الولايات الثلاث المدروسة ، حيث يعتبر هذا المنصب جديد بالنسبة للأئمة ، جاء مع القانون الأساسي للوظيفة العمومية ، فعينة البحث بها فقد ثمانية (08) أئمة لهم هذه الرتبة ، ويعود ذلك لأننا تركنا اختيار المساجد لمديري الشؤون الدينية والأوقاف ، بشرط أن يكون المسجد المختار إما المسجد الكبير للبلدية ، أو المسجد العتيق ، وكل هذا سوف نتطرق له بالتفصيل عند الحديث عن كيفية اختيار عيّنة الدراسة .

[1] ربحي مصطفى عليان ، عثمان محمد غنيم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 119 .

المهنية ، ومراقبة نشاطهم كموظفين أو إطارات تابعة للقطاع . فكانت معظم الوثائق عبارة عن نسخ لأعداد من الجريدة الرسمية أو تعليمات وتوجيهات التي تعتمد عليها الوصاية في تسيير شؤون المساجد ، وغيرها من الوثائق المتنوعة .

ومن بين الوثائق المهمة التي استعنا بها في دراستنا نذكر منها ما يلي :

1 ــ الجريدة الرسمية :

تعتبر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، هي الصحيفة أو الوثيقة المرجعية التي تصدر عن الحكومة بمفهومها الواسع ، أو تصدرها الدولة بمفهومها العام ، أي تصدرها الهيئة التنفيذية ممثلة في الجزائر برئاسة الجمهورية ، الوزارة الأولى أو مختلف الوزارات القطاعية المتعددة ، تتضمن القوانين والمراسيم والقرارات ، حيث تعتبر نافذة بمجرد صدورها في الجريدة الرسمية .

ويعود استعمالنا للجريدة الرسمية كونها تمثل السند القانوني أو المرجعية القانونية الرسمية ، التي ترجع إليها كل الأطراف لمعرفة الحدود والصلاحيات والمهام ، وكذا الامتيازات ومختلف الأمور المتعلقة خاصة بمنصب العمل المشغول في المسجد ، حيث تمت مطالعة كل المراسيم التنفيذية التي أصدرتها الدولة الجزائرية (رئاسة ووزارة أولى (الحكومة) والتي تخص وزارة الشؤون الدينية ، مثل : المرسوم التنفيذي رقم : 91 – 81 المؤرخ في 23 مارس 1991 ، والمتعلق ببناء المساجد وتنظيمها وتسييرها وتحديد وظيفتها ، المرسوم التنفيذي رقم : 91 – 114 المؤرخ في 27 أفريل 1991 والمتعلق بالقانون الأساسي الخاص بعمال قطاع الشؤون الدينية والأوقاف ، والمرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر 2008 ، والمتعلق بالقانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين إلى الأسلاك الخاصة بالشؤون الدينية والأوقاف وغيرها من الأعداد التي اطلعنا عليها ولم نستعملها في هذه الدراسة .

2 ــ المذكرات :

تعتبر المذكرة وثيقة إدارية داخلية تدرس أو تعالج قضية من القضايا المطروحة ، والتي يحاول من خلالها المسؤول عن هيئة أو قطاع إبلاغ الذين تحت مسؤوليته بما يستجد أو ما يريد الالتزام به وتطبقه للسير الحسن للإدارة أو القطاع . ففي الغالب هي تعبير كتابي أو رسالة إدارية يحاول من خلالها المسؤول تحديد المسؤوليات والحد من التجاوزات ، ومحاولة التسيير الفعال للقطاع المعني . فالمذكرة بصفة عامة وثيقة إدارية تستعمل في الغالب كوسيلة اتصال داخلي تصدر عن سلطة إدارية عليا تتضمن بعض التوجيهات أو التعليمات إلى المرؤوسين قصد التنفيذ ، أي أنها تستعمل لتوضيح وإلزام الإطارات التابعة لنفس القطاع بما يتطلب القيام به .

وهي نفس الصيغة التي تتخذها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، إذ تأخذ المذكرة الطابع الإداري أكثر منه طابع آخر ، تحاول من خلاله المديريات ــ سواء المديريات المركزية بالوزارة أو المديريات الولائية ــ تسيير القطاع من خلال دعوة الأئمة بالالتزام بأمر من الأمور من أجل التسيير الجيد ، وتفادي الدخول في مشاكل قد يسببها عدم الالتزام بمثل هذه المذكرات ، أو ما تحتويه من أمور وتوجيهات تأخذ طابع الإلزام في الكثير من المرات .

كما يعود استعمالنا لهذه المذكرات ، من باب رؤية مدى تأثير مثل هذه الوثائق الإدارية على سلوك الخطيب أو الإمام ، على اعتبار أن الخطاب الديني في هذه الدراسة هو كل النشاطات التي يقوم بها القائمون على المسجد ،

فالمذكرات تؤثر بطريقة أو بأخرى على تسيير المسجد ، وبالتالي تؤثر على مكونات الخطاب أو النشاط الذي يتم القيام به .

3 ــ التعليمات :

التعليمة كذلك من الوثائق الإدارية ، حيث تعتبر نصاً إدارياً داخلياً يصدره الرئيس إلى مرؤوسيه في صيغة توجيهات تأخذ الطابع الإلزامي والتوضيحي لتنفيذ نصوص قانونية ، أو الشروع في تطبيق أعمال معينة الهدف منها توحيد قراءة أو تأويل نص قانوني أو فكرة معينة ، وكذلك ضبط طريقة عمل موحدة في قضية من القضايا أو مواجه المشاكل التي تعترض تنفيذ النصوص أو إنجاز الأعمال المطلوبة .

ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف تستعمل التعليمات في العديد من الحالات ، فهي تستعملها لتوضيح القوانين التي تصدر في القطاع ، فتعمل على توضيحها ، حيث تهدف من خلالها إلى توحيد القراءة لهذه القوانين ، كما تستعملها لتوجيه الأئمة والإطارات الدينية في مختلف المواقع للتذكير بالمهام والواجبات ، وتستعملها في مناسبات بعينها لتوحيد الخطاب الموجه إلى أفراد المجتمع ، مثل التذكير بأهمية حدث وطني أو ديني يتطلب تناولها بنفس الطريقة ومن نفس وجهة النظر التي تسعى للحفاظ على وحدة الخطاب ووحدة المجتمع .

خلاصة الفصل :

لقد رأينا في هذا الفصل ، المقاربة النظرية للدراسة ، والتي سوف نعتمد عليها في تحليل المعطيات الميدانية ، وهي الاعتماد على الإبستيمولوجية أو المنهجية التي اقترحها محمد أركون في دراسة الظاهرة الدينية أو المجتمع الإسلامي بصفة عامة ، هذه الدراسة أو هذا النقد العلمي ، الذي حاول من خلاله أركون تناول العقل الإسلامي من منطلق معرفي إبستيمولوجي ، حيث لا يكتفي البحث بالعرض والوصف ، بل كذلك بالتحليل والنقد في إطار احترام حقائق الأشياء كما هي . كما يرجع اهتمامنا بفكر محمد أركون يعود لاهتمامه في البحث في الظاهرة الدينية ، حيث يؤدي إلى التنوع في وجهات النظر ، بل وحتى تناقضها ، أين يصب هذا الاهتمام في اتجاه من الاتجاهين ، فهو اتجاه بحث المؤمنين بديانة في شؤون ديانتهم ، والآخر البحث العلمي الوضعي ، الذي يسعى إلى الإحاطة بالظاهرة الدينية معتنقاً الاهتمام بالجانب النفسي أو الجانب التاريخي أو الجانب الاقتصاد أو الجانب المعرفي ، أي استعمال المناهج الحديثة التي تطبق آليات وأدوات العقل المستقل عن كل البديهيات والمسلمات التي تعرقل السير العادي للدراسة العلمية ، ولا تجعل العقل يقوم بقطيعة مع الواقع الاجتماعي الذي يحيا فيه ويتفاعل معه بصفة عادية .

أما في المبحث الثاني من هذا الفصل ، فكان حول المنهج الذي ينير طريق الدراسة ، لأن العلم لا يمكن أن يكون علماً إلا بالمنهج الذي يستخدمه ، فالعلم منهج قبل أن يكون موضوعاً أو مجموعة من المعارف والنظريات . فركزنا على ضرورة لجوء الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى استخدام في الدراسة الواحدة أكثر من منهج بهدف دراسة ظواهر سلوكية معينة يتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل بغرض فهمها أو تفسيرها أو التوصل إلى القوانين العامة التي تحكم أطرافها ، لأن العلم لا يكتفي بالوصف أو التقرير فقط ، بل يتعدى هذا إلى التفسير باستعمال الكثير من التقنيات التي كانت موضوع المبحث الثالث والأخير .

الفصل الثالث :

الدراسات السابقة

تمهيد .

المبحث الأول : الدراسـات باللغة العربية .

أولاً : دراسات خاصة بالموضوع .

ثانياً : دراسات متنوعة .

المبحث الثاني : الدراسـات باللغة الأجنبية .

أولاً : دراسات خاصة بالموضوع .

ثانياً : دراسات متنوعة .

خلاصة الفصل .

الفصل الثالث :

الدراسات السابقة

تمهيد :

يقصد بالدراسات السابقة ، « الدراسات والأبحاث التي جرت في المجال الذي يفكر فيه الباحث »[1] ، وتكمن أهميتها في « تزويد الباحث بالعديد من المراجع والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه ، حيث غالباً ما تحتوي تلك الدراسات على بعض التقارير الهامة والوثائق التي لم يطلع عليها الباحث بعد »[2] ، فأي دراسة علمية ، ومهما كانت درجتها ، تسعى إلى تحقيق معرفة حول موضوع أو ظاهرة معينة ، فلا بد على الدارس أن يعتمد في تحليله على قاعدة لنظرية أو معرفة سابقة له ، لاسيما إذا عرفنا أن عملية الدراسة هي عملية تراكم معرفي مستمرة ، أي أن الطرح العلمي يسعى دائما إلى إيجاد الأرضية أو القاعدة المعرفية اللازمة في عملية عرض مسألة أو إشكالية الدراسة و فروضها[3].

فتناول الخطاب الديني بمختلف أشكاله وأبعاده ، يفرض علينا الإطلاع على مختلف الدراسات السابقة التي حاولت التطرق إلى نفس الموضوع ولو بأشكال مختلفة ، سواء كان طرحها سوسيولوجي ، سياسي أو حتى طرح عقائدي إيديولوجي يُبيّن أثر الخطاب الديني في حياة الأفراد داخل المجتمع الواحد .

لقد قمنا في هذا الفصل بإدراج أهم الدراسات السابقة ، التي توفرت لدينا ، والتي تناولت الخطاب الديني ، قسمناها إلى دراسات باللغة العربية وأخرى باللغة الأجنبية ، وكل منهما مقسم إلى نوعين من الدراسات ، الدراسات الخاصة بالموضوع ، أي التي تحدثت مباشرة عن الخطاب الديني ، من مكوناته وحتى نقده ، مثل : الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال أو نقد الخطاب الديني . ثم قدمنّا دراسات متنوعة تحدثت عن الخطاب بصفة عامة ، أو أخذت ــ هذه الدراسات ــ الطابع الفكري ، أو الإيديولوجي أو غيرها ، فاختصرنا على دراستين هما : القرآن والسلطان والخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية .

أما بالنسبة للدراسات الأجنبية فكانت متنوعة كذلك ، ما بين كُتب ومقالات في مجلاّت تم تقديمها بعد القيام بعملية الترجمة ــ وهي عملية مضنية جداً ــ أخذت منّا الكثير من الوقت ، مثل : فعالية وإشكالية الخطاب الديني عند جون لادرير ، وضعية المجتمع المعاصر اتجاه الخطاب الديني ، الخطاب الديني في الكتاب المدرسي الجزائري ، وغيرها ، والتي سوف نتطرق إليها بنوع من الشرح والتفصيل في هذا الفصل .

والجدير بالذكر كملاحظة منهجية ، فالترتيب الذي قدمت به هذه الدراسات أو الكتب ليس له أي خلفية تفضيلية ، فالتفضيل الوحيد هو عملية توفر هذه الكتب وقراءتها والقيام بعملية تلخيصها وتسجيل عليها بعض الملاحظات ، فبمجرد الانتهاء من هذه العملية ، نقوم بعملية الرقن ... وهكذا دواليك .

---

[1] محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي : **البحث العلمي ، الدليل التطبيقي للباحثين ،** ط 01 ، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2002 ، ص : 93 .

[2] نفس المرجع ، ص : 93 .

[3] محمد إسماعيل قباري : **مناهج البحث في علم الاجتماع ، مواقف واتجاهات معاصرة ،** منشأة المعارف بالإسكندرية ، الإسكندرية ، مصر ، 1982 ، ص : 12 .

المبحث الأول : الدراسـات باللغة العربية

أولاً : دراسات خاصة بالموضوع :

01 ــ الخطاب الديني ، بين التجديد الإسلامي ... والتبديد الأمريكاني ، للدكتور محمد عمارة .

كتاب محمد عمارة يسلط الضوء على الوقت المعاش أو العصر الحديث والمعاصر للخطاب الديني ، فينطلق من تحليله للخطاب الديني من أحداث 11 سبتمبر 2001 ، وما تبعها من إعلان للولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإرهاب ، حيث يعتبر الكاتب أن هذه الحرب هي معلنة في الحقيقة على الإسلام ، وعلى الخطاب الديني للإسلام ، فيقول :« منذ إعلان الإدارة الأمريكية ، الممثلة (للمحافظين الجدد) المتحالفين مع (المسيحية الصهيونية) و(اللوبي الصهيوني) منذ إعلانها الحرب على الإسلام ــ الذي سمته (إرهاباً) ــ وعلى أمته وعالمه ، عقب قارعة 11 سبتمبر 2001 كانت جبهة (الخطاب الديني الإسلامي) في المساجد ... والمدارس ... والفكر ... والثقافة ... والإعلام ... واحدة من الجبهات الرئيسية لهذه الحرب المعلنة على الإسلام »[1].

وللتطرق إلى كيفية تجديد الخطاب الديني الإسلامي ومن ثم تسليط الضوء على كيفية تبديد القوى الصليبية والغربية لهذا الخطاب ، قام الكاتب بتقسيم الكتاب إلى مجموعة من النقاط ، استهلها بمقدمات ثلاث ، حاول فيها أن يتحدث عن حقيقة تجديد الخطاب الديني وكيفية القيام بذلك .

ففي المقدمة الأولى يقول :« التجديد في الفكر الإسلامي ولهذا الفكر الإسلامي ، ليس مجرد أمر مشروع وجائز ومقبول ، وليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم على أهل الذكر والاختصاص من علماء الإسلام ... وإنما هو سنة وضرورة وقانون ، وبدون التجديد ــ الدائم والمستمر ــ للفكر والفقه والخطاب الإسلامي ، تحدث فجوة بين الشريعة الإسلامية ــ التي هي وضع إلهي ثابت ــ وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع ــ المتغير والمتطور دائماً وأبداً ــ الأمر الذي لو ساد الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي يفضي إلى (انفلات) الواقع المتطور من حاكمية الشريعة الثابتة ، فيكون العجز عن أن تظل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ومكان ، فتغيب حجة الله على عباده ، وهدايته لخلقه ، بعد أن ختمت الشرائع السماوية بشريعة الإسلام »[2].

أما المقدمة الثانية من الكاتب ، فيرى فيها أن الخطاب الديني تأثر منذ الاحتكاك العنيف بين ديار الإسلام والغزو الاستعماري ، الذي يحاول كل مرة أن يتجدد لنهب ثورات المنطقة واستغلالها بمختلف الأشكال والطرق ، فاستجد للأمة الإسلامية باعث جديد لتجديد خطابهم الديني وتجديد افقه الواقع والأحكام . بالمقابل فالغزوة الغربية الحديثة تميزت بالفكر الذي جاء ليحتل العقل فواجهه أعلام التجديد ، حيث وجد علماء هذه المدرسة « أن تجديد الفكر والفقه والخطاب الإسلامي ، أصبح أكثر ضرورة وأشد إلحاحاً ، لأنه هو السبيل لتقديم (البديل الإسلامي) ،

---

[1] محمد عمارة : **الخطاب الديني ، بين التجديد الإسلامي ... والتبديد الأمريكاني ،** ط 02 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ، مايو 2007 ، ص : 05 .

[2] نفس المرجع ، ص : 07 .

الصالح لتلبية احتياجات ومتطلبات مستجدات الواقع الجديد ، حتى يمتلئ الفضاء الإسلامي بالبديل الإسلامي ، فيزول الفراغ الذي صنعه الجمود والتقليد ، والذي يسعى إلى التغريب الوضعي العلماني لملئه والتمدد فيه »[1].

أما في المقدمة الثالثة ، فيقدم لنا الكاتب أنواع الخطاب الديني الإسلامي ، حيث يقول :« الخطاب الديني ، في أي أمة من الأمم وحضارة من الحضارات ودين من الأديان وثقافة من الثقافات ، يستحيل أن يكون خطاباً واحداً وإنما هو ــ دائماً وأبداً ــ عدد من الخطابات ... حدث هذا حتى في الفضاءات الفكرية التي عرفت السلطة الدينية المتفردة ، والكهانة المتحكمة »[2]. وهذه الحقيقة ، حقيقة تنوع وتعدد الخطاب الديني ، حيث نجدها أكثر بروزاً وتجسيداً في فضاء الإسلام السني ، حيث لا بابوية ولا كهانة ولا عصمة لعالم دين ولا لمؤسسة من مؤسسات العلم الديني ... فالعصمة فقط للأمة ... والفتوى غير ملزمة ... واجتهاد المجتهد غير ملزم لمجتهد آخر .

يذكر صاحب الكتاب أربع أنواع للخطاب الديني الإسلامي وهي :

1 ــ خطاب الوسطية الإسلامية .

2 ــ الخطاب الصوفي .

3 ــ الخطاب النصوصي .

4 ــ خطاب الغضب والرفض والعنف .

يختم الكتاب بالعديد من التساؤلات حول الخلفية الحقيقية لهذه الحملة التي توجه ضد الخطاب الديني ، ولماذا لا توجه إلى خطابات دينية عنيفة ومتشددة وانتقائية عنصرية ضد كل الجنس البشري ، فيقول :« أين هي كتابات الحداثيين والمتغربين ومؤتمراتهم ــ الممولة من الغرب ــ عن تحديد هذه الخطابات الدينية ؟!. بل ، ولما يصمت هؤلاء صمت القبور عن الخطاب الديني العنصري لليهودية التلمودية ، التي جعلت من العنصر اليهودي وحده شعباً مختاراً لله ومقدساً فوق جميع الشعوب ، ودون كل الشعوب ، ليأكل هؤلاء اليهود كل الشعوب أكلاً !... ويبيدونهم ويهلكونهم هم وكل مقومات الحياة التي لديهم . وهي عنصرية تعدت حدود (الخطاب) لتضعها الصهيونية في الممارسة والتطبيق على أرض فلسطين ، في حماية وحراسة الغرب وخطاباته الدينية (المسيحية ــ الصهيونية) ، في القرن الواحد والعشرين »[3].

02 ــ تجديد الخطاب الإسلامي ، الرؤى والمضامين ، الدكتور : عبد الكريم بكار .

يعتبر كتاب الدكتور عبد الكريم بكار الجزء الثاني من كتابه في تجديد الخطاب الديني ، حيث جاء الجزء الأول للحديث عن سمات الخطاب الإسلامي المأمول والمرتقب على صعيد الشكل ، حيث اهتم بهندسة الرسالة الموجهة إلى الجماهير ، ومتطلبات قبولها وتأثيرها . أما الجزء الثاني الذي بين أيدينا فخصصه إلى محتوى أو مضمون الرسالة أو الخطاب الذي يستخدم في تطوير الجماهير ومحاولة الانتقال بها من حال إلى حال أطيب وأكرم ، أي إرشاد المسلمين إلى

---

[1] محمد عمارة : **الخطاب ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 10 .

[2] نفس المرجع ، ص : 13 .

[3] نفس المرجع ، ص : 48 .

تحسين أوضاعهم الشخصية والعامة . ويصرح منذ البداية بأنها مهمة شاقة وصعبة ، حيث يقول :« وتنبع مشقة هذه المهمة من أننا في المجال الإصلاحي نتعامل مع صور ذهنية ورموز ومصطلحات غائمة ؛ إذ أننا حين نشرح للناس أبعاد أزمة من الأزمات أو وضعية من الوضعيات ، فإننا نشرح لهم صوراً ذهنية ، نعتقد أنهم يملكونها ، ويتفاعلون معها »[1].

وللوصول إلى تحقيق أهداف الكتاب ، قسمه إلى مجموعة من النقاط ، فبعد تقديم الكتاب والهدف منه ، تحدث عن الخطاب الإسلامي ، أي محاولة تعريفه ، ليربط بين هذا الخطاب وأحداث الحادي عشر سبتمبر ، وإسقاطاتها على واقع العالم الإسلامي والإسلام بحد ذاته ، ليصل إلى محاولة التعريف بالمسلمين والإسلام من خلال الإجابة على السؤال (من نحن ؟) .

وللإجابة على السؤال يحاول الحديث عن مفهوم فقه الأزمة في الخطاب الديني ، وتحديد معالمها ليعرف كيف يتم الإصلاح ، حيث يتطلب معرفة المفاهيم والشروط التي تقود إلى الإصلاح المطلوب ، والذي ينشده كل مسلم في هذا العالم .

- **حول الخطاب الإسلامي :**

الخطاب الديني الإسلامي هو عين الفكر الإسلامي الذي نجسده في الواقع الاجتماعي برسالة ، والرسالة « قد تكون خطبة أو درساً أو كتاباً أو رواية أو مسرحية أو قصيدة ... وهذا التجسيد ، يضعنا مباشرة أمام ثنائية (الشكل والمضمون) »[2]. أين سمحت للكاتب من تناول العديد من المسائل المتعلقة ببيئة الخطاب الإسلامي ومختلف قراءات الخطابات الأخرى ، من مختلف الجوانب ، سواء أوجه الاختلاف أو أوجه التلاقي ، حيث لا ينفي وجود الكثير من الأمور المشتركة بين مختلف أنواع الخطابات مع الخطاب الإسلامي .

- **الخطاب الإسلامي وأحداث 11 سبتمبر :**

يقول صاحب الكتاب :« تشكل أحداث الحادي عشر أيلول (سبتمبر) تاريخاً فاصلاً أو بداية لتاريخ جديد . ذلك أن الحادثة مست كبرياء أمريكا حين استهدفت منشآت عسكرية واقتصادية عملاقة من قبل جهة ليست في قوة أمريكا ، لكن التعامل معها صعب والتحكم بها شديد الصعوبة ... الخطاب الإسلامي من جهته اضطرب تجاه رد الفعل المطلوب على تلك الأحداث . وأنا أشعر أنه لعدم امتلاكنا ما يكفي من الوضوح لرؤية ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين المسلمين وبين الدول الكبرى ... أقول بسبب ذلك فقد وجد السواد الأعظم من المسلمين خاصتهم وعامتهم في أحداث (11 أيلول) فرصة للشماتة بأمريكا وفرصة للانتقام من الجرائم التي ارتكبتها بسبب تحالفها مع اليهود »[3].

- **في فقه الأزمة :**

يقدم الكاتب عرضاً طويلاً للأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية ويعيشها الخطاب الإسلامي ، وهو يحاول الإجابة عن سؤال كبير انطلق منه ، عن عدد الأزمات التي تتخبط فيها الأمة ، وعن طريقة الإجابة التي لا تخلو من الغموض والالتباس ، ومن بين ملامح أزمة الأمة ، والتي يراها الكاتب كذلك ملامح أزمة الخطاب الإسلامي نحاول تلخيصها في

---

[1] عبد الكريم البكار : **تجديد الخطاب الإسلامي ، الرؤى والمضامين** ، ط 01 ، العبيكان مكتبات ونشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2006 ، ص : 05 .

[2] نفس المرجع ، ص : 07 .

[3] نفس المرجع ، ص : 31 .

عدد من النقاط حاول الاستفاضة فيها وشرحها بما يمكن القارئ من فهم معالم الخطاب الديني وطريقة تعامله مع الأزمات التي يعيشها أو يتخبط فيها .

- **الخطاب الثقافي ، الأخلاقي ، الاجتماعي والسياسي :**

في الجانب الثقافي يرى الكاتب أن ثقافة أي أمة سلاح ذو حدين ، فقد تكون أداة للدفع نحو الأمام ، أو أداة جذب نحو الخلف ، ومهمة المثقف أن يركز الأضواء على هذا وذاك . وهي ليست بالمهمة السهلة ، حيث المشهد الثقافي متداخل . فلا بد على الفرد المسلم أن يكون على وعي بجوهر العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الظواهر الاجتماعية ، لأن هذا الوعي يشكل شرطاً أساسياً لفهم الحراك الاجتماعي ، وشرطاً رئيسياً لمعالجة المشاكل والأزمات الاجتماعية ، لأن الدراسات الاجتماعية في ساحة الصحوة ضعيفة ، والمهتمون ببلورة فلسفة اجتماعية ذات توجه إسلامي قليلون ، وهذا ما يجعل معالجة المشاكل الاجتماعية غير فعالة ولا تستطيع تغيير الواقع .

03 ــ خطابنا الإسلامي في عصر العولمة . للدكتور يوسف القرضاوي .

وهو كتاب قيّم ليوسف القرضاوي ، عميد المنهج الوسطي المعتدل ، حيث يقول عن نفسه :« وأود أن أنبه هنا على حقيقة ناصعة لا ريب فيها ، وهي : أن خطابنا الإسلامي . بحمد الله تعالى . منذ نحو أربعين سنة أو تزيد (أي منذ سنة 1960 ، تاريخ طبع أول كتاب له : الحلال والحرام في الإسلام) : هو هو ، لم يتغير ولم يتبدل . منذ أن هدانا الله بفضله وتوفيقه ، إلى اختيار (منهج الوسطية) ، وهو المنهج الذي رأيته معبراً عن الإسلام الحق ، وعن منهج الأمة التي مدحها الله بقوله : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ [1]، وحقيقته : إقامة الوزن بالقسط في الأمور كلها »[2]. فخطاب الدكتور ليس وليد أحداث بعينها أو تحت تأثير أي معطى مثل : أحداث 11 سبتمبر 2001 ، فهو مقتبس من العديد والكثير من الكتابات التي أثرى بها المكتبة الإسلامية .

لقد جاء الكتاب في مقدمة وثلاثة عنوانين رئيسية أو أساسية وخاتمة ، فجاءت النقطة الأولى بعنوان : الخطاب الديني في عصر العولمة ، ثم منهج الخطاب الديني كما رسمه القرآن ، وآخر نقطة تحدث فيها عن خصائص الخطاب الإسلامي في عصر العولمة ، وهي جملة الخصائص التي يرى بأنها ضرورية ، وتميز الخطاب الديني عن غيره من الخطابات المتنوعة مثل : خطاب الغلو والتشديد أو خطاب التسيب والانفلات ، فهي تيارات تشتمل على تيارين كلاهما أشد خطراً من الآخر : تيار الغلو والتشديد والتنطع ، الذي يريد أن يضيق على الأمة ما وسع الله لها . ويعسر عليها ما يسر الله ، وأن يعادي العالم كله ، ويقاتل الناس جميعاً ، ولو سالموا المسلمين ، ولا يتسامح مع مخالف له ، مسلماً أو غير مسلم . وتيار الانفلات والتسيب ، الذي اتخذ إلهه هواه ، فلا يرجع على أصل ، ولا يتقيد بنص ، ولا يستند إلى إمام معتبر ، يرفض إتباع أئمة الإسلام ، والرضا بتقليد أئمة الغرب ، يستمد منهم ويعتمد عليهم .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى معالم الخطاب الديني ، والذي اقتبسنا منها في صياغة أحد مباحث الفصل الرابع من هذه الأطروحة . فمحور هذا الخطاب هو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، الخطيب بالنسبة للإسلام هو الداعية إلى الله ،

---

[1] سورة البقرة ، الآية رقم : 143 .

[2] يوسف القرضاوي : **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة** ، ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص : 12 .

وهو ما يحدده قوله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ بالتِي هي أَحْسَنْ** ﴾[1]، وقول تعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَبَعَنِي** ﴾[2].

وأهم نقطة في كتاب القرضاوي ، والتي توسع فيها بشكل كبير ، هو تبيان مختلف خصائص الخطاب الديني ، حيث ذكر خمسة عشر خاصية ، من منطلق أن الخطاب الإسلامي ينبغي له أن يراعي مكان المخاطبين والمدعوين ، وزمانهم وظروفهم ، ويخاطب كل قوم بلسانهم ليبيّن لهم ، ويجتهد في إفهامهم ، حيث يقول :« ينبغي أن يجمع هذا الخطاب الإسلامي المعاصر : عدّة خصائص أساسية ، تجعله قادراً على الوصول إلى الناس ، بحيث يقنع عقولهم بالحجة ويستميل قلوبهم بالموعظة ، ولا يحيد عن الحكمة ، ولا عن الحوار بالتي هي أحسن »[3].

ونذكر هذه الخصائص بعناوينها دون الشرح الذي قدمه لها ، وهي :

1 ــ يؤمن بالله ولا يكفر بالإنسان .

2 ــ يؤمن بالوحي ولا يغيّب العقل .

3 ــ يدعو إلى الروحانية ولا يهمل المادية .

4 ــ يعتني بالعبادات الشعائرية ولا يغفل القيم الأخلاقية .

5 ــ يدعو إلى الاعتزاز بالعقيدة وإشاعة التسامح والحب .

6 ــ يغري بالمثال ولا يتجاهل الواقع .

7 ــ يدعو إلى الجد والاستقامة ولا ينسى اللهو والترويح .

8 ــ يتبنى العالمية ولا يغفل المحلية .

9 ــ يحرص على المعاصرة ويتمسك بالأصالة .

10 ــ يستشرف المستقبل ولا يتنكر للماضي .

11 ــ يتبنى التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة .

12 ــ ينادي بالاجتهاد ولا يتعدى الثوابت .

13 ــ ينكر الإرهاب الممنوع ويؤيد الجهاد المشروع .

14 ــ ينصف المرأة ولا يجور على الرجل .

15 ــ يحفظ حقوق الأقلية ولا يحيف على الأكثرية .

---

[1] سورة النحل ، الآية رقم : 125 .

[2] سورة يوسف ، الآية رقم : 108 .

[3] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 54 .

04 ــ القرآن ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ،

للدكتور : محمد أركون .

يقول محمد أركون :« لقد شرعت في تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيميائيات لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي . ونشرت عام 1970 البحث الأول بعنوان (كيف نقرأ القرآن) كمقدمة لترجمة كازيميرسكي للقرآن (نشر : Garnier, Flammarion) . وجمعت البحوث التي صدرت بين عامي 1970 و1982 في كتاب عنوانه (قراءات في القرآن) ... وسيجد القارئ في هذا الكتاب ثلاثة فصول مختارة من ذلك الكتاب (قراءة سورة الفاتحة ، وقراءة سورة الكهف ، واحتجاج المشركين وأهل الكتاب على قضية التنزيل أو : موقف المشركين من ظاهرة الوحي) . ثم أضفت فصلاً آخر لم ينشر بعد عن المكانة المعرفية والوظيفة المعيارية للوحي »[1].

فالدكتور في هذا الكتاب يركز على نقطتين أساسيتين هما :« أولا ما يجب على القارئ أن يتزود به من تكوين علمي والإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير والنقد الإبستمولوجي ، وثانياً أن يتدرب القارئ على التمييز بين الاحتجاج والإدراك والتأويل والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي الدوغمائي ، وبين التحليل والتفكيك للخطاب الديني . فهذان شيئان مختلفان . فتحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لتقديم معانيه (الصحيحة) وإبطال التفاسير الموروثة ، بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته (الخطاب النبوي) »[2].

فالخطاب الديني ، حسب الدكتور يجب أن يتخلص من الثنائية التي يعيشها حتى يحقق ما يصبوا إليه ، أي سوف يتخلص الاعتقاد الديني بصفة عامة من الازدواجية الثنائية المؤثرة على الفرد والمجتمع ، تلك الازدواجية المتمثلة في الوظيفة الشعائرية للدين أو كما يقول (النص المقدس) ، الذي يتلى بصوت مسموع ، وبين الوظيفة المعيارية للنص المكتوب . فهذه « الازدواجية الثنائية المعاشة في الحياة اليومية ، والتي تقف بمنأى عن كل نقد ، يحيلنا في الواقع إلى الذرى المختلفة جداً للتجربة الحميمية مع الإلهي . وهي تجربة مقادة وممارسة من قِبَلِ كل ذات إنسانية من جهة ، ومن قِبَلِ السلطة السياسية التي تحاول إضفاء المشروعية على قوانينها القانونية بواسطة استخدام السيادة العليا المتعالية من جهة أخرى »[3].

في إطار فكري معقد بجملة من المفاهيم التي اعترف الدكتور بحد ذاته بصعوبة فهمها يواصل في تحديد مختلف المعوقات والعراقيل الموروثة التي تقف اليوم أمام الخطاب الديني بالمفهوم الحديث ، إذ أن المسلمين اليوم يتخبطون في جملة من النقاشات التجريدية ، وفوضى معنوية معممة عن طريق تدفق ذاتيات الخطيب الموجهة إلى القراء أو المخاطبين في العالم الإسلامي ، كما لا يزال التخبط حاصل في النقاشات الدائرة حول سيادة إرادات القوة والهيمنة لهذا الخطاب أو ذاك . ويعني به الخطاب البسيط ، المتواضع ، التساؤلي والباحث باستمرار عن المعنى من أجل تجاوز آثار هذه المعاني المختلفة .

---

[1] محمد أركون : **القرآن ، من التفسير ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 05 .

[2] نفس المرجع ، ص : 05 .

[3] نفس المرجع ، ص : 58 – 59 .

وهذا قد يؤدي في سياقات اجتماعية ثقافية ولغوية عديدة إلى تكاثر الفوضى المعنوية والتفسير الفوضوي ، وهو ما يعترف به أركون ، حيث يقول :« وكل الأساتذة المحاضرين المعتادين على التوجه إلى جمهور عديد ومتنوع يعرفون مدى هذه العقبات التي هي إبستيمولوجية وسياسية واجتماعية في آن معاً . وهي عقبات تقف في وجه كل تواصل ناجح بين المحاضر والجمهور أو تعرقله ، أقصد التواصل الناجح حول القضايا التي أثيرها هنا انطلاقاً من تجربتي الشخصية كأستاذ ومحاضر »[1].

فهو يرى أن المسلم والمؤمن ، وبصفة المخاطَب أو المتلقي ينتظر من الخطاب الديني والملقي أو المخاطِب أن يقدم له محاولة لاستخلاص المعنى الحقيقي ، أو تأسيس الإطار المعرفي الذي يتكفل ببلورة الأحكام الأخلاقية ، القانونية الفقهية والروحية والسياسية . فيقول الدكتور محمد أركون :« هنا أيضاً ينبثق صراع آخر ، فالمؤمن ينتظر منّا أن نقدم له هذا المعنى الحقيقي ، بل ويطالب به بشكل قطعي . لماذا ؟ لأن هذا المعنى هو الذي يضيء له كل وجوده الشخصي وكل تصرفاته داخل الطائفة وفي مواجهة العالم . كما ويوجه تصرفاته ويحقق له الآمان والاطمئنان »[2].

هذا السؤال يعتبر بالنسبة للكاتب هدفاً أساسياً يقود إلى اتخاذ العديد من القرارات يراها ضرورية ، نوردها باختصار وتصرف على الشكل التالي :

1 ــ الجدلية الصراعية القائمة بين المؤمنين والكفار ، أو بين القابلين والمعارضين ، يجب أن يتم دراستها دراسة تاريخية وليس دراسة غيبية لاهوتية كما يحصل في السابق .

2 ــ الشيء المهم في رجل التاريخ ، أي التحري التاريخي كما يسميه الكاتب هو تحديد نمط معين من أنماط المعرفة أو طريقة من طرق إدراك الزمن الواقع ، ثم تحديد شبكة معينة من شبكات التواصل ، أي الخطاب ، وخاصة الخطاب الديني ، وهذا هو الشيء الأكثر أهمية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار مُكتسبات التاريخ الخارجي .

3 ــ الفكر الحديث قضى على إشكالية الكتاب السماوي المقدس مع النظرة إلى العالم والممارسات الشعائرية والأخلاقية والسياسية التي تنطوي إليه ، لكن الفكر الحديث لم يقم حتى الآن بتقييم الوظيفة النفسانية الاجتماعية الثقافية التي تلعبها هذه الإشكالية في مجتمعات (الكتاب المقدس) . ومن وجهة النظر هذه ، فإن مسألة موقف المعارضين لظاهرة الوحي لا تحتاج فقط إلى القيام بتفحص تاريخي صرف ، وإنما ينبغي أن نطرحها بكل أبعادها خارج نطاق كل غاية تبجيلية . فهذا هو الشرط الذي لا بد منه لكي نتتبع المسارات العميقة للوعي الإسلامي داخل العالم المعاصر .

05 ــ نقد الخطاب الديني للدكتور : نصر حامد أو زيد .

فالكاتب يقدم الطريقة المثلى لنقد الخطاب الديني ، والتي تعتمد على التحليل النقدي القائم على أساس التفرقة الواضحة بين الفكر الديني والدين ، التفرقة بين النصوص وبين فهم هذه النصوص وعملية تأويلها ، حيث تسعى هذه

---

[1] محمد أركون : **القرآن ، من التفسير ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 55 .

[2] نفس المرجع ، ص : 55 .

التفرقة إلى فهم موضوعي للنصوص لا إلى إلغائها ، وبالتالي إحالة الدين إلى مكانه الصحيح في الحياة والمجتمع ، وفي سلوك الأفراد وعاداتهم وأخلاقهم .

لقد جاء الكتاب في ثلاثة فصول رئيسية ، فالفصل الأول بعنوان : الخطاب الديني المعاصر آلياته ومنطلقاته الفكرية ، تحدث فيه عن آليات الخطاب الديني ، والتي جعلها خمس آليات ــ سوف نتطرق لها في فصل خاص من هذه الدراسة بالنقد والدراسة والتحليل ــ ، ثم المنطلقات الفكرية ، وهي الحاكمية والنص . بينما خصص الفصل الثاني للحديث عن التراث بين التأويل والتلوين ، حيث بيّن كيف يتم التأويل بعد تعريفه لغة واصطلاحاً ، وركز كثيراً على عملية التلوين التي تقوم بها القراءات الحديثة للخطاب الديني ، وبيّن كذلك القراءة الصحيحة أو المنتجة ، ليدافع عن مشروعه اليسار الإسلامي وأولويات الخطاب الديني ، مبرزاً ما يحوم حول التراث الإسلامي من مشاكل تحت مجموعة من النقاط ، مثل : التراث بناء شعوري أم بناء تاريخي ، والتراث إعادة بناء أم إعادة طلاء . ليختم بالفصل الثالث بعنوان : قراءة النصوص الدينية دراسات استكشافية لأنماط الدلالة .

يعتبر حامد أبو زيد أن القراءة المغرضة لا تأويل لها إلا في الإيديولوجيا ، لهذا يقول :« إن تفرقة القدماء بين نمطين من التأويل أحدهما مقبول والآخر مذموم يمكن أن تمثل ــ بعد نفي أساسها الإيديولوجي وتأصيل أساسها الإبستيمولوجي ــ أساساً طيّباً لتفرقتنا هنا بين التأويل والتلوين »[1]، لأن التعامل مع النصوص أو تأويلها ، خاصة النصوص التراثية ، تنطلق حسب الكاتب من زاويتين ؛ أحدهما زاوية التاريخ بالمعنى السوسيولوجي ، من أجل وضع النصوص في سياقها التاريخي حتى نتمكن من استخراج أو استكشاف الدلالات الأصلية ، أما الثانية فهي السياق الثقافي الاجتماعي الراهن الذي يمثل الدافع نحو التأويل ، أو كما يقول :" أو بالأحرى إعادة تأويل تلك النصوص ، وذلك من أجل التفرقة بين الدلالة الأصلية التاريخية وبين المغزى الذي يمكن استنباطه من تلك الدلالة »[2].

أما فيما يخص العلاقة بين الماضي (التراث) والحاضر ، فيرى الكاتب أنها لا تخضع لفروض وتصورات البحث والدراسة والشروط الأولية لعملية الفهم ، حيث يرى أن تصور الفكر الديني يقوم على اعتبار الماضي هو الأساس والحاضر يجب أن يشاكله ، وإذ ابتعد الحاضر عن الماضي صار منحرفاً وجاهلاً وضالاً ، حيث يسعى الخطاب الديني السلفي إلى إعادة صياغة الحاضر وفقاً لصورة الماضي ، ويعتمد على آليات ذهنية ذات طبيعة ديماغوجية يتحول فيها المفكر السلفي إلى ما يشبه بعض أنبياء العهد القديم يصب اللعنات على الناس والمجتمع . فتحديد هذه العلاقة يتم من خلال تحديد القيم التراثية التي لها تأثير على المجتمع ، والتي يختزنها وعي الجماهير وليس تلوين الحاضر ببعض صور الماضي وإهدار دور العقل وخلطه بالوجدان والعواطف ، وهي قيّم سلبية تنتقل من التراث بطريقة معقدة ، يرى الكاتب أنه يعاد صياغتها طبقاً للقوى المسيطرة على حركة الواقع والموجهة لثقافته .

فالكاتب يفرق بين الدين وقداسته ، حيث الدين هو مجموع النصوص المقدسة والثابتة تاريخياً ، وبين الفكر الديني ، ومن ثم الخطاب الديني الذي يعتبره الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالاتها ، حيث تكون هذه الاجتهادات والدلالات مختلفة من شخص لآخر ، كما تختلف من عصر لآخر ، وبين مكان وآخر

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 142 .

[2] نفس المرجع ، ص : 143 .

وبين زمان وزمان ، وحتى بين واقع اجتماعي وواقع اجتماعي آخر . كما يضيف إلى جانب ذلك ، وهو ينتقد الخطاب الديني والفكر الديني في نفس السياق ، لأنها من إنتاج البشر ، وفهمهم للنصوص التي تكتسي نوع من القداسة .

يقول الكاتب :« إن الخطاب الديني لا يعمد إلى إخفاء الأسئلة لأنه يجهلها ، بل لأن إثارتها تتناقض ومصالح القوى التي يعبر عنها ويساندها ... إن وقوف الخطاب الديني عند المعاني ينتهي في التحليل الأخير إلى الارتداد بالواقع وتجميد النصوص في الوقت نفسه ، وهي نتيجة لا يمكن أن يقر بها ، لأنها تفقده مبرر وجوده ذاته »[1]. فهو بذلك يصرح أن الخطاب الديني المعاصر يخفي الكثير من الأمور التي تهدد وجوده ووجود السلطة التي يساندها ، بل وتسيطر عليه وتوجهه حيث تريد .

ثانياً : دراسات متنوعة .

01 ــ القرآن والسلطان ، هموم إسلامية معاصرة ، للأستاذ : فهمي هويدي .

يعتبر كتاب الأستاذ : فهمي هويدي ، من أكثر الكتب مرجعية ، إذ يعتبر ميثاق تعتمد عليه الحركات الإسلامية والمسلمين في العصر الحديث في وضع مناهج وخطط عملها ، وطريقة تعاملها مع مختلف القضايا المعاصرة والمحدثة التي تتقاطع مع معطيات الدين الإسلامي بالمفهوم الحركي .

لقد جاء الكتاب في ستة فصول متنوعة ، ومكونات هذه الفصول هي مجموعة من المقالات التي كتبها الأستاذ في مجلة العربي الكويتية ، إذ يقول :« وللأمانة أقول إن فكرة الكتاب لم تكن واردة في البداية . فقد كان شاغلي الأول أن أناقش على صفحات مجلة (العربي) الكويتية تلك الهموم الحياتية التي يعاني منها المسلمون في الفكر والتطبيق . كنت استشعر بعضاً من تلك الهموم كمعايش لها وواحد من أبنائها . وكنت أقرأ بعضها في سطور الصحف وتصريحات (أولي الأمر) ، وفي ممارسات وخطابات الشباب الصاعد الحائر »[2]. ثم يضيف في نفس السياق بقوله :« كانت الخطابات تتوالى حاملة سؤالاً واحداً من قراء وإخوة أعتز بثقتهم ، وكان السؤال هو : لماذا لا تجمع هذه المقالات والأبحاث في كتاب ؟ »[3].

فجمع الأستاذ فهمي هويدي في كل فصل جملة من المقالات المترابطة ، والتي تهدف أو ترتبط وتحمل نفس الأفكار ، حيث جاء الفصل الأول تحت عنوان : (نقطة نظام) ، وضم سبع مقالات ، تشتمل على التفريق بين الدين والسياسة ، حيث يتساءل عن سبب تخلف المسلمين والسبب المؤدي إلى ذلك ، حيث يقول في هذا الصدد :« هل القرآن حقاً هو المسؤول عما أصابنا ؟ هل الإسلام هو المسؤول عن تخلف المسلمين ؟ في ظل القرآن انتصر المسلمون على الروم والفرس ، وهما القوتان الأعظم في الزمن القديم . وفي ظله عبر طلائع المسلمين إلى أوروبا ، وطرقوا أبواب روما وفيينا . وحملوا مشاعل النور والمعرفة إلى ذلك العالم (المتخلف) »[4].

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 225 .

[2] فهمي هويدي : **القرآن والسلطان ، هموم إسلامية معاصرة ،** ط 04 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1999 ، ص : 08 .

[3] نفس المرجع ، ص : 09 .

[4] نفس المرجع ، ص : 15 .

وهو بهذه المقالات ، يحاول تحديد الإطار العام للخطاب الديني (الإسلامي) ، والعوامل المؤثرة فيه ، إذ يجعل من لب هذا الخطاب وأصله القرآن الكريم المنزل على نبي الرحمة ، وسنته الشارحة لما جاء في هذا الكتاب ، فيقول الأستاذ :« وإن كان لي أن أضيف هنا فإنني أقول بغير تردد أن (حالنا) الذي بلغناه هو من مسؤولية السلطان لا القرآن . وإننا نستطيع فعلا أن ننتصر بالقرآن ، كما أننا نستطيع أن ننتحر بالقرآن . المهم هو ما نختاره ونقرره نحن . ما نُعِّد أنفسنا من أجله . ما نسعى جادين لتحقيقه . وتلك مسؤولية (السلطان) بالدرجة الأولى ، ليس فرداً واحداً أعني ولكنه كل من يمارس (سلطاناً) سياسياً أو فكرياً في الأمة . كل الذين بيدهم مفاتيح الحل والعقد »[1].

ثم جاء الفصل الثاني تحت عنوان (المسلمون والآخرون) ، ضمّ خمس مقالات ، بيّن فيها العلاقة بين المسلم والعالم الخارجي ، وكيف هو حالها وكيف ينبغي أن تكون عليه . وجمع فيها العديد من الإرشادات والملاحظات والتوجيهات للفرد المسلم ، بدءاً بشرح الواقع ومختلف العوامل المؤثرة فيه وصولاً إلى الاقتراحات التي زيّنها بالدليل القرآني في الكثير من المرات . أما الفصل الثالث فكان بعنوان (الشريعة المفترى عليها)، وجمع هذا الفصل ثلاث مقالات ، تساءل فيها عن كيفية تطبيق الشريعة ، انطلاقاً من التنبيه إلى تهمة تطبيق الشريعة بالقوة ، في مقال الدين والسكين ، ثم جملة من التساؤلات حول تطبيق الشريعة الإسلامية ، حيث يوضح أن الهدف الأساس هو إقامة مجتمع إسلامي حقيقي ثابت الدعائم والأركان ، تضرب جذوره في أعماق الناس ، لا مجتمع إسلامي وهمي ، ليس فيه من الإسلام إلا كلام مكتوب على اللافتات أو في الصحف وهياكل هشة تعصف بها أي ريح .

أما في الفصل الرابع ، (الدين والسياسة) ، فهو إسقاط للعنوان الكبير للكتاب ، السلطان والقرآن ، حيث ضمّ هذا الفصل أربع مقالات تدور حول إشكالية الدين والسياسة والعلاقة بين الدين والسلطان أو الحكم . بدأ الفصل بالمقالة الإبليسية التي تتحدث في فصل الدين عن الدولة ، حيث تظل القضية بحاجة إلى مناقشة ، سواء لما يقوله أهل السياسة من عزل للدين وتحدد إقامته في المساجد والجوامع وأماكن العبادة ، أو حصر نطاقه في العبادات بصيغتها التقليدية . أو التوجه مع ما يقوله أكثر (رجال الدين) ... من دعوة إلى إلغاء الحدود وإسقاط الضوابط واعتبار أن المعرفة بالفقه تقود تلقائياً وبالضرورة إلى إتقان علوم الإدارة والسياسة والاقتصاد والفلك .

ثم الفصل الخامس بعنوان (كلام في العدل) ، وضم هو كذلك أربع مقالات ، إلى الحديث عن قضية مهمة في حياة المجتمع بصفة عامة ، حيث يعتبر أن صلب الشريعة هي العدل ، والمنطلقات ومقاصد الشريعة الإسلامية التي تصب في اتجاه واحد هو تحقيق العدالة الاجتماعية ، حيث يقول :« إذا بحثنا إلى ترجمة تطبيقية وتلخيصاً وافياً في كلمة واحدة لكل ما أتت به الشريعة ، فلن نجد لهذه الترجمة ولا لذلك التلخيص الوافي إلا كلمة : (العدل) . ذلك لأنه إذا كان التوحيد هو عماد العقيدة ، فإن العدل هو عماد الشريعة . ولن يتوفر التطبيق الإسلامي الحق ما لم يستند إلى هاتين الدعامتين جنباً إلى جنب . فضلاً عن أن الارتكاز على إحداهما دون الأخرى لن يثمر إلا مسيرة عوجاء لا يستقيم بها التطبيق الإسلامي بأي حال . ولعلي لا أبالغ إذ قلت إن أبرز التطبيقات التي ترتدي عباءة الإسلام في عالمنا العربي الآن تنشغل بقضية التوحيد بأكثر من انشغالها بقضية العدل »[2].

---

[1] فهمي هويدي : **القرآن و... مرجع سبق ذكره ،** ص : 17 .

[2] نفس المرجع ، ص : 157 .

أما الفصل السادس والأخير فجاء بعنوان (قراءة في فكر رافض) ، حيث ضمّ فيه ست مقالات ، وهو الفصل الذي جاء على شكل نقد وتحليل الواقع الإسلامي المعاصر وكيفية الوصول إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ودعائم هذا التطبيق ، فقد ركز على العناصر الواجب توفرها في حركية وخطاب الفرد المسلم حتى يصل إلى تحقيق أهداف الرسالة السماوية ، من حيث هي دين ودنيا ، منطلق في تحليله من ضرورة التبشير بالخير ورفض التبشير بالألم والخوف .

02 ــ الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية .

للدكتور : محمد عابد الجابري .

وهو كتاب قيّم حول الخطاب العربي الحديث والمعاصر للمفكر المغربي محمد عابد الجابري ، جاء في خمسة فصول ، في كل فصل نقطتان ، فجاء الفصل الأول بعنوان (الخطاب النهضوي) ، حيث أدرج فيه النهضة والسقوط ثم الأصالة والمعاصرة ، والفصل الثاني بعنوان (الخطاب السياسي) ، حيث تحدث فيه عن الدين والدولة ، ثم الديمقراطية والأهداف القومية ، ثم جاء الفصل الثالث بعنوان (الخطاب القومي) ، وتحدث فيه عن الوحدة والاشتراكية ، ثم الوحدة والتحرير فلسطين . أما الفصل الرابع فجاء بعنوان (الخطاب الفلسفي) ، حيث تطرق فيه إلى تأصيل فلسفة الماضي ، ثم كيفية الوصول إلى فلسفة عربية معاصرة ليختم الكتاب بفصل خامس وأخير بعنوان (خلاصات وآفاق) ، تحدث فيه عن الاستقلال التاريخي للذات العربية .

يقول الكاتب :« عرضنا في الفصول السابقة لأهم القضايا النهضوية والثورية التي عالجها الخطاب العربي الحديث والمعاصر ، خلال المائة سنة الماضية على تبلور اليقظة العربية الحديثة في أهداف سياسية واجتماعية وثقافية قومية . وكان هدفنا ، كما أكدنا ذلك مراراً ، ليس إعادة بناء هذا الخطاب بصورة من الصور ، بل إبراز ضعفه وتشخيص عيوبه وثغراته ، واستجلاء لصورة (العقل العربي) من خلاله ، ولذلك عرضناه مفككاً ، بل عمدنا إلى تفكيك ما تحاول الدراسات التي تعني ببلورة الاتجاهات الإيديولوجية ربطه وتركيبه »[1]، وهكذا تجنب اعتماد التصنيف الإيديولوجي أساساً ومنطلقاً ، وقام ببناء العرض على أصناف الخطاب وليس على التيارات الإيديولوجية .

فالكاتب من خلال هذه الفصول كلها يحاول التأكيد على غياب العلاقة بين الفكر والواقع والإيديولوجيا العربية المعاصرة ، أي أن الخطاب العربي الحديث والمعاصر لا يطرح قضايا الواقع الملموس ، بل قضايا تقع خارج الواقع ، قضايا مستعارة من نموذج السلف دائماً ، فالممارسة النظرية بالتالي تكون ممارسة كلامية في مفاهيم مجردة فارغة من كل محتوى واقعي تؤدي في الأخير إلى التعتيم والتضليل . فالخطاب العربي الحديث والمعاصر بحاجة إلى عملية تحرر ، تحرر أولا من الغرب عن طريق النقد الجدي والبناء الذي يتماشى مع العلم ويحرك النمو ، وبحاجة إلى تحرر من التراث ، أي امتلاكه ومن ثم تحقيقه وتجاوزه ، حيث يتم بإعادة بنائه وترتيب العلاقة بين أجزائه من جهة ، وبينه وبيننا من جهة أخرى بالشكل الذي يرد إليه في وعينا تاريخيته ويبرز نسبية مفاهيمه ومقولاته .

---

[1] محمد عابد الجابري : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 193 .

المبحث الثاني : الدراسـات باللغة الأجنبية .

أولاً : دراسات خاصة بالموضوع .

01 ــ وضعية المجتمع المعاصر اتجاه الخطاب الديني ، جون لويس لاروشال

- **Etat de la Société contemporaine face du Discours de la religion. Jean louis LAROCHELLE.**

النص عبارة عن مداخلة ألقاها جون لاروشال في ملتقى حول الخطاب الديني والعصرنة ، للإجابة على إشكالية انغلاق المجتمعات الغربية المعاصرة المتزايد حول الخطاب الديني والممارسات الدينية بصفة عامة ، المنظم من طرف المركز الثقافي المسيحي لمونتريال (كندا) يوم 13 أفريل 2013 ، حيث يؤكد صاحب المداخلة على أن أغلبية المحللين والباحثين والدارسين للمجتمعات الغربية توصلوا إلى أن ظاهرة الانغلاق حول الخطاب الديني في هذه المجتمعات في تزايد مستمر ، فمثلاً : في الكبيك (Québec) ، سجلت سنة 1955 توافد الجمهور على الكنيسة ــ مرة واحدة في الشهر على الأقل ــ بنسبة 90 % ، بينما أصبحت سنة 2010 في حدود نسبة 10 % .

فمن أجل توضيح مكانة الخطاب الديني في الوقت الحاضر ، وفي المستقبل ، يحاول جون لويس لاروشال إعطاء بعض المعالم المنهجية ، منها تطور المجتمعات الغربية منذ سنة 1945 ، وظروف مفهوم التعايش الاجتماعي ، ثم نظام الحماية الاجتماعية المعتمد منذ الحرب العالمية الثانية ، وظهور أو انفجار الإنتاجية المادية والتطورات العلمية المختلفة . فحسب علماء الاجتماع وحتى المؤرخون ، فالتطورات التي عرفتها المجتمعات الغربية ولدت نوع جديد من المجتمع ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث تكوّن هذا المجتمع من مواطن جديد يجد صعوبة كبيرة في هضم التفوق الرباني ، بالإضافة إلى أن غالبية أفراد المجتمع لا يولون اهتمام أو أهمية للنظرة الدينية ، ولا يعتقدون في دور المؤسسات الدينية التي تروج للخطاب الديني .

كما يرى علماء الاجتماع بوجود ثلاثة ظواهر اجتماعية ، تُعد أسباب رئيسية في قصور الخطاب الديني ، ونقص اهتمام المواطن الجديد بالعوامل والمؤسسات الدينية ، وهي :

- انفجار الإنتاجية المادية : حيث عرفت هذه المجتمعات إنتاجاً صناعياً وزراعياً جد وافر ، خاصة بعد سنة 1950 فزادت القدرة الإنتاجية أدت إلى بروز عالم استهلاكي لم يعرف له مثيل .
- ارتفاع المستوى التعليمي : حيث تضاعف عدد الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والدراسات في المجتمعات الغربية ، أين فرضت الحكومات على الفئات الشابة اكتساب تكوين متوسط على الأقل ، مع التشجيع والحث على مواصلة الدراسة في المستوى الجامعي . حتى بالنسبة للفئات العمالية (رجال ونساء) ، فعرفت فئات متعلمة نتجت عن هذا الارتفاع في المستوى التعليمي أو الدراسي . فكل هذا غيَّر من ذهنية الأشخاص ، فأصبح التعامل بأكثر عقلانية مع الواقع وأصبح الميل للنظرة العلمية في فهم ما يدور بهم . وهي نظرة تجاوزت التقاليد والأعراف وحتى الممارسات والسلوكات الدينية .
- الحماية الاجتماعية للأفراد : (التأمين الوجودي) ، فالتطورات التي عرفتها المجتمعات الغربية ، وزيادة الإنتاج والغنى المتزايد سمح للحكومات بوضع سياسة اجتماعية تضمن لأفراد المجتمع راتب متوسط الارتفاع ، منح عائلية

وتأمينات اجتماعية جديدة مثل : التأمين على البطالة ، الصحة ، العمل وحتى التأمين على الشيخوخة ، بالإضافة إلى منح لغير القادرين على العمل . هذه التحديات الاجتماعية وهذه الامتيازات حررت نسبة كبيرة من المواطنين ، حيث أصبح أفراد المجتمع ينعمون بحياة مؤمنة مادياً واقتصادياً ، وحياة اجتماعية مستقرة تؤمن لهم كل الحاجيات الأساسية للحياة .

في الجانب الثاني من محاضرة لاروشال يطرح هذا التساؤل :« إذا كانت هناك ظواهر حتمية أدت إلى ابتعاد وانغلاق الفرد للخطاب الديني ، فهل يوجد يا ترى على الأقل إشارات للانفتاح عليه ؟ »[1]. فرغم تدني نسبة التفاؤل بمستقبل الخطاب الديني ، فالكثير من علماء الاجتماع والباحثين في المجتمعات الغربية يؤكدون بأن الخطاب الديني سيحافظ على مكانة له في هذه المجتمعات ، ومن بين هؤلاء عالم الاجتماع روجينالد بيبي (Reginald BIBBY) ، الذي يرى بوجود الكثير من العوامل التي يحافظ بها الخطاب الديني على مكانته نذكر منها :

1 ــ عجز الخطاب العلمي في الإجابة على العديد من الأسئلة والانشغالات التي تشغل أفراد المجتمعات الغربية المعاصرة ، مثل : لماذا وجد العالم الذي نعيش فيه ؟ هل البشر موجود فوق هذه المعمورة نتيجة التطورات الطبيعية أم صدفة ؟ لماذا يوجد الشر ؟ هل المآسي جزء لا بد منه في التجربة البشرية ؟ هل موت الإنسان هو انتهاء للحياة ، أو بداية لحياة أخرى ؟

2 ــ تجارب الإنسان الحياتية ، وما يتم مواجهته من مآسي وفاجعات تعتبر من بين العوامل الأساسية للتفتح على الخطاب الديني ومسيرة البحث عن الجانب الروحي في الإنسان وعن سر ومفهوم الحياة الدينية . فالأستاذ المحاضر يخلص إلى أن أفراد المجتمعات الغربية سرعان ما يكتشفون أنه من دون التفتح على الحياة الروحية والدينية (عالم قدرة الإله) ، سيجدون أنفسهم في عالم لا معنى له .

3 ــ الخبرة والجمال ، حيث تأخذ الخبرة أشكالاً مختلفة ، يمكنها أن تتجلى في الفنون المتنوعة ، كما يمكنها أن تظهر من خلال العلاقات بين أفراد المجتمع وحتى في الطبيعة . فهذا النوع من الخبرات يفتح للفرد مجالاً يتعدى ما هو ملاحظ في الواقع (L' Observable) إلى الانبهار الذي يقود إلى الإحساس بوجود قوة روحانية أو ربانية بعيدة كل البُعد عن العالم المحسوس الذي يعرفه المجتمع الغربي المعاصر .

4 ــ من بين العوامل ، دخول أفراد المجتمعات الغربية المعاصرة في قراءات نقدية للمجتمعات الحالية ، فالنظام الاجتماعي يمرنهم أو يعودهم على انتقاد الأفكار والمبادئ التي يعيشها المجتمع ، فيؤمن بأن أحسن نظام اجتماعي هو النظام الذي يحقق الجدارة ، التنافس بين الأفراد ، الفردانية والاستهلاكية . أما النظام الاجتماعي الذي يحتوي على المتاعب ، المآسي ، اللا عدالة واللا إنسانية ، فهو نظام يجب دراسته والقيام بنقده أو حتى كسره عن طريق المفكرون الكبار ، الجماعات غير المقيدة ، أو حتى عن طريق المؤسسات الثقافية والدينية التي يمكنها أن تفكر ، تحلل ثم تعمل وتؤثر في المجتمع .

---

[1] Jean louis LAROCHELLE: **Etat de la Société contemporaine face du Discours de la religion,** Une conférence présentée le 13 Avril 2013, dans le cadre de la seconde édition du Colloque Lonergan sous le thème Discours religieux et modernité, Québec, 2013, P: 07.

02 ــ الخطاب الديني في الكتاب المدرسي الجزائري لمادة التربية الإسلامية في الطور الثانوي ، جيلالي المستاري .

- **Le Discours religieux des Manuels Scolaires Algériens de l'éducation Islamique dans le cycle Secondaire . Djilali El MESTARI**

النص عبارة عن مقال في مجلة تريما (Tréma) ، وهي مجلة محكمة تصدرها أكاديمية مونبولي Montpellier للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، في عددها رقم 35 – 36 لسنة 2011 ، خصصه لدراسة وضعية الخطاب الديني في الكتاب المدرسي الخاص بمادة التربية الإسلامية في الطور الثانوي ، حيث ركز على الوسائل البيداغوجية المفتاحية للنظام التربوي الجزائري بصفة عامة ، مع التركيز على التربية الإسلامية كحامل للخطاب الديني في المدرسة الجزائرية ، ومن بين النقاط الأساسية التي ركز عليها الأستاذ المستاري نذكرها فيما يلي :

1 . الإطار الإيديولوجي لبرنامج العلوم الإسلامية :

يدخل برنامج العلوم الإسلامية ضمن إطار المبادئ التأسيسية التي تحدد دور المدرسة الجزائرية ، هذه المبادئ تشكل إطاراً إيديولوجياً ، ويُعد المرجع الأساس للمنظومة التربوية ، كما يثبت الخطاب الديني الأساسيات الواجب زرعها في تلاميذ الطور الثانوي . وتأخذ هذه المبادئ ثلاثة أبعاد أساسية وهي :

- البُعد الوطني ومرجعيات الهوية المتمثلة في الإسلام ، اللغة العربية والأمازيغية .
- البُعد الديمقراطي مع مقترحه المتعلق بتساوي الفرص بين كل المواطنين بغض النظر عن أصولهم الجغرافية أو الوضعية الاجتماعية ، كذلك مع ضرورة إدماج التمرن في الأقسام .
- البُعد العالمي ، والذي من شأنه أن يدعم ثقافة علمية ، تقنية وأدبية تشجع على التفتح على العالم وتكوّن الروح النقدية ، وهذا ما يسمح للتلاميذ من الاستعمال الإيجابي لمختلف العلوم . (القانون التوجيهي للمنظومة التربوية الوطنية الصادر بتاريخ 27 جانفي 2008 ، المادة 02) .

يؤكد المستاري على أن المنظومة التربوية مطالبة بالتأقلم مع الأحداث والمستجدات التي يعرفها العالم ، ونشر القيّم الجديدة ، مثل : الديمقراطية والحريات الفردية والتضامن الاجتماعي . كما يذكر بأن هذه المنظومة ، خاصة في البرامج المخصصة لفرع العلوم الإسلامية أخذت بعين الاعتبار العديد من المفاهيم ، مثل : العولمة ، وسائل الإعلام الجديدة للإعلام والاتصال ، الثورة العلمية والتكنولوجية . (القانون التوجيهي للمنظومة التربوية الوطنية الصادر بتاريخ 27 جانفي 2008 ، المادة 05 – 06) .

2 . المواضيع المتناولة في الكتاب المدرسي :

لقد تناولت مختلف كتب الطور الابتدائي العديد من المواضيع ، ولعل أهمها ، الخضوع لطاعة الوالدين واحترام الأفراد الأكبر سناً وحب الوطن ، ثم تم إدماج مادة التربية المدنية من أجل غرس بعض القيّم الأخلاقية في التلاميذ . لكن كتب الطور الثانوي . محل الدراسة أو المقال ، فقد ركزت على تناول مواضيع أخرى ، مثل : الفروض الدينية التي تساهم في ترويض التلاميذ وغرس فيهم الالتزام بالتربية الدينية المستوحاة من الشريعة الإسلامية . هذه المواضيع تتكرر من السنة الأولى حتى النهائي ، ولكن من زوايا مختلفة .

يؤكد صاحب المقال أن الانشغال الأول والأخير للبيداغوجيين ، هو كيفية غرس وإدماج بعض القيَّم العالمية والإنسانية في نظام القيّم الإسلامية .

3 . خصائص الخطاب الديني في الكتاب المدرسي[1]:

يذكر صاحب المقال ، بأنه توجد نقطتان أساسيتان يمكن الاستدلال بهما على الخطاب الديني الموجود في الكتاب المدرسي ، وهما :

- الملاحظ في الكتاب المدرسي ، أنه يتضمن على خطابات دينية مماثلة للخطابات التي تقدمها المؤسسات الدينية التقليدية ، مثل : جامعات الشريعة الإسلامية أو المعاهد الدينية لتكوين الإطارات الدينية والزوايا التي تدرس العلوم الإسلامية الكلاسيكية المستوحاة من القرآن والسنة .
- الملاحظ في الكتاب المدرسي ، أنه يحتوي على خطاب ديني جديد لا يمكن تصنيفه ضمن محتويات العلوم الإسلامية التقليدية .

وبناء على هذا التحليل يخلص كاتب المقال إلى تحديد معاينتين اثنتين ، هما : أن الخطاب الديني معبئ للهوية ، وأنه كذلك خطاب ازدواجي انتقائي .

1 . خطاب معبئ للهوية :

فالكتب الثلاثة لفرع العلوم الإسلامية للطور الثانوي تعطي صورة عن الدين ، بأنه كامل وشامل لكل شيء ، كما تبينه بأنه مربوط ترابطاً شديداً مع الواقع الاجتماعي الحالي ، ويتعايش مع ظروف تطور العالم . فهذه الكتب ترسم صورة بأن الإسلام كفيل وحده بحل المشاكل الفردية والعائلية والاقتصادية والاجتماعية ، يساهم في التنمية ويتعايش مع كل الديانات والثقافات الأخرى . كما يحتوي على كل القيّم الناتجة عن الخبرة البشرية . فهذه الطريقة تساهم هذه الكتب الثلاث في زرع ونشر المبادئ والقيّم الدينية وتدافع عن الهوية الوطنية والثقافية .

2 . خطاب ديني ازدواجي وانتقائي[2]:

يرى كاتب المقال بأن الخطاب الديني في الكتاب المدرسي الجزائري يظهر نوع من الازدواجية والانتقائية ، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الإسلام مع الديانات الأخرى . ففي العديد من الفصول تؤكد هذه الكتب على التحلي بالأخلاق الحميدة ، الإخاء بين المسلمين ومع غير المسلمين ، التسامح ، احترام حقوق الغير . كما تنص على السلام والوحدة ، لكن في نفس الوقت يجد كاتب المقال توجهاً معاكساً لهذه المعاني ، وفي ذات الخطاب ، مثل : قراءته لعنوان في كتاب السنة الثانية ثانوي (الغزو الثقافي وخطورته على المجتمعات) ، وهو درس ــ حسب الكاتب ــ يُعلم الطالب بأن في تقاليد الديانات الأخرى ــ خاصة التوحيدية أو ما يسميه أحادية الإله ــ (المسيحية واليهودية) يوجد هناك خطر يهدد المجتمعات الإسلامية والمسلمين .

---

(1) Djilali El-MESTARI : **« Le Discours religieux des manuels scolaires algérien de l'éducation islamique dans le cycle secondaire», Tréma,** IUFM de l'académie de Montpellier, N° 35 – 36, Montpellier, France, 2011, P : 74.

(2) Ibid, P : 75.

03 ــ فعالية وإشكالية الخطاب الديني عند جون لادريار ، كريستوف مابونغو .

- **Performativité et Problématique du Discours Religieux chez Jean LADRIERE. Christophe MABOUNGOU**

وهي عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الماستر 01 ، من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة بيار منداس (Université Pierre Mendès) بفرنسا ، تحت إشراف : دونيس فارنونت (Denis VERNANT) ، خلال السنة الدراسية 2009 – 2010 ، قسمها إلى قسمين ، حيث خصص فيها القسم الأول لإشكالية الخطاب الديني وأطرافه المختلفة ، ضم فيها العديد من النقاط ، منها مشكل المناهج والتيارات المعتمدة في تفسير الخطاب الديني وتحليل مفهوم الفعالية(*) . أما القسم الثاني فخصصه النظرية التفسيرية للخطاب الديني مع تعاقب وتعدد المعاني ، حاول فيه تسليط الضوء على الخطاب الديني ، ودراسة صياغة المفاهيم المستعملة في الخطاب الديني ومشكل الحقيقة في هذا الخطاب ، ليخلص إلى النتائج العامة مركزاً على تفسير لادريار للخطاب الديني من خلال جملة من النقاط ، وهو ما سوف نلخصه في النقاط التالية :

1 . القسم الأول : إشكالية الخطاب الديني وأطرافه المختلفة :

أ . مشكل المناهج :

- **منهج النظرية التفسيرية :** لقد اعتبرت منذ زمن بعيد ، النظرية التفسيرية بأنها نظرية فن التفسير ، وهي تستعمل أساساً في تفسير نصوص الكتب السماوية المقدسة واستنباط النصوص القانونية منها ، دراسة علم اللغات من الجانب التاريخي ، الصيغ اللغوية وكذلك تفسير التشريعات والنصوص القانونية . ومع التطور الذي عرفته مختلف الحقول العلمية ، تطورت النظرية التفسيرية وأصبحت تستعمل في المجالات المذكورة سابقاً ، لكن بطريقة أكثر تفصيلاً وتنظيماً .

لقد أعطى بول ريكور (Paul RICOEUR) طابعاً إبستيمولوجياً للنظرية التفسيرية ، أي أنه أصبح بالإمكان استعمال هذه النظرية في الدراسات النقدية لتكوين المعارف العلمية ، كما قام بتحليل الخطاب الديني من حيث المعاني المستوحاة من موضوعه ، وكيفية بحث الخطاب الديني عن إيجاد مكان لنفسه باستعمال الرموز الموجودة في موضوعاته(1) .

- **منهج البنيوية (Le Structuralisme) :** يحاول البنيويون القيام بدراسة الخطاب الديني انطلاقاً من الدروس اللغوية (1916) ، حيث يهدفون من دراسة اللغة كنظام مكون من عدة عناصر ، ولا معنى لعنصر لا بوجود علاقة تكافؤ أو تضاد بينه وبين العناصر الأخرى ، هذه المجموعة من العناصر تكون البنية . فالمنهج اللغوي البنيوي يهتم بدراسة التركيبة النظامية للغة ، ولا يهتم بالحدث ، الذي يعتبر ذا طابع رمزي . أما ما يميز الثقافة في المنهج البنيوي ، هو الوضعية الرمزية للأشياء التي يتم تناولها ، والمعنى الذي تعطيه لها النزعة البنيوية داخل إطارها .

(*) تعني كلمة (Performativité) ، الأدائية من (الأداء) أو الفعالية أو الفاعلية ، ونحن في تقديم هذه الدراسة حاولنا استعمال مفهوم الفعالية ، حيث وجدناها الأنسب من خلال قراءتنا وترجمتنا لهذه المذكرة ، وهو ما جعلنا نقول فعالية الخطاب الديني عند لادريار .

(1) Christophe MABOUNGOU : **Performativité et Problématique du Discours Religieux chez Jean LADRIERE,** Mémoire de Master 01, sous la direction de Denis VERNANT, Faculté des sciences humaines et sociales, Université Pierre Mendès, France, 2009 – 2010, P : 13.

- **منهج الفلسفة التحليلية :** لقد خصص (L . Wettgenstein) في كتابه (Le Tractus) لما يسمى اليوم الفلسفة التحليلية شطراً واسعاً ، اكتشف فيه بأن الفضاءات المختلفة للثقافة هي أيضاً « لعبة خطاب » منسجمة ومرهونة بقواعد معينة ، أي بأن الفن وعلم الأخلاق يكوّنون العدد من « لعب الخطاب » ، ودور الفلسفة التحليلية ، هو محاولة إيجاد قواعد للعبة الخطاب هذه .

ب ــ تحليل مفهوم الفعالية :

- **من نظرية « لعبة خطاب » إلى أشكال الحياة :** لقد أوضح (L . Wettgenstein) بأن الخطاب هو إيضاح الأشياء بواسطة اقتراحات أو جمل كوسيلة للمعرفة ، لكن بالموازاة مع ذلك أراد التأكيد على فكرة : « لعبة خطاب » وأشكال الحياة ، من خلال السلوك اللغوي الذي لا يمكن فصله عن مجموعة السلوكات الأخرى الطبيعية والمؤسساتية ، وهذا يعني بأن كل ما يقال أو لا يقال ليس محدد بقواعد الخطاب فقط ، بل محدد بواسطة نظام (أفكار ، أفعال ، قيَّم ...) ، أي أشكال الحياة عند (L . Wettgenstein) . ولعبة الخطاب هي كذلك عبارة عن عمليات تتحكم في العلاقات بين الأفراد ، وعلاقاتهم مع ما يحيط بهم ، وهي داخل هذا الخطاب ، وفي أشكال الحياة معاً ، حيث يمكن أن نجد في خطاب واحد عدة أشكال تعبر عن « لعب خطاب » .

فكل أعمال (L . Wettgenstein) في هذا المجال كانت موجهة للقول بأن الخطاب الديني يمكن تفسيره وكأنه خطاب يحمل طابع حب الذهاب إلى ما وراء الحدود التي تقيمها اللغة .

- **أوستين (Austin) ومفهوم الفعالية :** يعتبر أوستين (Austin) أول من استعمل مفهوم الفعالية (Performativité) ، والتي أصبحت اليوم متداولة بكثرة في العلوم الاجتماعية والفلسفة ، حيث يؤكد أن إثباتات الإيمان على نفس المؤمن في طور الإنجاز . هذه الصفة التضمنية موجودة وتجد فعاليتها في الخطاب الديني ، فهو كلام يصنع حقيقته بطريقة فاعلة ــ ليس فقط كوسيلة اتصال ــ ، وإنما كذلك كتعبير مولد لقوات ومبادئ ملتحمة ، تعتبر فعلاً متضمناً ، وهذه القوة هي التي أسماها أوستين (Austin) بقوة فعالية الخطاب الديني .

2 . القسم الثاني : النظرية التفسيرية للخطاب الديني في تعاقب المفاهيم :

أ . وضعية الخطاب الديني :

- **خطاب تضمني حسب إيفانس (Evans) :** الخطاب الديني يقف أساساً على خطاب ذو رمزية ، والذي يتبين في البدء بأن فيه معاني أو مفاهيم عادية ، لكن وراء هذه المفاهيم مستوى آخر من المعاني العميقة ، والتي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق خطاب ديني ، وبهذه الطريقة تنعكس صورة الخطاب الذاتي (خطاب الإيمان) في صورة عقلانية في إطار خطاب لاهوتي . ولتبيان خاصية التضمنية للخطاب الديني ، استند جون لادريار إلى بحث قام به إيفانس (Evans) ، حيث توصل هذا الأخير إلى حتمية تتمثل في أن المفاهيم الدينية وكيفية صياغة هذه المفاهيم تتحدد من خلال تحديد الموضوع ، ولتفسير هذا يعطي (Evans) مثالاً : عندما أقول : أشكرك على لطفك ، إنني بذلك أقول خطاباً يتضمن اقتراحاً مسبقاً بأن لي موقف اعترافي اتجاهك[1] .

---

[1] Christophe MABOUNGOU : **Op-cit,** P : 30.

- **القوة اللا صياغية للمفاهيم الدينية :** يقول أوستين (Austin) بأن الخطاب الديني ، أو المفاهيم الدينية لها قوة لها قوة غير صيغية حيث يقول :« القوة غير الصيغية لها بُعد آخر للمعنى والمقصود المباشر »[1]. فكل عبارة لغوية يقابلها فعلاً اتفاقياً ، وهذا الفعل يظهر في ثلاثة مظاهر ، بمعنى أن كل جملة تحتوي على المظهر الصيغي ، المظهر غير الصيغي والمظهر البسيكولوجي المتولد .

ــ الفعل الصيغي : فالعبارة أو الجملة تحتوي على معنى وسند المعنى (Le sens et sa référence) .

ــ الفعل غير الصيغي : فالعبارة لها قوة خاصية لتكون مفهوماً آخر للسند المباشر (وعد ، حكم ، أمر) .

ــ الفعل البسيكولوجي المتولد : العبارة تولد تأثيراً نفسياً بسيكولوجياً عند المستمع لها .

- **مشكل الحقيقة في الخطاب الديني :** الخطاب بصفة عامة ، هو تعبير عن عملية ذهنية يتخذ فيها الخطاب موقفاً اتجاه الأشياء . ففي كتاب جون لادريار (تفسير وحقيقة) يقول : أي شكل من أشكال الخطابات لا يتولد من فكرة الحقيقة ، لا حاجة إلى السؤال على مثلاً هذا الأمر ؟ . سينجح في تطبيق ما يتضمنه من أمر بالتطبيق . أو لا يجب السؤال : هل جملة شكر هي حقيقة أم لا ؟ بل يجب السؤال : هل هي صادقة وتعبر عن نيَّة الناطق بها ؟ .

ب ــ تفكير لادريار فيما يخص العلاقة بين الخطاب الديني والعلم :

- **العلاقة بين اللا إيمان والعلم :** العلاقة بين اللا إيمان والعلم محل نقاش ونزاع كبير منذ زمن بعيد ، فالحديث عن العقيدة والعلم يستلزم بالضرورة الحديث عن الخطاب الديني والخطاب العلمي ، فنظام بناء الخطابين من حيث الهيئة والمحتوى مختلف ، الخطاب العلمي ينظر من زاوية العقل ، ويستعمل العرض والدليل الرياضي ، منسجم بين ثلاث محاور : الحتمية ، ضرورة النقد والمنهجية . أما فيما يخص الخطاب الديني فيقول لادريار ، بأن هذا النوع من الخطاب ينظر من زاوية الهيئة الأساسية للإيمان ، وهو خلاصة تركيبية لتفسير الطبيعة .

- **الخطاب الديني أو الخطاب الشعائري (الطقسي) :** ما يميز خطاب الإيمان ، كونه خطاباً تضمنياً ، يحدث في كيفية أو صيغة تولد للمتلقي هيئة بسيكولوجية أو نفسية مثل : الانتماء ، الثقة ، الالتزام ... ، وهذا ما يسميه لادريار بقوة الفعالية في الخطاب الديني . من جهة أخرى فالخطاب الشعائري هو نوع من التعبير التضمني للخطاب الديني المبني على الطقوس أو الشعائر ، حيث يتميز أساساً بالطقوسية ، وما يحمله في نصوصه من أوامر واقعية وعملية . فالجانب الشعائري أو الطقسي لا يهمه تشكل الخطاب أو وضع قواعد للأخلاق ولا عن بعث معلومات ، بل كل ما يريده أو يهدف إليه هو ترسيخ الالتزام لدى أفراد المجتمع بما قيل ويقال ، أو كل ما أعلن عنه الخطاب الديني .

---

(1) Christophe MABOUNGOU : **Op-cit,** P : 30.

04 ــ هل خطاب جديد حول الدين يعتبر ضروري للعلمانية ؟

تفكير ، أخلاق ، لاهوت وسياسة. دونيس مولار .

- **Un Nouveau Discours sur la Religion est t'il nécessaire pour le bien de la Laïcité ? Réflexions, éthiques, théologiques et politiques.**

Denis MULLER.

هذا النص عبارة عن مقال نشره صاحبه في مجلة (Annali di studi Religiosi) ، العدد رقم 14 ، سنة 2013 ، حيث خصص المقال لدراسة حول الخطاب الديني ، أو خطاب حول الدين والعلمانية ، حيث ينطلق من تساؤلات كثيرة حول مكانة الدين في الفضاء العام وفي حوارات العقلانية . فالسؤال لم يعد يطرح كما كان في خطاب شليرميشر (Schleiermacher) . فالتيلوجيا البروتستانتية الحديثة لا تتحدث عن مكانة ومعنى المسيحية كدين ، بل تتحدث عن مكانة ومعنى الأديان في الفضاءات العامة . وهذا ما حاول كاتب المقال استخلاصه .

فمولار يستخلص فقدان الاحتكار بالنسبة للدين المسيحي وضرورة وضع المسيحية من منظور ديمقراطي . أما في الوقت الراهن ، ومن زاوية أخلاقية ، فالإشكالية أصبحت تطرح على الشكل التالي : كيف نعبر عن تعدد المصادر مع شفافية وحيادية السلطات العمومية ؟ وكيف تحلل ونفسر تعدد المصادر مع شفافية وحيادية السلطات العمومية ؟ لكن السؤال يبقى مبهم في مجال الأخلاق »[1]. فالسؤال الذي يطرح نفسه من المنظور الأخلاقي ، هو كيف يمكننا وصل تعدد المصادر بحيادية وشفافية السلطات العمومية ؟

إن هذه التساؤلات بالنسبة لكاتب المقال تطرح بسبب حدتها في المجال الأخلاقي قضيتين اثنتين ، وهما :

ــ مصادر الأخلاق لا يمكنها أن تقاد إلى أن تكون نفعية في وضع قاعدة دينية ، وهذا يغير بصورة واضحة لمكانة الأخلاق الدينية .

ــ مصادر الأخلاق الدينية ذاتها لا ترتكز على مبدأ واحد ، بل هي موضوع تفكير لاهوتي حول التعددية الداخلية للأخلاق الدينية .

فالفيلسوف الكندي شارل تايلور (Charles TAYLOR) يبيّن المفاتيح الأساسية لفهم الرهانات الأخلاقية الدينية والسياسية في العصر العلماني ، ويظهر ذلك حسب دونيس مولار في مجموعة من النقاط ، نذكرها على الشكل التالي :

- **معاقل الإيمان ومسألة الكمال :** المشكل الأول الذي واجه العصر العلماني ، هو عدم إيمان المجتمعات الغربية للقرن السادس عشر (16) بوجود الله ، أما في العصر الحالي أصبح الأمر عادياً جداً ، إن لم نقل أنه أمر حتمي لا نقاش فيه . فحسب شارل تايلور (Charles TAYLOR) ، فالعصر الحالي توجد مصادر مختلفة ومتنوعة لتقصي وجود الله ، لكن هذا غير كافٍ ، لأن مسألة الكمال تبقى قائمة .

---

[1] Denis MULLER : **« Un nouveau Discours sur la Religion est t'il nécessaire pour le bien de la Laïcité ? Réflexions, éthiques, théologiques et politiques »,** Annali di studi Religiosi, N° 14, FBK Press, Italie, 2013, P : 13.

وحين نفهم النزاع التوافقي للإيمان المعاصر في العصر الحديث ، يمكننا أن نتوصل إلى تجنب الطريق المقطوع للعلمانية الجذرية .

- **إطار المثول والتفوق الرباني (Cadre immanent et transcendance) :** لقد حاول تايلور تفسير الوضعية الروحانية للوقت الحالي عن طريق مفهوم الإطار المثولي ، أي أن هناك شيء ما داخلي موجود في الفرد يؤثر فيه ، وليس له مؤثر خارجي . فهذا الإطار يعاب عليه بأنه إطار مغلق لا يسمح بالانفتاح ، فحسب تايلور ، الإطار المثولي بطبيعته يميل إلى الانغلاق ، لكنه بشكل عام يولد شحنة وتذبذبات في الآراء .
- **نحو نظرية جديدة :** أحد نقاط ضعف العلم اللاهوتي وعلم الأخلاق الحديثين ، هو صعوبة تطوير هذان العلمان على أساس وفير ومقنع فيما يخص فلسفة الدين . فعلم اللاهوت والأخلاق ، وحتى الفلسفة مطالبين اليوم بإنشاء إطار عقلاني يعتمد على الجدال ، النقاش والحوار الذي يكون في مستوى التحديات الراهنة للديمقراطيات النقدية والتساهمية . فالتاريخ بيّن بأن المجتمعات الغربية وجد بها نوعان من الدين قد فشلا ، وهما الوجود الديني الكنائسي التقليدي ، والنوع العلماني المتأصل ، فالطرفين المتشددين لا يدومان ، فكيف يمكن الخروج من هذه الدوامة ؟ .
- **إعادة صياغة المذاهب الدينية :** حسب جورجيو أغامبن (Giorgoi AGAMBEN) ، فالنقلة التي يجب أن يقوم بها اللاهوتي وعلم اللاهوت في العصر الحالي هي القيام بعملية تشخيص وتحليل لتصرفات الإنسان في علمانيته حتى الأكثر تشدداً ، لأن البحث عن عقلانية في أمور الدين وحده يجب أن يمر عن طريقة وساطة سياسية ، أو وسيط سياسي .

05 ــ الدعائم الإعلامية للخطاب الديني ، ماريا جوليا دونيديرو .

- **Les Supports Médiatiques du Discours Religieux,**
  Maria Giulia DONDERO.

هذا النص عبارة عن مداخلة في الملتقى المنظم من طرف جامعة لياج (Liège) ، تحت عنوان : نحو سيميائية وسيطة (vers une Sémiotique du medium) سنة 2008 ، حاولت فيه التطرق إلى الدعائم الإعلامية للخطاب الديني في المجتمعات المعاصرة ، انطلاقاً من النظرية الرمزية ، موضوع الدين في الرسم والتصوير ، الخطاب الديني وأشكال الحياة والكثير من النقاط الأخرى التي نحاول تلخيصها فيما يلي[1]:

- **فلوش (Floch) وسيميائية الخطاب :** في كتابه أشكال البصمة (Formes de l'empreinte) يرى جون ماري فلوش بأن البحث في سيميائية الصور الفوتوغرافية لا يتعلق فقط بالخطاب الفوتوغرافي ، بل يمكنه أن يشمل كل أنواع الخطابات ، حيث لا يعترف بأن الصورة الفوتوغرافية لها خصوصية الحدث الحالي . وهذا ما سمح له بدراسة أشكال البصمة بدون الأخذ بعين الاعتبار النظرية المرجعية للبصمة (المؤشر) .

---

(1) Maria Giulia DONDERO : **« Les Supports Médiatiques du Discours Religieux », Nouveaux Actes Sémiotiques,** Actes (vers une Sémiotiques medium), FRFC-FNRS, Université de liége, Belgique, 2008, P : 36.

- **موضوع الدين في الرسم والتصوير :** يمكننا القول بأن الرسم مجال واسع للإبداع فيه ، حتى رسم العالم غير المرئي مسموح ، أو ممكن . أما بالنسبة للتصوير فكان وما يزال وسيلة إعلامية لبصمة العالم المرئي والحاضر . بعد ذلك تطورت الرؤية فيما يخص الرسم خصوصاً بعد نظرية بنجامين في سنوات الثلاثينيات ، حيث اعتبر الرسم إنجازاً وتمسى الأصلية ، فهي تنبع عن الأحاسيس الغريبة ، وتحمل قيمة ثقافية ، ويمكن أن تصل حتى القداسة . أما الصورة الفوتوغرافية فاعتبرت كوسيط لا يسمح إلا بالنسخ .

- **الرسومات الدينية الغريبة والصورة الفوتوغرافية :** في معرض الصور الفوتوغرافية لبعض المصورين المعاصرين والذين قاموا بتصوير لوحات فنية فريدة وعالمية ، أضفت مسرحاً تحادث فيه برمزية اللوحات المصورة ، لوحات عصر النهضة ، إلا أن الصور الفوتوغرافية الحاملة للوحات الفنية أطفأت شعلة انفراد وقداسة اللوحات الأصلية ، ومحت السحر المنبعث منها حتى أصبح المسرح كاذباً وميكانيكياً ، ومنه إذا كانت في دراسة الفن الديني في اللوحات الفنية يتوافق مع صفة القداسة ، فالأمر ليس كذباً في دراسة الفن الديني في الصور الفوتوغرافية[1].

إن موضوع الدين (الخطاب الديني) في الصور الفوتوغرافية له صفة البناء ، أما القداسة في اللوحات الفنية الدينية فهي شيء لا يمكن بناؤه أو إصلاحه .

- **ماذا توحي الصورة الفوتوغرافية :** من بين أشكال الصورة الفوتوغرافية ، هناك الصور الفوتوغرافية الموحية للعبادة والتدين ، هذا النوع من الصور له خصوصية لا نجدها في الصور الفوتوغرافية الأخرى ، حيث تتمثل في أن هذا النوع يحمل بصمة الصالة والمعنى ، كما يمكن أن تولد مجموعة من الأحاسيس الغريبة عند الناظر لها . فيتعلق هذا النوع من الصور عموماً بالصور التي تحمل شخصية دينية ، حيث يكون إطار الصورة مبنياً بطريقة تجعل وجه الشخص المصور وكأنه يخرج من أعماق لا يمكن الوصول إليه . لقد اعتبر علم دراسة الصور الفوتوغرافية الدينية صورة قديس الكفن ، كالصورة المثالية التي تعبر عن هذا النوع من الصور .

- **النحو الصوري بين النصي والوساطي :** يعتبر الغرب أول من استعملوا الصور الفوتوغرافية الموحية للعبادة والتدين والمستنسخة من السلبي إلى الإيجابي بطريقة مذهلة عن طريق استعمال دعامة صورة حسية ، وتعديل كيميائي للضوء ، لكن في الحقيقة أول من استعمل هذه التقنيات في إمداد الرموز وتعبئة الصورة الفوتوغرافية بالمعاني هم الروس .

في أيقونة اللوحات الفنية الدينية الغربية لعصر النهضة ، الأشكال تطفوا واضحة وتسجل حضورها ، حيث تتميز بعمق الخطوط والألوان ، الأحاسيس يمدها لها الفنان وحده ، وكل شيء يتوقف على ذكائه ومستوى فنه ، ومدى قدرته على التحكم في الموضوع المراد إيصاله .

- **النحو الصوري وأشكال الحياة :** يمكن دراسة الوسيط في المستوى المحلي للنحو الصوري إلى المستويات العامة لأشكال الحياة ، فهناك علاقة نصف رمزية بين الوسيط وهيكل النص المعبر عنه في اللوحة الفنية الغربية لعصر النهضة (التي تستعمل الألوان الزيتية الشهوانية والمنظور الخطي) ، وكذا اللوحة الفنية الشرقية الجميلة الموحية للعبادة (التي تستعمل الدعامة المدهونة بمعجون المرمر والمنظور المنقلب) .

---

[1] Maria Giulia DONDERO : **Op-cit,** P : 42.

ثانياً : دراسات متنوعة .

01 ــ الفلسفة وخصوصية اللغة الدينية ، بول ريكور .

- **La Philosophie et la Spécificité du Langage Religieux, Paul RICOEUR.**

هذا النص عبارة عن مقال تم نشره في مجلة التاريخ والفلسفة الدينية ، العدد 01 ، سنة 1975 ، وهي مجلة تصدرها جامعة فرنسا X تونتار (Nanterre) ، حاول الحديث فيه عن دور وأهمية الفلسفة في صياغة اللغة(*)، أو الأسلوب أو حتى الخطاب الديني ، حيث انطلق من فرضيات ثلاث مسبقة وهي :

الفرضية الأولى : فحسب الأبحاث التي أقيمت في هذا المجال ، فإنه أصبح ممكناً تحديد أي قناعة دينية أو إيماناً دينياً على أساس اللغة التي تقوم عليه ، وبطريقة أخرى يمكن معرفة وتحديد أي قناعة دينية أو فلسفية عن طريق تحليل كيفيتها الخاصة ، لكن لا يمكن اعتبار الخطاب أو كيفية الأداء كبُعد وحيد للظاهرة الدينية ، فمهما تكن مميزات أي خبرة دينية معينة ففي شكل لغتها (Langage) تجد العبارات والمعاني المرجوة .

الفرضية الثانية : الخطاب الديني ليس مجرد من المعنى ، بطريقة أخرى يجب التمعن فيه ، لأنه يقول دائماً شيئاً لا تقوله الخطابات الأخرى (العادية ، العلمية أو الشعرية) . فالخطاب الديني يحمل معناً على الأقل بالنسبة للطائفة المؤمنة .

الفرضية الثالثة : الفلسفة تتماشى دوما مع اللغة (Langage) ، لأن هذه الأخيرة تحمل كذلك جملة من المعاني ، فهي تزعم بحمل الحقيقة ، أي أنها لغة (Langage) يمكن عن طريقها إيجاد أبعاد جديدة للواقع والحقيقة .

- **الخطاب الديني الأصلي :** إن تحديد القناعة الدينية أو الإيمان الديني المذكور في الفرضية الأولى يتطلب تحليلاً للخطاب الذي قامت عليه تحليلاً لغوياً ، وكذلك نحتاج إلى النظرية التفسيرية (herméneutique) . فالتحليل اللغوي يتناول الإيمان من منطلق كيفية التعبير عنه في اللغة ، أما النظرية التفسيرية ، فهي تقدم تفسيراً بطريقة أصلية للطائفة الدينية ، حيث تتناول كل ما يتعلق بالعبارات أو الطريقة وتفسير أصحاب القناعة ذاتها . فكلا من الطريقتين تستعملان في شرح وتفسير مختلف الخطابات (القصص الدينية ، نصوص تشريعية ، أمثال ، عبارات ، الصلوات ...) ، وليس فقط البيانات اللاهوتية الميتافيزيقية بمعناها اللاهوتي والفلسفة بمعناها التأملي[1].
- **عالم النص والكائن الجديد :** يقصد بول ريكور بعالم النص ، ذلك البناء الذي يحتوي على محصول أدبي معقد للخطابات . والمعنى المقصود من العبارة هو الهدف المراد الوصول إليه ، وهذا المعنى مستوحى من الخطاب ، إما عن طريق الإحالة ، فهي توحي لكل ما هو خارج عن المقصود المباشر ، وتتشكل بذلك قيمة للحقيقة في العبارة ، أي قابلية العبارة للوصول إلى الواقع . هذه الخاصية هي التي تميز بين الخطاب واللغة ، فاللغة لا تبحث عن الواقع .

(*)استعملنا في هذا المقال كلمة لغة لترجمة (Langage) ، حيث رأيناها الأنسب ، لأن بول ريكور يطرح مفهوم (Langage) بمعنى اللغة أو الأسلوب أو لغة الخطاب ومختلف الاستعمالات الأخرى الممكنة ، أين يكون الخطاب الديني واحد من هذه المفاهيم وليس هو المفهوم بحد ذاته .

(1) Paul RICOEUR: **« La Philosophie et la spécificité du Langage religieux », Revue d'Histoire et de philosophie religieuses,** N° 01, Université de Paris X (Nanterre), Paris, France, 1975, P : 06.

في قواعد اللغة كل كلمة لها كلمة تقابلها بالمعنى أو التضاد ، أما الخطاب فيتعلق بالأشياء ، يتوجه إلى الواقع ويعبر عن العالم . فإذا ما تحول الخطاب إلى نص ، فكل شيء يقع على هيئة الملقي الذي يجب أن يبحث عن الوسائل أو الوسائط التي تسهل عليه الوصول إلى الواقع باستعمال التوضيحات الأكثر دقة . فبول ريكور يعتبر أن تفسير الخطاب الديني حالة خاصة من النظرية التفسيرية العامة ، وحالة خاصة من حيث كلام الإنجيل عن كائن جديد ، هذا الأخير لا يمكن وجوده إلا في نصوصه ، كما يمكن القول بأنه حالة فريدة من نوعها ، لأن تفسير اللغة الدينية لا يمكن أن يعبر عن شيء فريد إلا إذا كان هذا الفريد يحاكينا في نصه بنصه ، ومن فوق نصه ، مثلما هو الحال في الخطاب الديني .

02 ــ الدين والجنس، والخطاب الاجتماعي في النقاش حول تشريع الإجهاض في المكسيك ، آنا أموشاستيقي وآخرون .

- **Religion, Genre,et Discours Social dans le débat sur la Légalisation de l'Avortement au Mexique Ana Amuchastegui et autres**

هذا النص عبارة عن ورقة عمل في إطار برنامج الجنس ، العولمة والتغيرات Le Programme Genre, Globalisation et Changement (PGGC) المسطر من طرف معهد الدراسات العليا والعالمية والتنمية بجنيف ، سويسرا ، والذي يهدف إلى القيام بدراسات وبحوث حول دور الجنس البشري في التنمية والعلاقات الدولية والعمل وتوزيع هذه المعلومات والمعطيات لاستفادة منها في الدول الفرنكوفونية والأنجلوساكسونية على حد سواء .

ومن بين المشاريع ، هذه المشروع حول الدين والجنس والخطاب الاجتماعي وكيفية تأثيرهم في النقاش الدائر في المكسيك جول إلغاء الإجهاض . وقد شارك في هذه الورقة فرقة بحث مكونة من : آنا أموشاستيقي (Ana Amuchastegui) ، إديت فلورس (Edith Flores) وإفلين ألداس (Evelyn Aldas) .

ومن بين النقاط المهمة التي جاءت في ورقة المشروع نذكر ما يلي :

1 . نقاش حول المفاهيم ، نقاش حول الجسد : ذكر أصحاب ورقة المشروع العديد من النقاط توضح كيف تمكنت المرأة من بناء العناصر الخطابية التي تصف خبرتها ، حتى توصلت إلى تشريع الإجهاض ، ومن بين العناصر الخطابية نذكر ما يلي :

- **الإجهاض ، الحمل . من العقيدة إلى العلم :** اعتمدت الجمعيات النسوية على الخطاب العلمي للدفاع على حقوقها في هذه المسألة ، حتى أن المؤسسة الكاثوليكية حاولت استعمال نفس الخطاب العلمي لتبرر مواقفها ، لكن كان الأمر صعباً على المتحدثين باسم الكاثوليكية لتبني الخطاب العملي من دون الانحياز إلى الخطاب الديني . فموقف الكاثوليك والمحافظين على العموم من هذه القضية كان يدعو إلى محافظة الدولة على الأفراد وحمايتهم ، وذلك من لحظة بدء الحمل ، لأنه منذ هذه اللحظة تصبح هناك حياة قد خلقت ولها كل الحقوق ، مثلها مثل حياة أي فرد آخر على الأرض ، فبالنسبة لهم إيقاف هذا الحمل يعتبر جريمة قتل ، مهما كانت المبررات والأسباب التي تقود المرأة إلى الإجهاض .

كما شارك من الجهة المقابلة والمؤيدة لتشريع الإجهاض ، أكاديميون ، مختصون في علم الوراثة ، أطباء التوليد والأخلاق الطبية والفلاسفة . فقد كان تأييدهم ينحصر أساساً فيما نشره المعهد البيولوجي ، حيث جاء فيه بأن الجنين قبل 12 أسبوعاً من تكوينه لا يمثل فرداً بيولوجياً بعد ، فهو بذلك لم يصل درجة الإنسان للعديد من الأسباب منها :

- كون الجنين قبل 12 أسبوعاً يعتبر كعضو من أعضاء الإنسان ، لا يمكنه أن يعمل مفصولاً عن جسد الفرد أي لا يمكن لهذا الجنين أن يفصل عن الرحم أو الجسد البشري ، فهو ليست له حياة مستقلة .

- الجنين في هذه المرحلة يبدأ عقله في المرحلة الأولى ، أي أن الأعصاب المسؤولة عن وجود الإحساس تكون غير متطورة ، ولا يمكنه أن يحس بأي ألم ، أو أي شكل حسي . ومن هذا المنظور أعيد تعريف الإجهاض بأنه توقيف الحمل بعد الأسبوع الثاني عشر (12) . وكل وقف للحملة قبل هذه المرحلة لا يعتبر إجهاضاً ولا يعاقب عليه القانون . هذا الإجراء تبعته تحولات عديدة في المفاهيم من الناحية القانونية والاجتماعية ، حيث اعتبرت المرأة حرة في اتخاذ قرار مواصلة الحمل أو الإقبال على الإجهاض .

لقد أثار هذا القانون غضب المحافظين والكاثوليك في المكسيك ، لاعتبارهم أن الحمل هبة من الإله ، وليس لأحد الحق في قرار وقفه أو الاحتفاظ به ، وأن هذا القانون منح حرية واستقلالية مفرطة تشكل خطراً على مبادئهم ومعتقداتهم .

2 . علمانية وديمقراطية المؤسسات : لقد أحدث هذا القانون ثورة في التسلسل الهرمي للكاثوليكية ، فأعيد النظر في العديد من المسائل ، وتم فك القيد على العديد من القضايا لتتوافق مع مجرى الأحداث في المجتمع والعالم . وفي هذا الإطار يقول بلانكارت :« المكسيك بلد شديد التدين ، وفي نفس الوقت شديد العلمانية ، وكلاهما يقفان على تطور حرية الضمير »[1]. فالعلمانية والديمقراطية السياسية التي يعيشها المكسيك ساعدت على تشكيل نوع من الاستقلالية على المؤسسات الدينية الكاثوليكية التي كانت مسيطرة على مفاصل الحياة الاجتماعية قبل هذا القانون ، وقبل التعددية السياسية والتوجه نحو العلمانية .

3 . السلم الميكرو اجتماعي . النقاش الذاتي والموقف الديني : تؤكد ورقة المشروع بأن المرأة المكسيكية حققت العديد من المكاسب انطلاقاً من قانون الإجهاض ، ويرجع ذلك إلى الخطاب الاجتماعي ونظرة المرأة الخاصة حيث أخذت بعين الاعتبار العديد من النقاط لوصف خبرتها ، نذكر منها :

- **الإجهاض ، هل هو أمر محرم دينياً أم جنحة ؟** فحسب البحوث التي قامت بها فرقة البحث هذه في الميدان تبيّن بأن الآراء ليست نفسها عند كل النساء ، حيث تتغير المواقف والآراء حسب الوضعية الاجتماعية والاقتصادية وظروف الحياة . فآراء النساء المتزوجات أو المطلقات اللائي ليست لهن استقلالية مالية واجتماعية ويخضعن لحياة ذات مستوى اجتماعي وثقافي محدود أو متدني ، فقد أظهرن ميولاً للأخلاق الكاثوليكية . أما النساء الشابات على العموم ، واللائي لهن مستوى ثقافي وتعليمي لا بأس به ويتمتعن بنوع من الاستقلالية المالية ، فإنهن يملن إلى

[1] Ana Amuchastegui et autres : **Religion, Genre,et Discours Social dans le débat sur la Légalisation de l'Avortement au Mexique,** Document de travail, Programme Genre, globalisation et changements, Institut de hautes études internationales et du développement, Genève, Suisse, 2014, P : 15.

الخطاب العلمي في موضوع حق الإجهاض . هذا النقاش تسبب فيه الصراع القائم بين المرأة والمؤسسة الدينية (الخطاب الديني) ، وفتح نقاش آخر حول الذات ، فتغيرت المفاهيم في ميدان الأخلاق ، الثقافة الاجتماعية والدينية والقانونية . فهذا الخطاب العصري ، كانت بمثابة ضربة موجعة للسلطات الكاثوليكية .

خلاصة الفصل :

كل هذه الدراسات المقدمة في هذا الفصل ، كان لها الأثر في تسطير خطوط هذه الدراسة ، خاصة الدراسات باللغة العربية ، فما عدا مقال المستاري الذي كان يبحث عن مكونات البرنامج الدراسي للطور الثانوي ، فإن مختلف الدراسات ــ خاصة باللغة العربية ــ فهي كتابات لأساتذة ومفكرين لهم باع فكري وعلمي كبير ، سواء محمد أركون ، نصر حامد أبو زيد ، عابد الجابري ، كأكاديميين ، أو باحثين ومفكرين ، لا تعرف التوجه الإيديولوجي لهم ، ولا يصرحون بالتوجه العقائدي أو الديني من خلال ما يقدمونه من كتابات . أو محمد عمارة ، يوسف القرضاوي ، عبد الكريم بكار كدعاة وباحثين لكنهم في نفس الوقت مدافعين عن قناعاتهم الشخصية وانتمائهم لهذا الخطاب .

فكتاب الدكتور محمد عمارة « الخطاب الديني ، بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني » ، فإلى جانب التعمق في معرفة الخطاب من منظور المؤمن والمعتقد ، والمحاول الدفاع عن الدين الإسلامي ، خاصة وأن الدكتور يعتبر علم من أعلام هذا الخطاب بكل ما أسهم فيه من كتابات ومحاضرات ومشاركة في ملتقيات محلية ودولية ، خاصة في المرحلة المعاصرة ، وتحديداً بعد أحداث 11 سبتمبر . فإلى جانب هذا الكم المعرفي حول الخطاب الديني ، فقد اقتبسنا من الكتاب أنواع الخطاب الديني ، وأدرجنا هذه الأنواع بنفس العنوانين ونفس الترتيب .

يعتبر الدكتور عبد الكريم بكار من أعلام الخطاب الديني الإسلامي ومن المدافعين عنه ، وكتابه « تجديد الخطاب الديني ، الرؤى والمضامين » جعلناه مرجعية لتسطير الفصل السابع : تجديد الخطاب الديني . وقبل هذا كان مضمون الكتاب مساهماً في تعريف الخطاب الديني ومختلف السمات والصفات التي يتميز بها ، خاصة فيما تعلق بمحتوى أو مضمون الرسالة أو الخطاب الذي يستخدم في تطوير الجماهير ومحاولة الانتقال بها من حال إلى حال أطيب وأكرم ، أي إرشاد المسلمين إلى تحسين أوضاعهم الشخصية والعامة .

الدكتور يوسف القرضاوي ، علم بارز وقامة علمية ، من مؤسسي الخطاب الوسطي المعتدل ، استعنا كثيراً بمؤلفاته المتنوعة ، والتي حملت جانب المدافع المؤمن ، وليس الباحث الأكاديمي ، جعلنا له في هذه الدراسة حيزاً كبيراً من خلال الاستناد عليه في مختلف الفصول النظرية ، حيث اعتبرناه مرجعية فكرية ودينية فيما يخص الخطاب الديني الوسطي والمعتدل ، ومرجعية علمية حاول إبراز الخطاب الديني والدين الإسلامي بالوجه اللائق ، وذلك بالرجوع دائماً إلى المصدرين الأساسيين للخطاب الديني (القرآن والسنّة) .

من جانبه ، يعتبر محمد أركون المرجعية التحليلية التي استندت عليها في هذه الدراسة ، أو ما يسمى المقاربة النظرية للدراسة ، فقد اطلعت على غالبية كتب الدكتور وقرأت أغلبها ، حتى أتمكن من فهم الطريقة الإبستيمولوجية أو المنهجية التي يتبناها أركون في دراسة الظاهرة الدينية ، خاصة تبني ما يسميه مارشال جوردون الفوضى المعرفية ، أي استعمال العديد من المناهج للوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة . فما يهم في اعتقادي ، هو طريقة أركون في الدراسة ،

وليس ما يؤمن به أو يعتقده كمفكر ، فيلسوف أو متخصص في علم الأديان ، لأن الدراسة متخصصة في دراسة الخطاب الديني الإسلامي فقط ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تبني الطريقة المنهجية والإبستيمولوجية في عملية التحليل ، وذلك انطلاقاً من جملة المبادئ والأفكار العلمية التي استعملها من أجل الوصول إلى نتائج تقترب كثيراً من الواقع الحقيقي .

فاعتمدنا في الجانب النظري على العديد من كتب الدكتور ، وعدنا إلى آرائه وأفكاره في كل نقطة من النقاط فصول هذه الدراسة للتعرف على الكيفية التي تعامل معها ، سواء بالنسبة للخطاب الديني كمفهوم ، أنواع أو خصائص أو المحاولات الغربية في التجديد ، والتي له فيها الباع الكبير من منطلق الاحتكاك الدائم بالعالم الغربي وعلمائه ومفكريه . أما فيما يخص كتابه : « القرآن ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني » ، فهو كتاب منهج يوضح فيه الطريقة المنهجية التي يجب استعمالها في تحليل معطيات الظاهرة الدينية وكيفية استعمال المناهج الغربية الحديثة في دراسة الخطاب الديني الإسلامي انطلاقاً من نقد التراث (التفسير الموروث) وصولاً إلى تحليل مختلف أنواع الخطاب الديني بمختلف مشاربه ومناهله الفكرية والعقائدية .

من جانب آخر حاولنا الاطلاع على الدراسات والمساهمات الفكرية في الخطاب الديني ، ولعل أبرزها كتاب المفكر نصر حامد أبو زيد ، الكتاب الذي أشكل على صاحبه . وهو من الدراسات التي لا تتحدث من منطلق المؤمن والمعتقد ، بل تحاول استعمال المناهج العلمية في دراسة الظواهر الدينية ومحاولة الكشف عن مكونات الخطاب الديني دون الخوف من استعمال هذه المعطيات من طرف أعلام الخطاب الديني المتعصب ، أو الذين يرفضون محاولات فتح باب الاجتهاد وإعطاء العقل المجال الأكبر بعيداً عن سيطرة التراث . لقد استخدمنا آليات الخطاب الديني ومنطلقاته الفكرية بنفس العناوين في صياغة الفصل السادس ، وهذا حتى نعطي الطابع الشمولي للدراسة من حيث التطرق إلى مختلف الجوانب التي رأيناها تساهم في تحديد معالم ومنطلقات صياغة الخطاب في المجتمع ، وخاصة في المؤسسات الدينية وعلى رأسها المسجد .

بالنسبة إلى الدراسات باللغة الأجنبية ، فيجدر التذكير بأن هذا الجزء من الفصل لم نجد فيه ما كنا نتمناه ، إذ أن الدراسات باللغة الفرنسية خاصة شحيحة وغير متوفرة ، وإن توفرت فهي مجرد وثائق لا يمكن الاعتماد عليها وإدراجها في مراجع ومصادر الدراسة . وما توفر لدينا لم نراع فيه اهتمامه بالخطاب الديني الإسلامي ، بل أدرجنا حتى التي اهتمت بالدين المسيحي . وقد سمحت لنا هذه الدراسات بمعرفة كيفية التعامل المعاصر مع الخطاب الديني في أوروبا والعالم ، خاصة مع تأثيرات معطيات العلمانية وسيطرة الحياة المادية على التدين في المجتمعات الغربية .

الباب الثاني :

الجانب النظري

الفصل الرابع :

ماهية الخطاب الديني

تمهيد .

المبحث الأول : تعريف الخطاب الديني .

المبحث الثاني : عناصر الخطاب الديني .

المبحث الثالث : أنواع الخطاب الديني .

المبحث الرابع : خصائص الخطاب الديني .

المبحث الخامس : معالم الخطاب الديني .

خلاصة الفصل .

الفصل الرابع : ماهية الخطاب الديني

تمهيد :

من أجل الوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة ، المصرح بها أو التي لم تتضح لنا في البداية ، لا بد من القيام بدراسة ماهية هذا الخطاب ، انطلاقا من العموم ، أي مختلف التعريفات اللغوية والأدبية وحتى الألسنية ، ثم التعريفات الاصطلاحية وصولاً إلى وضع تعريف إجرائي ، لم نقم بوضعه في تحديد المفاهيم ، لأننا نحاول القيام بتعريفه والوصول إلى دراسته من مختلف الجوانب وبشكل موسع لا يسمح به في تحديد المفاهيم . فالخطاب الديني « يأخذ أشكالاً وصوراً متعددة يتجسد فيها ويُعبر بها ، أصبح من المحتم والضروري ... تحديد إطار مفاهيمي محدد واضح ، ليمثل هذا الإطار الدعامة الأساسية التي يقوم عليها البحث ونقطة الانطلاق التي ينطلق منها والتي يتحتم ألا يخرج عن نطاقها »[1].

فالخطاب كان ولا يزال محل دراسة وبحث كبيرين من قبل المختصين في جميع المجالات ، فقد « شدّت دراسة هذا الخطاب انتباه عديدين من المشتغلين به : من فقهاء ونحاة ومتكلمين ومفكرين ومؤرخين ومستشرقين ، واستثارت فيهم جهوداً تباينت مداخلها وتراوحت قيَّمها ودرجات عمقها ، نحو اكتشاف أبعاده الفقهية واللغوية والبلاغية والاجتماعية والسياسية ، وشكلت رغم ذلك رصيداً لا يستطيع باحث أن يتجاهل ما تنطوي عليه من اجتهادات ، يلزم هنا الإحاطة بها ونقدها »[2].

وسوف نتناول في هذا الفصل ماهية الخطاب الديني بشكل عام ، حيث قسم الفصل إلى خمسة مباحث أساسية ، فكان المبحث الأول تحت عنوان : تعريف الخطاب الديني ، شمل على نقطتين ، أولاً : التعريف اللغوي للخطاب ، والتعريف الاصطلاحي للخطاب ، حيث جمعنا الكثير من الآراء المتنوعة التي حاولت تعريف الخطاب كل حسب تخصصه .

أما المبحث الثاني : عناصر الخطاب الديني ، فشمل على أربعة نقاط وهي : المخَاطِب (الملْقي) ، المخَاطَب (المتَلَقي) ، مخاطب به ، وأخيراً : الزمن والمكان الخاصين بالخطاب . فيما جاء المبحث الثالث تحت عنوان (أنواع الخطاب الديني) وضمَّ أربعة نقاط وهي : خطاب الوسطية الإسلامية ، الخطاب الصوفي ، الخطاب النصوصي وأخيراً : خطاب الغضب والتطرف والعنف .

أما المبحث الرابع ، الذي جاء تحت عنوان : خصائص الخطاب الديني ، فقد شمل على تسعة نقاط ، وهي : أولاً : التنوع والعالمية ، ثانياً : الشمولية ، ثالثاً : الوسطية وعدم التطرف ، رابعاً : الموضوعية والصدق ، خامساً : التجدد والمعاصرة ، سادساً : الطمأنينة والاستقرار ، سابعاً : خطاب نهضوي مؤثر ، ثامناً : خطاب ثابت غير متغيّر وأخيراً : خطاب وحدوي يدعوا المسلمين إلى التوحد ونبذ الفرقة . أما المبحث الخامس : معالم الخطاب الديني ، فجاء في طياته أربع نقاط هي : أولاً : الخطاب واجب على كل مسلم ، ثانياً : الخطاب رباني ، ثالثاً : الخطاب بالحكمة والموعظة الحسنة ، ورابعاً : الخطاب مع المخالفين ، لنختم الفصل بخلاصة ما تم تقديمه من شرح ودراسة .

---

[1] رحاب مكي : **الخطاب التربوي للمرأة في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم العالي** ، بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية ، تحت إشراف : حامد الحربي ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2000 – 2001 ، ص : 23 .

[2] محمد حافظ دياب : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 09 .

المبحث الأول : تعريف الخطاب الديني

أولاً : التعريف اللغوي للخطاب .

كلمة الخطاب مأخوذة من مادة (خَطَبَ) ، والخطاب « أحد مصدري الفعل خاطب يُخاطب خطاباً ومخاطبة وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم ... والإمام الجويني يرى أن الكلام ، والخطاب ، والتكلم ، والتخاطب ، والنطق واحد في حقيقة اللغة ، وهو ما يصير الحي به متكلماً »[1]. والخطاب عند ابن منظور هو الشأن أو « الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ... والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ، وهما يتخاطبان »[2]. فابن منظور ، أشار إلى شرح فصل الخطاب ، كما جاء في كتب التفسير حيث يقول :« وهو أن يحكم بالبيّنة أو اليمين وقيل : معناه أن يفصل بين الحق والباطل ، ويميّز بين الحكم وضده »[3]. وعند الزمخشري في أساس البلاغة :« خاطبه أحسن الخطاب ، وهو المواجهة بالكلام ، وخطب الخطيب خطبة حسنة »[4].

بينما توجد العديد من التعريفات التي تنظر إلى الخطاب بصفة أعم وأشمل وأوسع وأعمق من التعريف اللفظي أحادي الدلالة ، الذي يجعل من واحد يُلقي والآخر يتلقى ، أو حتى ثنائي الدلالة ، فهناك المرحلة الثالثة ، مرحلة تعدد الدلالات ، حيث استفاد مصطلح الخطاب من تراث المفهوم ، وشكل حقلاً دلالياً خاصاً به ، يزيد على المفهوم الأصلي ، ويتوافق مع معطيات الحقل الجديد الذي يستخدم الخطاب . فيمكن أن يكون الخطاب مكتوباً يعالج موضوع بشيء من التفصيل ، ويكون موجهاً نحو قضية من القضايا التي يسعى إلى دراستها أو علاجها أو الإشارة إليها . فالكتابة حسب بول ريكور مثلاً :« هي التجلي الكامل للخطاب ... على أن للكتابة جذراً متميزاً عن الكلام »[5].

كما يندرج مصطلح الخطاب في اللغة ضمن العديد من المقابلات الكلاسيكية ، نذكر منها :

- **خطاب مقابل جملة :** وفيها يمثل الخطاب بأنه وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة ، وهذا هو المعنى الذي يقصده (ز . س . هريس) عندما يتحدث عن تحليل الخطاب ، ويتحدث بعضهم عن نحو الخطاب ، واليوم يفضل البعض الحديث عن لسانيات نصية .
- **خطاب مقابل نص أو ملفوظ :** فالخطاب هو شكل من أشكال إقحام النص ، يسمح بالمقابلة بين طريقتي نظر إلى الوحدات المتجاورة للجملة باعتبارها وحدة لسانية (ملفوظ) ، وباعتبارها أثر فعل تواصل محدد اجتماعياً وتاريخياً ، وهذه المقابلة هي التي اعتمدت من جهة أخرى لإسناد وجهة نظر خصوصية لتحليل الخطاب ، فإلقاء نظرة على نص من حيث هيكلته (في اللسان) يجعل منه ملفوظاً ، والدراسة اللسانية لظروف إنتاج هذا النص تجعل منه خطاباً .

---

(1) إدريس حمادي : **الخطاب الشرعي وطرق استثماره ،** ط 01 ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 ، ص : 21 .

(2) العلامة ابن منظور : **مرجع سبق ذكره ،** المجلد الثالث ، باب الخاء ، ص . ص : 136 – 137 .

(3) نفس المرجع ، ص : 137 .

(4) أبي القاسم محمود الزمخشري : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 154 .

(5) بـــول ريكور : **نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ،** ط 02 ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص : 56 .

- **خطاب مقابل لسان :** فاللغة طبقاً لتحديدها بأنها نسق من القيّم تقابل الخطاب ، كما يمكن توجيه الخطاب نحو بعد اجتماعي ، يكون فيه الخطاب هو الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أو آرائهم في الأشياء . والخطاب قريب من التلفظ عند (أ . بنفنيست) : فهو اللسان باعتبار أن الإنسان المتكلم يضطلع به وفي ظروف ذاتية متبادلة هي التي تجعل التواصل اللساني ممكناً [1].

ففي كتاب الأستاذ الزواوي بغورة : (مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو) استخلص أهم معاني كلمة الخطاب والتي تقابلها في اللغة الفرنسية كلمة (Discours) ، ومن بين أهم هذه المعاني الأساسية نذكر :

1 . الشأن والغرض : والدلالة على ذلك في هذه المادة يختص به المصدر المشتق منها (خطْب) ، حيث ترددت كلمة خطْب في القرآن الكريم خمس مرات منها قوله تعالى : **﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾**[2]، وقوله تعالى : **﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾**[3].

2 . كلام حامل لشأن أو غرض : والدلالة على ذلك في هذه المادة تشترك فيها الأفعال : خطب وخاطب والمصادر المشتقة منها . ففي القرآن الكريم ذكر الفعل خاطب ثلاث مرات ، وهي في قوله تعالى : **﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾**[4]، ثم في قوله : **﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾**[5]، وأخيراً قوله تعالى : **﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾**[6]، وهو في كل مرة يقصد مجرد الكلام .

3 . الخطاب يعني إنجاز الشأن والغرض : حيث يكون للخطاب قدرة تعبوية وسلطة مؤثرة على السامعين[7]، وهو النوع الذي نقصده في هذه الدراسة ، حيث نسعى إلى إظهار مختلف جوانب التأثير التي يقوم بها الخطاب ، خاصة الخطاب الديني في الواقع الاجتماعي ، أو في المجتمع الإسلامي لما يحمل هذا الخطاب من كلام يلتف بنوع من القداسة التي يعطيها له الدين الإسلامي . أما في الفرنسية ، فكلمة خطاب تقابلها كلمة (Discours) ، وأصل ومضمون الكلمة لاتيني وهي تعني « Discursus وفعلها Discurure والذي يعني الجري هنا وهناك ، كما أن كلمة الخطاب تعبر عن الجدل Dialectique والعقل أو النظام Lagos وهو ما نجده عند أفلاطون »[8].

ثانياً : التعريف الاصطلاحي للخطاب .

يُعد الخطاب من المفاهيم الفلسفية الخالصة ، رغم كل ما عرفه من تطور في معناه ومفهومه ، وتغير في وظيفته وأهميته في مختلف حقول المعرفة ، خاصة في علم الاجتماع ، فقد انطلق من عند أفلاطون ، حيث ربطه بالعقل

---

[1] بول ريكور : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 181

[2] سورة يوسف ، من الآية رقم : 20 .

[3] سورة الحجر ، الآية رقم : 57 .

[4] سورة المؤمنون ، من الآية رقم : 27 .

[5] سورة الفرقان ، الآية رقم : 20 .

[6] سورة هود ، الآية رقم : 37 .

[7] الزواوي بغورة : **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ،** المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2000 ، ص : 90 .

[8] نفس المرجع ، ص . ص : 89 – 90 .

(Logos) وفي عصر النهضة بديكارت في كتابه (خطاب في المنهج) ، حيث أبرز الدور الفعال الذي يؤديه الخطاب في مختلف المجالات ، ويعتبر كتاب ديكارت تأسيساً للخطاب وليس فقط تفسيراً وتحديداً للمصطلح أو المفهوم .

أما في العصر الحديث فيشكل الخطاب علامة هذا العصر البارزة دون منازع ، وفي مختلف الحقول كما قلنا . فقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بميشيل فوكو (M. Foucault) ، واتخذ المفهوم أبعاداً إبستيمولوجية مستقلة ، فقد بحث فوكو الخطاب « بوصفه مفهوماً مرتبطاً بالإنسان ومؤسساته ، إن الخطاب لم يعد طريقة للتعبير أو حديثاً متساوقاً ، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة ، أو تحليلاً لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر ، وإنما أصبح إمكاناً وشرط وجود ونظاماً ، وأصبح حقلاً تتمفصل فيه الذوات ، ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له »[1].

أما فيما يخص الخطاب الديني ، فيقول القرضاوي :« إن المراد بخطابنا الديني الإسلامي : البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين ، لدعوتهم إلى الإسلام ، أو تعليمه لهم ، وتربيتهم عليه : عقيدة أو شريعة ، عبادة أو معاملة ، فكراً أو سلوكاً ، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم : فردية أو اجتماعية روحية أو مادية ، نظرية أو عملية »[2].

فهو يشمل الفرد والأسرة ، والمجتمع والأمة ، والدولة والعالم ، حيث « يتعرض هذا الخطاب لقضايا دينية خالصة ، تتعلق بالعقائد والغيبيات ، أو بالعبادات الشعائرية . وقد يتعرض لقضايا أخلاقية ، تتصل بالقيم العليا ، والفضائل والسلوكيات الإنسانية الراقية . وقد يتعرض لقضايا اجتماعية ، تتعلق بالرقي بالمجتمع من حضيض المادة والإباحية والنفعية التي عُرفت فيها المجتمعات المادية المعاصرة ، وحل مشكلات المجتمع من الفقر والجهل والمرض والرذيلة والفساد الخلقي والتظالم الاجتماعي ، والاستبداد السياسي . وقد يتعرض لقضايا فكرية أو اقتصادية أو سياسية أو دولية ليقدم العلاج لها على ضوء تعاليم الإسلام »[3].

وهو أيضاً ، « ذلك الخطاب الذي لا يعترف إلا بالوحي الإلهي الصحيح (القرآن والسنة) ، مضافاً إليهما اجتهاد العلماء المنضبط بالضوابط الشرعية المعتمدة المعروفة بالأدلة الشرعية ، مثل الإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها ... التي هي السبيل إلى التغلب على ما يستجد من أمور بفعل تغير العصور والأمكنة ، مصدراً للتشريع في أمور الحياة العامة والخاصة »[4].

ونظرا لأهمية الخطاب الديني من جهة ، ولأهمية التحديات وجديتها من جهة أخرى ، وما يفرضه الوضع من تغير وتحول فكري وسياسي ، فقد حاول مفكري العالم الإسلامي إلى تحريك الخطاب الديني ليتلاءم مع ما تفرضه طبيعة التطور الحاصل ، والاستفادة من العصرنة والتحديث حتى لا تظل المجتمعات العربية والإسلامية تعيش على الهامش ، وتعيش « حالة من التمزق بين الواقع ذي الطبيعة المحافظة من ناحية ، والنزوع نحو تحقيق انسجام مناسب مع مظاهر الحضارة والتقدم من ناحية أخرى ، وهنا تمثل إشكالية التجديد صدى لذلك التوتر القائم بين السلطة التقليدية للخطاب

---

[1] مهى العتوم : **تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث ، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج** ، دراسة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، تحت إشراف : سمير قطامي ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، 2004 ، ص : 15 .

[2] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 15 .

[3] نفس المرجع ، ص : 16 .

[4] السيد محمد الشاهد : **الخطاب الفلسفي المعاصر (من العام إلى الأعم)**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2000 ، ص : 07 .

الديني والرغبة الملحة في تطوير الذات من خلال الانخراط في إطار حضارة كونية »[1]. فكل خطاب « يخضع ، ككل سلوك اجتماعي ، لمعايير اجتماعية عامة جداً ، زيادة على هذا ، فالنشاط محكوم ، كما تُبيّن قوانين الخطاب بمعايير خصوصية وكل عمل من أعمال اللغة يتضمن معايير خاصة ، فعمل بسيط ظاهرياً مثل السؤال يقتضي أن المتكلم يجهل الجواب ، وأن في هذا الجواب شيئاً من الفائدة له ، وأنه يظن أنه يمكن للمرسل إليه أن يمده به ... فكل عمل تلفظ لا يمكن أن يقع بدون أن يبرر بطريقة أو بأخرى حقه في تقديم نفسه كما يقدمها ، ويساهم انخراطه في أجناس الخطاب مساهمة أساسية في إضفاء المشروعية »[2]على نفسه .

المبحث الثاني : عناصر الخطاب الديني .

فإذا كان معرفة الخطاب من حيث الموضوع والمضمون ضرورية في حياة الفرد في المجتمع الذي يحيا فيه ، فإن المعرفة الجيدة لعناصر هذا الخطاب واجبة ، لأن « وجوبها المعرفي يكون أكثر ضرورة ، إذ كيف يأتي للمجتهد أن يغفل شيئاً يفرض نفسه عليه وهو يقوم بعملية الفهم ، إن على مستوى الألفاظ ودلالتها أو على مستوى ما يحيط بها من محددات تتحكم في تلك الدلالة »[3]، وبالتالي فإن المعرفة بعناصر الخطاب تفرضها الغاية التي يسعى إليها الباحث ، وهو ما سوف نحاول التطرق إليه بنوع من التفصيل في هذا المبحث .

أولاً : المخَاطِب (المُلْقِي) .

إن الحلقة المركزية في أي خطاب كان ، ومهما كان نوعه ، هو ذلك الرجل الذي يتوجه به ، محاولاً من خلال ما أعدَّ التأثير على الجمهور المقابل له والملقي إليه بالسمع والملاحظة ، ينتظر ما يجيب على العديد من الأسئلة التي اجتمعت لديه بمجرد سماع عنوان الخطاب . فالمخَاطِب (الخطيب) له « رسالة يريد تبليغها ، ولديه أفكار ومفاهيم يرغب في إيصالها إلى مستمعيه ، وهو يطمح دائماً إلى أن يبلغ رسالته على أفضل وجه ممكن ، كما يطمح إلى أن يتبنى أفكاره ومفاهيمه أكبر عدد ممكن من الناس »[4].

ففي الدين الإسلامي ، يشترط في الخطيب الكثير من الشروط ، ولعل أبرزها ما ذكره العلامة الدمشقي الذي قال :« ينبغي أن يكون عالماً بأحكام الخطبة ، والصلاة وشرائطهما ومصححاتهما ، ومبطلاتهما وجوابرهما ، وكيفياتهما وتكملاتهما ، ولا يشترط أن يكون عالماً مجتهداً مطلقاً ولا مقيّداً ، ولا أن يكون مفتياً في جميع الأحكام ، ولا حِبراً لجميع الأنام ، فإن ذلك من صفات الكمال ، لا من صفات الصحة والإبطال ، لكن يجب على أولياء أمور المسلمين أن لا يقدموا إلا من يختارونه ويرتضونه ، لأن المصلحة فيها راجعة إليهم في دينهم ودنياهم »[5].

---

[1] نابي بوعلي : **« إشكالية تجديد الخطاب الديني الإسلامي »** ، **المواقف : مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ**، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي حول الظاهرة الدينية ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي ، معسكر ، الجزائر ، 2008 ، ص : 173 .

[2] باتريك شارودو ، دومينيك مانغونو : **معجم تحليل الخطاب** ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، حمادي صمود ، المركز الوطني للترجمة ، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث ، دار سيناترا ، تونس العاصمة ، تونس ، 2008 ، ص : 184 .

[3] إدريس حمادي : **الخطاب الشرعي وطرق استثماره** ، ط 01 ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 ، ص : 17 .

[4] عبد الكريم بكار : **المتحدث الجيّد ، مفاهيم وآليات** ، ط 01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2010 ، ص : 93 .

[5] علاء الدين الدمشقي : **كتاب أدب الخطيب** ، ط 01، قراءة وتعليق: محمد بن الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، ص : 91 .

قال رسول الله ﷺ :« يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، وأقدمهم قراءة ، فإن كانوا في القراءة سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سناً ، ولا يُؤَم الرجل في بيته ولا في سلطانه ، ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه »[1]. وقال رسول الله ﷺ : « ليؤذن لكم خياركم وليؤمكم قراؤكم »[2].

ومن بين الأمور الهامة التي لا يمكن لأي خطيب الاستغناء عنها نذكر ما يلي :

- دراسة اللغة دراسة تحول بينه وبين الخطأ ، أي ضرورة دراسة قواعد اللغة التي يقدم بها الخطاب .
- سعة المحفوظات الأدبية من نثر وشعر ومأثور من كلام العرب والأمثال والوصايا والحكم ، فضلاً عن حفظ القرآن الكريم وحفظ الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة ، « فهذا المحفوظ يمده بالعبارات التي يستغلها بسرعة ويمنحه قدرة على التصرف في تعبيراته وألفاظه ، كما أنه يسعفه أن يستشهد به على ما يقول »[3].
- دراسة أو معرفة الجوانب السلوكية والنفسية للمتلقي أو المخَاطَب ، خاصة الغرائز وتربيتها ، لأنه بدون علم هذه الأمور « لا يستطيع الخطيب أن يفهم نفسية سامعيه ، وهذا يعود عليه بضرر كبير ، فهو من ناحية لا يعرف ما يجب أن يقدمه لهم من نصائح وعظات ، إذ لكل جماعة حاجة إلى نصائح خاصة ، ومن ناحية أخرى لا يعرف أسباب الانحراف التي تطرأ على سلوكهم ولا كيف يكون علاجها »[4].
- الجرأة والشجاعة والثقة سمات ضرورية يجب أن تتوفر في الخطيب ، فالجرأة تعني عدم التهيب والتردد فيما يتحدث عنه الخطيب ، فقد يتعرض لمواقف توهن قوته وتجعله يغيّر مجرى ومسار الخطاب . أما الشجاعة فهي قوة الخطيب في فرض رأيه على سامعيه ، خصوصاً عندما يكونون على غير رأيه ، « وربما قاطعه بعض السامعين بما هو ضد ما يقول وفي المساجد قد يصفق بعض الحاضرين . وفي هذه الحالات لا يستطيع الخطيب أن يتخلص بمجرد الانصراف بوجهه إلى الآخرين وبتجاهل من يقاطعه ، ولكن عليه أن يكون ثابتاً هادئاً مبدياً للناس بمظهره وثباته أن هذا ليس بشيء يهتم به . ثم يستمر في سرد الأدلة على رأيه مضمناً كلامه ردا على المعترض في بساطة وهدوء ، فهذا موقف يعتمد على الشجاعة »[5].
- الإخلاص لله تعالى ، والحرص على الاستقامة التامة على تعاليم الدين الإسلامي ، فالخطيب الذي يخلص عمله كله لله ، ويستقيم استقامة تامة حسب تعاليم الدين يكون خطابه عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى ، لأنها دعوة إلى سبيل الله . والإخلاص في الخطاب الديني يفرض على الخطيب التخلي عن التأثيرات الشخصية كالهدف إلى الشهرة داخل المحيط الاجتماعي ، فالخطيب في بعض الحالات يسعى إلى الاحترام الفائق الذي يفوق الحقوق ، وينسى أن وظيفته التي يتلقى مقابلها أجراً ، هي رسالة سامية يجب فيها إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى دون غيره ، ودون أي غاية دنيوية أخرى .

---

[1] سليمان أبي الأشعث أبي داود : **سنن أبي داود** ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) ، ص . ص : 107 – 108 .

[2] نفس المرجع ، ص : 109 .

[3] عبد الجليل عبده شلبي : **الخطابة وإعداد الخطيب** ، ط 03 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1987 ، ص : 35 .

[4] نفس المرجع ، ص : 36 .

[5] نفس المرجع ، ص : 37 .

- ثقافة الخطيب ، فمهما كانت القضايا التي يطرحها ، ومهما كانت أهميتها ، « فإن العامل الأساسي في نجاحه وتأثيره ، سيظل ما يملكه من معلومات ومعارف عميقة ودقيقة وشاملة حول الموضوع الذي يتحدث فيه ، فالناس لم يعودوا يؤخذون بالكلمات الأنيقة والعبارات الرنانة إذا لم ترتكز على معطيات علمية موثوقة وعلى معانٍ قوية ومتماسكة »[1].

- المظهر اللائق والهيئة المناسبة ، فلا بد أن يكون مقبول المظهر حسن الملبس ، فكل ما يتصل بالأناقة الشخصية من ترتيب وتنظيم ، تعزز ثقة الخطيب بنفسه وتولد لديه درجة حسنة من الرضا عن الذات . ومن وجه آخر فإن معظم الناس لا يستطيعون إصدار أحكام موضوعية على ما يسمعونه بعيداً عن شخصية قائله ، بل إن أكثر الناس يقتنعون بالفكرة إذا ملأ صاحبها أعينهم وانتزع إعجابهم ، ويزهدون فيها ويزدرونها إذا جاءتهم من شخص عليه نوع من الفوضى والإهمال . فقد سئل العديد من الشخصيات والمسؤولين والخطباء حول المنظر اللائق وتأثير اللباس ، فأجمع الكل على « أنهم عندما يكونون بمظهر لائق وأنيق ، يشعرون بتأثير ذلك . ومن الصعب شرح ذلك الشعور ، لأنه غير محدد ، رغم كونه حقيقياً . فقد منحهم الثقة بالنفس ورفع من تقديرهم الذاتي »[2].

ثانياً : المخَاطَب (المُتَلَقي) .

المتَلَقِي ، هو العنصر الثاني الفعال الذي يهدف إليه الخطاب الديني ، فالرسائل ، الكلمات أو حتى مختلف النشاطات التي يقوم بها المسجد أو القائمين عليه ، هدفها الأساس توجيه وتنوير القادم إلى بيت الله ، ومحاولة التأثير عليه والتأثير على سلوكه داخل المجتمع بما يخدم الصالح العام ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى حتى المتَلَقِين عندما يقصدون المسجد ، فإنهم يتطلعون إلى سماع شيء يحتاجون إليه ، حتى حين يذهبون إلى صلاة الجمعة ، فإنهم لا يهدفون إلى أداء فريضة فحسب ، وإنما يتمنون أن يسمعوا شيئاً يفيدهم ويساعدهم على صلاح أمورهم .

فلم يعد المتلقي أو المخَاطَب « تلك الذات السلبية والثابتة المدعوّة سلفاً وببساطة المرسل إليه ، أي مفعولاً به يقع عليه فعل الكتابة ، بل أضحى فاعلا دينامياً يؤثِّر بالنصِّ فيصنع دلالته ، وهكذا أصبحت سيرورة القراءة تُدْرَك كتفاعل مادي محسوس بين نص القارئ ونص الكاتب . فالقراء المتعاقبون هم الذين يحققون العمل ... من خلال قراءاتهم المتعدِّدة والمتجددة له ، وعليه فهم يمنحون النص ... حياة مستمرة ، وبهذا المعنى تصبح القراءة إعادة كتابة ، كتابة النص ، لا استهلاكاً سلبياً لمُنْتَجٍ جاهز ونهائي . فالقارئ وهو يمارس فعل القراءة يتناص مع نصوص أخرى مثل الكاتب تماماً ، هذه النصوص تحدِّد طبيعة العلاقة التي يقيمها مع النص المقروء »[3].

فما يميز المتلقي هو عاطفته الجياشة ، إذ تتميز بالبساطة ، لأن بساطة « عواطف الجماهير يحميها من عذاب الشكوك وعدم اليقين . فالجماهير .. تذهب مباشرة نحو التطرف . فما إن يبدر خاطر ما حتى يتحول إلى يقين لا يقبل الشك . والشعور البسيط من النفور من شيء أو عدم استحسانه يظل في حجمه الطبيعي لدى الشخص العادي ،

---

[1] عبد الكريم بكار : **المتحدث ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 39 .

[2] ديل كارنيجي : **اكتساب الثقة ، فن الخطابة ،** ط 01 ، الأهلية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص : 96 .

[3] قدور عمران : **محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة السنة الرابعة ،** وثيقة غير مطبوعة ، مصلحة التكوين عن بعد ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية ، بوزريعة ، الجزائر ، ص : 18 .

ولكنه يتحول مباشرة إلى حقد هائج لدى الفرد المنخرط في الجمهور »[1]. فهو (المتلقي) يحب الارتجال ، فالعوام من الناس وأصحاب الثقافة الضحلة كانوا ولا يزالون يشجعون دائماً على الارتجال بوصفه تعبيراً عن مكنونات ، وبوصفه ترجمة على الجرأة وسرعة البديهة . وقد لا يرتاحون كثيراً للكلام المكتوب رغم أنه كثيراً ما يكون أعمق في دلالته من الكلام المرتجل .

وليس كذلك أهل الثقافة العُليا والمتخصصون ، فهؤلاء يهتمون بالدلالة وبعمق المعاني وترابط الأفكار أكثر من اهتمامهم بطريقة التقديم أو الإلقاء . فالمتَلَقِي لن يكون أبداً ينتمي إلى نفس الفئة الاجتماعية ، فالواردين على المسجد أنواع متعددة ومختلفة ، يلج إلى المسجد العامل البسيط الأميِّ الذي يفقه في الدين كيفية أداء الصلاة بطريقة متوارثة ، ويأتيه المثقف المتخصص في شعب العلم والأكاديمي الضليع في تخصصه ، كما يأتيه الذي يوافقه المذهب والمشرب والاتجاه ، ويواجه الذي يختلف معه مذهبياً وفكرياً وحتى عقائديا .

ثالثاً : مخاطب به .

ونقصد به الخطاب أو الرسالة أو المحاضرة أو مختلف النشاطات التي يعدّها القائمون على المسجد ، أي محتوى الخطاب ، فمن « المهم أن ننظر إلى الكلام الذي نوجهه للناس (المخَاطَبْ به) ، على أنه وسيلة اتصال وامتزاج وتأثير وليس وسيلة بلاغ وبيان فحسب . وحيث ننظر إلى أحاديثنا إلى الناس على أنها جزء من عملية اتصال لها طرفان ، فإن قيمة الاستماع للآخرين تساوي حينئذٍ قيمة الحديث إليهم . إن رؤانا لكل شيء ناقصة ، وإن في كل قضية نطرحها عنصراً غيبياً لم نطلع عليه . وقد يسمع العالم الألمعي من رجل عادي شيئاً ينفعه الله به ، وقد ينبهه إلى خطأ شنيع وقع فيه دون أن يشعر »[2].

سوسيولوجياً ، يختلف الأمر كثيراً ، فهناك ترابط بين ثلاث معطيات مهمة وأساسية ، البنى الاجتماعية التي تمثلها اللغة ، الممارسات الاجتماعية والتي تعني نطاق الخطاب ، ثم الأحداث الاجتماعية أو النصوص ، أو ما نسميه في هذه النقطة (المخَاطَب به) ، حيث أنه يمكن « اعتبار اللغات جزءاً من البنى الاجتماعية المجردة ... لكن النصوص باعتبارها مكونة في الأحداث الاجتماعية لا تُنتج فقط من الإمكانات التي تحددها اللغات . نحتاج أن نتعرف إلى كيانات منظمة متوسطة ذات طبيعة لسانية هي العناصر اللسانية في شبكات ممارسات اجتماعية ... والنطاق الخطابي شبكة من الممارسات الاجتماعية في جانبها اللغوي »[3].

فاللغة جزء من البناء الاجتماعي أو المحيط الاجتماعي الذي يتم فيه الخطاب ، لكنها ليس كل الخطاب ، لأن الخطيب يستعمل الإشارات ذات الدلالات المختلفة ، ويستعمل الحركات الجسمية المعبرة عن أفكار معينة ، ويستعمل نبرة الصوت ، حيث تجتمع هذه كلها لتكوِّن النص أو الرسالة أو (المخَاطَب به) ، وكلها تكون في إطار ما يسميه

---

[1] غوستاف لوبون : **سيكولوجية الجماهير ،** ط 01 ، الفكر الغربي الحديث ، ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص : 74 .

[2] إدريس حمادي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 175 .

[3] نورمان فاركلوف : **تحليل الخطاب : التحليل النصي في البحث الاجتماعي ،** ط 01 ، ترجمة : طلال وهبة ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 2009 ، ص : 61 .

(فاركلوف) النطاق الخطابي الذي يشكل شبكة من الممارسات الاجتماعية المحددة . لكننا عندما نصل إلى النصوص « باعتبارها عناصر في الأحداث الاجتماعية ، يصل تحديد العناصر الاجتماعية للغة إلى أعلى مستوى : لا تنتج النصوص فقط من البنى اللسانية والنطق الخطابية ، إنها تنتج أيضاً من البنى الاجتماعية الأخرى ، ومن الممارسات الاجتماعية في جميع جوانبها . لذلك يصعب الفصل بين العوامل التي تبلور النصوص »[1].

رابعاً : الزمن والمكان .

لا يمكن أن يكون الخطاب الديني خارج عن الزمان والمكان الذي يلقى فيه ، وإلا كان خطاباً خيالياً لا يعترف بالواقع ، أو كان مثالياً يخرج عن نطاق محدودية البشر وقدرتهم ، والقرآن الكريم يعتبر أكبر دليل على ذلك ، تعمَّد الله أن يكون القرآن مفرقاً ليخاطب به المسلمين على مراحل ، يراعي الزمان والمكان ، فكان قرآناً مكياً وآخر مدنياً ، يتابع الأحداث ويعالج القضايا والمشاكل التي تنتج في وقتها ، حيث يقول تعالى : **﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾**[2]، وقوله : **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾**[3].

فالهدف من تفريق تنزيل القرآن الكريم ليقرأه رسول الله ﷺ على مُكث ، فيقرأ عليهم ما يسد حاجة تلك اللحظة الزمنية ، ويتلو عليهم ما يزيدهم إيماناً واحتساباً ، ثم يواجه به أباطيل المشركين ، ويفسر ما يستجد عليه من قضايا وأمور حول الدنيا والآخرة . « وهكذا ينبغي أن يكون خطاب الدعاة لدى الجماهير والأقوام ، يرعى الزمان والمكان ، ليكون لكل زمان لسان ، ولكل مكان أذان ، ولكل حدث حديث ، ولكل مقام مقال ، ولكل مصاب جواب ، ولكل داء دواء . فالداعية الموفق هو ذاك الذي يتناسب خطابه بحال زمانه ومكانه ، ولا يتخذ نموذجاً قد طبع على حالة واحدة ، وسياق ثابت ، ومدلول متبلد على معنى معين ، وهدف فرد ، وهم فذ ، وبلد معلوم ، وفئة معينة ، وطريقة محددة ، وطريق لا يعرج ولا يدور »[4].

فالخطاب يكون حسب الزمان الذي يدعو إليه ، والمكان الذي يعيش فيه ، وحسب القضايا التي تظهر وتستجد على المجتمع ، « فليس الخطاب الذي يطلق في زمان الركود والرقود كالخطاب الذي يصدر في عهد اليقظة والنهوض ... ولا يصح أن يكون الخطاب أيام الاستضعاف والهوان كالخطاب أيام الاستعلاء ... ولا الخطاب حال العزة والتمكين كالخطاب في حال الانهزام والتبعية ... ولا الخطاب في زمان الصحوة كالخطاب في زمان الغفلة ... ولكن لكل حالة خطاب يناسبها ويفل حديدها ويسد ثغورها »[5] بصفة شاملة .

---

[1] نورمان فاركلوف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 62 .

[2] سورة الإسراء ، الآية رقم : 106 .

[3] سورة الفرقان ، الآيات رقم : 32 – 33 .

[4] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **دعوة الجماهير ، مكونات الخطاب ... ووسائل التسديد ،** سلسلة كتاب الأمة ، رقم 76 ، تقديم : عمر عبيد حسنه ، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ، 2000 ، ص : 29 .

[5] نفس المرجع ، ص : 29 .

هناك أهمية كبيرة بالنسبة لزمان الخطاب ومكانه ، فلا يمكن أن نتقدم اليوم إلى المسلمين في هذا الزمان بكل ما يحمل من تعقيدات ومشاكل وهموم وأزمات ، حيث حاجات الإنسان تعقدت وتنوعت ويأتي الخطاب لم يستوعب الزمن المعاش ليقبع في مشاكل لن تزيد من المتَلَقي إلا نفوراً أو تغييراً ، أو حتى زمن النشاط داخل المسجد ليس هو زمن خطبة الجمعة . ومكان الخطاب مهم ، والمسجد له نوع من القدسية بالنسبة للمسلم ، وهو ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار .

المبحث الثالث : أنواع الخطاب الديني .

أنواع الخطاب الديني عديدة ، خاصة في الفضاء الإسلام السني ، وقد أخذنا هذه الأنواع حسب دراسة الدكتور محمد عمارة في كتابه (الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني) ، حيث يقول :« وهذه الحقيقة ــ حقيقة تنوع الخطاب الديني ــ نجدها أكثر بروزاً وتجسداً في فضاء الإسلام السُني ، حيث لا باباوية ولا كهانة ، ولا عصمة لعالم دين ولا لمؤسسة من مؤسسات العلم الديني ... فالعصمة فقط للأمة ... والفتوى غير ملزمة ... واجتهاد المجتهد غير ملزم للمجتهد الآخر »[1]. فقد حدّد أربعة أنواع من الخطاب الديني ، وهي : خطاب الوسطية الإسلامية ثم الخطاب الصوفي ، فالخطاب النصوصي وأخيراً خطاب الغضب والتطرف والعنف ، وهو ما سوف نتطرق إليه في النقاط التالية :

أولاً : خطاب الوسطية الإسلامية .

الحديث عن خطاب الوسطية الإسلامية ينطلق من المعنى التأسيسي لمفهوم الوسطية في الإسلام ، والذي ينطلق من قوله : ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[2]، حيث تعتبر أجمع آية في كتاب الله ، حيث أصبحت تتلى على المنابر كل يوم جمعة ، بما أنها آية جامعة للمنظومة الأخلاقية والسلوكية والتصورية للمعنى العام لكلمة الإسلام ، ولقد تنافس المفسرون الأوائل في تشخيص القيّم الكلية المستنبطة من هذه الآية .

ويعتمد هذا النوع من الخطاب على الوحي ، أو ما يسمى بكتاب الله المقروء من جهة ، ومن جهة أخرى يعتمد على التمعن في الكون ، أي سنن الله في الأنفس والآفاق ، وعالم الشهادة ، أي كتاب الله المنظور ، حيث يكون الاعتماد على هذين المصدرين هما مصدرا العلم والمعرفة والقراءة . فالاعتماد على هذين المصدرين ، هو ما يسميه الفضاء الإسلامي بالاعتماد على النقل (كتاب الله المقروء ، الوحي) ، وكذلك الاعتماد على كتاب الله المنظور ، أي الاستدلال على قدرة الله في الأنفس والآفاق ، أي الاعتماد على العقل .

ثانياً : الخطاب الصوفي .

يعتبر الخطاب الصوفي ، خطاب متخصص ، تستعمله فئة معينة من المسلمين ، وهم الصوفية ، حيث يرتكز على خطرات الوجدان وعلم القلوب ، والإلهامات والفيوض التي تثمرها المجاهدات الروحية ، « وهو خطاب له أهله

---

[1] محمد عمارة : **الخطاب ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 14 .

[2] سورة النحل ، الآية رقم : 90 .

العارفون بمقاماته وأحواله . الذين يمثلون ــ في هذه الأرض ــ ما يمثله الملح للطعام : ضرورة لا غناء عنها ... لكنها لا تكفي وحدها ! »[1]. وقد جاء في تعريف الصوفية ، أو الخطاب الصوفي الكثير من الكلام ، وارتبط مع الكثير من الأساطير في العصر الحديث ، « فالتصوف يقوم على تعذيب النفس بالجوع والسهر ، وقلّة الكلام ، واعتزال الناس ، وإتباع المجاهدات ، والتجوال في القفار ، والإيناس بالوحوش والهوام ، وما إلى ذلك مما يقهر الإنسان مادياً ومعنوياً ، بحيث يحيله كتلة من التصور قادرة على الانسلاخ من دنيا الأرض حتى تصل إلى المعارج السماوية »[2].

والخطاب الصوفي يجعل صاحبه « قد عرف العقائد الإيمانية الصحيحة فاعتقدها ، وعرف الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات فعمل بها ، وعرف أمراض القلوب المختلفة فاجتنبها ، وطهّر نفسه من جميع المعاصي والرذائل فابتعد عنها ولسانه ذاكر آناء الليل وأطراف النهار ، وقلبه مراقب للعزيز القهار ، وهو مخلص لربه في أعماله محافظ على الفرض والنقل في جميع أحواله »[3].

كما يتضح أن الخطاب الصوفي يعتمد على جملة من المعطيات نذكرها في النقاط التالية :

- الخطاب الصوفي يبحث عن الحياة الصوفية لا في ما ينطقون به ، فالتصوف في حقيقته سلوك عملي لا أقوال نظرية .
- منهج الخطاب الصوفي أو الصوفية والتصوف هو الذوق ، وكل ما التزم به رجالات هذا الخطاب وألزموا به كل من أراد التعرف على طريقتهم .
- لا يوجد مدخل للعقل في الخطاب الصوفي ، لأنه يعبر عن تجربة روحية .
- انفرد الخطاب الصوفي عن كل الخطابات الأخرى منهجاً وموضوعاً ، حيث « حرص الخطاب الصوفي على هذه الاستقلالية من خلال إبعاد العقل من جهة ، وتفريقهم بين العلم والمعرفة من جهة أخرى ، فالأول نتاج العقل ، بينما الثاني ثمرة التذوق ، والعلم إدراك حقيقة من حقائق الموضوع المعروف ، بينما المعرفة حال تعانيها النفس حين تحترق شوقاً للاتصال بالله ، فيها يلتقي القلب ما يلقنه من إلهام إلهي »[4].

ثالثاً : الخطاب النصوصي .

وأول ميزة تميز هذا النوع من الخطاب الديني ، أنه لا يحبذ النظر العقلي ، فيقف وقوفاً صارماً على حرفية النصوص دون إعمال العقل في خلفيات ومقاصد هذه النصوص . ويعتبر الإمام أحمد بن حنبل هو إمام هذا النوع من الخطابات ، حيث يؤكد على واحدية النص ، وليس فقط أولويته . فمنهاجه في هذا الميدان هو الوقوف عند النص وحده ، حيث يؤكد الإمام أحمد على انحيازه الكامل إلى هذا المنهاج النصوصي عندما يحدد أصول منهجه التي نقلها عنه الإمام السلفي ابن القيّم الجوزية .

---

[1] محمد عمارة : **الخطاب ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 16 .

[2] سميح عاطف الزين : **الصوفية في نظر الإسلام " دراسة وتحليل " ،** ط 03 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص : 25 .

[3] عبده غالب أحمد عيسى : **مفهوم التصوف ،** ط 01 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص : 95 .

[4] أحمد محمود صبحي : **التصوف إيجابياته وسلبياته ،** كتابك 169 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1984 ، ص : 76 .

ويحدد ابن القيّم الجوزية خمسة أصول لمنهج الإمام أحمد بن حنبل ، فهو يعتمد أولا : على النصوص ، أي القرآن الكريم والحديث الشريف . ثانياً : ما أفتى به الصحابة رضوان الله عليهم (وهي نصوص) . ثالثاً : إذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم (وهي نصوص) . رابعاً : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف بدلاً من القياس ، وهي كذلك نصوص . خامساً وأخيراً : القياس للضرورة (*). فهذه الأصول الخمسة التي تدور كلها « وتعتمد أولاً وقبل كل شيء آخر ، بل وأخيراً على النصوص والمأثورات ، وتقف عند هذه النصوص والمأثورات ، وتنكر استخدام الرأي أو القياس ، فضلاً عن العقلانية والتأويل حتى في ترجيح نص على آخر من هذه النصوص »[1]. ويرجع ذلك لاعتقاد أصحاب هذا النوع من الخطاب أن النصوص الأولى (الكتاب ، السنة والصحابة) قد حوت كل شيء من أمور الدين والدنيا ، وقد أحاطت بحكم جميع الحوادث ، الماضي منها والحاضر والمستقبل ، ومن ثم فلا حاجة للقياس ، كما أنه لا حاجة للرأي ، لأنه إذا وجد النص فلا مكان بعد ذلك للقياس أو الرأي أو الاجتهاد أو استعمال العقل .

والخطاب النصوصي عند أركون يتناوله في إطار الحديث عن التراث ويسجل بعد دراسته المعمقة العديد من الشروط أو النقاط لبقاء هذا الخطاب ثابت رغم كل المتغيرات والتطورات التي عرفها ويعرفها المجتمع الإسلامي ، ومن بين هذه النقاط نذكر ما يلي :

- وجود حقل معنوي منسجم ومتماثل وثابت لا يتغير ، يسبح فيه أو يتحرك فيه دون أي نشاز كل الناقلين للأمانة الأصلية أو الوديعة الأولية وتوليداتها ، ثم كل متلقي لهذه الوديعة ، الذين يعيدون تحيينها (Actualisation) وتنشيطها ، أي كل المؤمنين عبر تعاقب العصور والأجيال .
- التأكيد على الأحادية المعنوية (أحادية المعنى) للنصوص (الموضوعية الصحيحة) المنقولة والموضحة والمشروحة بشكل متطابق وصحيح من قبل التفاسير التي وصلتنا عبر التراث .
- كل عبارة أو وحدة نصية من وحدات التراث (énoncé) مرتبطة بسلوك أو تصرف نموذج مثالي كان الله قد أمر به أو قام به النبي ﷺ أثناء فترة التبشير بالرسالة . من هنا تأتي أهمية السيرة النبوية . ففي سلوك النبي ﷺ هناك تطابق تام بين الكلام ومراجعه المحسوسة (أو بين الكلام والفعل المباشر) . كما أن هناك أيضاً تطابقاً مباشراً بين كل جملة (أو عبارة نصية) تلفظ بها النبي ﷺ وبين التصرف أو العمل الذي يقوم به أو يعيد إنتاجه كل مؤمن بغض النظر عن المكان والزمان الذي يتواجد فيه .
- ليس هناك أي مجال للشك فيما يخص صحة الحكايات (أي القَصَص والأخبار) التي تنقل الوديعة الأولية وتتيح إعادة تنشيطها وتجسيدها داخل التراث الحي . أما الصحابة فهم يتمتعون (على شاكلة حواريي المسيح) بجاذبية شخصية خاصة تجعلهم بمنأى عن كل ضلال أو انحراف فيما يخص المحافظة على الرسالة[2].

(*) لمعرفة تفاصيل هذه الأصول الخمسة بكل حيثياتها ، فإنه يمكن العودة إلى كتاب ابن القيّم الجوزية **(إعلام الموقعين) المجلد الثاني** ، من الصفحة 50 إلى الصفحة 62 ، وهو مرجع سبق لنا استعماله ، حيث خصص كل هذه المساحة للحديث عن الأصول الخمسة التي تبناها الإمام أحمد بن حنبل في الفتوى ، وكلها تقريبا تعتمد على النصوص ما عدا القياس للضرورة ، وهو قياس إذا صح التعبير ، قياس نصوصي يعتمد على المطابقة بين ما يوجد من نصوص وما تتطلبه الفتوى ، أي مطابقة النصوص للأمر المستجد .

[1] محمد عمارة : **السلفية** ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، 1994 ، ص : 24 .

[2] محمد أركون : **الفكر الإسلامي ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 26 .

رابعاً : خطاب الغضب والتطرف والعنف .

هذا النوع من الخطابات يمثل فرقة من فرق فقه وفكر نصوصية الجمود والتقليد ، فهو إلى حد ما نوع من الخطاب النصوصي ، « الذي استفزه بؤس الواقع الذي يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب ... فرفض هذا الفيصل طريق الإصلاح واختار طريق العنف ، وأدار ظهره لسنة التدرج في الإصلاح ، وتعجل القفز على السلطة والدولة ــ بالانقلاب ــ بدلا من مشاق طريق التربية والتوعية وتهيئة المجتمعات الإسلامية ، بإعادة صياغة إنسانها صياغة إسلامية تستكمل إسلامية سجايا وشمائل هذا الإنسان »[1]. وزاد على ذلك الحملة التي يقودها المخالفين للإسلام ، من أجل تصوير الإسلام وقرآنه ورسوله ﷺ وخاصة خطابه ، على أنه دين عنف وسيف وذبح وتقتيل لكل المخالفين له في العالم .

هذا النوع من الخطاب هو صورة سلبية لا تقوم على الجدال بالتي هي أحسن ، وإنما بالبارود والنار ، فقد شهد العالم الإسلامي تحت ظل هذا الخطاب ظهور جماعات كثيرة ، خاصة بين الشباب ، تجنح إلى مسالك تصوروها تقربهم من النهوض بالأمة ، لكنها أنتجت العكس . دخلوا في صراع مع السلطة لتصورهم أن نجاحهم لا يحمل إلا معنى واحداً هو امتلاك أدوات السلطة ، فسعى هذا النفر إلى العنف والترهيب ، فإذا بالخسائر المترتبة على هذا الصراع في كثير من بلدان العالم الإسلامي لا يقل خطورة عن خسائر البلدان المتحاربة في كل من آسيا وإفريقيا .

أما الدكتور محمد أركون ، وهو يصف هذا الخطاب بالخطاب الأصولي ، فيقول عنه :« إن الخطاب الأصولي الراهن ينكر وجود أية مسافة فكرية بين ما أصّله الشافعي وأوصى به ابن تيمية ، وأفتى به الغزالي وأجمع عليه مراجع التقليد ، وبين المعتقد الديني كما هو سائد في المجتمعات المعاصرة ، وبخاصة في هذه المرحلة الخاضعة لعوامل العولمة . وهذا الإنكار بحد ذاته يشكل ظاهرة اجتماعية ، ثقافية منتشرة في القطاعات الاجتماعية المنفصلة انفصالاً مطلقاً عن النظرة التاريخية النقدية لتطور الأديان وما ندعوه بالظاهرة الدينية »[2]. فالمنتسبين لهذا النوع من الخطاب ، ورغم إدعائهم بالالتزام بأهل السنة والجماعة فإنهم ينكرون الخطاب الذي أصَّله الشافعي ودافع به عن الدين الحق ، ويأخذون من ابن تيمية ما يسهل له تجييش الشباب المسلم ، ويرفضون فتاوى الغزالي لاعتباره من أهل الكلام والمهتمين بالفلسفة والمنطق .

لا شك أن هذا النوع من الخطاب أصاب الخطاب الديني الوسطي والمعتدل بالكثير من التشويه ، « هذا التشويه الذي أصاب صورة الإسلام لم يكن نتيجة حملات المستشرقين أو أعداء الإسلام كما تعودنا أن نقول ، ولكنه كان نتيجة أفعال جماعات من المسلمين ، ترتكب الجرائم باسم الإسلام ، وتقدم فكراً وسلوكاً (وخطاباً) يتعارض مع الإسلام وتدعي أنه الإسلام الحق . ومن المؤسف أن كتابات الأئمة والشيوخ المحترمين الذين يمثلون بحق الفكر الإسلامي الصحيح لم يعد لها تأثير ، وتراجعت كثيراً (وتراجع خطابها المعتدل) ، وأصبحت الأضواء مسلطة على الفكر الشاذ الذي اقتحم الساحة الإسلامية في غزوة شاملة ونجح في بلبلة عقول المسلمين ، وإثارة الشكوك في نفوسهم ، بحيث لم

---

[1] محمد عمارة : **الخطاب ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 18 .

[2] محمد أركون : **الفكر الأصولي ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 12 .

يعد الواحد منهم يعرف إن كان مسلماً حقاً أم هو من الكافرين بحسب تصنيف جماعات الإرهاب ... وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر بحق كما قال رسول الله ﷺ »[1].

المبحث الرابع : خصائص الخطاب الديني .

للخطاب الديني العديد من الخصائص ، حاولنا تقليد أو إتباع أعلام الخطاب الديني المعاصر في إبرازها ، ولعل من أهم هؤلاء الأعلام الدكتور يوسف القرضاوي ، الذي حاول توضيح خصائص هذا الخطاب مع ربطها بالواقع وتطلعات المجتمع الحديث ، وهو ما نحاول تقديمه في النقاط التالية :

أولاً : التنوع والعالمية .

الخطاب الديني الإسلامي يهدف إلى الوصول للناس كافة ، أي للعالمين أجمعين ، فهو لا ينظر إلى الأجناس والأعراق والألوان واختلاف الألسنة والأماكن ، فقد جاء في القرآن الكريم ، (يا بني آدم) و(يا أيها الناس) ، فالخطاب الديني خطاب عالمي ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[2]. فقد جاء للزمان كله « منذ بُعث إلى قيام الساعة ، وشامل للمكان كله وهو الأرض جميعها ، فقد خاطب الله تعالى المسلمين جميعاً في كل زمان ومكان بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[3]، وقوله : ﴿ **فلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾[4]، والآيات في ذلك كثيرة ، فلا يخرج إنسان عن الدخول في عموم الرسالة (الخطاب الديني) سواء كان يعيش في عصر الدواب التي تمشي على أربع ، أو كان يعيش في عصر الصواريخ وحاملات الطائرات والأنترنت ، وغزو الفضاء »[5].

هذه العالمية التي تحدث عنها القرآن الكريم جاءت في الكثير من الآيات ، فالدين لكافة البشر دون تفريق ، ولجميع الأمم دون تهميش حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فيقول تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾[6]، ففي الآية دعوة إلى الاقتداء بالأنبياء الصالحين الذين هدى الله ، فلا يطلب الخطيب أجراً عن ذلك ، إنما يذكّر الناس أجمعين ما يرشد إلى الهدى والرشاد والإيمان . وفي نفس السياق يقول تعالى : ﴿ **وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[7]، ويقول : ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[8]. فالدين الإسلامي بتنوعه وتوسعه واهتمامه بكل

---

[1] رجب البنا : **الأميّة الدينية والحرب ضد الإسلام ،** دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1999 ، ص : 03 .

[2] سورة الأنبياء ، الآية رقم : 107 .

[3] سورة الحشر ، من الآية رقم : 07 .

[4] سورة النساء ، الآية رقم : 65 .

[5] محمد بن شاكر الشريف : **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ،** ط 01 ، منشورات مجلة البيان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2004 ، ص : 22 .

[6] سورة الأنعام ، الآية رقم : 90 .

[7] سورة يوسف ، الآية رقم : 104 .

[8] سورة ص ، الآيات رقم : 86 – 87 .

مناحي الحياة ، لم يترك أي مجال من المجالات التي تهمّ الفرد وتجعله خليفة له في الأرض إلا وتحدث عنها وبيّنها ودعا نبيه محمد ﷺ ، ومن بعده حاملي الخطاب الديني إلى توضيحه وتبيانه ، لأن هدفه هو رفعة الإنسان إلى درجات سامية بغرس الإيمان في قلبه . فبالإيمان وحده يتحقق التطور الاجتماعي ، وتربية المسلم على خشية الله وتقواه تجعله قادراً على تأدية واجبه بإخلاص وأمانة من أجل إقامة عالم أفضل ، فبهذه المعاني وحدها يتم إنقاذ الإنسانية من التفرق المستمد من الولاء للجنس واللون والإقليم والمال .

ثانياً : الشمولية .

تتمثل شمولية الخطاب الديني في كونه يتطرق إلى كل قضايا الإنسان ، فهو شامل لكل مناحي الحياة ، يشمل علاقة الإنسان بربه وخالقه ، وعلاقته بنفسه وغيره ، خطاب يتحدث عن أمور العقيدة والإيمان ، ويحدد السلوك والمعاملات ، يجدد في أمور الدنيا ، فالخطاب الأول أو خطاب النبي ﷺ ليس فيه شيء مقدس وآخر وضعي ، وليس فيه ما هو إلهي وما هو علماني ، وإنما نظام شامل لكل المعارف والحقائق ، ما كان منه روحياً أو غيبياً ، أو يخص الإنسان في هذه الحياة الدنيا من محسوسات أو وسائل المعرفة الإنسانية والحث على استخدامها .

يقول تعالى : **﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾**[1] . ففي هذا السياق يقول الشيخ محمد الغزالي :« وسائل المعرفة ثلاث : روحية ، وتجريبية ، وعقلية ، والقرآن الكريم استخدمها وحث على استخدامها ، قال تعالى في حق المعارف الروحية : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾**[2] . وفي حق المعرفة التجريبية : **﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾**[3] . وقال : **﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾**[4] . وفي حق المعرفة العقلية قال تعالى : **﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾**[5]»[6] .

فالخطاب الديني في عصرنا يجب أن يتماشى ويساير متطلبات العصر ومتطلبات هذا الإنسان في العصر الحالي دون التنازل أو المساس بجوهر الدين الإسلامي وأصوله ، حيث يكون خطاباً متفتحاً على الأديان والثقافات العالمية ، متواصلاً معها ، لا يخشاها ، ولا يصطدم معها ، ولا حتى يذوب فيها ، بل شموليته تجعله يرتقي إلى نقدها بدون الوقوع في فخّ التحفيز على الكراهية ، وممارسة العنف المعنوي والفكري اعتماداً على تفسيرات خاصة للنصوص الكتابية . الخطاب الديني بهذه الشمولية التي يتميز بها يحتاج إلى أن يسمو إلى منطق الحفاظ على الحريات الفردية والجماعية ، والعدل والمساواة ، وبالتالي يستطيع أن يعاصر الأحداث دون أن يتأثّر بالمضمون ودون أن يخاف من الأفكار المستوردة .

---

[1] سورة النحل ، من الآية رقم : 89 .

[2] سورة الحديد ، من الآية رقم : 28 .

[3] سورة العنكبوت ، من الآية رقم : 20 .

[4] سورة فصلت ، من الآية رقم : 53 .

[5] سورة الحج ، من الآية رقم : 46 .

[6] محمد الغزالي : **الإسلام والطاقات المعطلة (27)** ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2005 ، ص : 165 .

ثالثاً : الوسطية وعدم التطرف .

من بين أهم خصائص الخطاب الديني ، هي خاصية الوسطية والاعتدال ونبذ العنف ومقت التعصب ، لأن الخطاب الوسطي أو الذي يعتمد على منهج الوسطية ، يعبر عن الإسلام الحق ، وعن منهج الأمة التي قال فيها الله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[1]. وحقيقته ، أي المنهج ، إقامة الوزن بالعدل والقسط في كل الأمور بعيداً عن الطغيان والإخسار ، بعيداً عن التطرف والعنف . وهو المنهج أو الخطاب الذي أصبح كثيراً ممن كانوا يعارضونه ، « ينادون به ، ويشعرون بالحاجة إليه ، حتى أن بعض الحكام انتبهوا إلى أهمية هذا الأمر ، وضرورة التمسك به ، وتربية الأمة عليه »[2].

لقد تحدثنا عن خطاب العنف والتطرف في أنواع الخطاب ، فهو ليس من خصائص الخطاب الديني الذي يمثل الإسلام الحق ، هذا الخطاب الذي جاء في ظروف معينة عرفتها الحركات الإسلامية في العصر الحديث والمعاصر أدت في ظل التعصب والتطرف إلى تكفير أفراد المجتمع ، فقد وجدت « في بعض الكتب الإسلامية الحديثة التي كتبت هذه الظروف نفسها كانت تحمل بذور هذا التفكير وتدفع إليه دفعاً بما تتسم به من قوة التعبير وحرارة التأثير . وهكذا احتضنت هذه الفئة هذا الفكر المطبوع بطابع الغلو والعنف ، والذي ينظر إلى الناس ــ أفراداً ومجتمعات ــ من وراء منظار أسود قاتم »[3]، لا يفرق فيه بين أبناء المجتمع الواحد ، ولا بين أبناء المجتمعات الأخرى الحاملة للملة من أهل الكتاب أو الملحدة والمادية . وهو مناقض للخطاب المعتدل الذي يسعى إليه الدين الإسلامي في إطار بالتي هي أحسن وأقوم .

رابعاً : الموضوعية والصدق .

ومن أهم ما يميز الخطاب الديني من حيث الموضوعية والصدق ، ما يسميه القرضاوي بفقه الأولويات ، حيث يقول :« وضع كل شيء في مرتبته بالعدل ، من الأحكام والقيم والأعمال ، ثم يقدم الأولى فالأولى ، بناء على معايير شرعية صحيحة ، يهدي إليها نور الوحي ، ونور العقل »[4]. والله تعالى يقول : ﴿ **نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[5]. فنور الوحي ونور العقل مجتمعان ، تستدعي من الخطيب أن لا يقدم غير المهم على المهم ، ولا المهم على الأهم ، ولا المرجوح على الراجح ، ولا المفضول على الفاضل أو الأفضل ، « بل يقدم ما حقه التقدم ، ويؤخر ما حقه التأخير ، ولا يكبر الصغير ، ولا يهون الخطير ، بل يوضع كل شيء موضعه بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا إخسار ... وأساس هذا : أن القيّم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتاً بليغاً ، ليست كلها في رتبة واحدة »[6].

---

[1] سورة البقرة ، من الآية رقم : 143 .

[2] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 12 .

[3] يوسف القرضاوي : **ظاهرة الغلو في التكفير ،** ط 03 ، دار وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1990 ، ص . ص : 05 – 06 .

[4] يوسف القرضاوي : **في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة ،** ط 02 ، دار وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1996 ، ص : 09 .

[5] سورة النور ، من الآية رقم : 35 .

[6] نفس المرجع ، ص : 09 .

فموضوعية الخطاب الديني وصدقه ، لا تعتمد على العوام في مهاجمة من يريد البحث عن الحقيقة مهما كانت ، وتقصيها والبحث عنها ، خاصة في مجال فهم دلالات كتاب الله تعالى خارج إطار فهم السابقين . كذلك لا تعتمد على الاستخفاف بكل نشاط علمي وبحثي يريد إبراز صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان ، فإثباته لا يتم بالاعتماد الأعمى عن السلف وتفسيراتهم وتأويلاتهم للدين ، ولا يتم بتكفير كل من خالف الرأي ، وإلا كان هذا الاستخفاف مثل استخفاف فرعون لقومه في قوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ، فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ** ﴾[1]. فهو يؤدي بالكثير من الخطباء إلى اتهام الآخرين بالكفر والزندقة ، أو الخيانة والعمالة للغير ، وهذا يغيب الحقيقة والصدق والموضوعية ، ويجعل الخطاب الديني منغلق على نفسه بعيداً عن امتلاك الحجج والبراهين .

خامساً : التجدد والمعاصرة .

الخطاب الديني يحرص على التجدد والمعاصرة ، فيتشرب روح العصر في وسائله وآلياته ، فلا يتجاهل في دعوته إذا دعا ، ولا في تعليمه إذا علّم ، ولا في فتواه إذا أفتى مختلف تيارات العصر ، ومذاهبه الفلسفية ، ومدارسه الفكرية ، واتجاهاته الأدبية ، وانحرافاته السلوكية ، ومشكلاته الواقعية . فلا يعيش في الكتب القديمة وحدها ، ولا يتقوقع على الماضي وحده ، بل لا بد أن يعلم أن الدنيا تغيرت ، وأن الحياة تطورت ، فهو ابن زمانه ومكانه وبيئته . فالفتوى مثلاً : تتغير بموجبات عديدة منها تغير الزمان والمكان ، وتغير العرف والحال ، فقد عرف على الإمام الشافعي مثلاً : اختلاف بين مذهبه الجديد لما استقر بمصر ومذهبه القديم قبل أن يستقر بها .

فالخطاب الديني يتوافق مع سمات العصر الذي يعيش فيه ، ولعل أبرزها اليوم العقلية العلمية : التي ترد كل شيء على المنطق والعلم ، ولا تقبل أي حديث بلا برهان أو دليل ، وترفض الخضوع للأساطير أو الأباطيل ، فالعقلية العلمية هذه ترفض الاستسلام لخرافات الدجالين والكهنة والعرافين والتلاعب بعواطف الجماهير . وفي التراث فالإيمان بهؤلاء كُفرٌ بما جاء به محمد ﷺ . وفي الحقيقة يقول القرضاوي :« أن العقلية العلمية ليست من اختراع العصر ، ولا من مستوردات الغرب ، بل هي العقلية التي ينشئها القرآن الكريم بآياته وتعاليمه ، فهو يرفض الظن في مقام اليقين ، ويذم المشركين بقوله : ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴾[2]. كما يرفض إتباع العواطف والأهواء في البحث عن الحقيقة : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾[3]. ويعلن حملته على الجمود والتقليد للآباء أو للسادة والكبراء ، أو لعامة الناس »[4].

ومن سمات العصر كذلك التجديد ، فالعصر لا يقبل أن يبقى القديم على حاله ، ولا يقبل تجميد الحياة والفكر والعلم والاجتهاد . فالدين يتجدد فما بالك بالخطاب الديني الذي يمثل ما يستنبطه ويفهمه الفقيه والعالم والمفكر من

---

[1] سورة الزخرف ، الآيات رقم : 54 – 56 .

[2] سورة النجم ، من الآية رقم : 28 .

[3] سورة القصص ، من الآية رقم : 50 .

[4] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص.ص : 129 – 130 .

النص الديني ، أو من مصادر الاجتهاد والاستنباط المعتمدة . فالخطاب الديني الذي هو فتاوى الفقهاء والتي تتغير حسب الزمان والمكان كما رأينا مع الإمام الشافعي وغيره ، والذي هو كتابات العلماء ، وأحاديث الخطباء وآراء ومواقف القيادات والجهات الدينية المتأثرة بالواقع الاجتماعي ، كيف لها أن تبقى جامدة وهي تحاكي الواقع وتحاور مشاكل مستجدة ؟. لكن هذا التجديد لا يجب أن يتنكر للتراث ، وسوف نتطرق إلى موضوع التجديد بالتفصيل في فصل خاص من هذه الدراسة .

فالمعاصرة والتجديد لا تعني الانفصال عن التراث والتنكر له وجعله سبب كل المشاكل والبلايا التي يعيشها العالم الإسلامي ، فليس كل قديم سيئاً ، وليس كل جديد حسناً ، وكم من قديم نافع ومبارك ، وكم من جديد لا خير فيه ، وليس من التجديد التبرم بكل قديم وفتح الذراعين لكل جديد ، بل هناك مرونة وقابلية للتطور ، فقد تطور كل شيء حول الإنسان في هذا العصر ، تطورت العلوم ، تطور حتى تفكير الإنسان ، تطور التكنولوجية ، وأصبح العالم في ظل العولمة مجرد قرية صغيرة ، لكن جوهر الإنسان بقي كما هو ، فيه الخير والشر ، فيه التقوى والفجور .

سادساً : الطمأنينة والاستقرار .

يحقق الخطاب الديني الطمأنينة والاستقرار والسعادة في الحياة ، مصداقاً لقوله : **﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾**[1].

وقد جاء في تفسير الطبري لهذه الآية الكريمة ، أن الله تعالى وعد المؤمنين بالله ورسوله من الناس وعملوا الصالحات ، أي أطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ، ليورثنهم أرض المشركين من العرب والعجم ، فيجعلهم ملوكها وساستها ، كما فعل من قبل ذلك مع بني إسرائيل ، إذ أهلك الجبابرة بالشأم وجعلهم ملوكها وسكانها ، وليوطئن لهم دينهم وملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها . وليغيِّرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن ، حتى يخضعون له بالطاعة ويتذللون لأمره ونواهيه[2]. ويقومون بأداء واجباتهم اتجاه أنفسهم واتجاه المجتمع ، واتجاه العالم الخارجي ، والذي يصبح فيه الخطاب الديني الصحيح هو الوسيلة التي ارتضاها الله لعباده وفق المنهج الرباني والمنهج المفسر له ، أي المنهج النبوي .

فلا يمكن للخطاب الديني أن يعمل على نشر ثقافة الفوضى ، وثقافة الموت ، أو يستعمل مثل هذه الأساليب كوسيلة للخلاص من الفشل والهزيمة ، ويجعل الإنسان ينتظر الموت كحل نهائي للخروج من مشاكله الدنيوية ، بل من الضروري للخطاب نشر ثقافة الأمن والطمأنينة والاستقرار لأنها خاصية بارزة في الخطاب الديني الصحيح ، حيث يتم ذلك بالعمل الجاد والفعال والهادف لا باتخاذ أسلوب الأمنيات ، وهو ما يجعل العمل لنشر ثقافة الطمأنينة والاستقرار ، أو حتى العمل بصفة عامة في الدنيا مقدمة للآخرة ، ومصير الإنسان ومآله ورتبته في الآخرة متوقف على ما قدمه في هذه الدنيا .

---

[1] سورة النور ، الآية رقم : 55 .

[2] محمد بن جرير الطبري : **مرجع سبق ذكره ،** المجلد الثامن ، ص . ص : 449 – 450 .

سابعاً : خطاب نهضوي مؤثر .

فالخطاب الديني ، خطاب نهضوي ، لأنه ينهض بالإنسان إلى مراتب سامية ، فقد فضله الله على كثير من خلقه ، والنهوض يتم بتلك المفاهيم والمعاني التي ضمنها كتابه المقروء ، والتي أعطى فيها الكثير من التفسيرات والشروح لأمور عالقة بفكر الإنسان ولا تزال تشغل باله . بهذه المفاهيم يتحرر من أسر الضلال والعبودية للعباد ويسعى إلى تحقيق خلافة الله في الأرض ، لأن الخطاب الديني يحقق النهضة للفرد ، المجتمع والدولة .

والخطاب الديني ، خطاب نهضوي مؤثر ، لأنه يتوجه إلى العقل السليم المولود على الفطرة ، ويتوجه إلى العواطف فيحركها ويلهبها حماسة لا تجدها في خطاب آخر ، قد يحمل الفرد نفسه على المكاره دون أدنى شك ، لأن هذا الخطاب يلامس القلوب ويشحذ الهمم ويثير الحماسة ، ويوجل القلوب ويلين الجلود ، والله يقول : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[1] . وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير :« أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أن ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب »[2] .

ثامناً : خطاب ثابت غير متغيّر .

ونقصد بأن الخطاب الديني الصحيح ثابت ، وغير متغير في ما يخص الأحكام الشرعية ومقاصد الدين الإسلامي ، وكل ما هو ثابت في القرآن الكريم والصحيح من السنة النبوية ، غير أن الأساليب والوسائل التي يستعملها الخطاب الديني متغيرة ، فهي تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال ، وهو ما رأيناه في الفتوى ، وتغيرها . فثبات الخطاب الديني لا يناقض أبداً سعته وشموله وحتى كماله ، لأنه الأحكام من صنع الخالق ، فالدين الإسلامي ، هو الدين الوحيد الذي تصدى لكل الحوادث والمتغيرات والمستجدات الحاضرة والمستقبلية وأعطاها أحكاماً تعالجها صالحة لكل زمان ومكان ، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً** ﴾[4] .

فالخطاب الديني ، أو هنا بالتحديد الخطاب القرآني ثابت مطلق باتفاق كل المسلمين ، فهو بعبارة أخرى الدين في حد ذاته ، ثابت في عناصره الأساسية والجوهرية ، وفي نصوصه الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان لأنها محفوظة بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[5] . فهذا الحفظ الرباني ، هو الذي يجعله ثابت غير متغير ، ويجعل التغيير في الأساليب والوسائل ، التي تتغير من مرحلة إلى مرحلة ، ومن عصر إلى عصر ، ومن مجتمع إلى مجتمع ،

---

(1) سورة الأنفال ، الآية رقم : 02 .

(2) إسماعيل ابن كثير : **مرجع سبق ذكره** ، ج 02 ، ص : 419 .

(3) سورة الشورى ، الآية رقم : 15 .

(4) سورة الإسراء ، الآية رقم : 74 .

(5) سورة الحجر ، الآية رقم : 09 .

تحاول أن تستلهم من النص الديني ــ من ثوابته الأساسية ــ بروح العصر التي تتم فيه قراءة هذا النص ، أين يصبح لكل عصر ، وكل زمان ومكان ، ولكل مرحلة سماتها وخصائصها في قراءة النص الديني .

تاسعاً : خطاب وحدوي .

إن الخطاب الديني ، خطاب وحدوي يعمل على صهر المؤمنين في بوتقة العقيدة الإسلامية ، حتى يكونوا أمة واحدة تربطهم رابطة عقيدة الإسلام ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[1] . وقوله : ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾[2] . وتجعل المؤمنون إخوة في قوله : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[3]، فهي رابطة لا تنقطع باختلاف النسب ، اللون أو الجنس ، لأن ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع و انفصل .

فالخطاب الديني يدعو إلى وحدة الأمة ، وينفر وينبذ التفرقة ، لقوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[4] . فالخطاب الديني لا بد أن يوحد الأمة ولا يفرقها ، ويجمعها على كلمة الله التي لا تبديل فيها .

فكثير من حملة الخطاب الديني المعاصر يؤكدون على ضرورة توحيد هذا الخطاب ، إذ السعي إلى تحقيق هذه الوحدة على جميع المستويات ضرورة تقتضيها المرحلة ويقتضيها العصر ، فنجاح الرسالة أو الخطاب رهين هذه الوحدة ، حيث تعتبر العامل الوحيد المؤدي إلى الشعور المشترك بالمسؤولية بين أفراد الأمة مما يؤدي إلى تفتيق طاقاتهم وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف المؤدية إلى نهوضها ، وذلك بعيداً كل البعد عن بعض القوى التي « شغلها الدفاع عن نفسها ، والرد على خصومها التاريخيين والمعاصرين ، أكثر مما شغلها الدفاع عن رسالة الإسلام ، وأمة الإسلام ، وحكم الإسلام ، ومصاير المسلمين ، والرد على خصوم الإسلام (وخطابه) الحاضرين ، وأعدائه المتربصين به من كل جانب »[5] .

المبحث الخامس: معالم الخطاب الديني .

لقد وضع الله تعالى معالم الخطاب الديني في قوله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[6]، فهي معالم تجتمع في خطاب موجه إلى النبي ﷺ وإلى أمته ، فالدعوة « إلى الله ، أو إلى سبيل الله ليست خاصة بالنبي ﷺ ، بل أمته أيضاً

---

[1] سورة الأنبياء ، الآية رقم : 92 .

[2] سورة المؤمنون ، الآية رقم : 52 .

[3] سورة الحجرات ، الآية رقم : 10 .

[4] سورة آل عمران ، الآية رقم : 103 .

[5] يوسف القرضاوي : **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا** ، ط 05 ، حتمية الحل الإسلامي (1) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1993 ، ص : 355 .

[6] سورة النحل ، الآية رقم : 125 .

مطالبة بأن تقوم بدعوته معه ومن بعده . وفي هذا يقول القرآن أيضاً في مخاطبة الرسول : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1] . فكل من اتبع محمداً ﷺ ورضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، هو داعٍ إلى الله وداعٍ على بصيرة »[2] .

ومن بين المعالم التي اتفق عليها أصحاب الخطاب الديني وأعلامه ، نجد منها أن الخطاب الديني واجب على كل من اتبع النبي ﷺ ، لأنه ائتمار بأمر رباني مذكور في القرآن الكريم والصحيح من السنة النبوية ، وهو ما يجعل هذا الخطاب الرباني يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة سواء مع المؤمنين أو حتى مع المخالفين من أهل الديانات السماوية والوضعية ، وهي كلها نقاط سوف نتطرق إليها في هذا المبحث .

أولاً : الخطاب واجب على كل مسلم .

يعلم كل المسلمين أن الخطاب الديني لإيصال صورته الشاملة والكاملة ، ليست مهمة العلماء أو الدعاة ، لكنها مهمة يناط بها كل واحد في المجتمع الإسلامي ، مع المسلمين أو مع غيرهم من المجتمعات والأفراد ، فلكل واحد جانب من الدعوة ، أي لكل واحد جانب من المساهمة في نشر الدين . فمن اتبعني المذكورة في الآية الكريمة تدل على المسلمين كافة ، وفي هذا يقول الدكتور يوسف القرضاوي :« كل ما في الأمر أن صورة الدعوة تختلف من شخص إلى آخر ، حسب الاستطاعة والإمكان . فهناك من يدعو إلى الله بتأليف كتاب أو كتب . وهناك من يدعو إلى الله بإلقاء محاضرة في الجامعة أو في مركز ثقافي . وهناك من يدعو إلى الله بإلقاء خطبة جمعة في مسجد أو إلقاء درس ديني فيه . وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة ، والصحبة الجميلة ، والأسوة الحسنة . وهناك من يدعو بالإنفاق على الدعاة ، أو على نشر إنتاجهم ، أو على تأسيس مركز للدعوة »[3] .

فالفرد ، حين يحمل هذا الخطاب ، ومن خلال احتكاكه الدائم مع أفراد المجتمع ــ الداخلي وخاصة الخارجي ــ فهو مطالب بتوضيح ؛ من خلال نقاشاته وخاصة سلوكه بأن الشريعة الإسلامية تستطيع كما استطاعت خلال القرون الماضية « أن تفي بحاجات كل المجتمعات التي حكمتها ، وأن تعالج كافة المشكلات في كافة البيئات التي حلت بها ، بأعدل الحلول وأصلحها ، لأنها بجوار ما اشتملت عليه ــ من متانة الأصول التي قامت على مخاطبة العقل ، والسمو بالفطرة ، ومراعاة الواقع ، والموازنة بين الحقوق والواجبات ، وبين الروح والمادة ، وبين الدنيا والآخرة ، وإقامة القسط بين الناس جميعاً ، وجلب المصالح والخيرات ودرء المفاسد والشرور ، بقدر الإمكان ــ قد أودعها الله مرونة عجيبة جعلتها تتسع لمواجهة كل طريف ، ومعالجة كل جديد ، بغير عنت لا إرهاق »[4] .

ومن بين الجوانب المهمة التي يركز عليها ، ضرورة تسلح الفرد المسلم بثقافة إسلامية خالية من إيديولوجية أرثوذكسية دوغمائية ، ثقافة « محورها الإسلام : مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به ، المنبثقة عنه ... فإن الداعية الذي يدعو إلى الإسلام ، لا بد أن يعرف : ما الإسلام الذي يدعو الناس إليه ؟ .. ولا بد أن تكون هذه المعرفة معرفة يقينية

---

[1] سورة يوسف ، الآية رقم : 108 .

[2] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 28 .

[3] نفس المرجع ، ص : 29 .

[4] يوسف القرضاوي : **عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية ،** ط 02 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1992 ، ص : 10 .

عميقة ، لا سطحية مضطربة . ولهذا كان لا بد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه المصفاة ، بعيداً عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »[1].

ثانياً : الخطاب رباني .

الخطاب الديني لا يدعو « إلى نظام بشري ، ولا إلى فلسفة أرضية ، ولا إلى قانون وضعي ، وُضع بأمر إمبراطور أو ملك أو رئيس أو أمير ، بل يدعو إلى تحرير البشر من العبودية للبشر ، فلم يعد ــ في نظر الإسلام ــ بشر يملك أن يشرع لبشر تشريعاً مطلقاً دائماً ، يحلل ما يشاء ، ويحرم عليه ما يشاء ، كما حدث عند أهل الكتاب في فترة من فترات التاريخ ، وهو ما أنكره القرآن بشدة حين قال : ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[2]. آن للبشر أن يتحرروا من عبودية بعضهم لبعض وربوبية بعضهم لبعض ، وأن يكونوا جميعا عباداً لله وحده ، الذي خلقهم وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة »[3].

فالخطاب الديني هو دعوة إلى ما أمر الله بطريقة بشرية ، لا دعوة بشرية وضعية ، وهو ما يجب أن يتيقن منه كل حامل لهذا الخطاب ، دليله في ذلك فقط القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ التي جاءت شارحة ومفسرة لهذا الكتاب ، أو النص الموحى به أو الوديعة الأولى كما يسميها أركون . فخطاب النبي ﷺ الموجه إلى الملوك والسلاطين وأهل الكتاب كان ختمه قوله : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[4]، فلم يكن ختماً بشرياً ، لأن الخطيب لا يخاطب الناس أو يدعوهم إلى نفسه أو قومه ، بل يدعوهم إلى ربه متذكراً قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾[5].

توجد الكثير من الآيات القرآنية الدالة على أن الخطاب الديني يجب أن يكون لله وحده دون غيره ، إذ يتوجب على الخطيب أن يبيّنها ولا يترك فيها مجال للتأويل ، كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[6]. وقوله : ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا** ﴾[7]. وقوله : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ**

---

[1] يوسف القرضاوي : **ثقافة الداعية ،** ط 10 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1996 ، ص : 07 .

[2] سورة التوبة ، الآية رقم : 31 .

[3] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 30 .

[4] سورة آل عمران ، الآية رقم : 64 .

[5] سورة آل عمران ، الآية رقم : 79 .

[6] سورة الأنعام ، الآيات رقم : 162 – 163 .

[7] سورة النساء ، الآية رقم : 82 .

تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[1]. وقول الله تعالى : **﴿ أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾**[2]. وكلها تبيّن أن الدين لله وأن الخطاب الديني الذي يحمل دين الله ، لا يجب أن يخرج عن هذا الإطار . ثم قوله : **﴿ وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ ﴾**[3]. وكذلك قوله : **﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِين ﴾**[4]، فهي دعوة صريحة من الخالق تعالى لتضمين الخطاب الديني بأن الدين كله لله وهو وحده الأحق بالعبادة والإيمان .

ثالثاً : الخطاب بالحكمة والموعظة الحسنة .

1 ــ أسلوب الحكمة :

والمراد باستعمال الحكمة ، هي : مخاطبة العقول بالأدلة العلمية المقنعة ، وبالبراهين العقلية الساطعة ، التي ترد على الشُبهات بالحجج والبيّنات ، وترد المتشابهات إلى المحكمات ، والظنيات إلى القطعيات ، والجزئيات إلى الكليات ، والفروع إلى الأصول . كما أن من الحكمة مخاطبة الناس بما يفهمون ، وما تسيغه عقولهم ، لا بما يعجزون عن فهمه . فقد ذكر عن علي بن أبي طالب قوله :« حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله ؟ »[5]. وهو تأكيد على مخاطبة الناس بما يفهمون ، وتظهر استعمال الحكمة في الخطاب الديني من خلال النقاط التالية :

- فالحكمة تستدعي أن يتحدث الخطيب لغة الناس الذي يوجه إليهم الخطاب ، وليس معناها اللغة العربية أو الأجنبية ، ولكن مخاطبة الناس باللغة التي يفهمونها ، فليس لغة القرن الحادي والعشرين مثل لغة قرون مضت . فلغة هذا القرن وإن كانت تحمل نفس المفردات فإنها تختلف في المعاني والتأويلات ، لذا وجب على الخطاب الديني الأخذ بعين الاعتبار هذه التطورات والمتغيرات في الحسبان ، وهو ما يبيّنه قول الله تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**[6].
- من الحكمة أيضاً ، ضرورة تهيئة المتَلَقي لما يقدم له من خطاب مهما حمل من أوامر ونواهي ، والرفق به ، وإتباع المنهج النبوي ، القائل :« يسروا ولا تعسروا ، وبشّروا ولا تنفروا »[7]. والقائل أيضاً :« ذروني ما تركتكم فإنما

---

[1] سورة الأنعام ، الآيات رقم : 40 – 41 .

[2] سورة الأنعام ، الآية رقم : 114 .

[3] سورة النحل ، الآية رقم : 52 .

[4] سورة الزمر ، الآيات رقم : 64 – 66 .

[5] الحافظ أحمد العسقلاني : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،** ط 01 ، المجلد الأول ، تعليق : عبد الرحمن بن ناصر البراك ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2005 ، ص : 391 .

[6] سورة إبراهيم ، الآية رقم : 04 .

[7] محمد ناصر الدين الألباني : **مختصر صحيح الإمام البخاري ،** ط 01 ، المجلد الأول ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2002 ، ص : 47 .

هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا »[1].

- من الحكمة أن يتبع الخطاب الديني الترتيب المنطقي الموجود في الدين الإسلامي ، فالشرع أعطى لكل عمل قيمته ومرتبته بالمعيار الشرعي ، فالمأمورات منها : أركان وغير أركان منها واجبات ومنها سنن . والمنهيات منها : ما هو كبائر وما هو صغائر . هذا الترتيب إذا أخلَّ به الخطاب الديني أدى إلى فهم سطحي للدين ، فمن الخطباء « من تجدهم يعتمدون على المتشابهات في تحديد الكثير من المفاهيم الكبيرة التي رتبوا عليها نتائج خطيرة بل بالغة الخطر ، في الحكم على الأفراد والجماعات وتقويهم ، وتكييف العلاقة بهم من حيث الولاء والعداء ، والحب والبغض »[2].

- من الحكمة ، أخذ الناس بالتدرج ، لأنه سنة كونية كما هو سنة شرعية ، فلكونه سنة كونية تظهر في الخلائق وتطورها ، مثل تطور الإنسان والحيوان والنبات ، ولأنه سنة شرعية ، « فقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بأن يرسي العقائد وأصول الأخلاق أولاً ، كما نرى واضحاً في القرآن المكي ، ثم بدأ بأخذه بالجانب العملي ، متدرجاً بهم شيئاً فشيئاً ، بادئاً بإقامة الصلوات ، التي فرضت قبل الهجرة ، ثم بإيتاء الزكاة وصوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، ثم بعد ذلك فرض الحج لمن استطاع إليه سبيلاً »[3].

2 ــ أسلوب الموعظة الحسنة :

يقول القرضاوي :« وإذا كانت الدعوة بالحكمة تخاطب العقول فتقنعها ، فإن الدعوة بالموعظة الحسنة تخاطب القلوب والعواطف فتثيرها وتحركها . والإنسان ليس عقلاً مجرداً ، إنه عقل وقلب معاً ، إنه عقل يدرك ويفكر وقلب يحس ويشعر ، وعلينا أن نخاطب الجانبين فيه معاً : الجانب الذي يعي ويدرك ويحصل المعرفة ، والجانب الذي ينفعل ويريد ، يحب ويكره ، ويرغب ويرهب »[4]. فجميع المخَاطَبين ، ومهما كانت صفتهم أو فئتهم ، من النخبة أو من عوام الناس ، يحتاجون إلى أن يخاطبوا بالحكمة حيناً ، وبالموعظة حيناً ، تخاطب العقول فتحاكم إلى المسلمات العلمية والعقلية ، وتخاطب العواطف فتستثير دوافعها إلى الخير . فعلى الخطيب استعمال الحكمة والموعظة الحسنة حسب المنهج القرآني الذي استعمل التوازن بين الشدة واللين ، وبين الترغيب والترهيب .

ومن بين الآيات التي تبيّن هذا التناسق والتوازن ، نجد قوله : ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[5]. وقوله تعالى : ﴿ **اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[6]. وقوله : ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[7]. وقوله : ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا**

---

[1] محمد القزويني ابن ماجه : **سنن ابن ماجه ،** ط 01 ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) ، ص : 13 .

[2] يوسف القرضاوي : **الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2001 ، ص : 68 .

[3] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 36 .

[4] نفس المرجع ، ص : 37 .

[5] سورة البقرة ، الآية رقم : 235 .

[6] سورة المائدة ، الآية رقم : 98 .

[7] سورة الرعد ، الآية رقم : 06 .

قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]. وقوله : **﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ﴾**[2].

إنه لا ينكر أحد ، خاصة الباحثين في الحركات الأصولية المعاصرة ما لخطاب التهييج المستعمل من أثر بليغ في نفوس المتَلَقين ، خاصة الشباب منهم ، حيث بعد استثارة عواطفهم الدينية يصبحون كالصاروخ أو القنبلة الموقوتة ، يفرغ ما امتلأ به قلبه ولا تهمه أبداً النتائج . لأن هذه الأصولية ــ خطاب التطرف والتعصب والعنف ــ « ترتكز دائماً على الخلط بين حرية الإنسان المسؤولة وضرورة النظام العام للعالم الذي شاءه الله ، والخلط بين الشريعة ، قانون الله الأخلاقي وبين الفقه ، تشريع الأحكام ، والخلط الدائم بين الكلام الإلهي والكلام البشري »[3]. وتحاول من خلال القراءة السطحية للدين الإسلامي ، وإخراج الآيات القرآنية عن سياقها ومن الأوضاع التاريخية التي أوحيت فيها ، ما يسميه المفسرون بأسباب النزول ، ثم تأويلها ، كل ذلك من أجل ما تقتضيه المصلحة الضيقة للمخاطب أو الجماعة التي ينتمي إليها .

رابعاً : الخطاب مع المخالفين .

تكون الحكمة والموعظة الحسنة مع الموالين أو الموافقين الذين نتفق معهم في الدين ، بينما خصص الإسلام الجدال بالتي هي أحسن مع المخالفين في الدين ، خاصة من أهل الكتب السماوية (المسيحية واليهودية) ، حيث تكون الحكمة في اختيار أرق العبارات ، وألطف الأساليب في الجدال ، بهدف المؤانسة والتقرب وبالتالي عدم ضيق الصدر وإثارة العصبية والتعصب للموقف والرأي . وفي القرآن الكريم العديد من الأمثلة على الجدال بالحسنى مع المخالفين ، حيث يسعى من خلالها الخطاب الديني إلى التركيز على ما يجمع بينه وبين المتحاورين ، ويضمر نقاط الخلاف والتباين ، لأن وجود أرضية مشتركة للجدال أو الحوار تساهم في جديته ، ويمكن أن يجلب المنفعة . وفي هذا يقول تعالى : **﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾**[4]. ويقول : **﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾**[5].

إن المخَاطِب الحامل للخطاب الدين الإسلامي « يتفاعل مع غيره من أهل الديانات والملل ، دعوة ومجادلة ومجاهدة ، ولا ينغلق بل ينفتح بخطابه ليمتد على العالمين ، يبشر بالحق الذي أوتيه ، ويحيي حركة السابقين الأولين من سلف الأمة الصالحين ومن اتبعهم بإحسان ، وقد انطلقوا يبلغون الإسلام إلى الأمم الأخرى ، يملئون الأرجاء بعدل الإسلام من جور الأديان ، ويحررون الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ويوسعون في الآفاق من ضيق الدنيا

---

[1] سورة فصلت ، الآية رقم : 43 .

[2] سورة الحجر ، الآيات رقم : 49 – 50 .

[3] روجيه غارودي : **الأصوليات المعاصرة ، أسبابها ومظاهرها ،** تعريب: خليل أحمد خليل ، دار عام ألفين ، باريس ، فرنسا ، 2000 ، ص : 84 .

[4] سورة العنكبوت ، الآية رقم : 46 .

[5] سورة النحل ، الآية رقم : 125 .

إلى سعة الدنيا والآخرة على فهم جديد وقرآن مجيد »[1]. وهو بالطبع رؤية الخطاب الوسطي أو خطاب الوسطية والاعتدال الذي يرى الاهتمام بالداخل دون نسيان المحيط الخارجي ، فلا يجب « أن يقتصر خطاب الدعاة على الأمة ، وليس مقبولاً أن لا ينفتح الخطاب الدعوي للمسلمين على العالمين ، يصارع عقول الكافرين ويخاطب قلوبهم حتى يسلموا لله أمرهم »[2].

والخطاب الديني يستند إلى الأمر الرباني الموحى إلى نبيه ﷺ ، حيث يقول تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[3]. فهي دعوة صريحة من القرآن الكريم إلى مخاطبة غير المسلمين والتوجه إليهم بالقدوة الحسنة ، وفيها قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[4]. وقوله في الأنبياء : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[5]. وكذلك بالمجادلة بالتي هي أحسن والحوار البناء في صورة تبيّن انفتاح الخطاب الديني على العالمين ، وهذا الانفتاح يعني أن الخطاب لا يقتصر « على النخبة أو الصفوة من أهل التدين ، بل ينساح خطابها ويتسلل إلى كل قلب ، وكل عقل ، وكل بيت ، وكل ناد ، وكل مسجد ، جهاراً لا لواذاً »[6].

خلاصة الفصل

لا بد أن نشير أن الخطاب مع المخالفين أخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين والدارسين للدين الإسلامي ، من حيث الماهية وعلاقة الإسلام مع المخالفين ، والخطاب الواجب تبنيه ، سواء أصحاب الديانات التوحيدية أو الديانات الوضعية ، خاصة في العصر الحاضر ، مع ما يعرفه هذا الحاضر من تغيرات متسارعة وكثيفة وحتى متناقضة تؤثر على المجتمعات والأفراد على حد سواء ، لكن النظر إليها بطريقة معمقة قد لا تكون ذات أهمية في المرحلة الراهنة ، لأن الضرورة تتطلب العودة إلى المعين الأول للخطاب الديني (الكتاب والسنة) ، ثم النظر في الطرق الحديثة التي تجعل من هذا العصر يحقق صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وهو ما يعني رفع تلك القداسة الموضوعة على التفسيرات الموروثة ــ أو ما يسميه أركون بالتراث ــ ، وإعطائها حجمها الحقيقي ، وهو موروث إسلامي من شخصيات غير معصومة من الخطأ ، حاولت إعطاء تفسيرات حسب الواقع الذي وجدت فيه أو عايشته .

---

[1] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق** ، ط 01 ، سلسلة كتاب الأمة ، رقم 56 ، تقديم : عمر عبيد حسنه ، مركز الدراسات والأبحاث بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ، 1997 ، ص . ص : 65 – 66 .

[2] نفس المرجع ، ص : 67 .

[3] سورة الأعراف ، الآية رقم : 158 .

[4] سورة الأحزاب ، الآية رقم : 21 .

[5] سورة الممتحنة ، الآية رقم : 06 .

[6] نفس المرجع ، ص : 41 .

المرحلة التي يتوجب الاهتمام بها هو إعادة صياغة خطاب ديني حتى يعبر عن الإسلام الصحيح ، مع المسلمين أولاً ، من منطلق بناء الفرد المسلم الذي سوف يكون الصورة الحقيقية للدين أو الخطاب . هذا الاهتمام ، يدعو إليه كذلك محمد أركون ، من خلال دعوته إلى تأصيل الخطاب الديني والعودة به إلى المعين الأول (الكتاب والسنة) لا غيرهما ، واستعمال المناهج الحديثة المستعملة في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلم الأنثروبولوجية ، من أجل معرفة الطرق السليمة والصحيحة لجعل هذا الخطاب يتخطى كل العراقيل والمعوقات التي امتلكته ، أو وفقت حاجزاً أمامه منذ القرن الرابع الهجري وإلى يومنا هذا .

نقطة أخرى نستشفها من هذا الفصل ، لما نتحدث عن الخطاب الديني ، وهي أنه توجد عوامل كثيرة متداخلة في تكوين الخطاب ، انطلاقاً من عوامل التربية الشخصية للخطيب أو التنشئة وصولاً إلى ثقافته وكيفية تعامله ، إذ يطغى على الخطيب التوجه الإيديولوجي البعيد عن التوجه العلمي الصرف ، وقد يصل إلى ما سماه أركون بالأرثوذكسية . فالكثير من الخطباء ، خاصة ما يسمون أنفسهم بالسلفية ، تجدهم لا يعيشون في عصرهم ، ويخاطبون الناس بلسان الموتى ، لا يحس بما تمور الدنيا من حوله ، ثقافته قديمة جداً ، وعالمه كله قديم ، والمشاكل التي يتحدث عنها مشاكل أزمنة غابرة ، والمفردات التي يستعملها قد هجرت . جسمياً محسوب على القرن الحادي والعشرين ، وذهنياً محسوب على القرن الخامس الهجري .

يبقى المهم في هذه المباحث أنها لوحدها قد تكون محل دراسة وبحث واسعين ، وقد يكون كل مبحث من هذه المباحث أطروحة قائمة بحد ذاتها . فالمقام لا يسمح بالتوسع فيها أكثر من هذا الحد ، غير أن التطرق لها في هذه الدراسة كان من باب تسليط الضوء على مختلف الجوانب المتعلقة بالخطاب الديني والعوامل التي تتضافر وتتكاتف ليصل الخطيب إلى أداء رسالته والدعوة إلى دين الله كما فعل الرعيل أو الجيل الأول .

الفصل الخامس :

مكونات الخطاب الديني

تمهيد .

المبحث الأول : القرآن والخطاب الديني .

المبحث الثاني : الشمولية والعموم في الخطاب الديني .

المبحث الثالث : مقاصد الخطاب الديني .

المبحث الرابع : جوانب الخطاب الديني .

خلاصة الفصل .

الفصل الخامس : مكونات الخطاب الديني

تمهيد :

إن الخطاب الديني عندما يستند على القرآن الكريم ، فلأنه المصدر الأول لهذا الدين ، ولأنه كذلك يحتوي على المبادئ الأساسية والعامة ، والمنهج الصحيح الذي يتبعه الخطيب في دعوة الأمة والقيام أو النهوض بها ، وهو دليل الخطيب الأساسي الذي يتوجب عليه إتباعه في طرحه لأي خطاب ، وأي نقطة أو قضية تُشكله ، فيرتكز ويعتمد على القرآن الكريم ، فيما يخص مختلف القضايا والموضوعات التي تتعلق بالأفراد ، أو التي تهتم بالمجتمع والأمة ، وكذلك فيما يخص الشكل والصياغة ، واضعاً في اهتمامه المرحلة التي يعيش ، والواقع الذي يوجد فيه ، والفرد الذي ينتمي إلى هذا المجتمع وهذا العصر .

ولتحقيق ما نصبوا إليه ، حاولنا تقديم هذا الفصل الذي ضمَّ أربعة مباحث أساسية نذكرها على الشكل التالي :

المبحث الأول : القرآن والخطاب الديني ، والذي شمل على نقطتين أساسيتين ؛ من جهة القضايا والموضوعات ، وفيه : قضية الولاء والبراء ، قضية الصلح ، القضايا الاجتماعية العامة وقضية المرآة ، والتي تعتبر أكثر القضايا تداولاً في الخطاب الديني المعاصر . أما من جهة الشكل والصياغة ؛ تحدثنا فيه عن ضرورة التقيد بالقرآن الكريم عند صياغة الخطاب الديني في مجال الأحكام ، وكيفية التعامل معها ، ثم التقيد في استعمال الخطاب للمفاهيم والمصطلحات القرآنية للتعبير عن الموروث الثقافي والحضاري للحضارة الإسلامية .

المبحث الثاني : الشمولية والعموم في الخطاب الديني ، بمعنى الشمولية والعموم التي تحدث عنها القرآن ، وكيف تعامل معها . وقد تم التطرق إلى معاني الخطاب الديني والدين في القرآن الكريم ، شمولية هذا الخطاب في القرآن ، وأخيراً جوانب هذه الشمولية ، سواء من حيث الموضوعات ، من حيث الخطيب أو كما سميناه في هذه الدراسة بالملقي أو المخَاطِب ، ثم من حيث المستمع أو المتَلَقي أو المخَاطَب وأخيراً زمن ومكان الخطاب .

المبحث الثالث : مقاصد الخطاب الديني ، حيث أدرجنا فيه : فهم المرحلة والواقع ، ضرورة تحديد الأهداف التي يريد الخطاب الديني الوصول إليها ، ثم ترتيب الأولويات أو ما يسميه أعلام الخطاب الديني فقه الأولويات ، أي الأولى والأهم فالأقل أهمية .

أما المبحث الرابع : جوانب الخطاب الديني ، وفيه جانب الخطاب ، أي مخاطبة الناس بما يعرفون ، وبالتالي يستطيع إثارة العواطف وتنوير العقول ، ثم مخاطبتهم قدر العقول ، والابتعاد عن استعمال لغة معقدة مركبة لا تنفع . وهو جانب الملقي أو المخاطِب ، حيث يتعين عليه معرفة جيدة لمكونات الجمهور الذي يتوجه إليه بالأسماع والأنظار ، فيجب معرفة الجنس والسيرة ثم معرفة اللسان الذي يستعملون ويفهمون . وختمنا الفصل بخلاصة ما تم التطرق إليه من مباحث ، مع محاولة إبراز أهميتها في أداء أو تقديم خطاب ديني يستلهم عباراته وأهدافه من القرآن الكريم كمصدر أساسي لهذا الدين أو هذا الخطاب .

المبحث الأول : القرآن والخطاب الديني .

الخطاب الديني ، ليس هو الدين الإسلامي ، والخطاب المستمد أو المبني على القرآن الكريم ، ليس هو القرآن الكريم ، وتأويل آياته أو تفسيرها حديثاً أو قديماً ليس هو القرآن الكريم ، فيمكن اعتبار ما يقدم للجماهير ، أو للمستمعين أو الواردين إلى المسجد في حال هذه الأطروحة أو الدراسة هو اجتهاد الخطيب أو ما نقله أو حفظه من التراث فيما يخص قضية من القضايا . فالخطيب يدعم خطابه بآيات القرآن الكريم ، حتى يكون هذا الخطاب ، خطاباً قرآنياً يأخذ به قلوب مستمعيه وعقولهم ، فيقنع ويثير العواطف لتلقي ما يريد إلقاؤه ، وتحقيق أهدافه التي سطرها عند تحضيره لهذا الخطاب .

أولاً : من جهة القضايا والموضوعات .

الخطاب الديني لا يستثني أي قضية ولا يهمل أي موضوع يخص الحياة العامة للفرد والمجتمع ، سواء كانت القضية اجتماعية إنسانية تعاملية ، أو موضوعاً دينيا عقائدياً ، تخص الفرد وحده ، أو تخص الأمة قاطبة ، أو تخص الفرد والمجتمع ، مقتدياً في ذلك بكيفية تعامل القرآن الكريم مع مختلف القضايا والموضوعات التي تهم الأمة والجماعة . واقتداء الخطيب بالقرآن يتم من خلال دعوة الناس إلى القضايا الجماعية ، « فالقرآن الكريم لم يوحد ــ في غالب الأحيان ــ بين القضايا والموضوعات التي تهم الأمة والجماعة ، والتي تهم الأفراد ، بل فرق إلا نادراً إن وجد بين قضايا الجماعة وموضوعات الأفراد »[1].

كذلك وجب على الخطيب أن يفرق بين ما يطرحه من قضايا جماعية تخص الأمة والمجتمع ، وما يطرحه من قضايا تخص الأفراد ، فيخصص مثلاً المواعيد الكبرى كخطبة الجمعة للقضايا الجماعية ، ويخصص العظات والنشاطات المناسباتية واللقاءات الشخصية للقضايا الفردية . ومن أهم القضايا التي يطرحها الخطاب الديني في الوقت الحاضر ، والتي يسعى إلى ترسيخها واستيعابها وكذلك تحقيقها ، كمفاهيم تعبدية واعتقادية ، وكما ذكر الأستاذ عبد الله الزبير عبد الرحمن ، على أنها مبادئ إسلامية وحقائق دينية يؤمن بها المؤمن ويسلم لها المسلم ، ومن بين هذه القضايا والموضوعات نذكر ما يلي :

1 ــ قضية الولاء والبراء :

تعتبر قضية الولاء والبراء ، قضية عامة تجتمع فيها المعاني الاعتقادية الإيمانية ، وتجتمع فها المطالب العلمية والعملية ، حيث يتوجب على المسلمين أن يرفعوا رابطة الدين دون غيرها من الروابط الموجودة ، سواء روابط القرابة والدم أو الجنس واللون ، أو حتى الروابط التي فرضتها ظروف بعينها ، مثل : الحدود التي رسمها الاستعمار الغربي على الدول العربية وجعل هذه الأمة مجرد دويلات وأقطار .

فالولاء تعني ضرورة التآخي والتعاون والتآزر بين أبناء الأمة الإسلامية دون النظر إلى تلك العراقيل المفتعلة أو الموجودة حقاً ، فلا يجعل المسلم ولياً له من غير أهل العقيدة التي يؤمن بها مستحضراً قوله : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ**

---

[1] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 17 .

اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

أما البراء ، فتستوجب الفصل والمباعدة وحتى التجافي بين المسلمين وغيرهم ، على أساس العقيدة طبعاً ، وليس في المعاملات التي بيّنها الدين الإسلامي ، وكيف تكون مع المخالفين في العقيدة والدين ، خاصة في هذا العصر الذي يسمى عصر العولمة ، والذي جعل العالم مجرد قرية صغيرة ، كبيرها معروف . فالولاء والبراء مفهومان مترابطان لا ينفصلان ، لأن الذي تتولاه لا تتبرأ منه ولا تبتعد عنه ، والعكس ، فالذي تتبرأ منه وتخاصمه في العقيدة لا يمكن أن تكون له ولياً ونصيراً ، لقوله تعالى : **﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾**[2]. وهذا تأكيد أن الولاء يجب أن يتوجه نحو الله ورسوله والمؤمنين .

فالخطاب الديني يسعى إلى العمل على تبيان معنى الولاء والبراء ، وتوضيح معانيه « وترسيخها في عقول وقلوب المؤمنين ، ويجب أن تحملها جماهير الأمة ويقيموا حياتهم وعلاقتهم على أساسها ومستلزماتها »[3]، دون الخلط بين العقيدة والمعاملات التي تتم في المجتمع الواحد بين المؤمنين وغير المؤمنين ، لأن دستور المؤمن في العلاقة مع غير المسلمين في المجتمع ، هو قوله : **﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾**[4]. « فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعاً ، ولو كانوا كفاراً بدينه ، ما لم يقفوا في وجهه ويحاربوا دعاته ، ويضطهدوا أهله »[5].

2 ــ قضية الصلح :

إن الوحدة التي يدعو إليها الخطاب الديني ، هي التي تجعل المؤمنين إخوة في رابطة الدين دون غيرها ، فجعل الولاء للمؤمن والبراء من غيره ، وفرض إلى جانب ذلك في المعاملات بين المسلمين السرعة في إصلاح ذات البين ، حتى لو وصل الأمر حد الاقتتال ، فيقول : **﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾**[6].

فقد أمر الله تعالى بقتال الطائفة التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وترضى بالصلح ، فالصلح قضية مهمة في الدين الإسلامي ، وقضية مفصلية في الخطاب الديني . فالتصالح بين فئات المسلمين وطوائف المؤمنين فريضة شرعية يتطلب من الخطباء والدعاة الدعوة إليها وبثها بين جماهير الأمة ، ويجب عليهم كذلك حث أفراد المجتمع من خلال

---

[1] سورة المائدة ، الآيات رقم : 54 – 57 .

[2] سورة البقرة ، الآية رقم : 257 .

[3] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 18 .

[4] سورة الممتحنة ، الآيات رقم : 08 – 09 .

[5] يوسف القرضاوي : **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ،** ط 03 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1992 ، ص : 06 .

[6] سورة الحجرات ، الآيات رقم : 09 – 10 .

النشاط الدؤوب المقتدي بالقرآن الكريم على توفير أسباب التصالح والمحافظة عليه وحمايته . ورسول الله ﷺ يقول :« من أصلح بين الناس ، أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه »[1]. ويقول كذلك :« الصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً حرَّم حلالاً أو أحل حراماً ، والمسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حرَّم حلالاً أو أحل حراماً »[2].

وقد دعا الخالق إلى الصلح بين المتنازعين في الدماء بأمره في الآية المذكورة سابقاً ،كما دعا الزوجين إلى الصلح عند التنازع في حقوقهما ، فقال تعالى : **﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾**[3]. وقال : **﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾**[4].

3 ــ القضايا الاجتماعية العامة :

القرآن الكريم حافل بالمبادئ العامة في تسيير القضايا الاجتماعية ، فلا تخلو سورة من سوره دون أن تحمل قضية اجتماعية يدعو إليها الله تعالى عباده لإتباع هداها والاقتداء بها في الحياة اليومية للمسلم لتكوين المجتمع الإسلامي ، « إذ لا يكون إسلامياً إلا إذا تحقق المسلمون بالعدل في علاقاتهم وصِلاتهم وحقوقهم ، وإن لم يتأدبوا بآداب الإسلام ، ويحيوا على تعاليمه ... وتعاليم الإسلام في قضايا المجتمع واضحة مفصلة على تقاطيع وخلايا وأعضاء وألوان وظلال صورة المجتمع الذي يقصد القرآن إلى تكوينه في الأرض »[5]. ففصّل القرآن الكريم الكثير من القضايا الاجتماعية التي جعل لها نظرياتها وقواعدها وأصولها وآدابها وأحكامها المختلفة .

فبيّن القرآن الكريم آداب الزيارات والمجالس ، والالتقاء والتكافل والتضامن الاجتماعي والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغيرها من القضايا الاجتماعية . مثال على ذلك الزكاة ، الركن الثالث في الإسلام ، فهي تعالج الكثير من القضايا والمشاكل الاجتماعية ، فهي تعالج البطالة ، ومشكلة الفقر ، والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي الفاحش ، فيقول الله تعالى : **﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾**[6]. وربطها دائما بإقامة الصلاة ، في قوله : **﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾**[7]. فالزكاة إلى جانب المساهمة في حل هذه المشاكل الاجتماعية ، فهي تساهم في التكافل الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء من المجتمع الواحد .

---

[1] عبد الله بن أسعد اليافعي : **الترغيب والترهيب ،** ط 01 ، تحقيق : محمد فارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص : 117 .

[2] محمد بن عيسى الترمذي : **سنن الترمذي ،** ط 01 ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) ، ص : 318 .

[3] سورة النساء ، الآية رقم : 128 .

[4] سورة النساء ، من الآية رقم : 114 .

[5] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 22 .

[6] سورة التوبة ، الآية رقم : 103 .

[7] سورة البقرة ، الآية رقم : 110 .

فالقرآن الكريم ، يحاول بأسلوب رائع تربية أفراد المجتمع على التكافل الاجتماعي بين الفقراء والأغنياء ، ويحذرهم من التقصير وتعدي الحدود ، فيقول : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1]. والمجتمع الإسلامي يكون حقيقياً ما تم إقامة فيه التكافل في أوسع صوره ، وقام فيه الأفراد برعاية المحتاج من الفقراء والمساكين ، وإغاثة الملهوف والمحتاج ، وتمت فيه حماية المستضعف من اليُتم والتشرد ، دليله وقدوته في ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾[2]. وقوله : ﴿ **كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾[3]. بل يجعل القرآن من لا يقوم بواجبه اتجاه هذه الفئات من المجتمع الإسلامي مكذباً بالدين في قوله تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾[4].

4 ــ قضية المرأة :

وهي قضية مهمة ، يجب على الخطاب الديني أن يعرضها كما عرضها القرآن الكريم ، بهدف إنصافها وإشراكها في الحياة الاجتماعية والتربوية والثقافية والاجتماعية ، دون نسيان أو تناسي الدور الرائد الذي تقوم به في المجتمع من تربية وصناعة للأجيال صالحين أو فاسدين ، وهي التي تقوم برعاية البيت الزوجية وغيرها من المجالات التي برزت فيها المرأة ، بل وأصبحت رائدة رغم محاولة تهميشها من طرف أعلام ودعاة الخطاب الديني لمدة زمنية كبيرة ، وحتى يومنا هذا لا يزال الخطاب الديني متبنياً مرجعيات دينية فسرت الكثير من النصوص وأوَّلَتها خارج سياقها ، أو حاولت تغليب بعض عادات الناس ، وتقاليد بعض المجتمعات خاصة الشرقية منها .

يقول تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ** ﴾[5]، مبيّناً دون أي شك بأن المرأة مثلها مثل الرجل في التكليف والخلافة والسعي في خير الأمة والعمل على صلاح أحوالها ، ولهما نفس الأجر والجزاء .

فالآية دعوة صريحة لإنصاف المرأة وتحريرها من القيود الدوغمائية وظلم الجاهليات المختلفة ، « سواء كانت جاهلية عصور التخلف والتراجع الحضاري عند المسلمين ، حين حبسوها في البيت ، وحرموا عليها أن تذهب إلى المسجد ، أو المدرسة ، أو الكُتَّاب ، وزوجوها بغير إذنها ، وحرموها في كثير من البلاد من ميراثها ، وأشاعوا حولها أحاديث مكذوبة ... أم كانت جاهلية القرن العشرين الوافدة من الغرب ، التي تريد أن تخرج المرأة عن فطرتها ، وأن تسلخها من جلدها »[6] بدعوة التحرر والكثير من الشعارات الملغمة .

---

[1] سورة النور ، الآية رقم : 22 .

[2] سورة البلد ، الآيات رقم : 11 – 16 .

[3] سورة الفجر ، الآيات رقم : 17 – 18 .

[4] سورة الماعون ، الآيات رقم : 01 – 03 .

[5] سورة آل عمران ، الآية رقم : 195 .

[6] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 173 .

ومن بين مظاهر المساواة التي حددها القرآن الكريم بين المرأة والرجل نذكر منها على سبيل الحصر :

- المرأة والرجل متساويان في أصل النشأة ، وفي الخصائص الإنسانية ، ومتساويان في التكليف والمسؤولية ، والجزاء والمصير ، وفي هذا جاء قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾**[1]، فأمرت هذه الآية بتقوى الله الذي خلق كل الناس من ذكر وأنثى ، وجعل بينهم رابطة المودة والرحمة لتكوين مجتمع كبير بالتناسل والتكاثر ، يحقق خلافة الله في الأرض .

- فكل منهما مسؤول أمام الله ، وكلهم راعٍ لرعيته كما قال رسول الله ﷺ :« كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته : والأمير راعٍ ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته »[2]. وقوله : **﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾**[3]، الذي سوى بينهما في دخول الجنة ، وسوى بينهما في التكاليف الدينية والاجتماعية الأساسية ، حيث يقول : **﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾**[4].

- كما أن المساواة بين الجنسين تظهر في التكليف والعبادة ، حيث يقول تعالى : **﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾**[5].

- إلى جانب هذا ، فقد كرم القرآن المرأة ، وأنصفها بوصفها عضواً فاعلاً وفعالاً في المجتمع ، فالمرأة مكلفة بالوظائف الاجتماعية التي كُلف بها الرجل ، خاصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث يحافظ بها المجتمع على هويته ومقوماته وخصائصه ، كما أنصفها حين أبطل ما كان عليه كثير من الأمم من حرمانها من حق التملك والميراث ، والتضييق عليها في التصرف فيما تملك ، فأثبت القرآن لها حق التملك ، وأعطاها حق التصرف والوصية ، وكذلك حق التقاضي والدفاع عن حقوقها ونفسها وغيرها من الأعمال المشروعة . كما فرض عليها حق التعلم وطلب العلم والخروج لأداء العبادات ، مثل صلاة الجماعة ، والقيام بأركان الإسلام المختلفة ، لأنها تثاب مثل الرجل على القيام بها ، وتعاقب مثل ما يعاقب الرجل لتركها أو التقصير فيها .

---

[1] سورة النساء ، الآية رقم : 01 .

[2] أبي زكريا يحي النووي : **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ،** ط 01 ، تعليق وتحقيق : ماهر يسين الفحل ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، ص : 112 .

[3] سورة آل عمران ، الآية رقم : 195 .

[4] سورة التوبة ، الآية رقم : 71 .

[5] سورة الأحزاب ، الآية رقم : 35 .

ثانياً : من جهة الشكل والصياغة .

القرآن الكريم ، دون شك هو كتاب الهداية ، وهو آية الله التي خص بها رسوله ﷺ ، كما خص غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام بآيات أخرى ، وهو القائل : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾[1] . فهو كتاب من الله القائل : ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[2] . والقائل أيضاً : ﴿ **ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾[3] .

هذا الكتاب الإلهي ، المنزل بلسان محمد ﷺ ، في قوله : ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾[4] ، لينذر به العالمين ، وقوله : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ** ﴾[5] ، ويبيّن لهم معالم الطريق التي بها يتحقق خلافة الله في الأرض وأداء المسلم للرسالة المطالب بنشرها للعالمين . ولا يكون ذلك إلا عن طريق الخطاب الديني المستحضر لآيات القرآن الكريم فيما يقدم ، والمقتدي بطريقته في الشكل والصياغة .

1 ــ قرآنية الخطاب في الأحكام :

فالخطاب الديني اليوم ، لما ينقل أو يلقن هذه الأحكام الشرعية خالية من الحكمة والموعظة الحسنة ، متناسياً قوله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[6] . فالآية دعوة صريحة لأن يكون الخطاب الديني جامع بين الحكمة والموعظة الحسنة ، حيث يقدم القرآن الأحكام معللة بالحكمة ومصاغة بالموعظة ، ويرشد الخطاب إلى صياغة الخطاب أو الخطب والعظات والدروس وغيرها ... بنفس الطريقة .

فالخطاب الديني الصحيح مطالب بتقديم الدين الإسلامي كما جاء في مصدره الأول ــ القرآن الكريم ــ ، لأن الاقتداء بالقرآن والالتزام به يكون حتى في الوسائل التي استعملها الله تعالى ، وبهذا يستطيع أن يصل إلى الجمهور ويمكن أن ننتظر تحقيق أهداف الخطاب الديني ، لأنه من الضروري إتباع المنهج الرباني في تقديم الرسالة التي كلف بها البشر ، ويكون ذلك التبليغ وتلك الدعوة بهداية القرآن ، حتى في الشكل والصياغة .

---

[1] سورة الحديد ، من الآية رقم : 25 .

[2] سورة يونس ، الآيات رقم : 37 – 38 .

[3] سورة يونس ، الآيات رقم : 15 – 17 .

[4] سورة يوسف ، الآيات رقم : 01 – 03 .

[5] سورة الأنعام ، من الآية رقم : 19 .

[6] سورة النحل ، الآية رقم : 125 .

2 ــ قرآنية الخطاب في الاصطلاحات :

القرآن الكريم « نزل على قلب سيدنا محمد ﷺ وهو عربي ، فلا بد وأن يكون القرآن عربياً ، وقد صرحت بذلك آيات القرآن نفسها . قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[1]، وقال : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾[2]»[3].

فالدعوة وتبليغ الرسالة تتم بلسان عربي مبين ، لأن الله في كتابه أعطى ألفاظ هذه اللغة ومفرداته مفاهيماً لا يمكن أن تتغير ، استعمالها وفهم الإسلام يكون عن طريقها ، لا تتغير بتغير الزمن ، لأن هذا المفهوم لما أوحاه الله إلى نبيه ﷺ ، فهو موجه إلى العالمين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها . فالقرآن الكريم « لم يكن ليعطي ألفاظاً يصطلح بها على معاني ودلالات معينة ، إلا وهو يريد تحديد دلالاته وتخصيص ذاك المصطلح بمعاني خاصة تجمع عناصره وتمنع خلافها ، لغة وتاريخاً ومراداً ، بمعنى أن تحديد القرآن لمصطلح معين يعني صحته لغةً ... ومهما ضعفت اللغة أو قويت ، يعطي المصطلح معناه في كل حال ... ويعني كذلك صحته تاريخاً يراد به معناه الذي اصطلح لأجله ، مهما مضى التاريخ وامتد وتبدل ... كما يعني أيضاً مراده لا يقل ، ومطلوبه لا ينقص ، ولوازمه لا تذوب ولا تزول ، فكلما عُبِّر به أريد تمام ما وضع لأجله »[4].

غير أن الكثير من المهتمين بالخطاب الديني اليوم ، وعند مخاطبة أو دعوة النخبة أو غير المسلمين ، يحاولون إدخال ألفاظ ومصطلحات بديلة عن الخطاب القرآني ، بدعوة التفتح أو استعمال لغة العصر ، لأنها في نظرهم هي الأقدر على التعبير والدلالة ، لكن في الكثير من الأحيان ما يخرجون المصطلح عن المعنى المراد في القرآن ، لذلك « لا بد أن يتعامل دعاتنا ومفكرونا بمصطلحات القرآن دون سواها ، ولا بد أن يتجددوا بلسان القرآن ويجددوا خطابهم بلغة القرآن ... حتى استبدال مصطلحات القرآن بغيرها ، وإن اتفقت اللغة وتوافقت ، لا تعطي المراد والأبعاد ، فهل يمكن القول : بأن مصطلح النضال يسد مسد الجهاد ، أو أن الصمود يكون بدلاً عن الصبر ، أو أن الانتحار يغني عن الاستشهاد ؟ "[5].

ولا بد على أعلام الخطاب ودعاته في هذا المجال أن يستحضروا قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ** ﴾[6]، وقوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ** ﴾[7].

---

[1] سورة الشعراء ، الآيات رقم : 192 – 195 .

[2] سورة النحل ، الآية رقم : 103 .

[3] شعبان محمد إسماعيل : **أصول الفقه الميسر ،** ط 01 ، ج 01 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2008 ، ص : 84 .

[4] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 50 .

[5] نفس المرجع ، ص : 68 .

[6] سورة فصلت ، الآية رقم : 44 .

[7] سورة الرعد ، الآية رقم : 37 .

المبحث الثاني : الشمولية والعموم في الخطاب الديني .

الأصل في الخطاب الديني ، الذي يستلهم عناصره من القرآن الكريم ، خطاب عام يتوجه بالدعوة إلى عامة الناس ، ويهدف الأكثرية أو العالمين كما جاء في القرآن الكريم ، لأن الذي يدخل المسجد مثلاً : ليست فئة معينة متخصصة أو أكاديمية ، بل يدخل المسجد كل الناس على اختلاف المناهل والمشارب والتوجهات ، فالقرآن الكريم حين يخاطب الناس ، يخاطبهم بنوع من العموم والشمول ، « ليستوعب في عمومه عامة الجماهير ، ويدخل في مضمونه أكثر المخَاطَبين ، ويضم بشموله سائر المدعوين ، وبذلك يستطيع الخطاب أن يكون مقبولاً يسع الناس ولا ينحجر على فئة ، أو ينغلق بمجموعة . وعمومية الخطاب تقتضي الابتعاد عن التفصيل في أمور التعميم فيما يؤدي المطلوب ، كما يقتضي الابتعاد عن التجزيء والتفرع دونما مقتضٍ يتطلبهما ، أو حاجة تلح عليهما . فإن التفريع بالخطاب إلى القضايا الجزئية لا يغني حاجة الجماهير بقدر ما يصادف أحوال القلة »[1]، لأن تركيز الخطاب الديني على مثل هذه القضايا سينحرف به عن قضايا الأمة إلى قضايا أفراد فقط من هذه الأمة ، وسيخرج الخطاب عن كونه لكل الجماهير إلى خطاب موجه لبعض الأفراد .

أولاً : معاني الخطاب الديني .

لا بد أن نشير إلى بعض الخصائص التي يتميز بها القرآن الكريم ، والتي يذكرها المهتمون بالفقه وأصوله ، حتى نتعرف جيداً عن المعاني التي يتوجب على الخطاب الديني استعمالها اقتداء بالقرآن الكريم ، ومن بين هذه الخصائص نذكر ما يلي :

- أخبر القرآن بعجز البشر أجمعين على الإتيان بمثله ، فقد تحدى الناس أجمعين بأن يأتوا بمثله فعجزوا ، فقال الله تعالى : **﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾**[2]. وقال : **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾**[3].
- القرآن الكريم هو مجموع اللفظ والمعنى ، لفظه نزل باللسان العربي ، فليس فيه لفظ غير عربي ، وجميع ما أنزل الله بلسان العرب ، وفي هذا ذكر القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبيّن عربية اللسان ، منها قوله : **﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾**[4]، وقوله : **﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾**[5].
- بلاغة القرآن ، التي جعلت العرب عاجزين ، « وجعلتهم مشدوهين على نحو لم تعهد كلام العرب من قبل ، لا في منظوم ولا منثور ، مع بقائها في مستوى عالٍ في جميع أجزاء القرآن ، وبالرغم من تناوله مواضيع شتى ، وأحكاماً

---

[1] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 62 .

[2] سورة الإسراء ، الآية رقم : 88 .

[3] سورة هود ، الآيات رقم : 13 – 14 .

[4] سورة يوسف ، الآية رقم : 02 .

[5] سورة الرعد ، الآية رقم : 37 .

مختلفة ، وبالرغم من نزوله في فترات متباعدة »[1]، وبالرغم من إخباره عن حوادث تحدث في المستقبل ، وبالرغم من إخباره بوقائع الأمم السابقة التي لم يكن العرب يعرفونها ، وبالرغم من إشاراته لبعض الحقائق الكونية التي أثبتتها اكتشافات العلم الحديث . فكانت المعاني عامة وشاملة وغاية في البلاغة والإبداع .

ثانياً : الشمولية في القرآن .

القرآن « خالد محفوظ بحفظ الله تعالى إلى يوم القيامة ، وخلوده وكونه كتاب البشرية ودستورها الأبدي يقتضي أن يكون بيانه في الغالب كلياً لا جزئياً ، وإجمالياً لا تفصيلياً ليظل متسماً بسمة المرونة والشمول والعموم ، وليتسع لتغطية الحاجات في كل عصر وزمان ، وليفتح المجال أمام عقول الأمة للنظر والتدبر والإمعان »[2].

والخطاب الديني بحاجة إلى القرآن الكريم ، لأن الإنسان في خلقه بحاجة إلى الوحي ، ولأن الله « خلق الإنسان وجعله مستعداً للعلم والانتفاع بما خلق الله في الكون ليكون خليفة في الأرض يعمرها وينميها ، ويكون بعمله مظهراً لرحمة الله بعباده . وليخلق فيه روح المكافحة ، خلقه مستعداً أيضاً للتأثر بداعية الخير ، وداعية الشر ، وبيّن له أن عاقبة التأثر بداعية الخير السعادة المطلقة ، وعاقبة التأثر بداعية الشر الشقاء المطلق . وبذلك كان الإنسان في حاجة إلى الوحي الإلهي يقيه ويحفظه من دواعي الشر »[3]، وعلى هذا المبدأ أرسل الله رسوله محمد ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين ، وأوحى إليه القرآن الكريم آخر الكتب السماوية وأجمعها للحكمة والموعظة الحسنة معجزة في الأسلوب والطريقة والكلمات والمعاني ، شامل وعام لكل الأحوال والزمان والمكان .

لقد ركز القرآن الكريم في قضية الشمولية والعموم على « أن أساس النجاح والخسران ليس في النسبة إلى رسول ما ، دون الأخذ بأحكامه وإرشاداته ، وإنما هو في صدق الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، فمن يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ويعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وفي هذا إرشاد إلى أن القيّم الرفيعة لا تحفظ عند الله بالأحساب ، ولا بالأنساب ، وإنما تحفظ بمعانٍ فاضلة تملأ القلب وتظهر آثارها الطيبة في الحياة »[4]. فاستعمل أسلوب التحبيب إلى الخير والتنفير من الشر ، فذمَّ الأخلاق الفاسدة والرذيلة وتوعد بالويل كل القضايا التي ينفر منها ويتوعد عليها ، وشدد على عقابه لفاعلها في الحياة الدنيا والآخرة ، وهو ما يسمى بأسلوب الترهيب ، فإنه استعمل كذلك أسلوب الترغيب والوعد والإلزام في القضايا التي تمثل الأخلاق الحميدة من عبادات ومعاملات وسلوك اجتماعي بناء وغيرها ...

فالقرآن « يبقى له أسلوبه المتفرد في الكشف عن معانيه ، وهذا الأسلوب يتمثل في الصبغة الذاتية التي يحملها الكلام ، فهي صبغة ربانية إلهية . وهذه الصبغة الإلهية قائمة في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم ، وكل كلمة أعطاها الله وجودها الحقيقي الذاتي ، وهذا له الوجود الفعال ، وهذا لا يدرك عند البشر وإنما يرمز له ، فالمعاني الإلهية من قدرات

---

[1] عبد الكريم زيدان : **الوجيز في أصول الفقه** ، ط 06 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص : 154 .

[2] وهبة الزحيلي : **الوجيز في أصول الفقه** ، ط 01 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، سورية ، 1999 ، ص : 33 .

[3] محمود شلتوت : **إلى القرآن الكريم** ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) ، ص : 14 .

[4] نفس المرجع ، ص : 17 .

غير محسوسة . وهذه الصبغة الإلهية تشكل الطابع الإعجازي »[1]للكلمات والمعاني ، والتي عجز ويعجز البشر أن القيام بمثلها ، حتى لو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

ثالثاً : جوانب الشمولية .

القرآن الكريم هو « كلام الله تعالى ، أنزله على محمد ﷺ ليكون هداية للبشرية جميعا إلى أن تقوم الساعة . فنصوصه أدلة على أحكام الله ، وبيان لمرادات الله من العباد ، وشرائعه التي شرعها لهم »[2]، فهو شامل لكل حياة البشرية وواضع للمعالم والمعايير والقيّم التي يحتاجها المرء في تسديد حياته الدنيا ، ونجاته ونجاحه في الدار الآخرة ، والخطاب الديني الحامل للقرآن والناطق باسم الدين ، يستحضر هذا الشمول في قوله : **﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾**[3]. فشمولية الخطاب من شمولية القرآن الكريم ، حيث نجدها في القضايا والموضوعات ، كما نجدها في المخَاطِب أو الخطيب ، ونجدها في المستمعين أو المتلقين والمدعوين ، كما نجدها في الأماكن والأزمنة .

1 ــ من حيث الموضوعات :

القرآن يحمّل الخطاب بمجموعة الصيغ التي ينطلق بها داعياً إلى إقامة الدين وسياسة الدنيا به ، وهو دعوة لجعل الحياة كلها تقوم وتُرسى أركانها وقوائمها ومقوماتها على أهداف الدين الإسلامي وغاياته ومقاصده . فلا يختلف مضمون الخطاب ومقصوده ، فجاء في القرآن الكريم دعوة للأخلاق والسلوك والآداب ، كما هو جاء فيه طريقة العبادة والذكر والجهاد ، كما جاء أيضاً معبراً عن دعوة صادقة مبنية على الزهد والتوكل والإخلاص ، يدعو إلى التوحيد في الاعتقاد والتعبد والتوجه ، ويدعو إلى العلم والعمل والمعاملات المدنية ، والعلاقات الاجتماعية والسياسية والدولية . دعوة مبنية على نداء إلهي للمؤمنين يقول لهم : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾**[4].

فالشمولية تظهر في العبادة ، فكل ما يحبه الله ويرضاه من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة هي عبادة ، فأحب وحبب الصدق والإخلاص فيها ، فجعل العمل وطلب العلم والدعوة إلى الله ، مثل الصلاة والزكاة والصيام ، كلها ما كانت فهي عبادة ، لكنه أنكر على الذين يؤمنون ببعضها ويكفرون ببعضها الآخر ، أو يعبدون الله على حرف ، كما جاء في قوله تعالى : **﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾**[5].

فالابتعاد عن المنهج الرباني المرسوم في كتابه ، يجعل الإنسان يعيش في ضنك مادي ومعنوي ، في الحياة الدنيا والآخرة ، ويدعم هذا المعنى حديث النبي ﷺ حيث قال :« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما : كتاب الله

---

[1] سامي محمد هشام حريز : **نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً** ، ط 01 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2006 ، ص : 34 .

[2] محمد سليمان عبد الله الأشقر : **الواضح لأصول الفقه للمبتدئين** ، ط 02 ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2004 ، ص : 79 .

[3] سورة النحل ، من الآية رقم : 89 .

[4] سورة الأنفال ، من الآية رقم : 24 .

[5] سورة البقرة ، من الآية رقم : 85 .

وسنة نبيه »[1]. فقد أودع الله تعالى « في هذا القرآن جميع أسس الخير وقواعد النجاة وأسباب النجاح وأصول الرفعة ، فهو كتاب الحياة والأحياء فيه نبأ من قبلكم ، وخير من بعدكم ، وحكم ما بينكم تضمن أصول العقائد التي تحمي الإنسان من الخرافات وترتفع به ارتفاعاً يزكي نفسه ويطهر قلبه ، وفيه أصول العبادات ما يستطيع به الإنسان أن يضبط أموره وتصرفاته بحيث يكون عنصر خير في هذه الحياة ، وفيه أصول المعاملات ما ينشر الخير بين الناس ، حرر العقول والقلوب بما شرعه من نُظم الخير »[2].

2 ــ من حيث الملقي أو المخاطِب :

شمولية القرآن الكريم ، شملت كل شيء ، فاختصت المقدمين لهم ، فالدعوة إلى الله في القرآن لم تختص فئة بعينها ، مثل الدعاة إلى الله ، بل جعل القرآن كل من اتبع رسوله ﷺ وجبت عليه الدعوة بما آمن به واعتقده ، كل حسب قدرته ، فكل عامل يقوم بعمله على أكمل وجه فهي أولاً عبادة لله ، ثم هي دعوة إلى ما جاء في القرآن ، والعالم بعمله هو داعية إلى الله ، فمنهم من يدعو إلى الله بالتزامه في نفسه والمحافظة عليها ، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالبيان والتعليم . ومنهم من يدعو بالحوار والمجادلة والمناظرة ، ومنهم من يدعو بالقتال والجهاد ، ومنهم من يدعو إلى الله في الاعتراك السياسي والتسابق الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي والتصارع الحضاري . وهكذا فالجميع دعاة إلى الله ، كل بحسب ما يطيقه ويقدر عليه وما عنده مما يمكن الإسهام به في توجيه الخطاب نحو الأفراد والمجتمع ، نحو الداخل والخارج .

ففي القرآن ، الدعوة ليست للنخبة ، بل هي لكل إنسان وصل إليه كتاب الله ، فآمن بالله ورسوله ﷺ ، وأصبح من الورثة الذين قال فيه تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾[3]، ففي تفسيرها يقول الزمخشري :« أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حَكَمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيه ومن بعدهم إلى يوم القيامة ، لأن الله اصطفاه على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله ، ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم ... مقتصد ... وسابق من السابقين »[4].

فالشمولية من حيث المخاطِب أو المتلقي ، ليست خاصة بنخبة معينة (الإمام أو الخطيب أو الداعية أو العالم بدين الله أو الفقيه وغيرها ...) ، لأن القرآن كلام الله موجه إلى نبيه ﷺ ، لكنه موجه إلى كل مخلوق ، وكل إنسان مكلف إلى يوم القيامة ، وهو ما يسميه أهل الفقه بالدعوة بالقدوة . لأن الإنسان ، مهما كان ... عامل أو عالم ، موظف أو مدير ، مقصود بنقل دلالات النص القرآني وإسقاطها على الواقع الذي يعيش فيه حسب أدواته المعرفية وحاجاته المعيشية .

---

[1] أنس بن مالك : **الموطأ** ، ج 02 ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ص : 899 .

[2] فضل حسن عباس : **إتقان البرهان في علوم القرآن** ، ط 01 ، ج 01 ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، 1997 ، ص : 20 .

[3] سورة فاطر ، الآية رقم : 32 .

[4] جار الله محمود الزمخشري : **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، ط 03 ، تحقيق وتعليق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص : 886 .

3 ــ من حيث المتلقي أو المخاطَب :

المتلقي في القرآن الكريم أو المخَاطَب ، كل عاقل له وظائف واستعدادات التمكين ، التفكير والتصرف ، وهي موجودة في الإنس كما هي موجودة في الجن ، لذلك قال تعالى : **﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴾**[1]، فالله قيّض لهم القرآن حتى يكون حجة لهم وعليهم ، فعلم الكافرون ما لقوته فأمر أولياءهم باللغو فيه حيث قال الله : **﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾**[2].

لقد ميز الله تعالى هذا الكتاب ، ومن بين ما ميّزن به أن « هداية هذا القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم بمزايا فذة ، فهي أولاً هداية تامة ، ومعنى تمامها أنها لم تترك جانباً من الجوانب التي يحتاج إليها الإنسان أو تشريعاً من التشريعات التي تسمو به إلا بيّنها القرآن خير بيان . ثم هي بعد ذلك هداية عامة ، ومعنى عمومها : أنها لم تأت لعصر خاص أو مكان خاص ، بل هي للخلق جميعاً على اختلاف أعصارهم وأمصارهم هدفها : تربية نوع الإنسان . ثم هي بعد ذلك هداية دائمة ومعنى دوامها : أنها باقية ما بقي الإنسان »[3].

والله تعالى يقول : **﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾**[4]، فهو عهد « أخذه الله تعالى على آدم ، فلزم ذريته أن يتبعوا كل هدى يأتيهم من الله ، وأن من أعرض أن هدى يأتيه من الله فقد استوجب العذاب ، فشمل جميع الشرائع الإلهية المخاطب بها طوائف الناس ... وأولى الهدى وأجدره بوجوب إتباعه الهدى الذي أتى من الله لسائر البشر وهو دين الإسلام »[5].

4 ــ من حيث الزمان والمكان :

لما أرسل الله نبيه ﷺ ، وأيّده بكتابه ، جعله خاتم الرسل ، لكل البشرية وكل العالم ، فالدعوة الإسلامية ليست محدودة بمكان دون غيره ، بل شاملة لكل الأمكنة ، حيث وُجد الناس منذ البعثة ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، يصلهم الخطاب الديني ساعياً إلى إصلاح الأحوال ، وإصباغ الأوضاع بصبغة إسلامية ، رحمة من الله للعالمين ، مصداقاً لقول تعالى : **﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾**[6].

---

[1] سورة الأنعام ، الآية رقم : 130 .

[2] سورة فصلت ، الآيات رقم : 25 – 26 .

[3] فضل حسن عباس : **مرجع سبق ذكره ،** ص.ص : 20 – 21 .

[4] سورة البقرة ، الآيات رقم : 38 – 39 .

[5] محمد الطاهر ابن عاشور : **تفسير التحرير والتنوير ،** ج 01، الكتاب 02، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، ص . ص : 443 – 444 .

[6] سورة النحل ، الآية رقم : 89 .

وصاحب الرسالة ﷺ يقول :« لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل ، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها »[1] . فالقرآن الكريم نزل منجماً مفرقاً على الأحداث والقضايا والوقائع ، مراعياً الزمان والمكان ، من أجل متابعة قضايا الناس ، ومعالجة مشاكلهم وانشغالاتهم ، وشاهداً على الأمم ، يتلو عليهم الحق ويوجه العقول ويثير القلوب والعواطف ، يهذب النفوس ويغرس الأخلاق والقيَّم الحميدة . « وهكذا ينبغي أن يكون خطاب الدعاة لدى الجماهير والأقوام ، يرعى الزمان والمكان ، ليكون لكل زمان لسان ، ولكل مكان أذان ، ولكل حدث حديث ، ولكل مقام مقال ، ولكل مصاب جواب ، ولكل داء دواء »[2] .

المبحث الثالث : مقاصد الخطاب الديني .

فمن الضروري ، أن أي خطاب ، فما بالك بالخطاب الديني أن يكون له هدفاً يتوخى الخطيب تحقيقه ، وغاية يخطط لها لولوج مراميها ، مقتدياً في ذلك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، الذي جعل من خلق الخلائق ، وإنزال التشريعات والأحكام ، وإرسال الرسل حكماً ومقصداً ، وغايات وأهداف مسطرة ومقاصد معلومة وغايات مبرمجة يسعى إلى تحقيقها والوصول إليها . والخطاب الديني حتى يسطر الأهداف ويبرمج الغايات ويحدد معالم المقاصد ، لا بد له من فهم المرحلة والواقع وتحديد الأهداف وترتيب الأولويات ، وهو ما سوف نتطرق إليه في هذا المبحث .

أولاً : فهم المرحلة والواقع .

لا شك أن القرآن جاء ينشد الفرد المثالي ، والمجتمع المثالي ، والأمة المثالية ، والدولة المثالية ، وفي إطار عالميته كذلك جاء ينشد العالم الإنساني المثالي ، لكنه مع ذلك لم يخرج عن الواقع الذي يعيش فيه الفرد ، المجتمع ، الأمة والدولة . فيعالج هذا الواقع نظرياً ، ثم يعالجه عملياً ، يعترف به ، ولكنه يحاول الرقي بالإنسان ، فيعلو عليه بإيمانه وأخلاقه وأهدافه الكبرى في هذه الحياة .

هذا فيما يخص الهدف من الإنسان في القرآن الكريم ، الذي اعترف الله بضعفه ، واستعداده للالتزام والسقوط في الممنوع أو المحرمات ، فقال فيه تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾[3]، فالنفس البشرية مستعدة للفجور استعدادها للتقوى ، بل ربما كان استعداداها للفجور أقوى ، والإنسان بجهده من يجعل النفس تفلح بالتزكية وتخيب بالتدسية . يقول تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾[4] .

ومن بين أصناف أفراد المجتمع حسب التعبير القرآني ، أو الآية القرآنية :

1 ــ الظالم لنفسه ، وهو الذي يقصر في أداء الواجبات ، ويرتكب بعض المحرمات .

2 ــ المقتصد : وهو الذي يؤدي الواجبات ، ولا يقترف المحرمات ، ولا يزيد على ذلك .

---

[1] محمد الخطيب التبريزي : **مشكاة المصابيح ،** ط 02 ، ج 01 ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1979 ، ص : 20 .

[2] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 75 .

[3] سورة الشمس ، الآيات رقم : 07 – 10 .

[4] سورة فاطر ، الآية رقم : 32 .

3 ــ السابق بالخيرات : وهو الذي يزيد على فعل الواجبات بفعل المستحبات ، ويزيد على ترك المحرمات ، بترك الشبهات والمكروهات[1].

هذا هو واقع الفرد المسلم المتوجه إليه الخطاب ، فالخطيب لا يجهل هذا الواقع عند صياغة خطابه ، فعليه « أن يرعي واقع الناس الذي يضغط عليهم ، وضعفهم أمام هذا الواقع ، ويراعي ضرورات الناس التي تبيح المحظورات ، وحاجاتهم التي كثيراً ما تنزل منزلة الضرورات ، ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة مقربون ، بل يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، تدفعهم الغرائز ، وتغريهم الشهوات ، ويوسوس لهم الشيطان ، فيعثرون ويسقطون ، ومع هذا لا ينبغي أن يقنطوا من رحمة الله »[2].

هذا الواقع المتغير والمتشابك والمتناقض ، وهذا المجتمع غير المتجانس ، يجب أن يدركه الخطاب الديني ويتعامل معه ، « لأن فهم المرحلة وفقه الواقع أصل معتبر في الشرع ، يؤيده تنزل القرآن على حاجات الناس والمناسبات ، ويؤكده تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد ، بناء على اعتبار المرحلة والواقع . وقد كان أئمة الفقه والدين ودعاة السلف الصالحين يخرجون الأحكام ويستصدرون الفتاوى ويصيغون خطاب الدعوة وخطبها بحسب ما يقتضيه الواقع وتمليه المرحلة »[3]. فهناك مثل يستند عليه أعلام الخطاب الديني ، وهو فقه الإمام الشافعي ، حيث كان له فقه قديم بناه على بيئة وحال وواقع أهل بغداد ، وفقه جديد بناه على بيئة وحال وواقع أهل مصر .

فصحة الفهم من أفضل النِعم التي أنعم الله بها على عباده بعد الإسلام ، « ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم إلا بنوعين من الفهم . أحدهما : فهم الواقع والفقه فيه ، واستنباط علم الحقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً . والنوع الثاني : فهم الواجب في الواقع ، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع ، ثم يطبق أحدهما على الآخر ؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعد أجرين أو أجراً . فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله »[4]. أي كيفية استحضار آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تفسر أو تشرح هذه الآيات ، وتوضح أحوال الناس وتمنحهم الحلول التي تناسب واقعهم الاجتماعي .

فالكثير من الآيات القرآنية ، وعند قراءتها المتمعنة ، تظهر اهتمامها بالواقع والمرحلة في إطار وضع المبادئ العامة منها قوله تعالى : **﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾**[5]، وقوله : **﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**[6]، وقوله تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ، قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل**

---

[1] يوسف القرضاوي : **خطابنا ... مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 109 – 110 .

[2] نفس المرجع ، ص : 114 .

[3] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 62 .

[4] ابن قيِّم الجوزية : **أعلام ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد 02 ، ص : 165 .

[5] سورة النساء ، الآية رقم : 83 .

[6] سورة الأنعام ، الآية رقم : 153 .

لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[1]. وقوله : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾**[2]، وقوله : **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾**[3].

وفي القرآن الكريم يوجد الكثير من أمثال هذه الآيات ، « لكنها كافية لمن فهمها وتدبرها أن يعرف واقعه الذي يعيشه ، مهما تعددت أشكاله ، ومجتمعه الذي يعيش فيه ، مهما تعددت صوره ، ليطبق من خلال ذلك كله فقه الواقع المنشود ، في ظل ذلك (الأمل) المفقود ! »[4]. ففهم المرحلة ومعرفة « الواقع للوصول به إلى حكم الشرع واجب مهم من الواجبات التي يجب أن يقوم بها طائفة مختصة ... كأي علم من العلوم الشرعية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو العسكرية ، أو أي علم ينفع الأمة الإسلامية ويدنيها من مدارج العودة إلى عزها ومجدها وسؤددها ، وبخاصة إذا ما تطورت هذه العلوم بتطور الأزمنة والأمكنة "[5]. فالخطاب الديني يجب أن يعتني بتدبر القرآن الكريم وتأمل آياته ، واستنباط بين الواقع وحكمه وهدايته في كل زمان ومكان .

ثانياً : ترتيب الأولويات .

يعتبر ترتيب الأولويات ، أو مراتب الأعمال ، أو حتى فقه الأولويات ، من الأمور التي دعا إليها الدين الإسلامي الحنيف ، وترتيب الأولويات يعني :« وضع كل شيء في مرتبته بالعدل ، من الأحكام والقيّم والأعمال ، ثم يقدم الأولى فالأولى ، بناء على معايير شرعية صحيحة ، يهدي إليها نور الوحي ، ونور العقل ... فلا يقدم غير المهم على المهم ، ولا المهم على الأهم ، ولا المرجوح على الراجح ، ولا المفضول على الفاضل أو الأفضل . بل يقدم ما حقه التقديم ، ويؤخر ما حقه التأخير ، ولا يكبر الصغير ، ولا يهوّن الخطير ، بل يوضع كل شي في موضعه بالقسطاس المستقيم »[6]. وذلك ما تبينه الأحكام والأعمال والتكاليف التي جاءت متفاوتة في الميزان والمقدار .

فإذا كانت الأعمال مراتب ودرجات ، والجزاء عنها مراتب ودرجات ، فالإنسان في الدين الإسلامي من حيث الأعمال والالتزام بالأحكام طبعاً ، درجات ومراتب ، ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ، قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾**[7]، وبالتالي فإن الناس تتفاوت في الدرجات وتتفاضل ، وليس بشيء آخر غير التفاضل بالعلم والتقوى ، والإيمان والعمل .

---

[1] سورة الأنعام ، الآيات رقم : 55 – 56 .

[2] سورة الممتحنة ، الآية رقم : 13 .

[3] سورة البقرة ، من الآية رقم : 143 .

[4] علي بن حسين الحلبي : **فقه الواقع بين النظرية والتطبيق ،** ط 03 ، دراسات في السياسة الشرعية (03) ، شركة النور للطباعة والنشر والتوزيع ، رام الله ، فلسطين ، 1990 ، ص : 32 .

[5] محمد ناصر الدين الألباني : **سؤال وجواب حول فقه الواقع ،** ط 02 ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، 1990 ، ص . ص : 29 – 30 .

[6] يوسف القرضاوي : **في فقه الأو... مرجع سبق ذكره ،** ص : 09 .

[7] سورة الزمر ، الآيات رقم : 09 – 10 .

والخطاب الديني لا بد أن يبيّن هذا التفاضل ، ويوضح هذا التفاوت ، بل الخطيب الناجح يهتم من خلال إعداد الخطاب بترتيب الأولويات ويعطيها حقها المطلوب ، فلا « ينطلق جزافاً يلقي دعوته بلا مراعاة للأولى ولا تقديم للأهم ولا اعتبار للأصلح . فترتيب الأولويات حسب الأهمية أصل أصيل في فقه الدعوة إلى الله ، ينبغي أن ينطلق منه الخطاب لكل داعٍ إلى الله مبشر بالحق ؛ يرتب أمور التبليغ على أولويات يأتي بالأهم ثم المهم ، وبالأصلح ثم الصالح ، وبالأنفع والأجدى ثم النافع ، وبذلك جاء التنبيه في القرآن العظيم : **﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾**[1] .

فالخطاب الديني اليوم ، وللأسف ، يعرف إخلال كبير في ترتيب الأولويات ، لغياب العلم الصحيح والفقه الرشيد ، فالعلم هو « الذي يبيّن راجح الأعمال من مرجوحها ، وفاضلها من مفضولها ، كما يبيّن صحيحها من فاسدها ومقبولها من مردودها ، ومسنونها من مبتدعيها ، ويعطي لكل عمل سعره وقيمته في نظر الشرع . وكثيراً ما نجد الذين حرموا نور العلم ورشد الفقه ، يذيبون الحدود بين الأعمال فلا تتمايز ، أو يحكمون عليها بغير ما حكم الشرع ، فيُفْرطون أو يفَطرون ، وهنا يضيع الدين بين الغالي فيه والجافي عنه . وكثيرا ما رأينا مثل هؤلاء ـــ مع إخلاصهم ـــ يشتغلون بمرجوح العمل ويدعون راجحه ، وينهمكون في المفضول ، ويغفلون الفاضل »[2] .

ثالثاً : تحديد الأهداف .

لا يمكن لأي خطاب أن يصل إلى ما يربوا إليه ، أو ما يريد الوصول إليه دون تحديده من قبل ، ووضع الخطط اللازمة لتحقيق ذلك ، فلا يمكن وضع خطاب نتوجه به إلى الناس دون تحديد أهداف واضحة المعالم نبتغي الوصول إليها ، فهل يمكن وضع أهداف خيالية بوسائل بسيطة ؟ ، وهل يمكن القيام بعمل وانتظار النتائج المترتبة عن ذلك ؟ ، ثم نقول هذه هي الأهداف التي رسمناها من قبل . فالخطيب الناجح ، والخطاب الصحيح ، هو الذي يقوم أصحابه بتحديد أهدافهم قبل صياغته .

فتحديد الأهداف لا يأتي على المبادئ والقيّم ، بل تبقى المبادئ مبادئ ، وتبقى الثوابت راسخات لا تتغير مع تغير الزمان والمكان ، بل يراعي الظروف الاجتماعية ، الاقتصادية ، وحتى النفسية ، فيكون الوعظ بليغ الضرر « في تكوين الشخصية البشرية إذا كان ينشد أهدافاً معاكسة لقيم العرف الاجتماعي . فإذا ذهب الإنسان إلى المسجد ، أو إلى المدرسة ، وأخذ يسمع وعظاً أفلاطونياً يحضه على ترك الدنيا ، مثلاً ، أدى ذلك إلى تكوين أزمة نفسية فيه . فهو يحب الدنيا من أعماق قلبه ويود الاغتراف من مناهلها بكلتا يديه . وهذا دأب كل إنسان في الغالب ... والإنسان حين يسمع الواعظ يعظه بترك هذه الدنيا ، يمسي حائراً . فضميره يأمره بإطاعة الواعظ من ناحية ونفسه تجذبه من الناحية الثانية نحو الدنيا جذباً لا خلاص منه »[3] .

فتحديد الأهداف يغيب عن الخطاب الديني لما ينشغل بأشكال الخلاف ، وتنظر كل فئة إلى توجهها الإيديولوجي الفئوي ، وتنسى الرسالة العالمية المبنية على الوسطية ، أي « أن الأزمة في غياب معنى الوسطية كقيمة ثقافية

---

[1] سورة القيامة ، الآيات رقم : 34 – 35 .

[2] يوسف القرضاوي : **في فقه الأو... مرجع سبق ذكره ،** ص : 16 .

[3] علي الوردي : **وعّاظ السلاطين ،** ط 02 ، دار كوفان للنشر ، لندن ، إنجلترا ، 1995 ، ص : 15 .

وكقيمة تداولية فيما بين الأطراف الممثلة للمجتمع ، وهو غياب أو فراغ يترك الفضاء مفتوحاً للتطرف والغلو لكي يرتفع صوته ويعلو حتى ليبدو وكأنما هو الصوت الأكثر عدداً والأعمق معنوية في ثقافتنا »[1]، فيترك له المجال في قراءة الواقع وتحديد الأهداف المعروفة سلفاً في هذا النوع من الخطاب الذي يرفض الوسطية منهجاً في تحديد الأهداف ، وينسى أو يتناسى قول الله تعالى في أجمع آية كما وصفها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حيث يقول تعالى : **﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾**[2].

إن تحديد الأهداف في أي خطاب يوجه إلى العالم ، يجب أن يستند على جملة من المبادئ ، والتي تحدد الأهداف تحديداً موضوعياً وعلمياً ، ومن بين هذه المبادئ نذكر ما يلي :

- فقه الأهداف للدين ، حيث يتميز هذا الفقه بالشمول والاتزان والعمق .
- فقه الأهداف بواقع المسلمين وواقع حياتهم دون تهويل أو تهوين .
- فقه الأهداف لسنن الله التي لا تتبدل ، مثل : سنة الاجتماع البشري .
- فقه الأهداف لمقاصد الشريعة الإسلامية وعدم الجمود على ظواهرها .
- فقه الأهداف لفقه الأولويات .
- فقه الأهداف لفقه الاختلاف وأدبه مع الفصائل الإسلامية المختلفة .
- فقه الأهداف للتوازن بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر .
- فقه الأهداف بأن التغيير الفكري والنفسي والخلقي أساس كل تغيير حضاري .
- فقه الأهداف بضرورة تقديم الإسلام كمشروع حضاري متكامل لبعث الأمة .
- فقه الأهداف في إبراز القيم الإنسانية والاجتماعية والسياسية للإسلام .

المبحث الرابع : جوانب الخطاب الديني

من خلال حديثنا عن عناصر الخطاب الديني ، تطرقنا إلى أهمية الرسالة أو الخطاب ، وبالتحديد إلى مكونات هذا الخطاب ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تحدثنا عن الدور المفصلي الذي يقوم به المِلقِي لهذا الخطاب ، حيث ذكرنا أن الخطاب والمخَاطِب لهما أهمية كبيرة في أداء الخطاب الديني للرسالة المنوطة به ، وتحدثنا أن هذان العنصران لهما جوانب عديدة لا يمكن الإحاطة بهما في تحديد العناصر ، وفي هذا المقام سوف نتطرق إلى هاذين العنصرين ــ الخطاب والمخاطِب ــ مستندين دائماً على ما جاء في كتاب الله تعالى وما بيّنته سنة نبيه ﷺ ، وذلك فيما يخص العناصر التي يتكون منها الخطاب أو المخاطب .

---

[1] عبد الله محمد الغدامي : **الفقيه الفضائي : تحول الخطاب الديني من المنبر إلى الشاشة** ، ط 02 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2011 ، ص : 115 .

[2] سورة النحل ، الآية رقم : 90 .

أولاً : جانب الخطاب .

1 ــ مخاطبة الناس بما يعرفون :

يتصف الخطاب الديني الممثل للإسلام بالثقل ، ثقل الأمانة التي يحملها ، بل ثقل السماوات والأرض كما جاء في الوصف القرآني ، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾[1]، لأن الرسالة التي يحملها الإنسان ليست بالشيء السهل أو الهيّن فهو قول ثقيل ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾[2]، فالخطاب الديني يتصف بالثقل ، فلا بد فيه من بحث بتريث وتأنٍ عن عناصر تجعله مقبولاً مستساغاً ، وعن عوامل تسهله ليُسمع ويُفهم ، كما أنه يجب على المدعو أن يسمع ويعقل ؛ يجب على الداعي (الخطيب) أن يُلقي عليه قولاً يُسمع ويُعقل ، أي أن يكون الخطاب الديني بالوصف القرآني ، خطاباً معروفاً .

فمصطلح معروف في القرآن الكريم جاء في الكثير من المواقع والآيات ، ففي قوله : ﴿ **فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[3]، تأكيد أنهم كفروا بما يعرفون من خطاب الله تعالى ، وقوله : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[4]، تأكيد أن الكتاب معروف للذين أتوه ، والحق كذلك كان معروفاً ، مهما أراد إنكاره المنكرون ، وذلك في قوله : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[5].

نفس الشيء بالنسبة للرسل والأنبياء ، فهم معروفون في أقوامهم وإن تم تكذيبهم أو إنكار ما جاءوا به ، حيث يقول تعالى : ﴿ **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾[6]، فالرسل معروفون ، ألم يكن محمد ﷺ الصادق الأمين ؟ ثم كُذِّب من قبل الكافرين واتهموه بالسحر والجنون وغيرها ... وآيات الله في الكون معروفة ، ونعمه معروفة ، فلأجلها يسبح العباد شاكرين كل يوم وليلة ، ومنكريها يقول فيهم تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[7]. ولذلك جاء أمر الله : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾[8]، والعرف حسب أعلام الخطاب الديني ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته النفوس بالقبول ، أما العادة فمأخوذة من المعاودة ، فهي بتكرارها ومعاودتها مرة بعد أخرى صارت معروفة مستقرة في النفوس والعقول ، متلقاة بالقبول من غير علاقة ولا قرينة ، حتى صارت حقيقة عرفية [9].

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية رقم : 72 .

[2] سورة المزمل ، الآية رقم : 05 .

[3] سورة البقرة ، من الآية رقم : 89 .

[4] سورة البقرة ، الآية رقم : 146 .

[5] سورة المائدة ، الآية رقم : 83 .

[6] سورة المؤمنون ، الآية رقم : 69 .

[7] سورة النحل ، الآية رقم : 83 .

[8] سورة الأعراف ، الآية رقم : 199 .

[9] وهبة الزحيلي : **أصول الفقه الإسلامي** ، ط 01 ، ج 02 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، سورية ، 1986 ، ص : 829 .

والعرف حسب المفسرين ، هو المعروف ، وفي تفسير هذه الآية ، قول النبي ﷺ :« ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؛ أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك »[1]. لذلك كانت مخاطبة الناس بما يعرفون تقتضي من الخطيب البحث والدراسة والتنقيب عن المواضيع ذات الصلة بالواقع ، والتي يعرفونها عامة الناس ، مع استثارة العواطف ومجادلة العقول حتى ترسخ ، فتصبح عقيدة تحرك الفرد لما فيه خير البلاد والعباد ، فلا يمكن مخاطبة الناس بمواضيع تدخل الشك ، وتجعل من السامع يقارنها بمحدودية تفكيره وما لا يتقبله العقل ، فيصبح الخطيب في مقام الكاذب ، وعلى من ؟! ... الكاذب على الدين أو على كتاب الله ، لأن ما لا يتقبله العقل ، هو الخطاب الذي لا يعرفه الإنسان ، وهو خطاب مطالب الخطيب بتجنبه ، لأن لا فائدة ترجى منه ، بل عواقبه سلبية ووخيمة على الخطيب وعلى الفرد المستمع أو المتلقي ، ثم على الخطاب الذي يجانب الصواب ولا يستطيع تحقيق أهدافه .

2 ــ المخاطبة على قدر الفهم :

فمخاطبة الناس قدر الفهم مكملة للنقطة السابقة ، مخاطبة الناس بما يعرفون ، فالخطيب الناجح يتخيّر المعاني القريبة من فهم المخَاطَب (المتلقي) ، مستحضراً قول الله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا** ﴾[2]، أي قولاً ليناً جميلاً ، تبلغه عقولهم ، يستطيعون فهمه دون عناء ، وهذا ما كان يفعله السلف الصالح ، ابتداء من صاحب الرسالة محمد ﷺ والرعيل أو الجيل الأول من الصحابة ، وحتى التابعين في تقديم الخطاب الديني ، حيث يقدمون ما يفهمه المتلقي وما يعرفه ، فكان أعلام الخطاب الديني على مر العصور يفهمون ويستنبطون الأحكام والتعاليم من النصوص ، ويقدمونها حسب أحوال الناس وقدراتهم وقدرة استيعابهم وفهمهم .

نجد الكثير من أعلام الخطاب الديني ، محاولة منهم في مخاطبة الناس بما يفهمون ، يلجئون إلى إسقاط آيات القرآن الكريم على الواقع ، فيفهم المتلقي أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، ويفهم أن القرآن يحمل منهج حياة يحكم كل كبير وصغير من شؤون الناس الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والدعوية وغيرها ... فالواقع كله ، إما أن يكون موافقاً لهدي القرآن وتوجيهاته ، وإما أن يكون مخالفاً له ولأحكامه . فيكون عمل الخطاب الديني من خلال مخاطبة الناس قدر طاقة فهمهم واستيعابهم بتوضيح الآيات وتقريب المعاني التي يفهمونها واستنباط الهداية والأحكام والتوجيهات والتعاليم حتى يتم تطبيقها في واقعهم المعاش . فالخطيب حتى يخاطب الناس على قدر الفهم ، يجب أن يدرك جيداً قضايا العصر ومستجدات الواقع ، لأن القرآن الكريم مملوء بالقَصَصْ التي فيها من العبر ما يجعل المتلقي يلقي السمع وهو شهيد ، وتجعله يتمعن في كلام الخطيب وهو يقارن واقعه المعاش ، فتستفز فيه الكثير من العواطف وتحركهم لأداء ما هو منتظر منهم .

إن مخاطبة الناس قدر الفهم ، خاصة في المسجد ، حيث يكون المتلقي متنوع في التركيبة النفسية والخُلُقية والمقدرة العلمية ، فالقادم إلى المسجد ليسوا جميعاً خريجي الجامعات ، فمنهم الأمي والتاجر والفلاح ، ومنهم الأستاذ والمعلم والمربي ، ومنهم الأكاديمي والباحث ، تختلف اهتماماتهم ، كما تختلف مناهلهم وحتى مذاهبهم ، سواء في الحياة

---

[1] جلال الدين السيوطي : **الدُر المنثور في التفسير بالمأثور** ، ط 01 ، ج 06 ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص : 711 .

[2] سورة الإسراء ، الآية رقم : 28 .

أو في الدين ، والخطيب حين يخاطب هذا الخليط ، فهو يخاطب العقل المترتب عن هذا الخليط ، يخاطب العقل « في صميمه ، ويهدف إلى إخراج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ليعرف مكانته الحقيقية في الكون ، ويدرك الجانب الحقيقي لعلاقته بالموجودات ، ويستعين ــ على هدى من العلم والبصيرة ــ بكل ما له من الطاقات الظاهرة والكامنة والوسائل المادية والروحية لبلوغ الغاية الحقيقية لحياته ، وهي القيام بالخدمة التي أوجبها الله عليه حينما جعله خليفته في الدنيا »[1].

3 ــ الابتعاد عن التفاصح :

تكاد تكون هذه النقطة ملازمة للنقطة السابقة ومدعمة لها لمخاطبة الناس على قدر الفهم ، وقد أو تكون جزءا منها ، لأن التفاصح يعني استعمال اللغة الصعبة والمفردات المركبة التي يستعصى فهمها ، وتحتاج إلى شرح عميق حتى يتمكن منها العالم والأكاديمي ، فما بالك بالمتلقي البسيط صاحب المستوى المتوسط أو الضعيف ، إذ يجب على الخطاب الاقتداء بأسلوب الخطاب القرآني وخطاب النبي ﷺ الذي سُمي بالسهل الممتنع ، الممتع والسهل والمعجز في نفس الوقت ، فيكون الخطاب مقبولاً . فالخطيب لن يكون خطابه مقبولاً حتى يكون عادلاً في عرضه واستعمال لغته أو بلاغته ، ويكون ذكياً في حواره وفي تقديم موعظته أو درسه ، أو حتى إجاباته على مختلف الأسئلة المقدمة إليه في مختلف المناسبات ، فالخطيب يسعى إلى تفهيم المتلقي لا إلى تفخيم معاني الخطاب وكلماته ، ويقصد إفهام الجماهير لا إلى تفحيمها وتركها تنظر بغرابة على ما يقدم من مفردات . فإذا تفاصح وتشدق وثرثر وتفيهق ، ذهبت عنه البركة وخابت دعوته ، وبطلت صحة كلامه ، فيسيء في موضع الإحسان ، ويفسد في موقع الإصلاح .

حال اللغة اليوم ، حيث أصبحت مستعصية على الفهم لدى الكثير من الجماهير ، وهذه الحالة لها خلفياتها في العالم العربي ، خاصة الجزائر ، جراء سنوات الاستعمار واختلال النظام التربوي المركب ، حيث أصبحت اللغة العربية غريبة في ديارها رغم رسميتها في قوانين الدولة . فإن نتاج هذا النظام وأثره في المجتمع ، جعل من الفرد أمّي رغم علمه ودراسته الأكاديمية ، وهذا ما أثبته واقع البحث والدراسة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية والعلمية . فكيف يتم فهم الخطيب الذي يقدم خطبة عصماء من الزمن الغابر بألفاظ يقف أمامها المستمع في حيرة من أمره ، يسأله أنَّ له هذا ؟ !... فهو له فتنة دون شك ، حيث يصبح المتلقي يبحث عن معاني الألفاظ والكلمات ، ويذهب عنه المعنى الدلالي الذي خطط له الخطيب لأن يصل إليه من خلال هذا الخطاب أو ذاك النشاط أو تلك الموعظة التي يقيمها الخطيب والقائمين على المسجد .

ثانياً : جانب الملقي أو المخاطِب .

ومن جوانب الخطاب ، ذلك الرجل الذي يرتجل أو يحمل أوراقه متوجهاً إلى جمع من الناس ، في المسجد ، أو قاعة المحاضرة أو في أي مكان ، إذ يعتبر ــ كما ذكرنا ــ صاحب الدور الأهم والمفصلي في عملية الخطاب ، لذا توجب أن يكون معروفاً لدى المستمعين ، وأداة معرفته متنوعة وكثيرة ، كما يتطلب منه ــ هو كذلك ــ من جانبه معرفة

---

[1] أبو الأعلى المودودي : **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة** ، ط 04 ، تعريب : خليل أحمد الحامدي ، دار القلم ، عمارة السور ، الكويت ، 1980 ، ص : 10 .

المكونات البشرية التي تقف أمامه متوجها إليها بالخطاب . والله تعالى يقول : ﴿ **فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾[1]، ويقول : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[2]، ويقول : ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[3]، فكل رسل الله وأنبيائه ممن بلغ رسالاته ونصحوا لأمتهم وخاطبوا أقوامهم نجدهم أنهم من بين القوم الذين بعثوا إليهم ، إن لم يكونوا من أفضلهم وأشرفهم نسباً وحسباً .

فهو إخبار يريد منه بأن :« محمداً ﷺ وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدته وله فيهم نسب ... فهو شديد عليه عنتكم وهو لقاء الشدة والمشقة بدخول النار والمعنى : شديد عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان ، يقال : عنت الرجل عنتاً إذا وقع في المشقة (**حَرِيصٌ عَلَيْكُم**) على إيمانكم على أن تؤمنوا (**بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) »[4]. والآية تبين منزلة رسول الله ﷺ عند خالقه ، فلما سئل النبي ﷺ عن تفسير أنفسكم قال :« أنا أنفسُكم ، نسباً وصهراً وحسباً ، ليس فيَّ ولا في آبائي من لدن آدم سِفاح ، كلنا نكاح »[5]، ويقول ﷺ :« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »[6]. فهو دليل على تفضيل الرسول ﷺ على الخلق الله أجمعين ، وفيها ضرورة معرفة الجنس ، معرفة السيرة وكذلك معرفة اللسان .

1 ــ معرفة الجنس :

ومعرفة الجنس ، تتوجب على الخطيب أن يكون معروفاً لدى عامة الناس ، وجوانب معرفته متعددة ، يسهر على تثبيتها وترسيخها قولاً وعملاً ، حتى يكون قدوة للناس ، فيأخذون منه ما يلقيه إليهم من خطاب وموعظة ودرس ، ويساهمون معه في إنجاح ما ينظم من نشاطات ، فيجب أن يُعرَف بكل كريم يحبذه الإنسان في حياته وسلوكه . كما تتطلب معرفة الجنس من الخطيب السهر على معرفة المكونات أو التركيبة البشرية للناس القادمين والمتوجهين إليه بالأسماع والألباب ، فيكون على علم مما يتكون الجمع من حوله ، فيخاطب العقول قبل القلوب ، ويتحرى في كلامه مراتب الناس ومنازلهم ومكانتهم الاجتماعية ، وغيرها من الأمور التي لنا في سيرة رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى .

يقول القرضاوي :« فالإنسان ــ شاء أو أبى ــ لا يستطيع أن ينفصل عن مكانه وزمانه ، وبعبارة أخرى : عن بيئته وعصره ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، كما قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، والمفتون (أي أصحاب أو أعلام الخطاب الديني) ، في أي عصر معرضون للخطأ بحكم بشريتهم ، وعدم ضمان العصمة لهم . ولكن المؤثرات الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية في عصرنا أشد منها في أي عصر مضى »[7]، وهو ما يتطلب بحث الخطيب

---

[1] سورة المؤمنون ، الآية رقم : 32 .

[2] سورة الجمعة ، الآية رقم : 02 .

[3] سورة التوبة ، الآية رقم : 128 .

[4] علي ابن أحمد النيسابوري : **الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،** ط 01 ، ج 02 ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ص . ص : 535 – 536 .

[5] جلال الدين السيوطي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 602 .

[6] موسى شاهين لاشين : **فتح المنعم شرح صحيح مسلم ،** ط 01 ، ج 09 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2002 ، ص : 83 .

[7] يوسف القرضاوي : **الفتوى بين الانضباط والتسيب ،** ط 01 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1988 ، ص : 63 .

وتنقيبه عن السبل السديدة التي تمكنه من معرفة الجنس المتوجه إليه ، وكيفية التأثير عليه باستعمال العوامل المختلفة المتوفرة من هذا البحث وهذه المعرفة بالإنسان المتلقي .

ثم أن مواجهة هذه المعطيات في الخطاب الديني لا تبتعد عن التنديد والاستنكار وحتى العزلة ، ولكل من هذه المواقف آراء ومعطيات ، لأنه لا أحد ينكر الانحطاط الذي يعرفه العالم الإسلامي في كل ميدان من ميادين الحياة ، حيث يرى أعلام الخطاب الديني على اختلاف وجهات نظرهم ، بأن هذا الأمر كان نتيجة لبُعد المسلمين عن الإسلام الصحيح فهماً وتطبيقاً ، ودخول العالم الإسلامي مرحلة طويلة ، الكل يتبرأ منها ، ويرجعها مرة إلى المؤامرات الخارجية ، ومرة إلى ابتعاد المسلمين عن المنهل الصحيح ، والمتمثل في التمسك بالدين الإسلامي والرجوع إلى رسالة المسجد في التربية والتوجيه ، وهو ما أدى إلى تخلف في العلم ، وجمود في التفكير ، وركود في الفقه والتشريع ، وقصور في التربية والتوجيه ، وفساد في الإدارة والحكم ، قابله من الجهة المقابلة تفوقاً ملحوظاً في كل هذه المجالات ، فبهر الأبصار ، وخلب الألباب ، حتى سار أبناء الأمة في طريقهم واتبعوا سننهم ، ونسوا ثقافتهم الأصلية وبيئتهم ونسوا حتى دينهم .

2 ــ معرفة السيرة :

عندما بعث الله جميع رسله وأنبيائه داعين إلى دينه ، لم يكونوا أبداً غرباء عن القوم الذين بعثوا إليهم ، بل كانوا معروفين ، يعرف أقوامهم سيرتهم ، كما يعرفون حسبهم ونسبهم ، أنقياء أصفياء كرام برزة ، وهو عنصر مهم في الدعوة إلى الله ، « فلما أُمر النبي ﷺ بأن يصدع بدعوته وجمع قومه وعشيرته ، قدم بين يدي ذلك بتعريف سيرته التي لم تخف عنهم حتى أقروا بنقائها ، يقولون بلسان واحد : ما جربنا عليك كذباً . عندئذ أعلن دعوته وجهر بها فيهم على مسلمة ما أقروا به أنه لا يكذب »[1].

وهي نفس الخصال التي ذكرها الله في القَصَص لما تحدث عن الأنبياء والمرسلين ، فقال عن قوم صالح : ﴿ **قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا** ﴾[2]. وقال في موسى ، الذي يعرف فرعون سيرته ، حيث تربى صغيراً ، وبالتالي فهو معروف غير مجهول ، ﴿ **قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[3]. وفي يوسف : ﴿ **قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾[4]. فهو ذو خلق معروف عند العالمين ، لم يعرفوا عليه من عمل لا يليق بنبي من أنبياء الله ورسله ، وقوله في يوسف : ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[5].

فإذا كان الأنبياء والرسل وهم القدوة ، كانوا معروفين عند أقوامهم ، معروفين من حيث الأصل ، من حيث السيرة ومن حيث الحسب والنسب ، فالخطيب الذي يتقدم إلى الدعوة ، أو يتخذ من الخطابة وظيفة سامية له ، مثل حال هذه الدراسة ، الخطباء في المساجد يعينون بقرار توظيف من الجهة الوصية التي توظفه ــ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ــ يجب أن يكون معروف السيرة ، وكذلك يعرف سيرة الناس الذين يخاطبهم ، فالخطيب الذي يقدم إلى

---

[1] عبد الله الزبير عبد الرحمن : **من مرتكزات ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 62 .

[2] سورة هود ، من الآية رقم : 62 .

[3] سورة الأعراف ، الآية رقم : 144 .

[4] سورة يوسف ، من الآية رقم : 51 .

[5] سورة يوسف ، الآية رقم : 56 .

مسجد من المساجد يتطلب منه معرفة المكونات أو التركيبة البشرية التي تقطن الحي أو الجهة التي يتواجد بها المسجد ، وهذا يساعده على أداء مهمته على أكمل وجه .

من جهة الخطيب ، فإن معرفة سيرته يمكن أن تأخذ بعض الوقت ، حتى يبين للمتلقين سيرته ، والتي تكون من خلال سلوكاته وكيفية تعامله مع ما يستجد له من أحداث وأمور ، وتكون القدوة الحسنة والسلوك المستقيم ، هي السبيل الأوحد لثقة الناس به ، وبالتالي الأخذ بما يقول بعد التأثر بما يعمل . أما من جهة المتلقي فإن الاستعانة بالشخصيات ذات القدر والسمعة في الحي أو الجهة أو المنطقة ، وذات العائلة الممتدة ، خاصة في الولايات الداخلية ، أين تؤخذ هذه السمة بعين الاعتبار ، فالخطيب يستعين بمثل هؤلاء الأشخاص من أجل تمرير الرسالة التي يريدها في إطار برامج عملية يكون المسجد مسرحاً لها ، أو من أجل إعداد برامج تستهدف تربية وتثقيف المتلقي . وبالطبع يستعين بما لديها من تأثير على المجتمع من أجل التسيير الجيد للمسجد وجلب الحاجيات والمساعدات ـــ خاصة المالية والمادية ـــ التي تسهل أداء الخطيب أو الإمام لمهامه على أفضل وجه .

فالخطاب الديني مطالب بأن ينقل إلى المستمعين ، من خلال معرفة السيرة في أوجهها المتعددة ، خاصة عند محاولة ربط الدين بالواقع الاجتماعي ، والتطورات التي يعرفها ، وخاصة عند محاورة المنبهرين بالحضارة الغربية ، وما يقدمه العلم والتكنولوجيا اليوم ، بأن الأمم السالفة ورغم ما قدمت من حضارة ، لكنها ببعدها عن الدين ، حق عليها كلمات الله ، ونالها عذابه ، فلم يغني عن عاد ما تركت من آثار عمرانية شاهقة ، لم يخلق مثلها في البلاد ، ولا ثمود وما نحتته من بيوت في الجبال ، ولا فرعون من أوتاد (أهرامات) التي تشهد على براعتهم وبراعة حضارتهم إلى يومنا هذا .

3 ـــ معرفة اللسان :

يقول تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**(1) . ويقول تعالى : **﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾**(2) . ويقول تعالى : **﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾**(3) . هذه الآيات التي تحدثت عن اللسان في القرآن الكريم بصفة مباشرة ، حيث يبيّن الله تعالى لعباده بأنه أرسل لكل أمة رسولها أو نبيها بلسانهم ، وبعد ذلك آيات محمد ﷺ بأن أرسله كبقية الأنبياء والرسل بلسان قومه مبشراً ونذيراً ، ولعل قومه به يتذكرون بلسان عربي مبين .

ذكرنا فيما سبق أهمية اللغة في الخطاب الديني ، لأن القرآن الكريم حين تنزل نزل بهذا اللسان العربي المبين ، فمهما استعمل الخطيب من رموز وإشارات وإيحاءات ومفردات فهي تعبر عن لغة الخطاب ، كما تعبر عن لسان القوم الذين يتوجه إليهم . فمعرفة اللسان تعني شرح ألفاظ اللغة وتصريفها ، وأسرار تراكيبها ، وما يتبع ذلك من دلالاتها ، فيقصد الخطيب إلى اختيار أحسن الألفاظ ، وأعذبها وأسهلها وأوضحها ، وهو لسان واسع حسب سعة الألفاظ وكثرة تنوعها ، وكذلك حسب ما يمتلك الخطيب من ملكة استحضار المعاني والألفاظ .

---

(1) سورة إبراهيم ، الآية رقم : 04 .

(2) سورة مريم ، الآية رقم : 97 .

(3) سورة الشعراء ، الآيات رقم : 192 – 195 .

واللسان أو اللغة ، بما أنها ملكة للتعامل مع ما هو واقع ، فإن الخطاب الديني في هذا العصر ، يختار الألفاظ والكلمات التي بها يتم مواجهة الموجات المعاصرة من عولمة وفضائيات وأنترنيت وغيرها ، يجد الإجابات المقنعة لكل ما جدَّ في هذا العصر من تساؤلات حول الظواهر الجديدة ، واضعاً هدفه صياغة الفرد المسلم في أبعاده الأربعة (العقلي ، العاطفي ، السلوك الاجتماعي والإنجاز الحضاري) .

كما على الخطيب أن يختار الكلمات التي تساعد على تشكل المجتمع المسلم بكل أجهزته ومؤسساته ، مثل : الأسرة ، التربية ، الإعلام وغيرها ... لأن هدفه الأسمى هو صيانة المجتمع من مختلف عوامل التفتيت والتفرقة الداخلية والخارجية . فمعرفة اللسان قد تتطلب تغييراً في مضمون بعض المقولات ، وقد تتطلب تغييراً في أسلوبها ، وقد تتطلب تغييراً في سلم الأولويات ، وذلك من أجل تشكيل عقل ووجدان المسلمين وغير المسلمين بما يتناسب مع فاعلية الدعوة والدين الإسلامي ورسالته النبيلة ، التي تهدف إلى إحياء التدين الإيجابي ويربي الشخصية المسلمة تربية صحيحة ويحارب ثقافة البدعة والخرافة وغيرها ... وهذا يؤدي ــ كما سوف نرى في تجديد الخطاب الديني ــ إلى مراجعة الأفكار والمواقف والاجتهادات على ضوء المستجدات في إطار الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

وفي معرفة اللسان في جوانب الخطاب الديني ، يبقى القرآن الكريم « هو قمة الفكر المتين والصحيح ، وأساس التعبير الدقيق ، وقاعدة للتعبير المنطقي . وكما كان هذا الفرقان العظيم سيد الكتب السماوية وغير السماوية كان المخاطب الأول له سيد الأنبياء والمرسلين . الكتب السابقة جاءت لكي تضع إشارات على طريقه وأعلاماً ، أما الكتب التي جاءت بعده فلكي تقوم بشرحه ووضع الهوامش والحواشي ، كل حسب خريطة روحه وغنى ذلك الروح . عرفه من قبله بصورته التي بشر بها الأنبياء ، وعرفه الذين جاءوا من بعده بصورته المنزلة الملموسة ، ورأوا التأثير الكبير الذي أحدثه والانقلاب العظيم الذي حققه ، فانحنوا أمام بلاغته التي لا تضاهى ، واعترفوا بأنه سلطان الكلمة والإعجاز البلاغي . وعندما كان القرآن يتنزل إلى الدنيا بموجات مختلفة من الأنوار لم يصرف أصحاب القلوب النيرة نظرهم عنه أبداً ، ولم يلتفوا عنه ، بل ارتبطوا به بكل جوارحهم وأرواحهم »[1]، وهو المتطلب في كل خطيب يدرس بتأني وروية ، ويبحث عن السُبل التي يحقق بها أهداف خطابه ، من خلال معرفة اللسان الذي يتحدث به الدين الإسلامي وتطوراته ، ومعرفة اللسان الذي يتحدث به المجتمع متأثراً بما يحدث حوله من تغيرات سريعة يعرفها العصر .

خلاصة الفصل :

من كل من سبق ذكره ، في مباحث هذا الفصل تتبيّن مكانة القرآن وأهميته في الإسلام ، وفي الخطاب الديني على وجه الخصوص ، فهو كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ ، كتاب يقول فيه : ﴿ **وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2]، وهو كتاب الرسالة السماوية الذي ختم الله به الرسالات ، ليكون مصدر كل عمل أو دعوة أو تبليغ أو صياغة خطاب ، فقال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا**

---

[1] محمد فتح الله كولن : **أضواء قرآنية في سماء الوجدان** ، ط 02 ، ترجمة : أورخان محمد علي ، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، ص : 23 .

[2] سورة الأنعام ، الآية رقم : 155 .

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1]. فهو أصل الأصول وأساسها ، منه تنطلق وإليه تعود ، وهو أصل حياة الأمة ورشادها وسبيل عزها وكرامتها ، وتحقيق الشهادة على الناس في قوله تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾**[2].

وفي السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي وردت في فضل القرآن الكريم وآياته . يقول رسول الله ﷺ :« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »[3]. وحتى يستفيد الخطاب الديني من القرآن ، فإن الخطباء أو الدعاة مطالبون بصدق الإقبال عليه ، بالقراءة والتدبر والفهم والتبصر والاهتداء ، فهذه القراءة وهذا التدبر يمكنهم نقل حقائق القرآن الكريم على بصيرة ، ويمكن المتلقين أو جمهور الناس من القيام بالوظائف والأمانات المنوطة بهم ، وعلى رأسها أمانة الاستخلاف والشهادة على الناس كما هي مذكورة في الآية السابقة ، والقيام كذلك بالترشيد والتوجيه للمجتمع والأمة ، وبالتالي تحقيق عودة المسلمين بخطابهم المبني على القرآن إلى الحياة في كنف الإسلام الصحيح يكون بمعرفة حق هذا الكتاب المقروء تدبراً وتحليلاً وتطبيقاً ، ومعرفة الكتاب المنظور من خلال قراءة علمية تأملية تجريبية تعيد فهم وصياغة موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، فالقيام بهذه الواجبات وحده الذي يبصر الفرد والمجتمع نحو الكون وعمارة الأرض بالخير والصلاح .

كذلك لأن القرآن الكريم الكتاب السماوي الوحيد الذي يعتبر « قلادة بيان منظومة من الكلام الإلهي ، وفيض من العلم الذي يشكل الحدود النهائية للإدراك البشري ، وخارطة لكل الوجود مرسومة ومزينة ومحاكة بالحرير اللاهوتي . عندما يُسمع صوته في أي بقعة يبدو كل كلام وكل تعبير آخر نوعاً من الضوضاء لا غير . وفي البقاع التي ترتفع فيها أعلامه يغمر النور قلوب المؤمنين ، وتنزل الحجارة على رؤوس الشياطين ، ويعيش الربانيون هناك أعياداً دائمة »[4]. فالحديث بهذه الطريقة عن مكونات الخطاب الديني ، هي إعطاء نظرة بعيدة عن الفكر والمفكرين ، وبعيدة عن دراسات الباحثين وعلماء اجتماع ، فهي نظرة من معينها الأزلي ، كتاب الله المقروء ... لم يكن ليد الإنسان وطريقة تفكيره وأدائه أي دخل فيها . لذلك جاء الفصل بعيد عن الدراسات اجتماعية أو حتى الدراسات الفكرية والفلسفية ، لأن اعتقادنا في وضع هذا الفصل هو إرجاع الخطاب الديني إلى معينه الأصيل (القرآن الكريم) ، وإلى الطريقة التي أراد بها عالم الخلائق كيف تصل رسالته إلى عباده المخلصين .

---

[1] سورة الشورى ، الآية رقم : 13 .

[2] سورة البقرة ، من الآية رقم : 143 .

[3] أبي الحسين مسلم ابن الحجاج : **صحيح مسلم ،** ج 04 ، تحقيق وتصحيح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، دمشق ، سورية ، (د . ت) ، ص : 2074 .

[4] محمد فتح الله كولن : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 24 .

الفصل السادس :

آليات الخطاب الديني ومنطلقاته الفكرية

تمهيد .

المبحث الأول : آليات الخطاب الديني .

المبحث الثاني : المنطلقات الفكرية للخطاب .

المبحث الثالث : الخطاب الديني والإيديولوجية .

خلاصة الفصل .

الفصل السادس :

آليات الخطاب الديني ومنطلقاته الفكرية .

تمهيد :

آليات الخطاب الديني ، هي الوسائط التي يستعملها الخطاب في توصيل أو ترسيخ ما يريده داخل المجتمع ، كما يمكن اعتبارها الخلفيات الفكرية التي يعتمد عليها أو يجعلها منطلقاً له في إرسال الرسائل وتحديد الأهداف . فلا بد من الإشارة أولاً ، إلى أن كثير من الآليات تتداخل فيما بينها ، بل تصل إلى حد التشابك ، إذ يمكن أن نعتبر واحدة نتيجة لأخرى ، ويمكن أن تكون آلية جزء من آلية أخرى ، فمثلاً آلية التوحيد بين الفكر والدين ، تدخل ضمنها آلية اليقين الذهني والحسم الفكري ، كما يمكن أن تكون نتيجة لها ، رغم أنها مستقلة بحد ذاتها ، وهكذا دواليك .

كما تعتبر بنفس الدرجة المنطلقات الفكرية هي المتحكم الأساس في تكوين ، وتركيبة الخطاب الديني ، كون هذه المنطلقات « تمثل في الخطاب الديني الأسس التي لا ينكرها في جدله مع الخصوم ، ويُعد النقاش فيها أو إنكارها خروجاً عن الدين والعقيدة ، ولا يتسم موقفه من الآليات بسمة التشدد تلك »[1].

إن الخطاب الديني في الجزائر له الكثير من الخلفيات إلى جانب هذه الآليات والمنطلقات الفكرية ، فهناك منطلقات أصبحت مع الوقت ذات طابع مقدس ، ولعل أبرزها إلى جانب المقدس الديني ، يوجد المقدس التاريخي والمقدس الإثني ، وهما من بين المنطلقات الأساسية في الخطاب الديني في المجتمع الجزائري ، حيث اتخذت طابعاً إيديولوجياً أدى بالكثير لدراسة الطابع الإيديولوجي والوظيفة الإيديولوجية لأي خطاب .

حاولنا خلال هذا الفصل تقديم الانتقادات والمآخذ التي يأخذها الكثير من المفكرين خاصة في مجال الخطاب الديني ، ومن بين هؤلاء المفكرين نصر حامد أو زيد ، حيث قمنا بدراسة الانتقادات التي وجهها للخطاب الديني ، وحاولنا الاقتداء به في التفريق بين الآليات والمنطلقات ، وأخذنا عنه الآليات الخمس مع شرحها وتحليلها ، فكانت الآليات الخمس في كتابه (نقد الخطاب الديني) ، هي مكونات المبحث الأول .

ونفس النهج اتخذناه في المبحث الثاني ، حيث قدمنا فيه المنطلقات الفكرية للخطاب الديني بنفس الترتيب والعنوان ، مع إضافة المنطلقات المعروفة في المجتمع الجزائري ، التي أخذت ـــ كما ذكرنا ـــ طابع القداسة ، فإلى جانب المقدس الديني يوجد المقدس التاريخي والإثني ، أي كيفية توظيف سلطة التراث والسلف ، تأثير البُعد التاريخي (الديني والوطني) في الخطاب الديني في المجتمع الجزائري ، ومن ثم إسقاط ذلك على مكونات المساجد الجزائرية .

أما المبحث الثالث ، فكان لدراسة الخطاب الديني والإيديولوجية ، حيث قسمناه إلى ثلاث نقاط : الخطاب الديني بين العقيدة والسياسة ، الوظيفة الإيديولوجية للخطاب الديني وأخيراً بينية الخطاب الديني الإيديولوجي . وكلها نقاط سنحاول التطرق إليه في هذا الفصل بنوع من الشرح والتفصيل .

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 77 .

المبحث الأول : آليات الخطاب الديني

إن الاعتقاد بوجود خمس آليات فقط في الخطاب الديني ، اعتقاد غير صحيح ، فيمكن وجود الكثير من الآليات غير تلك التي ذكرها حامد أبو زيد ، كما يمكن أن تكون المنطلقات الفكرية هي مجموعة من الآليات ، وفي هذا يقول كاتب هذا الكتاب :« من الواجب أن لا نزعم أنها تستوعب كل آليات الخطاب الديني ، فلا شك أن مجال الرصد والإضافة ــ بمزيد من العمق والدقة في التحليل ــ سيظل مفتوحاً ، سواء بالنسبة للآليات أو بالنسبة للمنطلقات »[1]، ونحن أخذنا بما أخذ به ــ كما ذكرنا ــ ، وسوف نتطرق إلى هذه الآليات بنوع من التحليل والتفصيل .

أولاً : التوحيد بين الفكر والدين .

يقول نصر حامد أبو زيد :« منذ اللحظات الأولى في التاريخ الإسلامي ــ خلال فترة نزول الوحي وتشكل النصوص ــ كان ثمة إدراك مستقر أن للنصوص الدينية مجالات فعاليتها الخاصة ، وأن ثمة مجالات أخرى تخضع لفاعلية العقل البشري والخبرة الإنسانية ، ولا تتعلق بها فعالية النصوص . وكان المسلمون الأوائل كثيراً ما يسألون إزاء موقف بعينه ما إذا كان تصرف النبي محكوماً بالوحي أم محكوماً بالخبرة والعقل ، وكثيراً ما كانوا يختلفون معه ، ويقترحون تصرفاً آخر إذا كان المجال من مجالات العقل والخبرة »[2]. فلا تحصى في سيرة الصحابة مثل هذه المواقف التي كانت تحاول أن تسترشد بين ما هو منزل موحى إلى النبي ﷺ من عند الله ، وما هو من أمر الدنيا يمكنهم فيه التفكير والتحليل والاقتراح وإعطاء الحلول وفق ما تقتضيه الحالة ، وتحت شعار : أنتم أعلم بشؤون دنياكم .

إن المقصود بالتوحيد بين الفكر والدين في الخطاب الديني ، هو التوحيد بطريقة آلية بين النصوص الأساسية للدين ، وهي ما يقصد به الدين ، وبين فهم وقراءة هذه النصوص ، وهو ما يقصد به الفكر ، حيث يقوم الخطاب الديني بإلغاء الفاصل بين الذات والموضوع ، والادعاء بالوصول إلى القصد الإلهي الذي ضمّنه في كتابه ، فيقول :« ولا يكتفي الخطاب الديني بذلك ، بل يوحد بطريقة آلية بين هذه النصوص وبين قراءته وفهمه لها . وبهذا التوحيد لا يقوم الخطاب الديني بإلغاء المسافة المعرفية (الذات) و(الموضوع) فقط ، بل يتجاوز ذلك إلى ادعاء ــ ضمني ــ بقدرته على تجاوز كل الشروط والعوائق الوجودية والمعرفية والوصول إلى القصد الإلهي الكامن في هذه النصوص . وفي هذا الادعاء الخطير لا يدرك الخطاب الديني المعاصر أنه يدخل منطقة شائكة ، هي منطقة (الحديث باسم الله) »[3].

فهذه القدسية التي يحيطها الخطاب الديني بالشخصيات الإسلامية ، هي محل انتقاد كبير من طرف العديد من المفكرين ، ودائماً ما يقيمون مقارنة بين ما حدث في القرون الوسطى في الكنيسة المسيحية ، وما يحدث مع أعلام الخطاب الديني الإسلامي قديماً وحديثاً ، غير أنه ــ أي الخطاب الديني ــ يعيب هذا المسلك ، بل ويندد به في حديثه عن موقف الكنيسة من العلم والعلماء في القرون الوسطى ، لكنه لا يتوانى في تطبيق ما أمرت به الكنيسة بطريقة أو بأخرى ، إذ يجعل الإسلام الحقيقي ، والواجب الإتباع ، هو الإسلام الذي يفصح عنه العلماء في خطابهم ، ويكتبونه في كتبهم ، ويقدمونه للناس في مواعظهم ودروسهم ومحاضراتهم ، لأنهم وحدهم الراسخون في العلم ، القادرون على فهم

---

[1] نصر حامد أبو زيد: **نقد ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 77 .

[2] نفس المرجع ، ص : 78 .

[3] نفس المرجع ، ص : 78 .

الإسلام الصحيح ، الماسكون بسلطة التأويل والتفسير ، وبالتالي ، يكونون هم السلطة المرجعية التي يعود لها المسلم في كل استفساراته وتساؤلاته حول الدين ، وهو ما يجعل الخطاب الديني ينتهي أو يصل « إلى إيجاد كهنوت يمثل سلطة ومرجعاً أخيراً في شؤون الدين والعقيدة ، بل يصل إلى حد الإصرار على ضرورة التلقي الشفاهي المباشر في هذا المجال من العلماء »[1].

فالتوحيد هذا يؤدي إلى أحادية المعنى ، غير أن العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة لا يمكن الحديث فيها عن أحادية المعنى ، فحسب علي حرب إذا كانت « أحادية المعنى هي خداع على المستوى المعرفي ، فإن مآلها الاستبداد السياسي والاضطهاد الديني والإرهاب العقائدي والفكري كما يشهد على ذلك تاريخ الأديان والإيديولوجيات قديماً وحديثاً وكما يقرأ النصوص أهل العقائد والمذاهب والباحثون عن الأصول ، من النص الديني الإنجيلي إلى القرآني حتى النص الماركسي ... فالكليانية هي الوجه الآخر لأحادية المعنى »[2].

لا ننسى أن هذا التوحيد يُدخِل الخطاب الديني في نوع من السياج الدوغمائي ، حيث لا يمكن الفصل بين الأرثوذكسية والسياج الدوغمائي ، أو العقلية الدوغمائية ، لأنها جوهر الأولى ، فكل أرثوذكسية هي بالأساس دوغمائية ترتبط بالروح المغلقة بغض النظر عن المضامين سواء أكانت إيديولوجية أو دينية أو طبقية أو عرقية أو غيرها ... ترتكز على ثنائية ضدية حادة ، فهي نظام من الإيمان والعقائد ونظام من اللا إيمان واللا عقائد ، حيث يحدد أركون هذا النظام بثلاثة محددات أو خصائص ، وهي :

- « إنه عبارة عن تشكيلة معرفية مغلقة قليلاً أو كثيراً ، ومشكلة من العقائد واللا عقائد (القناعات واللا قناعات) الخاصة بالواقع .
- إنه يتمحور حول لعبة مركزية من القناعات ، (أو الإيمانات اليقينية ذات الخصوصية والأهمية المطلقة) .
- إنه يولد سلسلة من أشكال التسامح واللا تسامح اتجاه الآخر »[3].

يعتقد أركون أن الدوغمائية ما زالت تقف دون تحديد الفكر بشكل جذري في المجال العربي الإسلامي ، لأنها بهذه الخصائص والمسلمات والمبادئ القطعية تشكل حاجزاً يحجب رؤية الأشياء كما وقعت فعلاً ، وهذا الحاجز هو الذي يسميه الدكتور السياج الدوغمائي ويحدده بأنه « مجمل العقائد الدينية والتصورات والمسلمات والموضوعات التي تتيح لنظام من العقائد واللا عقائد أن يشتغل بمنأى عن كل تدخل نقدي سواء من الداخل أو الخارج ، فالمؤمنون المنغلقون داخل السياج الدوغمائي يتبعون إستراتيجية معينة ندعوها إستراتيجية الرفض . وهي تستخدم ترسانة كاملة من الإكراهات والمجريات الاستدلالية والشكلانية التي تتيح المحافظة على الإيمان أو تجيّشه وتعبئته إذا لزم الأمر »[4].

فهذا التوحيد بين الدين (في نصوصه الأصلية) ، والفكر (في اجتهادات أعلام الدين منذ القرون الأولى) ، هو الذي يعتبره علماء الاجتماع عملية الضبط الاجتماعي أو الوقوف ضد الحراك الاجتماعي والتغير الاجتماعي الذي

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 80 .

[2] علي حرب : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 27 .

[3] محمد أركون : **الفكر الإسلامي ، نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 05 .

[4] محمد أركون : **الفكر الأصولي ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 67 .

تتطلبه الحياة الاجتماعية ، فمن غير الممكن الثبات ، ومن غير الممكن صلاح اجتهاد شخص مهما كانت قيمته العلمية والدينية أن تصلح لكل زمان ومكان ، لأنها تنطلق في الأساس من الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه عالم الدين أو الفقيه ، فلا يستطيع أن يتحدث عن أمور لا يعرفها ، بل قد لا يستطيع التفكير فيها أصلاً .

وهذا التوحيد بين النصوص الأصلية للدين ، وبين اجتهادات أعلام الدين منذ الرعيل الأول وإلى يومنا هذا ، يلغي بطريقة غريبة صحية الدين لكل زمان ومكان ، كما يلغي علم المعاصرين بأحوال الناس وردهم لكل مقتضيات الدين والدنيا إلى المرحلة الأولى أو القرون الأولى من الرسالة . هذا الرد ، ليس الاقتداء بهم ، فهم أعلم بالدين وأصوله من القرون المتلاحقة بعدهم ، بل جعلهم أعلم بما يحدث في هذا الكون منذ بدء الخليقة إلى رجوعها إلى يوم يحاسب فيه الناس . فقد تم بهذا التوحيد غلق باب كبير من الأبواب التي تجعل الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وهو باب الاجتهاد في تيسير أمور الدين للعباد على مرّ العصور والأزمنة ، وفي مختلف البقاع والأمكنة .

ثانياً : رد الظواهر إلى مبدأ واحد .

يقول حامد أبو زيد :« إن الحديث عن إسلام واحد ثابت المعنى ، لا يبلغه إلا العلماء ، يمثل جزءاً من بنية آلية أوسع في الخطاب الديني . وليست هذه الآلية من البساطة والبداهة التي تبدو بها في الوجدان والشعور الديني العادي والطبيعي بل نجدها في الخطاب الديني ذات أبعاد خطيرة تهدد المجتمع ، وتكاد تشل فاعلية (العقل) في شؤون الحياة والواقع . ويعتمد الخطاب الديني في توظيفه لهذه الآلية على ذلك الشعور الديني العادي ، فيوظفها على أساس أنها إحدى مسلمات العقيدة التي لا تناقش »[1] . فكل العقائد تؤمن بأن العلة الأولى والسبب الأول للوجود مثل الإسلام هو الله ، لكن الخطاب الديني ، حسب أبو زيد ــ لا العقيدة ــ ، هو من يتكفل بتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية ثم يرجع ذلك إلى علة أولى ، وكأنه يقوم بإحلال الله في كل هذه الظواهر .

فرد الظواهر اجتماعية والإنسانية كلها إلى علّة أولى ، أو مبدأ أول يقود بالضرورة إلى أحد المنطلقات لفكرية للخطاب الديني ، وهو منطلق الحاكمية الإلهية بوصفها مقابلاً ونقيضاً لحاكمية البشر . فالمسلم يؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء ، وهو مالك الملك ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، ووسعت رحمته كل شيء ، وفرض على عباده أن يلتزموا بما شرع لهم من شرائع ، وما أحل لهم من حلال وحرم عليهم من حرام . والخطاب الديني حسب أبو زيد يستغل هذا الإيمان لفرض أو مد سيطرة مبدأ الحاكمية الذي يرد كل شيء إلى الله ويلغي فاعلية الإنسان .

يقول أبو زيد :« ولا يكتفي الخطاب الديني بتوظيف هذه الآلية لتكريس هذا المبدأ فحسب ، بل يوظفها أيضاً في هجومه على كثير من اجتهادات العقل الإنساني في محاولته لتفسير الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وفهمها . ويتم ذلك باختزال كل اجتهاد من هذه الاجتهادات ورده إلى فكرة واحدة تبدو ساذجة ومتهالكة في تعبير الخطاب الديني عنها »[2] . فيذكر أمثلة كثيرة يبيّن فيها كيفية تعامل الخطاب الديني معها ، مثل تعامله مع مفهوم العلمانية ، حيث يضعه من المفاهيم التي تعني مناهضة الدين ، وفصل الدين عن الدولة ، وهو تعبير غربي بغيض لا خير للأمة في إتباعه ،

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 81 .

[2] نفس المرجع ، ص : 82 .

لكنه في المقابل يستنكر لموقف رجال الكنسية والكيفية التي هاجمت بها العلم والعلماء باسم الدين والعقيدة ، لكن موقفه في إطار هذه الآلية لا يختلف عن موقف رجال الكنسية . بالمقابل يواجه محمد أركون هذا التصرف ـــ كما ذكرنا في أكثر من موقع ـــ ، بأن الخطاب الديني يستعمل نفس تلك الأرثوذوكسية التي استعملتها الكنسية في مواجهة العلم والعلماء ، كما يستعمل نفس الأسلوب في مواجهة التفسيرات العقلية التي يقوم بها العلماء في البحوث الطبيعية والاجتماعية ، ويواجه النتائج العلمية المختلفة برد الظواهر كلها إلى علتها الأولى ، خالق كل شيء . ولا يتوانى في جعل المخالف لموقفه دون تردد في زمرة المغضوب عليهم والضالين ، الذين أرادوا تبديل خلق الله تعالى وإخراج عباده الصالحين عن عقيدتهم الصحيحة التي رسمها أهل السنة والجماعة .

ثالثاً : الاعتماد على سلطة التراث والسلف .

فهذه الآلية لها علاقة مع الآلية الأولى : التوحيد بين الفكر والدين ، وذلك عن طريق تحويل أقوال السلف واجتهاداتهم إلى نصوص لا تقبل النقاش ، بل الخطاب الديني يوحد بين هذه الاجتهادات والدين في ذاته . كما أن الآلية الثانية : رد الظواهر إلى علة أولى موجودة بذاتها في ذلك الجانب من التراث الذي يستند عليه الخطاب الديني ، لكنه من الواضح ، يقول حامد أبو زيد :« أن الخطاب الديني يتعمد تجاهل جانب آخر من التراث ، يناهض توظيف هذه الآلية ، ويردها على أصحابها ، وهذا في حقيقته يمثل موقفاً نفعياً إيديولوجياً من التراث ، موقف يستبعد منه العقلي والمستنير ليكرس المتخلف »[1].

إن نظرة الخطاب الديني للتراث حسب أركون مبنية على اعتبار أن « كل العقائد أو المضامين المسجلة كتابة والمحفوظة غالباً عن ظهر قلب بمثابة الصحيحة التي لا يعتريها الشك ، ثم اعتبار السلوك الذي يجسدها يومياً في حياة المؤمنين بمثابة السلوك العادل والصحيح أيضاً »[2]، فلا يمكن أن يخالج الشك الخطاب الديني وأعلامه أن يكون قد فقد شيء أثناء عملية الانتقال من المرحلة الشفهية إلى مرحلة التسجيل الكتابي لمختلف النصوص ، فكلها صحيحة ، وكلها مقدسة ولا يعتريها الشك . كما أن ما تم تأويله من طرف الأولين من فقهاء وعلماء ومفسرين ، أصبح مع مرور الزمن يحمل نوعاً من القداسة لا يمكن أشكلته أو وضعه تحت مجهر البحث العلمي والسوسيولوجي ، وهو أساس آلية الاعتماد على سلطة التراث والسلف .

ويعود هذا الانغلاق على التراث والسلف دائماً حسب محمد أركون ، كون المسلمين نبذوا « بعنف صنوف النقد التي صاغها في هذا الاتجاه العلم الاستشراقي الفيلولوجي ... إن الحديث شأنه شأن القرآن الكريم ، والشريعة ، والشعر الجاهلي ، نقطة حساسة في الوعي الإسلامي الذي يرى ، أن النقد الذي سبق البخاري ومسلم والكليني والطوسي كافٍ ونهائي . والمدونات التي كوّنت على أساس هذا النقد ، رسمية ومغلقة مثل المدونة القرآنية »[3].

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 85 .

[2] محمد أركون : **الفكر الأصولي ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 133 .

[3] محمد أركون : **نافذة ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 75 .

إن خلاصة هذه الآلية ، يظهر تاريخياً من خلال غلق باب الاجتهاد الذي أقدم عليه الأمويون في مرحلة حساسة من تاريخ الخطاب الديني ، وجعل ما وصل إليه الفقهاء والعلماء كافياً شافياً استوفى كل متطلبات الحياة ، وأن السلف من العلماء والمفسرين قد قدموا للبشرية ، والعالم الإسلامي خاصة ما يحتاجه من تفسير لأمور الدين مهما اختلفت الأزمنة ، وهو ما يدعو إلى غلق باب الاجتهاد نهائيا ، وعلى الباحث عن يقرب المسألة المنظورة من الكثير من أخواتها من القضايا والمسائل ، فحسب هذه الآلية ورغم التطورات التي عرفها المجتمع الإسلامي ، خاصة بعد الفتوحات الكبيرة والكثيرة .

ففي التراث توجد جميع القضايا والمسائل الحقيقية ، وجميع القيَّم ، وجميع قواعد السلوك التي أوحى بها الله تعالى وعلَّمها لنبيه ﷺ ، « فلا يمكن أن يضاف إليها شيء من الخارج . كل ممارسة عملية ، وكل فكر لا تؤيده السنة يجب أن ينبذ باسم (بدعة) . ولا ريب أن تاريخ الشعوب التي اعتنقت الإسلام وتنوعها ، فرضت كثيراً من الأوضاع التي لم ينص عليها القرآن الكريم ولا الحديث . ولكي تدمج في السنة ، كان لا بد من إقرارها ، أي من إضفاء القداسة عليها ، إما بحديث من الرسول ﷺ ، أو بتقنية المحاكمة ، أي القياس القانوني . وهو الاستدلال على صفة شرعية انطلاقاً من أصل شبيه عَرَضَ في الزمن الأول زمن الانفتاح أي زمن السلف الصالح »[1].

رابعاً : اليقين الذهني والحسم الفكري

يقول صاحب نقد الخطاب الديني ، يوجد تلاحم كبير بين هذه الآلية وآلية التوحيد بين الفكر والدين ، هذا التلاحم العضوي بين الآليتين في الخطاب الديني ، « هو الذي يقود أصحابه إلى المسارعة في تجهيل الخصوم أحياناً ، وتكفيرهم أحياناً أخرى . إن هذا الخطاب لا يتحمل أي خلاف جذري ، وإن اتسع صدره لبعض الخلافات الجزئية ، وكيف يتحمل الخلاف الجذري وهو يزعم امتلاكه للحقيقة الشاملة المطلقة ؟ . إن ظاهرة الجماعات الإسلامية مثلا لا يصح أن يسمح لمناقشتها أو بالكتابة عنها إلا للعلماء (أهل العلم بالإسلام) »[2]. فهو يستند إلى ما يعلنه الخطاب الديني فيما يخص الحديث عن الحركات الإسلامية أو الإسلام من حيث الجوهر ، أو الجذور ، فإذا تم التطرق إلى الأمور الجوهرية « احتمى الخطاب الديني بدعوى الحقيقة المطلقة الشاملة التي يمثلها . ولجأ إلى لغة الحسم واليقين والقطع . وهنا يذوب الغشاء الوهمي الذي يتصور البعض أنه يفصل بين الاعتدال والتطرف »[3].

بالإضافة إلى ذلك ، فإن أعلام الخطاب الديني ، أو الخطاب الديني في حد ذاته ، ينسى أو يتناسى مثل هذه الأسئلة وينتقل من الافتراض ، إلى وصف الواقع ، إلى اقتراح حلول بكل ثقة وحسم قاطع ويقين بإضافة شعار (الإسلام هو الحل) على مختلف المشاكل المطروحة ، وكأنه يطرح أولويات أو بديهيات ، الخلاف حولها كفر أو جهل في أحسن الأحوال . وإذا كان ذلك التحليل المبسط للواقع يعكس رؤية عاجزة عن فهمه وإدراكه ، فإنه يؤدي إلى التستر على حقيقة أوضاعه ومشكلاته ، وذلك بإرجاعها إلى عامل واحد ، وهو تحليل بعض النصوص الدينية المؤولة تأويلاً خاصاً .

---

[1] محمد أركون : **نافذة ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 80 .

[2] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 89 .

[3] نفس المرجع ، ص : 90 .

فأعلام الخطاب الديني ، لما يريدون تعريف الدين ، يربطون دائماً بين الواقع المعاصر والتراث ، باستعمال الآلية الأولى ، كقول سيد قطب :« هذه هي طبيعة هذا الدين ــ كما تستخلص من منهج القرآن المكي ــ ولا بد أن نعرفه على طبيعته هذه ، وألا نحاول تغيرها تلبية لرغبات معجلة مهزومة أمام أشكال النظريات البشرية ! فهو بهذه الطبيعة صنع الأمة المسلمة أول مرة ، وبها يصنع الأمة المسلمة في كل مرة يراد فيها أن يعاد إخراج الأمة المسلمة للوجود كما أخرجها الله أول مرة »[1]. وهو ما يؤكد وجود انفصام ما بين الواقع والدين لا يستطيع الخطاب الديني ولا أعلامه تحديد وقته أو أسبابه وعلله بنفس اليقين والحسم القاطع .

وهكذا فالمسلم المعاصر مطالب « أن يحيا بجسده في الحاضر معتمداً في تحقيق مطالبه المادية على أوروبا ، وأن يحيا بروحه وعقله وعاطفته في الماضي مستنداً على تراثه الديني . ويتم تكريس هذا الواقع المتردي لواقع المجتمعات الإسلامية باسم الإسلام ذاته ، وذلك أن الخطاب الديني لا يطرح أفكاره بوصفها اجتهادات ، وإنما يجزم أن أطروحاته هي الإسلام »[2] بحد ذاته . ثم يطالب هذا الخطاب بالتسامح مع غير المسلم في الأمور الطبيعية أو في المواد والإنتاج الدنيوي مثل : الطب والصناعة والزراعة والإدارة وغيرها ... ولا يتسامح في أن يتلقى أصول عقيدته أو نظام حكمه ومذهب مجتمعه ومنهج سياسته من مصادر غير إسلامية ، فإذا كان « كل ما هو مادي لا جنس له ولا وطن ، فإن كل ما سوى ذلك يدخل مباشرة في مجال العقائد والتصورات التي يجب أن تؤخذ عن الله »[3].

خامساً : إهدار البُعد التاريخي

حسب الدكتور يوجد تطابق كبير بين هذه الآلية وآلية التوحيد بين الفكر والدين ، فيبدو وضوح إهدار البُعد التاريخي في تصور الخطاب الديني للتطابق بين مشاكل العصر أو الحاضر وهمومه مع مشاكل وهموم الماضي ، وإمكانية صلاحية حلول الماضي للتطبيق على الحاضر بالاعتماد على سلطة السلف والتراث ، والاعتماد على نصوصهم بوصفها نصوصاً أولية تتمتع بذات قداسة النصوص الأولية (الكتاب والسنة) . وهو يؤدي بالطبع إلى بعد الإنسان عن واقعه أو اغترابه والتستر عن مشاكل الواقع الاجتماعي الفعلية في الخطاب الديني .

فرد المشاكل الإنسانية المختلفة التي يعيشها العالم ، « وردّ كل أزمة من أزمات الواقع في المجتمعات الإسلامية ــ بل وكل الأزمات البشرية ــ إلى (البُعد عن منهج الله) هو في الحقيقة عجز عن التعامل مع الحقائق التاريخية ، وإلقاؤها في دائرة المطلق والغيبي . والنتيجة الحتمية لمثل هذا المنهج تأييد الواقع وتعميق اغتراب الإنسان فيه . والوقوف جنياً إلى جنب مع التخلف ضد كل قوى التقدم تناقضاً مع ظاهر الخطاب الذي يبدو ساعياً للإصلاح والتغيير ، منادياً بالتقدم والتطوير »[4]. وفي الجزائر يأخذ هذا البُعد وجهات نظر مختلفة سنتطرق لها في إشكالية المقدس التاريخي ، وكيفية استعماله من طرف الخطاب الديني ، سواء داخل المساجد ، أو في مختلف أنواع الخطابات الموجه للعامة .

---

[1] سيد قطب : **معالم في الطريق ،** ط 06 ، المكتبات المدرسية ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1979 ، ص : 30 .

[2] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 92 .

[3] نفس المرجع ، ص : 93 .

[4] نفس المرجع ، ص : 95 .

من بين المفاهيم التي تهدر البُعد التاريخي ، والتي يستعملها أحد أعلام الخطاب الديني وهو سيد قطب ، وتأخذ عنده أبعاداً كثيرة ، والذي انتقده حامد أبو زيد كثيراً ، في استعماله لمفهوم (الجاهلية) . فالعلاقات الاجتماعية القائمة على الظلم أو الجهل كانت من أهم أسباب التخلف العام في ذلك الواقع ، فجاء الإسلام لتطوير هذا الواقع بمبدأ الاحتكام إلى العقل ونفي الظلم والجهل . فتنديد النصوص الأولية بحكم الجاهلية ، هو تنديد بالظلم والجهل ، عكس الاستعمال الذي حاول قطب استعماله ، فالنصوص تخاطب في الأصل واقعاً تاريخياً محدداً ، تحدد من خلاله وعبر لغته بكل اجتماعيتها ودلالتها ، لكن هذه الدلالة قابلة دائماً للانفتاح والاتساع مع الدلالة الأصلية . وهكذا نجد بين المعنى التاريخي لمصطلح (الجاهلية) وبين معنى الجهل في استخدامنا المعاصر وشائج ، فعدم العلم وانتفاء المعرفة ركيزة أساسية للخضوع لسطوة الانفعال والاستسلام لقوة العاطفة ، أو لنقل التعصب .

فإذا كانت تعني الحاكمية الاحتكام إلى النصوص الدينية ، فإنها لا تستطيع الاستغناء عن البشر في فهمها وتأويلها ، غير أن الخطاب الديني لا يتوانى في جعل سلطة هذا التأويل في يد رجال الدين ، أي أن الحاكمية الإلهية في الحقيقة تنتهي إلى حاكمية رجال الدين ، الذين لهم تحيزاتهم وأهوائهم الإيديولوجية ، فمملكة « الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم ــ هم رجال الدين ــ كما كان الأمر في سلطة الكنسية ، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ، كما كان الحال فيما يعرف باسم (الثيوقراطية) أو الحكم الإلهي المقدس !! . ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة ، وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة »[1].

وهذه هي تناقضات ما يسميه محمد أركون بالأرثوذكسية التي يعتبرها « بمثابة نواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما أو لإيديولوجيا ما ولاتجاه سياسي ما ، والتي ترفض كل ما يقع خارجها ، وتعتبره انحراف عن الصواب ، أو ضلال وزيغ »[2]. فلا يقف إهدار البعد التاريخي في الخطاب الديني عند هذا المثال ، لكنه يتعداه إلى واقع المسلمين والمجتمع الإسلامي عامة ، حيث يتعمد الخطاب الديني المطابقة بين الماضي والحاضر ، ويتجاهل العلاقة بين المسلمين وواقعهم ، وكأن الإسلام يخلع عن المسلم كل ما يربطه بواقعه ، فالإنسان حين يدخل الإسلام على حد تعبير سيد قطب يأتي منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية ، فتتكون لديه عزلة شعورية كاملة بين الماضي والحاضر ، وتنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بأفراد المجتمع من حوله وروابطه الاجتماعية .

إن هذا الانفصال والعزلة ، وحتى الاستعلاء على الواقع الذي يعيش فيه المسلم يؤدي إلى تشكل سلوك يعيش فيه خارج التاريخ ، كما يستحيل عليه وفق هذا الخطاب التصالح مع الواقع قبل تغييره ، ويفقد بذلك الإسلام واقعيته كما يطرحها الخطاب الديني بحد ذاته ، « ناهيك عن العلاقة الجدلية التي يكشف عنها التاريخ بين الإسلام والواقع منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي . وينتهي الخطاب الديني بعزل الإسلام عن الواقع والتاريخ معاً »[3].

---

[1] سيد قطب : **معالم ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 60 .

[2] مصطفى كيحل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 107 .

[3] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 99 .

المبحث الثاني : المنطلقات الفكرية للخطاب الديني

دعوة الإسلام في جوهرها « دعوة لتأسيس العقل في مجال الفكر ، والعدل في مجال السلوك الاجتماعي ، وذلك بوصفهما نقيضين للجهل والظلم ، وهما ركيزتا الواقع في المجتمع العربي الذي خاطبه الوحي أولاً ... وقد ظل الخطاب الديني في تاريخ الثقافة الإسلامية . بتياراته واتجاهاته المختلفة . حريصاً على نفي أي تعارض يمكن أن ينشأ ــ بحكم حركة الواقع المستمر وثبات النصوص ــ بين الوحي والعقل . واتفق الجميع تقريباً على أن النقل إنما يثبت بالعقل ، والعكس ليس صحيحاً ، العقل هو الأساس في تقبل الوحي ، ثم كان الخلاف فيما بعد ذلك : هل يستقيل العقل بعد أن قام بدوره في إثبات النقل ، أو يظل يمارس فاعليته في فهم النصوص وتأويلها ، لكن هذا الخلاف ظل خلافاً نظرياً واستمر الخطاب الديني يحرص على إثبات موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول »[1].

أولاً : منطلق الحاكمية

مفهوم الحاكمية برز أولاً على مستوى الفكر العربي والإسلامي ، حيث طرحه المفكرون ، ثم تلقته بعض الحركات الإسلامية واتخذته محوراً وهدفاً لمواجهة واقع الأنظمة السياسية التي حكمت البلدان الإسلامية بعد التخلص من نير الاستعمار وسقوط الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك ، وبين الواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمعات الإسلامية ، واختلف الفكر الإسلامي في تحديد مفهوم الحاكمية ، حيث يرى البعض أنه مفهوم إسلامي يعبر عنه جوهر النظرية السياسية الإسلامية يجد جذوره في الأصول المنزلة والتراث الإسلامي ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا المفهوم تم طرحه من طرف الخوارج اعتراضاً على واقعة التحكيم بين علي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم أعاد طرحه كل من المودودي وسيد قطب في وضعية وظروف سياسية معينة ومختلفة .

لقد شكلت الحاكمية حقل اهتمام الكثير من الأعمال والبحوث والدراسات ، مرتبطة باختصاصات علمية مختلفة وجذور فكرية ونظرية متنوعة ، حيث اكتسبت مع مرور الوقت دلالات متعددة قابلة لاستعمالات متنوعة ، إذ تحيلنا في كل استخداماتها إلى تأويلات مرتبطة بقناعات إيديولوجية مختلفة ، بل ومتعارضة مع بعضها البعض . والحاكمية لها تعريفات متعددة تتفق في مفهومها وتختلف في ظاهرها ، حيث تعتبر الحكم على الأفعال والأشياء من حيث الثواب والعقاب ، وكذلك حكم الشرع دون العقل ، أو طاعة الله وحده والالتزام بأوامره .

فالحاكمية تعني في الخطاب الديني إفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان ، وإفراده بها اعتقاداً في الضمير وعبادة في الشعائر وشريعة في واقع الحياة ، وهو ما نجده في الكثير من الآيات التي توجب الحكم بما أنزل الله ، منها قوله : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[2]، إذ تبين الآية الكريمة أن الحكم من اختصاص الله تعالى ، لا حُكم لسواه من الخلق ، وليس لأحد من البشر أن ينازعه في الحكم . وقوله : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾[3]. فإيمان المسلمين يتحقق بمدى تحكيم النبي ﷺ في المسائل والأمور التي فيها اختلاف ،

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 101 .

[2] سورة يوسف ، من الآية رقم : 40 .

[3] سورة النساء ، الآية رقم : 65 .

ثم التسليم لهذا الحكم . وهذا دليل على مشروعية الحاكمية لله . وهو تعريف له تأثيراته الاجتماعية والسياسية التي عاشها وعايشها سيد قطب في مرحلة من مراحل حياته ، إذ يرى كثير من متتبعيه أنها جاءت تحت وطأة الحياة القاسية والوضعية المزرية التي عرفها بتواجده في سجون النظام الحاكم ، فمعظم كتاباته كانت خلال هذه المرحلة .

وتعتمد الحاكمية عند قُطب على أن تكون حاكمية الله في كل شيء ، أي تحكيم الشريعة الإسلامية في كل مفاصل الحياة ، هذا أولاً ، أما ثانياً : فالحاكمية تعني رفض مظاهر الفساد والظلم في المجتمع المسلط من طرف النظام الحاكم بكل مؤسساته ، وأخيراً : الحاكمية تعني رفض الندية التشريعية بين ما هو وضعي من صنع البشر وأهوائهم ، وبين التشريع الرباني الذي وضعه الله تعالى لعباده . وهو ما يظهر تأثر بالواقع المعاش في تحليله لمفهوم ومنطلق الحاكمية ، حيث تم انتقاده كثيراً ، لأنه عبر عن تصورات كلية دون إسقاطاتها وتفرعاتها الجزئية ، فأظهرت للكثير أن أراء هذا الأخير ــ سيد قطب ــ جاءت انتقاماً من النظام الحاكم في تلك المرحلة في مصر .

إن الخطاب الديني لما يعتمد على منطلق الحاكمية ، لا بد أن يضع أمامه أنه يمثل رسالة سماوية خاتمة تضمنت عمليات تخفيف كثيرة مقارنة بالديانات السابقة ، أدت إلى انتقال الحاكمية من حاكمية إلهية إلى حاكمية للكتاب بقراءة أو رؤية بشرية ، إذ من منطلق هذه الرؤية البشرية يمكنها أن تخطئ ، كما يمكنها أن تصيب ، لأنها مبنية على اجتهادات بشرية ، لذلك جاء عن النبي ﷺ بأن من يجتهد ويصيب له أجران ، ومن يجتهد ويخطئ فله أجر واحد . وهذا الطرح يناقض ما ذهب إليه سيد قطب ، وما يذهب إليه الكثير من أعلام الخطاب الديني المعاصر مثل : أبو الأعلى المودودي الذي اشتهر بكتاباته في هذا الموضوع .

لقد أسيء فهم مفهوم الحاكمية ، وحملت أكثر مما يراد لها ، وهذا ما ذهب إليه الكثير من الباحثين والدارسين وحتى المفكرين والفقهاء . فما ركز عليه المودودي وسيد قطب هي الحاكمية التشريعية ، التي تعني أن الله وحده من يشرع لعباده ، فيحرم ما يحرم عليهم ويحلُّ ما يحلُّ لهم ، وهي أمور معلومة عند كافة المسلمين ، بيّنها وكتب فيها وشرحها علماء الأصول واتفق عليها كما يقال أهل السُنَّة والجماعة . فالخلفية الاجتماعية والسياسية التي أدت بتبني سيد قطب لتحديد مفهوم الحاكمية ، وهو ما يؤكده حامد أبو زيد حين يقول :« يميل الكثير من الدارسين إلى القول بأن التركيز على مفهوم الحاكمية في كتابات قُطب بكل ما ترتب عليه من تكفير للمجتمع ، ومحاكمة كل الأنظمة والأنساق الاجتماعية والسياسية والفكرية في تاريخ البشرية ، يمكن تفسيره بالاضطهاد والتعذيب الذي عانى منه الإخوان ، ومعهم سيد قطب ، في السجون والمعتقلات »[1] . فهو ــ حامد أبو زيد ــ يعتبر أن هذا الرأي يقدم تبريراً وليس تفسيراً لتحديد المفهوم الذي يحايث الخطاب الديني الذي ساد في التاريخ الثقافي الإسلامي ، بل إنه كامن في بنيته ، يتجلى حيناً من الزمن ثم يختفي عند الضرورة .

إن الخطاب الديني يرى أن الحاكمية لا تنفي أن يكون للبشر دور في التشريع قد أذِن الله به ، إنما تمنع أن يكون له الاستقلال والحرية في التشريع من دون الله ، كالتشريع في العبادات ، وفي ما حرم الله على عباده ، أو يسقط ما فرض الله عليهم ، إنما يكون التشريع البشري أو الحاكمية البشرية فيما لا نص فيه أو في المصالح المرسلة ، لأن غالبية نصوص الدين الإسلامي نصوص كلية إجمالية تتضمن المبادئ العامة ولا تخوض في التفاصيل التي تتغير مع تغير الزمان والمكان

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 107 .

والأحوال . فقد تُركت مساحة كبيرة ــ يسميها البعض الفراغ التشريعي ــ ليتاح للبشر أو الأفراد في المجتمع بأن يشرعوا لأنفسهم في إطار هذا الفراغ ما يناسب تطور أمور حياتهم .

إن طرح الخطاب الديني لمفهوم الحاكمية يتجاوز كونه يقدم طرحاً إيديولوجياً مصبوغ بنوع من القداسة ، بل إنه يقدم نظرة شمولية للكيفية التي يغطي بها أي نظام سياسي قائم ، فهو يسعى ــ أي الخطاب الديني ــ إلى تغيير هذا النظام إلى نظام إلهي يجد فيه الإنسان والمجتمع سعادته في الحياة الدنيا والآخرة . فيرى أن الأنظمة التي تقوم على حاكمية البشر سياسية أو اجتماعية ، تقوم على استعباد الإنسان للإنسان باحتكار حق التشريع وتنظيم الحياة ، وهو الحق الذي لا يمكن أن يكون لغير الله تعالى ، لأنه الخالق والرازق والمهيمن والعالم والقادر الذي يتطلب من الإنسان أن يخضع له بالعبودية والطاعة والامتثال . ولأن ما سواه من البشر الذين ينازعون الله في الحاكمية والسلطان طواغيت يتطلب تحرير الإنسان منهم ومن سطوتهم وسلطانهم .

إن الخطأ الكبير الذي يقع فيه الخطاب الديني في منطلق الحاكمية ، هو القيام دائماً بمقارنة ولو مستترة بين الإنسان وربه ، فعقد هذا النوع من المقارنة يكون دائماً من منطلق العديد من الثنائيات ، مثل : العلم والجهل ، القدرة والعجز ، الحكمة والأهواء ، وهذه المقارنة تؤدي بالإنسان دائماً إلى إحساسه بالفشل وضياع ثقته في قدراته وإمكانياته ، لأنها مقارنة غير متوافقة أو غير عادلة ، لأنها تقارن الإنسان بالعلم الشامل والقدرة المطلقة والحكمة الكاملة للخالق . فنتيجة هذه المقارنة تؤدي إلى التواكلية والسلبية ، ويستعملها الخطاب الديني لتبرير العجز والقهر والاستغلال بتناسي الأبعاد الاجتماعية للوجود الإنساني والتركيز على البُعد الأخروي الميتافيزيقي ، حيث يتم ذلك عبر علاقات متشابكة للواقع الاجتماعي تختزل تماماً الوعي الإنساني من كل إيجابياته .

ثانياً : منطلق النص

لقد انفرد النبي ﷺ من بين الأنبياء والرسل بأن آيته أو معجزته التي تقدم بها كدليل على نبوته هي القرآن ، أو بمعنى آخر الكلمة ، النص القرآني ، حيث يعتبر هو المؤول والمفسر لكلام الله ، وعند المسلمين كلمات القرآن هي كلام الله ، والنص القرآني له منزلة خاصة في الإسلام ، حيث « أصبح أكثر النصوص في التاريخ إلهاماً وتأويلاً ، وموقعاً لصراع الفرق والمذاهب بعد وفاة النبي ، ثم اتسعت مساحة التأويلات والخلافات باتساع الفتوحات ، وظفه بنو أمية ووظفه العباسيون ثم وظفه الفقهاء والمعارضون ، ولعل استيعاب المسلمين للفلسفة اليونانية ثم تمثلها وتوظيفها لخدمة النص الديني والقرآني بشكل أخص ، كان أكبر المعارك الكلامية في تاريخ الفكر الإسلامي »[1] .

والخطاب الديني بالطبع ، يوظف النص الديني كما يقوم بتوظيف النص اللا ديني لصالح النص الديني ، ويدافع عن النص الديني لأنه يدافع عن كلام الله تعالى . فالنص في الخطاب الديني ليس مجرد كلمات فقط ، وإنما يعلو ويتعالى ، كما تعلو كلماته وتحمل نوعاً من القداسة . لأنها تحمل نوعاً من العموميات لم تستطع معها الصراعات التي جرت أن تتجاوزها ، بل عاشت تحت سلطتها ، وبين ثنايا النص وخاضعة لسطوته . وفي مختلف الصراعات ، الكل يدّعي الانطلاق من روح النص . وروح النص تلك هي التي أخصبت الحوار والجدل وغذته ، حتى غدا المنبع الذي يغرف منه

[1] عبد الهادي عبد الرحمن : **سلطة النص قراءات في توظيف النص الديني**، ط 01، دار سينا للنشر، بيروت، لبنان، 1998، ص . ص : 71 – 72 .

الجميع في الدفاع عن مختلف المواقف . فكان اختلافهم اختلافاً إيديولوجياً ، ومعطيات خطابهم الديني تطبعها الأمور السياسية والدنيوية ، ولكن لها نفس الخلفية والأرضية الدينية ، وتعتمد في بنائها على النص الديني ، وخاصة القرآني منه .

ما يسجل على النص القرآني أنه يوجد به اتساع كبير ، ومرونة في بنية الموضوعات ، لأنها مفتوحة على المتغيرات التي كان يعيشها مجتمع النبي ﷺ ، فالنص القرآني لم يكتب مرة واحدة مثل الكتب المقدسة التي سبقته ، بل نزل في أكثر من العشرين سنة ، فجاء على لسان النبي ﷺ استجابة لمقتضيات الواقع لمعاش ، فكانت آيات القرآن الكريم طريقاً ونصاً دينياً في نفس الوقت . فالنص الديني كان دائماً « أداة جذب ، ومقياساً للحكم وأداة للتشبث أو أداة للانطلاق . كان النص ملهماً للبعض ، ومجمداً للبعض الآخر وفي كل المجالات ، وكان أيضاً محوراً لمجابهات عنيفة شهدتها القرون الثلاثة الأولى بعد وفاة الرسول ﷺ »[1].

وفي نقده لمنطلقات الخطاب الديني ، يقدم حامد أبو زيد العديد من الانتقادات لمنطلق النص ، أو إشكالية النص كما يسميها ، حيث يقول :« ومن أهم الجوانب التي يتم تجاهلها في إشكالية النص الديني ـــ ولعلها من أخطرها على الإطلاق ـــ البُعد التاريخي لهذه النصوص . وليس المقصود بالبُعد التاريخي هنا علم أسباب النزول ـــ ارتباط النصوص بالواقع والحاجات المثارة في المجتمع والواقع ـــ أو علم الناسخ والمنسوخ ـــ تغيير الأحكام لتغير الظروف والملابسات ـــ أو غيرها من علوم القرآن التي لا يستطيع الخطاب الديني تجاهلها ... فإن البُعد التاريخي الذي نتعرض له هنا يتعلق بتاريخية المفاهيم التي تطرحها النصوص من خلال منطوقها ، وذلك نتيجة طبيعية لتاريخية اللغة التي صيغت بها النصوص »[2].

هناك فرق كبير بين النص في التراث واستعمالاته المعاصرة ، ففي التراث لم تكن تعني كلمة النص كتاب الله ولا سنة نبيه ، فيوجد في التراث تعابير أخرى . لما يتم التطرق إلى النص الديني (كتاب أو سنة) ، فإن أغلب التعابير تكون على شكل : التنزيل ، الوحي ، كتاب الله المقروء ، القرآن الكريم لما يقصد التعبير عن النص القرآني ، ومثل : الآثار ، الحديث ، السنة لما يقصد التعبير عن النص النبوي ، وكانوا يشيرون إليهما خاصة بالوحي أو النقل ، لكن الخطاب الديني المعاصر عندما يرفع في وجه العقل والاجتهاد مبدأ : (لا اجتهاد فيما لا نص فيه) ، فهو « يقوم بعملية خداع إيديولوجي ماكرة ، لأنه لا يعني بالنص ما يعنيه التراث ، وهو الواضح الجلي النادر ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تحديد ما هو النص والتفرقة بينه وبين ما ليس كذلك أمر خاضع للخلاف والاجتهاد في تاريخ الثقافة الإسلامية ، أدركنا حجم الخدعة ومداها »[3].

فالخطاب الديني ، رغم أنه يصرح بمجال الاجتهاد في النصوص الدينية التشريعية ويحرم الاجتهاد في مجال الاعتقاد والقَصَص ، إلا أنه يعاود ويمنع الاجتهاد في هذه النصوص تحت قاعدة (لا اجتهاد فيما فيه نص) ، كما يركز الخطاب الديني على حاكمية النصوص في مجالات الواقع والفكر بشكل كلي ، ويقتصر عملية الاجتهاد على الفروع ، إذ لا يخرج عن مجال الترجيح بيت آراء الفقهاء واجتهاداتهم واختيار بعضها عن البعض الآخر ، وهذا ما يجعل المنتقدين له

---

[1] عبد الهادي عبد الرحمن : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 76 .

[2] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 118 .

[3] نفس المرجع ، ص : 125 .

يرون أنه يريد الرجوع بالمجتمع إلى الخلف لا أن يحقق التقدم كما يزعم ، والماضي الذي يريد الرجوع إليه ليس الماضي المزدهر الذي عرفته القرون الثلاثة الأولى من الحضارة الإسلامية ، حيث كان التعدد والحيوية الفكرية والإبداع الخلاق في كل المجالات ، بل يريد الرجوع إلى الماضي الذي تم فيه الرضا بالتقليد بديلاً عن الاجتهاد ، والاكتفاء بالتكرار بديلاً عن الإبداع ، وبهذا ينتهي الخطاب الديني « إلى الانغلاق في دائرة النصوص بعد أن جمّدها وقضى على حيويتها ... وذلك حين يقضي على أهم وأخطر ما أقره الفقهاء من مبادئ عقلية : المصالح المرسلة والمقاصد الكلية ، فيعيدها إلى النصوص مرة أخرى ، وبالمفهوم الذي يطرحه لها ، مع أنها مبادئ لتأويل النصوص »[1].

لا بد من التأكيد على أن النصوص الدينية هي مصدر للمعرفة والتوجيه الإسلامي ، والنص الرئيس هو الوحي أو كلمة الله تعالى إلى نبيه في رسالة خاتمة كاملة شاملة ، « هداية للناس وإرشاداً إلى معنى وجودهم وغاية هذا الوجود ، وتبياناً للمقاصد والمبادئ والقيم والأحكام التي ينبغي لهم أن يلتزموها لتحقيق غاية وجودهم وبلوغ مقاصد أعمالهم وعلاقاتهم . وجوهر ما يقدمه الوحي للناس هو توضيح طبيعة علاقة الإنسان بالله ، وغاية وجود الإنسان في الكون ، ودليل حركة الإنسان في الحياة ومصير هذا الإنسان فيما وراء الحياة »[2]. ومن هنا جاء تكريم الإنسان الذي تم بالإرادة والقدرة على التصرف والتسخير للكون والحياة بميزان العقل كوسيلة للإدراك والتدبر والتدبير ، وتصريف الحياة والمقدرات وفق ما تعلمه من النواميس وأسبابها ومسبباتها .

فكثير من الباحثين والدارسين ، وحتى بعض أعلام الخطاب الديني المعاصر ، يرون أن الخطاب الديني القويم ، هو ذلك الخطاب الذي « يتكامل فيه الوحي والعقل والكون ويصرف فيها العقل المسلم إلى النظر والتدبر والعمل في عالم الشهادة وشؤونه كما يوجهه الوحي ، هي الرؤية التي مكنت للسلف الأول ناصية الإبداع ، وفتحت أمام العقل المسلم أبواب التجريب والنظر والتنقيب في سنن الحياة والكائنات ، وفتحت للإنسانية آفاقاً جديدة في مجال الحضارة ، كانت هي الأساس الذي أقامت الحضارة الحديثة عليه منهجها العلمي التجريبي وإنجازاتها المادية التجريبية التي لم تعرف الإنسانية من قبل سبيلاً ولا مثيلاً »[3].

فالخطاب الديني القويم ينظم العقل والمنهج ، كما ينظم النصوص وكلمات الوحي والرسالة في نسق متكامل تتضح من خلاله المقاصد والغايات ، وتتجلى به المفاهيم والقيم ، وترتب على أساسه الأولويات ، وبذلك يتم القضاء على منابع التخبط والشك في الرؤية التي سمحت ولا تزال بالنظر القاصر والفكر النظري العقيم الذي يسود الخطاب الديني المعاصر الذي يجعل أحد أهم منطلقاته نصوص واجتهادات الفقهاء بدل النصوص الأولية (الكتاب والسنة) .

ثالثاً : إشكالية المقدس في الخطاب الديني .

إشكالية المقدس في الخطاب الديني تقودنا إلى إشكالية العلاقة بين الديني والسياسي ، وتدفعنا كذلك إلى التأصيل النظري والسجال الإيديولوجي الذي تم طرحه في هذا المجال انطلاقاً من الدراسات والتيارات السوسيولوجية

---

[1] نصر حامد أبو زيد : **نقد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 130 .

[2] عبد الحميد أحمد أبو سليمان : **أزمة العقل المسلم ،** ط 01 ، سلسلة المنهجية الإسلامية (1) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، دار القارئ العربي ، القاهرة ، مصر ، 1991 ، ص : 116 .

[3] نفس المرجع ، ص : 122 .

المعاصرة التي تطرقت بإسهاب إلى هذا الموضوع ، على الأقل من الناحية الإبستيمولوجية ، خاصة أعمال كارل ماركس وماكس فيبر ودوركايم . فالمقدس في الخطاب الديني ــ مهما كان هذا المقدس ــ أخذ اهتماماً كبيراً من حيث البحث والدراسة ، وذلك منذ بداية المد الإسلامي أو الإسلاموي في العالم العربي انطلاقاً من سبعينيات القرن العشرين وإلى يومنا هذا .

رغم أننا سوف نتطرق إلى إشكالية الديني بالسياسي من خلال المبحث القادم ، خاصة عندما نسهب في الحديث عن إيديولوجية الخطاب الديني بين العقيدة والسياسة ، إلا أن هذا سوف يكون بصفة عامة ، ومن حيث المبادئ والأصول ، غير أن التطرق لها في هذا المقام ، سيكون من أجل توضيح إشكالية المقدس في الخطاب الديني في المجتمع الجزائري ، هذا المقدس ليس فقد استعمال الدين في السياسة ، بل هو جزء منه مصرح به ، غير أن هناك من يستعمل مقدسات أخرى لها بنية دينية غير ظاهرة ، مثل استعمال المقدس التاريخي أو المقدس الإثني أو المقدس اللغوي والثقافي ، وهي خصوصية من خصوصيات المجتمع الجزائري .

فالإسلامويين في الجزائر طرحوا خطاباً جديداً غير الخطاب الرسمي أو حتى الشعبي ، حيث يعتبرون أن الإسلام « فكر شامل وكلي ، ولا يكفي بالتالي أن يكون المجتمع مؤلفاً من مسلمين ، بل ينبغي أن يكون إسلامياً في أسسه وبنيته ، وعلى هذا فقد أدخلوا التمييز بين ما هو مسلم وما هو إسلامي »[1]، وهو ما أعطى نوعاً من المشروعية لدعوة هذا النوع من الخطاب بالإسلاموي ، لأن فكرته الأساسية تنطلق من « دعوة المجتمع إلى الإسلام أو أسلمته ستكون محصلة عمل اجتماعي وسياسي ، فلا بد من الخروج من نطاق المسجد ــ دون إهماله ــ »[2]، فكان استعمال المقدس الديني العنصر البارز في خطاب هذا التيار الجديد على المجتمع الجزائري .

غير بعيد عن هذا التيار ، يقوم تيار قائم بحد ذاته ، تيار عريق وأصيل ومتجذر في أوساط المجتمع ، خاصة بين الشيوخ والنساء وبعض النخبة ممن شاهدوا أو عايشوا إسهامات الجبهة أثناء هذه الفترة التاريخية الصعبة ، فجبهة التحرير الوطني تتبنى ما يسمى بالخطاب الديني الوطني ، والذي يعتمد على قداسة ثورة التحرير التي قامت بها جبهة التحرير الوطني من أجل استقلال الجزائر من استدمار فرنسي دام 132 سنة كاملة ، فكان لهذا الجانب التاريخي الكثير من القداسة ، وأصبح عنصراً مهماً من العناصر المكونة للخطاب الديني تحت تسمية الجهاد ضد الاستعمار وما قام به جيل من الشهداء والمجاهدين لتكوين دولة عصرية لها خطاب ديني خاص بها من بين مقدساته ، المقدس التاريخي .

في المقابل ، وبعد التعددية السياسية التي قامت بها الدولة ، طفت إلى السطح العديد من الأشياء الجديدة ، وإن كانت عناصر الهوية الوطنية لدى مجموعة كبيرة من المجموعة الوطنية في الجزائر من الأمور القديمة التي تطالب بها فئة كبيرة تعتمد على اللغة والثقافة ، حيث تمثل ذلك المعارض الشرس للنظام السياسي وحتى الاجتماعي القائم ، فطغى على خطابها ما يسميه الباحثون في الأنثروبولوجيا بالجانب الإثني ، لذلك كان هذا الأمر لصيق بالخطاب ، وأصبح يقال له في

---

[1] بشير مخلوف : **موقع الدين في عملية الانتقال الديمقراطي في الجزائر ، فترة (1989 – 1995)** ، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم في علم الاجتماع السياسي ، تحت إشراف : الزاوي مصطفى ، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران . السانيا . ، الجزائر ، 2012 – 2013 ، ص : 32 .

[2] نفس المرجع ، ص : 32 .

الدراسات السوسيولوجية المقدس الإثني ، الذي يجعل من اللغة والثقافة عناصر ضرورية ومقدسة يجب توافرها في أي خطاب رسمي أو غير رسمي يقدم إلى أفراد المجتمع .

1 ــ المقدس التاريخي :

لقد عرفت الجزائر بعد استعمار فرنسي طويل ، مرحلة جديدة من مراحل تطورها الاجتماعي ، السياسي والتاريخي ، « تمثلت أهم مميزاتها في عملية تحديث وتنمية شاملة مست كل الأصعدة ، فكان على الدولة الناشئة التي خرجت منهكة من الدمار الذي خلقه الماضي الكولونيالي ، أن تعمل جاهدة لإرساء دعائم دولة جديدة ، يحكمها مشروع اجتماعي تنموي ، يجعلها تتبوأ مكانة مرموقة بين دول العالم عامة والعالم العربي على وجه الخصوص »[1]، وكانت جبهة التحرير الوطني الإطار المرجعي والسياسي ، وقبل ذلك المرجع التاريخي للمجتمع .

ولمعرفة طبيعة المقدس التاريخي ، لا بد من الحديث عن إيديولوجية جبهة التحرير الوطني خلال حرب التحرير وبعد الاستقلال ، على أساس أن الجبهة هي التيار الوحيد من بعض التيارات المختلفة التي كانت لها استمرارية تاريخية في مرحلة ما بعد الاستقلال ، فهي الحزب الرائد والطلائعي الوحيد التي تمت باسمه وتحت إستراتيجيته وسلطته مختلف البرامج التنموية والسياسية وحتى الدينية ، فجبهة التحرير الوطني ، أو الجبهة باختصار ، « كانت عبارة عن منظمة ثورية جديدة تهدف إلى إحداث القطيعة مع الوضع السياسي الذي كان سائداً آنذاك ، والتحول مباشرة إلى الثورة ، وبحسب الكاتب الأمريكي وليام لويس (W . LEWIS) ، فإن ثورة 1954 سجلت القطيعة مع الجيل السابق للحركة الوطنية »[2].

فالمقدس التاريخي يعود إلى التصورات المتعلقة بالمشروع الاجتماعي المطروح للمجتمع الجزائري أثناء وبعد المرحلة الاستعمارية ومرحلة الاستقلال ، ويعود بالضبط إلى النضال المسلح من أجل الاستقلال ، حيث يظهر المقدس التاريخي من خلال الوثائق المرجعية التي صيغت خاصة أثناء مرحلة الثورة التحريرية ، ابتداء من بيان أول نوفمبر 1954 وصولاً إلى ميثاق طرابلس الذي جاء في المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني سنة 1964 ، وهي مواثيق تاريخية يستند عليها الخطاب المقدم إلى المجتمع الجزائري . كما أنه ــ المقدس التاريخي ــ نتاج ذلك التغلغل العميق الذي قام به الاستعمار ، أدى إلى ظهور بنية اجتماعية جزائرية جديدة أفرزت مشروعاً اجتماعياً ، إيديولوجياً وحتى سياسياً جديداً ، أدى إلى تأسيس الدولة الوطنية التي تعتبر استمرارية تاريخية للحركة الوطنية .

يقوم هذا التوجه المبني على أساس تاريخي ــ أي استعمال المقدس التاريخي ــ « على إلغاء كل أشكال الحياة السياسية ، التي يحتمل أن تفرز نخب منافسة محتملة للنخب المسيطرة ، عن طريق تعبئة الجماهير من خلال المؤتمرات والمسيرات الشعبية والحملات الدعائية لا كوسيلة للمشاركة الحقيقية ولكن كأداة لمساندة قرارات النظام وسياساته »[3]. فصفة القداسة التي منحتها السلطة الوصية على التاريخ ، سمح لها في مرحلة ما بعد الاستقلال باستعمال كل الوسائل الموجودة في المجتمع للحفاظ على معالم الخطاب الديني باسم التاريخ ، وباسم قداسة القضية التي ربطت بين الدين والتاريخ لتعبئة المجتمع من أجل الاستقلال أثناء الثورة ، وبعد الاستقلال من أجل الحفاظ على وحدة الخطاب ، وبالتالي

---

[1] بشير مخلوف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 105 .

[2] نفس المرجع ، ص : 106 .

[3] محمد عبد الباقي الهرماسي : **المجتمع والدولة في المغرب العربي ،** ط 01 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص : 97 .

وحدة المذهب ووحدة المجتمع . ولتحقيق ذلك سيطرت الدولة على كل مكونات المجتمع من مجتمع مدني ومنظمات جماهيرية وعمالية وحتى المدنية ، كما سيطرت على مختلف المؤسسات التي لها علاقة مباشرة مع أفراد المجتمع مثل : المسجد والزوايا وغيرها ...

تؤكد الكثير من الدراسات والأبحاث حول الجزائر أن الدولة الجزائرية ، أو النظام القائم استعمل المقدس التاريخي كغطاء إيديولوجي من خلال استعماله للحزب الواحد ــ جبهة التحرير الوطني ــ التي تحظى بنوع من المصداقية لدى الكثير من أفراد المجتمع ، خاصة وأنها قائدة الثورة التحريرية وصاحبة الفضل في استقلال الشعب من نير الاستعمار الفرنسي ، وبالتالي فهذا الغطاء كان يُستغل لتغييب الديمقراطية كنظام سياسي محبذ ، وهو ما أدى إلى ظهور أحداث عنف « كرد فعل اجتماعي عنيف ضد الدولة المترهلة ، مما أدى بالدولة للقيام بعمليات إصلاح اقتصادي ... مع رفضها للإصلاح السياسي ، وهذا ما زاد في تفاقم أزمة شرعية الدولة في قيادتها للمجتمع ، لكن مع إحساس الدولة وأجنحتها المتصارعة بالخطر حولها خاصة مع تزايد موجات العنف ، قامت هذه الأخيرة بالإعلان عن الإصلاحات السياسية متمثلة في الإقرار بحق التعدد السياسي ، وهكذا دخلت الجزائر مرحلة جديدة في تاريخها السياسي والاجتماعي المعاصر »[1].

إننا نعني بالمقدس التاريخي تلك التوليفة التي قامت بين الشرعية الثورية التي اتخذت من جبهة التحرير الوطني واجهة إيديولوجية وسياسية وبين عناصر دينية وعلمانية ، أي الجمع بين الحفاظ على الأصالة والتمسك بالتراث من خلال التمسك المفرط بالوحدة الدينية من خلال الوحدة المذهبية من جهة ، وبين الحداثة والتوق إلى العلمانية والاندماج في الحركة العصرية من جهة أخرى . فلم تكون هذه التوليفة بالأمر السهل على المستوى النظري ، فتميز الخطاب المقدم بالغموض وعدم الدقة ومحاولة التوفيق إلى أبعد الحدود . وعلى المستوى التطبيقي أو في أرض الواقع أدى إلى ميلاد أو تكوين مجتمع خليط في بنيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى الدينية ، تعيش فيه أشكال متعددة ومتناقضة ، ففي العلاقات الاجتماعية مثلاً : نلاحظ تمديناً بالقوة للأرياف وترييفاً بالفعل للمدن ، ونجد على المستوى السياسي مؤسسات وأجهزة عصرية في خدمة علاقات ومجموعات تقليدية تخضع لمنطق معادٍ للحداثة[2].

والهدف الأساس من استعمال هذه التوليفة أو استخدام المقدس التاريخي كغطاء إيديولوجي أو سياسي هو استقطاب الجماهير من خلال استغلال مشاعرها وطموحاتها ، خاصة وأن المجتمع الجزائري ــ كما ذكرنا ــ عاش فترة طويلة من الزمن تحت قهر الاستعمار الفرنسي ، مسلوب الهوية ومحروم من ثروة وخيرات البلاد . هذه العوامل يعتبرها الكثير من الباحثين من العوامل التي ساهمت في تعميق الإحساس بالظلم الاجتماعي ورفضه ، وساهمت كذلك في طموح المجتمع إلى الحداثة والعصرنة بكل ما تحمل من تطور وحرية لأفراد المجتمع ، خاصة عنصر الشباب منهم .

2 ــ المقدس الديني :

في مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر ، كان الجزائريون ينظرون إلى الإسلام كهوية وثقافة وتعامل يتم توظيفه في مقاومة الاستعمار وتحقيق الذات ، فالمقاومة تمثلت في الانكفاء على الذات والانغلاق عليها خشية الانسلاخ من غازي

---

[1] بشير مخلوف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 135 .

[2] العياشي عنصر : **سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر ،** ط 01 ، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1999 ، ص : 66 .

قوي لم يكتفِ بمصادرة خيرات البلاد من ممتلكات وأراضي ، أو إقصائهم من الحياة الاقتصادية والسياسية ، بل فرض عليهم نمط حياتي وقيّم ثقافية دخيلة على المجتمع الجزائري المهزوم .

« فالجزائري المسلوبة أرضه والضائعة شخصيته والمجتث من أماكن تكوينه الاجتماعي . سيجد ملاذه في المدارس القرآنية والزوايا ، حيث تتوفر ليس إمكانية اجتماعية فحسب ، وإنما كذلك فضاء ــ ملجأ يزود فيه بدفق روحي جديد ، وحيث عهد الإسلام إلى إمام المجسد السلطة الدينية ، وذلك بالسهر على تطبيق الشريعة المطلوب منها ضبط الشعائر الدينية (العبادات) والعلاقات الاجتماعية (المعاملات) . ولما كان السكان الجزائريون مقصيين من النظام الاستعماري ومعرضين لتمييز عنصري شديد الوطأة ، فقد لجئوا إلى الدين وتقاليد السلف محافظة منهم على هويتهم الذاتية »[1]. وهي عوامل أدت إلى ظهور تيار إصلاحي أثناء مرحلة الكفاح المسلح ، يركز في عمله على المسائل الأخلاقية والثقافية والدينية ، ويعتمد على التراث السلفي الذي نشأ في القرن التاسع عشر (19) ، ومن أبرز وجوهه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم من أعلام الخطاب الديني المعاصر .

أما في الجزائر ، فكانت حاملة لواء المقدس الديني ، أو الخطاب الديني بصفة عامة في مرحلة الاستعمار الفرنسي هي : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، حيث كانت عبارة عن حركة « أسهمت أعمالها في إطار النضال من أجل تطوير الثقافة العربية والإسلامية كعنصرين أساسيين في الهوية الجزائرية إسهاماً جمّاً في إيقاظ الوعي الوطني »[2]، فكان خطاباً يعمل من أجل الحفاظ على مكونات المجتمع الجزائري وثقافته الدينية ، من خلال التربية والتعليم مع الاحتفاظ بمسافة معينة بينها وبين النشاط السياسي ، حتى لا تصادر ويتوقف عملها الجوهري الكبير التي تقوم به مع أفراد المجتمع . وهو نفس الموقف الذي اتخذته بعد الاستقلال وحتى يومنا هذا .

ومن أجل الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري عمدت جمعية العلماء المسلمين على التمييز بين مجالين ، مجال مجتمعي ترفض تغريبه ، ومجال أخر مهما تكن صفته سياسي أو استعماري قبلت نفوذ فرنسا فيه إلى حين ، « إلا أن الممارسة الفعلية سرعان ما أسقطت هذا التمييز ، لأن التأكيد على العروبة والإسلام كان يعني وفاقاً غائباً مع سلطة الاحتلال »[3]، وهو ما أدى إلى تفطن الاستعمار إلى دور الجمعية ومجالات نشاطها ، وبالتالي مصادرة كل ما تملك وإيقاف جرائدها ومجلاتها ومحاربة أعضائها والمتعاطفين معها .

فالخطاب الديني وما يحمل من مقدس ــ مقدس ديني ــ ، له جوهر تبجيلي وإيديولوجي ، وفي كثير من الأحيان دوغمائي حسب محمد أركون ، حيث في كثير من خطاباته يدعو إلى أسلمة العلوم العصرية ، أو بتعبير حديث يدعو إلى أسلمة الحداثة ، حيث ينقل الخطاب الديني إلى المجتمع على أن الإسلام ليس فقط نظاماً من العقائد واللا عقائد الثابتة ، وإنما فكر مزود بكل المبادئ والمناهج والمجريات المنطقية الاستدلالية . فكل الأجهزة المفهومية ، أو كل المفاهيم والأفكار التي يُبني عليها الخطاب الديني للحركات الإسلاموية تهدف إلى تأسيس أو إعادة تأسيس المشروع الديني والحضاري الذي يقدم إلى الوجود البشري .

---

[1] زهرة بن عروس وآخرون : **الإسلاموية السياسية ، المأساة الوطنية ،** ط 01 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص : 17 .

[2] بشير مخلوف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 212 .

[3] نفس المرجع ، ص : 215 .

ففي إطار المقدس الديني يريد أعلام الخطاب الديني المعاصر محاولة القيام بدراسة سياسية واجتماعية للقرآن الكريم والسنة النبوية ، رافضين بذلك البقاء في موقف الدفاع عن الإسلام أو البحث عن الحلول التوافقية التي تريد إثبات حداثة الإسلام على ضوء القيّم والمفاهيم الغربية ، فالمسألة « بالنسبة للإسلاميين ليست مسألة البرهان على أن الإسلام يجسد القيم الجامعة الكلية ، بل على العكس من ذلك ، هاجسهم البرهان على أن الإسلام هو القيمة الجامعة الشاملة ، وأنه لا يحتاج للمقارنة بالأديان الأخرى أو الأنظمة السياسية »[1] الأخرى . فالإسلام المحفوظ من أي تحريف أو تزييف صالح لكل زمان ومكان ، كما أنه صالح لتقديم الإجابات المقنعة عن مختلف التساؤلات المطروحة في المجتمع في الوقت الراهن .

إننا نقصد بالمقدس الديني ، هو استعمال الدين الإسلامي ، أو استعمال الخطاب الديني الإسلامي في غير موضعه الذي يجب أن يوضع فيه ، فقد استعملت جمعية العلماء المسلمين أثناء مرحلة الاستعمار الدين ، لكنه اكتسى طابعاً نبيلاً هدفه تعبئة النفوس للقضاء على المستعمر ، والحفاظ على مكونات الشخصية الجزائرية وثقافتها التي لا تتصل بأي صلة مع ثقافة الاستعمار الفرنسي . وقد استعملت الحركات الإسلاموية ــ الأحزاب السياسية المنبثقة عن التعددية المقررة بعد أحداث أكتوبر 1988 ودستور 1989 . لتعبئة وكسب متعاطفين ومنخرطين في صفوف هذه الحركات أو الأحزاب السياسية التي اتخذت من الإسلام عنواناً لها ، مثل : الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الفترة الممتدة من 1989 إلى 1992 ، أو حركة مجتمع السلم وغيرها ...

3 ــ المقدس الإثني :

عند الحديث عن عناصر الهوية الوطنية في الجزائر ، تستوقفنا دائماً ودون انقطاع المرحلة الاستعمارية ، فذكر 132 سنة من التدمير تثير الهلع في نفوس الباحثين والدارسين محليين أو أجانب ، والذين اهتموا بدراسة المجتمع الجزائري ، حيث أن التشكيلة الاجتماعية في الجزائر « خضعت لفترة طويلة من الزمن ... للاستعمار الفرنسي بكل خصائصه الاستيطانية ، هذا الأخير عمل ما بوسعه لتدمير البنيات الثقافية والاجتماعية لهذا المجتمع من أجل إخضاعه بالقوة لهيمنته ، فكان من نتائج ذلك الانغراس العنيف لمؤسساته الثقافية والاقتصادية المختلفة ، وما صاحبها من شراسة في التهديم لكل البُنى والهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية »[2] منذ بداية الاحتلال ، وحتى بعد الاستقلال من خلال التدخل السافر في شؤون الجزائر الداخلية واستعمال السياسة الدولية للحفاظ على الكثير من المكتسبات التي لم تتحقق في المرحلة الاستعمارية .

إن كل الدراسات والأبحاث السوسيولوجية التي أقيمت حول المجتمع الجزائري حاولت تسليط الضوء على القضايا والإشكاليات التي تخص البُنى الرمزية والتي لها علاقة بهوية المجتمع الجزائري في أبعادها اللغوية ، الدينية والإثنية وغيرها ... خاصة التي تم تكريسها بعد الاستقلال ، إما في صورة الإجماع الوطني حول ثوابت الأمة الجديدة أو بعد الصراع الحاصل بعد التعددية السياسية والحزبية التي أنتجت العديد من القيّم وأثمرت العديد من الخطابات المناقضة للخطاب الرسمي للدولة ، وكل خطاب له مقدساته ، مثل : المقدس الإثني الذي نحاول التطرق له في هذا المقام .

---

[1] بشير مخلوف : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 214 .

[2] نفس المرجع ، ص : 164 .

بعد عمليات التفقير والتفتيت الثقافي والاجتماعي الممنهج من طرف الاستعمار الكولونيالي ، جعلت الدولة الوطنية الحديثة تعمل جاهدة من أجل إرساء بعض القواعد العلمية ، بهدف قولبة المجتمع حسب غاياتها الثورية ، فكان من اهتماماتها تحديث البنية الاجتماعية والثقافية حسب نموذج يكتسي طابع الثورة الثقافية وتعريب الحياة الاجتماعية والتربوية ، حتى تتمكن الجزائر من استعادة انتماءها العربي ، رغم أن حقيقة الواقع تؤكد أن الجزائر عبارة عن حلبة تتصارع فيها مختلف التيارات الإيديولوجية والسياسية التي تعبر عن حقيقة المجتمع .

تعتبر المسألة اللغوية من الإشكاليات الكبيرة التي صادفت الدولة الجزائرية الحديثة ، خاصة لما يتم التطرق إليها لكونها من عناصر الهوية بمفهومها الإثني ، حيث انجرت عنها تناقضات اجتماعية عميقة أثرت على النسيج الاجتماعي . ففي هذا السياق استعمل الخطاب الوطني الهوية العربية الإسلامية من أجل مواجهة الإيديولوجية الاستعمارية ، حيث كان يستلهم من أمجاد الأمة العربية وعظمة الحضارة الإسلامية ، أين يستمدون منها كلما قلت الحجج والشعارات الضرورية لمواصلة الكفاح ضد الاستعمار . فكان انضمام « السكان إلى موضوعات الخطاب الوطني وشعاراته عاماً وكلياً ولا يعاني من أي نشاز أو اعتراض يذكر . فقد كانت بعض الأصوات المعزولة في الجزائر ممن تتجرأ وتتحدث عن الجزائر الجزائرية ، وذلك لكي تفسح مكاناً ما للعامل البربري . ومن المعلوم أن هذا العامل كان ممثلاً بقوة وفعالية في ساحة الوغى من قبل رجال المقاومة الأشداء من أبناء منطقة القبائل وجبال الأوراس . وكان انخراط البربر في معركة الاستقلال كاملاً إلى جانب العرب . وعلى الرغم من وجود بعض الأصوات النافرة التي تدعو إلى الجزائر الجزائرية ... إلا أن الجميع قبلوا بتأجيل هذه المسألة إلى ما بعد الانتصار وتأسيس الدولة الجزائرية »[1].

لقد كان هاجس هذه الحركات الأمازيغية هو التخوف من عمليات التعريب اللغوي والحضاري العام للمجتمع والبلاد ، على أساس أنه كفيل بتهديد أشكال تفرد المجتمع الجزائري الذاتي وتنوع ثقافته الاجتماعية التقليدية ، كما يهدد خصوصية المجتمع بوجود لغات شفهية أو مكتوبة يتمتع بها . وما يبرر هذا الهاجس هو عمليات التعريب المتسارعة من طرف السلطة في كل المجالات ، انطلاقاً من التعليم ، أجهزة الإدارة ، الإعلام ووصولاً إلى القضاء وظروف الحياة العامة على المستوى الوطني ، بالإضافة إلى رفض تعليم اللغة الأمازيغية منذ الاستقلال في المدارس الوطنية . لكنها رغم ذلك لم تعرف ذلك التصعيد الخطير إلا قبيل التعددية السياسية ، وهو ما يدعم الطرح القائم على استعمال هذا المقدس لمصالح سياسية كان يريدها النظام الحاكم في حد ذاته .

ما يبين أن المقدس الإثني ، مثله مثل باقي المقدسات (الديني أو التاريخي) تم ويتم استعماله في صياغة مختلف الخطابات المقدمة للمجتمع الجزائري ، فكلها لا تخلوا من التشويش الإيديولوجي الذي يكرس الانقسامات في المجتمع الجزائري وتمنع بقوة ظهور الدولة ـــ الأمة بمفهومها الحديث والمعاصر . وهو الشيء الذي انعكس على التشكيلات الاجتماعية ـــ الثقافية التي يتكون منها المجتمع الجزائري ، وحال دون نموه التاريخي الطبيعي ، فأصبح يعيش دوماً على وقع الأزمات البنيوية العميقة التي تبرز دائماً وبشدة مع كل مرحلة قطيعة أو تحول يشهده هذا المجتمع . وفعلاً وجدت هذه الأزمات الانتقال إلى الديمقراطية والتعددية السياسية المناخ المناسب لتظهر من جديد وتعبر عن نفسها في حركات وقوى اجتماعية معارضة بكل ما تحمله من أطروحات حول مسألة الهوية .

---

[1] محمد أركون : **الإسلام ، أوروبا ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 129 .

المبحث الثالث : الخطاب الديني والإيديولوجية .

عندما لا يكون الخطاب الديني يمثل معرفة متعالية خالصة ، فإنه حتماً يثير إشكالية إيديولوجية ، بل يكون شأناً من الشؤون التي يندمج معها النظري بالممارسة الميدانية ، لذلك يعتبره الكثير من العلماء والمفكرين بأنه خطاب إيديولوجي بنفس المقدار الذي هو خطاب نظري . وهو ما قاد إلى طرح العديد من الأسئلة حول الوظيفة الإيديولوجية للخطاب الديني ، والعلاقة بينه وبين السياسة التي تتحكم في نمط الحكم أو السلطة في المجتمع . فلم ينشأ ـــ أي الخطاب الديني ـــ من فراغ إيديولوجي ، أي أن للإيديولوجية بحكم الواقع تأثير كبير عليه ، أو في الواقع الموجود فيه ، حتى أن وسائله ووسائطه في الإقناع تخفي وراءها دوافع أو اتجاهات إيديولوجية معينة .

كما أن الطابع الإيديولوجي للخطاب الديني « يخدم وظيفة اجتماعية . فمنظومة مقولاته ومفاهيمه لا تقف عند مجرد كونها هياكل نظرية أو تجريدات فكرية ، بل تتعداها إلى صلب الممارسة العلمية والتجسيد التطبيقي ، كضابط ومعيار ووجهة عمل أكثر من كونها شروط سجال »[1] . لأن الإيديولوجيا صلة وثيقة بواقع المجتمع ، وصلة أكبر بفهم أفراد المجتمع لذاتهم ولمصالحهم ومبادئهم والقيم التي يتمسكون بها ويؤمنون بها ، كما يمكن اعتبارها بالنسبة للخطاب الديني الإطار الذي يدور ضمنه المجتمع على الصعيد الفكري والنظري ، والنطاق المحدد لنشاط أفراد المجتمع كممارسة ومواقف وأساليب . ويمكن اعتبار أن الخطاب الديني في إطار الطابع الإيديولوجي يتوزع بين العقيدة والسياسة ، ويتحرك عبر وظيفة إيديولوجية أدت إلى وجود ملامح لبنية خطاب ديني خاص يعتبره الكثير خطاباً إيديولوجياً ، وهو ما سوف نحاول التطرق إليه في النقاط الموالية .

أولاً : الخطاب الديني بين العقيدة والسياسة .

لا ينكر أي أحد « أن الخطاب الديني لعب ولم يزل دورين : ديني وسياسي ، ولكن السؤال المثير للنقاش هو السؤال المعياري : هل يجوز أن تتبنى الممارسة النظرية لهذا الخطاب دوراً سياسياً ، وتتخطى دورها العقيدي ؟ خاصة وأن الجدل يحتد وتتكرر أشواطه حول توزع هويته بين الدين والسياسة ... فهناك من يؤكد على أن المسألة السياسية هي مسألة الممارسة النظرية بأكملها في تاريخ الإسلام ، وهناك من يرى في هذا عملاً موجهاً ضد الدين ، حيث لم يعرف العقل الإسلامي السوي تلك القسمة ... بين الدين والسياسة . إذ ظل تلازمهما أمراً مفروغاً منه ، على الأقل بحكم طبيعة التكاليف الشرعية التي تغطي الواقع الإسلامي كله »[2] .

« فكل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة دين ، ويمكن أن يسمى سياسة الإسلام في إصلاح العقيدة والعبادة ، وكل ما يتعلق بالخلق والتربية دين ، ويمكن أن يسمى سياسة الإسلام في التربية والخلق ، وكل ما يتعلق بالمعاملات دين ، ويمكن أن يسمى سياسة الإسلام الاقتصادية والاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالحكم وتدبير مصالح المسلمين في دنياهم ديناً أيضاً ، ويمكن أن يسمى نظام الإسلام في الحكم وإدارة الدولة »[3] . فالخطاب الديني يربط بين العقيدة والسياسة ويربط الدين بالدولة ، حيث أنه لا يتصور دولة بلا دين ، كما لا يتصور بأن يكون الدين فارغاً من توجيه المجتمع

---

[1] محمد حافظ دياب : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 113 .

[2] نفس المرجع ، ص : 114 .

[3] محمد شلتوت : **من توجيهات الإسلام ،** ط 08 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2004 ، ص : 447 .

وسياسة الدولة . كما يربط بين العقيدة والسياسة حين يعبر أن خطاب الله جاء للأمة وشمل على التكاليف الفردية والجماعية ، وكانت مسؤولية الأمة في استخلافها في الأرض وعمارتها وإقامة أحكامها فيها ، فكان العدل هو السمة البارزة في الحكم ، وكان العدل من أسباب التقوى في قوله : ﴿ **اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[1].

فالخطاب الديني يرى أن الأمة الإسلامية مهما كان وضعها ، سواء في مرحلة الخلافة ، حين كانت أمة واحدة ، أو في الوقت الراهن حيث الشعوب مستقلة ، وكل شعب له أرض يحكمها حاكم خاص بها ، فهي بالرغم من هذه الصفة ، وهذا الاستقلال تكوّن حلقة من حلقات الأمة الإسلامية التي تحيا في قوله : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[2].

ينظر بعض أعلام الخطاب الديني إلى الذين يستعملون شعار فصل الدين عن الدولة ، بأن تحركهم يكون حسب المصالح السياسية المحققة ، فهم « لا يطلقونها ولا يصرون عليها إلا إذا اتجه الحوار إلى ساحة المعارضة ، داخلاً من باب الرفض بمعنى أنهم ينادون بالفصل عندما يشعرون بأن الإسلام الحقيقي يهدد مصالحهم ومخططاتهم ، ولا يترددون في تأييد الضم والخلط كلما كان ذلك تدعيماً لسياستهم ، وتثبيتاً لمقاعدهم وسلطانهم . فإذا بادر الإسلاميون إلى التأييد والتبريك وإذا خرجت طوابير الطرق الصوفية في مواكب الاستقبال والتوديع ، وإذا أقيمت صلاة الشكر عندما يفرح السلطان ، وصلاة الخوف إذا قطب جبينه ، وصلاة الاستسقاء إذا عطش ، وإذا حدث ذلك ، فمرحباً بالضم ، وسحقاً للقائلين بفصل الدين عن الدولة . أما إذا انفتح باب الحوار والاعتراض ، وتناثرت عبارات حق الله وحق الناس ، ورفعت شعارات الشورى والعدل والحرية ، فهنا ينبغي أن يصحح الوضع ، ويعرف كل حده وحدوده . ويطالب المتدينون بأن لا يتجاوزوا عتبات المساجد ، وأن يتركوا ما لقيصر لقيصر ! »[3].

رغم كل الاختلاف في وجهات نظر أعلام الخطاب الديني حول العقيدة والسياسة ، أو حتى الدين والسياسة من المنظور العام ، إلا أن الكثير من دعاة الفصل كانت تحركهم مواقف مختلفة ، وجاء مطلبهم بفصل أمور العقيدة عن السياسة في الخطاب الديني تفرضه مواقف معينة ، فالشيخ علي عبد الرزاق دعا بأنه ليس في الإسلام خلافة ولا ملك لقطع الطريق أمام الملك فؤاد في مصر حتى لا يتم تعيينه خليفة للمسلمين . والشيخ عبد الحميد بن باديس ، لما قال بأن لا شأن لرجال الدين بالسياسة كان يريد إبعاد أيادي الاستعمار الفرنسي عن جمعية العلماء المسلمين حتى تهتم بتربية وتكوين أفراد المجتمع وتحافظ على الدين والثقافة العربية الإسلامية . والشيخ محمد عبده لما استعاذ من السياسة ، ومن كل أرض في العالم تذكر فيها السياسة ، لم يكن يقصد فصل الدين عن السياسة ، بل كان يقصد السياسة التي تضطهد الفكر والدين والعلم .

إن الخطاب الديني يرى أنه لا يمكن الفصل بين العقيدة والسياسة ، وبصفة عامة بين الدين والسياسة ، لأن الذي يفصل الدين عن السياسة لا يفهم في الدين شيء ، وبنفس المقدار الذي يفصل السياسة عن الدين ، لا يفهم في

---

[1] سورة المائدة ، من الآية رقم : 08 .

[2] سورة الأنبياء ، الآية رقم : 92 .

[3] فهمي هويدي : **مرجع سبق ذكره** ، ص . ص : 123 – 124 .

السياسة شيء ، فهذا الفصل هو من مخلفات الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية التي تجعل من مهام الخطباء وواجباتهم مراسيم العبادات وأحكامها وشرائطها من طهارة ونجاسة ودعاء ومناجاة فحسب . فالدين الإسلامي كما يشهد به الكثير من المستشرقين بأنه نظام سياسي ، مبني على أساس تلازم الجانب العقيدي أو الديني مع الجانب السياسي ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

فالعلاقة بين العقيدة والسياسة ، أو بصفة عامة بين الدين والسياسة « تتخذ أشكالاً متعددة حسب ما إذا كان التصور الديني المقصود (أو الخطاب الديني) يعطي الأولوية المطلقة للدين على السياسة ويختزل العنصر السياسي إلى العنصر الديني : وهو التصور السائد عند المسلمين . وهناك أشكال تاريخية أخرى تؤكد على أولوية السياسة على الدين وخضوع هذا لتلك . لكن الفصل القاطع بين الدين والسياسة لتجنب أي صراع بينهما فكرة غريبة عن الإسلام الذي لا يقبل تدجين الدين ، أي اختزاله إلى دائرة المجال الخاص »[1]. فكل الاقتراحات النظرية التي قدمت في هذا المجال كانت محل انتقادات لاذعة من طرف أعلام الخطاب الديني ومناصري الجماعات الإسلامية المختلفة .

ثانياً : الوظيفة الإيديولوجية للخطاب الديني .

إن النصوص الدينية أو القرآن الكريم بصفة أخص استلزم وجود خطاب ، هذا الخطاب « كان يقصد تخليص الإنسان العربي من عالم الغفلة والنقص الثقافي المهيمن وتحقيق انتقاله من التشتت السكاني إلى زمنية المجموعات والكتل الإنسانية العاملة ، ومن الانخراط كحلقة أو ذيل في تاريخ الغير إلى حقل بناء التاريخ الذاتي . ولا يتم هذا الانتقال إلا بتأسيس مرجع ثقافي مكون من جهة من نصوص ثابتة ، ومن جهة أخرى من هياكل استقبال ومن مؤسسات تبادل وتشريع يفترض أنها تحقق وتستثمر تلك النصوص »[2]. ويكون ذلك مبني على المنطق الديني ككل الأنظمة المنطقية التي تستند على الدين ، حيث يعبر عنه في الأساس خطاب ديني فعلي وإثباتي تكون تلك وظيفته الأساسية أو وظيفته الإيديولوجية .

والإيديولوجية في الخطاب الديني ، « ليست مجرد عبارات ــ غيابية أو حضورية ــ تدافعت بها فقاقيع المدلول إلى سطح الملفوظ ، بل تصورات للعمل وللممارسة . وهي تصورات تحاول الاستجابة لالتزام هو بالنسبة للوسيلة عملها أهم من رغبتها في المعرفة ، فيما تسمح للفرد بصفته عضواً في الجماعة (أو المجتمع) ، بل بصفته الفردية أن يلتمس موقفه إزاء العالم والمجتمع ، وأن يؤوّل العلاقة التي تربط الوضع الخاص للجماعة (أو المجتمع) أو للفرد ، بالبنية التي تحتويه . فهي تتيح له أن يتفهم ، وذلك بإضفاء معنى وقيمة على طريقة اندماج عنصر كلي في البنية الكلية التي ينتمي إليها أو يتكامل معها »[3].

---

[1] بوب إيتين : " **بين الدين والإيديولوجيا** " ، **دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة (الإيديولوجيا)** ، ط 02 ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، العدد رقم 08 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص . ص : 26 – 27 .

[2] بنسالم حميش : **التشكلات الإيديولوجية في الإسلام ، الاجتهادات والتاريخ** ، ط 01 ، فكر عربي معاصر ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص : 221 .

[3] محمد حافظ دياب : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 117 .

وهذا يعني أنه يمكننا التساؤل عن وظيفة الخطاب الديني ، أو التساؤل عن المعنى من الحديث عن وظيفة محتملة للخطاب الديني ، فالحديث عن وظيفة إيديولوجية للخطاب الديني ، هو حديث عن الأغراض الإيديولوجية التي يمكن أن تستنتج من قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية بما أنهما أصل النصوص الدينية ، أو هو حديث عن ممارسة هذا الخطاب بشكل من الأشكال لوظيفة إيديولوجية ، أي إمكانية تحوله إلى قناع أو سترة يتستر بها الخطاب الديني وراء مصالح أو نعرات ونزاعات إيديولوجية مهما كان نوعها . أو هو حديث عن إمكانية استعمال الخطاب الديني كوعاء مناسب لتناول مسائل ذات طابع إيديولوجي أو ذات علاقة بالتفكير الإيديولوجي .

ومن أجل توضيح الوظيفة الإيديولوجية للخطاب الديني يتوجب علينا أن نحدد مجموعة القيم الأساسية التي يحتويها ، والتي ترتبط بالأساس بالنظام الاجتماعي الموجود في المجتمع ، أي معرفة التصورات التي يحملها الخطاب الديني حول العالم وكيفية تطوره والأسس التي تحدد تحقيق تلك القيّم ، وبالتالي معرفة أساليب العمل التي يستخدمها لتحقيق مختلف القيّم التي يحملها هذا الخطاب ، حيث تعطيها طابعاً إيديولوجياً ، والحديث عنها وعن الكيفية التي تتحقق بها يعطيها أو يمنحها وظيفة إيديولوجية . دون أن ننسى أنها ممارسة وضعية تتعلق بمسائل ومشاكل أساسية يعيشها المجتمع تبتغي الوصول بالخطيب أو حتى الخطاب إلى موقف أو مواقف تجعله يدخل في حلبة صراع الإيديولوجيات المختلفة ، والتي ترمي بجذورها في هذا المجتمع . أي أن الخطاب الديني سيكون طرفاً في الصراع أو النزاع السياسي القائم في المجتمع بين التكتلات السياسية المتباينة على الأقل على الصعيد الإيديولوجي ، أين يسعى ــ أي الخطاب الديني ــ بهدف التأثير على تصورات أفراد المجتمع . ويلعب دوراً توجيهياً ، وبالتالي يساهم بشكل فعال في عملية التغير الاجتماعي .

يربط الخطاب الديني علاقة وطيدة بين مقوماته ومكوناته مع التراث ، فالدين هو العنصر الأساس في كل الصيغ التي تقدم إلى المجتمع . كذلك تربط إيديولوجيا الخطاب الديني بمتغير وحيد هو الدين ، فهو متغير حاكم ، يتم التعامل معه على أساس أحادي لا يقرن بأي متغير آخر ، مثل : الدين والحضارة المعاصرة ، أو الدين بالحداثة . فسيد قُطب مثلاً : يعتبر « هذه الحضارة جاهلية لا بد من القضاء عليها ، رغم الثنائية التي قدمها ... وصاغها في رؤية توازنية بين مجال المشيئة الإلهية الطليقة ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة ... وبين طلاقة المشيئة الإلهية وثبات السنن الكونية ... بين عبودية الإنسان المطلقة لله ومقام الإنسان الكريم في الكون »[1].

هذه العلاقة المنفعلة مع التاريخ ، بلا شك جعلت من الخطاب الديني يدعو إلى قطيعة مع الحاضر ، والاختلاف الكامل والكلي مع الآخر ، ثم القطيعة مع الواقع وطمس معنى التاريخ وشروط تشكله الاجتماعي ، إذ يتضح هذا الموقف من خلال القضايا الجوهرية التي يطرحها ، مثل : قضية الولاء والبراء وقضية الصلح وقضية المرأة وغيرها من الموضوعات التي يحاول الخطاب الديني استعادة رسم صورة القرن الأول أو الرعيل الأول للرسالة الإلهية . فمنطلق إيديولوجية الخطاب الديني من خلال هذه الاستعادة ، هو رفض الاستمرارية والتقدم الذي تتطلبه الطبيعة البشرية ويحتاج إليه المجتمع .

هناك العديد من التناقضات عندما نحاول دراسة ، أو القيام ببحث في هذه الثنائيات وكيفية تأثير الخطاب الديني ومحاولة تطبيق إيديولوجيته الموجهة إلى الجماهير ، فمثلاً : نجد سيد قطب يدعو إلى خلع المجتمع واستبداله بآخر

---

[1] محمد حافظ دياب : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 118 .

جديد . فهو يفجر لا محالة نوع من التوتر لدى أفراد المجتمع من الواقع المعاش ، « لكنه ليس ذلك التوتر الذي يجعل من الفرد عامل تأثير مستمر في الواقع من أجل تغييره وإعادة بنائه دون توقف ، بل له شحنات من الحلم والرفض قائمة على قطع جذري مع الواقع الموضوعي ، والتمسك بعدم الدخول معه في علاقة جدلية ، وانتظار انهياره الكلي عبر بناء واقع ذاتي معزول عنه ، وهو ما جعل سيد قطب ينتهي إلى القول بعدم مسؤولية الواقع الذاتي (التنظيم) عن مشكلات واهتمامات وتناقضات الواقع الموضوعي (الواقع الجاهلي) »[1].

ثالثاً : بنية الخطاب الديني الإيديولوجي

إن كل حديث عن الخطاب الديني في الواقع هو حديث عن البنية الإيديولوجية التي يأخذها ، لأنه من الخطأ أن نتصور مثلاً : أن الخطاب الديني يتحرك بصفة آلية لينتقل من النص إلى الإيديولوجية ، لأنه لا يمكن له أن يكون معلناً بصفة مطلقة ما دام يستعمل لغة تجد فيه المضمر والمخفي ، كما تجد فيها التأويل والتلميح الذي لا حصر له في الخطاب الديني . ففي الكثير من الدراسات حول الحركات الإسلاموية والخطاب الذي استعملته ، نجدها تتبنى العديد من المفاهيم التي تبني عليها البنية الإيديولوجية لهذا الخطاب نذكر منها :

- البنية المثالية : فهي « تفترض إمكان صياغة عقول البشر عن طريق رؤية مسبقة مصادرة للواقع ، ومن ثم فمهمتها هي التبشير بمنظومة قيّمها ... بواسطة إيجاد استبدالات تصورية لما هو غائب ، والعمل على أن يستسلم لها . بنوع من القبول الذي لا يخضع لغير منطق هذه الاستبدالات وحدودها »[2]. فتصديق أفراد المجتمع بهذه المثالية التي يمنحها الخطاب الديني يدخل في نطاق الاعتقاد ، حيث يعتقدون رغم الطابع المثالي والمجرد لمختلف الحقائق بأنهم يمكنهم أن يجعلوا منها واقعاً حسياً معاشاً ، إذ يعيش الفرد في رؤية أو حلم يتمنى تحقيقه ، لتصنع الإيديولوجية ذلك السياج السيكولوجي البحت .
- البنية الإطلاقية : تعتمد إيديولوجية الخطاب الديني على تثبيت فكرة في ظرف من الظروف وتطلقها ، أي يتم اعتبارها فوق زمنية ، أي وضعها خارج السيرورة الجدلية للتاريخ . وبما أن التاريخ الاجتماعي تفاعلي ، أي جدلي ، فهو متبدل ومتغير لجهة التحول ، وهو ما يؤدي إلى أن الفكرة المطلقة جامدة ومغلوطة ، تؤدي حتماً إلى نشوء الوعي الزائف . فالبنية الإطلاقية لأيديولوجية الخطاب الديني تخلق موقفاً متعالياً بالنسبة للزمان ، غالباً ما تفضي إلى عملية عكس الزمان ، أين يتم فهم ومحاكمة أمور الحاضر انطلاقاً من واقعات الماضي .

يذهب أعلام الخطاب الديني أنه لا يمكن التفكير في الاختلاف ، ولا يمكن الاغترار والانصياع وراء ما يعرفه المجتمع العالمي من تطورات ومتناقضات ، لأن الرجوع إلى قواعد وأصول الدين والانضباط بها لا تخص السلف دون الخلف ، « بل هو القاسم المشترك والنسيج الجامع لشتى فئات المسلمين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم . ولا يمتاز السلف عن الخلف في ذلك إلا بأن لهم فضل الالتفاف إلى هذه القواعد والشعور بمدى الحاجة إليها ، ثم العكوف على استخراجها وتدوينها . ولقد كان لهم من المزايا ... ما أكسبهم النجاح التام في استخراج قواعد ذلك المنهج وتدوينه وما

---

[1] محمد حافظ دياب : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 120 .

[2] نفس المرجع ، ص : 121 .

جعلهم مكان ثقة الأمة الإسلامية جمعاء في اليقين بضرورة الأخذ بما استخرجوه ودونوه . واتخاذه نبراساً ــ طبقاً لما فعلوه هم ــ في طريق فهم النصوص وتفسيرها واستخراج المبادئ والأحكام منها »[1].

- البنية السلفية : كثيراً ما تقترن السلفية والسلفيين بالتيار المحافظ والجامد ، بل والرجعي في بعض الأحيان ، خاصة في مجال الفكر الديني على وجه الخصوص ، خاصة عند تحديد مفهوم السلفية ، فمنهم من « يتنكر للعقل ، كقوة إنسانية عندما ينكر عليها القدرة على البرهنة والحكم والتمييز بين ما هو حسن ونافع وما هو قبيح وضار ، ويحصر القدرة على ذلك في النصوص والمأثورات وحدها »[2]، حيث يصبح العقل في بنية الخطاب الديني السلفي مجرد غريزة جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها .

فالخطاب الديني عندما يعتمد على السلفية ، أو يجعلها من بنياته الإيديولوجية ، يتخذ موقف من الماضي ، كما أنه في نفس الوقت يتخذ موقفاً من الحاضر . فالقضية « هنا لا ينظر إليها من حيث مجرد الاستناد إلى نهج السلف ، أو مجرد رفع شعار العودة إلى المنبع (retour aux sources) ، وإنما من حيث طبيعة هذا الاستناد ، والذي يتم تكريساً لواقع راهن أو تبريراً لتغييره ، وهو ما يعني إبعاده عن مجرد كونه محض استعادة آلية ، أو تمسكاً مطلقاً بمواضعات سلفت ، بل تفسيراً له يتلاءم واحتياجات الآن ، وهو ما يعني تفارق السلفية التراثية في بُعدها التاريخي عن تأويلها المعاصر ، ذلك التأويل الذي يعزلها عن سياقها ويستخدمها استخداماً نفعياً »[3].

ومن بين الانتقادات الموجه إليه فيما يخص النص والرأي ، حيث يرى الخطاب السلفي أنه لا وجود للرأي ، أو الاجتهاد في وجود النصوص ، ووجوب الاعتماد على الحديث الضعيف بدل استعمال الاجتهاد ، وهو ما قام به وأقره وعمل به مثلاً : أحمد بن حنبل وابن القيم الجوزية من بعده ، حيث يرى أن الصحابة يخرجون الرأي عن العلم ويذمونه ويحذرون منه ، وينهون عن الفتيا به ، ومن اضطر منهم إليه أخبر أنه ظن ، وأنه ليس على ثقة منه ومن الشيطان ، وأن الله ورسوله بريء منه ، وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة ، من غير لزوم لأتباعه والعمل به ، ذلك موقفهم من الرأي ... جاء متسقاً مع منهجهم النصوصي الذي ينحي العقل جانباً طالما وجدت النصوص والمأثورات .

إن بنية الخطاب الديني الإيديولوجي تواري الكثير من الاختلافات الموجودة في نفس الجماعة أو الحركة ، وليس فقط بين مذهب أو مذهب ، أو طائفة وطائفة ، فها هما سيد قطب وحسن البنا ، وهما من نفس الجماعة ــ جماعة الإخوان المسلمين بمصر ــ ، يختلفان في الكثير من الأمور ، مع أنهما ينهلان من نفس أفكار الجماعة ، فسيد قطب يعتمد على تكفير الحكام والمجتمع ، فيتهم الحكام بالكفر البواح والمجتمع بالجاهلية مستنداً في ذلك على فتوى أحمد ابن تيمية . رغم أن موقف ابن تيمية يمكن فهمه تاريخياً ، بل يرى الكثيرين أنه موقف إيجابي في مرحلة من التاريخ الإسلامي عرفت بالكثير من الفتن .

فلا يمكن تكفير الفرد بالمعصية حتى ولو كانت كبيرة ما دام أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض ، إلا إذا أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذّب صريح القرآن الكريم ، أو عمل عملاً لا يحتمل

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي : **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي** ، ط 01 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، سورية ، 1988 ، ص : 13 .

[2] محمد عمارة : **السلفية ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 06 .

[3] نفس المرجع ، ص : 123 .

تأويلاً آخر غير الكفر . « وهو ما يعني ضرورة الوقوف على الملابسات التاريخية الخاصة التي أفرزت المفاهيم السلفية وحددت مراميها ، وتجريدها من غلالة الثبات التي يكسوه بها مستعيروها »[1].

وبهذا تتضح بنية الخطاب الديني الإيديولوجي ، كما تظهر إيديولوجيته بوضوح ، أين يتم اختزال ماضي الأسئلة وحاضرها في جواب حديث يجمع بين ما تم في العصر الذهبي للرسالة وبين ما يتمناه الخطاب الديني وأعلامه في مستقبل لأفراد المجتمع . لكن الأسئلة تبقى مطروحة وانشغال الدارسين واهتماماته بالبحث حول زيف العقل وما يطلب منه من ضرورة الغياب ، أو ربما نحتاج إلى ميشال فوكو وهو يعبر عن موقف مماثل حين يقول :« كنت أود لو أمُرُ خفية ، وبدل أن أبدأ الحديث لو غمرني الكلام ، وحملني إلى أبعد من كل بدء ... كنت أحب أن أراني وقد سبقني صوت بلا اسم ، كي يكفيني أن أعقب ... أن أتابع العبارة ... أقبع في حناياها ، كما لو أنها أومأت إليَّ خلسة واختفت »[2].

خلاصة الفصل :

الحديث عن آليات الخطاب الديني أو منطلقاته الفكرية ، حديث متشابك ، فيه اختلاف كبير بين الباحثين والدارسين . فإذا كان اعتماد نصر حامد أبو زيد على خمس آليات فغيره يرى أكثر منها وآخر يرفضها ويرفض حديث صاحبها . غير أن هذه الآليات والكيفيات التي يتوارى بها الخطاب الديني ، بيّنت الطرق التي يستعملها في جلب مريديه وإقناع التابعين له . فسواء كانت آليات أو منطلقات ، فهي تجسد نوعاً من الاحتكار يحاول الخطاب الديني القيام به من أجل السيطرة على المجتمع وجعله وحيد المنهل والمشرب .

فالمسلم يؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء ، وهو مالك الملك ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، ووسعت رحمته كل شيء ، لكنه يجد الكثير من الأسئلة المحرجة التي يريد لها إجابات ، خاصة ما تعلق منها بالوازع الديني أو ما تقتضيه تلك الراحة النفسية التي يوفرها له الدين ولا يجدها في المادية المتغطرسة والمسيطرة على مفاصل حياته ، لكن الخطاب الديني يستغل هذا الإيمان ، كما يستغل هذا الشغف والبحث لفرض أو مد سيطرته على فاعلية الإنسان .

وقد ساهم الكثير من علماء أصول الدين والفقه في تأسيس الكثير من المبادئ التي تعتمد على العقل ، مثل : القياس ومراعاة المقاصد والمصالح المرسلة ، وهي مبادئ يكون فيها مجال فعالية العقل في فهم النصوص وتأويلها . لقد ظلت الثقافة الإسلامية بهذه المبادئ حية ونشطة ، وظلت قائمة على التعددية وحرية الفكر ، لكنه لم يستمر الأمر كذلك بسبب العديد من العوامل الاجتماعية والسياسية ، كان على رأسها ما عرفه بداية العهد الأموي وحادثة حمل المصاحف على أسنة السيوف والدعاء إلى تحكيم كتاب الله . فما وقع في موقعة (صفين) يعتبره الكثيرون حيلة إيديولوجية استطاعت أن تخترق باسم النص صفوف المتخاصمين وتنهي الخصام لصالح الأمويين .

والخطاب الديني بالطبع ، يوظف النص الديني كما يقوم بتوظيف النص اللا ديني لصالح النص الديني ، كما أنه يدافع عن النص الديني لأنه يدافع عن كلام الله تعالى . فالنص في الخطاب الديني ليس مجرد كلمات فقط ، وإنما يعلو ويتعالى ، كما تعلو كلماته وتحمل نوعاً من القداسة . وهو مجال ذلك الاختلاف الإيديولوجي الذي ظهر في مختلف

---

[1] محمد حافظ دياب : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 123 .

[2] Michel FAUCAULT : **La Volonté de Savoir,** Gallimard, Paris, France, 1976, P. P : 101 – 102 .

معطيات الخطاب الديني التي تطبعها الأمور السياسية والدنيوية ، ولكن لها نفس الخلفية والأرضية الدينية ، وتعتمد في بنائها على النص الديني ، وخاصة القرآني منه .

إن إشكالية المقدس في الخطاب الديني هي في حقيقة الأمر تعبر عن إشكالية العلاقة بين الديني والسياسي ، وإلى التأصيل النظري والسجال الإيديولوجي الذي تم طرحه في هذا المجال انطلاقاً من الدراسات والتيارات السوسيولوجية المعاصرة التي تطرقت بإسهاب إلى هذا الموضوع . ومن بين المقدسات التي تطرقنا لها ، خاصة في الجزائر ، المقدس الديني والمقدس الإثني الذي ارتبط بعناصر الهوية الوطنية ، وأخيراً المقدس التاريخي ، الذي يعود إلى التصورات المتعلقة بالمشروع الاجتماعي المطروح للمجتمع الجزائري أثناء وبعد المرحلة الاستعمارية ومرحلة الاستقلال ، حيث يعود إلى النضال المسلح من أجل الاستقلال ، أين ظهر هذا المقدس من خلال الوثائق المرجعية التي صيغت خاصة أثناء مرحلة الثورة التحريرية .

إن ارتباط العقيدة بالسياسة في الخطاب الديني يبينه الربط الذي يضعه في علاقة الفرد بالجماعة التي تحكمه ، حيث يرى أن الفرد تسلك عليه الجماعة المكلفة بتنفيذ الشرع واختيار طريقة التنفيذ والإشراف على المنفذين ، فالحكم أمانة يجب أن يقوم بها المكلف على أحسن وجه ، وبهذا يجعل الإسلام الحكم حقاً من حقوق الأمة المستخلفة في الأرض والمكلفة بعمارتها ، والتي أعطاها صفة السيادة على كل أفرادها ، باقتراح من أهل الحل والعقد .

إن الحديث عن وظيفة إيديولوجية للخطاب الديني ، هو حديث عن الأغراض الإيديولوجية التي يمكن أن تستنتج من قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية بما أنهما أصل النصوص الدينية ، أو هو حديث عن ممارسة هذا الخطاب بشكل من الأشكال لوظيفة إيديولوجية ، أي إمكانية تحوله إلى قناع أو سترة يتستر بها الخطاب الديني وراء مصالح أو نعرات ونزاعات إيديولوجية مهما كان نوعها . ثم الحديث عن الخطاب الديني في الواقع ، هو حديث عن البنية الإيديولوجية التي يأخذها ، لأنه من الخطأ تصور خطاب ديني يتحرك بصفة آلية لينتقل من النص إلى الإيديولوجية ، لأنه لا يمكن له أن يكون معلناً بصفة مطلقة ما دام يستعمل لغة تجد فيه المضمر والمخفي ، كما تجد فيها التأويل والتلميح .

وبهذا تتضح بنية الخطاب الديني الإيديولوجي ، كما تظهر إيديولوجيته بوضوح ، أين يتم اختزال ماضي الأسئلة وحاضرها في جواب حديث يجمع بين ما تم في العصر الذهبي للرسالة وبين ما يتمناه الخطاب الديني وأعلامه في مستقبل لأفراد المجتمع ...

الفصل السابع :

تجديد الخطاب الديني

تمهيد .

المبحث الأول : مفهوم تجديد الخطاب الديني .

المبحث الثاني : مشاكل تواجه تجديد الخطاب الديني .

المبحث الثالث : مراحل تجديد الخطاب الديني .

المبحث الرابع : المحاولات الغربية لتجديد الخطاب الديني .

خلاصة الفصل .

الفصل السابع :

تجديد الخطاب الديني .

تمهيد :

« إننا اليوم إذ نطرح هذه المسألة ، فإن ذلك يعني أننا نمارس عملاً من أعمال الفكر الحيّ ليس فقط داخل إطار الفكر الإسلامي ، وإنما أيضاً داخل المنظور الأكثر اتساعاً لتجديد الفكر الديني بشكل عام . فمن الواضح أن مختلف تراثات الفكر الديني لا تزال تمارس نفسها داخل إطار النظام المغلق للقيّم الخاصة بكل طائفة دينية ، أكثر مما تمارسه من خلال الحرص على إبداع أدوات جديدة للتحليل والمعقولية »[1]. فالتجديد أو التطوير كما يحلو للبعض تسميته عملية معقدة تتطلب استحضار تعريفات هذا التجديد ، والتركيز على القضايا والمحاور التي تتطلب التجديد . فالتجديد في حد ذاته يطرح العديد من التساؤلات .

فهل يعني التجديد محاكمة التشريع الإلهي بنفس الصيغة والطريقة التي نحاكم بها التشريع الإنساني الوضعي ، فنعطي للعقل البشري الحرية المطلقة في صياغة الأفكار وصناعة القرار ، أم لا بد من رعاية تلك الحدود والقيود ، مهما اتسع مجال العقل البشري ومجالات تدخله بعقل مطلق أعلى ؟ . فالعقل البشري يمتلك الحق في القفز على الالتزامات وحرق المراحل عندما يكون هذا الفكر ، فكر بشري ، وما دام تاريخه منفصل عن أمور إلهية غيبية . فالتجديد « لا بد من إخضاعه لمعادلة متوازنة بين الزمني واللا زمني ، بين التاريخ والغيب ، تحفظ للفكر الإنساني دوره في كونه امتداداً للحكمة الإلهية ، وللتاريخ الإنساني موقعيته في كونه صلة بين حقائق التكوين والهدف من التكوين في حركة التطور الحضاري »[2].

فتجديد الخطاب الديني بات من المواضيع الهامة التي تطرح نفسها سواء حاضراً ، أو عبر التاريخ الإسلامي بوصفه استجابة لمجموعة من القضايا التي يفرضها الواقع بمشكلاته الملحة ، والزمن بإشكالياته وتعقيداته المتشابكة ، حيث يطرح التجديد دائماً على أنه بوابة أو طريقة لفتح باب الاجتهاد والإبداع بشكل مشروع وضروري ، إلا أن التجديد ارتبط بشكل أساسي بمنطق رد الفعل الذي شكل حيزاً كبيراً من الخطاب (الديني) الإسلامي الحديث والمعاصر عبر العديد من أعلامه ، خاصة الذين احتكوا بالحضارة الغربية .

ومن أجل الإجابة على الكثير من مثل هذه التساؤلات ، حاولنا تقديم هذا الفصل من الدراسة ، حيث تضمن أربعة مباحث أساسية ، جاءت حول مفهوم التجديد وتطوير الخطاب الديني ، ثم مختلف المشاكل التي تواجه التجديد ، فالمراحل التي يمر بها ، وأخيراً الحديث عن المحاولات الغربية لتجديد وتطوير الخطاب الديني الإسلامي من بيئة غربية ومن أهداف غربية غريبة عن المجتمعات العربية والإسلامية أملتها الكثير من التطورات والظروف الدولية .

---

[1] محمد أركون : **القرآن من ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 93 .

[2] محمد مهدي شمس الدين : **الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي،** ط 01، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص : 08 .

المبحث الأول : مفهوم تجديد الخطاب الديني .

يقول محمد عمارة :« لأن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الإلهية الخاتمة .. والخالدة .. والعالمية .. كان التجديد فيها سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل . ذلك أن الشريعة وضع إلهي ثابت ... وحتى يستجيب الثابت لمستجدات الواقع (المتغير) وقفت هذه الشريعة عند الثوابت والكليات والقواعد وفلسفة التشريع .. وتركت للفقه ــ الذي هو علم الفروع ــ التجديد في التفاصيل والجزئيات التي تواكب المستجدات بالأحكام المستمدة من ثوابت الشريعة وقواعدها وكلياتها »[1]. فهو تعريف واضح وصريح فيما ينبغي أن يكون التجديد ، وخريطة لطريق التعامل مع الخطاب الديني الذي كثر الحديث عن تجديده وتطويره من كل الجوانب والجهات ، الداخلية والخارجية ، المنتمية إلى هذا الدين ، أو التي تظهر له العداء البيّن .

أولاً : تعريف التجديد .

فالتجديد في اللغة ، هو تصيير الشيء جديداً ، والشيء يَجِدُ ، أي صار جديداً[2]، حيث يعني التجديد وجود الشيء كان على حالة معينة ، فطرأ عليه ما غيّر حالته فجعلها بالية أو قديمة ، فإذا تم إعادته إلى حالته الأولى أو مثلها قبل أن يصيبه التغيير ، فذلك كان تجديداً له .

أما التجديد في الاصطلاح ، فقد عرف اختلاف كبير في تعريفه بين أعلام الخطاب الديني على مر العصور ، خاصة في العصر الحديث ، أين ظهرت العديد من التعاريف التي تخص التجديد ، فأدت إلى ظهور مذاهب كثيرة ، جعلت قضايا التجديد تتراوح « فيما بين القضايا التي تخص العقيدة ذاتها ، والقضايا التي تخص أحكام الشريعة ، والقضايا التي تخص المعاملات والمجتمعات . ومع بدايات النهضة الحضارية العربية والإسلامية الحديثة ... ظهرت قضايا التجديد بشكل أساسي ، وظهر الاهتمام حديثاً بدراسة التراث الإسلامي مع التركيز على فكر التجديد في مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية الأولى »[3].

فكل القضايا التي تتعلق بتجديد الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي ، تعود في نهاية المطاف إلى قضيتين أساسيتين هما :« الأولى : هي حدود العلاقة الصحيحة بين العقل الإنساني والاعتقادات الدينية . والثانية : الأسلوب الصحيح لتفسير النصوص الدينية على وجه العموم ، وتلك التي ترتبط بقضايا التجديد على وجه الخصوص ، والقضيتان تعتمدان بصفة أساسية على تحديد الأسلوب الصحيح لاستخدام العقل ، بحيث لا يتعدى العقل حدوده الدينية ولا يطغى الفكر الديني على العقل »[4].

---

[1] محمد عمارة : **رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية ،** ط 01 ، سلسلة إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت (01) ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، الإسماعيلية ، مصر ، 2007 ، ص : 07 .

[2] العلامة ابن منظور: **مرجع سبق ذكره ،** المجلد الثاني ، باب الجيم ، ص : 50 .

[3] سمير أبو زيد : **" منهج التجديد الديني عند الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني "** ، **مجلة كلية دار العلوم ،** العدد 36 ، جامعة القاهرة ، مصر ، (د . ت) ، ص : 162 .

[4] نفس المرجع ، ص : 171 .

من جهته يرى عدنان محمد أمامة ، أن تعريف التجديد حسب العبارات التي استخدمها أعلام الخطاب الديني لا يمكنها عن تخرج عن واحد من المحاور الثلاث التالية :

- إحياء ما انطمس ، واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس ، وحمل الناس على العمل بها .
- قمع البدع والمحدثات ، وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم ، وتنقية الإسلام (والخطاب الديني) مما علق عليه من أوضار الجاهلية ، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام .
- تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدّ من وقائع وأحداث ، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي وخصوصيته[1].

فالتجديد حسب القرضاوي ، « لا يعني أبداً التخلص من القديم أو محاولة هدمه ، بل الاحتفاظ به ، وترميم ما بلى منه ، وإدخال التحسين عليه . ولولا هذا ما سمي (تجديداً) ، لأن التجديد إنما يكون لشيء قديم »[2]، حيث يتطلب هذا التجديد الاحتفاظ بجوهر الشيء القديم ، ترميم ما بلى منه ، إدخال تحسينات عليه لا يمكنها أن تغير من صفته ، أو تبدل من طبيعته ، لكنها في نفس الوقت تنظر إلى التطورات التي تعرفها المجتمعات ، والتغيرات التي يعيشها الأفراد في هذا العالم على اختلاف توجهاتها .

إن التجديد « يعني تقديم تفسير وفهم جديد للدين بعدما تقادم التفسير والفهم السابق وعدم قدرته على مسايرة التطورات وتلبية الرهانات . فهو فهم وجهد فكري تأسيسي يرمي إلى إعادة بناء المنظومة الإسلامية من داخلها حتى تتجاوز كل أشكال التعارض بينها وبين القيم الإنسانية الموحدة لجميع البشر »[3]. كما أن التجديد « ليس حالة فكرية طارئة أو قطيعة مع القراءات القديمة ، فتلك أيضاً استجابت في وقتها لمقتضيات عصرها ، وإنما يعني تأصيل ما يحتاج إلى تأصيل ، وإعادة القراءة بما يضمن تصالح مختلف القراءات مع المستقبل من خلال إنتاج قراءة جديدة تكون قادرة على مواجهة التحديات ، وحل المشكلات الحالية والقادمة دون القطيعة مع الماضي »[4].

وبهذا يكون التجديد في الخطاب الديني أو التجديد في الدين بحد ذاته ، هو تصحيح المفاهيم ووضع تحديد كامل متكامل لها . حتى لا يتم التلاعب بها أو توجيهها حيث يريد الخطيب . ، ثم إيقاظ ما ضعف من همم المسلمين ، والعمل على إعادة تشكيل وبناء وعي إسلامي حضاري قوامه العقل ، يدعو من خلاله الخطاب الديني المجتمع إلى جوهر الدين وحقيقته ، وعدم تقوقعهم في تابوت التاريخ ، وضرورة إيجاد خطاب يعمل على تخليص العقيدة من الشوائب والإضافات البشرية ، وتوضيح أمر العبادات والمعاملات من حيث بيان مفهومها ومقاصدها وأهدافها القريبة والبعيدة ، إلى جانب شرح وتوضيح منظومة الأخلاق الإسلامية وأثرها على الفرد والمجتمع .

---

[1] عدنان محمد أمامة : **التجديد في الفكر الإسلامي ،** ط 01 ، رسائل جامعية (28) ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، 2003 ، ص . ص : 16 – 18 .

[2] يوسف القرضاوي : **الفقه ... مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 29 – 30 .

[3] عبد الجليل أبو المجد ، عبد العالي حارث : **تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة،** إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، 2011 ، ص : 13 .

[4] نفس المرجع ، ص : 14 .

ثانياً : دعوة الإسلام لتجديد الخطاب .

والإسلام يدعو إلى تجديد الخطاب الديني ، كما يدعوا إلى تجديد الدين في حد ذاته ، كون نصوص الدين محدودة والحوادث والمستجدات التي تقع ممدودة ، وهو ما يدعو ــ كما يذكر الكثير من أعلام الخطاب الديني ــ إلى فتح باب الاجتهاد والتجديد ، حتى يستطيع الخطاب الديني إنزال النصوص الشرعية على ما يستجد من أحداث الزمان ، وما تعرفه أحوال الناس من تغير في المجتمع أو البيئة التي يعيشون فيها ، وفي هذا يقول الشاطبي :« فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر ، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة ، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره ، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصاً على حكمها ، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد . وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم ، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي ، وهو أيضاً إتباع للهوى ، وذلك كله فساد ، فلا يكون بدٌ من التوقف لا إلى غاية ، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً ، وهو مؤدٍ إلى تكليف ما لا يطاق ، فلا بد من الاجتهاد في كل زمان ، لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان »[1].

كما أن هذه الدعوة تقتضيها تقادم الزمان وبُعد المجتمع عن مصدر الوحي ، وهو ما يؤدي إلى اندراس كثير من معالم الدين ، وبالتالي اندراس معالم الخطاب الديني ، فيعيش المجتمع في ظل اتساع رقعة الفساد وتفشي مظاهر الانحراف والبدع والضلالات ، عندها تكون الحاجة أكثر من ضرورية إلى التجديد وبروز معالم الخطباء أو المجددين الذين يعيدون تقديم الدين والخطاب الديني كما تم إنزاله في عهده الأول من خلال إبعاد كل العناصر والجزئيات الدخيلة التي تم إدخالها بفعل الزمان وبُعد المجتمع عن مصدر الوحي . أضف إلى ذلك ، أن الدعوة إلى تجديد الخطاب يمليه « التطور الحضاري المتصاعد ، الذي راح يلقي بظلاله ، منذ عصر النهضة ، واتصال المسلمين بالحضارة الحديثة من خلال التماس الغربي الإسلامي ، حينما اكتشف المسلمون الفارق الحضاري بينهم وبين الآخر ، ووعوا مقدار التخلف بالقياس إلى ما كانت عليه الحضارة الإسلامية ، وما حققته الحضارة الغربية اليوم ، فراحوا يبحثون عن أسباب التخلف عبر مراجعة حقيقية للواقع ومكوناته الثقافية »[2].

فالخطاب الديني بطبيعته متجدد ــ على الأقل من الجهة النظرية ــ ، فغالبية أعلام الخطاب الديني يجددون خطابهم تلقائياً ، حيث تعتبر الظروف المحيطة والزمن الذي يعيشه العالم أو الداعية أو الخطيب يفرضان عليه أن يساير العصر في دعوته إلى الذين يعاصرونه ، وإلا فإن أول تهمة توجه إليه هي التخلف ، وبالتالي ينفر الناس منه . فالخطيب أو الداعية مطالب بتجديد الخطاب الديني قبل أن يطالبه الناس به .

ثالثاً : من يقوم بالتجديد ؟ .

يقول رسول الله ﷺ :« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »[3]. وهو حديث معتمد من طرف غالبية أعلام الخطاب الديني وخاصة المتخصصين في الحديث النبوي ، حيث أجمعوا على صحته ،

---

[1] أبو إسحاق الشاطبي : **مرجع سبق ذكره ،** ج 04 ، ص : 104 .

[2] ماجد الغرباوي : **إشكاليات التجديد ،** دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ص . ص : 25 – 26 .

[3] محمد شمس الحق العظيم آبادي : **عون المعبود شرح سنن أبي داود ،** ط 02 ، ج 11 ، ضبط وتحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 1969 ، ص . ص : 385 – 386 .

ويعتبر إحدى البشائر التي تحدث عنها الرسول ﷺ بأنها تحدث من بعده عند رأس كل مائة عام ، وأن الله تعالى يمكّن لأحد من عباده المؤمنين من يقوم بعملية التجديد ، وهم « من عباده المخلصين رجالاً ممن كرمهم بالعلم والحكمة والتقوى لكي يجددوا للمؤمنين دينهم ، ويفقهوهم في أمور دينهم ودنياهم حتى لا تضل أقوامهم عن الصراط المستقيم ، وحتى لا تكون لهم على الله حجة بعد الرسل »[1].

فالرسول ﷺ لما بشَّر المجتمع الإسلامي بمن يجدد الدين على رأس كل مائة سنة ، لم يذكر من يقوم بهذا التجديد فلم يقل عالماً أو خطيباً أو داعية ، « ويرجع ذلك إلى أن الذي يُقَيِّضُه الله سبحانه وتعالى ليجدد الدين ويحفظه ، لا بد أن يكون رجلاً مُطاعاً ، مقبول القول ، تهابه الناس ويرجعون إلى قوله ، فإذا نهاهم عن بدعة ابتدعوها أطاعوه وامتنعوا عنها ، وإذا ذكرهم بما نسوه سمعوا له ، وإذا أمرهم بأمر امتثلوا لأمره »[2]، فقد يكون حاكماً ، وقد يكون عالماً ، وقد يكون داعية من دعاة الدين ، وقد يكون رئيساً ، وقد يكون كل هؤلاء مجتمعون في نفس الشخص .

فالمجتهد أو الذي يقوم بعملية التجديد في الخطاب الديني ، أو الدين بصفة عامة ، يتطلب فيه توفر العديد من الشروط الأساسية نذكر منها باختصار :

- أن يعرف آيات الأحكام المذكورة في القرآن الكريم لغة وشرعاً .
- أن يعرف الأحاديث النبوية المتعلقة بالأحكام لغة وشريعة .
- أن يعرف الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة .
- أن يعرف مسائل الإجماع ومواقعه .
- أن يعرف وجوه القياس وشروطه ، وعلل الأحكام وطرق استنباطها من النصوص ، ومصالح الناس ، وأصول الشرع الكلية .
- أن يعرف علوم اللغة العربية .
- أن يعرف علم أصول الفقه ، لأنه عماد الاجتهاد وأساسه .
- أن يدرك مقاصد الشريعة العامة في وضع الأحكام ، لأن فهم النصوص وتطبيقها على الوقائع متوقف على معرفة هذه المقاصد[3].

فالتجديد بهذه الطريقة مقتصر على العارفين بخبايا الدين ومفاصله ، وليس للعاملين والمدركين لمتغيرات الواقع وتناقضاته من أهل التخصصات الأخرى ، مثل : علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، وهو ما يسميه أركون بالأرثوذكسية التي تعتبر سلطة دينية تشبه إلى حد بعيد أرثوذكسية الكنيسة ، حيث اتخذت من الدين والخطاب الديني غطاء للتغطية عن السلطة السياسية . ثم أليس الباباوات والقديسين في كنيسة القرون الظلامية الأوروبية أشبه برجال الدين اليوم من خطباء

---

[1] عبد الحميد صالح حمدان : **علماء التجديد في الإسلام حتى القرن الحادي عشر للهجرة** ، ط 01 ، الدار المصرية اللبنانية طباعة ، نشر ، توزيع ، القاهرة ، مصر ، 1989 ، ص : 05 .

[2] نفس المرجع ، ص : 14 .

[3] جمال عطية ، وهبة الزحيلي : **تجديد الفقه الإسلامي** ، ط 01 ، حوارات لقرن جديد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 2000 ، ص : 188 .

وأئمة مساجد ورجال الشؤون الدينية ؟ . حتى أن الكثير من الباحثين وضعوا مقارنات بين رجال الدين في القرون الوسطى ورجال الدين الإسلامي اليوم ، فوجدوا الكثير من المواقف تتشابه ، والعديد من المبادئ والتصرفات متطابقة .

ويرى محمد أركون أن عملية تجديد الخطاب الديني تتطلب الفهم والتبحر في الكثير من العلوم المتخصصة ، فهو يلح ومنذ سنوات « على ضرورة دراسة العلم الأنثروبولوجي وتدريسه ، فهو الذي يخرج العقل من التفكير داخل (السياج الدوغمائي المغلق) إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير ... كما أن العلم الأنثروبولوجي يُعلّمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة متفهمة ... ، فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة ... فالقرآن هو الذي أقرَّ بأفضلية القَصَصْ على الأسطورة كوسيلة لتقديم التعاليم الإلهية المتعالية والعلم الموثوق به كبديل لأساطير الأولين »[1].

إن تجديد الخطاب الديني ، قبل كل شيء فكرة يجب أن تخصب ، والأرضية التي تخصب فيها ــ دون شك ــ هي المجتمع الإسلامي بكل مكوناته المتناقضة ، بكل أطيافه وطوائفه ، لأن التجديد يجب أن يقوم على وحدة الفكرة وهي النهوض بالأمة في العناصر المشتركة بين أبناء المجتمع الواحد على الأقل ، ثم توفير عوامل النجاح والتقيد بمختلف الضوابط ، والعديد من العوامل المتشابكة التي دونها لن يتحقق التجديد المنشود .

رابعاً : ضوابط تجديد الخطاب الديني .

إن كل بناء مهما كان نوعه ، يؤسس على غير أصول صحيحة ، أو من غير ضوابط واضحة فهو بناء سوف ينهار في نهاية أمره ، ويسقط على من فيه . وتجديد الخطاب الديني من الأمور التي لا يمكن أن تتم بغير ضوابط صحيحة وواضحة ، خاصة إذا كان هدف التجديد هو نقل الدين من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل . وعلى هذا يمكن أن نذكر العديد من النقاط التي تضبط عملية التجديد منها على سبيل الحصر :

- **كتاب الله وسنة رسوله ﷺ :** وهما الضابطين الأساسيين لكل تجديد ، « فإذا انطلق التجديد من هذه القاعدة أو هذا الضابط كان التجديد داخل الشريعة محكوماً بها ، أما إذا انطلق التجديد من أن الكتاب والسنة لم يحويا بيان كل شيء كان التجديد من خارج الشريعة ، وكان تغييراً لها واستدراكاً عليها »[2]. فالخالق أنزل على رسوله ﷺ الشريعة فيها تبيان كل شيء يحتاج إليه المجتمع في مختلف التكاليف التي أمروا بها ، فإذا حدث بينهم اختلاف أمروا بأن يردوه إلى الله ورسوله ، أي الكتاب والسنة مصداقاً لقوله : **﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾**[3].
- **عموم الرسالة وشمولها :** الرسالة المحمدية أو الدين الإسلامي جاء للناس كافة ، فهو خاتمة الديانات السماوية أو التوحيدية ، شامل للزمان كله وللمكان كله ، منذ بدء الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي هذا يوجد الكثير من الآيات القرآنية الدالة على عموم الرسالة وشمولها ، مثل قوله تعالى : **﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا**

---

[1] محمد أركون : **القرآن ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 06 .

[2] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 20 .

[3] سورة النساء ، من الآية رقم : 59 .

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]، وهو خطاب لكل إنسان من البشرية ، وفي أي مكان من هذا العالم . إذ يعتبر هذا ضابط من الضوابط الذي يجعلها أهل التجديد في حسبانهم ، فلا يمكن لتجديد الخطاب الديني أن يكون في منطقة دون سواها ، أو يكون لمجتمع دون مجتمع آخر .

حسب الأصوليين من أمثال ابن القيم الجوزية وقبله أحمد ابن تيمية ، وغيرهم ممن يسمون أنفسهم بالسلفية ، فالرسالة كافية شافية عامة لا تحتاج إلى غيرها . كما أن التجديد فيها ، فينطلق منها ليعود إلى المنبع الصافي المتمثل في الكتاب والسنة . وعموم الرسالة وختمها تعتبر من أمور العقيدة التي لا يتم الإيمان بدونها ، حيث يستلزم عموم الرسالة وشمولها كل ما تحتاجه البشرية من مبادئ عامة لتسيير الحياة وأحكام كلية جاءت في الكتاب وشرحها وأتم شرحها وتعليلها من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

- **اتفاق الشرع مع العقل :** لا يمكن « تصور الاختلاف أو التعارض بينهما ... فالنص الصريح لا يعارض العقل الصحيح ، وإذا وجد تعارض بين النص والعقل ، فإما أن يكون النص غير صريح ، وإما أن يكون العقل غير صحيح ، بأن يكون تصوراً غير يقيني ، فأما أن يكون النص صريحاً والعقل صحيحاً فلا يمكن تعارضهما البتة »[2]. لكن يوجد ــ حسب أعلام الخطاب الديني السلفي ــ من لديهم تلك الثقة الزائدة في رجحان العقل وقدرته ، فيدعون بأن كل مخالف لعقولهم هو مخالف للعقل على الإطلاق .

فاتفاق النص مع العقل ، أو النقل مع العقل ضابط مهم من ضوابط تجديد الخطاب الديني ، وهو يعود إلى نوع من الوسطية التي يتمتع بها الخطاب الديني بصفة عامة ، ينطلق من النص الصريح الذي يعبر عن المنبع الأصيل (الكتاب والسنة) ووضعه في ميزان العقل للترجيح وليس للتجريح ــ كما يدعوه أصحاب الفقه أو الشريعة ــ ، ذلك أن الكثير من المقاصد ليست مثبتة بالنص الصريح ، فيقوم أهل العلم والمختصين باستنباطها ــ عن طريق العقل الصحيح ــ .

- **اتفاق الشرع مع المصلحة :** تعتبر الشريعة الإسلامية كلها مصلحة ، فمصادرها ومواردها وقواعدها النظامية لا تخالف مصالح المجتمع ، حيث تسعى الشريعة إلى تنظيم « الأحكام والضوابط التي ترسم النماذج السلوكية للمسلم وتحدد قيمه ومقاييسه الاجتماعية وتوضح مسارات علاقته الإنسانية بأخيه المسلم وتؤشر ماهية حقوقه وواجباته في المجتمع »[3].

فالنُظم الاجتماعية ، وهي مصلحة أفراد المجتمع ، تعتمد على دعائم قرآنية ، وركائز بنيوية ، حيث يعتبر القرآن المصدر الأول للشريعة والسنة النبوية الشارحة للقرآن المصدر الثاني ، تعمل على تبيين وتأكيد ما جاء في القرآن . فما يستجد من مصالح أفراد المجتمع مع التغيرات التي يعرفها العالم ، كما يعرفها الزمان والمكان ، يُنظر إليها بمنظار الشريعة ، وتكون أحد ضوابط التجديد المرجو الذي يقدم مصلحة المجتمع التي يسعى إليها التشريع الإسلامي بدل المصالح الفردية ، حيث تعطي مثلاً التشريعات الإسلامية بصمتها الخاصة على النظم الاجتماعية وتعطيها طابعاً متفرداً يخضع لمبادئ الإسلام وأوامره .

---

[1] سورة الحشر ، من الآية رقم : 07 .

[2] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 23 .

[3] إحسان محمد الحسن : **علم الاجتماع الديني (دراسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية والمجتمع) ،** ط 01 ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2005 ، ص : 85 .

المبحث الثاني : مشاكل تواجه تجديد الخطاب الديني .

يعتبر تجديد الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي ضرورة قصوى في الوقت الراهن ، غير أن طريقه غير سالك ومعبد ودون مشاكل ، فالخطاب الديني في المجتمع يواجه عدة مشاكل وعراقيل ، تعيقه عن أداء مهامه المنوطة به ، فما بالك بتجديد هذا الخطاب حتى يواكب التطورات التي يعيشها العصر ، وما يعرفه من تغيرات متسارعة ، إذ يتوجس منه المسلمين خيفة ، ويحسبونه على أنه أمر غريب يدخل في دسائس العداء الخارجي ، من منطلق لن يرضوا عنك . بل إن العديد من الباحثين يرون أن الخطاب الديني أصبح مصدراً للكثير من المشاكل في المجتمع ، بدل أن يكون وسيلة لتقديم الحلول للمشاكل العالقة التي يتخبط فيها .

أولاً : العزلــة .

انطلاقاً من اعتبار الإنسان اجتماعي بطبعه ، فلا يمكن بأي حال من الأحوال عزل فرد أو اعتزاله بمفرده عن الحياة الاجتماعية ، لأن قوة الانتماء إلى مشرب أو منهل أو منهج أو طريقة تسمو به في أفق الانفتاح الاجتماعي ، والاعتماد والإيمان بالفكرة ــ أي فكرة ــ لا تعني الانفصال أبداً عن المجتمع ، لأن منهج العزلة المعتمد من طرف بعض الأطراف في المجتمع الإسلامي يسبب تعقيداً للحياة الاجتماعية . كما أن الاعتماد على العزلة يعبر بالضرورة عن وجود فهم سيء للمنهج أو الطريقة المتبعة ، ويؤدي إلى عرقلة نشر الدين الإسلامي كما أمر به المنهج الإسلامي الصحيح ، وأمر به الخطاب الرباني في الدعوة إلى دينه في كل زمان ومكان ، ويعطي صورة سلبية عن الدين ، وليس فقط عن الخطاب المعتمد من طرف القائلين بالعزلة .

فالعزلة مردها انتشار الفتنة والخوف من الوقوع فيها ، لذلك يلجأ المؤمنين بها إلى أداء الفرائض والقيام بكل ما له علاقة شخصية ، دون التدخل في أمور العامة من أفراد المجتمع ، وبهذا تظهر جلياً وقوف العزلة أمام الدين ، وأمام تطور الخطاب الديني وتجديده . فهذه الفئة لا تهمها مصلحة المجتمع ــ ما دامت الفتن موجودة فيه ــ ، وعلى كثرتها اليوم في المجتمعات الإسلامية بمختلف الأشكال ، مثل : الانحرافات والآفات الاجتماعية التي تنخر جسم المجتمع . بهذا لا يمكن القيام بأي خطاب ، ما دام لا يوجد متلقي سوف تحركه أهداف الخطاب ورسائله الظاهرة والمضمرة . فما بلك بالدعوة إلى تجديد الخطاب .

وهي نظرة قاصرة للدين ، فيرى المودودي أن هذه الطائفة أصيبت « بداء التقشف في المعيشة والغلو في الدين والتفنن في تعليل الأمور وشدة الاعتناء بالتوافه والاهتمام المفرط بالجزئيات حتى أصبح لهم الدين الإلهي كالزجاجة النفسية يخشى أن تتكسر ... مما يصيبها من صدمة . وذلك أضفى بهم إلى أن جعلوا يقضون أعمارهم في التحذير والحيطة : أن لا تصدر منهم هذه الهفوة وتفرط تلك البادرة ، كيلا ينفلت من أيديهم حبل دينهم المضطرب . ولما أخرجوا في الدين تلك المسائل الرقيقة والجزئيات الدقيقة ، كان لا بد أن يجمد الفكر ، ويضيق النظر ، وتخور الهمة »[1]. فلا يستطيع الخطاب الديني ، مهما كانت قوته من أن يحرك فيهم ساكناً ، ولا يمكن معهم من تجديد الدين ولا تجديد الخطاب .

---

[1] أبو الأعلى المودودي : **موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم** ، ط 02 ، ترجمة : محمد كاظم سباق ، دار الفكر الحديث ، بيروت ، لبنان ، 1967 ، ص : 32 .

غير أن هذه العزلة لها مبرراتها بالنسبة لهذه الفئة أو الطائفة ــ كما ذكرها المودودي ــ ، فالباحث في وضعية المجتمعات الإسلامية ، والدارس للتاريخ الإسلامي منذ القرون الثلاث الأولى ، أي من القرن الرابع الهجري وحتى يومنا هذا يرى الانتكاسات الكبرى للمجتمع الإسلامي ، ويرى تراكم الأزمات المتوالية ، والتحرش المتواصل من الغرب على العالم الإسلامي ، وغيرها من المعطيات . فيكفي أن نذَّكر باستعمار المجتمع الإسلامي واحتلال الدول الغربية للبلدان الإسلامية وما خلفه هذا الاستعمار من دمار شامل على كل المستويات ، ويكفي أن نذكر 132 سنة من الاستعمار الفرنسي للجزائر فقط وما خلفه هذا الاستعمار من طمس للهوية وتخريب للبنى التحتية واستغلال خيرات البلاد وهدم مقومات العباد ، لذلك ترى هذه الطائفة أن مقولات التجديد والتطوير من أفعال الغرب ، وكل شيء من هذه الجهة يجب اعتزاله ما دامت ليست لهم القدرة عن مجابهته والتخلي عنه .

ثانياً : مشكلة الانغلاق .

الانغلاق مشكل من المشاكل الصعبة التي تواجه تجديد الخطاب الديني ، حيث ينشأ الانغلاق من الاعتقاد بامتلاك الحقيقة الكاملة أو المطلقة ، فالإنسان في هذه الحالة لا يرى بُد من الانفتاح على الغير ، لأنه لا ينتظر أي شيء يقدمه الآخر أو يضيفه إلى الحقيقة الكاملة التي لديه . كما ينشأ عن طريق حالة نفسية توهم صاحبها بالشك في نوايا أصحاب التجديد وفي آرائهم ، فلا يقبل الآخر ويفضل الانغلاق والعزلة عن المجتمع . فأما الطائفة الأولى ، فهي التي تدعي أنها الفرقة الناجية حسب الحديث النبوي الشريف ، فهي على ما جاء في القرون الأولى ، هي أهل السنة والجماعة حيث تنتهج سياسة الانغلاق ، لأن الحقيقة المطلقة موجودة عند أعلامهم ، ومن ليس منهم فلا يمكن الحوار معه ، يتميزون عن غيرهم حتى بطريقة اللباس .

أما الطائفة الثانية ، فقد ذكرنا بعض أسبابها في انتهاجها لسياسة العزلة والانغلاق ، فالخوف من كل ما هو خارجي واعتباره عدو للإسلام والمسلمين ، وأن كل ما جاء من الحضارة الغربية ــ في مجال الدين والفكر ــ هو لتهديم وتدمير الدين والعنصر البشري في قيمه ومبادئه السامية التي بنيت على مر القرون . لكن المشكل الأساس في دعاة العزلة والانغلاق أنهم يخطئون في التفريق بين النص الديني والخطاب الديني ، فهذا الأخير هو « ما يستنبطه ويفهمه الفقيه والعالم والمفكر من النص الديني ، أو من مصادر الاجتهاد والاستنباط المعتمدة . ويتمثل الخطاب الديني في فتاوى الفقهاء ، وكتابات العلماء ، وأحاديث الخطباء ، وآراء ومواقف القيادات والجهات الدينية . وهنا لا قداسة ولا عصمة ، فالاجتهاد قد يصيب وقد يخطئ والمجتهد يعبر عن مقدار فهمه وإدراكه ، كما وقد يتأثر بمختلف العوامل النفسية والاجتماعية التي تنعكس على آرائه وتصوراته »[1].

وتعود حالة الانغلاق هذه في المجتمع الإسلامي ، حسب يوسف القرضاوي إلى أن بعض المسلمين يرون أنه لا يوجد شيء جديد نحتاج فيه إلى الاجتهاد أو التجديد ، إذ يقول :« يذهب بعض المشتغلين بالعلوم الإسلامية ــ لفرط إعجابهم بتراثنا الحافل ، وفرط ثقتهم بفقهائنا العظام ــ أننا لسنا بحاجة إلى اجتهاد جديد ، فما من مسألة إلا وجدنا عند الأقدمين مثلها ، فقد اجتهدوا للواقع وافترضوا لما قد يتوقع ، فلم نعد محتاجين إلى أن ننشئ اجتهاداً بعد هؤلاء

[1] حسن الصفار : **الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان** ، ط 01، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، 2005 ، ص . ص : 20 – 21 .

الأفذاذ . فما علينا إلا أن نرجع إلى كتبهم وننقب في أحشائها ، لنجد فيها ضالتنا والإجابة على مسألتنا بالنص أو القياس أو التخريج »[1]. فهذا ليس تقليل من شأن التراث ، لكن من الانغلاق تجاهل الواقع ، والادعاء بأن التراث القديم فيه إجابات عن كل معطيات العصر الراهن . فلكل عصر مشاكله ومعطياته ، وربما توجد معطيات اليوم لو سمع بها المجددون في عصرهم البائد لحسبوها من البدع والخرافات ، ولما وصل عقلهم أو فكر فيما يحدث اليوم ، وفي هذا العصر .

فكثير من الباحثين والمفكرين يعتبرون أن حركة الانغلاق هذه مردها إلى الصراع القائم بين التيارين : تيار الجمود وإبقاء الأمور على ما هي عليه ، وتيار المنبهرين بالحضارة الغربية ، أو مخلفات الاستعمار ، حيث يرى التيار السلفي بأن الذين انبهروا بالحضارة الغربية يسعون للقضاء على التواصل الحضاري للأمة ، وفك الارتباط بين حاضرها ومستقبلها ، وبين القسمات الحضارية العربية الإسلامية التي ميزت عبر التاريخ ، ومن ثم تابع وهامش لحضارة الغرب ... أما تيار الثاني تيار الجمود ، ذلك الذي تحصن أعلامه وتحصنت فكريته بالمؤسسات التعليمية الموروثة ... والذي أثقلت كواهل مقولاته وتصوراته بالركاكة والخرافة والنصوصية الجامدة ، التي ميزت عصور التراجع عن الإبداع والانحطاط الحضاري . إنه قد عجز عن الكشف عن حقيقة الهوية الحضارية المتميزة للأمة[*]. فالهدف الأساس لتجديد الخطاب الديني هو القيام بوثبة تجعل من المجتمع الإسلامي ينفض غبار القرون الماضية ويقوم بنهضة تعيد أمجاد الماضي وفق متطلبات العصر .

ثالثاً : الموروث الثقافي .

ينبثق الموروث الثقافي للمجتمع الإسلامي من وجود مصدرين أساسيين ، هما أساس كل نشاط يقوم به الإنسان في الفضاء الاجتماعي ، حيث يتطلب من المسلم أن يتحرى في كل نشاط يقوم به أو حتى ينوي القيام به هذين المصدرين ، وهما : الكتاب والسنة . وهنا يطرح مشكل الفهم بالنسبة لهذه النصوص ، أو الموروث الثقافي في كيفية أو طريقة فهم النصوص هي التي تحدد مجالات التجديد ، وتفرق بين التنوير الغربي والتجديد الإسلامي ، لأن أغلب المنغلقين أو الرافضين لتجديد الخطاب الديني يضعون أمام كل مجدد مفهوم التنوير والتأثر بالحضارة الغربية والانبهار بها ، وجعل الإسلام مثل المسيحية ووضع المسجد مقابل الكنيسة والإيمان مقابل الكفر والإلحاد .

فتنوع قراءة الموروث الثقافي أدت إلى وجود العديد من الخطابات ، ولكل أهدافها ومتغيراتها ، ففي البلد الواحد نجد الخطاب الديني الرسمي وغير الرسمي ، المنغلق والمنفتح ، الخطاب المعتدل والمتطرف والسلفي والصوفي ، وحتى أصحاب الطرق . لكل له أهداف تنبع من الأبعاد الاجتماعية ، السياسية ، الثقافية ، وحتى الفكرية ، ما دام لكل خطاب مرجعيته الفكرية ، حيث يبحث في المسائل الدينية بطريقته الخاصة ، ويخوض في المشاكل الحالية ذات الصلة بالعلاقة بين الدين ومختلف المؤسسات وغيرها ...

---

[1] يوسف القرضاوي : **الاجتهاد ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 101 .

[*] للمزيد من التفاصيل حول تيارات الجمود والتغريب ، يمكن مطالعة مكتبة محمد عمارة ، حيث اعتمدنا على بعض الكتب ، لكنه في محاولاته حول تجديد الدين كان يتطرق إلى دعاة التغريب من أبناء الأمة الذين انبهروا بالحضارة الغربية ، أو أولائك الذين استعملوا الاستعمار الغربي لإحكام قبضتها على الأمة الإسلامية . أنظر : محمد عمارة : **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ،** ط 01 ، ج 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر 1993 ، ص : 10 .

لقد أدت قراءة الموروث الثقافي من طرف العديد من الفرق إلى إلباسه بنوع من الإيديولوجية ، خاصة حركات التقليد أو حركات النقل لا العقل ، حيث وقفت في وجه دعوات التجديد ، « علماً أن العوائق الإيديولوجية ظلت محملة بعوائق إبستيمولوجية تمظهرت بشكل كبير في كون المبادرات الإصلاحية لم تتجاوز الحقل الأخلاقي والدعوي ، لم تستطع الانتقال إلى الاستدلال العقلي والمنطقي الذي يشد من أزر التنظير السياسي والاجتماعي والفكري لمشاكل وإكراهات العصر »[1].

فالتمسك بالموروث الثقافي ــ ليس الكتاب والسنة ، بل القراءات التراثية للنصوص الدينية ــ والخوف من الآخر الأجنبي والمحلي ــ المنبهر على حد تعبيرهم بحضارة الغرب ــ ، أضف إليها غياب القاعدة الشعبية أو الدعم الجماهيري لمشاريع الإصلاح والتجديد للخطاب الديني ، « ويعني ذلك بصيغة أو بأخرى إقصاء أو على الأقل تهميشاً للفئات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي لا تنظر بعين الرضا لمشروع الإصلاح ، إذ أن ضيق نطاق الاستشارات الإصلاحية أدى إلى غياب القاعدة الشعبية لعملية الإصلاح العسيرة ، مما أفقدت معه عمليات تجديد الخطاب الديني إلى القاعدة الشعبية التي تشده وتؤازره »[2].

فالموروث الثقافي كمشكل يقف أمام تجديد الخطاب الديني ، ينحصر في المنطلق الذي يتكون منه هذا الموروث فينطلق أولا : من النصوص الدينية ، وكيف يفهمها المجتمع الإسلامي ، فهي إلى جانب الكتاب والسنة النبوية ، توجد النصوص التراثية ، أو فهم الفقهاء للنصوص الدينية ، والذي أخذ مع مرور الزمن والعصور نوع من القداسة . فأصحاب ما يسمى بالنقل جعلوها مرجعاً أساسياً في تحديد وليس تجديد الخطاب الديني ، لأنه حسب هذه الفئة ، فقد ألم الأولون بكل مشاكل العصور والأزمنة حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وهو عائق للتجديد ، حيث يتطلب من مثل هؤلاء تقليد ما تركه الأولون ، حتى في طريقة اللباس وطريقة المأكل .

ثانياً : يتعلق الأمر بفهم هذه النصوص ، وهذه مشكلة أخرى يواجهها تجديد الخطاب الديني ، ففي مجتمع واحد ، يوجد العديد من الخطابات الدينية ــ كما ذكرنا سابقاً ــ كل خطاب ينطلق من جملة من المسلمات والمبادئ التي يؤمن بها ويعتقد بها ، وقد لا يؤمن بها غيره . وهنا يقع تجديد الخطاب الديني أمام العديد من محاولات التجديد ، ويقف أمامه الذين يرفضون التجديد والإصلاح بدعوة أن التجديد لا مكان له ، لأن باب الاجتهاد المنطلق الأساس في التجديد مغلق منذ زمن بعيد ، أو يجب التجديد وفق الخطاب الديني المعتمد ، والخروج عنه مرفوض والتجديد خارج إطاره لا يصل إلى أي نتيجة .

رابعاً : معوقات العمل الثقافي .

من الأسس التي يعتمد عليها تجديد الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي ، هو العمل الثقافي الذي يشرك فيه أفراد المجتمع ، أو ما سميناه بالقاعدة الشعبية التي يجب أن تتبنى تجديد الخطاب الديني ، فالفئات الشعبية هي العنصر الثاني في عناصر أي خطاب ، ومدى تأثير هذا الخطاب ليس في طريقة إلقائه أو كيفية تحضيره ، ولكن فيما يتركه من أثر

---

[1] عبد الجليل أبو المجد ، عبد العالي حارث : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 27 .

[2] نفس المرجع ، ص . ص : 26 – 27 .

في الفرد ليتحول من كلمات أو نشاطات إلى سلوك داخل المجتمع . فالعمل الثقافي ، الذي يعتبر كل نشاط يقوم به الإنسان ، أو كل جهد يقوم به الفرد داخل الفضاء الاجتماعي يسعى من خلاله إلى تحقيق أهداف إنسانية ، اجتماعية ثقافية ودينية .

ثم أن الهدف من العمل الثقافي هو توطيد ثقافة المجتمع ، مادامت الثقافة كل ما يسهم في عمران النفس وتهذيبها ... « فالتثقيف : من معانيه التهذيب ... وإذا كانت المدنية هي تهذيب الواقع بالأشياء ، فإن الثقافة هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار ... وكلاهما عمران ... عمران للواقع وعمران للنفس ... فهما شقا الحضارة ... وتعلق الثقافة واختصاصها بعمران النفس البشرية وتهذيبها ، هو الذي يعطي لثقافات الحضارات المتميزة تمايزاً ... منبعه ومنطلقه ودواعيه : تميز النفس الإنسانية في كل حضارة من الحضارات بتميز المكونات والمواريث والعقائد والفلسفات التي تمايز بين (البصمات) الثقافية في أهم الحضارات »[1].

إن القيم الاجتماعية والدينية التي يحملها الخطاب الديني والمتجذرة في المجتمع تساعد على تجديده وتعميق مفاهيمه بين أفراد المجتمع ، وهو المطلوب ، لكن الواقع أثبت أن هذه القيم تقف أمام تجديد الخطاب الديني ، وتقف أمام كل نشاط ثقافي يمكنه من تحريك أفراد المجتمع ، وبالتالي تحريك المجتمع لتحقيق أهداف وقيم التجديد .

فالبنية الاجتماعية التقليدية التي يعرفها المجتمع الإسلامي والمتمسكة بكل ما هو من التراث أو من التقاليد يصعب أمامها الحديث عن أي مفهوم أو طريقة أو حتى نشاط ثقافي هدفه الوصول إلى تجديد الدين وبالتالي تجديد الخطاب الديني . حتى في المجال العلمي المرتبط بتثقيف المجتمع ، فالذين قاموا بالإصلاح ، أو الذين يسميه أركون بالإصلاحيين السلفيين ، فإنهم بسطوا « رؤية أسطورية للإسلام الأولي ، وللحضارة الكلاسيكية التي استلهمته . وجرى التركيز على الأسطورية ، والرومانسية ، والحنين إلى المجد الغابر ، والتي لم تعد تترك مجالاً للسعي العلمي والنقدي البناء . ولم تلبث الإيديولوجية القومية ، التي ستوجه معارك التحرير في القرن العشرين ، أن فاقمت القطيعة الدلالية ، مستبقية المطالبة بالماضي المجيد ، ولاسيما على الصعيد العلمي »[2]والثقافي .

يبقى أن من بين العوائق المادية التي تقف أمام النشاط الثقافي كعامل مهم من أجل وجود منطقة اتفاق بين الفرقاء في ذات المجتمع ، خاصة في عالم اليوم ، هو غياب مؤسسات ذات طابع ثقافي وفكري تساهم في توحيد النشاط ولملمة شتات المجتمع في ظل التعددية التي يعرفها ، حيث تكون هذه المؤسسات رغم الخصوصية والتعدد في منابر الفكر المبدع الذي يحقق تجديد الدين ، ومن ثم تجديد الخطاب الديني . وهذه المؤسسات الفكرية والثقافية تقضي على العمل الفردي المنتشر اليوم في صفوف المجتمع الإسلامي ، إذ الأعمال والنشاطات الفردية في الكثير من الأحيان لا تقدم الحلول المنتظرة ، أو لا تلقى الإجماع المطلوب من طرف أفراد المجتمع شخصيات وفئات ... مذاهب وطرق .

توجد العديد من القيّم الإنسانية ذات علاقة وطيدة بالعمل الثقافي للمجتمع ، كلها تكون مجتمعة من أجل تشكيل النظام الاجتماعي والوجودي للمجتمع ، فالإسلام « كدين ذي نظام أخلاقي ، يعزز القيم الإنسانية لنظام الجماعة التي تتسع للاختلافات ، لكنه اختلاف في ائتلاف ، وفي وحدة اجتماعية تتنوع وتتعدد من داخل الجماعة ، ولا

---

[1] محمد عمارة : **أزمة الف.... مرجع سبق ذكره ،** ص : 25 .

[2] محمد أركون : **نافذة ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 126 .

يؤدي هذا إلى خروج أو نفي ، غير أن ما تمخض عنه النسق الثقافي شيء غير ذلك كله »[1]، تناقض كبير وتنافر بين أفراد المجتمع الواحد أدى إلى عرقلة الإصلاح والتجديد في الخطاب الديني على الأقل .

وحتى لا يكون العمل الثقافي من معوقات ، أو من المشاكل التي تواجه تجديد الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي ، فإنه لا بد من الاهتمام بالتطور العلمي الذي يعرفه العالم ، حيث لا ينبغي لأفراد المجتمع أن يكفوا عن معرفة التطورات الحديثة التي تطبع عالم اليوم ، فهذا الاطلاع الواسع سوف يؤدي إلى زيادة في النشاط وزيادة في الفاعلية ، سواء كأفراد أو كمؤسسات تهتم بتثقيف المجتمع ، حيث أثبتت التجارب أن تأسيس وإنشاء المؤسسات ذات الطابع العلمي والثقافي تساهم بشكل فعال في إرساء معالم النشاط الهادف الذي يؤدي إلى إرساء معالم تجديد الخطاب الديني .

خامساً : عجز المؤسسات الدينية .

من بين المؤسسات ذات الطابع الديني ، والتي تقوم بالعديد من النشاطات الثقافية ، نجد المؤسسات الدينية ، مثل : المساجد ، دور الإفتاء ، المعاهد الإسلامية ، مثل : المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية ، أو دار الإمام بالمحمدية ــ الجزائر العاصمة ، كمؤسسة دينية حديثة ــ ، أو المؤسسات التابعة للسلطة السياسية ، مثل : الوزارات الوصية على الشؤون الدينية والأوقاف ، كوزارة الشؤون الدينية والأوقاف في الجزائر ، أو الجامعات ، مثل : الأزهر الشريف ، الزيتونة أو جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ــ الجزائر ــ ، أو المؤسسات التقليدية ، مثل الزوايا في المدن ، القرى والمداشر ، أو الجمعيات ذات الطابع الثقافي ، العلمي والديني ، مثل : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . كلها مؤسسات ذات طابع ديني ثقافي ، تسعى من خلال نشاطها ومهامها إلى تثقيف أفراد المجتمع والحفاظ على وحدة الخطاب الديني ، والسعي إلى مواجهة تحديات العصر .

إن المؤسسات الدينية العاجزة عن القيام بأي نشاط ثقافي يجعل منها قِبلة لأفراد المجتمع ، دون البحث عن مصادر أخرى لإيجاد الإجابات المقنعة حول مختلف التساؤلات التي يطرحها الواقع المتغير ، ويفرضها العصر بكل ما يحمل من تطورات ، لا تنتهي عند هذا الحد ، بل تعتبر نفسها الوريث الشرعي والوحيد للتراث المجيد وللمعرفة الإسلامية بكل تفاصيلها من حديث وتفسير وفقه وتثقيف للمجتمع عن طريق المنابع الأصيلة التي يجب أن تحافظ عليها وتسعى لعدم تغييرها أو تبديلها أو السماح لغير أعلامها والمنتمين إليها من ولوج أغوارها والبحث فيها .

فيعتبر الكثير من المنتقدين أن الطريقة التي تسير بها المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي لا يمكن معها الحديث عن التجديد ، لأنه ليس من السهل إزاحة التراكمات التي عمرت لأكثر من أربعة عشر قرناً ، خاصة مع التحيز المبالغ فيه من طرف أعلام هذه المؤسسات ، حيث أصبح « من غير المقبول في نظرهم أن يترك ذوو الآراء المخالفة دون أن ينالهم بطش القانون وملاحقة الدولة »[2].

---

[1] عبد الله محمد الغدامي : **النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية** ، ط 03 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 ، ص . ص : 147 – 148 .

[2] جمال البنا : **حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام** ، رسائل 03 ، منشورات مؤسسة فوزية وجمال البنا للثقافة والإعلام الإسلامي (الكوثر) ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ص : 03 .

المبحث الثالث : مراحل تجديد الخطاب الديني .

إننا نقصد بمراحل تجديد الخطاب الديني ، تلك المراحل التي مرت بها عمليات التجديد ، بصفة إيجابية كما يرى المتفاعلون بها ، أو بصفة سلبية كما يرى الذين يعتقدون أنها مراحل حاولت السيطرة على الخطاب الديني الإسلامي باسم متطلبات العصر . فالكثير يعتقد أن مطالب تجديد الخطاب الديني لم تكن وليدة قناعات داخلية ، أي من المجتمع الإسلامي ، بل كانت وفق طلبات خارجية ، تسعى إلى تهديم الإسلام ونزع العديد من الثوابت والمميزات التي تميزه عن غيره من النُظم ، وتعطيه الخصوصية التي تفتقدها الديانات الأخرى (سماوية أو وضعية) ، وفي النقاط الموالية نتطرق إلى أهم المراحل التي مرت بها عملية تجديد الخطاب الديني .

أولاً : مرحلة البداية .

تحدد الفترة الزمنية لهذه المرحلة ببداية القرن التاسع عشر (19) ، ويطلق عليها كذلك مرحلة الحركة الإصلاحية التي تزعمها العديد من المفكرين والعلماء ، من أمثال : رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم كثير ... وهي مرحلة بدأ فيها « الاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية والتأثر والانفعال بها ، والشعور بالتخلف المادي الشديد ، نتيجة الأوضاع التي كانت تعيشها الشعوب الإسلامية في ذلك الوقت »[1]، فدفعت بالكثير منهم ــ أعلام حركة الإصلاح ــ الرغبة في اللحاق بركب العلوم الدنيوية والمعارف الإنسانية التي عرفتها الحضارة الغربية ، فحاولوا التوفيق بين الدين وشرائعه وخطابه وما عند الغرب من جديد لا يؤمن إلا بالمحسوس .

غير أن ما يميز هذه الفترة ، هو وجود ملامح التجديد الديني انطلاقاً من العمل السياسي الذي قام به قادة الإصلاح ، خاصة الشيخ محمد عبده ، الذي يرى أن القيام بتجديد الدين يتطلب أولاً : التحرر الفكري « من الجمود والتقليد والرجعية الدينية ، بسلوك العقل لتجديد الدين وإحياء الدراسات الفلسفية الممزوجة بالإلهيات ، وإحداث ثورة فكرية (تغريل) بها موروثاتنا الدينية عن الأولين ، وخصوصاً أهل قرون التخلف والركاكة والانحطاط »[2]. كما يرى ثانياً : التحرر السياسي من نفوذ « الاستعمار الغربي الزاحف على المنطقة ، والتصدي له بالنهضة الحضارية لمغالبته ، وتجسيد الفكر الإسلامي الشوري في مؤسسات دستورية ونيابية حديثة ، وتقييد سلطات الحكومات بالدساتير والقوانين ، وإطلاق طاقات الجماهير الواسعة في الخلق والإبداع والبناء ، وكل ذلك بوساطة (الثورة) على المعوقات التي تعترض الجماهير في هذا الطريق »[3].

يعتبر محمد عبده أبرز شخصية إصلاحية على الإطلاق في العالم العربي والإسلامي ، وهو المؤسس البارز لما اصطلح عليه بالمدرسة الإصلاحية ، التي تعتبر رائدة في الإصلاح والتجديد في العصر الحديث يخالف أو يغاير ما كان عليه المسلمون السابقون ... فجل ما يتحدث عنه المجددون العصرانيون أصوله موجودة في تراث محمد عبده ، بل لعلك لا تجد قضية من قضايا التجديد العصري إلا وقد نبتت في البيئة الفكرية لتراث المدرسة الإصلاحية ، التي تبنت مع محمد عبده التدرج في الإصلاح والتربية التي تستند على الدين بعد تجديده ، وترتكز على مؤسسات تربوية جديدة وإصلاح

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 59 .

[2] محمد عمارة : **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ،** ط 01 ، ج 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1993 ، ص : 41 .

[3] نفس المرجع ، ص : 41 .

المؤسسات التربوية القديمة ، لأن التربية والتعليم هي السبيل الوحيد في بلوغ التحرر الفكري والسياسي للعالم الإسلامي . فتجديد الخطاب في هذه المرحلة اعتمد على محاولة الإصلاح باستعمال التربية « والتعليم على أسس عقلانية والبُعد عن ممارسة العمل السياسي المباشر ، والاعتماد على العمل الاجتماعي والتنموي ، ومن ثم تأثير هذه الإصلاحات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية في تحريك الطبقة الوسطى والدنيا ، لتواجه السلطة وطبقة الأغنياء وتنتزع الإصلاح السياسي المطلوب . ولأجل تمرير مشروع الإصلاح الديني الذي تبناه محمد عبده ، فقد توسل بعلاقات جيدة مع الاستعمار الإنجليزي ، فهذه رؤية براغماتية تظن أنها توظف السياسي لخدمة الإصلاح سواء أكان دينياً أم غيره ! »[1]. لأن محمد عبده وأمثاله من الإصلاحيين من عصره ، كانوا يرون بأن بإصلاح الخطاب الديني على أسس عقلانية ، سوف يعيد إليه روح الحياة بعد الجمود الذي أصابه .

فروح الحياة لا يمكن أن تعود للخطاب الديني إن لم تكن على أسس عقلانية تعلي من شأن « العقل في فهم القرآن وأحكام الدين ، ويعتمد على أصول الشريعة الكبرى ومقاصدها العليا ، وترك التوسع في التفاصيل والخلافات العقائدية والمذهبية وعلوم الآلات أو المعارف التي تبتعد بالدين عن غاياته العليا . ويشمل الإصلاح الديني تهذيب الفرد وتزكيته الإيمانية ، وإصلاح مناهج التعليم وتأهيل العلماء والفقهاء في علوم الاجتماع والتاريخ واللغات »[2]. وهي قيّمٌ كبرى لم تكن غائبة عن أعلام الإصلاح ، بل كانت غاية وهدف لمسيرة كللت بالفشل للعديد من الأسباب ، أهمها : ضعف الدولة وتفككها وبداية عصر الاستعمار الذي طرق أبواب العالم العربي والإسلامي .

إن أهم ما يميز هذه المرحلة ، هو نجاح الإصلاح في تحديد المشكلة بنجاح كبير ، خاصة محمد عبده وتلميذه رشيد رضا . « وهذا التحديد كان ضرورياً ، وقد يكون لهما قدم السبق مقارنة بالعصور التي سبقت عهديهما ، وانشغلت في حروب كلامية وخلافات عقائدية ورَّثتها للأجيال بعدها ، ولم تفق منها حتى عصرنا الحاضر »[3]. ولتفادي أسباب الانحطاط ركز الإصلاح على ضرورة توسيع التعليم الصحيح والتربية النافعة التي تخلق الرأي العام الذي يمكنه صناعة التغيير ، الذي لن يتم إلا بالتعاضد والتعاون وعقد المحالفات والتعاهدات بين الناس وتأسيس الجمعيات ، وغيرها من الأمور التي ميزت هذه المرحلة من مراحل تجديد الخطاب الديني . كما يميزها كذلك الاتجاه نحو « التعبئة الروحية والإصلاح الديني ، عن طريق عرض الإسلام عرضاً واضحاً ، والعمل على جعله أساساً في التربية الوطنية »[4].

ثانياً : مرحلة التغريب والعصرنة .

تحدد الفترة الزمنية لهذه المرحلة ببداية القرن العشرين (20) ، وأهم ملامحها أن الاستعمار الغربي طوَّق العالم الإسلامي من الشرق والغرب ، وسلط ألاعيبه ودسائسه على بقية التجمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين . فوهنت هذه التجمعات ، وسقط بعضها إثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى

---

[1] محمد العبد الكريم : **صحوة التوحيد ، دراسة في أزمة الخطاب السياسي الإسلامي ،** ط 02 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2013 ، ص : 158 .

[2] نفس المرجع ، ص : 159 .

[3] نفس المرجع ، ص . ص : 162 – 163 .

[4] محمد البهي : **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،** ط 04 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر (د . ت) ، ص : 175 .

أجلها ، أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ الاستعمار . الذي نهب الخيرات وأوجد له مع مرور الزمن ، وعبر الرحلات العلمية والانتقال المباشر إلى الدول الغربية من ينبهر ــ حسب الخطاب السلفي ــ بما هو موجود في الحضارة الغربية .

ويجمع العديد من الباحثين أن أعلام المرحلة الأولى ساهموا بشكل كبير في ميلاد هذه المرحلة ، كما ساهمت الظروف التي عاشها المجتمع الإسلامي قبل الاستعمار من اختلاط واضطراب تمخض عنه إقبال كبير من رجالات المجتمع الإسلامي إلى الغرب ، فرأوا بوجوب « محاربة التمسك بالماضي ، وأن التقدم لن يتم إلا بتقليد الأمم المتمدنة في حكومتها وإدارتها ، ومحاكمها ونظام عائلتها ، وطرق تربيتها ولغاتها ، وكتابتها ومبانيها وطرقها ، بل في كثير من العادات كالملبس والمأكل والتحية »[1]. إذ يعتبر قاسم أمين من رواد التغريب في العالم العربي والإسلامي في الجانب الاجتماعي حيث طالب بتحرير المرأة في كتابه (تحرير المرأة) وكتاب (المرأة الجديدة) ، حيث طعن في كثير من ظواهر التمدن الإسلامي ، وذكر بأنها ناقصة من جوانب كثيرة ، وليس فيها ما يصلح في العصر الحاضر ، وطالب بتقليد الغرب تقليداً كلياً يسمح للمجتمع الإسلامي من مواكبة الحضارة الغربية .

إن هذه المرحلة من تجديد الخطاب الديني كونت جبهات ثلاث : جبهة التراث القديم ، ويمثلها دون منازع الخطاب السلفي الذي يرفض التجديد بكل أنواعه ومسمياته ، وحججه معروفة . جبهة التراث الغربي الوافد الجديد على المجتمع الإسلامي تحت غطاء الاستعمار ، أما الجبهة الثالثة فهي جبهة الواقع المباشر أو المعاش . « وفي الواقع أن الجبهات الثلاث ترد إلى جبهتين اثنتين فقط : النقل والإبداع ، الزمان (الماضي والمستقبل) والمكان (الحاضر) ، الفكر والواقع ، الحضارة والتاريخ »[2]. فالجبهتان الأولى والثانية رغم الاختلاف بينهما من حيث المصدر الثقافي والتراث القديم أو التراث الغربي إلى أنهما ينقلان عن غيرهم ، إما من التراث القديم أو النقل من المعاصرين .

فالجبهات الثلاث « ليست منفصلة عن بعضها البعض بل تتداخل فيما بينها ، ويخدم بعضها بعضاً . فإعادة بناء التراث القديم بحيث يكون قادراً على الدخول في تحديات العصر الرئيسية يساعد وقف التغريب الذي وقعت فيه الخاصة ، وهي لا تعلم من التراث إلا التراث المضاد لمصالح الأمة ... فلم تجد حلاً إلا في التراث الغربي ، وأخذ موقف من الغرب يساعد المتغربين على أخذ موقف نقدي من التراث القديم بدلاً من الهروب منه »[3]. وكلها عوامل تساعد في إنتاج موقف نقدي يفيد الواقع المعاش ، خاصة في هذه المرحلة التي يعتبر فيها التراث الغربي أحد الروافد الرئيسية لوعي المجتمع الإسلامي ، وأحد مصادر المعرفة المباشرة للثقافة العلمية والوطنية .

فتجديد الخطاب الديني في هذه المرحلة كان يعبر عن « محاولة أخذ الطابع الغربي ، والأسلوب الغربي في تفكير الغربيين ، سواء : في تعبيرهم عن الدين ، أو في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم الحياة التي يعيشونها ، أو في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والإنسانية »[4]. كما كان دعوة إلى مسايرة الأوروبيين في طريقة تفكيرهم وفي خطواتهم وكيفية

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 61 .

[2] حسن حنفي : **مقدمة في علم الاستغراب ،** التراث والتجديد ، موقفنا من التجديد الغربي ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1991 ، ص : 13 .

[3] نفس المرجع ، ص . ص : 13 – 14 .

[4] محمد البهي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 177 .

التعامل مع متطلبات الحياة ، وفي فصل الدين عن السياسة ، وفي إبعاد الدين واللغة عن مجال الترابط بينهما . فالتجديد في هذه المرحلة هو « أخذ كل ما عند الغربيين : من فكر ، ومنهج البحث ، وحضارة ، وعادات وتقليد في فصل الدين عن السياسة ... إلخ (والتجديد كذلك هو) محاولة ــ لا احتياط فيها ــ لمتابعة التفكير الأوروبي : في اتجاهه ، في أحكامه ، وفيما فصل فيه من مشاكل الحياة »[1].

فحركة التجديد في هذه المرحلة سارت « إما في طريق الاستشراق ، ودراسة المستشرقين القائمة على تشويه الإسلام ، وعرض تعاليمه عرضاً مغرضاً ... وإما عن طريق الفكر المادي المنكر للروحية أو المستخف بها »[2]، والذي يعتمد منذ ظهور الشيوعية على تمجيد القوة المادية والمظاهر الحضارية الآلية والتفسير الاقتصادي للتاريخ البشري ، في حين يقابلها التقليل أو الاستخفاف بالمعاني والأهداف ذات الصبغة الإنسانية أو الدينية الأخلاقية ، وكل هذا جاء نتيجة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية ، ونهب المواد الأولية لقيام النهضة الصناعية في أوروبا .

ويتهم مجددي هذه المرحلة ، بأنهم يحاولون « القيام بقراءة جديدة للنصوص الشرعية ، تعمد إلى إعادة تفسيرها أو تأويلها وفقاً لمنجزات العصر العلمية والفكرية ، أي إخضاع النصوص الشرعية للفكر والثقافة والخبرة البشرية ، فتكون هي الحاكمة على النصوص ... »[3]. متأثرين بما يحدثهم علماء الغرب ومفكريهم ، خاصة المستشرقين منهم ، والذين يروا بأنه حتى يتم تجديد وتطوير المجتمع الإسلامي لابد من السير وفق المثل الغربية والتفاعل معها في البيئة الشرقية بكل ما تحمل ... مؤكدين أن الغربيين في طريقة تعاملهم مع الفكر والحياة ، قاموا بالعديد من التجارب في حياة الإنسانية ، حيث استخدموا الطريقة العلمية التي لا تتأثر بخرافة أو عقيدة خاصة ، وهدفها الأول والأخير هو خير الإنسانية وحـــدها .

ويرى الدكتور حسن حنفي أن فشل تجديد الخطاب الديني في هذه المرحلة يعود لعدة أسباب يذكر منها :

- التبعية لفكر الغرب ، والوقوع ضحية الثقافة العالمية ، حيث بلغت التبعية أحياناً درجة التقليد الأعمى والعمالة الفكرية .
- معاداة الفكر القومي للجماهير واستبداله بتراث آخر منقول لا تجد فيه الجماهير ذاتها .
- نقصان التنظير المباشر للواقع ، واستبدال نظريات مفروضة عليه . مع أن الرؤية الحسية المباشرة غالباً ما تكون أوضح من كل النظريات الجدلية الممكنة ، ومن ثم تكون الدعوة القائمة على النظرة العلمية للواقع قاصرة على تحقيق ما تطلب ، لأن الواقع ليس هو نقطة البداية ، بل هو ميدان لتحقيق النظرية .
- تفتيت الوحدة الوطنية بتفضيل الصراع الطبقي على الوحدة ، والوقوع في التفسير الحرفي للإيديولوجية المنقولة دون علم بتطوراتها وتأقلمها طبقاً لواقع العالم الثالث الذي تكون فيه الأمة أو الجماعة أو الأسرة هي الأساس الحضاري والنفسي للتغيير الاجتماعي[4].

---

[1] محمد البهي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 184 .

[2] نفس المرجع ، ص : 190 .

[3] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 61 .

[4] حسن حنفي : **التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ،** ط 04 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص . ص : 43 – 45 .

- استعمال العنف ليس فقط ضد السلطة ولكن ضد الدعوات المعارضة ، ومن ثم الاصطدام بالجماهير التي هي مضمون العمل السياسي وركيزته .

ثالثاً : مرحلة العولمة .

تحدد الفترة الزمنية لهذه المرحلة بسقوط الاتحاد السوفيتي قائد ما كان يسمى بالمعسكر الشرقي في نهاية ثمانينيات القرن العشرين (20) ، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية قائد المعسكر الغربي بتسيير شؤون العالم ، حيث ظهرت مع ما سمي أحادية القطب الكثير من المفاهيم ، أبرزها على الإطلاق العولمة ، إذ يراد بها « تعميم نموذج حضاري وثقافي واقتصادي على جميع الشعوب ، وهو نموذج مصدر من الدولة الأقوى في العالم ، اعتماداً على الإمكانات الاقتصادية الضخمة ، والتقدم التقني الهائل في مجالات الاتصالات ، للتأثير في الدول الأخرى : في نظمها السياسية والاقتصادية ، وفي ثقافتها وأخلاقياتها ، وفي أنماط الحياة فيها ، بغرض اختراقها سياسياً واقتصادياً وأمنياً وثقافياً وعقائدياً وسلوكياً ... مما يستتبع ذلك من فقدان الشعوب لهويتها وخصوصيتها وذوبان شخصيتها وضياع استقلالها »[1].

ومن بين الأسباب التي يرى الباحثون الغربيون ، وخاصة الأوروبيون منهم بأن العولمة تم التهجم عليها ورفضها ، فهي تقوم بزعزعة « القيم التقليدية . فالصراعات الحقيقية لا يمكن تفاديها ... وللأسف ، غالباً ما أظهر أولئك المسؤولون عن إدارة العولمة في أغلب الأحيان ... تقديراً غير كافٍ لهذه الناحية العكسية ، وهي تهديد الهوية الثقافية والقيّم ... فأوروبا تدافع عن سياساتها الزراعية (مثلاً) ليس على أساس تلك المصالح الخاصة فحسب ، بل من أجل الحفاظ على تقاليدها الريفية »[2]. فالعولمة تواجه تحدياً في شتى أنحاء العالم ، وليس فقط في المجتمع الإسلامي ، وهناك استياء كبير منها ، فالملايين « من الأشخاص يرون أن العولمة قد فشلت . وساءت الأحوال المادية للعديد منهم فعلاً إذ رأوا بأعينهم كيف قضى على وظائفهم وكيف أصبحت حياتهم غير آمنة . وشعروا بالعجز المتزايد أمام قوى تفوق قدرتهم ورأوا كيف أن ديمقراطياتهم تزعزعت وكيف تداعت ثقافاتهم »[3].

في هذه المرحلة تطور أداء تجديد الخطاب الديني ، وتغير أسلوبه بتغير المعطيات ، فالمراحل السابقة كان التجديد ينطلق من شخصيات في غالب الأحيان ما يكون موقفها معادياً أو مضاداً للحكومات ، بينما في مرحلة العولمة ، الحكومة بعامل الضغط الأمريكي أو الدولي من تتبنى تجديد الخطاب ، لذلك اتخذ الكثير من الوسائل التي كانت مستعصية على شخصيات المراحل السابقة ، ومن بين هذه الوسائل نذكر ما يلي :

- **مناهج التعليم :** منذ ثمانينيات القرن العشرين (20) ، وإلا يومنا هذا تبنت حكومات العالم العربي والإسلامي مناهج تعليمية جديدة ، حيث تم تطويرها وتجديدها وفق متطلبات العصر ، بل يرى الكثير من الباحثين أنها جاءت وفق إيحاءات وتعليمات الولايات المتحدة الأمريكية ، أو البلدان الغربية ، بل في بعض المرات تجاوباً مع ما تم بين الباحثين الغربيين ونظرائهم من العالم العربي والإسلامي في تعديل مناهج التعليم ، وكل هذا بالطبع سيترتب عنه تهميش

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 89 .

[2] جوزيف ستكلتز : **العولمة ومساوئها ،** ط 01 ، ترجمة : فالح عبد القادر حلمي ، بيت الحكمة ، بغداد ، العراق ، 2003 ، ص : 274 .

[3] نفس المرجع ، ص : 276 .

مبرمج للدين في وعي الطلبة أو التلاميذ ، وتزييف حقائق التاريخ ، وغيرها من الأمور التي تم تبنيها في إطار ما يسمى بتبادل الخبرات والتجارب .

فالمناهج التعليمية في مرحلة العولمة مطالبة بتبني مفاهيم العولمة والعمل على ترسيخها وتجسيدها في البرامج الدراسية ، مثل : مفهوم السلام العالمي كما تعتقده وتفهمه أمريكا وحلفاؤها ، كما يتطلب أيضاً عولمة التعليم وعلمنته ، وتجريده من كل خصوصيات المجتمع الإسلامي ، فالمطلوب في عرض « الإسلام أن لا يعرض بأنه دين التوحيد ، وأنه دين متميز عن غيره من الديانات المحرفة ، بل يعرض فقط من وجهة نظر القضايا الإنسانية المشتركة نحو العدل والرحمة والتسامح ، فالمطلوب من المناهج التعليمية أن تخدم الدعوة ... إلى وحدة الأديان »[1]، والحوار بينها كما يحدث في الحوار العربي الأوروبي وغيره ...

- **وسائل الإعلام المختلفة :** إذ تعتبر وسائل الإعلام المختلفة من مقروءة ، مسموعة ومرئية ، خاصة هذه الأخيرة التي تنقل الصوت والصورة ، من أهم الوسائل التي تتحكم فيها الحكومات ، ولها من التأثير ما يجعلها وسيلة خطيرة وبنفس القدر مفيدة للمجتمع . هذا الخطر ، وهذه الفائدة ، هي التي تجعل الحكومات تسيطر عليها ، وتضبط لها القوانين المسيطرة ، والتي في غالب الأحيان لا تخدم خصوصية المجتمع ولا تلبي طموحاته ، فاعتمد « الإعلام الرسمي في كثير من بلاد الإسلام على بث مواد إعلامية غير صادقة أحياناً ، وفاسدة المحتوى أحياناً أخرى ، سواء في الفكر أو السياسة أو الأخلاق أو السلوك »[2].

- **خطبة الجمعة :** تعتبر خطبتي الجمعة من بين أهم المنابر المستعملة في الخطاب الديني ، حيث تقوم بتعليم أفراد المجتمع الإسلامي أمور دينهم وتثقيفهم وتبصيرهم بأمور واقعهم ، فلها أهمية كبيرة وتأثير بالغ من أي وسيلة إعلامية أخرى ، ولأهميتها هذه تسعى كل الأطراف للسيطرة عليها ، إلا أن سيطرة الخطاب الرسمي الممثل لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ونظيراتها في البلاد العربية والإسلامية جعل منها وسيلة من وسائل مرحلة العولمة في تجديد الخطاب الديني ، وذلك من خلال تبني نفس المفاهيم ، والتحدث في خطبتي الجمعة عن السلوكات المشتركة بين الأديان المختلفة مثل : الأخلاق الحسنة ، وتفادي الخصوصية الإسلامية في منابر الجمعة .

فغالبية الخطباء ، مثل : الجزائر ليسوا من الشخصيات الفكرية أو الدينية المعروفة ، بل موظفون تابعون لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تقوم الوصاية بدورات تدريبية وعمليات تكوين ورسكلة لصالحهم من أجل مواكبة التطور الحاصل في المجتمع الدولي (العولمة) ، حيث يدخل هذا حسب الخطاب السلفي الرافض للعولمة والإبقاء على الخصوصية الإسلامية « تطبيقاً للسياسة التي عرفت باسم سياسة (تجفيف المنابع) ، أي تجفيف منابع التدين عند الناس ، وبموازاة هذه السياسة يتم إغراق المجتمع في كمٍّ هائل من الرذائل الخلقية ، وتوسيع دائرة الفسق والمجون ، والإكثار من القصص والروايات والمسلسلات والأفلام التي تحض بطرق متعددة على التفسخ الخلقي والوقوع في الرذيلة »[3]، والآفات الاجتماعية المختلفة .

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 92 .

[2] نفس المرجع ، ص : 92 .

[3] نفس المرجع ، ص : 93 .

- **هيئة الأمم المتحدة :** حيث تعتبر هذه الهيئة وسيلة من وسائل الغرب في التغطية على تحريف الدين ، أو التدين بالمفهوم الغربي ، ويتم ذلك بما تعقده هذه الهيئة من ندوات ومؤتمرات حول التقارب بين الأديان ، أو حوار الأديان ، وما تتخذه من قرارات الخاص والعام في المجتمع الإسلامي يعلم بضربها للخصوصية التي يعرفها هذا الأخير والحفاظ على مصالح أمريكا والدول الغربية .

لا شك أن دور هيئة الأمم المتحدة كان قبل ظهور هذه المرحلة ، لكنه تعاظم كثيراً وتطور مع تطور مفهوم العولمة ، حيث أصبحت قراراتها أكثر خطورة على الدين الإسلامي ، كدين له خصوصيته ، وله ذاتيته ، فأغلب قرارات هذه الهيئة ونشاطاتها يراها أعلام الخطاب الديني بأنها تناقض مناقضة تامة الشريعة الإسلامية ، وتخالف للنصوص القطعية للدين ... مثل : حرية العلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية وترويج لها ...

رابعاً : مرحلة فرض التجديد بالقوة .

تعتبر ظاهرة الإرهاب هي السمة المميزة لهذه المرحلة ، ويعد ظهورها على الساحة الاجتماعية والسياسية في العالم غداة أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث « تزايدت مقولات الإرهاب والإرهابيين وحاول الغرب ... إلصاقها بالإسلام والمسلمين ، وصرح رئيس وزراء إيطاليا ... بأنه يجب على أوروبا أن تدافع على الحضارة الغربية في وجه الأشرار المجرمين ، ودعا إلى ضرورة انتصار الغرب على الإسلام .. (ووجه) الرئيس الأمريكي ... تحذيرات شديدة اللهجة إلى ما أسماه (محور الشر) الذي يشمل سبعين دولة في مقدمتها العراق وإيران وكوريا الشمالية ، وصرح بأن كل الخيارات مطروحة للتعامل مع هذه الدول ، بما فيها استخدام الأسلحة الذرية »[1].

توجد نيَّة حقيقية للدول الغربية بقيادة أمريكا في قيام عالم على مقاسها ، وما تجديد الخطاب الديني إلا الوسيلة إلى السيطرة الكاملة على شعوب المنطقة ، لكن هناك عوامل عديدة ساهمت في المرور إلى مرحلة تجديد الخطاب الديني بالقوة ، حيث يذكرها الأستاذ : بن شاكر الشريف في كتابه : تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ، نحاول اختصارها في النقاط التالية :

- انهيار توازن القوى في مرحلة العولمة ، وانتهاء ما سمي بالحرب الباردة ، جعل الولايات المتحدة الأمريكية سيدة العالم في نظام أحادي القطب ، ففرضت نفسها على العالم وعلى المؤسسات الدولية وسيطرت عليها .
- وجود عراقيل حقيقية تقف بشدة أمام تجديد الخطاب الديني بالمنظور الأمريكي ، أهمها : طبيعة الدين الإسلامي الذي يستحيل تغييره أو تبديله . كما يوجد الرافضين بقوة للتجديد الأمريكي ــ حسب محمد عمارة ــ الذين يعملون رغم قوة أمريكا لإبطال ما تقوم به من سياسات تدعم وتطالب بالتجديد .
- حالة الضعف الكبير الذي يعيشه المجتمع الإسلامي ــ من المحيط إلى الخليج ــ ، فأغلب الشعوب ما بين مقهور مغلوب على أمره ، وما بين جاهل غارق في تحصيل متطلبات الحياة . فالمجتمع الإسلامي وبإجماع الكثير من

---

[1] محمد سيد أحمد المسير : **زلزال الحادي عشر من سبتمبر وتوابعه الفكرية** ، ط 01 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص : 10 .

الباحثين أنه يعيش حالة من الضعف لم يعرفها في تاريخه من قبل ، ولم يصل إليها ، لا في زمن الحروب على الزعامة السياسية في المرحلة الأولى ، ولا في الحروب الصليبية ، ولا في زمن التتار ، ولا في أي زمن من قبل هذا الزمان .

- حالة الاستعجال الشديد لإحداث التغيير في المجتمع الإسلامي ، فحرص الغرب على هذا التغيير المحمول عبر الطائرات الحربية جواً ــ كما يقول أحد الشخصيات الجزائرية ــ ، وكأنهم يسابقون الزمن خوفاً من أن الأمر لن يتم ، وعوامل أخرى ، هي التي جعلت الغرب الأمريكي ينتقل إلى استعمال القوة لكل من يرفض التغيير[1].

المبحث الرابع :

المحاولات الغربية لتجديد الخطاب الديني .

كل من يدين بالإسلام ، يتذكر لتوه قول الله تعالى : ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ** ﴾[2]، عندما يريد التحدث عن العلاقة بين المسلمين واليهود والنصارى . لذلك فالمجتمع الإسلامي ــ وليس أنظمة الحكم ــ تعتقد دون تردد أن تجديد الخطاب الديني في هذا العصر ، يراد به أمراً غير الذي تنبأ به النبي ﷺ بأن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها . فمختلف المحاولات الغربية هي محاولة للسيطرة على العالم الإسلامي وإخضاعه لمنظومة القيَّم التي تتحكم في المجتمع الأوروبي ، وهي بالتأكيد تقضي على تلك الخصوصية التي ميزت الدين الإسلامي ومعتنقيه . وفي هذا المبحث بعض الإجابات عن دوافع وأهداف تجديد الخطاب الديني من منظور الغرب ، ثم تأثير هذه المحاولات على المجتمع الإسلامي وبعض الملاحظات المختلفة حول التجديد .

أولاً : دوافع الغرب في تجديد الخطاب الديني .

يرى الكثير من الباحثين أنَّ للغرب بقيادة أمريكا العديد من الدوافع لتجديد الخطاب الديني ، ومن بين الدوافع الأساسية للقيام بهذه العملية ما نذكره في النقاط التالية :

- **إزالة العراقيل أمام المخططات الاستعمارية :** يقول العقاد :« وقد كانت دعوى الاستعمار قائمة على (رسالة الرجل الأبيض) أو على الأمانة التي اضطلعت بها الحضارة الأوروبية لإصلاح أمم العالم . وما كان في وسع القوم أن يخترعوا هذه الدعوى لو لم تسبقها دعوى مثلها من القارة الأوروبية ، ترمي إلى غاية كهذه الغاية في زمانها ، ونعني بها دعوى الحروب الصليبية . ولقد مضى اليوم عن آخر الحملات الصليبية نحو خمسة قرون ، ولا يمكن أن يقال إنها اختفت من ميادين السياسة أو الدعاية ، ولا تزال لها رجعات تردد طوعاً أو كرهاً في تصريحات الساسة وتعليقات المؤرخين ، كما تتردد حيناً بعد حين في مساعي الجماعات والآحاد »[3]. ورغم مرور الزمن وتوالي الأحداث ، لم تزل « دعوة الدين ودعوة السياسة تتماشيان معاً بعد أن دخل الاستعمار في آخر أطواره بالقارة الأفريقية »[4].

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 96 – 102 .

[2] سورة البقرة ، الآية رقم : 120 .

[3] عباس محمود العقاد : **لا شيوعية ولا استعمار ،** مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص . ص : 52 – 53 .

[4] نفس المرجع ، ص : 54 .

فالغربيون يدركون من خلال معرفتهم بالإسلام ، ومن خلال كذلك الخبرة المكتسبة من احتكاكهم بالمسلمين . أنه لا أمل في نجاح حملاتهم ، أو تحقيق مخططاتهم لنتائجها ، ما دام الإسلام في ميدان المعركة ، رغم ما يمتلكونه من سلاح وعتاد وخبرة تكنولوجية متقدمة ، ويصبح إخراج الإسلام من ميدان المعركة هو شرط أساس لنجاحهم واستقرارهم في بلاد المسلمين . وأكبر دليل على فشلهم في إخراج الإسلام من ميدان المعركة ، هي تصريحاتهم عبر صفحات التاريخ ، التي تدل على العمل من أجل إزالة كل العراقيل التي تواجه بقاء الاستعمار ، حيث « يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على احتلال فرنسا الصليبية للجزائر : " إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون هذا القرآن ، ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم " »[1].

- **نهب الثروات واستغلال الخيرات :** فمنذ استعمار أو قل استدمار البلاد الإسلامية وأوروبا أو الدول الغربية تنهب في خيرات وثروات المجتمع الإسلامي ، فإذا كانت المرحلة التقليدية تطلبت خسارة أوروبا لجيوشها ، فإن هذه المرحلة تريد نهب الخيرات والسيطرة على الثروات بدون خسارة بشرية ، وهي طبيعة الحرب الحديثة التي تقيمها أمريكا باسم الديمقراطية المنقولة جواً أو التغيير على الرؤوس النووية والذرية ، والتخطيط للسيطرة على الحكومات والشعوب . فالمسلمون تحتوي بلادهم الكثير من الكنوز والثروات ، ووجودها عندهم يكون بالنسبة للغرب هاجس كبير ، « فلماذا الصبر عليهم والقبول بتحكمهم ــ أي المسلمين ــ في هذه الثروات ؟ ولماذا لا تقوم أمريكا والغرب معها على الاستيلاء على تلك الثروات تحت أي مسمى من المسميات ؟ لاسيما وأن لهم تاريخاً حافلاً في ذلك ، لقد استعمروا بلاد المسلمين في العصر الحديث قرابة قرن ونصف من الزمان ، نهبوا خلالها ثرواتها ، وأكلوا خيراتها ، وقتلوا رجالها ، بلا أدنى مسوغ غير النهب والسلب »[2].

- **إيقاف مقاومة العولمة والاستمرار في قيادة العالم :** لقد وقف العالم الإسلامي موقف الرافض لنزع الخصوصية الدينية والثقافية والأخلاقية التي تميزه عن بقية العالم ، وبالتالي رفض العولمة ، وهو أمر لا تقبله أمريكا ويحاربه الغرب ، وحتى تستمر العولمة ، وتسيطر الدول الغربية على العالم ، كان لا بد من فرض نسق واحد من الثقافة والاقتصاد والأخلاق ، وهو نسق غربي بامتياز . كما استطاعوا بفضل العامل الاقتصادي ، وبمنظماته المختلفة التي تخدم مصالح الغرب السيطرة على اقتصاديات العالم الإسلامي وجعلها تابعة لها ، في ظل خليط اقتصادي ، سياسي ، ثقافي وديني .

يقول بن شاكر الشريف :« كان لا بد من تحريف (تجديد) الخطاب الديني التي تعني إجراء تغيرات واسعة النطاق في العقيدة والشريعة والثقافة ، حتى يقبل الإسلام أن ينصهر ويذوب في ذلك الخليط الرديء »[3]، وحتى يتمكنوا من إبقاء العولمة والسيطرة على العالم . فهذه السيطرة لها العديد من المتطلبات ، أهمها القضاء على من لديهم عوامل المنافسة ، فهم يدركون أن المسلمين مرشحون لمنافستهم إذا ما حافظوا على دينهم وتميزهم الحضاري والأخلاقي . وهو أمر اعترف ويعترف بهم قادة الغرب دون استثناء . فكانت فكرة تجديد الخطاب الديني تطبيقاً لما يعرف عندهم بنظرية الحرب الاستباقية ، ولكن في مجال الأفكار والنظريات ، وبتغيير الدين أو بعضه .

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 107 .

[2] نفس المرجع ، ص : 110 .

[3] نفس المرجع ، ص : 108 .

- **النظريات الغربية :** يخطئ من يعتقد أن أمريكا والدول الغربية ، ليست لهم فلسفة في السيطرة على العالم بأكمله والعالم الإسلامي على وجه الخصوص ، وليس لديهم فكر يتبعون حيثياته ومبادئه في سياساتهم ، بل إن أمريكا لها فكر ديني ونظرة دينية نابعة من الحروب الصليبية القديمة مدعمة بالكثير من النظريات الحديثة ، مثل : نظرية نهاية التاريخ ، ونظرية صدام الحضارات . فقد أثبتت الولايات المتحدة الأمريكية تبنيها المطلق لنظرية نهاية التاريخ لفوكوياما ونظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنجتون .

فهذان الكتابان يعتبران الخلفية الفكرية ، حيث يعتبران الموجهان الحقيقيان لسياسة أمريكا خاصة والدول الغربية التابعة لها . ففوكوياما في نهاية التاريخ ، وهو الكتاب الأول يقول :« في نهاية التاريخ ليس ثمة منافسون إيديولوجيون للديمقراطية الليبرالية . وقد رفض الناس في الماضي هذه الديمقراطية الليبرالية لاعتقادهم أن الملكية والأرستقراطية والثيوقراطية أو الحكومة الدينية والشمولية الشيوعية وسائر الإيديولوجيات التي اتفق أن آمنوا بها أفضل منها . أما الآن فيبدوا أن اتفاقاً عاماً ــ إلا في العالم الإسلامي ــ على قبول مزاعم الديمقراطية الليبرالية بأنها أكثر صور الحكم عقلانية ، وهي صورة الدولة التي تحقق إلى أقصى حد ممكن إشباع كل من الرغبة العقلانية والاعتراف العقلاني »[1].

يقول عبد الرزاق مقري :« إن قراءة كتاب صدام الحضارات بخلفية ناقدة يجعلنا نستخرج منه أفكاراً مبثوثة في ثنايا المؤَلَّفْ توحي بأن بين أيدينا مخططاً كبيراً لحرب شاملة على الحضارات غير الغربية لخبير استراتيجي فذّ له قدرات عالية واعتزاز كبير بحضارته . وبالرغم من أن الكاتب يريد هذه الحرب باردة يستعمل فيها الغرب المؤسسات الدولية والتحالفات الحضارية لإضعاف من يتصورهم خصوم حضاريين إلا أن تحقيق أهداف هذه الخطة لا يمكن أن يتم إلا عبر حروب حقيقية نشهد بعض فصولها اليوم »[2]، وقد نشهد فصول لها في المستقبل . كما يمكن أن نشهد تواصل محاولة تنفيذ هذه الأفكار والفلسفة بطريقة جديدة متجددة تستهدف على الأقل تجديد الخطاب الديني وتستثني المجتمع الديني .

ثانياً : أهداف الغرب في تجديد الخطاب الديني .

تظهر العديد من الأهداف التي ترنوا الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيقها من خلال حملتها على العالم الإسلامي ، أو من خلال محاولة تجديد الخطاب الديني وفق متطلبات الحضارة الغربية ، ومن أهم هذه الأهداف ما ذكره الأستاذ بن شاكر الشريف في كتابه ، نذكرها مختصرة في النقاط التالية :

- محاولة إفقاد الدين الإسلامي لأهم خصائصه الثابتة ، والعمل على رفع هذه الخصائص لتتناسب والمبادئ العامة للإنسانية ، مثل التسامح والتراحم والأخلاق الحميدة .
- إبعاد مبادئ الدين الاجتماعية والثقافية عن حياة الفرد ، وهي محاولة لإبعاد الدين عن الحياة ، وجعل المجتمع الإسلامي يستمد مبادئه وأسسه من النظام العالمي ومبادئ الحضارة الغربية .

---

[1] فرانسيس فوكوياما : **نهاية التاريخ وخاتم البشر ،** ط 01 ، ترجمة : حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1993 ، ص : 189 .

[2] عبد الرزاق مقري : **صدام الحضارات محاولة للفهم ، أبعاد وأسباب ومآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية ،** ط 01 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع المنصورة ، مصر ، 2004 ، ص . ص : 15 – 16 .

- ضمان عدم عودة الإسلام كدين وكحضارة إلى الواجهة ، لأن كل دراساتهم وباحثيهم والمكلفين بوضع الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية يؤكدون على أن الإسلام الدين الوحيد الذي يهدد كيان الحضارة الغربية في العصر الحاضر لما يملك من مقومات القيادة .
- تمكين المنظمات الدولية والمؤسسات والجمعيات من القيام بعملية تشويه صورة الإسلام والدعوة إلى النصرانية أو اللا دين ، كما يفعل بعض رؤساء وأعضاء العديد من الجمعيات في العالم الإسلامي .
- ضمان استغلال خيرات وثروات العالم الإسلامي بالأسعار التي تحددها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبغير سعر في الكثير من المرات ، بتسليط الشركات العابرة للقارات والمنظمات الدولية .
- محاولة فرض هيمنة الثقافة الأمريكية ، حيث تعتبر هيمنة الثقافة أقوى بكثير من الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وبالتالي إبعاد الدور الذي يقوم به الإسلام في تكوين ثقافة الشعوب المسلمة . فمحاولة تجديد الخطاب الديني بالطريقة الأمريكية تكون إحدى الوسائل وأحد الأهداف التي تصب في هيمنة الثقافة الأمريكية[1].

ثالثاً : تأثير دعوات التجديد على المسلمين .

في ظل هذه المعطيات العالمية ، فإن تجديد الخطاب الديني وأعلامه تأثروا تأثيراً بالغاً بما يحدث في العالم بصفة عامة ، والعالم الإسلامي بصفة أخص ، فمنهم من انغلق على نفسه ورفض بكل حسم التجديد الذي تطالب به الدول الغربية واتهم أبناء جلدته بالعمالة لأنهم لا يزالون يطالبون بالتجديد دون علم أو بعلم ، لما يحمل هذا التجديد الغربي من تهديم للدين والقضاء على الثقافة العربية الإسلامية ، ومنهم من ركب موجة الغرب وأرادها فرصة للقيام بالتجديد وفق متطلبات العصر ، لأن هذه السانحة لا تتكرر ... تفرضها القوة العالمية أمام الضغط الذي تقوم به الحكومات على الحركات والجمعيات الدينية .

ومن بين مخاوف أعلام الخطاب السلفي ــ الفئة الأولى ــ وتسميتهم لتجديد الخطاب بالتحريف ، نتائج العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية ، حيث يذكرون على سبيل الحصر مؤتمر الثقافة العربية الذي تم تنظيمه في القاهرة ، بحضور أكثر من 150 مثقف عربي ، وجاءت نتائجه ــ حسب بن شاكر الشريف ــ على الشكل التالي :

- تحميل الخطاب الديني مسؤولية التخلف العربي في مجال العلم والتكنولوجيا .
- إعادة النظر في المسلمات كلها ، فلا يمكن التجديد في المعرفة انطلاقاً من المسلمات نفسها ، أي إعادة دراسة الدين معرفياً .
- الدعوة إلى الدولة الوطنية التي تستمد شرعيتها من مواطنيها ، ومن انفتاح على العصر الذي نعيشه ، من حق في المواطنة وفق دستور وضعي يحقق العيش الكريم للمواطن .
- إعادة تربية النشء على القيَّم الجديدة ، وتكليف المؤسسات التربوية للقيام بهذا الدور ، اقتداء بالدول التي قامت بالإصلاح الديني مثل : أوروبا واليابان والصين وغيرهم ...

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره** ، ص . ص : 111 – 112 .

- تبني مصطلح العلمانية المؤمنة لحل التعارض القائم بين الدين والتقدم ، وذلك عن طريق الفصل بين الدين والدولة ، حيث تقدم هذه العلمانية تصوراً غير معادٍ للدين .

أما نظرة الفئة الثانية ، التي حملت نفس أطروحات الغرب الليبرالي لتجديد الخطاب الديني ، وترى في هذه النقاط وغيرها أولوية حتى تتم الوثبة المنتظرة والتي لم تتحقق في مختلف مراحل النهضة والإصلاح . لكن تواجه انتقادات وتعليقات غير متناهية من طرف الخطاب السلفي ، ففي نتائج مؤتمر الثقافة العربية يعلق بن شاكر الشريف :« فالخطاب الديني هو الذي منعهم من فتح الكليات العلمية ومراكز البحوث ... والخطاب الديني هو الذي جعلهم ينفقون المبالغ الطائلة على الإنتاج السينمائي والمسرحي ، وعلى لعب الكرة والمباريات ، ولا يوجهون هذه الملايين إلى الإنفاق على مراكز البحث . والخطاب الديني هو الذي يحكم تصرفات الحكام ، وقيادة البلاد من وزراء ومجالس للتشريع ، ومن ثم أثر عليهم في نظرتهم المتشككة في جدوى العلوم الحديثة »[1].

إن الفئة الثانية ترى أن التحامل الأمريكي على العالم الإسلامي منبعه المصالح الاقتصادية التي تحاول السيطرة عليها ، والتي لم تكن لتتحقق لو أقامت الحكومات منذ مدة تجديداً للخطاب الديني على أسس علمية ومعرفية يستفاد منها من التطور العلمي الذي يتجسد في الجانب المادي ، بينما تجديد الخطاب الديني من أجل إعطاء تلك الدفعة الروحية التي يمنحها الدين الإسلامي لمعتنقيه ، حيث يعقد أعلام هذه الفئة مقارنة بين العصور الذهبية ــ القرون الثلاث الأولى ــ أين كان الاجتهاد والتطوير والإبداع مفتوح الأبواب ، وبين الوقت الحالي حيث التقليد الأعمى دون فهم مقاصد الدين ، فكيف للكتب القديمة أن تقدم أجوبة حول عصر العولمة ؟ وكيف لخطاب المقدم للمجتمع الإسلامي أن يؤتي أكله ، وهو لا يزال يقبع في القرن الخامس والسادس الهجري ؟ .

إن هذه الفئة ترى أن تجديد الخطاب ، هو العودة إلى المنبع الممثل في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ، وهي تتفق مع الخطاب السلفي في هذا الموضوع ، لكنها تختلف معهم في التراث ، ونعني بالتراث اجتهادات الفقهاء وعلماء الدين في فترة من الزمن ، اجتهاداتهم ــ تقول هذه الفئة ــ بأنها كانت صالحة لأوضاع اجتماعية مغايرة بكل معنى مغايرة للوقت الراهن .

رابعاً : ملاحظات على دعوات التجديد .

من بين الملاحظات التي يمكن تسجيلها حول المحاولات الغربية لتجديد الخطاب الديني ، أن هذه الملاحظات تعبر عن مدى محاولة الدول الغربية تحريف الخطاب الديني لمصالح سياسية ، اقتصادية في الأصل ، وذات خلفية فكرية ودينية . فقد عبر عن ذلك صراحة بعض الساسة الأمريكيين والأوروبيين على حد سواء ، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، حيث أعلن الرئيس الأمريكي الحرب الصليبية على المسلمين في كل بقاع العالم ، وصرح رئيس وزراء إيطاليا بأنه يجب على أوروبا أن تدافع عن الحضارة الغربية ودعا إلى ضرورة انتصار الغرب على الإسلام ، كما وجه الرئيس الأمريكي تحذيرات إلى دول ما أسماه محور الشر وأن كل الخيارات مطروحة بما فيها الحرب .

---

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 127 .

ومن بين هذه الملاحظات نذكر ما يلي :

- الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني : جاءت مع الحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية خاصة على البلدان العربية والإسلامية ، مما يبين العلاقة الوطيدة لهذه الحرب مع التجديد ، إذ يرتبط بمتطلبات الحرب على العالم الإسلامي .
- ربط تجديد الخطاب الديني بمحاربة التطرف والإرهاب : « فإذا كان تجديد الخطاب الديني عند الغرب يؤدي إلى علاج التطرف والإرهاب ، أي : يمنع أهل البلد من المطالبة بحقوقهم ، ومن مقاومة المحتل لبلادهم ، والقاتل لرجالهم ونسائهم وشيبهم وشبابهم ، علمنا أن تجديد الخطاب الديني في حقيقته تغيير للدين الإسلامي ، لأن الدين الإسلامي لا يمنع أتباعه من مقاومة المحتل ، ولا يأمرهم بطاعته والركون إليه ، بل يأمرهم بجهاد الكفار وقتالهم وإخراجهم من ديار المسلمين »[1].
- تغيير مناهج التعليم والتربية : فقد طالبت الدول الغربية من دول العالم الإسلامي تغيير مناهج التعليم ، الظاهر فيها حتى تواكب التطورات التي يعرفها العالم ، والخفي فيها حذف الكثير من الآيات والمواضيع الدينية ، وحذف بعض المواد التربوية التي تنهل من الدين الإسلامي ، حتى ينشأ التلميذ والطالب جاهلاً بكثير من الأمور عن دينه .
- عقد المؤتمرات والندوات الدولية : حيث يتساءل الكثير من الباحثين من بلدان عربية وإسلامية عن الخلفية الحقيقية لعقد ندوات ومؤتمرات حول تجديد الخطاب الإسلامي في أوروبا وأمريكا ، بدعم من الاتحاد الأوروبي والمنظمات الدولية المختلفة الأممية والمحلية ، التي لا تدين بدين الإسلام .
- ماهية التجديد : يذكر الرافضين لتجديد الخطاب الديني بأن كل الوسائل الثقيلة التي يحتاجها الخطاب الديني حتى يكون مؤثراً هي في يد الحكومات ، أو تحتكره الدولة بمؤسساتها المختلفة ، فوسائل التأثير الثقيلة ، من إذاعة وتلفزيون وجرائد ومجلات ، أضف إليها السينما والمسرح ، ومناهج التعليم ، وحتى خطبة الجمعة ، كلها تحت إدارة أجهزة الدولة الرسمية أو تقوم بمتابعتها . فكيف يضيق الغرب بخطاب زمام أمره بيد حكومات تسيطر عليها ؟ وهل المطلوب تجديد خطاب فئة محدودة معدودة العدد ، لا يكاد يكون لها تأثير في المئات من الملايين ؟ فتجديد الخطاب هذا في ظل هذه المعطيات هو تجديد الدين أو تغييره ، حتى ينتهي الغرب الأوروبي من هذه المسألة برمتها .
- تجديد الخطاب الديني مشروع أمريكي : فالمفاهيم التي تطرح حول تجديد الخطاب الديني بعيدة كل البُعد عن أدبيات ومفاهيم التجديد في العالم الإسلامي ، فالعمل على تقريب دور الدين الإسلامي في حياة العرب والمسلمين من دور الدين النصراني في حياة الغرب العلماني ، هو تحويل الإسلام عن وجهته في توجيهه للمسلمين وقيادتهم وفق تشريعاته إلى أن يكون قريباً من الدين النصراني ، أي وضع صورة طبق الأصل لما حدث في الغرب النصراني وتحرره من الكنيسة الظالمة ، وهو ما يرفضه حتى العلمانيين العرب الذين يرون أن التطور الأوروبي كان وفق تطورات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية لا تتوفر في العالم العربي والإسلامي الآن .
- المواضيع المعنية بالتجديد : من بين الملاحظات حول دعوات تجديد الخطاب الديني ، هي المواضيع المقترحة للتجديد ، فأغلب المواضيع المقترحة للتجديد ، هي التي تمثل الخصوصية التي يتميز بها الإسلام عن غيره من الديانات

[1] محمد بن شاكر الشريف : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 135 .

السماوية المحرفة أو الديانات الوضعية ، مثل : البنية الفكرية للمسلمين وتعاملهم مع الخارج ، الجهاد في سبيل الله ، الولاء والبراء ، بالإضافة إلى المواضيع التي تخص البنية الداخلية للمجتمع الإسلامي ، مثل : تبرج المرأة وحجابها ، اختلاطها الفاضح مع الرجال ، مساواة المرأة في المواريث ، الربا والمعاملات المالية ، فهذه الموضوعات وما يشبهها هي التي يحاول التجديد الحديث عنها ، ومحاولة تطويعها وتطويع أحكامها حتى تكون مثل الرؤية الغربية أو النصرانية .

خلاصة الفصل :

إن تجديد في الخطاب الديني أو التجديد في الدين بحد ذاته ، هو تصحيح المفاهيم ووضع تحديد كامل متكامل لها ، ثم إيقاظ ما ضعف من همم المسلمين ، والعمل على إعادة تشكيل وبناء وعي إسلامي حضاري قوامه العقل ، يدعو من خلاله الخطاب الديني المجتمع إلى جوهر الدين وحقيقته ، وعدم تقوقع أفراد المجتمع في تابوت التاريخ . كما أن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني تقتضيها تقادم الزمان وبُعد المجتمع عن مصدر الوحي ، وهو ما يؤدي إلى اندراس كثير من معالم الدين وبالتالي اندراس معالم الخطاب الديني ، فيعيش المجتمع في ظل اتساع رقعة الفساد وتفشي مظاهر الانحراف والبدع والضلالات ، عندها تكون الحاجة أكثر من ضرورية إلى التجديد وبروز معالم الخطباء أو المجددين الذين يعيدون تقديم الدين والخطاب الديني كما تم إنزاله في عهده الأول .

لقد قصدنا بمراحل تجديد الخطاب الديني ، تلك المراحل التي مرت بها عمليات التجديد ، بصفة إيجابية كما يرى المتفاعلون بها ، أو بصفة سلبية كما يرى الذين يعتقدون أنها مراحل حاولت السيطرة على الخطاب الديني الإسلامي باسم متطلبات العصر . فكثير منهم يعتقد أن مطالب تجديد الخطاب الديني لم تكن وليدة قناعات داخلية ، أي من المجتمع الإسلامي ، بل كانت وفق طلبات خارجية ، تسعى إلى تهديم الإسلام ونزع العديد من الثوابت والمميزات التي تميزه عن غيره من النُظم ، وتعطيه الخصوصية التي تفتقدها الديانات الأخرى (سماوية أو وضعية) .

تطرقنا إلى علاقة الدول الغربية بتجديد الخطاب الديني ، فعندما نريد التحدث عن تجديد الخطاب الديني في هذا العصر ، يراد به أمراً غير الذي تنبأ به النبي ﷺ بأن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها . فمختلف المحاولات الغربية هي محاولة للسيطرة على العالم الإسلامي وإخضاعه لمنظومة القيَّم التي تتحكم في المجتمع الأوروبي ، وهي بالتأكيد تقضي على تلك الخصوصية التي تميز الدين الإسلامي ومعتنقيه .

من بين الملاحظات التي يمكن تسجيلها حول المحاولات الغربية لتجديد الخطاب الديني ، أن هذه الملاحظات تعبر عن مدى محاولة الدول الغربية تحريف الخطاب الديني لمصالح سياسية ، اقتصادية في الأصل ، وذات خلفية فكرية ودينية . فقد عبر عن ذلك صراحة بعض الساسة الأمريكيين والأوروبيين على حد سواء ، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 .

الفصل الثامن :

المساجد في الإسلام

تمهيد .

المبحث الأول : تعريف المسجد في الإسلام .

المبحث الثاني : هيئة المسجد وإدارته .

المبحث الثالث : مكان المسجد ومكانته .

المبحث الرابع : مهام المسجد في الإسلام .

خلاصة الفصل .

الفصل الثامن : المساجد في الإسلام

تمهيد :

« للمسجد مكانة عُظمى وأهمية بالغة الأثر ، فهو مكان لا غنى للمسلمين عنه ، فهو محل أداء شعائرهم التعبدية من الصلاة والاعتكاف ، وقراءة القرآن ، وذكر الله تعالى ، وهو منطلق الهداية والتوجيه ، وميدان العلم والتعليم وينبوع العلم والمعرفة ، ومنبت التربية والتثقيف ، وهو النور المشع في قلوب المؤمنين ، وهو ميدان تخريج العلماء والأبطال والقادة والمفكرين ، وهو ساحة التقاء المسلم بأخيه المسلم على منهج الله تعالى »[1]، بل إن أهمية المسجد في حياة المجتمع الإسلامي تظهر من خلال الوظائف الكبرى التي يقوم بها ، ويعتبر الحامل لهذه الوظائف ، ولهذه المهام السامية والنبيلة دون شك الخطاب الديني .

فالمسجد هو المؤسسة الدينية الأولى دون منازع التي يستعملها الخطاب الديني لتبليغ رسالته والوصول بها إلى كل شرائح المجتمع ، فهو لا يقتصر على فئة دون فئة ، فهو يستقطب الشاب ، فالكهل فالشيخ الهرم الطاعن في السن ، يستقبل التاجر ، الفلاح والمقاول ورجل الأعمال ، يستقبل الغني والفقير وميسور الحال ، يلج إليه الجاهل ، والمتعلم وصاحب الفكر والأستاذ ، يدخله الناس على اختلاف المشارب والمناهل الفكرية والعقائدية وأصحاب الطرق وغيرهم كثير ... لذلك كان لأهمية الخطاب الديني المقدم إلى كل هؤلاء من الأهمية بما كان ، وهو موضوع هذه الدراسة .

وحتى نبيّن مدى الأهمية المفصلية للمسجد ، كان هذا الفصل الذي حمل بين طياته العديد من النقاط ، ضمن أربعة مباحث أساسية ، حيث ضم المبحث الأول مختلف أنواع التعاريف اللغوية والشرعية ، وكيف اهتمام القرآن الكريم بالمسجد ، وكم من مرة ذكر فيها وبأي الطرق تم ذكره ، إلى اهتمام خير الخلق كلهم ﷺ ، وكيف أعطى المسجد وكيف تم وضعه في سياق تفسير وشرح المحتويات التي جاء بها القرآن الكريم . أما المبحث الثاني ، فخصصناه لهيئة المسجد وإدارته ، أي الحديث عن المكونات البشرية التي تقوم وتسهر على السير العادي للمسجد ، وذلك من أجل توضيح العناصر التي سوف نجدها في الجانب الميداني للدراسة ، انطلاقاً من الإمام الأستاذ الرئيسي إلى القيّم على أمور المسجد .

في المبحث الثالث فقد تطرقنا إلى مكان المسجد ومكانته في المجتمع ، وكيف يؤثر بذلك الخطاب الديني على أفراد المجتمع ، وكيف ينتقل بهم من جملة العناصر المكونة للخطاب إلى أفعال تؤثر وتتأثر بالواقع الاجتماعي . أما المبحث الرابع والأخير ، فتم تخصيصه لمهام المسجد في الإسلام ، حيث شمل أربع نقاط ، وهي : أداء الصلاة ، وتأثير هذه المهمة على الخطاب الديني ، التربية والتعليم ، وهي عملية مهمة في حياة أفراد المجتمع ، مثلها مثل مجالس الذكر وأخيراً الحلقات العلمية ، وكلها مهام يقوم بها المسجد ، أو خطيب المسجد تؤثر الأثر البليغ على سلوك المسلم ولها تأثيراتها على المجتمع .

---

[1] محمد حسن نوبي : **عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة ،** ط 01 ، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2002 ، ص : 16 .

المبحث الأول : تعريف المسجد في الإسلام .

أولاً : تعريف المسجد في اللغة .

المسجد كلمة مأخوذة من الفعل سجد ، والمسجِد والمسجَد ... الذي يسجد فيه ، وكل موضع يعبد فيه . والمسجد من الأرض موضع السجود نفسه . « وعلى هذا يكون المسجد ليس له صفة معينة ، أو محل مخصوص ، وإنما هو عام في كل مكان يسجد فيه من الأرض ، وهذا من خصوصية أمة محمد ﷺ »[1]. وهو التعريف تقريباً الذي أجمعت عليه كل المعاجم اللغوية . فالمسجِد ، (بالكسر) هو مكان السجود ، أو الموضع الذي يضع عليه الإنسان جبهته ساجداً ، فكانت « المسجَد (بالفتح) جبهة الرجل حيث يصيبه السجود »[2].

والعلامة بن منظور يقول :« والمِسْجَدُ والمِسْجِدُ : الذي يسجد فيه ، وفي الصحاح : واحد المساجد ، وقال الزجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مَسْجِدٌ ... والمسجِدُ (بكسر الجيم) ، والمساجد جمعها ، الآراب التي يسجد عليها .. والمسجدان : مسجد مكة ومسجد المدينة شرفهما الله عزَّ وجلَّ ... والمسجدة والسجادة : الخمرة المسجود عليها والسَّجَّادةُ : أثر السجود في الوجه أيضاً . والمسجَدُ بالفتح : جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود »[3].

وخلاصة القول أن المسجد هو « الموضع الذي يسجد فيه من الأرض ، فالأرض كلها مسجد (عدا مسجد الضرار وكذا كل مكان ورد فيه نهي خاص) ... وقد كان في الأمم السابقة وصفاً مشتقاً لمكان السجود ، ثم أصبح علماً في الإسلام على الموضع الذي يحاط بالجدران وتؤدي فيه الجماعات المسلمة الصلوات الخمس كل يوم ، وصلوات الجُمع والعيدين »[4]. فسمي مسجداً لما في الصلاة من سجود ، أي وضع الجبهة على الأرض ، « أو لأن الصلاة خضوع وخشوع وانقياد : وسجد يسجد سجوداً : خضع وانقاد »[5]لأوامر الله تعالى ، وسار وفق المنهج المرسوم ، يحمله خطاب له خصائصه وله تأثيراته ، لأنه صادر من مكان انفرد الله تعالى به وجعله بيتاً له في هذه المعمورة (بيت الله) .

ثانياً : تعريف المسجد شرعاً أو في الاصطلاح .

المسجد في الشريعة ، هو كل موضع طاهر من الأرض . ليس فيه نجاسات لقول النبي ﷺ :« جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل »[6]. وهذه من خصائص الأمة الإسلامية : الصلاة في أي مكان من الأرض إلا ما يُتحقَّق من نجاسته . ويعتبر تعريف الأستاذ علي الطنطاوي من بين التعاريف الأكثر شمولاً للمسجد ، حيث يقول :« المسجد هو المعبد في الإسلام ، وهو البرلمان ، وهو المدرسة ، وهو النادي ، وهو المحكمة ، يَدَع المسلمين أحقادهم ومطامعهم وشرورهم وفسادهم على الباب ، ويدخلون إليه بقلوب متفتحة للإيمان منطلقة إلى

---

[1] بركة الطلحي : **الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر** ، رسالة ماجستير في الدعوة ، تحت إشراف : يوسف أمين أحمد ، قسم الدعوة والاحتساب ، كلية الدعوة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، 1994 ، ص : 18 .

[2] محمد بن عبد الله الزركشي : **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ، ط 05 ، تحقيق : مصطفى المراغي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، مصر ، 1999 ، ص : 26 .

[3] العلامة ابن منظور : **مرجع سبق ذكره** ، المجلد الرابع ، باب السين ، ص . ص : 496 – 497 .

[4] محمد بن أحمد الصالح : **المسجد جامع وجامعة** ، ط 01 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2000 ، ص : 17 .

[5] نفس المرجع ، ص : 17 .

[6] محمد ناصر الدين الألباني : **مختصر ... مرجع سبق ذكره** ، ص : 124 .

السماء متحلية بالخشوع ، ثم يقومون صفاً واحداً يستوي فيه الكبير والصغير ، والأمير والحقير ، والغني والفقير ، أقدامهم متراصة وأكتافهم متزاحمة ، وجباههم جميعاً على الأرض ، يستوون في شرف العبودية »[1].

فالمسجد هو مكان عبادة الله تعالى ، حيث يتم فيه أداء الصلوات المفروضة لتلتقي فيه كل فئات المجتمع ، وكل مكوناته على اختلاف المناهج والمناهل لأداء الفريضة التي هي أساس الإيمان وعموده ، لكنه يشتمل على العديد من الوظائف المهمة والسامية ، يقول علي الطنطاوي وغيره من علماء الإسلام ودعاته ، فهو إلى جانب أنه مكان العبادة ، برلمان الأمة ، إذا ما حلَّ طارئ نودي للصلاة ، حيث يتم في المسجد انتخاب الخليفة ، وفيه تتم المبايعة على الطاعة والإتباع ، وفيه يتم البحث عن القوانين التي تسيّر أمور المجتمع والتي تعلن للناس . وهو كذلك المحكمة العادلة التي تحكم بين الناس بالعدل . وهو النادي الذي يزوره الأمير أو الوالي أو المسؤول عند قدومه ، أو بعد تعيينه على تلك الإمارة أو الولاية ، من على منبره يعلن سياسته وطريقة تسييره لأمور البلاد والعباد . وهو المدرسة الذي وضعت أسس الثقافة والتربية الإسلامية ، منه تخرج الرعيل أو الجيل الأول ، ومنه دفعت الأمة الإسلامية بأكثر القادة قدوة ومثالاً عبر التاريخ .

فالمسجد في الدين الإسلامي ، هو ذلك المكان المقدس الذي ينطلق فيه الخطباء بتأدية الخطاب الديني ، واضعين نصب أعينهم تحقيق الأهداف المرجوة أو المسطرة ، انطلاقاً من المبادئ العامة والأحكام الكلية الموجودة في آيات القرآن الكريم ، ثم اقتداءً بسيرة النبي ﷺ ، الذي جعل من المسجد المنطلق الفعلي أو العملي في مختلف الأمور التي يريدها أو يعيشها المجتمع الإسلامي . فلم يكن المسجد في الإسلام مكان أداء الصلوات ، بل كان القائد السياسي والاقتصادي والمرشد الديني ، والمكوّن لرجال الدين والفكر والسياسة . وهذا ما أعطاه تلك القدسية والمكانة بين أبناء المجتمع . أضف إليها العناية الربانية التي رفعت من مكان دنيوي ، إلى تسميته ببيت الله تعالى في الأرض .

كما أن المسجد عرف مع التطورات التي عاشتها وتعيشها البشرية عدّة تغيرات ، فانفصلت عنه العديد من المهام التي كانت تميزه في بداية الرسالة ، فانفصل عنه نظام الحكم ، إذ أصبح له مكان خاص به ، وانفصلت عنه العدالة أو القضاء ، حتى التربية والتعليم أصبح لها أماكن ، هي المدارس والثانويات والجامعات . لكن هذا لا يعني أن المسجد أصبح دون مهمة ، فأفراد المجتمع ــ رغم هذا التفرع في التخصصات ــ لا يمكنه الاستغناء على مدرسة رائدة في التربية الوجدانية والتعبئة الروحية التي لا يمكن إيجادها في أي مكان آخر .

أما في الجزائر فقد حدد المرسوم التنفيذي رقم : 91 – 81 المؤرخ في 23 مارس 1991 ، المتعلق ببناء المسجد وتنظيمه وتسييره وتحديد وظيفته ، تعريف المسجد في المادة الأولى ، والتي جاء فيها :« المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم ، وتلاوة القرآن الكريم ، والاستماع إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . ولا يؤول أمر المسجد إلى فرد أو جماعة أو جمعية ، وإنما أمره إلى الدولة المكلفة شرعاً والمسؤولة عن حرمته وقداسته واستقلاليته في أداء رسالته الروحية والتعبدية والتعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية »[2]. والمسجد وقف عام ، سواء تم بناؤه من طرف الدولة أو الجماعات أو الأشخاص الطبيعيون أو المعنيون .

---

[1] أبو حذيفة إبراهيم بن محمد : **آداب المسجد** ، ط 01 ، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع ، طنطا ، مصر ، 1989 ، ص : 06 .

[2] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 16** ، الصادرة بتاريخ : 10 أفريل 1991، السنة 28 ، المادة 01 ، ص : 536 .

ثالثاً : المسجد في القرآن الكريم .

تظهر أهمية المسجد من خلال عدد المرات التي وردت في القرآن الكريم ، حيث جاء ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام في (28) ثمانية وعشرون مرة ، وبلفظ البيت تم ذكرها (17) سبعة عشر مرة ، وباسم مقام إبراهيم ومصلى (01) مرة واحدة ، وبلفظ بيوت دلالة على المساجد كذلك (01) مرة واحدة ، وذلك حسب المناسبة التي وردت فيها ، وفيما يلي بيان بعض الآيات التي تحدثت عن المسجد بمختلف صفاته وصيغه .

1 . المسجد الحرام والبيت الحرام :

يقول تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَمَاءْ فَلَنُوَلِّيَنَكَ قِبْلَّةً تَرْضَاهَا فَوَلِ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدَ الحَرَام وَحَيْثُ مَا كُنتُم فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الذِيْن أُتُوا الكِتَاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] . ويقول : ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدَ الحَرَامْ وَإِنَّه لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونْ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِ وَجْهَكَ شَطْرَ الَمَسْجِدِ الحَرَامْ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُوْا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئِلاَ يَكُونُ لِلْنَاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلاَ الذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِّمَ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَكُمْ تَهْتَدُونْ** ﴾[2] .

فالمكان في حد ذاته لا قيمة له ، بل القيمة الحقيقية في الوظيفة التي اختير لأجلها ، وهو ما يؤكده سيد قطب ، حين يقول :« إن المشرق لله والمغرب لله . فكل متوجه فهو إليه في أي اتجاه ، فالجهات والأماكن لا فضل لها في ذاتها . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . فإذا اختار لعباده وجهة ، واختار له قبلة ، فهي إذن المختارة . وعن طريقها يسيرون إلى صراط مستقيم ... بذلك يقرر حقيقة التصور للأماكن والجهات ، وحقيقة المصدر الذي يتلقى منه البشر التوجهات ، وحقيقة الاتجاه الصحيح وهو اتجاه إلى الله في كل حال »[3]، لأن الحديث المهم سيكون بعد ذلك عن المهمة التي حظيت بها هذه الأمة ، ووظيفتها الضخمة في هذا الكون ، وعن مكانتها بين هذه الأمم والشعوب ، « وعن دورها الأساسي في حياة الناس ، مما يقتضي أن تكون لها قِبلتها الخاصة ، وشخصيتها الخاصة وألا تسمع لأحد إلا لربِّها الذي اصطفاها لهذا الأمر العظيم »[4] .

يقول تعالى : ﴿ **يَأَيُهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشَهْرَ الحَرَامَ وَلاَ الهَدْيَ وَلاَ القَلاَئِدَ ولاَ آمِينَ البَيْتَ الحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى البَرِّ وَالتَقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾[5] . ويقول : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾[6] .

---

[1] سورة البقرة ، الآية رقم : 144 .

[2] سورة البقرة ، الآيتان رقم : 149 – 150 .

[3] سيد قطب : **في ظلال القرآن ،** ط 32 ، المجلد الأول ، ج 02 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص : 130 .

[4] نفس المرجع ، ص : 130 .

[5] سورة المائدة ، الآية رقم : 02 .

[6] سورة البقرة ، الآية رقم : 158 .

2 . المسجد والمساجد والبيوت :

يقول تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** ﴾[1] .

ويقول : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ، إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾[2] .

يقول أيضاً : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[3] . ويقول : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[4] .

ويقول : ﴿ **وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[5] . فالبيوت التي أذن الله أن ترفع فيه اسمه هي بيوت « مرفوعة قائمة ، وهي مطهرة رفيعة . يتناسق مشهدها المرفوع مع النور المتألق في السموات والأرض ــ النور المذكور في الآيات التي قبلها ــ . وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السُني الوضيء . وتتهيأ بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله ... وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة ، المسبحة الواجفة ، المصلية الواهبة . قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة »[6] .

فإذا كانت التجارة والبيع لتحصيل الكسب والثراء فإنها لا تشغلهم عن أداء الصلاة وأداء حق العباد في الزكاة ، وهي صورة تشمل الخطاب الرباني الذي يجب أن يمثله الخطاب الديني ويسعى على تحقيقه بين أفراد المجتمع الإسلامي .

رابعاً : المسجد في الحديث النبوي الشريف .

يوجد الكثير من الأحاديث النبوية التي تبيّن أهمية ودور المسجد في حياة المجتمع والأمة ، وأثرها في الفرد ، وفي المجتمع على حد سواء ، وقد خصص معظم الرواة المعروفين باب في كتبهم للمسجد ، حيث جاء بعنوان : كتاب

---

[1] سورة الكهف ، الآية رقم : 21 .

[2] سورة التوبة ، الآيات رقم : 17 – 18 .

[3] سورة البقرة ، الآيات رقم : 114 – 115 .

[4] سورة البقرة ، من الآية رقم : 187 .

[5] سورة الأعراف ، الآيات رقم : 29 – 31 .

[6] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الرابع ، ج 18 ، ص : 2520 .

المساجد ومواضع الصلاة ، أوردت معظم الأحاديث بمساندها ، من أهم مسجد في الوجود ، إلى أخلاق المسلم في المسجد وغيرها ، إذ لا نستطيع أن نورد كل الأحاديث ، لكننا سنقف على البعض منها ، من رأينا أنه سيخدم الإطار العام للدراسة ، ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة نذكر على سبيل الحصر ما يلي :

يقول البخاري في صحيحه :« كان سقف المسجد من جريد النخل . وأمر عمر بن الخطاب ببناء المسجد وقال : أكِنَّ الناس من المطر ، وإياك وأن تحمِّر أو تصفِّر فتفتن الناس ، وقال أنس يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً . وقال ابن عباس : لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود والنصارى »[1]. فالمسجد « كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللَّبِنِ وسقفه من الجريد وعَمَدَه من خشب النخل »[2]. وذكر التبريزي في هذا الموضوع العديد من الأحاديث النبوية منها ، « قال رسول الله ﷺ : أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها . وقال : من بنى لله مسجداً ، بنى الله له بيتاً في الجنَّة . وقال رسول الله ﷺ : سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال ، إني أخشى الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[3].

وذكر مسلم بن الحجاج في صحيحه كذلك العديد من الأحاديث منها :« قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهنَّ أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيّبة طهوراً ومسجداً ، فأيّما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة »[4]. وفي سنن النسائي :« أن النبي ﷺ قال : حين يخرج الرجل من بيته إلى مسجده ، فرِجْلٌ تكتب حسنة ، ورِجْلٌ تمحو سيئة »[5]. وفي سنن أبي داود :« أن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد »[6].

وفيما يدل على أهمية المسجد كمركز إشعاع علمي ، روحي وثقافي وحتى اجتماعي ، ما كان يحض عليه ويدعو له رسول الله ﷺ ، خاصة في المشي إلى المسجد والتواجد به ، والتفرغ لفهم الخطاب المقدم من طرف القائمين عليه ، فقد ذكر الترمذي في سننه :« قال رسول الله ﷺ : إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، ولكن ائتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا »[7].

---

[1] محمد البخاري : **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ،** ط 01 ، ج 01 ، شرح وتحقيق : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، مصر ، 1979 ، ص : 160 .

[2] نفس المرجع ، ص : 162 .

[3] محمد الخطيب التبريزي : **مرجع سبق ذكره ،** ج 01 ، ص . ص : 220 – 221 .

[4] أبي الحسين مسلم ابن الحجاج : **مرجع سبق ذكره ،** ج 01 ، ص . ص : 370 – 371 .

[5] أحمد بن شعيب النسائي : **سنن النسائي ،** ط 01 ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) ، ص : 118 .

[6] سليمان أبي الأشعث أبي داود : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 84 .

[7] محمد بن عيسى الترمذي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 91 .

فالمسلم ، ولقدسية المكان وأهميته مطالب بالحضور في سكينة وهدوء ووقار ، لأنه يكره أو لا يستحب الإسراع في السير ، وفضل بعد الصلاة البقاء في المسجد ، فأعطاه الله فضلاً وأعطى القائم بذلك أجراً . « قال رسول الله ﷺ : لا يزال أحدكم في صلاة ما دام ينتظرها ، ولا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في المسجد : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يحدث »[1].

خامساً : أنواع المساجد في الإسلام

1 . المسجد :

منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والذي يعتبر « أول من أمر ببنائها (أي المساجد) ، فقد كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، كما كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة ، وإلى عمر بن العاص وهو على مصر ، فانتشرت مساجد الفروض الخمسة بجانب المساجد الجامعة »[2]. فالمسجد بهذه الصفة لخدمة سكان حي من أحياء المدينة ، يتوقف حجمه واتساعه على عدد سكان هذا الحي ، حيث يمكن أن تتم فيه صلاة الجمعة ، له إمام خاص (خطيب) وله مؤذن ولجنة تسهر على تطويره وصيانته ليكون مركز إشعاع علمي وديني وثقافي .

وعلى هذا الحال عرف العالم العربي والإسلامي تطور المساجد ، وتطور أشكالها وزخرفتها وحتى تسميتها ، إذ أصبحت مثلاً في الولايات الثلاث محل الدراسة (الجزائر العاصمة ، وهران وقسنطينة) ، لكل حارة ، أي أقل من حي مسجداً ، بل قد يتعدى الأمر ذلك ، ففي كل شارع كبير مسجد تقام فيه صلاة الجمعة وصلاة العيدين ، يضاف إلى ذلك ، مع تطورات العصر وانتقال المسجد إلى المشاركة في الحياة الثقافية ، التعليمية والروحية إلى خلق العديد من النشاطات والدروس المناسباتية التي يساهم فيها الإمام (مهما كانت درجته الوظيفية) ، خاصة الأستاذ الإمام الرئيسي .

2 . المسجد الجامع :

إن المسجد الجامع « من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية ، لما له من دور أساسي في حياة مجتمعها . فبالإضافة إلى وظيفته الدينية كان مركزاً لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والاجتماعية . ففي المسجد استقبل الرسول عليه السلام سفراء الدول لتنظيم علاقاته بدولهم ، وفيه كان يخطب في جماعة المسلمين وينظم شؤونهم ويعلمهم أمور دينهم »[3]. وبنفس الطريقة سار بعده الخلفاء الراشدين ، يستعملون منبر المسجد للإعلان على مختلف المستجدات المحلية والدولية ، التي تخص تسيير الأمة والتي تتعلق بأمور الجهاد وغيرها ...

أما في الجزائر ، فالأمر تعدى ذلك مع التطورات التي عرفها المجتمع ، سواء من حيث العدد ، أو من حيث التطور الاجتماعي ، فأصبح يوجد المسجد الجامع في كل حي من أحياء المدن الكبرى وحتى المتوسطة ، إذ تجد في بلدية واحدة ، من سبعة إلى عشرة مساجد ، ويمكن أكثر من ذلك ، كلها لها صفة المسجد الجامع ، يقام فيها الصلوات

---

[1] محمد بن عيسى الترمذي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 92 .

[2] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 15 .

[3] محمد عبد الستار عثمان : **المدينة الإسلامية ،** سلسلة عالم المعرفة ، العدد 128 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أوت 1988 ، ص : 210 .

الخمس ، صلاة الجُمع وصلاة العيدين ، وتحتضن العديد من النشاطات المناسباتية ، خاصة في شهر رمضان الفضيل ، لأن الاعتبارات التي تحدد بناء المساجد في الجزائر تجعل من الكثافة السكانية أول الاعتبارات ، وهو ما يجعل تواجد في نفس الحي من بلدية ذات كثافة سكانية معتبرة أكثر من مسجد جامع ، مثل : المدينة الجديدة ــ علي المنجلي ــ بولاية قسنطينة ، فرغم أنها تابعة إدارياً إلى بلدية الخروب ، إلا أن بها أكثر من عشر مساجد جامعة ، ما بين ما تم إنجازه وفيها ما هو في طور الإنجاز .

بالإضافة إلى ذلك ، فالمساجد حسب القانون الجزائري يصنفها إلى ثلاثة أنواع ــ غير التي ذكرناها ــ ، ونوردها وفق الترتيب الذي جاء في المرسوم التنفيذي رقم : 91 – 81 المؤرخ في 23 مارس 1991 ، والمتعلق ببناء المساجد وتنظيمها وتسييرها وتحديد وظيفتها . أولاً : المساجد الأثرية ؛ وهي المساجد التي لها مميزاتها التاريخية وأثرها الحضاري ، وتصنف بقرار وزاري مشترك بين وزير الشؤون الدينية والأوقاف والهيئات المكلفة بحماية الأماكن والآثار التاريخية . ثانياً : المساجد الوطنية وهي المساجد الكبرى ذات الهندسة المعمارية المتميزة ، والمصنفة بقرار من وزير الشؤون الدينية والأوقاف ثالثاً : المساجد المحلية ؛ هي تلك التي لا تصنف ضمن النوعين السابقين[1].

المبحث الثاني : هيئة المسجد وإدارته .

أولاً : ترابط المساجد .

والمقصود بترابط المساجد هو :« أن تتحد المساجد بعضها مع البعض الآخر في كل النواحي الإدارية وغير الإدارية ، وأن تتضافر جهود القائمين على شؤون المساجد بالأقطار الإسلامية في وحدة شاملة كاملة بتوافق الحب والإخلاص ، حتى تخرج رسالة المسجد في أروع صورها ، وبالتكاتف والتفاني في العمل »[2]، وليس معناه إلغاء استقلالية المساجد ، أو استقلالية تسييرها الإداري ، بل إن هذا الترابط الهدف منه تأسيس ارتباط بين أئمة المساجد وخطبائها ، ومن أجل توحيد الرؤى وتوحيد الخطاب الديني الذي يقدم إلى أفراد المجتمع .

من بين أهم العوامل التي يقوم عليها ترابط المساجد في الجزائر ، ترابط غير مركزي ، تبقى الحرية فيه لأئمة المساجد وخطبائها في كل ولاية ، أو في كل بلدية ، ــ من بين أهم العوامل ــ تلك النشاطات الدائمة التي تقوم بها الوصاية لصالح الأئمة والخطباء بمشاركة أهل الاختصاص . كما يسقط هذا الترابط على أفراد المجتمع عند التقائهم في رحاب المسجد لأداء الصلوات (خمس مرات في اليوم) ، أو المناسبات الأسبوعية (صلاة الجمعة) ، أو في المناسبات الموسمية (صلاة العيدين) ، ويكون ذلك الترابط من خلال توحيد ما يتلقاه أفراد المجتمع .

من بين مظاهر ترابط المساجد ، هو ترابط أفراد المجتمع وانسجامهم جميعاً في أسرة كبيرة ، انسجام يتأتى من توحيد الخطاب الديني ــ ليست توحيد الصياغة ، بل توحيد المحتوى ، وتوحيد المنهل ــ ، وتوحيد المرجعية ، حتى تكون هذه المرجعية عنصراً من عناصر الهوية وتعريف الشخصية . فالتزام الوصاية بالمرجعية المالكية كإطار ديني لا تتسامح فيه ، سواء من حيث التكوين المقدم للخطباء في المدارس ومعاهد تكوين الإطارات الدينية ، أو في المراقبة الدائمة لنشاط

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 16** ، الصادرة بتاريخ : 10 أفريل 1991، السنة 28 ، المادة 03 ، ص : 536 .

[2] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص . ص : 10 – 11 .

الأئمة . فتذكير المصلين ، أو حتى الخطباء والأئمة بالمساجد بالمعاني السامية للترابط بين أفراد المجتمع الواحد ، تبقى من الضروريات والأولويات التي تسعى إلى تحقيقها الوصاية ، ويسعى إليها القائمون على أمور التثقيف الديني وتكوين وتربية أفراد المجتمع ، ولعل هذا الترابط الذي يحدث بين المساجد من أهم وسائله .

ويكون الترابط بين هذه المساجد ، كما هو معمول به في مساجد الجزائر من خلال اللجان الدينية ــ إن هي وجدت ــ والإمام أو الخطيب (مهما كانت رتبته) بصفته المسؤول الأول على تسيير أمور المسجد ، حيث تكون هذه اللجان تحت وصاية (المعتمد) الممثل الرسمي لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف على مستوى الحي أو المدينة ، أو حتى الشارع إن تعددت به المساجد ، حيث أنه « من صالح العمل أن تترابط هذه اللجان بعضها مع بعض بطريقة أو بأخرى حسب طبيعة الأعمال والمهام الموكلة إليها ، و حسب ما يراه أعضاء هذه اللجان حتى يعمل الجميع بتوافق وانسجام في وحدة شاملة كاملة ليخرج العمل في أروع صوره »[1].

ثانياً : انتشار المساجد .

لم تكن أبداً ظاهرة انتشار المساجد في العالم العربي والإسلامي وليدة الصدفة ، بل هو من الآثار الإيجابية لمختلف السياسات التي أقيمت في هذه البلاد ، انطلاقاً من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث كان أول من أمر بتشييد المساجد وبنائها والاهتمام بها ، سواء للصلوات الخمس ، أو المساجد الجامعة التي كانت تصلى فيها صلاة الجُمع والأعياد ، « ولقد انتشرت المساجد انتشاراً كبيراً جداً في أنحاء العالم الإسلامي وقام الخلفاء والأمراء والأثرياء والعلماء والفقهاء طوال قرون مضت ، ببناء المساجد في كل مدينة وقرية ، انطلاقاً من دعوة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وفعل الخير الكامن في النفوس ، لتعمير المساجد وبنائها وتكريمها ، والاهتمام بها لارتباطها أيضاً بالشعور الديني »[2].

وعلى هذا جاءت سياسة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف من أجل انتشار لا مثيل له للمساجد عبر كامل التراب الوطني ، فقد ذكرنا بعض الاعتبارات أو المقاييس لبناء وتشييد المساجد ، منها الكثافة السكانية التي تعتبر المقياس الأول الذي يؤخذ بعين الاعتبار ، ثم طلب المواطنين المتبرعين أو المحسنين لبناء المساجد ، والجدول التالي يبين عدد المساجد في كل ولاية من الولايات المدروسة .

المساجد / الولاية	المساجد المنجزة	في طور الإنجاز	المجموع
الجزائر العاصمة	604	70	**674**
وهران	511	134	**645**
قسنطينة	279	83	**362**
المجموع	**1394**	**287**	**1681**

الجدول رقم 01 : يبيّن انتشار المساجد في الولايات المدروسة .

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 15 .

[2] نفس المرجع ، ص : 35 .

هذه الأرقام تبيّن العدد الهائل للمساجد في الولايات المدروسة ، وتبيّن كذلك الانتشار الهائل لعدد المساجد ، وهي الملاحظة التي أكد عليها مختلف المسؤولين الذين تحدثنا معهم في مقر وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، حيث تم التأكيد بأنه توجد ولايات أخرى من ولايات الوطن يوجد بها عدد أكبر من هذا العدد بكثير . فبعملية حسابية بسيطة ومجردة ، دون الدخول في خصوصيات كل بلدية من حيث الكثافة السكانية وعدد المساجد ، فإن ولاية الجزائر العاصمة يوجد بها أكثر من 10 مسجد منجز ، وأكثر من مسجدين (02) مسجد في طور الإنجاز . أما ولاية وهران بها في كل بلدية أكثر من 19 مسجد منجز حسابياً ، وأكثر من 05 مساجد في طور الإنجاز . وقسنطينة فيوجد في كل بلدية أكثر من 23 مسجد منجز وأكثر من 06 مساجد في طور الإنجاز(*).

ثالثاً : الشكل المعماري للمساجد .

يدرك بكل بساطة المتأمل في النسيج المعماري أو الشكل المعماري للمساجد في العالم أنها أصيلة وبسيطة ، لا تحتاج إلى التكلف الذي يخرجها عن مهمتها الأساسية ، فالمساجد في العالم الإسلامي تمتاز عن غيرها من أماكن العبادة في مختلف الديانات ، « فدور العبادة في الدنيا كلها منشآت ضخمة ذات جدران عالية وقاعات داخلية تضاء بالشموع والقناديل ، وتحيط بها أجراء من الغموض ، بل السحر ، توقع في النفوس أثراً عميقاً لكنه مصنوع متكلف ، ويقوم على خدمتها وقيادة طقوس العبادة فيها كُهان ورجال دين لهم هيئات خاصة وملابس مصممة على نحو يراد منه أن يوقع في النفس أبلغ الأثر . تستوي في ذلك كنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها وبيع اليهودية ، ومعابد البوذية بشتى فروعها ومعابد الديانات القديمة جميعاً عند المصريين والإغريق والرومان ومعابد الإنكا والأزتيك في العالم الجديد قبل الكشف الكولومبي »(1).

لكن هذا الأمر غير موجود في المساجد ، فهي بسيطة الشكل ، وتعتمد على مساحات صغيرة أو كبيرة ، تنظف وتطهر وتسوى ، ويعيَّن فيها اتجاه القِبلة ، وكلها تخصص للصلاة ، « وقد تسور هذه المساحات أو لا تسور ، وقد تفرش بالحصى النظيف أو الحصر الرخيصة أو البسط الغالية ، وقد تقام فوقها مبانٍ ضخمة ذات جدران وسقوف وقِباب ومآذن ، وقد لا يقام من ذلك شيء ، فلا يغير من الأمر شيئاً ، ويظل المسجد البسيط العادي مكاناً مقدساً واضح الشخصية لا يقل في هيبته عن أضخم المساجد »(2).

فالمسجد مبني في الأساس على فكرة وروح ، حيث تكمن الفكرة الأولى في الأساس الذي وضعه رسول الله ﷺ لأول مسجد تم بناؤه في الدين الإسلامي . أما الروح فهي روح الإسلام ، بل الإسلام في حد ذاته الذي استلهم منه وحده الطابع أو الشكل المعماري للمسجد ، فلم ينظر قبل إنشائه إلى عمارة كنيسة أو بيعة ، فجاء مسجده ــ على

(*) لقد قمنا بعملية حسابية بسيطة ، ليست لها علاقة بالواقع ، حيث قسمنا عدد المساجد المنجزة في كل ولاية على عدد البلديات ، لذلك كان هذا الانتشار حسابياً ، فعدد المساجد ليس متساوٍ في كل البلديات ، لذلك قلنا حسابياً ، فمثلاً : في ولاية وهران ، عدد المساجد المنجزة 511 مسجد تقسم على 26 (عدد بلديات هذه الولاية ، يعطينا 19 مسجد في كل بلدية) ، وذكر هذه العملية الحسابية لنبيّن العدد الهائل للمساجد في بلديات الوطن ، وليس فقط في الولايات المدروسة .

(1) حسين مؤنس : **المســـاجد** ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 37 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يناير 1981 ، ص : 47 .

(2) نفس المرجع ، ص . ص : 47 – 48 .

بساطته المتناهية ــ وافياً تماماً بكل ما تطلبه الجماعة ، ويحتاجه المجتمع . فهيئة المسجد كمكان مقدس وضحها الدين الإسلامي ، كما وضحتها أدبيات الخطاب الديني ، حيث جوهر الإنسان أهم بكثير من مظهره ، وهو ما أكد عليه رسول الله ﷺ في قوله :« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1]، ومن هذا الحديث يمكن فهم هيئة المسجد المعمارية ودورها في حياة الفرد وتوجيهه الوجهة الصحيحة .

فللمسجد هيئة داخلية وأخرى خارجية ، فالهيئة الداخلية تعتبر المكون الفراغي والتشكيلي والإنشائي للمسجد من الداخل ، وعليها أهمية كبرى نظراً لارتباطها بالنشاط الوظيفي الذي يقوم به المسجد من عبادات وأنشطة تعبدية واجتماعية أخرى ، فعلى مدى نجاح هذه الهيئة في التوافق مع متطلبات التصميم المعماري للمسجد يتوقف نجاح المسجد في توفير وتهيئة الجو المناسب للعبادة وغيرها من الأنشطة .

ومن مميزات الهيئة الداخلية للمسجد ، نذكر ما يلي :

- **بساطة الهيئة الداخلية :** فمنذ تأسيس أول مسجد ــ مسجد النبي ﷺ ــ ، نجده قد تأسس أو استوحى من روح الإسلام ، حيث هو دين سهل وواضح ، لا يوجد به تعقيد . فالمسجد بهذا ، هو مجرد مساحة نظيفة مستوية لم تتغير مع مرور الزمن في برنامج المسجد المعماري ، « فقد ظل حيز الصلاة هو الحيز المعماري المرن الذي يمكنه أن يتلاءم في مرونة تامة مع أي وظيفة أخرى ، فصالة الصلاة هي نفسها مكان تلقي العلوم حيث يجلس الإمام ومن حوله طلاب العلم »[2]، والمصلين في مختلف الدروس والمواعظ ، وهي نفسها مكان القيام بنشاطات متعددة التي يراها الإمام أو الخطيب ضرورية ، يقوم بها دورياً أو في مناسبات بعينها .
- **توجيه المسجد :** ونعني بها توجبه المسجد نحو القِبلة ، أي المسجد الحرام بمكة المكرمة ، إذ أن استقبال القِبلة شرط لصحة الصلاة ، ونلمس « في توجه جميع المساجد وجميع المصلين على ظهر الأرض نحو المسجد الحرام في الصلاة دليل كبير ومغزى عظيم على وحدة المسلمين ، وعلى مبدأ التوحيد الخالص الذي هو أساس العقيدة »[3]. فعلى هذا المنوال يحاول الدين الإسلامي توجيه أفراد المجتمع وتحضيرهم لأداء الرسالة والقيام بواجب الخلافة . فالمسلم يجد ما نسميه بالضبط الاجتماعي في كل أمور الدين ، حتى الأمور التي يراها بسيطة أو ليست في مجال اختصاصه ، فتوجيه المسلم نحو بيت الله الحرام توجيه لخصوصية يتحلى بها المسلم ، يقوم الخطاب الديني بمحاولة ترسيخها ، ويسعى الخطيب داخل وخارج المسجد بإعطائها حقها ، وذلك من خلال التذكير ، ولعل أبرزها ما يردده الخطيب في كل مناسبة بأن الأمة المحمدية خير أمة أخرجت للناس من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- **بساطة الهيئة الخارجية :** لا يمكن الخروج عن كون المساجد عبارة عن مساحات من الأرض تنظف وتسوى وتطهر ويعين فيها اتجاه القِبلة ، وقد تسور هذه المساحات أو لا تسور ، وقد تفرش بالحصير الرخيصة أو البسط الغالية ، وقد تقام فوقها مبانٍ ضخمة ذات جدران وسقوف وقِباب ومآذن وقد لا يقام من ذلك شيء ، لأن الرسالة أهم من الشكل ، والروح أهم من الجانب المادي .

---

[1] أبي الحسين مسلم ابن الحجاج : **مرجع سبق ذكره ،** ج 04 ، ص : 1987 .

[2] حسين مؤنس : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 89 .

[3] نفس المرجع ، ص : 91 .

• **التعبير عن الوظيفة :** ونقصد بالتعبير عن الوظيفة إحساس أفراد المجتمع من خلال رؤية الشكل الخارجي للمبنى بالوظيفة التي يقوم بها ، بمعنى كيف يمكن التمييز بين مبنى وآخر يختلفان في الوظيفة ، حيث تعتبر هذه القضية ، قضية فكرية معقدة ، وتتعدد فيها الآراء وتتناقض ، بل تتعارض بدرجة عالية من الشدة ، لأن الموضوع يرتبط موروث ثقافي وخبرات سابقة وتقاليد مرسومة . لذلك نجد الكثير من العناصر التي أضيفت على المساجد للتعبير عن مظهرها الخارجي ، مثل : المآذن والقِباب والفتحات أو النوافذ ، وكلها بهدف التعريف بوظيفة المسجد الداخلية ، وسهولة التعرف عليها من طرف الأفراد ، خاصة الغرباء عن البلد .

فأعلام الخطاب الديني ، لا يرون مانعاً في وجود بعض العناصر المعمارية الدالة على وظيفة المسجد ، مثل المئذنة القُبة والفتحات الخارجية ، والتي ترتبط في المخيال الاجتماعي عند الفرد بمجرد معرفة أو رؤية تلك العناصر ، فهي ترسخ لديه بعض المعايير والقيّم التي يستحضر من خلالها أهمية ودور المسجد في الحياة الاجتماعية ، كما أن بعضهم ــ أي أعلام الخطاب الديني ــ أفتى « بجواز تشييدها وتزيينها إذا شيدت المساكن والمنازل ، حتى لا تكون المساجد مشوهة حقيرة بالنسبة إلى البيوت والمنازل ، لكن بدون الإسراف والمبالغة في الزخرفة والرفع ، وكثرة الإنفاق والألوان والأصباغ والتنوع فيما يصرف فيها من الخزف والبلاط والرخام والفرش مما لا حاجة إليه »[1].

رابعاً : اختيار القائمين على المساجد .

يطرح إشكال القائمين على المسجد في كل بقاع العالم ، فهُم الواجهة التي تتجه إليها كل الأبصار ، بل في حالنا الأبصار والأفئدة ، لأن أعلام الخطاب الديني ينظرون إلى هذا الجانب بنظرة واسعة ، حيث يقول أحدهم :« ولو كان كل متخرج من الكليات الدينية على مستوى الداعي الحقيقي وعلى مستوى رسالة المسجد لما بقي كفر وإلحاد ، ولقضي على الفسق والفجور والفساد ولتلألأ كوكب الأرض بنور الله وقرآنه ، ولكان العالم ــ برسالة المسجد العامة ــ مغموراً بالسعادة والنعيم »[2]. فهل يوجد مثل هؤلاء في كل مساجد الأرض ؟ ، وهل يوجد المادة التي تجعل من هؤلاء يقودون الخطاب الذي يحقق الوثبة المطلوبة في العالم الإسلامي ؟

فاختيار الأفراد القائمين على المسجد « يجب أن يكون بميزان دقيق وحساس وبمقاييس أقرب إلى المثالية ، لأن مهمة هؤلاء الرجال عظيمة وجليلة وكريمة ، وتحتاج لمجهود ضخم وخاصة بدء العمل حتى يجذبوا المسلم إلى المسجد من جديد ، وينهضوا بفكره ويرتقوا بغرائزه حتى يصبح مسلماً حقاً ، ومن هنا يمكن أن يقوم المسجد بدوره المرسوم له من جديد في قيادة المجتمع الإسلامي خير قيام »[3].

واختيار القائمين على المسجد من أهم الأمور التي يراها الخطاب الديني بأنها كفيلة بإحياء دور المسجد ، وإحياء دور المجتمع الإسلامي ، حيث يتطلب في اختيار الخطباء والدعاة وإعدادهم الإعداد الجيد ، لأن هذا الاختيار مبني على كون الخطيب له تأثير في نفوس الناس وقلوبهم ، وهو ما يتطلب إلمام الخطباء بالعلوم اللغوية ، وعلوم الشريعة

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 32 – 33 .

[2] علي محمد مختار : **دور المسجد في الإسلام ،** سلسلة شهرية ، السنة الثانية ، العدد (14) ، جمادى الأولى ، إصدارات دعوة الحق ، القاهرة ، مصر ، 1972 ، ص : 24 .

[3] نفس المرجع ، ص : 26 .

والتفسير والحديث ، وعلوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ، إلى غير ذلك من العلوم التي تسهم في إعدادهم إعداداً متكاملاً وشاملاً ، وكذلك على دراية بالمذاهب الفكرية ، والملل والتيارات السياسية الموجهة والمؤثرة في العالم . فأعلام الخطاب الديني ــ دون استثناء ــ يتفقون على الأهمية المحورية أو المفصلية لإمام أو خطيب المسجد ، لأنه هو عماد المسجد وقوته ، به يؤدي المسجد رسالته في توجيه المجتمع وتبصير أفراده بأمور دينهم ، فإذا كان الخطيب عالماً قوي الشخصية كان تأثيره مفيداً على سكان الحي الذي فيه المسجد ، يعلمهم ويقودهم إلى كل خير وفضيلة ، ويمرر عبرهم ما يريد إيصاله إلى أفراد المجتمع من خطاب تتم ترجمته إلى سلوكات في الواقع الاجتماعي .

المبحث الثالث : مكان المسجد ومكانته

إن الحديث عن مكانة المسجد في الدين الإسلامي ، أو في الخطاب الديني ، هو حديث عن قدسية المكان الذي يرى له أفراد المجتمع بنظرة تبجيل وتقديس لا مثيل لها ، فالمسجد في المجتمع له أهمية كبرى ودور عظيم في ترشيد وتوجيه وتثقيف وتربية أفراد المجتمع وتنمية سلوكاتهم . إذ يعتبر المكان الرئيس الذي انطلق منه التعليم وتكوين الفرد ، فالمسجد ليس مكان الصلاة فقط ، بل مكان التوجيه من خلال عناصر الخطاب الديني (خطب ، مواعظ ، دروس ، نشاط مناسباتي ، ندوات ، محاضرات ، مجلات أو مطويات ، مكتبة ...) ، التي تسعى إلى تقوية الروابط الاجتماعية ، وتصحيح السلوك ودعم الأخلاق الحميدة بين أفراد المجتمع .

ومكانة المسجد عند المسلمين ، مكانة عظيمة ، يستمدها من المكانة التي أولاها لها الله تعالى ، إذ أفرده بكونه بيت الله في الأرض ، وأقدس الأماكن وأطهرها ، ودعم ذلك ما أعطاه له رسول الله ﷺ ، وما فعله من بعده أجيال المسلمين ، حيث انتشر بناء وعمارة المساجد كأعمال تقرب العبد من ربه ، يريد منها الجزاء في الآخرة ، وهو ما سوف نحاول التطرق له من خلال النقاط التالية .

أولاً : مكانة المسجد في الخطاب الديني .

إن المسجد في الخطاب الديني ، « هو مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس ، فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض ، يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي ، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم ، ويلتقون فيه رؤساؤهم ... فالمسجد على هذا ضرورة دينية ، وضرورة سياسية ، وضرورة اجتماعية أيضاً ، بالنسبة لكل مسلم على حدة ، وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة »[1]، وارتباط المسلمين بالمسجد منبعه المكانة التي يحتلها في حياة الأفراد والمجتمع . فيكفي أن أول عمل قام به رسول الله ﷺ هو بناء المسجد النبوي ، فهو مكان العبادة ــ كما ذكرنا في أكثر من موقع ــ ، ومكان العلم ولقاء المسلمين .

إن في بدئ الرسول ﷺ في بناء المسجد لحظة وصوله المدينة ، وشروعه في إقامة مسجده في قلبها ، يعطي دلالة كبرى على الدور البارز الذي يقوم به المسجد ، ويضطلع به في المجتمع المسلم ، وفي حياة المسلمين العامة والخاصة ، إذ هو بداية الانطلاق في تكوين المجتمع الإسلامي ، ومركز الإشعاع الفكري والحضاري الأول ، فالدين الإسلامي أو الخطاب الديني ، ينظر إلى الحياة نظرة عامة وشاملة ، من حيث اعتبارها ميداناً واسعاً ، ومكاناً رحباً ، يُعبد الله تعالى في

---

[1] حسين مؤنس : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 30 .

أرجائه ، ويطاع في سائر نواحيه وأجزائه ، إلا أنه بَوَّأ المسجد مكانة خاصة ، ومنحه فضائل فريدة ، وميّزه بخصائص عديدة ، باعتباره منطلق الدعوة إلى الخالق ، ومركز الإشعاع الأول ، الذي انطلقت فيه أحكام التشريع . وقد « عَظَّم الإسلام المسجد وأعلى مكانته ، ورسَّخ في النفوس قدسيته ، فأضافه اللَّهُ تعالى إليه ، إضافة تشريف وتكريم . فكان أن احتل المسجد مرتبة مميزة في أفئدة المسلمين ، تزكو به نفوسهم ، وتطمئن قلوبهم ، وتتآلف أرواحهم ، وتصفو أذهانهم ، يجتمعون فيه بقلوب عامرة بالإيمان »[1].

وينبع فضل المسجد في « بناء المسلم (عقيدة وعبادة وأخلاقاً) على امتداد تاريخ الأمة الإسلامية ، ذلك أنه بدون المسجد لا يتعلم عامة المسلمين أحكام دينهم وتنظيم دنياهم ، واستبصار الحلال والحرام في حياتهم »[2]، فيمكن أن نتصور تلك الإثارة التي يحدثها المسجد في عواطف أفراد المجتمع من حب وإخاء ، حيث تتفاعل الأنفس على أسس المحبة والرحمة ، والتعاون والتكافل ، عند الاستماع إلى الدروس والمواعظ ، « وكل ما يحتاج إليه من نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وما يتصل بذلك من علوم اللغة والتاريخ ، مما يقوي من عقيدة المسلم ، ويصحح من سلوكه ، وينهض بالمتعلم إنساناً سوياً مستقيماً ، يؤدي دوره في الحياة ، خيراً على نفسه ، وخيراً لمجتمعه ، وأهله ، ورحمة للناس جميعاً »[3].

ومن هذه المكانة أولى أعلام الخطاب الديني أهمية بالغة لمكان المسجد وموقعه ، بالمقارنة مع باقي مكونات المدينة ، القرية أو البلدة . فيذكرون المجتمع بأن مكة المكرمة ، وهي بيت الله الحرام تقع في مركز العالم ، وأن مسجد الرسول ﷺ يقع في مركز المدينة المنورة . حتى المسؤولين في معظم الدول الإسلامية تجدهم يضعون القوانين ، ويطالبون من خلال الإجراءات المتخذة من جعل المسجد في مركز كل التوسعات العمرانية ، خاصة الجديدة منها .

في الجزائر مثلاً : يتم تنظيم المساجد بتسطير القوانين وتحديد المهام والصلاحيات لكل أطراف هذه العملية ، ولعل المرسوم التنفيذي رقم : 91 – 81 المؤرخ في 23 مارس 1991 ، المتعلق ببناء المسجد وتنظيمه وتسييره وتحديد وظيفته ، ما يحدد ويبين أهمية المسجد ، إذ حدد هذا المرسوم الجهات التي يمكن لها بناء المسجد ، فجاء في المادة الخامسة من هذا لمرسوم ما يلي :« يقوم ببناء المساجد : الدولة ، الجمعيات ، الأشخاص الطبيعيون أو المعنويون . تراعى ، قبل الشروع في بناء المسجد الشروط الآتية : أن لا يكون مسجداً ضراراً ، أن تكون الجمعية معتمدة قانوناً ، أن يحصل الأشخاص الطبيعيون على الإذن الإداري من الجهة الولائية المكلفة بالشؤون الدينية »[4].

وتظهر اهتمام الوصاية (الدولة أو السلطة) ببناء المساجد من خلال المواد السادسة ، السابعة والتاسعة من نفس المرسوم ، والتي نوردها فيما يلي[5]:

---

[1] عبد الكريم العمري : **دور المسجد في تحقيق مفهوم الأمن الاجتماعي** ، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن ، المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية ، أيام 21 – 24 فبراير ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1996 ، ص : 03 .

[2] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 25 .

[3] نفس المرجع ، ص : 25 .

[4] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 16** ، الصادرة بتاريخ : 10 أفريل 1991، السنة 28 ، المادة 05 ، ص : 536 .

[5] نفس المرجع ، المواد : 06 ، 07 و09 ، ص . ص : 536 – 537 .

المادة السادسة : يجب تخصيص مساحات لبناء المساجد في كل مخطط عمراني تضعه الدولة أو الجماعات المحلية لكل تجمع سكاني جديد ، على أن تدفع قيمة المساحة بالدينار الرمزي .

المادة السابعة : يخضع بناء المساجد لما يأتي :

- إلزامية الحصول على رخصة البناء من المصالح المختصة ، بعد دراسة مستوفية لكافة الشروط التقنية .
- إلزامية تحري القِبلة .
- المراقبة التقنية للإنجاز .
- إلزامية المحافظة على الطابع المعماري الإسلامي الأصيل .

المادة التاسعة : يدمج المسجد ، وما يلحق به من مرافق ، بمجرد الانتهاء من بنائه ، في الأملاك الوقفية العامة ويفتحه وزير الشؤون الدينية أول مرة بقرار يتضمن ما يأتي :

- اسم المسجد الذي يتفق عليه .
- بطاقة المسجد الفنية .
- تصنيف المسجد .

هذه الإجراءات القانونية ، وعلى دقتها ومرجعية صياغتها تبرز الاهتمام الذي يولى لبناء المسجد في الجزائر ، ويظهر اهتمام الوصاية (وزارة أولى ــ حكومة ــ أو وزارة الشؤون الدينية) ، فهذا المرسوم في لغته وصياغتها يراعي الأمور الدينية بكل اهتمام ، ويقتدي بطريقة مباشرة في عمارة المسجد المادية والمعنوية بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويحذر من المساس بالمقاصد السامية لوظيفة المسجد التي من أسسها الحفاظ على وحدة الجماعة وتماسكها ، ويعتبر الإخلال بالقانون تعدي على حرمة المسجد وقدسيته ، وضرب لمشاعر الأمة ومقومات وحدتها ، وهو أمر يعاقب عليه القانون .

ثانياً : فضل بناء وعمارة المساجد

الإسلام يقرن بين عمارة المسجد والإيمان بالله ، وذلك في قوله : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ، إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾[1] . فلا يمكن للمشرك أن يعمر المسجد أو يساهم في تأسيسه ، لأنه لا يوجد مبرر لمخالفة طبائع الأشياء ، والله تعالى أمر بعمارة المسجد خالصة لوجه ، يذكر فيها اسمه ، :« فكيف يعمرها من لا يعمر التوحيد قلبوهم ، ومن يدعون مع الله شركاء ، ومن يشهدون على أنفسهم بالكفر شهادة الواقع الذي لا يملكون إنكاره ، ولا يسعهم إلا إقراره ؟ »[2] . فهو أمر يعتبره الخطاب الديني غير ممكن (باطل أصلاً) ، ومنها عمارة بيت الله التي لا تقوم إلا على قاعدة من توحيد الله تعالى .

---

[1] سورة التوبة ، الآيات رقم : 17 – 18 .

[2] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الثالث ، ج 10 ، ص . ص : 1613 .

وعمارة المسجد ــ كما ذكرنا ــ مادية ومعنوية ؛ مادية تنطلق من البناء والتشييد ، وصولاً إلى التزيين والفرش والنظافة وغيرها . ومعنوية أو حسية ، وهي العبادة والقيام بالشعائر وما يترتب عنها في واقع المجتمع ، وبين أفراده ، وفيما يلي عرض لبعض الأنواع من العمارة :

01 ـ العمارة البنائية :

فهي الجانب المادي للمبنى ، والمسجد كأي مبنى له بنيان يتكون من مواد بناء وأسلوب بناء وهيئة معمارية وعناصر معمارية وعمالة قائمة على عملية البناء ، و غيرها . تبدأ انطلاقاً من اختيار أرض أو موقع المسجد ، دون نسيان أن هذا الاختيار يجعل في الحسبان بأن يكون المسجد النواة الأساسية في تخطيط كل مشروع عمراني ، ويحاول الخطاب الديني ترسيخ بعض التوجيهات في بناء المساجد واختيار أراضيه ، مثل : ضرورة الاقتداء بالسنة في جعل المسجد مركز التجمع العمراني ، ويستدل بحكمة الله بأن جعل مكة مركز الكون ، وكيف جعل الفاتحين ومؤسسي المدن المساجد كمراكز ، وفي القلب المدن التي أسسوها .

02 ـ العمارة المعنوية :

فكل المباني ، مهما كان نوعها تشيد لأغراض نفعية أو مادية ، لكنه من الثابت وجود أغراض أخرى حسية وروحية ، « فإذا كان يقال إن العمارة فن نفعي ، ذلك لأن له وظائف نفعية بجانب التعبيرية ، إلا أن المساجد تتفوق على ذلك ؛ لأن الوظائف التي تؤديها تختلف بشكل جذري عن تلك التي تؤديها باقي المباني ... فإن المساجد تحتوي على أنشطة تدور في العلاقة بين العبد وخالقه ، ويا لها من علاقة تلك التي تؤدى بأفعال ظاهرة ويتحكم في جدواها الجانب الخفي في الإنسان الذي لا يعلمه سوى الله »[1]. فهذه العمارة ــ المعنوية ــ لها جانبان أساسيان ، وهما الجانب الحسي والجانب الروحي .

يتمثل الجانب الروحي في عمارة المسجد المعنوية في كل ما يرتبط بالمسجد من جوانب روحية تسعى إلى تغذية روح الإنسان ، وهي كل النشاطات التي ثبت قيامها منذ تأسيس أول مسجد في المدينة ، وتتمثل في كل الأمور التي أثبتها الخطاب الديني ، أو بالمعنى الدقيق الدين الإسلامي مثل : الصلاة ، تلاوة القرآن الكريم ، الذكر والاعتكاف والرباط في المسجد . أما الجانب الحسي في العمارة المعنوية ، فهي إشراك كل الحواس عند أفراد المجتمع في عملية البناء المنتظر ، خاصة العقل والقلب والبصر ، ولهذا أنكر النبي ﷺ عمارة المسجد بما يحول قلوب وعقول وأبصار المتلقين عند تلقي الخطاب ، والاستماع لما يقدم له من مادة .

03 ـ العمارة الاجتماعية :

لا يمكن اقتصار عمارة المسجد على الجانب البنائي والجانب الحسي ، بل يوجد وظائف أخرى ، وأنواع أخرى من العمائر ، منها العمارة الاجتماعية ، والتي تتمثل في تأثيرات المسجد ككيان روحي ومادي في النواحي الدينية ، الاجتماعية ، الثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع . ولعل هذا ما يفسر لنا بساطة عمارة المسجد البنائية ، لأنه هدف تشييده كمبنى له مكانة أو أهمية ، وإنما المكانة العظمى هي في جوهر ما يؤدى فيه من طاعات وعبادات ، وما يجري فيه من معاملات ، وما يقدم فيه من خطاب يلعب دوره الفاعل والفعال عمارة وتنمية المجتمع .

---

[1] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 27 .

فالناحية الدينية من العمارة الاجتماعية تتمثل في الصلة الوثيقة بين الدين والمسجد ، حيث تعتبر العلاقة بينهما علاقة ترابط وظيفي ، لأن المسجد هو قلب المجتمع ومركزه ، والمكان الأفضل لأداء الشعائر والعبادات ، فهو كذلك المكان الأمثل للقيام بالدعوة إلى هذا الدين ونشر تعاليمه بين المسلمين وغير المسلمين على حد سواء . أما من الناحية الاجتماعية ، « فعلاقة المسجد أقوى من أن تقف عند خمس صلوات تؤدى فيه في اليوم والليلة ، ثم يغلق بابه فيما بين ذلك ، وتنقطع علاقة المسلمين به وسائر شؤونهم وأحوالهم . إن علاقة المسجد بالوضع الاجتماعي علاقة تفاعل ثابت ومستمر ، فمن جهة يساهم المسجد في تكوين الجماعة المسلمة ، ومن جهة أخرى يحدد المسجد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد »[1]، وسوف نتطرق بالتفصيل لهذا الجانب المهم في المبحث الثاني من الفصل التاسع .

أما من الناحية الثقافية في العمارة الاجتماعية ، فهذا البُعد من أهم الأبعاد التي تؤثر في كيان المجتمع وطريقة حياة الأفراد ، وعندما يتعلق الأمر بالثقافة الدينية التي لها التأثير الكبير على حياة الفرد ، الأسرة والمجتمع ، والدور الفعال في مختلف أوجه الحياة وأنشطتها المتنوعة . فالتفقه في الدين والخطب المختلفة ، الدروس والمواعظ والمسابقات ومختلف النشاطات المبرمجة لها خلفيات ثقافية تسعى إلى تثقيف وتربية وتكوين الفرد والمجتمع .

ثالثاً : عمارة المسجد في هذا العصر .

لقد عرفت المجتمعات في هذا العصر الكثير من التطورات المتسارعة والكثيفة ، فتغيرت الكثير من المفاهيم ، وسمي بالعديد من التسميات ، فهو عصر العولمة والمعلومات ، عصر المجتمع الدولي والقرية الكونية وغيرها ... ورافق هذه التغيرات تغير في مفهوم العمارة بما أنها المرآة العاكسة لحياة الشعوب ، « فكان من الطبيعي أن تنعكس هذه التطورات على المباني الموجودة في المدينة ... إذ من الطبيعي أن يحدث ذلك التأثر الذي حدث لعمارة المسجد المعنوية والبنائية والاجتماعية ، والتي تمثلت أخطر ما فيها في تقلص بعض الجوانب التي تؤديها عمارة المسجد المعنوية والاجتماعية على وجه الخصوص »[2].

فعمارة المسجد ليست عمارة المباني ، بل هي عمارة معنوية واجتماعية في نفس الوقت ، وهذه الأخيرة أهم بكثير من الأولى ، وهو ما أدى إلى طرح الكثير من التساؤلات ، أهمها حول ماهية عمارة المسجد في هذا العصر ، وكيفية الاستفادة من المسجد كمؤسسة فاعلة في المجتمع . كما طرح أعلام الخطاب الديني بعض الطرق والأساليب للاستفادة من التطورات التكنولوجية التي يعيشها العالم اليوم ، والثورة المعلوماتية المتمثلة في شبكات التواصل الاجتماعي (الأنترنت) ، وتطور الوسائل السمعية البصرية ، حيث يمكن أن يلعب المسجد كمؤسسة دينية ، اجتماعية ، ثقافية وسياسية فاعلة ، خاصة وأن رسالة المسجد تدعوا إلى العالمية في نشر الدين الإسلامي ، حيث يمكن أن يقدم العديد من المساهمات نذكر منها :

- الدعوة الإسلامية من خلال شبكة الأنترنت : والتي تكون عبر استعمال شبكة الأنترنت في نشر الخطب والدروس والفتاوى ، لأن الإسلام دين عالمي ، وبهذه الوسيلة يمكن الدعوة إليه . وعالمية الإسلام ودور المسجد في ذلك

---

[1] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 109 – 110 .

[2] نفس المرجع ، ص : 137 .

مستمد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]. فيكفي أنه أكدت الأبحاث بأن مكة المكرمة هي مركز العالم ومركز التقاء الشرق والغرب والشمال والجنوب . فالمهم هو استثمار التواصل السريع الذي تحققه شبكات التواصل الاجتماعي في نشر مبادئ الدين الإسلامي .

• التواصل السريع والفعال : هذا التواصل السريع يمكن إتاحة الفرصة لقراءة الخطب والدروس مباشرة ، فمن لا يستطيع الحضور لها أو لم تتوفر له الظروف للاستماع إليها في وقتها ، « فبإمكان الإنسان المسلم وهو في مدينته أن يقرأ أو يستمع إلى الخطبة التي ألقيت في أي مسجد في العالم عقب صلاة الجمعة بسهولة ويسر ، بل بمجرد أن تنقر على زر الدخول في أحد المواقع التي يمكن أن تُعد من أجل ذلك »[2]. فهناك الكثير من المواقع التي تخصصت في هذا المجال .

• تحقيق الوحدة ... لا الاختلاف : يعود ذلك لسهولة الاتصال والتواصل من خلال شبكة المعلومات بين مختلف الفئات والاتجاهات ، فيمكن أن تلعب المساجد دوراً في فتح وإدارة حوارات فعالة بين الشباب ، وتقريب وجهات النظر في مختلف القضايا الدينية والدنيوية ، وبذلك يتحقق للمجتمع الوحدة التي هي الهدف الأسمى الذي يسعى إليه الدين والخطاب الديني . وهذا الاعتقاد مبني على ما تحققه مختلف المنتديات من تقارب في وجهات النظر بين مختلف الفئات عبر العالم ، وذلك من خلال مختلف الحوارات والنقاش التي لا تأخذ في حسبانها أي حدود وتضرب كل الطابوهات ، العامل المشترك بين المتحاورين هو الإنسانية . فإذا كانت بين فئات تنتمي إلى نفس العقيدة وتنهل من نفس الاتجاه والدين ، فإن بمثل هذه الحوارات يمكن تكوين قاعدة صلبة لوحدة منشودة .

• تحقيق الالتقاء والتواصل الاجتماعي : ما لا يمكن أن يتصوره المرء ، وفي ظل هذه التطورات ، أنه أصبح كل شيء متوفر عبر الأنترنت ، خاصة فيما يسمى (العمل عن بُعد) ، (التعلم عن بُعد) ، (التسوق المنزلي) وخاصة الترفيه الافتراضي . ما لا يمكن تصوره أن يأتي يوم أن تصبح الصلاة عن بُعد ، ولا يلتحق أفراد المجتمع بالمساجد لأداء الصلوات أو حضور النشاطات . فعمارة المسجد المعنوية والاجتماعية ستبقى ما بقي هذا الدين المحفوظ من عند الخالق تعالى ، وهو ما يحقق التواصل الاجتماعي بين باقي أفراد المجتمع ، رغم ما يقال عنه من انحسار لدوره في المجتمع .

• نشر الثقافة الإسلامية : « إن المادة الإعلامية والثقافية الغربية لا تجد الآن صعوبة للوصول إلى عقل المتلقي في العالم الإسلامي ، وقد بدأت بالفعل في صياغة الأذواق والاهتمامات والأهداف ، فنحن أمام عولمة في طريقها للتوسع والتغلغل والانتشار ، ولا أحد يعرف أين ستصل ، وما هو الحجم الحقيقي الذي ستأخذه تداعياتها السلبية على الهوية الحضارية للأمة العربية والإسلامية »[3]، حيث يمكن أن يلعب المسجد دوراً في دعم الثقافة الدينية لأفراد المجتمع ، من خلال تنمية حسن التقييم ورفض الثقافة الواردة من خلال معايير ينشئها المجتمع أو أفراد المجتمع ، وتكون مستمدة في أصولها ومرجعيتها من الدين الإسلامي .

• التكامل والتواصل مع المؤسسات الأخرى : إذ يمكن للمسجد أن يتواصل بشكل سريع وفعال مع المؤسسات الأخرى في المجتمع ، سواء المؤسسات الاقتصادية ، السياسية والاجتماعية ، حيث تساعد التكنولوجيات الحديثة بربط

---

[1] سورة آل عمران ، الآية رقم : 96 .

[2] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 154 .

[3] نفس المرجع ، ص . ص : 155 – 156 .

مختلف هذه المؤسسات ببعضها البعض رغم تباعدها واستقلاليته المادية (كل مؤسسة لها مبانيها) والمعنوية (مختلف الاهتمام التي تميز مؤسسة عن أخرى) . هذا التواصل يؤدي إلى إيجاد الصيغ والسبل الكفيلة بتحقيق التكافل الاجتماعي المنشود على مستوى الدولة ، أو الأمة وتبعث في المجتمع القيّم الأخلاقية والدينية والاجتماعية .

- إدارة وتسيير المسجد : كما يمكن استخدام هذه الشبكة المعلوماتية من أجل تحقيق تواصل فعال بين مختلف المساجد في نفس البلدية تحت سلطة المعتمد ، أو في نفس الولاية تحت قيادة المديرية الولائية للشؤون الدينية والأوقاف ، أو على المستوى الوطني تحت قيادة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمديرياتها ومصالحها المركزية . كما يمكن الربط بين المساجد والمؤسسات الدينية المختلفة ، التقليدية والحديثة ، من الزوايا وحتى المعاهد الوطنية لتكوين الإطارات الدينية أو دار الإمام . هذا التواصل سيحقق إدارة ناجعة وفعالة ، حيث يقوم المسجد (الخطيب) بنشر الدعوة من خلال هذه الشبكات وهذه الاتصالات الإلكترونية .

المبحث الرابع : مهام المسجد في الإسلام .

تعتبر كل المهام التي يحتضنها المسجد وسائل يستعملها الخطاب الديني من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافه ، لأن المسجد هو « مركز هداية دائمة ، وتوجيه ديني وفكري وتعليمي ومعنوي ، وروحي وأخلاقي وتربوي وأدبي واجتماعي .. ومركز تآخٍ وتساوٍ يستقبل المسلمين دون تفريق بين عرق وعرق ، أو جنسية وأخرى ... من طبيعته وشخصيته ، ووظيفته الدينية ، أصبح المسجد الساحة الروحية التي انطلقت منها نداءات التوعية والتوجيه »[1]، أنيط بمهام ووظائف سامية تهدف إلى السمو بالإنسان والمجتمع الإسلامي على حد سواء . فقد ارتبط تاريخ الأمة الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقاً ، لأن الإسلام لم يقصر رسالة المسجد على أداء الصلوات ، بل جعل رسول الله ﷺ المسجد ليقوم بدور إيجابي ، ويحقق أهداف سامية تخدم المجتمع الإسلام ككل . فإلى جانب أداء الصلوات المفروضة ، فالمسجد مكان مرموق لطلب العلم وعقد المجالس والحلقات العلمية ، فهو بدون منازع مشعلاً حضارياً ومركزاً ثقافياً لتثقيف أفراد المجتمع الإسلامي ، وهو ما نحاول التطرق إليه في النقاط الموالية .

أولاً : أداء الصلاة .

فالمساجد لم يتم إعمارها من أجل طابعها المعماري ، أو من أجل الزينة والتباهي ، وليست مثل الدير أو المعابد أو الكنائس ، بل بُنيت من أجل إقامة الصلوات فيها جماعة ، حيث « يلتقي فيها المؤمنون بالجسد والروح نحو هدف واحد ومعتقد ثابت هو عبادة الله عز وجل ، وتذكير بالمنهج الإسلامي تاركين أحوال دنياهم ملبين نداء الحق ودعوة المؤذن لأمور الصلاح والإصلاح ليستشعروا باجتماعهم هذا في بيت الله قربهم منه وصلتهم به ... فتذهب من نفوسهم هموم كثيرة وتغتسل أفئدتهم بطهارة الإيمان ، يستمدون من تلك الروحانية عزيمة المؤمن القوي الصابر المكافح المناضل العامل المجِد لخير الأعمال وأفضلها والمنتج لأصلح الثمرات في دنياه وآخرته »[2].

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 21 .

[2] علي محمد مختار : **مرجع سبق ذكره ،** نفس المرجع ، ص . ص : 47 – 48 .

تجتمع كافة الديانات السماوية والوضعية بأن الصلاة وسيلة للتقرب من المعبود ، فالصلاة :« هي لقاء بين العبد ومولاه ، يعرج به إلى السماوات ، يناجي به ربه ، يطلب غفران ذنوبه فتغفر ، والنجاة فينجو ، والقرب فيقترب ، ورضا الرب فيرضى والشفاعة فيشفع »[1]. كما أن الصلاة عرفت بأنها « ــ المتمثلة في الوقوف ، والركوع ، والسجود ، والجلوس ــ في كافة العبادات والتوجهات إلى الخالق منذ نشأة الخليقة حتى يومنا هذا ، وذلك لأن العبادة واحدة والخضوع لله واحد مما يؤكد وحدة العالم والشرائع التي ختمها الإسلام بشموليته وعالميته فكان جامعاً لكل التوجهات الإلهية وشاملاً لكل العبادات مع إقراره بوجودها جميعاً ، وتنزلها من قبل الحق عز شأنه استشهاداً بالآية : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾[2]. فكانت عبادته سبحانه وتعالى أمراً إلهياً فرض على جميع المخلوقات »[3].

وعمارة المسجد بإقامة الصلاة جاءت في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾[4]. حيث تنص هذه الآية على شرط أساسي من شروط عمارة المساجد ، وهي :« خشية الله وحده دون سواه ، بعد شرطي الإيمان الباطن والعمل الظاهر ، لا يجيء نافلة . فلا بد من التجرد لله ، ولا بد من التخلص من كل ظل للشرك في الشعور أو السلوك ، وخشية أحد غير الله لون من الشرك الخفي ينبه إليه النص قصداً في هذا الموضع ليتمخض الاعتقاد والعمل كله لله . وعندئذ يستحق المؤمنون أن يعمروا مساجد الله ، ويستحقون أن يرجوا الهداية من الله »[5].

فالخطاب الديني يستعمل هذا الأسلوب الذي يحتوي على نوع من الترغيب المشروط لتحقيق بعض الأهداف وتمرير بعض الرسائل ، لذلك يستعمل الأسلوب القرآني الأدوات الشرطية (إنما ، ثم ، فعسى) حتى يتوجه القلب وتعمل الجوارح ، فيتوج عمل المسلم بالهداية والوصول إلى النجاح ، وهي « القاعدة في استحقاق عمارة بيوت الله ، وفي تقويم العبادات والشعائر على السواء يبينها الله للمسلمين والمشركين ، فما يجوز أن يسوى الذين كانوا يعمرون الكعبة ويسقون الحجيج في الجاهلية ، وعقيدتهم ليست خالصة لله ، ولا نصيب لهم من عمل أو جهاد ، لا يجوز أن يسوى هؤلاء ــ لمجرد عمارتهم للبيت وخدمتهم للحجيج ــ بالذين آمنوا إيماناً صحيحاً وجاهدوا في سبيل الله وإعلاء كلمته »[6].

ومن بين الأمور التي يحتاجها الخطاب الديني من خلال الصلاة الكثير من النقاط المهمة ، نذكر منها على سبيل الحصر :

- فالمسلم خلال الصلوات الخمس يتعلم الطاعة ، تلك الطاعة المطلقة التي تكون بمحض إرادة الفرد واختياره ، حيث لا يوجد في هذه الطاعة أي إجبار أو إكراه ، « يطيع المصلي الإمام أيا كان وصفه الاجتماعي ــ إذ قال الإمام ــ الله أكبر ركع الجميع ، أو سجد الجميع أو قام الجميع في خشوع وقلب مطمئن »[7]. والخطاب الديني يحتاج هذه

---

[1] هـــدى درويش : **الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية ، اليهودية . المسيحية . الإسلام (دراسة مقارنة)** ، ط 01 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، ص : 03 .

[2] سورة الإسراء ، من الآية رقم : 23 .

[3] نفس المرجع ، ص . ص : 03 – 04 .

[4] سورة التوبة ، الآية رقم : 18 .

[5] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره** ، المجلد الثاني ، ج 10 ، ص : 1614 .

[6] نفس المرجع ، ص : 1614 .

[7] علي محمد مختار : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 49 .

الطاعة في التزام المؤمن أو الفرد داخل المسجد بما يُتلى أو يقدم إليه من مبادئ وقيم ستتبلور إلى حركة وسلوك داخل المجتمع ، وهذه غاية الخطاب الديني .

- لأن المسلم خلال أداء الصلاة يتعلم النظام ويتعود عليه ، حيث تظهر عملية النظام في قيام الصلاة ، وإكمال الصفوف والتراص فيها ، مقتدين بما قاله رسول الله ﷺ في تنظيم الصلاة ونظامه ، حيث « يقول ﷺ : سووا صفوفكم ، فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة ، ويقول أيضاً : سووا صفوفكم ، لا تختلف قلوبكم »[1].

- كما أن المسلم أثناء أداء الصلاة يتعلم التواضع ، ففي نفس الصف تجد الفقير بجوار الغني ، وتجد المتعلم والأستاذ والمفكر إلى جانب الجاهل والأمي ومحدود المستوى ، يجمعهم ذلك الخشوع كتف إلى كتف ، تعبيراً عن مساواة مطلقة . فقد يكون في هذه الصورة الإمام الذي يقود العملية أقل الناس مالاً وشأناً ، والمأموم أكثر منه ثراء ومقاماً اجتماعياً ، جمعت بينهم وحدة القلوب في طاعة الله . ففي السجود مثلاً أثناء أداء الصلاة رمزية كبيرة على استواء الغني بالفقير ، العالم والمفكر بالجاهل والأمي ، الحاكم بالمحكوم ، كلهم جميعاً أمام الله تعالى سواسية ، كلهم يضعون جباههم على التراب الذي خلقوا منه وإليه يعودون .

- أن كثرة الخُطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يمحو الله بها الخطايا ويرفع بها الدرجات ، وهو ترغيب لجزاء في الآخرة ، حسب حديث رسول الله ﷺ :« صلاة الرجل في الجماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ، اللهم صلِّ عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة »[2].

- أنه من بين الذين يظلهم الله بظله ، رجل معلق قلبه بالمساجد ، وهو ما جاء في حديث رسول الله ﷺ عن الذين يظلهم الله يوم القيامة ، فمنهم رجل قلبه معلق بالمساجد . وهذا جزاء في الآخرة يُرغِب به الخطاب الديني أفراد المجتمع للاتصال الدائم بالمسجد من أجل ترسيخ مبادئه وتمرير الكثير من الرسائل التي يستفيد منها الفرد والمجتمع .

يوجد الكثير من الأحاديث النبوية التي تدل على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال ، لأنها عماد الدين ، وكذا أفضلية الصلاة في المساجد ، فصبغها بتضعيف عدد الدرجات وصلاة الملائكة على العبد ما دام داخل أسوار المسجد يؤدي هذه العبادة ، وكلها مصوغات يقوم بها الخطاب الديني من أجل التزام أفراد المجتمع الإسلامي بالصلاة داخل المسجد ، فالصلاة « تجمع الناس فتقود إلى التآلف في وقت تصفو فيه الأنفس وتستشعر فيها قربها من الله في بيته الذي يحبه ألا وهو المسجد ، وبذلك تقوى أواصر الإخاء والترابط والمحبة والتعاون والتعارف بين الناس ، فالمسجد ميدان للعبادة ومجال للتعارف ومنطلق للجهاد »[3]، وهي من بين الأهداف التي يسعى الخطاب الديني إلى تحقيقها .

---

[1] عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي : **مسند الدرامي المعروف ب (سنن الدارمي)** ، ط 01 ، ج 02 ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2000 ، ص : 804 .

[2] نفس المرجع ، ص . ص : 243 – 244 .

[3] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 21 .

ثانياً : التربية والتعليم .

فالمجتمع الإسلامي ينطلق من قوله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾[1]، وقوله : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾[2]. فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، حيث تعتبر من مميزات الخطاب الديني التي يغرسها في الشعوب الإسلامية . فقد تميزت عن غيرها ، وذلك « بحرصها البالغ على طلب العلم ، وأصبحت المساجد جامعات الإسلام عنيت بالطلبة الذين ملأتهم الرغبة في طلب العلم ، وقد جاءوا للاستماع إلى محاضرات العلماء في علوم الدين والشريعة والفلسفة والطب والرياضة والفلك والكيمياء وغيرها من العلوم . وجاء العلماء أنفسهم من جميع أنحاء العالم الذي يتكلم العربية وكانوا يلقون محاضراتهم بالطريقة التي تروقهم »[3].

فالمسجد في الإسلام ، هو « المدرسة الأولى التي تعني بالإنسان وتنمي فيه روح الشجاعة والإقدام ، كما توجد فيه روح العطف والإحسان . تربي روح الأخوة والألفة والمحبة بين المؤمنين ، فيعيشون في بعد عن التنافس والتطاحن وحروب الطبقات ، لأن كل فرد يشعر بكرامته التي كرمه الله بها ، وأنه متساوٍ في الحقوق والواجبات مع جميع الذين يقفون بجواره في الصف سواء كانوا حكاماً أو محكومين ، أغنياء أو فقراء لا فضل على أحد إلا بالتقوى . يلمس كل فرد ذلك عملياً في المسجد »[4]، فتتجسد بين أفراد المجتمع الإسلامي الخصال الحميدة ، فيقوى الصدق في القول ويتعاظم الإخلاص في العمل وتتعمق العقيدة في النفوس من الممارسة الفعلية للشعائر في المسجد .

ففي فضل العلم والعلماء ، وطلب العلم سواء بالمسجد أو خارجه ، لا يتوان الخطاب الديني في الاستناد إلى الآيات القرآنية الكثيرة في فضل أهل العلم والعلماء ، وفي فضل طلب العلم من المهد إلى اللحد أو حتى في الصين ، ويستحضر لذلك الأحاديث النبوية الموجهة والمفسرة والمعللة . ومن بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الإطار ما نورده على شكل نقاط متنوعة فيما يلي :

- يقول الله تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[5]، فالله تعالى استشهد بأهل العلم دون غيرهم من البشر ، وأقرن شهادته بشهادتهم ، وفي هذا تزكية لهم ، فالله تعالى لا يستشهد على الأمر العظيم إلا أكابر الخلق .
- « أنه سبحانه مدح أهل العلم وأثنى عليهم وشرفهم ، بأن جعل كتابه آيات بيِّنات في صدورهم ، وهذه خاصة ومنقبة لهم دون غيرهم ، فقال الله تعالى : ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** ﴾[6]»[7]. « وسواء كان المعنى أن القرآن مستقر في صدور الذين أوتوا العلم ، ثابت فيها ، محفوظ ، وهو في نفسه آيات بينات ، فيكون قد أخبر عنه بخبرين : أحدهما : أنه آيات بينات . الثاني : أنه محفوظ

---

[1] سورة الزمر ، من الآية رقم : 09 .

[2] سورة طه ، من الآية رقم : 114 .

[3] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 52 – 53 .

[4] علي محمد مختار : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 68 .

[5] سورة آل عمران ، الآية رقم : 18 .

[6] سورة العنكبوت ، الآية رقم : 49 .

[7] سيد بن حسين العفاني : **صلاح الأمة في علو الهمة ،** ط 01 ، المجلد الأول ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ص : 145 .

مستقر ، ثابت في صدور الذين أوتوا العلم . أو كان المعنى : أنه آيات بينات في صدورهم ، أي : كونه آيات بينات معلوم لهم ، ثابت في صدورهم ، والقولان متلازمان ، ليسا مختلفين . وعلى التقديرين : فهو مدح لهم ، وثناء عليهم في ضمنه الاستشهاد بهم »[1].

- نفي الله تعالى التسوية بين أهل العلم ، الذين ينير الله تعالى لهم الطريق ، وبين غيرهم من أهل الجهل ، كما نفى كذلك التسوية بين الجنة ونعيمها والنار وسعيرها ، فقال : **﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾**[2]. ونفى التسوية بين صاحب العلم والجاهل ، فقال : **﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾**[3].

- كما أخبر الله تعالى برفعة درجة أهل العلم والإيمان خاصة ، فقال : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾**[4]، فجعل العلم أفضل من الجهاد ، لأن الجهاد بالحجة والبيان ، هو عملية ورثة الأنبياء والرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو الأفضل لعظيم منفعته .

- التأكيد على أن أهل العلم ، هم أهل الذكر يتطلب الرجوع إليهم وسؤالهم ، وجعل أقوالهم كالشهادة في قوله تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾**[5].

لقد ارتبطت التربية والتعليم ارتباطاً وثيقاً برسالة المسجد ، فهو المكان الرئيس لنشر الثقافة الإسلامية ، وتربية أفراد المجتمع الإسلامي وتعليمهم من المنبع الأصيل ، فإذا كان ارتباط المسجد بالتعليم الديني في سنواته الأولى ، فقد فهم المسلمون بعد ذلك الدور الريادي ، حيث أصبح بعد ذلك المصلى والمدرسة والجامعة وداراً للإفتاء وغيرها ... فكان ولا يزال إلى يومنا هذا مركزاً هاماً للوعي الإسلامي . فلم تقف وظيفة المسجد التربوية عند هذا الحد ، بل هو أشبه بنوادٍ أدبية المعاصرة ، حيث تتم إثارة كل أنواع الحوارات والجدل الفكري الراقي في اللغة والأدب والقيَّم الأخلاقية وأنواع العلوم المختلفة ، لذلك يعتبر المسجد مقصداً للوعاظ والمرشدين والعلماء الذين لهم مكانتهم في فروع العلوم المتنوعة مما يرتقي به فكر الحاضرين وتتأثر قلوبهم وعواطفهم الروحية .

ثالثاً : مجالس الذكر .

يعتبر الخطاب الديني أن مجالس الذكر خارج الشعائر التعبدية أو الصلوات المفروضة من النشاطات المهمة التي تتجلى فيها اجتماع أفراد المجتمع الإسلامي ، ففي هذه المجالس تحدد المعايير والقيّم الدينية التي توجه إلى المجتمع ، فتتحرك

---

[1] ابن قيم الجوزية : **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ،** ط 01 ، ج 01 ، ضبط وتعليق : علي بن عبد الحميد الحلبي ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الخُبر ، المملكة العربية السعودية ، 1996 ، ص : 223 .

[2] سورة الزمر ، من الآية رقم : 09 .

[3] سورة الرعد ، الآية رقم : 19 .

[4] سورة المجادلة ، الآية رقم : 11 .

[5] سورة النحل ، الآية رقم : 43 .

من سكون الكلمات والعظات إلى حركات وأخلاق يتبناها المجتمع . والذكر « هو ما يجري على اللسان والقلب ، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال »[1]، مستحضرين قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾[2]، الذي يعتبر نداءاً إلهياً « من رب رحيم يوجهه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد من إيمانهم ونورهم ... إن الذكر لله تعالى بالقلب واللسان بمثابة مُوَّلد للنور ، لا بد من مواصلته حتى لا يخفت أو ينطفئ فيضل العبد . لذا لم يجعل له عداً ولا حداً بخلاف سائر العبادات ، فإن لها عدداً أو حداً تنتهي إليه »[3].

فالخطاب الديني يعتبر أن كل سلوكات الفرد داخل المسجد وخارجه هي نوع من أنواع الذكر ، ونوع من أنواع العبادة ، وهو أسلوب يستعمله من أجل الحفاظ على التزام المجتمع الإسلامي بكل ما يقدمه ، بل يسعى إلى إبقاء الفرد أو المجتمع في حالة تركيز دائم والتزام دائم بمقتضيات الدين . كما أن ذِكرُ الله الذي يركز عليه الخطاب الديني عند أفراد المجتمع ، هو اتصال قلب المؤمن بالله ، « والاشتغال بمراقبته ، وليس هو مجرد تحريك اللسان . وإقامة الصلاة ذكر لله ... وإن كان ذكر الله أشمل من الصلاة . فهو يشمل كل صورة يتذكر بها العبد ربه ، ويتصل به قلبه ، سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أو لم يهجر به ... ومن هما يخص القرآن كثيراً ، وتحض السنَّة كثيراً ، على ذكر الله . ويربط القرآن الكريم بين هذا الذكر وبين الأوقات والأحوال التي يمر بها الإنسان ، لتكون الأوقات والأحوال مذكرة بذكر الله ومنبهة إلى الاتصال به حتى لا يغفل القلب ولا ينسى »[4].

ومن أهداف مجالس الذكر التي تقام داخل أسوار المسجد ، نذكر بعض الأهداف التي ذكرها محمد أحمد الصالح في كتابه : المسجد جامع وجامعة ، مع بعض الاختصار والتصرف :

- تهدف مجالس الذكر المقامة في المسجد إلى تقوية الوازع الديني في نفوس أفراد المجتمع بما يتلقونه من وعظ وإرشاد وتوجيه ، يعصمهم من الوقوع في المعاصي ، ويجعلهم من عناصر الخير داخل المجتمع .
- تهدف مجالس الذكر كذلك إلى ارتباط المجتمع بالمسجد ، وهذا ينتج عنه الابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغي وسائر الآفات الاجتماعية التي تنخر جسد المجتمع ، فحضور مجالس الذكر والالتزام بمحتوياتها يولد نوع من الترابط بين أفراد المجتمع ، حيث يجلس أبناء المجتمع غنيهم وفقيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، وكلهم آذان صاغية وقلوب خاشعة وأفئدة تحلم بأن تحقق الجانب الميداني مما يقدم لهم ، وهم يقتدون بالسلف الصالح ، ويبرزون معالم الدين الحضارية التي تجعل منه صالح لكل زمان ومكان .
- الابتعاد عن كل أشكال الانحراف أو القيام بالأعمال المشينة التي يرفضها المجتمع ، والتي يعتبر الابتعاد عنها التزاماً من الفرد بما يحض عليه الدين الإسلامي ، فالإحساس بالخشوع ، سواء في الصلاة ، أو التأثر بما يقدم من مادة خطابية في مجالس الذكر ، تبعده عن الانحراف ــ كما ذكرنا ــ أو ارتكاب الجرائم ، كما تعلو بروحه وتطهر نفسه من درن الفواحش والمنكرات وتصلح من أخلاقه وأعماله .

---

[1] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 32 .

[2] سورة الأحزاب ، الآيات رقم : 41 – 42 .

[3] أبو بكر جابر الجزائري : **كتاب المسجد وبيت المسلم ،** ط 01 ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور ، مصر ، 1992 ، ص : 34 .

[4] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الخامس ، ج 22 ، ص : 2871 .

• كما أن مجالس الذكر في المساجد ، سواء من خلال النشاطات ، أو من خلال أداء الصلوات في الجُمع والجماعات والأعياد ، فإنها تزود أفراد المجتمع بشعور التضامن والأخوة التي تنشئ فيهم ، وتُوَلد لديهم الرغبة في التعاون وفض كل أشكال الاعتداء أو التحرش بعضهم ببعض[1] .

رابعاً : الحلقات العلمية .

تعتبر الحلقات العلمية جزءاً من العملية التربوية والتعليمية والتثقيفية التي تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية وتعزيز مكانة اللغة العربية داخل المسجد . فرغم التطور الذي عرفته وسائل التربية ، من ظهور لمناهج جديدة وطرق علمية أنتجتها الثورة العلمية والتطورات المنهجية ، إلا أن للحلقات العلمية داخل المساجد خصوصية مكنتها من البقاء منذ العهد الأول وإلى يومنا هذا . فالحلقات العلمية التي تقام في المساجد ، يجلس فيها الإمام ، إما على سجادة متوسط الحلقة أو على كرسي ، ويلتف حوله المصلين أو طلبة العلم أو الراغبين في الحصول على ما يقوي إيمانهم ويفقههم في دينهم ويذكرهم بما يجب القيام به .

فالمساجد كانت ولا تزال إلى يومنا هذا فضاءً للتمكن والتفقه في الدين ، وتعلم اللغة العربية على أصولها ، بالإضافة إلى تحفيظ النشء القرآن الكريم في حلقات تتم في المسجد أو المدارس القرآنية التابعة له ، حيث تتم عملية التحفيظ في حلقات ، تسمى حلقات تحفيظ القرآن الكريم .

والحلقات العلمية يقصد بها بصفة عامة ، حلقة العلم التي تقام في أي مسجد من المساجد ، تهدف إلى تعليم وتفقيه وتثقيف رواد المسجد ، ثم تربيتهم وفق دراسة دينية أو شرعية يقدمها خطباء المساجد أو الأئمة ، يستفيد منها عامة الناس من خلال ترشيدهم وتوجيه سلوكهم ومعاملاتهم المجتمعية ، كما يستفيد منها طلبة العلم بصفة مجانية ، حيث أن طلبة العلم في هذه الحلقات معظمهم من النشء المريد لحفظ القرآن ، وهي طريقة دأب عليها المجتمع من أجل تنشئة الجيل الجديد على حفظ القرآن الكريم والسلوك الديني القويم ، تحضيراً لمعترك الدراسة النظامي داخل المدارس والمعاهد .

ومن أهم الأدوار التي كانت ولا تزال تقوم بها الحلقات العلمية ، نذكر بعضها في النقاط التالية :

• التعريف بالدين الإسلامي ، وكل ما يتعلق به من عبادات ومعاملات وأحكام وغيرها ... بطريقة مباشرة ، وهذا الأمر هو الدور الأساس الذي يسهر عليه المسجد . فالوالج إليه يريد معرفة دينه على أكمل وجه ، وهنا يدخل ضرورة تحكم الخطيب أو الإمام في كيفية بناء الخطاب المقدم ، إذ أن إقدام المصلين على المسجد يتزامن معه ضرورة صياغة خطاب وحدي وواحد يمكن من خلاله الحفاظ على وحدة الخطاب الديني التي تؤدي إلى وحدة المجتمع .

• الوعظ والإرشاد ، وذلك بدعوة أفراد المجتمع إلى فعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات ، وما يحقق هذا الأمر هو الحالة النفسية الخاشعة التي تزيدها قداسة المكان إلى التفتح لاستقبال التوجيهات الدينية المقدمة ، والتي ينبثق عنها سلوكاً حميداً ويزيل عنها سلوكاً غير سوي .

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص . ص : 69 – 70 .

- تعليم النشء ، حيث تسعى الحلقات العلمية المقامة داخل المسجد أو في المدارس القرآنية التابعة له لتحفيظ النشء القرآن الكريم والأخلاق الحميدة . فقد أثبتت الكثير من البحوث والدراسات الميدانية في مجال التربية والتعليم أن النشء الذين يتعلمون في الحلقات العلمية بالمسجد ويحفظون بعض سور القرآن الكريم يكونون أكثر استعداداً لمزاولة الدراسة بالمدارس النظامية ويثبتون مهارات غير عادية ، عكس الذين لم يمروا على حلقات التعليم بالمدارس القرآنية أو المساجد .
- تقديم الأسس الصحيحة ، المبنية على الدين للعلاقات الاجتماعية والمعاملات بين أفراد المجتمع ، وهذه تتم عن طريق الدروس في الحلقات العلمية ، كما تتم في الخطب المقدمة في الجُمع أو الدروس المتنوعة التي يقدمها الإمام أو الخطيب إلى الوافدين على المسجد . فالمادة المقدمة حول العلاقات أو المعاملات تكون مدعومة بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومواقف الصالحين من صحابة أو تابعين . وهذا الاستدلال له عظيم التأثير على المصلين .

خلاصة الفصل

إن تخصيص هذه الدراسة لمعرفة الخطاب الديني المتداول بين أسوار المسجد ، ينبع من كون هذا الأخير المكان المقدس الذي ينطلق منه الخطباء (الأئمة) في تأدية الخطاب الديني ، وذلك بجعل المسجد المنطلق الفعلي أو العملي في مختلف الأمور التي يريدها أو يعيشها المجتمع الإسلامي . فلم يكن المسجد في الإسلام مكان أداء الصلوات ، بل كان القائد السياسي والاقتصادي والمرشد الديني ، والمكوّن لرجال الدين والفكر والسياسة . وهذا ما أعطاه تلك القدسية والمكانة بين أبناء المجتمع ، أضف إليها العناية الربانية التي رفعت من مكان دنيوي ، إلى تسميته ببيت الله تعالى في الأرض .

لقد ذكرنا بأن المكان في حد ذاته لا قيمة له ، بل القيمة الحقيقية في الوظيفة التي اختير لأجلها ، لذلك وجب فيها تحقيق الرسالة ، فالخطاب الديني لا يستعمل مفهوم الوظيفة عندما يتحدث عن المسجد ، بل يستعمل الرسالة . وهذه الرسالة حتى تحقق مطلب الأمة لا بد أن تتحد المساجد بعضها مع البعض الآخر في كل النواحي الإدارية وغير الإدارية ، وأن تتضافر جهود القائمين على شؤونها ، من خلال تأسيس ارتباط بين أئمة المساجد وخطبائها من أجل توحيد الرؤى وتوحيد الخطاب الديني الذي يقدم إلى أفراد المجتمع .

كما تحدثنا عن بساطة الشكل الموجود في المساجد ، لأن مكانة المسجد عند المسلمين ، مكانة عظيمة ، يستمدها من المكانة التي أولاها لها الله تعالى ، إذ أفرده بكونه بين الله في الأرض ، وأقدس الأماكن وأطهرها ، ودعم ذلك ما أعطاه له رسول الله ﷺ ، وما فعله من بعده أجيال المسلمين ، حيث انتشر بناء وعمارة المساجد كأعمال تقرب العبد من ربه ، يريد منها الجزاء في الآخرة . فلا يهم الشكل ، ولا يهم المظهر ، بل الذي يهم الخطاب الديني هو المهام التي يحتضنها المسجد ، إذ تعتبر هذه المهام وسائل يستعملها الخطاب الديني من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافه ، ومن أجل ذلك أنيط بمهام ووظائف سامية تهدف إلى السمو بالإنسان والمجتمع الإسلامي على حد سواء .

فقد ارتبط تاريخ الأمة الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقاً ، لأن الإسلام لم يقصر رسالة المسجد على أداء الصلوات ، بل جعل رسول الله ﷺ المسجد ليقوم بدور إيجابي ، ويحقق أهداف سامية تخدم المجتمع الإسلام ككل . فإلى

جانب أداء الصلوات المفروضة ، فالمسجد مكان مرموق لطلب العلم وعقد المجالس والحلقات العلمية ، فهو بدون منازع مشعلاً حضارياً ومركزاً ثقافياً لتثقيف أفراد المجتمع الإسلامي . فالمساجد لم يتم إعمارها من أجل طابعها المعماري ، أو من أجل الزينة والتباهي ، وليست مثل الدير أو المعابد أو الكنائس ، بل بُنيت من أجل إقامة الصلوات فيها جماعة ، ومن أجل مهام أخرى ، أبرزها التربية والتعليم .

لقد ارتبطت التربية والتعليم ارتباطاً وثيقاً برسالة المسجد ، فهو المكان الرئيس لنشر الثقافة الإسلامية ، وتربية أفراد المجتمع الإسلامي وتعليمهم من المنبع الأصيل ، وكذلك هو فضاء لذكر الله . فالخطاب الديني يعتبر أن كل سلوكات الفرد داخل المسجد وخارجه هي نوع من أنواع الذكر ، ونوع من العبادة ، وهو أسلوب يستعمله من أجل الحفاظ على التزام المجتمع الإسلامي بكل ما يقدمه ، بل يسعى إلى إبقاء الفرد أو المجتمع في حالة تركيز دائم والتزام دائم بمقتضيات الدين .

من جهة أخرى تعتبر الحلقات العلمية جزءاً من العملية التربوية والتعليمية والتثقيفية التي تهدف إلى نشر الثقافة الإسلامية وتعزيز مكانة اللغة العربية داخل المسجد . فرغم التطور الذي عرفته وسائل التربية ، من ظهور لمناهج جديدة وطرق علمية أنتجتها الثورة العلمية والتطورات المنهجية ، إلا أن للحلقات العلمية داخل المساجد خصوصية مكنتها من البقاء منذ العهد الأول وإلى يومنا هذا . فالحلقات العلمية التي تقام في المساجد ، يجلس فيها الإمام ، ويلتف حوله المصلين أو طلبة العلم أو الراغبين في الحصول على ما يقوي إيمانهم ويفقههم في دينهم ويذكرهم بما يجب القيام به ، فالمساجد كانت ولا تزال إلى يومنا هذا فضاءً للتمكن والتفقه في الدين ، وتعلم اللغة العربية على أصولها ، بالإضافة إلى تحفيظ النشء القرآن الكريم في حلقات تتم في المسجد أو المدارس القرآنية التابعة له ، حيث تتم عملية التحفيظ في حلقات تحفيظ القرآن الكريم .

الفصل التاسع :

دور المسجد وأهميته في الإسلام

تمهيد

المبحث الأول : دور المسجد في الحياة الاجتماعية

المبحث الثاني : الآثار التربوية للمسجد

المبحث الثالث : أسباب انحسار دور المسجد وأوجه الإصلاح

خلاصة الفصل

الفصل التاسع :

دور المسجد وأهميته في الإسلام .

تمهيد

إن المسجد في الإسلام ، هو « المدرسة الأولى التي تعني بالإنسان وتنمي فيه روح الشجاعة والإقدام ، كما توجِد فيه روح العطف والإحسان . تربي روح الأخوة والألفة والمحبة بين المؤمنين ، فيعيشون في بعد عن التنافس والتطاحن وحروب الطبقات ، لأن كل فرد يشعر بكرامته التي كرمه الله بها ، وأنه متساوٍ في الحقوق والواجبات مع جميع الذين يقفون بجواره في الصف سواء كانوا حكاماً أو محكومين ، أغنياء أو فقراء لا فضل على أحد إلا بالتقوى . يلمس كل فرد ذلك عملياً في المسجد »[1]، فتتجسد بين أفراد المجتمع الإسلامي الخصال الحميدة ، فيقوى الصدق في القول ويتعاظم الإخلاص في العمل وتتعمق العقيدة في النفوس من الممارسة الفعلية للشعائر في المسجد .

فالخطاب الديني يعتبر المسجد مؤسسة دينية مفصلية ومركزية تحوم حولها كل مؤسسات المجتمع الإسلامي الأخرى ، حديثة وتقليدية ، ويعود ذلك إلى دور المسجد في نشر تعاليم الدين الإسلامي ، وكذلك نشر الثقافة الإسلامية ، وتربية أفراد المجتمع الإسلامي وتعليمهم من المنبع الأصيل ، فإذا كان ارتباط المسجد بالتعليم الديني في سنواته الأولى ، فقد فهم المسلمون بعد ذلك الدور الريادي ، حيث أصبح المصلى والمدرسة والجامعة وداراً للإفتاء وغيرها ... فكان ولا يزال إلى يومنا هذا مركزاً هاماً للوعي الإسلامي .

« ولم تقف وظيفة المسجد التربوية عند هذا الحد فحسب ، بل كانت أشبه بنوادٍ أدبية تثار فيها أنواع النفائس والجدل الفكري الراقي في اللغة والأدب وقضايا الفكر والقيَّم الأخلاقية وأنواع العلوم المختلفة ، ومن أجل ذلك كانت مقصداً للوعاظ والمرشدين والعلماء الذين لهم مكانتهم في فروع العلوم المتنوعة مما يرتقي بع فكر الحاضرين وتتأثر قلوبهم وعواطفهم الروحية »[2]. ولعل أبرز هذه المظاهر التربوية خطبة الجمعة ، التي يعتبرها الخطاب الديني موعداً تربوياً وتعليمياً أسبوعياً يستفيد منه المجتمع الإسلامي .

فدور المسجد وأهميته في الإسلام لا يمكن حصرها في نقاط دون الأخرى ، لأن دوره يقوم على بناء مجتمع وفق المعايير والقيّم التي يتبناها الخطاب الديني ، وهو ما سوف نحاول التطرق إليه في هذا الفصل بمباحثه الثلاث التي تطرقت إلى دوره في الحياة الاجتماعية ، والآثار التربوية وأخيراً أسباب انحصار دور المسجد في المجتمع الإسلامي وأوجه الإصلاح الممكنة ، حيث اشتمل كل مبحث على مجموعة من النقاط .

---

[1] علي محمد مختار : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 68 .

[2] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 41 .

المبحث الأول : دور المسجد في الحياة الاجتماعية .

إن أهمية المسجد التي ذكرناها في الفصل الثامن تبيّن الدور الاجتماعي الكبير الذي يقوم به المسجد ، فلا يمكن اقتصار دور المسجد على أداء الصلوات اليومية أو الأسبوعية وصلاة الأعياد . فالخطاب الديني يغتنم ذلك الانصهار الذي يحدث في نفوس أبناء المجتمع الواحد ، ويركز على التجرد الذي يحدث لهم بوجودهم في بيت من بيوت الله ، ذلك التجرد الذي يقضي على فارق الرتب والمناصب والمسؤوليات الدنيوية ، ويعتمد على كسر المسجد لتلك الفوارق والحواجز الدنيوية ، كالشهوات والأهواء وغيرها من خصائص تعرف عند أفراد المجتمع الإسلامي اليوم خارج المسجد .

« فركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله ، جنباً إلى جنب ، تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة ، ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة وتتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي لهذا وغيره بدأ رسول الله ﷺ إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بعمارة المساجد ، معلناً بذلك أنه الركن الأول والدعامة الأولى لقيام هذا المجتمع »[1] .

ولعل من أهم الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها المسجد ، والتي تعتبر من العوامل المهمة التي يستوجب تحقيقها في واقع المسلمين حتى يطمعوا في تحقيق الوثبة المنتظرة ، ما سوف نتطرق له في هذا المبحث ، فتقوية الوازع الديني ، ووحدة المجتمع وتماسكه ، وتربية الأفراد على الاعتدال والوسطية المنهج المحبب للمسلمين الذي يؤدي إلى حمايتهم من الانحراف والجريمة في ظل تكافل اجتماعي لا يوجد له مثيل في الدين الإسلامي ، كلها أدوار مهمة يسعى المسجد إلى تحقيقها من خلال رسالته الاجتماعية .

أولاً : تقوية الوازع الديني .

يرى الكثير من الباحثين ، أن البساطة التي تعرفها تشييد المساجد في غالب الأحيان ، تعود إلى الأدوار المهمة التي يقوم بها ، فإذا كانت هذه البساطة هو التزام بوحي السنة النبوية التي ترفض التنميق والتفاخر في البناء والعمل على تبسيط الأمور خشية فتنة المسلم وإلهائه على أداء واجبه بخشوع وإيمان ، « فلعمارة المسجد بُعداً اجتماعياً آخراً يتمثل في التأثيرات التي يؤثر بها المسجد ــ ككيان روحي ومادي ــ في النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع ... لأن المسجد لم يكن ليشيد كمبنى له مكانة ، وإنما المكانة العظمى هي في جوهر ما يُؤدى فيه من طاعات وعبادات ، وما يجري فيه من معاملات ، وما يقوم به من دور فعال في عمارة وتنمية المجتمع »[2] .

ولا شك أن من بين أدوار المسجد الاجتماعية ، هي تقوية الوازع الديني لدى الفرد والمجتمع ، والوازع الديني هنا هو الديني والأخلاقي ، لأننا نقصد بالوازع الديني كل القيّم الأخلاقية التي تُكرس أو تُغرس في النفس البشرية والتي تُترجم وتتحول إلى سلوكات وممارسات يقوم بها المجتمع عن طريق التأثيرات الخارجية ، أهمهما على الإطلاق ما يقدم له من خطاب ديني داخل المسجد . لأن الفرد الذي يجعل صلب أعينه تلك القيّم السامية التي جاء بها الإسلام في كتاب الله

---

[1] صالح بن غانم السدلان : **الأثر التربوي للمسجد** ، محاضرة غير مطبوعة ، ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية ، من تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2002 ، ص : 05 .

[2] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 105 .

وسنة نبيه ﷺ معياراً في كل تحركاته وتفكيره وسلوكاته وأخلاقه سوف يرقى بالمجتمع إلى الجانب المثالي الذي وصف به رسول الله ﷺ بأنه كان قرآناً يمشي . وهذا ما نقصد به الوازع الديني .

كما يعتمد الوازع الديني على سلطة الضمير لدى المجتمع ، حيث الضمير لدى النفس البشرية يمثل سلطة تقوم بتمثيل الوازع الديني ، كما تمثل اضبط الاجتماعي ، ويرى البعض بأن الضمير سلطة قائمة بحد ذاتها ، ولديها وازع ، فالبعض يقول وازع الضمير ، الذي يعمل كموجه للإنسان في تصرفاته . غير أن تقوية الوازع الديني الذي يريده الخطاب الديني انطلاقاً من وظيفة المسجد ، وبإجماع الباحثين والدارسين يعود تقوية الوازع الديني إلى تقوية الضبط الاجتماعي داخل المجتمع .

فالحديث عن الوازع الديني ، هو حديث عن الضبط الاجتماعي ودور المسجد في تقوية عوامل الضبط الاجتماعي حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من الحفاظ على مقوماته ومحاربة كل أشكال الانحراف التي يمكن أن يتعرض لها أفراد المجتمع ، لأن الإسلام نظام ضابط بكل ما يحتويه من عبادات ومعاملات ، قيم ومبادئ ، أخلاق وآداب ، خاصة إذا زاد عليها ما يمنحها المسجد بقداسته والخطيب بقدوته وتأثيره على المصلين . فالمسلم يلج المسجد وكله استعداد مادي وروحي من أجل استقبال رسائل الخطاب الديني التي تجعل منه رجل صالح لنفسه وأسرته ومجتمعه وفق المعايير الإسلامية . أضف إلى ذلك ، أن تقوية الوازع الديني أو الضبط الاجتماعي الذي يقوم به المجتمع لن يجديا نفعاً ما لم يواكبها عمليات متواصلة وهادفة من التربية ، خاصة التربية المصبوغة بطابع ديني ــ أي التربية الإسلامية ــ التي يعتبرها الكثير بالتربية الشاملة والكاملة والمتوازنة ، والتي لم تقتصر على جانب دون جانب ، فاهتمت بمختلف الجوانب الجسمية والعقلية والروحية للفرد في المجتمع الإسلامي .

كما اهتمت بتربية الضمير الإنساني ليكون حياً يقظاً في كل الأحوال ، لأن ضمير الإنسان الحي هو الذي يوجه ويراقب أعمال وسلوكات الفرد داخل المجتمع . وبهذا فالتربية تقوم بتوجيه الأفراد ، أي تقديم ما يحتاجه الفرد من رعاية وعناية للحفاظ على الفطرة السليمة وتنمية الاستعدادات والمواهب في ضوء تعاليم الدين الإسلامي ، كما تقوم بتحقيق الضبط من خلال التنشئة الاجتماعية التي تتضمن تشكيل الفرد وبناء شخصيته حتى يقوم بالتكيف مع المجتمع .

فالإنسان الذي يتقدم أو يأتي إلى المسجد لأداء الصلوات ، والاستماع إلى ما يقدم له من خطاب ، يعرف تمام المعرفة أن لديه جملة من الأوامر يجب تنفيذها ، كما لديه جملة من النواهي يجب عليه اجتنابها ، وانتهاء عن القيام بها ، صادقاً غير ناكث ، عن طواعية ، بل بمحبة كبيرة يدرك من خلالها أنها تجلب له السعادة ، وترفع له الدرجات في الحياة الدنيا والآخرة ، فالأوامر والنواهي نوع من الضبط الاجتماعي الذي يمارسه الإسلام ، ومن أمثالها قوله : **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾**[1] .

فالمسلمون يدركون ، بأنه « الاستسلام المطلق ليد الله تقود خطاهم ، وتصرف حركاتهم ، وهم مطمئنون لليد التي تقودهم ، شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين ، سائرون معها في بساطة ويسر ولين . وهم ــ مع هذا ــ يعملون ما يقدرون عليه ، ويبذلون ما يملكون كله ، ولا يضيعون وقتاً ولا جهداً ولا يتركون حيلة ولا وسيلة . ثم لا يتكلفون ما لا

[1] سورة الأحزاب ، الآية رقم : 36 .

يطيقون ، ولا يحاولون الخروج عن بشريتهم وما فيها من خصائص »[1]. فالعبادات تعتبر ضوابط اجتماعية إيجابية ، والالتزام بها يقوي الوازع الديني ، فالصلاة في قوله : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[2]. « تشتمل على أفعال وأقوال متعددة ، دعاء وذكر واستغفار وقرآن وقيام طويل (قنوت) وركوع وسجود ، وهي عمل صالح لها ثواب كبير »[3]، كونها عبادة ، إلا أنها تهدف إلى تحقيق الكثير من المثل والأخلاق وضبط السلوك الإنساني . فيكفي أن الصلاة هي أحب العبادات إلى الله تعالى ، ورسول الله ﷺ يقول :« ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ، ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد »[4]. فالعبادات تترابط مع المعاملات ، وينتج عنها آداب وأخلاق حميدة ، وطبعاً المخالف أو المقصر يواجه بالعقوبات .

إن المبادئ العامة التي جاء بها الإسلام ، هدفها الأسمى تنظيم الحياة الاجتماعية ، خاصة فيما يتعلق بالمعاملات التي تحدث داخل المجتمع الإسلامي بين أفراده ، وضبط أمور المجتمع فيما يخص المعاملات ، يعني الحديث عن الكليات الخمس في الدين الإسلامي ، وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والعرض ، والعقل وحفظ المال . فعدم حفظهما يؤدي إلى سقوط المسلم في مجال العقوبات ، والتحلي بها يدل على الأخلاق الحميدة . إنه يوجد ترابط وتشابك كبير بين مجالات الضبط الاجتماعي ، أو المجالات الحية لتقوية الوازع الديني حتى يسير المجتمع في كنف الفضيلة ويحقق المجتمع السامي الذي يهدف الخطاب الديني للوصول إليه .

فالعبادات ترشد المسلم إلى القيام بأحسن المعاملات ، مثل تحذير رسول الله ﷺ من أن تكون الصلاة لا تنهى عن الفحشاء أو المنكر ، فصاحب هذه الصلاة لا فائدة من صلاته ، والمعاملات تبين مدى التزام الفرد بما يقدمه الدين ويحث عليه من أخلاق حميدة ، كما أن تحديد العقوبات هو ضبط اجتماعي يتعرض له كل مخالف لتعاليم الدين . فالإسلام بمختلف التعاليم يسعى إلى تهذيب النفس البشرية وتوجيهها الوجهة الصحيحة ، لذلك نجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الأصول العامة والقواعد الكلية التي تعتبر الضوابط التي تقوم بتنظيم شؤون المجتمع ، حيث تعتبر هذه الضوابط أو الكليات والأصول ، أو المبادئ العامة ثابتة لا تختلف باختلاف البيئات ، ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان ، هدفها الأسمى تسيير شؤون المجتمع وفق المثل العليا والمبادئ السامية التي يعني الالتزام بها بقاء الوازع الديني قائم وحي في نفس وضمير الفرد والمجتمع .

ثانياً : وحدة المجتمع وتماسكه .

من بين الأدوار المهمة للمسجد في الحياة الاجتماعية ، سعيه لوحدة المجتمع وتماسكه ، حيث يعتبر « بوضعه الديني والثقافي من أهم العوامل التي تشيع المحبة والأخوة بين المسلمين بتلاقيهم مرات في اليوم الواحد يذكرون ربهم ،

---

[1] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الخامس ، ج 22 ، ص : 2867 .

[2] سورة العنكبوت ، من الآية رقم : 45 .

[3] فهد بن عبد الرحمن الرومي : **الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها ،** ط 07 ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1996 ، ص : 17 .

[4] أبو حامد محمد الغزالي : **إحياء علوم الدين ،** ط 01 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص : 174 .

ويتشاورون في أمور دينهم ودنياهم ، واختفت بينهم عادات الكبرياء والأنانية ، فالكل يسعى إلى مرضاة الله تعالى وذلك حين يقف الجميع أمام الله في صفوف متراصة متساوية »[1]، لا فرق بين غني أو فقير ، بين عالم وجاهل ، كبير أو صغير ، الكل يضع جباههم وأنوفهم على نفس البساط أو الحصير دون إنكار أو تأفف .

فالإنسان في تفكيره وتقديره للأشياء وتنظيمه لحياته ، أو حتى النُظم أو الأطر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يسير وفقها يشوبها دائماً الكثير من النقائص ، وتختلط في كثير من المرات ، إن لم يكن جلها بأهواء الإنسان ومصالحه ، فهي بدون شك ــ نقصد الأطر أو النُظم ــ تشكو من علة النقص وعدم الشمول والكمال ، فهي صفة بشرية ، والكمال المطلق في الإسلام هو للذات الإلهية الذي يقول : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾**[2]. فغاية الخلق هو عبادة الله تعالى ، حيث يتبيّن أن مدلول العبادة أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر ، إنه يتجلى في غاية الوجود الإنساني أو وظيفة الإنسان الأولى وهي خلافة الله في الأرض .

إنه لا يتحقق معنى العبادة ، إلا إذا أصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض ... كلها عبادة ، وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق من أجلها الإنسان ، والمتمثلة في عبودية كل شيء لله دون سواه . فالخطاب الديني في المسجد لا يتوان عن تقديم هذه المعاني في كل المناسبات حتى يتحقق توحيد المجتمع وتماسكه ، توحيد يبدأ بتوحيد المفاهيم التي تجعل الأفراد يوقنون الهدف الأسمى لخلقهم وتواجدهم على سطح هذه الأرض ، وهو عبادة الله بمختلف المعاني التي تجعل من التوحد هدفاً ، ومن الصراع على المصالح أمراً يعاد فيه النظر .

إن الخطاب المنطلق من المساجد يركز دائماً على استعمال التراث في التأكيد على وحدة المجتمع وتماسكه ، ضارباً بذلك الأمثال التي يعتبرها أشياء ملموسة يجسد بها المجتمع وحدته ، ويؤكد تماسك أفراده ، فهو يذكر دائماً بذلك المجتمع الأول الجاهلي الذي أتت إليه الرسالة السماوية ، وكيف أسس النبي ﷺ دعائم المجتمع الذي قاد الرسالة وبني أول اللبنات في الحضارة الإسلامية ، فقد بُني المجتمع الأول بناء محكماً على المحبة والألفة ووحدة الكلمة واجتماع القلوب والألباب . فمقاصد الشريعة الإسلامية تسعى كلها إلى وحدة المجتمع وتماسكه ، في العبادة أو المعاملات أو الحث على الأخلاق الحميدة أو حتى العقوبات ، فلكها تتشابك بينها لتحقق هدفاً أسمى هو وحدة المجتمع وتماسكه .

كما يرى كل أعلام الخطاب الديني على اختلاف مناهلهم ومشاربهم أن تفكك المجتمع يرجع إلى التخلي عن الدين بسبب مختلف المشاكل الاجتماعية ، لأن المتأمل في كل الآيات القرآنية التي حثت على الوحدة ، يرى أن هذه الوحدة المنشودة هي التي تجعل المجتمع قوياً متماسكاً ، وربطت بين المحافظة على الدين والوحدة ، لأن الدين هو أساس وحدة وتماسك المجتمع الإسلامي . فقد جاء في قوله : **﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾**[3]، وقوله : **﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا**

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 54 .

[2] سورة الذاريات ، الآيات رقم : 56 – 57 .

[3] سورة آل عمران ، من الآية رقم : 103 .

فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1]. فالالتزام بالدين ، خاصة بالتفاف أفراد المجتمع حول خطيب المسجد ، يؤدي إلى تمسك الأفراد والتزامه ، ووحدة كلمتهم ، أي وحدة مجتمعهم ، فالوحدة سبب كل خير والفرقة والتشتت سبب كل شر ، خاصة في ظل كثرة المتربصين وتسارع الأحداث وتوتر الأوضاع المحلية والدولية في عالم العولمة .

فالإيمان الذي يريده الخطاب الديني ، ليس فقط الموصل إلى سعادة الآخرة ، بل هو السبيل أيضاً إلى سعادة الدنيا التي يحرص كل الناس عليها ، الإيمان « الذي ينمي في الإنسان حوافز الخير ، وكراهية الشر ، ويملأ ما بين جنبيه شوقاً إلى التزكي ورغبة في الترقي عن جاذبية الطين الأدنى ، إلى أُفق الروح الأعلى ، وهو الذي يعطي للإنسان الطاقة والقدرة للتحليق بأشواقه الصاعدة ، فوق مستوى الغرائز الهابطة ... الإيمان ... هو وحده الذي تنبت في تربته شجرة الأخلاق ، وتنمو في ربوعه أزهار الفضائل المثلى والقيم العليا ، وقد أثبت التاريخ والواقع أن الأمم بدون أخلاق ، لا تنهض بعبء جسيم ، ولا تقوم بعمل مبدع »[2].

ويظهر دور المسجد في وحدة المجتمع وتماسكه ، كونه الحاضن لكل نشاط يحث أفراد المجتمع على توحيد الكلمة وترميم الصف ، والخطاب الديني يستغل المسجد ليقوم بتركيز رسائله على كل ما من شأنه توطيد العلاقة بين المسلمين باستعمال القرآن الكريم والسنة النبوية ، خاصة من خلال التركيز على ضرورة الإيمان والسعي إلى تجديد ما يبلى فيه ، وكذلك التركيز والاهتمام بالعبادات وأثرها على المعاملات واكتساب الأخلاق الحميدة ، أو عن طريق التهديد بالعقوبات الدنيوية ، وعقاب الله في الدار الآخرة . وكلها عوامل يرى الخطاب الديني أنها تحل النزعة الذاتية الفردية عند الإنسان ، وتجعله يفضل الجماعة أو المجتمع ، ويقدم المال والجُهد من أجل الآخرين . كما توثق هذه العوامل من روابط الأخوة وعُرى المحبة ، فلا ينظرون إلى اختلافاتهم العرقية واللونية أو حتى اللغوية ، حيث يذيب الإيمان هذه الحواجز ويخفي مختلف الأحقاد .

ثالثاً : الحماية من الانحراف والجريمة .

يرى الكثير من الباحثين والدارسين أن هناك جملة من الأسباب والعوامل متضافرة هي التي تؤدي إلى الانحراف أو الخروج عن خط السير أو المنهج الصحيح ، ثم تؤدي إلى الجريمة ، ومن أهمها على الإطلاق ضعف الوازع الديني ، الجهل وتراجع دور المؤسسات الدينية ، منها تراجع دور المسجد ، لذلك كان دور المسجد مهماً في حماية أفراد المجتمع الإسلامي من الانحراف والجريمة ، المسجد الذي يمد الفرد بطاقة ومناعة من الانحراف والجريمة ، وليس الذي يقدم الدين على أساس أنه جملة من الواجبات ومجرد فرائض وخطوط حمراء وعقوبات .

فالخطاب الديني يستعمل الشريعة الإسلامية لتسيير حياة المجتمع ، ومواجهة مختلف المشاكل التي تواجه الأفراد ووضع الحلول لها ، فهي تنطلق من مبدأين أساسيين هما : ثبات الأصول وتغير الفروع ، حيث ما كان في حياة المجتمع لا تعرف التغير تأتي ما يسميه الفقه بالأحكام ، أما الأمور التي تعرف التغير بتغير المجتمعات وتطورها وتوسع النشاط

---

[1] سورة الشورى ، من الآية رقم : 13 .

[2] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص . ص : 163 – 164 .

والمعارف فيها ، فالخطاب الديني يقابل ذلك بسرد المبادئ العامة والقواعد الكلية التي يجوز فيها تعدد التطبيقات واختلاف القراءات والتصورات ، لأن الشريعة هي :« ما سنَّ الله من الدين وأمر به كالصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر أعمال الخير والبِر ، أو أمر باجتنابه والابتعاد عنه كالقتل والزنا وشرب الخمر والقذف والسرقة وسائر المعاصي »[1].

فالانحراف أو الجريمة هي :« فعل محظورات بالشرع زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير ، والمحظورات تشمل ارتكاب ما نهى عنه الشارع أو أمر باجتنابه ، أو ترك ما أمر به الشرع أمر بوجوب . فالجريمة إذاً نوع من المعاصي نهى الشرع عن فعلها ورتب على فاعليها عقوبة دنيوية »[2]. فالخطاب الديني يواجه أو يقابل الانحراف من خلال تهيئة المسلمين للقيام بما أمر به الشارع من خلال الدعوة إلى الالتزام بالأوامر ، والتحذير من العقوبات الدينية والدنيوية وحتى الاجتماعية لمن يترك نفسه تنزلق إلى فعل ما نهى عنه الشرع ، ونهي الشرع مركب من نواهي إلهية تقتضيها حكمة الله في تسيير شؤون العباد ، ونواهي اجتماعية رأى المجتمع ضرورة الانتهاء عنها لمصلحة المجتمع .

فكل هذا يتم داخل أسوار المسجد ، لأن الدين قبل دخوله المسجد ، هو ضرورة إنسانية تسعى للمحافظة على النظام الاجتماعي والتوافق معه ، وتقوية الروابط الاجتماعية التي يحقق المجتمع من خلالها وحدته بإتباع الأوامر والانتهاء عند النواهي واجتنابها ، لأن هذا الالتزام بالأوامر واجتناب هذه النواهي يجعل الرابطة بين الفرد والمجتمع رابطة قوية تمكنه من تماسك صفوفه وتجنبه الوقوع في مشكلة الانحراف ، أو أزمة الجرائم المختلفة . والخطيب يتوجه إلى جماعة المصلين شاكراً الممتثل للدين والملتزم به محذراً المخالف ، ذلك أن المخالف كالمشاغب من الأبناء في العائلة يحظى باهتمام أكثر من غيره ، فنجد الخطيب يتوجه إلى المصلين لأنه يعلم أن من أهداف الجماعة الحفاظ على الدين وحماية الأفراد من الانزلاق في متاهة الانحراف أو الوقوع في شباك الجريمة .

إن الخطاب الديني عندما يركز على النشاطات المسجدية ، فالقائمين عليه يدركون الدور الذي يقوم به المسجد في حماية المجتمع من الانحراف والجريمة ، كما يدركون المضار التي تتركها هذه الظاهرة في المجتمع ، فالمضار أو الأضرار تتنوع من أضرار دينية إلى اجتماعية وخُلقية . فيركز على المؤمن الذي يدرك بأن الإيمان « بمفهومه الصحيح هو عماد إصلاح النفس واستقامة سلوكها ، فهو يربي الضمير الإنساني ويجعله سيفاً مصلتاً لمحاربة انحرافات النفس وكبح جماحها . والمسلم الصحيح يحس بأن ثمة رقابة من الله تعالى يسمعه ويراه ويعلم خواطر نفسه ، وأنه محاسبه على ما يفعل ويقول ، فلا يتبع هواه ولا يفعل ما يغضب ربه ، بل ينقاد لشرع الله ، ويصبر على طاعة مولاه رجاء الرحمة ودخول جنة ورجاء النجاة »[3].

بنفس الطريقة يحاول الخطاب الديني مواجهة الأضرار الاجتماعية المترتبة عن الانحراف والجريمة ، باعتبار الفرد جزء من الأسرة ، والأسرة نواة المجتمع الإسلامي ، حيث اعتنى ببناء الفرد من خلال تلقينه ما يحتاج من تهذيب وتربية وتأديب ، فأمره بتجديد إيمانه الذي يقوى ويزداد بالطاعة وينقص بالمعصية المؤدية إلى الانحراف . « كما خصت الشريعة

---

[1] محمد بن عبد الله الزاحم : **أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة** ، ط 02 ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1992 ، ص : 12 .

[2] نفس المرجع ، ص : 14 .

[3] نفس المرجع ، ص : 31 .

الإسلامية الأسرة بتنظيم دقيق ودعت إلى تماسكها وتكاتفها حتى تكتمل وحدتها ويقوي أعضائها بقوتها ... من أجل ذلك أوجبت أن يعمل كل فرد في الأسرة على إصلاح نفسه ومحاولة إصلاح اعوجاج الآخرين فيها ، وألزمت الآباء بتربية الأبناء تربية صالحة تباعد بينهم وبين الفساد ... فإذا كانت الأسرة على هذا النحو من التماسك والتآزر والتعاطف أدى ذلك إلى تماسك المجتمع وتكافل أفراده فيكون مجتمعاً قوياً لا يتطرق إليه الفساد والانحلال »[1].

كما يعتبر الخطاب الديني الأخلاق الفاضلة هي أساس قيام الدولة والمجتمع ، وعامل مهم في صلاحية الفرد ، حيث يقدم الخطيب في مختلف نشاطات المسجد النبي ﷺ كقدوة ومثال للأخلاق الحميدة ، مؤكداً على ذلك بوصف الله تعالى لأخلاق نبيه ، حيث يقول تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[2]. « فقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة العالية في حسن الخُلُق ودماثته ولطف المعاملة وطيبها ، أثنى الله عليه بهذه الصفة الحميدة في القرآن الكريم ... وكان ﷺ شديد الحرص على اتصاف أهله وأصحابه وأمته بالأخلاق الحميدة والصفات الطيبة والمبادئ العالية »[3]، فقد قال رسول الله ﷺ ليؤكد ذلك بقوله « إن خياركم أحسنكم أخلاقاً »[4].

رابعاً : التكافل الاجتماعي .

إن التكافل الاجتماعي الذي يسعى إلى تحقيقه الخطاب الديني في المسجد ، هو ذلك التعاون الحاصل بين أبناء المجتمع الواحد فرادى وجماعات من أجل تحقيق الخير ودفع الجور ، والذي يتحقق بتضامن أبناء المجتمع وتساندهم فيما بينهم باتخاذهم لمواقف إيجابية بدافع من شعور وجداني عميق نابع من أصل العقيدة الإسلامية . فالتكافل الاجتماعي يعتبر من أهم المقاصد العامة والأهداف السامية للإسلام المبنية على مصلحة الجماعة ووحدتها وتماسكها ، وعلى الأخوة الإنسانية التي تشمل كل أبناء البشر ، أي المجتمع العالمي على اختلاف المعتقدات والديانات وغيرها .

يقول سيد قطب :« والإسلام يمنح الحرية الفردية في أجمل صورها ، والمساواة الإنسانية في أدق معانيها ، ولكنه لا يتركها فوضى ، فللمجتمع حسابه ، وللإنسانية اعتبارها ، وللأهداف العليا للدين قيمتها . لذلك يقرر مبدأ التبعة الفردية ، في مقابل الحرية الفردية ، ويقرر إلى جانبها التبعة الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها . وهذا ما ندعوه التكافل الاجتماعي . والإسلام يقرر التكافل في كل صوره وأشكاله »[5]. فالتكافل يكون بين الفرد ونفسه أو ذاته ، وبين الفرد وأسرته الصغيرة ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الأمة والأمم الأخرى ، بل يرى سيد قطب أن التكافل الاجتماعي يكون بين الجيل والأجيال المتعاقبة أيضاً .

فكل فرد في المجتمع ، كما يقول سيد قطب :« مكلف أن يرعى مصالح الجماعة كأنه حارس لها ، موكل بها . والحياة سفينة في خضم ، والراكبون فيها جميعاً مسؤولون عن سلامتها ، وليس لأحد منهم أن يخرق موضعه منها باسم

---

[1] محمد بن عبد الله الزاحم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 36 .

[2] سورة القلم ، الآية رقم : 04 .

[3] نفس المرجع ، ص : 43 .

[4] الحافظ أحمد العسقلاني : **مرجع سبق ذكره ،** المجلد العاشر ، ص : 470 .

[5] سيد قطب : **العدالة الاجتماعية في الإسلام ،** ط 13 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1993 ، ص : 53 .

الحرية الفردية »[1]، وفي تصوير بديع لتشابك المصالح وتوحدها ، بين التفكير الفردي الآخذ بظاهر المعاني النظرية ، وبين التفكير في آثار الوقائع العملية ، وفي رسم دقيق لواجب الفرد وواجب الجماعة يقول النبي ﷺ :« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[2].

فإذا كان التكافل الاجتماعي من بين الأدوار المهمة التي يكفلها المسجد ، ويسعى إلى تحقيقها من خلال النشاطات المتنوعة التي يقوم بها الخطيب ، فهو يظهر مدى الأهمية التي يوليها الخطاب الديني للمسجد ، ومدى تأثير قدسية المكان على أفراد المجتمع ، لتواجدهم في بيوت من بيوت الله ، إذ ينطلق التكافل الاجتماعي من خلال الكم الهائل من الرسائل التي تتضمنها هذه النشاطات . فلا يوجد أي درس ، درس جمعة ، خطبتي الجمعة والعيدين ، مختلف المواعظ ، حتى النشاطات العادية ــ كالمسابقات والمجلات الحائطية ــ ، فهي تتضمن الأهداف التي يتم من خلالها تقوية الوازع الديني ، ووحدة المجتمع وتماسكه ، ثم تحقيق التكافل الاجتماعي بين الأفراد بعضهم لبعض ، وبين الفرد والمجتمع .

والمسجد يؤدي دوراً كبيراً في تعليم أفراد المجتمع الإسلامي فضيلة التكافل الاجتماعي انطلاقاً من مختلف المهام والأدوار التي يضطلع بها ، منها ما ذكرناه ، ومنها ما نعيد التذكير به لأهميته ، حتى يظهر دور المسجد في تكافل أفراد المجتمع اجتماعياً ، ومنها ما نذكره على شكل نقاط في السياق التالي :

- المسجد مكان للعبادة والصلاة والتقوى ، حيث يسمع المسلم في هذا المكان أنواع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعوه إلى الالتزام بالتعاون والتضامن والتكافل مع الآخرين ومساعدتهم وتفريج الكرب عنهم ، فلها تأثير على الإنسان في الحياة الدنيا ولها جزاء كبير في الآخرة .
- في المسجد يتعلم المسلم مبادئ الدين الحنيف ويكتسب القيم والممارسات الحميدة التي في مقدمتها قيمة التكافل الاجتماعي . فالمسلم عندما يتعلم هذه المبادئ ، وهذه القيم يعمل على تجسيدها في سلوكه اليومي ، حتى تكون جزء لا يتجزأ من شخصيته .
- عند تواجد المسلم في المسجد وتفاعله مع الآخرين وانسجامه الروحي والأخلاقي مع الغير غالباً ما يؤدي إلى المودة والتراحم والتعاطف وخاصة الوحدة ، بحيث يكونون في قالب وعقل واحد ، خاصة عندما يقوم القائمون بالمسجد بدعوة المسلمين إلى تقديم يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين في مناسبات بعينها ، أو حتى بدون مناسبة[3].

---

[1] سيد قطب : **العدالة ... مرجع سبق ذكره ،** ص : 57 .

[2] محمد بن عيسى الترمذي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 491 .

[3] إحسان محمد الحسن : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 143 – 144 .

المبحث الثاني : الآثار التربوية للمسجد .

للمسجد آثار تربوية يلمسها المصلي على سلوكاته منذ اللحظات الأولى التي يدخل فيها إلى بيت الله ، فالوقار الذي يكتسيه المسجد ، والقدسية التي يكتسبها لدى مختلف أفراد المجتمع الإسلامي ، تجعل منه مكاناً طبيعياً لتربية المصلين ، أو على الأقل توجيههم نحو التربية الأصيلة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ورسوله ﷺ . « وقد ظل المسجد على امتداد تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للكبار والصغار ، وأول الأمكنة التي تحقق الأهداف العملية لتربية الناس بعامة وتربية الناشئة والشباب بخاصة ... نعم إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي ، فهو ساحة للعبادة ومدرسة للعلم وندوة للأدب ، وهو ــ أيضاً ــ بوتقة تنصهر فيها النفوس وتتجرد من علائق الدنيا وفوارق الرتب والمناصب وحواجز الكِبر والأنانية وسكرة الشهوات والأهواء ثم تتلاقي في ساحة العبودية الصادقة لله عز وجلّ »[1].

بهذه العبارات تظهر الآثار التربوية للمسجد ، إذ لا تقتصر على العناصر التي سوف نتطرق لها ، وهي : التعارف والأخوة بين المسلمين ، أو التفقه في الدين ، أو انحسار المنكرات والفواحش ، بل تتعدى إلى أكثر من ذلك بكثير ، فالآثار التربوية قد تكون كل ما يحمل الخطاب الديني من رسائل لتكوين مسلم صالح يقود أسرة صالحة ويكوّن مجتمع صالح يقود حضارة كبيرة تستنير منها الإنسانية ، لأن هدف الإنسان خلافة الله في الأرض ، وبداية الخلافة تنطلق من الأساس الذي وضعه الرسول ﷺ لتكوين أول أساس للمجتمع الإسلامي ، وهو المسجد . غير أن تركيزنا على هذه النقاط الثلاث ، كوننا جعلنا بعض الآثار في مباحث أخرى ، مثل دور المسجد ، فهذه الأدوار في الحقيقة هي آثار من الآثار التربوية للمسجد ، وغيرها من النقاط المكونة لهذه الدراسة .

كما يمكن اعتبار هذه النقاط الثلاث ، المكونة لهذا المبحث من الآثار التربوية المباشرة التي يلمس تأثيرها أفراد المجتمع بمجرد الاحتكاك بالمسجد ، فالتعارف بين الناس يكون من الالتقاء اليومي لخمس مرات أو صلوات أو أكثر من ذلك ، في نفس المسجد ، وهو ما يؤدي إلى الألفة وبالتالي التعارف واكتساب نوع من الأخوة بينهم . أما التثقيف أو التفقه في الدين ، فهو من المادة المأخوذة في مختلف النشاطات والمناسبات ، أو من خلال الأسئلة المباشرة حول أمور الدين ، وهذا في حد ذاته سوف يجعل من أفراد المجتمع يقللون من السلوكات السيئة ، ويؤدي إلى انحسار الفواحش والمنكرات . فكل هذا يتم من منطلق أن المسجد لم يكن أبداً مكان أداء الصلاة فقط ، بل هو الموجه لبناء المجتمع من كل الجوانب التي رأتها الرسالة المحمدية . لهذا كان للمسجد أدواراً تربوية متعددة ، وكلها أدوار عرفت النجاح ما دام المسلم متعلق قلبه بالمسجد كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ .

أولاً : التعارف والأخوة بين المسلمين .

إن الخطاب الديني ينطلق عند إرساء معالم التعارف بين المسلمين من قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[2] . فالتعارف من القواعد الإسلامية الضرورية في التعامل بين أفراد المجتمع ، فالتساؤل المطروح : كيف يمكن الوصول إلى التعامل الفعال

---

[1] صالح بن غانم السدلان : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 07 .

[2] سورة الحجرات ، الآية رقم : 13 .

دون التعارف ؟ . والمسجد في هذا السياق « كفيل بإيجاد تعارف إيماني لا يُنسى ، ذلك أن المصلين في الحي الواحد لا يلتقون في المسجد غالباً إلا لأداء صلاة الفريضة ، أما إذا كانت تربطهم حلقات الدرس في المسجد فإن لقاءهم يكون أكثر ، وكذلك صلاة العيدين والجمعة وغيرها . إن أهل الحي الواحد بعد فترة قصيرة يصبحون كلهم متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضاً ومصافحة بعضهم بعضاً ، ولقائهم في حلقات الدرس »[1].

إن التعارف المقصود ، ليس معرفة الاسم واللقب ، أو معرفة الوظائف وعدد الأبناء ، وأي عنوان يقطن فيه وبُعده عن المسجد ، وغيرها من العبارات التي يمكن أن يسردها المتحدث عن التعارف بين الناس ، إننا نقصد بالتعارف الذي يقوي من أواصر الأخوة وما يترتب عنها من محبة ومودة ، والتعارف الذي يؤدي إلى التزاور والتواصل وإعانة المحتاج والضعيف ، ثم إفشاء السلام وطلاقة الوجه والسعي إلى الكلمة الطيبة الجامعة للقلوب . فالتعاون الذي نقصد هو الذي يهتم بالتواضع بين أفراد المجتمع الإسلامي ، « وقبول الحق والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن ، والإيثار وحسن الظن ، ونصر المظلوم ... وتعليم الجاهل ، والإحسان إلى الجار ، وإكرام الضيف ، وأداء الحقوق إلى أهلها ، والنُصح لكل مسلم ، وهذا كله منطلقه بيت الله »[2]، وهذه كلها تجدها في تعابير الخطاب الديني المقدم إلى المصلين في المسجد في مختلف النشاطات والمناسبات .

إن التعارف والأخوة المقصودان في أدبيات الخطاب الديني ، هو التعارف والأخوة التي تكون خالصة لله وحده ، فليس فيها قرابة دم أو عشيرة ، أو علاقة أنساب وأرحام ، إذ يحقق هذا التعارف وهذه الأخوة ما لا يمكن أن تحققه تلك القرابات الأخرى ، تذوب به الهموم وتحل المشاكل ، يجعل المتعارفين كالجسد الواحد يتداعى باقي الأعضاء لضرر عضو صغير من بين الأعضاء . إن روعة الدين الإسلامي ، والتي تجعل منه ديناً شاملاً يبحث على إشاعة كل أنواع الحب والمودة والانسجام بين أفراد المجتمع الإسلامي ، لأن تحقق هذه الأمور الجميلة ، وهذه الفضائل والأخلاق الدينية سينتج مجتمعاً صالحاً مؤثراً في أفراده ، ومتأثراً بالمنهج القرآني ، ومتبعاً لسنة رسول الله ﷺ ، لذلك كان اهتمام الخطاب الديني بالتعارف والأخوة ما بين المسلمين ، فالتعارف خطوة هامة نحو الأخوة الصادقة في الدين التي تتم بها صلاح أحوال المجتمع .

فالقائمين على الخطاب الديني يدركون أهمية المسجد في بناء المجتمع الصالح ، فالمسجد يجمع المصلين رغم اختلاف المناهل والمشارب على أهداف واضحة مشتركة تتسع للجميع ، وتظهر آثاره من خلال التعارف والأخوة ، لأنه وسيلة للالتقاء اليومي ، مع مرور الأيام يتم التآلف وتتكون المحبة وتقوى بينهم أواصر الأخوة الإسلامية ، فيرى المسلم بأنه ينتمي إلى أسرة كبيرة ، الكبير يرحم الصغير ، والصغير يحترم الكبير ، والغني يتذكر الفقير ويجود عليه والجميع يتذكر غياب الواحد ، فتتم المعاودة أو تتم الزيارة ، وبالتالي يتم حل المشاكل التي يقع فيها الفرد الذي أرغمته على الغياب عن المسجد . وكل من يلتزم المسجد من خلال أدائه للصلوات اليومية ، وأدائه صلاة الجمعة أو صلاة المناسبات ، أو حتى المشاركة في النشاطات المنظمة في مناسبات بعينها ، يجد كل هذه التعابير ، ويجد كل هذه المفاهيم ، بل ويجد كل هذه السلوكات التي تربت وتكونت بين أبناء المسجد الواحد في أي حي من الأحياء .

---

[1] صالح بن غانم السدلان : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 16 .

[2] نفس المرجع ، ص : 16 .

إن أفراد المجتمع ليس باستطاعتهم معرفة كل من يلجون إلى المسجد ، لكن الأخوة التي تغرس في قلوبهم وترسخ في عقولهم عن طريق الخطاب الديني في كل صلاة يقومون بها ، خاصة يوم الجمعة ، فكل مسلم يشعر « بأن جميع من يصلون معه إخوة له في الإيمان ، وأن يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجاً واحداً لمجموعات كبيرة من إخوته في الله »[1]، وذلك في سائر البقاع الإسلامية ، حيث تجمعهم رابطة الدين ، وتوحدهم جميعاً شهادتهم بتوحيد الله تعالى . فهي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي ، وحتى المجتمع الإنساني الذي تسعى كل البشرية أن تحقق نوعاً منه ، والذي يرى الخطاب الديني بأنه لا يمكن أن يتحقق ، ما لم يتحقق التعارف وتتحقق الأخوة بين جميع الناس في معانيها السامية التي أرادها الدين الإسلامي ونقلها بمختلف معطياتها الخطاب الديني .

إن التعارف مقصد أصيل من خلق الناس على اختلاف تكويناتهم البشرية ، وواجب بينهم ، لأن التعارف يؤدي إلى الأخوة ، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع الإيمان ، فهي قرينة بالإيمان لا تنفصل عنه ، إن وجدت من غير إيمان ، فهي قرينة مصالح وتبادل منفعة ، لذلك قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2]. والأخوة بهذا المعنى يترتب عنها « أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة ، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه »[3]. لذلك يرى الخطاب الديني أن التعارف المؤدي إلى الأخوة لا تُبنى إلا على أواصر العقيدة وأواصر الإيمان وأواصر الحب في الله ، وهي روابط وأواصر لا تنفك عراها .

فالأخوة التي يريد الخطاب الديني تربية المصلين عليها وغرسها في المجتمع الإسلامي ، تلك الأخوة المربوطة بحبل من الله تعالى ، والتي تعتبر نعمة أنعم الله بها على عباده ، فهو القائل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ، وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[4]. فالنجاة من النار وتأليف بين القلوب تترتب عنها النعمة الكبرى بأن جعلهم بهذا الفضل إخواناً لا يمكن أن يحدث خارج أسوار المسجد ، مهما قدم البشر لقوله تعالى : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[5].

إن الحديث عن اهتمام الخطاب الديني بهذه النقطة ، لا يمكن حصره أو اختصاره مهما فعلنا ، لأن الخطاب الديني من خلال جعل هذه المهمة من مهام المسجد ، ومن الأدوار النبيلة للنشاطات المتنوعة المنظمة داخل المسجد ، يدرك القائمون على الخطاب أنها مهمة مفصلية يقوم على أساسها المجتمع الصالح الذي يقود الأمة ، ويقود العالم وفق ذلك المنهج الرباني المتحرر من كل الدعوات الأرثوذكسية المنغلقة على نفسها التي اختصرت دور المسجد في الشعائر التعبدية .

---

[1] صالح بن غانم السدلان : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 111 .

[2] سورة الحجرات ، الآية رقم : 10 .

[3] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد السادس ، ج 26 ، ص : 3343 .

[4] سورة آل عمران ، الآيات رقم : 102 – 103 .

[5] سورة الأنفال ، الآية رقم : 63 .

ثانياً : التفقه في الدين الإسلامي .

الملاحظ في الأدوار أو المهام التي يقوم بها المسجد ، أنها متداخلة وتتشابك فيما بينها لتحقيق هدف أسمى ، يعتبره الخطاب الديني هو : عبادة الله أحسن عبادة ، وتحقيق الخلافة التي من أجلها استعمر الإنسان في الأرض . فكل المهام والأدوار ، وكل النشاطات لا نستطيع القول بأنها منفردة ، فأي صلاة ، وأي نشاط ، نجده يحقق أو يهدف إلى تحقيق العديد من الأهداف . مثل ما ذكرنا في أداء الصلاة ، فهي وظيفة تربوية تعليمية تثقيفية ، عبادة مادية وروحية ، يحقق من خلالها المجتمع الإسلامي توازنه المادي والروحي ، لأنها مصدر الأخلاق الحميدة والفاضلة التي يسعى إليها أفراد المجتمع . وبنفس الطريقة نجد في دور المسجد في الحياة الاجتماعية ، وحتى الآثار التربوية ، مثل التعارف والأخوة في الله .

« وتُعد الدروس الفقهية والعلمية من أهم العناصر التي تساعد في نشر الثقافة في مختلف أرجاء المجتمع الإسلامي وتُلقي المساجد الكثير والكثير من الدروس في العبادات والمعاملات والأخلاق ، وسرعان ما تؤتي هذه الدروس ثمارها في نشر الوعي والثقافة الدينية بين جموع المصلين وأسرهم والمجتمع في النهاية . فرب الأسرة يعلم أسرته ما تعلمه ، والصديق يعلم صديقه ، والمسافر إلى البلدان الأخرى ينشر ما تعلمه بين الناس ، وهكذا تنتشر الثقافة الإسلامية فيتعرف الناس على أمر دينهم ودنياهم »[1]. لأن الإسلام « يسع الحياة كلها في كل ميادينها ، فهو يشمل ما بين الإنسان وربه من حقوق ، وما بين الإنسان والناس من حقوق وعلاقات ، فكل ذلك يدخل في نطاق العبادة في الإسلام »[2]، حتى التفقه في الدين هو نوع من العبادة في الدين الإسلامي ، ونوع من التقرب إلى الله ، لأن الإنسان عندما يتفقه في الدين فإنه يعبُد الله على علم .

فتفقه المجتمع الإسلامي يدخله الخطاب الديني ضمن تربية وتعليم الأفراد لدينهم ، وتوجيههم في أمور دنياهم ، فقد « عني الإسلام بتربية الفرد المسلم لأنه عماد الأسرة التي هي الخلية الأولى في المجتمع الإسلامي ، فرباه على نقاء السيرة والسريرة وعلى الإخلاص والنصيحة لدينه وعشيرته ، ولم يفرق بين بني الإنسان بسبب اللون أو الجنس »[3]. وهو ترابط بين مختلف مكونات أو نشاطات المسجد وما يحتاجه أفراد المجتمع من تربية وتعليم في حياتهم اليومية ، مع اعتبار أن كل ذلك يدخل في عبادة الله تعالى وفي خلافته في الأرض ، حتى ما يملكه من رزق هو لعبادة الله ، والتمكين له من تطويع كل الوسائل حتى تكون العبادة في كامل أوجهها ، ولا يتم ذلك إلا بالعلم ، والعلم يتمكن منه بالتربية والتعليم والتفقه في الدين .

لقد كان المسجد منذ العهد الأول ، عهد النبي ﷺ ، ومن بعده القرون الثلاث الأولى المفضلة ، وحتى يومنا هذا ــ مع الكثير من الاختلاف والتغير في دور المسجد ومهامه ــ صاحب رسالة تربوية ، اهتم ببناء الشخصية « من جميع جوانبها بناءً متكاملاً ومتوازناً ، وتربى فيه المسلم تربية وجدانية ، وروحية ، واجتماعية ، وفق تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، كان كذلك في وقت مبكر في حياة المسلم وفي كل أدوار نشأته . فقد اهتم المسجد بتربية الأطفال ، فالأطفال في سن السادسة إلى التاسعة ، يمكنهم أن يتعلموا الكثير من المعايير الدينية ، خاصة معايير الحلال والحرام ،

---

[1] محمد حسن نوبي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 125 .

[2] شوكت محمد عليان : **الوسطية في الإسلام ، طريق لأمن المجتمعات ،** مركز الدراسات والبحوث ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2012 ، ص : 176 .

[3] جاد الحق علي جاد الحق : **الفتاوى الإسلامية ،** ط 01 ، ج 01 ، دار الفاروق للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، 2005، ص . ص : 221 – 222 .

ويقوم بالتلقين بدور في تكوين أفكارهم الدينية ، فيستطيعون تشربها »[1]. ويرى الخطاب الديني بأن طلبة العلم في المساجد ، أو الذين يتفقهون في الدين ثلاثة أنواع أساسية ، فيرى أن النوع الأول ، أو الفريق الأول ، هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، أي أنهم يقومون بالأعمال الصالحات عن دراية وفقه ، فيعلمون المقاصد الصحيحة من أي عمل فيقومون بها على أكمل وجه ، وهو الغاية التي يريد الخطاب الديني ، أو الخطيب داخل المسجد ترسيخها في أفراد المجتمع الإسلامي ، حتى يتحقق صلاح المجتمع ، ويتحقق معها الرسالة السامية التي يقود بها المسجد أفراد هذا المجتمع ، وفي الخطاب الديني يرفق هذا الفريق من العالمين العاملين بأنهم يرتقوا بهذه الصفات إلى درجة الأنبياء والرسل ، من بين هؤلاء الصديقين والصالحين والشهداء .

أما الفريق الثاني ، فهم الذين تعلموا العلم النافع ولم يعملوا به ، وهؤلاء هم المغضوب عليهم والذين اختاروا هذا الطريق من اليهود والذين اتبعوهم أو اتبعوا طريقهم ، أو الذين ساروا على نهجهم . أما الفريق الثالث ، أو النوع الثالث ، فهم الذين يعملون دون علم ، وهؤلاء يسميهم الخطاب الديني بالضالين ، وهم النصارى أو الذين ساروا على نهجهم . فالمغضوب عليهم والضالين فئتين يدعوا عليهما المسلم في كل صلاة يقيمها ، فالآيتين موجودتين في سورة الفاتحة ، إذ يرى الخطاب الديني إن وجودهما في هذه السورة لحكمة كبيرة ، فهي ــ أي الفاتحة ــ تشتمل على العديد « من الأسرار العظيمة ، التي من جملتها هذا الدعاء العظيم : أن يوفقنا الله لسلوك طريق أصحاب العلم النافع والعمل الصالح ، الذي هو طريق النجاة في الدنيا والآخرة ، وأن يجنبنا طريق الهالكين ، الذين فرطوا بالعمل الصالح أو بالعلم النافع »[2].

« ولا شك أن الإنسان قبل أن يقدم على أداء أي عمل ما ، لا بد أن يعرف الطريقة التي يؤدي بها ذلك العمل على وجهه الصحيح ، حتى يكون هذا العمل صحيحاً ، مؤدياً لنتيجته التي تُرجى من ورائه ، فكيف يقدم الإنسان على عبادة ربه ــ التي تتوقف عليها نجاته من النار ودخوله الجنة ــ كيف يقدم على ذلك بدون علم ؟ »[3]، وهل يؤدي ذلك العمل بأن يكون مع الصالحين ، أو مع المغضوب عليهم والضالين ؟. « وهذا الأمر هو أعظم وأول ما يطلب المؤمن من ربه العون فيه . فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة على يقين ... وهي في حقيقتها هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله في الاتجاه إلى رب العالمين . ويكشف عن طبيعة هذا الصراط المستقيم ... فهو طريق الذي قسم له نعمته »[4]. فهو ليس طريق الذين غضب عليهم الله لمعرفتهم الحق ثم الكُفر به ، وكذلك ليس طريق الذين ضلوا عن الحق ، فلم يهتدوا إليه أصلاً .

تركيز الخطاب الديني على التفقه في الدين ، يرجع إلى الدور والأهمية التي يوليها الدين الإسلامي إلى العلم ، والعبادة وفق سلطان العلم ، لأنها تكون صادقة وكاملة ، فالعلم يسبق العمل ويرشد ويدل عليه ، وأهل الحديث مثل الإمام البخاري ومسلم وغيرهم جعلوا في كتاباتهم حول الحديث ، باب خصص للعلم الذي يسبق العمل ، أو العمل الذي يصدق التفقه في الدين والعلم به . فالإمام البخاري استدل على فضل العلم بقوله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا**

---

(1) محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 49 .

(2) صالح بن عبد الله الفوزان : **الملخص الفقهي ،** ط 01 ، ج 01 ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2003 ، ص : 10 .

(3) نفس المرجع ، ص : 08 .

(4) سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الأول ، ج 01 ، ص : 26 .

اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[1]. فالآية بدأت بالعلم قبل التوحيد ثم الاستغفار الذي هو عبادة .

ويظهر الاهتمام في مختلف الأحاديث النبوية التي تظهر أهمية العلم والتفقه في الدين حتى تكون العبادة صحيحة ومقبولة ، ومن ثم لها أجرها الكامل . والتفقه في الدين يمنحه الخطاب الديني الاهتمام الأكبر ، فالخطباء والأئمة عندما يحاولون الحديث عن التفقه في الدين فإنهم يستعملون القدوة ، خاصة عند الأنبياء عليهم السلام ، فيستحضر عند التفقه في الدين ذهاب موسى ﷺ إلى الخضر ، **﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾**[2]، لأن فيها قواعد كيفية أو آداب التعلم والتفقه في الدين .

كما أن تعلم العلم لله خشية ، طلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله للأهل قربة . « ومعنى هذا : أن العلم إمام العمل وقائد له ، والعمل تابع له ، ومتم به ، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به ، فهو غير نافع لصاحبه ، بل مضرة عليه ، كما قال بعض السلف : من عبد الله بغير علم كان ما يفسد به أكثر مما يصلح . والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ، ومخالفتها له ، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول ، والمخالف له هو المردود ، فالعلم هو الميزان ، وهو المحك »[3]. فبدون التفقه في الدين ، أو دون علم ، « يمكن أن يعتقد المرء الباطل وهو يحسبه حقاً ، ويرتكب البدعة وهو يظنها سُنَّة ، ويتورط في الحرام وهو يتوهمه حلالاً ، ويسقط في حمأة الرذيلة وهو يتصورها فضيلة ، ولهذا كان من الأدعية المأثورة : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه »[4].

ثالثاً : انحصار المنكرات والفواحش .

« عندما يكون للمسجد مكانته في المجتمع الإسلامي ، لا يتخلف المسلمون عن حضور صلاة الجماعة ، وبذا يتمكن الإيمان من قلوبهم فيحبون الإيمان ويحبون الله ورسوله ، والعمل الصالح ، ويكرهون الكُفر والفسوق والعصيان ، وتنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فلا يأتون إلا ما أراده الله منهم شرعاً »[5]، حيث يحيط الخطاب الديني هذه المفاهيم بقوله تعالى : **﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾**[6].

يقول سيد قطب :« وأقم الصلاة إن الصلاة (حين تقام) تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهي اتصال بالله يخجل صاحبه ويستحي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى الله بها ، وهي تطهر وتجرد لا يتسق معها

---

[1] سورة محمد ، الآية رقم : 19 .

[2] سورة الكهف ، الآية رقم : 66 .

[3] يوسف القرضاوي : **في الطريق إلى الله (01) ، الحياة الربانية والعلم ،** ط 01 ، تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1995 ، ص : 85 .

[4] نفس المرجع ، ص : 89 .

[5] صالح بن غانم السدلان : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 18 .

[6] سورة العنكبوت ، الآية رقم : 45 .

دنس الفحشاء والمنكر وثقلتهما ... وما أقام الصلاة كما هي إنما أداها أداء ولم يقمها ... وفرق كبير بينهما ، فهي حين تقام ذكر لله . ولذكر الله أكبر ... إطلاقاً أكبر من كل اندفاع ومن كل نزوع ، وأكبر من كل تعبد وكل خشوع »[1].

وهو دون أي شك من بين الأهداف التي يسعى المسجد لتحقيقها ، خاصة من خلال المهمة الأساسية التي تتم فيه ، وهي الصلاة ، فهي مفتاح الدخول إلى وجدان ونفس أفراد المجتمع . فهناك عمل نسبي بين الصلاة والقيام بها . فما كان القيام بها صحيح وعلى علم أخذت بالفرد إلى ترك الفحشاء والمنكر والعكس صحيح .

يعود سعي المسجد ، أو الخطاب الديني داخل المسجد إلى انحسار الفواحش والمنكرات داخل المجتمع الإسلامي أو بين أفراده ، كون الإسلام في حد ذاته يُعد « من أهم وسائل الضبط الاجتماعي الداخلية طالما أنه ينطوي على مجموعة من المبادئ والمعتقدات التي توضح للمؤمن ماهية الجنايات (أو الفواحش) والنواهي التي يمكن أن يتجنبها ويبتعد عنها ويعزف عن اعتمادها في تفكيره وسلوكه ، وماهية الطاعات التي يمكن أن يلتزم بها ويجسدها في علاقاته اليومية وسلوكه الاجتماعي . علماً بأن الجنايات (أو الفواحش) والطاعات ، التي يحددها الإسلام ويميز بينها سواء كان ذلك في القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة أو الشريعة الإسلامية »[2].

فالدين الإسلامي بهذه الوظيفة لا يكتفي بتحديد الفواحش والمنكرات من جهة ، والطاعات والعبادات من جهة أخرى ، والتمييز بينهما من جهة ثالثة ، بل إنه يدعوا المسلم ويحثه إلى الالتزام بالطاعات وضرورة تجنب الفواحش والمنكرات ، ويستعين في ذلك بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة . فيذكر الأستاذ إحسان محمد الحسن الكثير من الفضائل في الدين الإسلامي كوسيلة للضبط الاجتماعي ، والتي تعمل على انحسار الفواحش والمنكرات ، نقتبس منها بعض النقاط التالية :

- تؤدي سياقات الثواب والعقاب الموجهة للأعمال التي يقوم بها الإنسان إلى انجذاب المسلم نحو العمل الصالح الذي يفيد المجتمع ويطوره وابتعاده عن العمل المنكر والفاحش الذي يضر بالمجتمع ويهدد أركانه الأساسية . فهذه السياقات تلعب دوراً فاعلاً في كبح جناح الانحراف والجريمة والشر ، وفي نشر الفضيلة والخير والفلاح في ربوع المجتمع .
- كذلك تؤدي وسائل الضبط التي يبثها الخطاب الديني في المسلمين داخل المسجد بالتمييز بين الأخيار والصالحين من أبناء المجتمع وغيرهم من الأشرار والمجرمين ، « ومثل هذا التمييز له أهميته في عزل الأشرار عن الأخيار لكي لا يتأثر الأخيار بالأفعال السيئة والمنكرة التي يرتكبها الأشرار والمنحرفون والمجرمون »[3].
- تلعب وسائل الضبط في الدين الإسلامي في بناء شخصية المسلم بناء رصيناً محكماً ، فهي بهذا البناء المحكم والرصين تؤدي الأدوار الوظيفية الملقاة على عاتقها أداء سليماً يسهم في تنمية المجتمع وتطويره في مختلف المناحي والمجالات . وتؤدي وسائل الضبط وظيفة مهمة في تحديد ماهية القيم الإيجابية التي يتوجب على المسلم التمسك بها .

---

[1] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الخامس ، ج 20 ، ص : 2738 .

[2] إحسان محمد الحسن : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 174 .

[3] نفس المرجع ، ص : 177 .

المبحث الثالث :

أسباب انحسار دور المسجد وأوجه الإصلاح .

لقد ارتبط كل تاريخ الإسلام والمسلمين منذ بداية الرسالة المحمدية بالمسجد ، ولعل قيام رسول الله ﷺ ببناء المسجد كأول عمل عند وصوله إلى المدينة المنورة يبيّن أهميته في بناء المجتمع الإسلامي ، فهو ــ أي المسجد ــ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكل تفاصيل الحياة الاجتماعية ، فلم تقتصر « رسالة المسجد على أداء الصلوات الخمس فحسب ، بل أراد رسول الله ﷺ أن يكون للمسجد دور إيجابي وأهداف سامية تخدم المجتمع الإسلامي ككل ... فبجانب أداء الصلوات الخمس هو تلاوة وتدبر ومعهد علم وتهذيب . ومجلس صلح وقضاء ، وملتقى تعاون وتكافل ، ومكان رأي ومشورة »[1]. كما أنه مكان لتطهير النفس والوقوف أمام الفواحش والمنكرات وجعلها تنحسر حتى تنتهي أو تتلاشى بين أفراد المجتمع ، لأن الدافع الروحي أو الوجداني لا يستطيع الإنسان أن يجده خارج أسوار بيوت الله ، التي أذن الله أن يذكر فيها اسمه ، وأن تتم عبادته فيها ، فجعل خلاصة العبادة وثمارها تطهير النفس من الفحشاء والمنكر ، وإنارتها بنور من الله ليتم صلاح المجتمع وطهارته ، وغيرها ــ طبعاً ــ من الأدوار والمهام السامية التي يقوم بها المسجد لصلاح المجتمع وكمال بنائه .

فالأمر اليوم غير الذي سبق ... تغيرت الكثير من الأمور ، وتغيرت أوضاع المجتمع الإسلامي ، وأُخِذت من المسجد العديد من المهام التعليمية والتربوية التي كان يقوم بها ، وانتقلت وسائل تسيير شؤون المسلمين إلى مقرات جديدة وبتسميات مغايرة ، وهذا ما أدى إلى انحسار الكثير من أدواره ومهامه ، فيكفي « أن نزور مساجد اليوم في عالمنا العربي الإسلامي حتى نرى بشكل عام أن دور المسجد أصبح يقتصر على أداء فريضة الصلاة في مواقيتها ، وإلقاء بعض الدروس الدينية الأسبوعية للنساء أحياناً وللرجال في أحيان أخرى ، وقد يضاف إلى هذا الدور في بعض المساجد دور آخر ، هو إقامة الاحتفال بالمناسبات الدينية »[2]، وهو ما سوف نتحدث عنه في هذا المبحث .

أولاً : مظاهر انحسار دور المسجد .

فمظاهر انحسار دور المسجد كثيرة ، خاصة في هذا العصر ، ولعل من أهمها ما سوف ندرجه في نقاط منفصلة على الشكل التالي :

- **تطور المجتمع الإسلامي وكثرة التغيرات التي طرأت عليه :**

فالتغيرات الكثيرة التي عرفها المجتمع الإسلامي أدت إلى « إنشاء مؤسسات كانت ملحقة أو تابعة للمسجد ، فالمؤسسة التعليمية كانت مسجداً في الأصل ، ثم انفصلت .. وأصبحت مستقلة بذاتها ولها كيانها الخاص ، وكذا المكتبات العامة كانت ملحقة بالمساجد الكبرى ثم أنشئت لها مبانٍ خاصة ، كذلك المؤسسة السياسية والمؤسسة الاجتماعية وغيرها انسلخت كلها عن المسجد وأصبحت بعيدة عن جوهِ وتأثيره وتوجيهاته وروحانيته »[3].

---

[1] علي محمد مختار : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 47 .

[2] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 56 .

[3] نفس المرجع ، ص : 56 .

فالتطورات المتتالية للمجتمعات الإسلامية عبر التاريخ ، والاحتكاك بالعالم الخارجي من خلال الفتوحات ، أو حتى في مرحلة التدهور والانحطاط واستعمار العالم الإسلامي من طرف الدول الغربية ، تحولت طريقة تعامل المسلمين ، من السلاطين والحكام ، وحتى من طرف العلماء والدعاة ، تحول تعاملهم وطريقة تفاعلهم مع تلك التغيرات المتسارعة إلى فضاءات اجتماعية خارج أسوار المسجد . فإذا تحدثنا عن سلطة القرار ، وكيف انتقلت من منبر المسجد في حياة الرسول ﷺ والقرون الثلاثة الأولى ، نجد أن الخلافة (انطلاقاً من الخلافة الأموية إلى العثمانية ثم سقوطها) ، أخذت بلاط السلطان أو القصور مكان قيام السياسة التي تحكم الرعية وتقيم العلاقات الخارجية ، أو استقبال السفراء وممثلي الدول وغيرها من الأمور المتعلقة بتسيير شؤون المجتمع والدولة .

مع القليل من الاختلاف عرفت مختلف القضايا التي كانت من المهام الأساسية التي يضطلع بها المسجد ، عرفت الانسلاخ ، أو التغير ، أو ما يسميها البعض بالانفصال عن المسجد ، مثل : القضاء والحكم بين الناس وفق اجتهادات الفقهاء وتفكير واستنباط المجتهدين وقياس العلماء بين قضايا المجتمع الإسلامي ، وما طرأت عليه من تغيرات في الحال والأحوال . فالمسجد قبل هذه التغيرات ، وهذا الانفصال ، كان « مكان للعبادة تُؤدى فيه الصلاة ، ويقرأ القرآن ، كما كان يقوم مقام مجلس الشورى اليوم ، فيجتمع فيه المسلمون ويتشاورون في أمورهم خاصة قبل القيام بالغزوات ، وكانت تخرج منه الجيوش وتعود إليه بعد فتوحاتها ، وكان المسجد أيضاً معهداً أو مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ثم تطور ليصبح جامعة للعلوم »[1].

- **اقتصار المسجد على أداء الفرائض والاحتفال بالمناسبات :**

يقول محمد الصالح :« أصبحت معظم المساجد مقصورة على أداء فريضة الصلاة ... أضف إلى ذلك أن معنى الجماعة في الصلاة الجامعة لم يبق منها سوى الشكل ، أما المضمون فقد غاب كما غابت معظم المعاني التي أرادها الله تعالى عندما طلب منا التعاون والتعاضد والتوحد ، فأصبح المسلم فردياً في أخلاقه ، فردياً في صفاته ، فردياً في عمله ، فردياً في تطلعاته »[2]، لا تهمه الجماعة ولا يهمه أمر المجتمع الذي ينتمي إليه .

فالمسجد اليوم ، في كل العالم العربي والإسلامي بصفة عامة ، ومساجد الجزائر بصفة خاصة ، والولايات المدروسة بصفة أخص يقتصر المسجد فقط يومياً على أداء الصلوات الخمس ، حيث يكون الإقبال قليل جداً لارتباط أهالي الأحياء بعملهم ، وارتباطهم بشؤون حياتهم الخاصة ، عملية وتعليمية . ويقتصر أسبوعياً على صلاة الجمعة ، حيث الحضور أكثر بكثير من الصلوات اليومية ، وصلاة التراويح في شهر رمضان الفضيل ، وصلاة العيدين ، عيد الفطر وعيد الأضحى . وهي نشاطات مناسباتية ، مثل النشاطات التي تقام في شهر رمضان ــ وهو الشهر الذي يعرف كثافة النشاط الديني ــ مثل المسابقات والاحتفال بليلة القدر والإسراء والمعراج وغيرها ...

كما يوجد بعض النشاطات التي يقوم بها بعض المساجد ــ بعض الأئمة والخطباء ــ مثل المجلات الحائطية التي يهتم بها بعض المتطوعين من أساتذة أو طلبة الجامعة ، وفتح مكتبات المسجد بين صلاتي المغرب والعشاء لرواد المكتبة المتعودين على مطالعة الكتب الدينية . وكلها يعتبرها الخطباء والأئمة أنشطة روتينية قد لا تؤدي الرسالة المنتظرة منها

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 57 .

[2] نفس المرجع ، ص : 58 .

لانحصارها بين عدد قليل جداً من المهتمين . كما توجد بعض الأنشطة التي اعتاد أفراد المجتمع القيام بها ، مثل : استشارة الإمام في أمور عائلية ، خاصة قضايا الإرث وكيفية تقسيمه وفق آيات القرآن الكريم .

- **كثرة التوجهات أو المذاهب واختلاف الرؤى في أمور الدين :**

لا ينكر أحد أن انحسار دور المسجد يعود إلى النعرات والنزاعات الشخصية التي أصيب بها أفراد المجتمع الإسلامي ، حيث أصبحت هذه الخلافات الشخصية تُغطى بصبغة دينية ، فأصبح أفراد المجتمع يفتون في الدين بغير علم ولا يعودون إلى الخطيب أو إمام المسجد لمعرفة الموقف المؤكد للدين الإسلامي من القضايا التي يحاول أن يفتي فيها بدون علم ، بل إن أكثرهم ينعتون الخطباء والأئمة بمختلف الأشكال ويصرحون بعدم الثقة بما يقولون ، في اعتقادهم أن خطباء المسجد هم موظفي السلطة وغطاء النظام في الحفاظ على المكتسبات ، أو على الأقل كما يقولون : لتناقض ما يقول الخطباء والأئمة مع ما يفعلون .

إن جرأة الناس على الفتوى بدون علم ، يرجعها الكثير من الباحثين ، وبعض أعلام الخطاب الديني إلى التمزق الذي يعرف المجتمع الإسلامي وكثرة الاختلافات التي يعيشها ، في ظل التطورات التي يعرفها العالم ، خاصة في المجال الديني ، على اعتبار أن هذه المرحلة ، هي مرحلة رجوع المجتمع إلى التمسك بالوازع الديني تستدعي وجود موجهات للعمل الديني ، غير أن التطور العلمي ــ خاصة الأنترنت ــ وكثرة الكُتب الدينية ، أصبح أفراد المجتمع لا يحيدون بُداً من الاتصال بالخطيب أو الإمام حتى يتعرفون على المرجعية الدينية للمجتمع ، بل يطبقون ما يجدونه في مختلف الكُتب ويتدفق عليهم من معلومات عبر التصفح حتى لو اختلف هذا مع توجه المجتمع الذي يعيشون فيه ، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من الحركات الغريبة ، مثلاً عن المجتمع الجزائري المعروف بالتوجه المالكي .

من بين الملاحظات المسجلة في الولايات المدروسة ، نفور أفراد المجتمع من التوجه إلى الإمام أو الخطيب للسؤال عن أمور الدين ، والاختلاف الذي يلاحظه المسلم العادي ، بين تقاليد وعادات المجتمع ، وبين ما يتبناه الخطيب من أفكار ، وقد سجلنا هذا ميدانياً ، إذ في بعض المساجد ، نجد الخطيب أو الإمام الخطيب في هندامه يقلد ما يسمى بالمنهج السلفي ، الذي يعتبره البعض منافياً لما يعرفه وعرفه ويعيشه وعاشه المجتمع الجزائري ، فالمصلي لا يأتمن هذا الخطيب أو هذا الإمام على دينه أو على مسجده ، فيقرر الابتعاد وحضور الصلوات لأنها مفروضة عليه ، ويجد في الكثير من المرات أدائها في مسجد آخر أو حتى في بيته . ويمكن لنا أن نتصور ابتعاد أفراد المجتمع عن المسجد بمثل هذه الأسباب .

- **ضعف أفراد المجتمع الإسلامي في التمسك بالدين :**

يذكر الكثير من الباحثين بأن أفراد المجتمع الإسلامي اليوم ، يعانون من الالتزام بأمور الدين ، والتفريط في الكثير من الواجبات الدينية ، حيث يظهر هذا البُعد من خلال الانحراف والتحلل من القيّم والمعايير الدينية حُكاماً ومحكومين ، لأن هذا الانحراف أو التحلل كان بسبب الابتعاد عن الطريق السوي ، والابتعاد وحتى هجرة المساجد ، فأدى إلى تباعد المسافة بين العمل والسلوك ، وبين ما يتطلبه الدين وتتطلبه آداب المسجد . فالصلاة أصبحت لديهم في ظل هذا الواقع مجرد تقليد أو عادة لا روح فيها ، أداؤها في المسجد أو في غيره لا يؤثر فيهم ، لذلك كانت هجرة المسجد وانحسار دوره أمراً طبيعياً كنتيجة لهذا التعامل من طرف أفراد المجتمع .

فالضعف الذي اعترى المجتمع الإسلامي يعود لإهمال المسلمين لدينهم وتفريطهم في أمره ، لأن العناية بالمسجد تتم من طرف المهتمين بالدين ، ومن يهمهم أمر الدين والمجتمع ، لكن البعض يرى أن هذا الإهمال يعود بالأساس إلى المراحل التي سبقت هذا العصر ، ويقصد العهد الاستعماري الذي عمل بكل سياساته من أجل انسلاخ المسلمين عن ثوابتهم وعن مقومات دينهم ، بينما يرى آخرون بأن انغماس أفراد المجتمع في متاع الدنيا وزخرفها ، هو الذي أدى إلى ضعف الوازع الديني وإهمال أمور الدين ، بينما يحاول البعض تفسير ذلك بأمور الحياة الصعبة التي يعرفها المجتمع الإسلامي .

يقول تعالى : ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾[1]، والآية الكريمة تحذير ووعيد لإضاعة الصلاة وإتباع الشهوات ، وهو نوع من الضبط الاجتماعي التي يستعمله القرآن الكريم لتسيير أمور المجتمع الإسلامي . وفي تفسير هذه الآية يقول سيد قطب :« أولئك الأتقياء الحساسون الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر الله ... خلف من بعدهم خلف ، بعيدون عن الله . أضاعوا الصلاة فتركوها وجحدوها واتبعوا الشهوات واستغرقوا فيها . فما أشد المفارقة ، وما أبعد الشبه بين أولئك وهؤلاء »[2]، وهو يقصد المقارنة بين الأنبياء والصالحين الذين تفيض دموعهم لذكر الله ، وبين الجاحدين لصلاتهم والمضيعين لها .

ثانياً : نتائج انحسار دور المسجد .

لانحسار دور المسجد في المجتمع نتائج سلبية ، لاحظها ويلاحظها المهتمون بالشأن الديني في المجتمع ، ومن بين هذه النتائج نذكر ما يلي :

- إن غياب المسجد في المساهمة في تربية وتنشئة الأجيال الشابة تركهم في يد الفتاوى المنحرفة والآراء المتطرفة التي أنتجتها عوامل كثيرة مرّ بها المجتمع الإسلامي ، فنتج عن هذا الانحسار لدور المسجد في ظهور ظاهرة التطرف والعنف باسم الدين ، إذ يرجع البعض أن هذا التطرف يعود لانفصال المسلم عن عبادته من جهة ، وجعل المسجد مجرد مكان لأداء الصلوات من جهة أخرى ، ويغلب من جهة ثالثة في الوعي الديني في المجتمع الإسلامي اليوم بأن الدين ككل محصور في الأركان الخمسة دون تدخله في النشاط اليومي خارج المسجد .
- يعتبر ضعف أفراد المجتمع الإسلامي في التمسك بالدين ، من مظاهر انحسار دور المسجد ، كما يعتبر كذلك نتيجة لهذا الانحسار ، حيث « اقترن إهمال المسلمين لمساجدهم وضعف تمسكهم بدينهم في وقوع المسلمين فريسة لشهواتهم وملذاتهم ، لأنهم تجاهلوا ما نادى به الإسلام من ضرورة الاعتدال والقصد في الأخذ بالدنيا ، حتى لا يصبح المرء عبداً لشهواته وملذاته . نعم لقد كان ما حدث من ضعف الواقع الديني نتيجة طبيعية لما آل إليه الحال من هوان وتهاون بما أمر به المسلمون واستحفظوا عليه من رسالة »[3].

---

[1] سورة مريم ، الآية رقم : 59 .

[2] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الرابع ، ج 16 ، ص : 2314 .

[3] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص . ص : 60 – 61 .

فالمسجد بما له من تأثير في نفوس أفراد المجتمع الإسلامي بما يخاطبهم به من توجيهات ودروس ومواعظ يعصمهم من استبداد الشهوات وغلبة النفس والشيطان على حسب تعبير أهل الفقه . فكل أفراد المجتمع الإسلامي يعتبرون أن تخلي البعض عن فقه رسالة المسجد ، أو ضعف الوعي الديني عند البعض الآخر بوظيفة المسجد وآدابه أدى إلى ظهور الفساد ، وانتشار الخبائث ، واجتراء البعض على الموبقات ، وبالتالي حقت فيهم الآية القرآنية التي ذكرناها سابقاً ، حين أضاع المجتمع الإسلامي الصلاة وفر إلى الملذات والشهوات كنتيجة طبيعية ، بل وحتمية لانحسار دور المسجد والابتعاد عنه .

- من بين نتائج انحسار دور المسجد ، والابتعاد عنه من خلال إضاعة الصلاة وإتباع الشهوات ، انخداع أفراد المجتمع الإسلامي وانغماسهم في زخرف الحياة الدنيا الموجود في الأصل في الدول غير الإسلامية ، مثل انبهار المسلمين بالحضارة الغربية وما قدمته من ملذات للحياة الدنيا في طريق العيش وغيرها من أمور الدنيا . ويرجع هذا الأمر إلى الاحتكاك الذي وقع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ، خاصة بعد الحروب الصليبية وعمليات الاستعمار المبرمجة على الدول الإسلامية ، فالحرب المعلنة منذ الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا ، إنما هي حرب بين ثقافات وحضارات ، وبين دين خاتم ودين سماوي آخر يؤمن بأن ثقافات الإسلام لها الأثر البليغ على شخصية أفراد المجتمع الإسلامي .

فالتيار الأصولي في المجتمع الإسلامي ، لا يتوان في كل المناسبات بالتذكير بالسياسة المنتهجة من الغرب ضد الإسلام وأبنائه وديارة ، حيث يقول أحدهم :« إنهم يعلمون جيداً أن الثقافة الإسلامية يمكنها القضاء على ثقافتهم وإيديولوجيتهم ، ونراهم اليوم يصبون كافة أسلحتهم لطمس الهوية الإسلامية ، بل واقتلاعها من نفوس المسلمين ، وغرس الثقافات العلمانية والإلحادية مكان الثقافة الإسلامية ... ذلك أن أولئك المستعمرون لا يكلون ولا يملون من العمل على إبعاد المسلمين عن دينهم ، وتشويه حقائقه ، والطعن في رسولهم الكريم وصحابته الأبرار ... وقد اتخذوا وسائل كثيرة تعينهم على تحقيق أهدافهم الشريرة »[1].

ثم يضيف التيار الأصولي من تحذيراته اتجاه الغرب ــ الكافر حسب قوله ــ ، حيث يؤكد أن الغرب أدرك أهمية المسجد وما يقوم به في بناء شخصية أفراد المجتمع الإسلامي ، فأنشأ العديد من المؤسسات لمحاربة المسجد ، « لقد حاولوا القضاء على التعليم الإسلامي ، فحرمت المساجد العنصر البشري من أئمة ووعاظ ، وحاربوا العاملين في تلك المؤسسة بالوسائل الإعلامية التي تحت أيديهم ... تسخر وتستهزئ بهم ، وتشوه صورتهم أمام أبناء وطنهم ، فهانت في أعين عامة المسلمين صورة أهل العلم ونفروا الناس منهم »[2].

- من بين نتائج انحسار دور المسجد كثرة البدع والشوائب وجهل المسلمين بدينهم ، فكانت البدع والشوائب التي علقت بالعبادة في المساجد نتيجة جهل المسلمين ، من الأسباب التي حالت بين المسجد وبين أداء وظيفته ، على الوجه الأكمل . ولقد اتصلت الكثير من البدع والخرافات والمخالفات بالمسجد ، فهي من أقوى الأسباب التي أدخلت إلى المسجد التحريف والتشويه على الدين وعباداته ، فاتسعت دائرة الجهل وأدى ذلك إلى ظهور الكثير من المعوقات انصرف جراءها الناس عن حضور الجماعة في المسجد .

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 63 .

[2] نفس المرجع ، ص : 64 .

أليس إطالة الأئمة للصلاة فوق طاقة الناس في الكثير من الأحيان تؤدي إلى انصراف الناس عن الصلاة لكثرة المشاغل والالتزامات ؟ ، لقد أدى هذا إلى تحبيذ المصلين أداء الصلاة في بيوتهم أو حتى مكاتبهم ، وحرموا من فضل صلاة الجماعة داخل بيت من بيوت الله . ثم أليس جفاء وغلظة بعد الأئمة في تعاملهم مع المصلين من أبناء الحي يؤدي إلى نفور المصلين من صلاة المسجد ؟ ، فقد أدى انطواء الإمام وتكبره أو سوء معاملته للمصلين إلى تركهم لصلاة الجماعة ، حتى أن المصلي ليفكر الكثير إذا ما أراد طرح قضية شخصية على إمام أو خطيب قد يرده بالطريقة سيئة . ثم كذلك ، أليس إلقاء مواضيع أكل عليها الدهر وشرب وبطريقة غريبة تجعل الإنسان يحاول الحضور للركعات دون الخُطب من أسباب نفور المصلين وهروبهم عن صلاة الجماعة ؟ .

ثالثاً : أوجه إصلاح دور المسجد .

« لا بد أن يعود المسجد ليكون ملتقى المسلمين ، في كل الأوقات التي تستوجب وحدة الصف ووحدة الكلمة وهذه الأوقات كثيرة في أيامنا الحاضرة ، إضافة إلى ذلك فإن المسجد يجب أن يكون مركزاً للنشاطات الاجتماعية في المنطقة التي يقع فيها ، فيكثر التردد على المسجد ويعتاد الناس على ذلك »[1]، لأنه بدون هذه العودة لا يمكن أن نتحدث عن أوجه الإصلاح للمسجد في المجتمع الإسلامي ، لذا على مختلف فئات المجتمع أن تشغل المسجد في مختلف الأوقات ، حيث يكون المسجد عبارة عن « خلية اجتماعية دائمة النشاط والحركة ، لا تخلو من مجموعات الشباب العامل المؤمن بدوره ، هذه الخلية الاجتماعية تخرج أفواجاً من المسلمين ... لا يمكن أن ينال منهم أحد ، ولا يمكن أن يخترق صفوفهم أي عابث بحقوق المسلمين أو معتد عليهم ، أو متطاول على كرامتهم »[2].

ويتم إصلاح دور المسجد من خلال إعادة الثقة للمتلقي ، حيث يكون تقوية الجانب الديني في نفوس المصلين عبر ما يُقدم لهم من خطب ووعظ وإرشاد ، تستهدف عصمتهم من الوقوع في المعاصي وتحضيرهم أو جعلهم من العناصر المفيدة في بناء المجتمع الإسلامي ، ولا يكون هذا إلا بإرجاع أو إعادة الارتباط بين أفراد المجتمع والمسجد ، وقد ذكرنا أهمية المسجد في حياة الفرد ، لأن « ارتباط المصلين بالمسجد يدفع المصلين إلى الابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغي وسائر الموبقات ، فالصلاة تنشئ الاتحاد والمحبة والإخاء بين المسلمين ، وتجعل منهم كتلة متراصة ، لأنهم عندما يجتمعون ويقنتون لربهم ويركعون له ويسجدون معاً تأتلف قلوبهم ، وينشأ فيهم الشعور بأنهم إخوة فيما بينهم ، ثم إن صلاة في جماعة تدربهم وتربيهم على النظام والانضباط والمحافظة على الأوقات »[3].

فالاعتماد على ما تحققه صلاة أفراد المجتمع بالمسجد من خشوع لله تعالى ، هذا الخشوع إذا وصل ذروته ، وعرف الخطيب كيف يحرك الجانب الإيماني لدى المتلقي ، خاصة خلال الصلاة وتلقي المواعظ والخُطب ، حيث في هذه اللحظة تصل النفس البشرية إلى قمة طهارتها ، والروح إلى كمال ارتقائها ، وهذا يؤدي إلى صلاح الأخلاق والأعمال والبُعد عن الانحراف وارتكاب الجرائم . ففي ظل هذه الروحانية وداخل المسجد يتكون لديهم التزود بشعور التضامن

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** نفس المرجع ، ص : 68 .

[2] نفس المرجع ، ص : 68 .

[3] نفس المرجع ، ص : 69 .

والتآخي الناشئ من اجتماعهم للصلاة في الجُمع والجماعات والأعياد ، فتتصاعد لديهم الرغبة في التعاون والتآزر ، والإسهام في كل الأمور التي تصلح المجتمع انطلاقاً من المسجد ، وهي من الأشياء التي يجب التركيز عليها لإصلاح دور المسجد .

يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[1]، والمراد هو الابتعاد عن خلق الأسباب لانحسار دور المسجد في غير المجتمع وأفراده ، أو على الأقل في غير القائمين عليه ، لأن أفراد المجتمع الإسلامي اليوم بعيدين كل البُعد عن ذلك الجو الذي أنزل فيه كتاب الله ، كما اختلفت كل اهتماماتهم وأهدافهم ، خاصة بعدما ذبلت في حسهم وتصوراتهم مختلف المدلولات والأبعاد الحقيقية ، وانحرفت في أحاسيسهم المصطلحات فأصبحت لا تؤدي معانيها ، فبدون الحركة في ظل تعاليم القرآن لم يعد الناس يدركون من أسراره شيئاً . فهذا القرآن لا يدرك أسراره قاعد ، ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به ويتحرك به .

ففي تفسير هذا الجزء من هذه الآية يقول سيد قطب :« إنه لا يغير نعمة أو بؤس ، ولا يغير عزاً أو ذلة ، ولا يغير مكانة أو مهانة ... إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم ، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم ... وإنها لحقيقة تلقى عليها البشر تبعة ثقيلة ، فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته ، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر ، وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم . والنص صريح في هذا لا يتحمل التأويل »[2].

رابعاً : أهم الوسائل لإصلاح دور المسجد .

يرى الكثير من الباحثين في الشأن الديني ، خاصة عند التطرق إلى أهم الوسائل التي تساعد في إصلاح دور المسجد ، إلى وجوب توفير الكثير من الأسباب أو الأمور التي تؤدي إلى إحياء دور المسجد للقيام برسالته في إصلاح المجتمع الإسلامي وقيادته لإصلاح المجتمع ، ومن بين الوسائل يتفق الكثير على النقاط التالية :

- **اختيار الخطيب وإعداده الإعداد الجيد :**

لأن الخطيب في المسجد له التأثير البالغ والكبير في نفوس أفراد المجتمع ، « فيجب على الخطباء والدعاة أن يكونوا ملمين بالعلوم اللغوية ، وعلوم الشريعة والتفسير والحديث ، وعلوم التربية ، وعلم النفس وعلم الاجتماع ، إلى غير ذلك من العلوم التي تسهم في إعدادهم إعداداً متكاملاً وشاملاً »[3]. كما يتطلب في الخطباء في هذا العصر أن يكونوا على دراية بالمذاهب الفكرية والملل والتيارات السياسية الفاعلة في المجتمع والمؤثرة في العالم . ولتوفر مثل هذه الفئة من الخطباء والأئمة ، لابد على الوصاية بأنها صاحبة الشأن في تكوين وتأطير وحتى رسكلة الأئمة ، على الوصاية بإعداد الخطباء والأئمة إعداداً خاصاً ، من الحياة الشخصية ، أي الظروف المعيشية وسبل العيش الكريم ، إلى الاختيار الأمثل من منطلق الأخلاق الحميدة والتمكن في الدين وغيرها ...

---

[1] سورة الرعد ، من الآية رقم : 11 .

[2] سيد قطب : **في ظلال ... مرجع سبق ذكره ،** المجلد الرابع ، ج 13 ، ص : 2049 .

[3] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 68 .

يقول محمد الصالح :« فليكن الإمام ممن عرف بحسن الخُلق ، وسلامة السلوك ، والتدين الواعي ، والشخصية القائدة المؤثرة ، ولينعكس ذلك على عطائه وأدائه ، بالإضافة إلى حسن مظهره ولباسه ، كما ينبغي التوسيع على الأئمة والدعاة في أرزاقهم بما يمكنهم من الظهور بالمظهر اللائق الذي يدعو إلى الاحترام والتوقير ، لأن عامة الناس وشبابهم على وجه الخصوص تخدعهم المظاهر عن الحقائق ، ويتأثرون بالمظهر والصورة عن الجوهر والمخبر »[1]. بالإضافة إلى الكثير من الأمور التي يتوجب على الأقل من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف توفيرها من أجل تخريج إمام أو خطيب يقوم بإحياء أو إصلاح دور المسجد وفق معطيات المجتمع ومتطلبات الوصاية ، وهذا ما وسوف نتطرق له في الجانب الميداني لهذه الدراسة .

- **إحياء حلقات العلم بالمسجد :**

لا ينكر أحد الدور التعليمي البارز الذي قام به المسجد في العديد من المراحل في المجتمع الإسلامي ، ولعل ذكر المرحلة الاستعمارية والمراحل الأولى للاستقلال في المجتمع الجزائري . فقد حافظت الحلقات العلمية للمدارس القرآنية وحلقات المساجد على الهوية الوطنية ، وواجهت سياسة التجهيل ونشر الأمية التي قادها الاستعمار للقضاء على الشخصية الجزائرية . إنها نفس السياسة التي انتهجها الاستعمار الغربي في كل الدول الإسلامية التي احتلها ، خاصة الاستعمار الفرنسي للجزائر ــ وقد تحدثنا عن هذا الأمر بما يكفي ــ . فالمسجد منارة دين وعلم وفكر ، وحتى تستمر أو تعود هذه المنارة لا بد من تكاتف الكثير من الجهود ، على الأقل أبناء الحي الذي يقع فيه المسجد من الخيرين ، الذي يجب دعوتهم لتأطير مختلف الحلقات العلمية ، خاصة في المواد التعليمية التي يصعب على التلاميذ والطلبة الاقتدار عليها أو التمكن منها .

وفي مثل هذه الحلقات التعليمية ــ خارج المواد التي يتخصص فيها الإمام ، ونقصد أمور الدين واللغة ــ ، فهناك بعض المساجد من يدعو الأساتذة المقيمين في الحي والمداومين على الصلاة لعقد حلقات علمية للتلاميذ والطلبة المقدمين على شهادات تعليمية للقيام بدروس تدعيمية تساهم في نجاحهم في مختلف الشهادات ، وهو ما يطلب به مختلف الأئمة خلال المواعظ والدروس والخُطب لإنشاء مثل هذه الحلقات ، والتي تطالب بها حتى الوصاية ، من أجل إسهام المسجد في مساعدة الطلبة والتلاميذ ودعوة أوليائهم بمرافقتهم وحثهم على الحضور الدائم إلى المسجد .

- **تخصيص بعض الخدمات الاجتماعية للمسجد :**

خاصة الخدمات الاجتماعية التي يقدر الإمام المساهمة فيها ، مثل مساعدة اليتامى والفقراء في الدخول الاجتماعي ، أو السعي إلى تخصيص قفة رمضان لبعض المعوزين ، أو مساعدة بعض الفقراء في الزواج وغيرها ... وهي الإسهامات التي يطلب فيها الإمام المساعدة من الأغنياء وميسوري الحال من خلال التبرع ، فيقوم الإمام بمعية لجنة المسجد أو المساعدين له بجمع التبرعات للقيام بهذه النشاطات ومثيلاتها .

ومن بين الخدمات الاجتماعية التعليمية ، وهي منتشرة في كافة المساجد التي قمنا بزيارتها ، هي المدارس القرآنية لتعليم وتحفيظ القرآن ، التي تسهر على تعليم أبناء الحي (أربع سنوات من العمر) مبادئ القراءة والكتابة عن طريق تعليمهم قصار السور ، وتعلم مخارج الحروف وغيرها من الأمور التي أثبتت نجاعتها في الحياة التعليمية للطفل . « ولقد

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 71 .

حرص الإسلام على رعاية الأطفال رعاية منقطعة النظير ، إيماناً بأن الأطفال رجال المستقبل ، وعدة الغد ، فلا يجوز تركهم مشردين في الأزقة محرومين من نعمة المسجد الذي هو بيت الله ، وعش المؤمن ومدرسته العملية »[1].

- **تزويد المساجد بالمكتبات :**

ومن أهم أساليب إصلاح دور المسجد تزويده بمكتبات علمية وعامة تتكون من كُتب في المستوى ، ليست فقط كتب في الدين أو الفقه ، والكتب التي لها علاقة بالدين ، بل في مختلف العلوم حتى يستفيد منها طلبة العلم ، وتكون من بين الأسباب التي تجلب أفراد المجتمع الإسلامي إلى المسجد ، « وهذا الأمر ليس بجديد فقد تحدثت كتب التاريخ والتراجم عن الكثير من العلماء والأدباء والفقهاء الذين اتخذوا من المساجد أمكنة يتزودون منها بالعلوم ويدرسون ويدّرِسون في آن واحد ، ويؤلفون كتبهم أو ينسخونها ، وأدى وجود طلاب العلم والمعرفة والمؤلفين والكتاب والنساخ إلى تأسيس مكتبات في المساجد تودع فيها الكتب المختلفة ، التي تأتي عن طريق التبرع بمفهومها الحاضر ، وكان بعض المؤلفين يؤلفون كتبهم في المسجد كوقف من أجل تعميم الفائدة بين الناس »[2].

فقد كان في مختلف العصور ، منذ العهد الأول للرسالة ، حيث عرف المسجد بأنه محط رجال العلم والفكر والثقافة ، تخصص فيه جانب من جوانبه لوضع المراجع والمصنفات والمخطوطات والكتب على اختلاف أنواعها ، فهي تعين العلماء والطلبة على الدراسة وتحضير ما نسميه اليوم بالمحاضرات أو المداخلات . فهذا الاهتمام هو منبع لاستقدام المصلين ، فهذه الدراسة وهذا التحضير يستغل لتوطيد العلاقة بين أفراد المجتمع والمسجد حتى يقوم بدوره المنتظر منه في المجتمع بصفة عامة .

- **ربط مختلف الأنشطة بالمسجد :**

ونقصد بالأنشطة ، كل ما يقوم به القائمون على المسجد ، سواء خلال مناسبات بعينها أو من خلال تواريخ لها علاقة بالحي الموجود به المسجد ، النشاطات ذات الطابع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها ... ما دام الهدف من هذه النشاطات تثقيف المجتمع وتوجيهه وإرشاد أعماله لما فيه خير وصلاح المجتمع . فمختلف النشاطات تهدف إلى إشراك كل فعاليات المجتمع ، خاصة الشباب منهم ، حيث يكون الالتقاء كل أبناء الحي في ظلال المسجد يؤدي حتماً إلى الألفة والمحبة ، ويبدد ظلام الاختصام والعداء .

خلاصة الفصل :

إن هذا الفصل ، ولارتباطه الوثيق بميدان الدراسة ، فهو الحاضن للخطاب الديني ، تقدمه وقيامه بوظائفه دليل على نجاح الخطاب الديني ، وفشله أو انحساره يدل على انحسار الخطاب الديني وعدم وصوله إلى تحقيق كل أهدافه ، ويظهر ذلك من خلال دوره الذي يقوم به في الحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع . فأهمية المسجد التي ذكرناها في هذا الفصل تبيّن الدور الاجتماعي الكبير الذي يقوم به ، فلا يمكن اقتصار دور المسجد على أداء الصلوات اليومية أو الأسبوعية وصلاة الأعياد . فالخطاب الديني يغتنم ذلك الانصهار الذي يحدث في نفوس أبناء المجتمع الواحد ، ويركز

---

[1] محمد بن أحمد الصالح : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 72 .

[2] نفس المرجع ، ص : 74 .

على التجرد الذي يحدث لهم بوجودهم في بيت من بيوت الله ، ذلك التجرد الذي يقضي على فارق الرتب والمناصب والمسؤوليات الدنيوية ، ويعتمد على كسر المسجد لتلك الفوارق والحواجز الدنيوية ، كالشهوات والأهواء وغيرها من خصائص تعرف عند أفراد المجتمع الإسلامي اليوم خارج المسجد .

إن المبادئ العامة التي جاء بها الإسلام ، هدفها الأسمى تنظيم الحياة الاجتماعية ، خاصة فيما يتعلق بالمعاملات التي تحدث داخل المجتمع الإسلامي بين أفراده ، وضبط أمور المجتمع فيما يخص المعاملات ، يعني الحديث عن الكليات الخمس في الدين الإسلامي ، وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والعرض ، والعقل وحفظ المال . والخطاب الديني إلى جانب هذا ، يجعل المنطلق من المساجد ، ويركز على استعمال التراث في التأكيد على وحدة المجتمع وتماسكه ، ضارباً بذلك الأمثال التي يعتبرها أشياء ملموسة يجسد بها المجتمع وحدته ويؤكد تماسك أفراده ، فهو يذكر دائماً بذلك المجتمع الأول الجاهلي الذي أتت إليه الرسالة السماوية ، وكيف أسس النبي ﷺ دعائم المجتمع الأول الذي قاد الرسالة وبني أول لبنات الحضارة الإسلامية ، وكيف قضى على كل أشكال الانحراف وركز قواعد الأخلاق الحميدة .

فإذا كان الانحراف أو الجريمة ظاهرة اجتماعية ، فهي كذلك ظاهرة خُلقية وسياسية واقتصادية قبل أن تكون حالة قانونية ، فالانحراف أو الجريمة في العلوم الاجتماعية ، أو عند علماء الاجتماع ، تُعد سلوكاً مُغايراً للأعراف الاجتماعية المتعارف عليها في المجتمع . فالقيّم الاجتماعية هي التي تنتج السلوك الإنساني حسب المدارس المختلفة في علم الاجتماع ، حيث يكون أعضاء المجتمع مجبرون على التقيد بالقيم الاجتماعية ، التي تمارس نوع من الضبط الاجتماعي على الأفراد ، الذين يميلون إلى التقيد بمجموعة من القيّم الاجتماعية تناسب الغرض من تكوين الجماعة ، كما يميلون إلى بذل نوع من الضغط الاجتماعي على من يخالف هذه القيّم .

لقد ركزنا على الآثار التربوية للمسجد ، فذكرنا بأنها لا تقتصر على التعارف والأخوة بين المسلمين ، أو التفقه في الدين ، أو انحسار المنكرات والفواحش ، بل تتعدى إلى أكثر من ذلك بكثير ، فالآثار التربوية قد تكون كل ما يحمل الخطاب الديني من رسائل لتكوين مسلم صالح يقود أسرة صالحة ويكوّن مجتمع صالح يقود حضارة كبيرة تستنير منها الإنسانية ، لأن هدف الإنسان خلافة الله في الأرض ، وبداية الخلافة تنطلق من الأساس الذي وضعه الرسول ﷺ لتكوين أول أساس للمجتمع الإسلامي ، وهو المسجد .

من جانب آخر تطرقنا إلى الضعف الذي اعترى المجتمع الإسلامي ، والذي رأينا أنه يعود لإهمال المسلمين لدينهم وتفريطهم في أمره ، لأن العناية بالمسجد تتم من طرف المهتمين بالدين ، ومن يهمهم أمر الدين والمجتمع ، لكن البعض يرى أن هذا الإهمال يعود بالأساس إلى المراحل التي سبقت هذا العصر ، ويقصد العهد الاستعماري الذي عمل بكل سياساته من أجل انسلاخ المسلمين عن ثوابتهم وعن مقومات دينهم ، بينما يرى آخرون بأن انغماس أفراد المجتمع في متاع الدنيا وزخرفها ، هو الذي أدى إلى ضعف الوازع الديني وإهمال أمور الدين ، بينما يحاول البعض تفسير ذلك بأمور الحياة الصعبة التي يعرفها المجتمع الإسلامي .

فكل أفراد المجتمع الإسلامي يعتبرون أن تخلي البعض عن فقه رسالة المسجد ، أو ضعف الوعي الديني عند البعض الآخر بوظيفة المسجد وآدابه أدى إلى ظهور الفساد ، وانتشار الخبائث ، واجتراء البعض على الموبقات ، وبالتالي حقت فيهم الآية القرآنية التي ذكرناها سابقاً ، حين أضاع المجتمع الإسلامي الصلاة وفر إلى الملذات والشهوات كنتيجة

طبيعية ، بل وحتمية لانحسار دور المسجد والابتعاد عنه . ولكي يعود المسجد إلى سابق عهده لا بد أن يكون مركزاً للنشاطات الاجتماعية في المنطقة التي يقع فيها ، لأنه بدون هذه العودة لا يمكن أن نتحدث عن أوجه الإصلاح للمسجد في المجتمع الإسلامي ، أو كونه عبارة عن خلية اجتماعية دائمة النشاط والحركة ، لا تخلو من مجموعات الشباب العامل المؤمن بدوره ، مع توفير هذه الخلية الاجتماعية تخرج أفواجاً من المسلمين ... لا يمكن أن ينال منهم أحد ولا يمكن أن يخترق صفوفهم أي عابث بحقوق المسلمين أو معتد عليهم ، أو متطاول على كرامتهم .

في آخر الفصل تحدثنا عن رؤية الكثير من الباحثين في الشأن الديني ، خاصة الحديث عن أهم الوسائل التي تساعد في إصلاح دور المسجد ، إلى وجود توفير الكثير من الأسباب أو الأمور التي تؤدي إلى إحياء دور المسجد للقيام برسالته في إصلاح المجتمع الإسلامي وقيادته لإصلاح المجتمع .

ومن بين أهم الوسائل التي يجمع القائمون على المسجد ، أو تثقيف المجتمع الإسلامي ، منها : اختيار الخطيب وإعداده الإعداد الجيد ، إحياء حلقات العلم بالمسجد ، تخصيص بعض الخدمات الاجتماعية للمسجد ، تزويد المساجد بالمكتبات والثروة الوثائقية المفيدة ، وربط مختلف الأنشطة التي يتمم تنظيمها بالمسجد .

الباب الثالث :

الجانب الميداني

الفصل العاشر :

التعريف بميدان الدراسة

تمهيد

المبحث الأول : التعريف بمجتمع الدراسة

المبحث الثاني : التعريف بالعناصر المستجوبة .

المبحث الثالث : خصائص ومميزات مجتمع الدراسة .

خلاصة الفصل

الفصل العاشر : التعريف بميدان الدراسة .

تمهيد :

إن الانتقال من الجانب النظري إلى الجانب الميداني يتطلب تسلح الباحث بالكثير من المعطيات النظرية ، التي تعتبر الأرضية التي ينطلق منها ، واضعاً نصب أعينه تساؤلات إشكالية الدراسة ، ثم الحلول المؤقتة التي تم اقتراحها لهذه التساؤلات ، أو ما يسمى بالفرضيات . وقبل الخوض في جمع المعلومات وتحليل المعطيات لا بد من معرفة جيدة بميدان الدراسة ، لأن أي سوء فهم لهذا الميدان لن يحقق لصاحبه (الباحث) ما يرنوا إليه من أهداف مسطرة .

فالدراسة الاستطلاعية ، عملية مهمة ، تمكن الباحث من التعرف على المجال أو الميدان الذي سيجمع منه مختلف المعطيات ، لكن الأهم منها كيفية اختيار العينة ، فهي التي يترتب عليها كل الجانب الميداني ، فاختيارها بعناية فائقة أمر أكثر من ضروري . خاصة إذا كانت العيّنة « تتكون من مفردات معينة تمثل المجتمع الأصلي تمثيلاً سليماً ، فالباحث في هذه الحالة قد يختار مناطق محددة تتميز بخصائص ومزايا إحصائية تمثيلية للمجتمع ... وهذه تعطي نتائج أقرب ما تكون إلى النتائج التي يمكن أن يصل إليها الباحث بمسح المجتمع كله »[1].

وفي هذه الدراسة العينة قد تكون سهلة الاختيار ، بما أن مختلف أسلاك الأئمة موظفون تختلف رتبهم باختلاف خصائصهم ، مثل المستوى التعليمي والأقدمية في منصب العمل وغيرها من الخصائص التي سوف نتناولها بالتحليل والدراسة في أحد مباحث هذا الفصل ، لذلك كان هذا الفصل ، والذي فضلنا فصله لوحده عن بقية فصول الجانب الميداني ، ووضعنا فيه ثلاثة مباحث أساسية ، نوردها على الشكل التالي :

المبحث الأول : التعريف بمجتمع الدراسة ، والذي ضمَّ ثلاثة نقاط ، الدراسات الاستطلاعية ، كيفية اختيار العينة ثم مجالات الدراسة ، المكانية منها والزمانية .

المبحث الثاني : التعريف بالعناصر المستجوبة ، وهي مختلف رتب الإمام الموجود في المساجد المدروسة ، أي إمام أستاذ رئيسي ، إمام أستاذ وإمام مدرس ، حيث وضعنا التعريف القانوني أو الإداري لهذه الرتب ، والكيفية التي تتم بها توظيف وترقية هؤلاء ، إلى جانب المهام والصلاحيات .

المبحث الثالث : خصائص ومميزات عيّنة الدراسة ، وهي الخصائص التي تساعدنا على معرفة العينة معرفة دقيقة ومعمقة ، وتساعدنا في الفصول المقبلة لتحليل مختلف المعطيات ، وعرض وتحليل الفرضيات الثلاث ، وهذه الخصائص المعروفة ، والتي تتعلق بالأئمة في حد ذاتهم ، مثل : السن ، المستوى التعليمي ، الحالة المدنية والأقدمية ، أو الخبرة والتجربة في منصب العمل .

---

[1] أحمد بدر : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 330 .

المبحث الأول : التعريف بمجتمع الدراسة

أولاً : الدراسة الاستطلاعية .

انطلاقاً من كون الدراسة الاستطلاعية ، « تهدف إلى استطلاع الظروف المحيطة بالظاهرة التي يرغب الباحث في دراستها والتعرف على أهم الفروض التي يمكن وضعها وإخضاعها للبحث العلمي صياغة دقيقة تيسر التعمق في بحثها في مرحلة لاحقة »[1]، وهي خطوة مهمة يلجأ إليها الباحث ، لأنها تساعده في التعرف على الميدان الذي سيجري فيه الدراسة أو البحث ، ومختلف الإمكانيات المتوفرة التي تجعل من الباحث يدخل في صلب الموضوع ، بالإضافة إلى كونها تدع الباحث يسأل أو يستشير أهل الخبرة والتجربة الذين يوجهونه إلى الطريق الصحيح .

كما تهدف الدراسة الاستطلاعية إلى التعرف على مدى صلاحية المنهج والأدوات المستعملة في البحث ، للإجابة على تساؤلات الدراسة وتحقيق أهدافها التي وضعت لها مسبقاً ، وذلك من خلال تحديد صدق الأدوات ، كما تهدف من جانب آخر إلى التعرف والوقوف على الصعوبات التي يمكن أن تعترض سبيل الباحث في جمع المعلومات المطلوبة ، وتعترض المبحوث أثناء البحث . فالباحث يقوم بالدراسة الاستطلاعية حول الدراسات ، عندما « لا تتوافر لديه معلومات أو بيانات ، و يجهل الباحث الكثير من جوانبها وأبعادها ، وهي تهدف إلى الكشف عن حلقات غامضة أو مفقودة في تسلسل التفكير الإنساني مما يساعد على التحليل والربط والتفسير العلمي فيضيف إلى المعرفة الإنسانية ركائز جديدة »[2].

إن الباحث يحقق الكثير من الأهداف ، من خلال قيامه بالدراسة الاستطلاعية حول موضوع الدراسة أو البحث ، ولعل من أهمها ما نورده في النقاط التالية :

- تعرف الباحث على الظاهرة التي يرغب في دراستها ، وبالتالي جمع مختلف المعطيات والمعلومات التي تتصل بها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة ، سواء نظرياً ، من خلال المصادر والمراجع ، أو ميدانياً من خلال الاتصال المباشر مع مجتمع الدراسة .
- استطلاع الظروف التي يجري في ظلها البحث ، والتعرف على الصعوبات التي تقف في إجراء الجانب الميداني بصفة طبيعية ، إذ يتوصل ــ ولو بالتقريب ــ إلى الظروف المادية والميدانية التي يجب أن يوفرها الباحث للقيام بالبحث على أكمل وجه . أي التعرف على الظروف التي يمكن إخضاعها للتحقيق العلمي ، واستنباط كيفية استخراج المعطيات والبيانات من الجانب الميداني .
- إن الدراسة الاستطلاعية ، النظرية والميدانية ، في الكثير من الأحيان ما تجبر الباحث على صياغة إشكالية الدراسة صياغة دقيقة ، حتى يتمكن من دراستها والتعمق فيها .

إن أهم ما يميز الدراسات الاستطلاعية أنها قصيرة المدة وليس ثابتة ، يستلهم منها الباحث الطريق الصحيح الذي يتخذه للقيام بالبحث الميداني على وجه الخصوص . وفي هذه الدراسة ، وبعد الاتصال بالعديد من الأساتذة ،

---

[1] مروان عبد المجيد إبراهيم : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 38 .

[2] نفس المرجع ، ص : 38 .

والقيام بنقاشات مفتوحة حول الموضوع ، أو حول الوسائل الناجعة للقيام بدراسة هادفة ، ثم الاتصال بالعديد من إطارات الشؤون الدينية ، وأئمة بلدية المحمدية (محل الإقامة) ، تم الانتقال من الاستمارة كوسيلة وحيدة رأينا أنها لا تحقق ما نصبوا إليه ، إلى الاستمارة بالمقابلة ، حيث نجلس مع الإمام ليقوم بملأ الاستمارة في الأسئلة المغلقة ، التي في الكثير من المرات ما قمنا بشرح معناها ، أو الإجابة بالشرح ــ عن طريق استعمال المسجلة في الأسئلة المفتوحة ــ ، والأسئلة التي تأتي مع المقابلة والنقاش .

ثانياً : كيفية اختيار العيّنة .

قبل الحديث عن عيّنة البحث ، أو كيف يتم اختيارها ، وهل تمثل مجتمع البحث أم لا ؟ لا بد من الحديث عن مجتمع البحث ، وتحديد المجتمع الذي سيتناوله البحث يعني القيام بالحصر الشامل « للمجتمع أو عيّنة مختارة منه ، ويعتمد قرارنا هذا على طبيعة المجتمع نفسه ، وهل يمكن تحديد جميع مفرداته والوصول إليها ، أم أن ذلك متعذر ومستحيل »[1]. فمجتمع الدراسة أو البحث يعني « جميع الأفراد أو الأحداث أو الأشياء التي يكونون موضوع مشكلة البحث »[2]، بمعنى أننا في هذه الدراسة سوف نتحدث عن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية الموجودة في كل من الجزائر العاصمة ، وهران وقسنطينة ، كل المساجد دون استثناء . وبالتالي فالعيّنة « جزء من المجتمع الأصلي يحتوي على بعض العناصر التي تم اختيارها منه بطريقة معينة وذلك بقصد دراسة خصائص المجتمع الأصلي »[3]، حيث يكون اختيار العيّنة مبني على وجود عدد كافٍ من عناصر المجتمع ، ويتمكن الباحث من خلال دراسة العيّنة وفهم خصائصها تعميم هذه الخصائص على جميع عناصر مجتمع البحث أو الدراسة .

ويعود التركيز على العيّنة ، كون معظم الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية يعتبرون « العيّنات كمصدر بشري يمكن أن تعمم نتائجها على مجتمع بأسره ، مهتدين في ذلك باستخدام العيّنات في العلوم الطبيعية ، ومتعذرين بصعوبة المسح الشامل »[4].

ولخصوصية الدراسة التي نقوم بها ، ولأن عدد المساجد في الولايات الثلاث المعنية بالدراسة كبير جداً ، ولأن عدد المبحوثين مقصودين بعينهم ، فإننا اعتمدنا على العيّنة القصدية أو العمدية ، حيث « يكون الاختيار في هذا النوع من العيّنات على أساس حر ، من قِبل الباحث وحسب طبيعة بحثه ، بحيث يحقق هذا الاختيار هدف الدراسة أو أهداف الدراسة المطلوبة[5].

فلم يكن مهم مَنْ سوف نقابل ، أو المسجد الذي نختار ، لذلك تركنا لمدراء الشؤون الدينية والأوقاف اختيار المساجد التي نقوم بزيارتها ، والقيام بمقابلة إمامها أو خطيبها ، مع التأكيد على أن يكون المسجد المختار في كل بلدية (مسجد واحد في كل بلدية) هو المسجد العتيق أو المسجد الكبير .

---

(1) أحمد بدر : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 333 .

(2) عبد الفتاح حافظ الصيرفي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 185 .

(3) نفس المرجع ، ص : 186 .

(4) عقيل حسين عقيل : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 208 .

(5) عامر قنديلجي : **مرجع سبق ذكره ،** ص : 147 .

وبناء على هذا ، فإن ولاية الجزائر العاصمة تتكون من سبعة وخمسين بلدية (57) ، وولاية وهران تتكون من ستة وعشرون (26) بلدية ، أما ولاية قسنطينة فتتألف من اثنا عشر (12) بلدية ، أي أن عينة البحث تتكون من مجموع بلديات الولايات الثلاث : (57 + 26 + 12 = 95) بلدية ، كل بلدية ممثلة بمسجدها الكبير أو العتيق ، مما يعطينا خمسة وتسعون (95) مسجداً ، لكل مسجد اسم خاص ، وبطاقة فنية(*)، وإمام مسؤول عن تسيير أموره . فعينة الدراسة تتكون من (95) إماماً أو خطيباً تنقلنا إليهم جميعاً وقمنا بتقديم الاستبيان لهم وإجراء المقابلة معهم .

ثالثاً : مجالات الدراسة

مجالات الدراسة تقسم عادة إلى مجالين مختلفين هما : المجال المكاني والمجال الزماني ، نحاول تقديمهما بشكل مختصر في الفقرات التالية :

1 ــ المجال المكاني :

وهو المكان الذي ستتم فيه الدراسة ، وفي حال موضوعنا ، فهو المساجد المتواجدة عبر إقليم كل من ولاية الجزائر العاصمة ، ولاية وهران وأخيراً ولاية قسنطينة ، حيث تنقلنا إلى كل ولاية على حدا متصلين بالمديرية الولائية للشؤون الدينية والأوقاف ، وكان الهدف الوصول إلى مسجد تمثيلي لكل بلدية من بلديات الولاية ، كما تطرقنا له بالشرح في النقطة السابقة (كيفية اختيار العينة) . وبهذا يكون المجال المكاني ، كل المساجد التي تم اختيارها في عيّنة البحث ، والمتواجدة على مستوى الولايات الثلاث ، حيث فرضت علينا ظروف البحث الإقامة لمدة زمنية معينة تراوحت بين الثلاثة أشهر والأربعة أشهر ، بشكل متفرق للعديد من الأسباب الموضوعية والذاتية ، ومنها من يدخل في صعوبات البحث الميدانية .

2 ــ المجال الزماني :

لقد بدأت الدراسة الميدانية انطلاقاً من الدراسة الاستطلاعية ، التي فتحت لنا المجال لمعرفة الميدان بصفة عامة ، فقد فرضت علينا الظروف واتساع رقعة البحث من تحديد وحصر المجال المكاني في المساجد الأقدم وأعتق في كل بلدية ، أو ما يسميه القائمون على الشؤون الدينية بالمساجد الرئيسية ، حيث فرضت هذه العملية توفير الوسائل اللازمة للوصول إلى هذه المساجد رغم تباعدها النسبي ، فكانت المدة الزمنية متفرقة ، حسب الظروف لكل ولاية ، بدأت من التسجيل في السنة الثالثة دكتوراه (2012 – 2013) ، والحصول على الموافقة الكتابية من الوصاية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) ، حيث تأخرت كثيراً عن موعدها ، والتي أرجعت إلى التغيرات التي حدثت على رأس الوزارة ــ التعديل الحكومي ــ وما يرافق ذلك من مستجدات ومن فترة زمنية انتقالية . فالاتصال بالمديريات الولائية للشؤون الدينية

(*) بناء على طلبنا ، في تحديد قائمة المساجد الخاصة بكل بلدية من بلديات الولايات المدروسة ، قام السادة : مدراء الشؤون الدينية والأوقاف بالولايات الثلاث ، بمنحنا قائمة تتكون من المجموع الكلي للمساجد التي نقصدها ، مع اسم الإمام ورقم هاتفه الشخصي لتسهيل عملية الاتصال ، وبعد طلبنا بتقديم نبذة عن المسجد المراد دراسته من طرف الإمام الذي نجري معه المقابلة ، رأينا أن هذا التقديم سيأخذ حيزاً كبيراً من حجم الأطروحة ، خاصة إذا علمنا بأننا سوف نقوم بتعريف خمسة تسعون (95) مسجداً ، وحتى إدراج أسماء المساجد المدروسة يمكن أن يضع بعض الأئمة في حرج ، لذلك قمنا بإدراج اسم البلديات التي تمت زيارتها دون ذكر اسم المسجد ، كتعريف بعدد البلديات ، وأدرجناه في ملاحق الدراسة . **(أنظر الملحق رقم 02).**

والأوقاف في الولايات الثلاث . كان عبر فترات ، حيث كانت الفترة الأولى مخصصة لولاية الجزائر العاصمة ، ويعود ذلك لسببين هما : كون الجزائر العاصمة ، الولاية التي أقيم فيها ، ثم كون عدد المساجد المدروسة في العاصمة أكبر وأكثر من الولايتين المتبقيتين .

ثم خصصنا فترة زمنية حددت بثلاثة أشهر متفرقة ، أي على فترات ، لكل من وهران وقسنطينة تمكنا من بعدها من جمع المعلومات الكافية عن المساجد المدروسة ، وجمع الاستبيانات ، وإعادة الاستماع إلى بعض التسجيلات الصوتية التي أخذناها أثناء المقابلات التي أجريناها مع الأئمة ، مع المسؤولين الولائيين ، أو مع بعض الإطارات في الإدارة المركزية بمقر وزارة الشؤون الدينية والأوقاف . وهو ما جعل المدة الزمنية غير محددة ، لعب فيها عامل الظروف الاجتماعية والحياة المهنية دوراً كبيراً ، غير أنه يمكن اعتبار أن الفترة الزمنية المخصصة للدراسة الميدانية من التسجيل في السنة الثالثة دكتوراه ، أي (2012 – 2013) حتى السنة الدراسية (2014 – 2015) . السنة الخامسة دكتوراه ، وهي السنة التي جمعنا فيها كل المعطيات وبدأنا في دراستها وتفريغ وتحليل المعطيات الإحصائية .

المبحث الثاني : التعريف بالعناصر المستجوبة .

تطبيقاً للأمر الرئاسي رقم : 06 – 03 المؤرخ في 15 يوليو سنة 2006 ، والمتضمن القانون الأساسي العام للوظيفة العمومية ، والذي يحدد مجالات تطبيق هذا القانون ، ففي المادة (02) والتي جاء فيها :« يطبق هذا القانون الأساسي على الموظفين الذين يمارسون نشاطهم في المؤسسات والإدارات العمومية . يقصد بالمؤسسات والإدارات العمومية ، المؤسسات العمومية ، والإدارات المركزية في الدولة المصالح غير الممركزة التابعة لها والجماعات الإقليمية والمؤسسات العمومية ذات الطابع الإداري ، والمؤسسات العمومية ذات الطابع العلمي والثقافي والمهني ، والمؤسسات العمومية ذات الطابع العلمي والتكنولوجي ، وكل مؤسسة عمومية يمكن أن يخضع مستخدموها لأحكام هذا القانون الأساسي »[1].

أما في المادة (03) فجاء فيها بأن تطبيق أحكام هذا القانون الأساسي تكون بقوانين خاصة بمختلف أسلاك الموظفين ، وتكون بمراسيم تنفيذية[2]، وعلى هذا الأساس جاء المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، والمتضمن القانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين إلى الأسلاك الخاصة بالإدارة المكلفة بالشؤون الدينية والأوقاف ، ففي الفصل الثالث ، وفي المادة (33) منه ، جاء بأن سلك الأئمة يضم « أربع (04) رتب : رتبة إمام معلم (رتبة آيلة إلى الزوال) ، إمام مدرس ، إمام أستاذ ، إمام أستاذ رئيسي »[3].

فالأئمة الذين تم مقابلتهم وتسليم الاستمارة إليهم وتسجيل ملاحظاتهم وإجاباتهم حول أسئلة موضوع الدراسة ــ المسجلة في الاستمارة ، أو التي كانت من خلال المقابلة ــ أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أنواع فقط ، الأعلى رتبة والمتمثلة في إمام أستاذ رئيسي ، إمام أستاذ ــ وهي الغالبة على العناصر المستجوبة ــ وإمام مدرس ، ومعظمهم من الأئمة

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 46** ، الصادرة بتاريخ : 16 يوليو 2006 ، السنة 43 ، المادة 02 ، ص : 03 .

[2] نفس المرجع ، ص : 04 .

[3] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73** ، الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 ، المادة 33 ، ص : 30 .

أصحاب التجربة والأقدمية الكبيرة في منصب العمل ، في حين أن نوع آخر من الأئمة ، ونعني بذلك إمام معلم ، الرتبة التي بدأت في الزوال من الهيكل التنظيمي لسلك الأئمة ، وإمام مدرس القرآن الكريم .

والجدول التالي يبيّن عدد الأئمة في كل رتبة ، ونسبتهم المئوية في عيّنة البحث :

الإمام / التكرار والنسب	إمام أستاذ رئيسي	إمام أستاذ	إمام مُدرِّس	المجموع
التكرار	08	71	16	95
النسبة	% 08.40	% 74.70	% 16.80	% 100
المجموع	**08**	**71**	**16**	**95**

الجدول رقم 02 : يبيّن توزيع رُتب الأئمة في مجتمع الدراسة .

من الطبيعي ، أن النوع الأخير من الأئمة لا يمكن مصادفته في العناصر المستجوبة ، حيث أن المساجد المختارة هي مساجد ذات أهمية في البلدية التي قمنا بزيارتها ، فهي إما المساجد الكبيرة أو العتيقة ، وبالتالي من غير الممكن تكليف إمام معلم أو إمام مدرس القرآن الكريم للخطابة وتسيير مسجد من هذا النوع . أضف إلى ذلك أن رتبة الأستاذ الرئيسي ، رتبة مستحدثة وفق القانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين إلى الأسلاك الخاصة بالإدارة المكلفة بالشؤون الدينية والأوقاف ، ونقصد المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، يسمح لأصحاب الشهادات العليا في العلوم الشرعية (شهادة الماجستير) ، وهو ما ذكرناه في الفصل الثاني من هذه الدراسة . إذ جاءت في المادة (46) ما يلي :

« المادة 46 : من أجل التكوين الأولي للرتبة ، يدمج في رتبة إمام أستاذ رئيسي :

1- الأئمة الأساتذة المرسمون الحائزون على شهادة الماجستير في المادة (06) أعلاه ، (أي في العلوم الشرعية)

2. الأئمة الأساتذة الذين يثبتون عشر (10) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة »[1].

فرتب الأئمة ليست مهمة ، بل وظيفة يحددها القانون ، بما أنهم يمارسون نشاطهم في المؤسسات والإدارات العمومية ، وهو ما جاء في الأمر الرئاسي رقم 06 – 03 المؤرخ في 15 جويلية 2006 ، المذكور سابقاً . وعليه فإن العناصر المستجوبة هي (حسب الرتبة) : إمام أستاذ رئيسي ، إمام أستاذ وإمام مدرس ، وهو ما سوف نحاول تعريفه وتحديد مهامه القانونية داخل المسجد في النقاط التالية :

هناك العديد من المهام التي يشترك فيه كل أصناف الأئمة ، وهي المهام التي تحددها المادة (34) ، حيث جاء فيها ما يلي :

« المادة 34 : يكلف الأئمة على اختلاف رتبهم ، على الخصوص بما يأتي :

- إمامة الصلوات .

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73** ، الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 ، المادة 46 ، ص . ص : 31 – 32 .

- إلقاء دروس الوعظ والإرشاد .
- المساهمة في التكوين المستمر للأئمة والأعوان الدينيين .
- المساهمة في الحفاظ على الوحدة الدينية للجماعة وتماسكها .
- المساهمة في ترقية الخطب المنبرية والدروس المسجدية .
- التدريس في إطار محو الأمية .
- إصلاح ذات البين بين الأفراد ، عندما يطلب منهم ذلك .
- الحفاظ على النظام داخل المسجد وإبعاده عن كل نشاط خارج الإطار الديني .
- ضمان سير مكتبة المسجد وإدارتها .
- تنشيط دروس التوعية حول الدور الاجتماعي للأملاك الوقفية والزكاة .
- محاربة الآفات الاجتماعية .
- المساهمة في إحياء المناسبات والأعياد الدينية والوطنية »[1].

أولاً : إمام أستاذ رئيسي .

يعتبر إمام أستاذ رئيسي أعلى رتبة في سلك الأئمة ، هو المسؤول الأول عن أي مسجد وجد به ، وهذا وفق القانون ، إذ يسير المسجد من هو أعلى رتبة ، فهذه الرتبة جاءت وفق القانون الأساسي الجديد الخاص بالموظفين المنتمين للشؤون الدينية ، أي أنها رتبة جديدة ، حتى تسمح للحاصلين على شهادة الماجستير الالتحاق بسلك الأئمة ، حيث جاء في المادة 46 من المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، ما يلي :

« المادة 46 : من أجل التكوين الأولي للرتبة ، يدمج في رتبة إمام أستاذ رئيسي :

1. الأئمة الأساتذة المرسمون الحائزون على شهادة الماجستير في المادة (06) أعلاه ، (أي في العلوم الشرعية)
2. الأئمة الأساتذة الذين يثبتون عشر (10) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة »[2].

لذلك نجد أن عددهم قليل بالنسبة إلى الرتب الأخرى ، ففي عيّنة الدراسة يوجد (08) أئمة فقط ، أي بنسبة (08.40 %) ، إذا ما نظرنا إلى أهمية المساجد التي تم اختيارها من طرف مديريات الشؤون الدينية والأوقاف في ميدان الدراسة . فهم إما من الأئمة الموجودين من قبل ، ومرسمين تحصلوا على شهادة الماجستير وهو في منصب العمل ، أي ترقيتهم تكون بطريقة مباشرة ، أو من الأئمة أصحاب التجربة ، الذين لديهم عشر (10) سنوات وأكثر في رتبة إمام أستاذ ، وتكون ترقيتهم اختيارية . قد يكون تدرج مع مختلف المناصب أو الرتب الموجودة .

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73** ، الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 ، المادة 34 ، ص : 30 .

[2] نفس المرجع ، المادة : 46 ، ص : 32 .

وللإمام الأستاذ الرئيسي جملة من الشروط ، يجب أن تتوفر فيه حتى يرتب في هذه الرتبة ، أو بالمعنى الصحيح يوظف في هذه الرتبة ، وهي الشروط التي جاء في القانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين إلى الأسلاك الخاصة بالإدارة المكلفة بالشؤون الدينية والأوقاف ، ونقصد المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، ومن بين الشروط نذكر :

« المادة 41 : يوظف أو يرقى بصفة إمام أستاذ رئيسي :

1 . عن طريق المسابقة على أساس الاختبارات ، المترشحون الحائزون على شهادة الماجستير أو شهادة معترف بمعادلتها في أحد التخصصات المذكورة في المادة (06) أعلاه (أي تخصص علوم الشريعة) ، والحافظون للقرآن الكريم كاملاً .

2 . عن طريق الامتحان المهني في حدود (30 %) من المناصب المطلوب شغلها ، ومن بين الأئمة الأساتذة المثبتين والذين يثبتون خمس (05) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة .

3 . على أساس الاختيار وبعد التسجيل في قائمة التأهيل ، في حدود (10 %) من المناصب المطلوب شغلها ، من بين الأئمة الأساتذة الذين يثبتون عشر (10) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة .

المادة 42 : يرقى على أساس الشهادة في رتبة إمام أستاذ رئيسي ، الأئمة الأساتذة الذين تحصلوا ، بعد توظيفهم ، على شهادة الماجستير أو شهادة معترف بمعادلتها في أحد التخصصات المذكورة في المادة (06) أعلاه ، (أي في العلوم الشرعية) »[1].

أما فيما يخص مهام الإمام الأستاذ الرئيسي داخل المسجد ، أو خارجه ، فقد حددتها المادة (37) من المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، بالإضافة إلى مهام رتبة الأئمة المذكورة في المادة (34) فجاءت مهام هذه الرتبة كما يلي :

« المادة 37: زيادة على المهام المسندة لسلك الأئمة ، يكلف الأئمة الأساتذة الرئيسيون ، على الخصوص بما يأتي[2]:

- المشاركة في إعداد الفتاوى وتقنينها .
- المشاركة في الدراسات وأعمال البحث التي ينظمها المجلس العلمي لمؤسسة المسجد .
- تأطير الأئمة المتربصين .
- يمكن دعوة الأئمة الأساتذة الرئيسيين ، للقيام بمهام التدريس في مؤسسات التكوين المتخصصة التابعة للقطاع

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73** ، الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 ، المواد : 41 – 42 ، ص : 31 .

[2] نفس المرجع ، المادة 37 ، ص . ص : 30 – 31 .

ثانياً : إمام أستاذ .

رتبة إمام أستاذ ، هي الغالبة على عيّنة الدراسة ، وذلك بنسبة 74.40 % ، أي 71 إمام أستاذ ، ولهذه الرتبة كذلك جملة من الشروط ، يجب أن تتوفر في الإمام حتى يرتب في هذه الرتبة ــ أو بالمعنى الصحيح كما ذكرنا ــ يوظف في هذه الرتبة ، وهي الشروط التي جاء في القانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين إلى الأسلاك الخاصة بالإدارة المكلفة بالشؤون الدينية والأوقاف ، أي المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، ومن بين الشروط نذكر ما يلي :

« المادة 39 : يوظف أو يرقى بصفة أستاذ إمام :

1 . عن طريق المسابقة على أساس الاختبار المترشحون الحائزون على شهادة الليسانس أو شهادة معترف بمعادلتها في أحد التخصصات المذكورة في المادة (06) أعلاه ، (أي في العلوم الشرعية) ، والحافون للقرآن الكريم كاملاً .

2 . عن طريق الامتحان المهني في حدود (30 %) من المناصب المطلوب شغلها ، ومن بين الأئمة المدرسون الذين يثبتون خمس (05) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة .

3 . على أساس الاختيار وبعد التسجيل في قائمة التأهيل ، في حدود (10 %) من المناصب المطلوب شغلها ، من بين الأئمة المدرسون الذين يثبتون عشر (10) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة .

الماد 40 : يرقى على أساس الشهادة بصفة إمام أستاذ ، الأئمة المدرسون الذين تحصلوا بعد توظيفهم ، على شهادة الليسانس أو شهادة معترف بمعادلتها في أحد التخصصات المذكورة في المادة (06) أعلاه ، (أي في العلوم الشرعية) »[1].

أما فيما يخص مهام الإمام الأستاذ كذلك ، فقد حددتها المادة (36) من المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، بالإضافة إلى مهام رتبة الأئمة المذكورة في المادة (34) ، وجاءت مهام هذه الرتبة كما يلي :

« المادة 36 : زيادة على المهام المسندة لسلك الأئمة ، يكلف الأئمة الأساتذة ، على الخصوص بما يأتي :

- إعداد الخطب المنبرية وترقيتها .
- المساهمة في نشاطات المجلس العلمي لمؤسسة المسجد .
- إلقاء الدروس في مختلف العلوم الشرعية .
- المشاركة في مختلف أنشطة المسجد »[2].

تجدر الإشارة بأنه ليس كل الأئمة المكونين لهذه الرتبة من الحاصلين على شهادة الليسانس في الشريعة ، بل يوجد من شغل منصب إمام مدرس لفترة طويلة وتمت ترقيته إلى هذا المنصب ، كما توجد حالات لبعض الأئمة الذين لم

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73** ، الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 ، المواد : 39 – 40 ، ص : 31 .

[2] نفس المرجع ، المادة : 36 ، ص : 30 .

يكملوا الدراسة الجامعية والتحقوا بالمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية وتخرجوا بدرجة إمام مدرس ، وبالخبرة والأقدمية تمكنوا من الحصول على هذه الرتبة .

ثالثاً : إمام مدرس .

تعتبر رتبة إمام مدرس ، هي الرتبة الثانية من حيث العدد في عيّنة الدراسة ، وذلك بنسبة 16.80 % ، أي 16 إمام مدرس ، ولهذه الرتبة كذلك جملة من الشروط ، يجب أن تتوفر في الإمام حتى يرتب في هذه الرتبة ــ أو بالمعنى الصحيح كما ذكرنا ــ يوظف في هذه الرتبة ، وهي الشروط التي جاء في نفس القانون الأساسي الخاص بالموظفين المنتمين إلى الأسلاك الخاصة بالإدارة المكلفة بالشؤون الدينية والأوقاف ، أي المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، ومن بين الشروط نذكر ما يلي :

« المادة 38 : يوظف أو يرقى بصفة أستاذ إمام :

1 . على أساس الشهادة ، المترشحون الحائزون على شهادة حفظ القرآن الكريم كاملاً ، ممن تحصلوا عليها بعد الطور الرابع من التعليم القرآني وفق أحكام المرسوم التنفيذي رقم : 94 – 432 المؤرخ في 10 ديسمبر 1994 ، أو الحائزون على مستوى السنة الثالثة ثانوي الحافظون للقرآن الكريم كاملاً ، والذين تابعوا بنجاح تكويناً متخصصاً مدته ثلاث (03) سنوات .

2 . عن طريق الامتحان المهني في حدود (30 %) من المناصب المطلوب شغلها ، الأئمة المعلمون الحافظون للقرآن الكريم كاملاً ، الذين يثبتون خمس (05) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة .

3 . على أساس الاختيار وبعد التسجيل في قائمة التأهيل ، في حدود (10 %) من المناصب المطلوب شغلها ، الأئمة المعلمون الذين يثبتون عشر (10) سنوات من الخدمة الفعلية بهذه الصفة .

يخضع المترشحون المقبولون طبقاً للحالتين 2 و3 أعلاه ، قبل ترقيتهم لمتابعة بنجاح تكويناً ، تحدد مدته ومحتواه وكيفيات تنظيمه بقرار مشترك بين الوزير المكلف بالشؤون الدينية والأوقاف والسلطة المكلفة بالوظيفة العمومية »[1].

أما فيما يخص مهام الإمام المدرس كذلك ، فقد حددتها المادة (36) من المرسوم التنفيذي رقم : 08 – 411 المؤرخ في 24 ديسمبر سنة 2008 ، بالإضافة إلى مهام رتبة الأئمة المذكورة في المادة (34) ، جاءت مهام هذه الرتبة كما يلي :

« المادة 35 : زيادة على المهام المسندة لسلك الأئمة ، يكلف الأئمة المدرسون ، على الخصوص بما يأتي :

- الإشراف على تلاوة القرآن الكريم في المسجد أو ما يسمى (الحزب الراتب) .
- تعليم القرآن الكريم للصغار والكبار .
- تدريس قواعد القراءات وأحكام التجويد في المساجد والمدارس القرآنية »[2].

---

[1] الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73** ، الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 ، المادة : 38 ، ص : 31 .

[2] نفس المرجع ، المادة : 35 ، ص : 30 .

يمكن تسجيل العديد من الملاحظات حول العناصر المستجوبة ، نوردها على الشكل التالي :

- إمام أستاذ رئيسي رتبة جديدة ، جاءت مع القانون الجديد للوظيفة العمومية ، مما يعني أن أغلبية المستجوبين تحصلوا على هذه الرتبة بفعل الأقدمية في منصب العمل ، أي أن أصحاب هذه الرتب في الواقع ، هم من رتبة إمام أستاذ له عشر سنوات من العمل بهذه الصفة أو أكثر من ذلك ، فمن بين العناصر من لم يتحصل حتى على شهادة البكالوريا .
- رغم أن عيّنة البحث لا يوجد بها متحصل على شهادة الماجستير ، إلا أن المسؤولين المركزيين يؤكدون بأن في الكثير من ولايات الوطن ، يوجد الحاصلين على هذه الشهادة ويشغلون حالياً منصب إمام أستاذ رئيسي ، لا يمكن منحهم مساجد كبيرة ــ خاصة في الجزائر العاصمة ــ أو المساجد التي لها بعض الخصوصيات ، والتي يتم تعيين الإمام فيها لاعتبار الخبرة قبل كل شيء .
- الفئة الثانية ، وهي الغالبة في عيّنة البحث ، لكنها لا تتكون فقط من حاملي شهادة الليسانس في العلوم الشرعية ، ففيها من الثانويين ، وحتى من دون مستوى تعليمي أكاديمي ، أي زاول دراستها في المدارس القرآنية وتدرج فيها ، حفظ القرآن كاملاً ، ثم تكوَّن في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية ليتخرج برتبة إمام ، فمنهم من انطلق في بداياته برتبة إمام معلم وبالتجربة والأقدمية توصل إلى هذه الرتبة .
- الفئة الثالثة ، وهي فئة تتكون من المقدمين على التقاعد ، تجاوزوا العقد الخامس من العمر ، تواجدهم في هذا المنصب بفعل التجربة والأقدمية ، فهُم من الفئة التي لم تزاول الدراسة (بدون مستوى) أكاديمية أو تعليمية رسمية ، لكن للخبرة المكتسبة العلمية والعملية عن طريق الزوايا ، خاصة في مجال تسيير شؤون المسجد وأداء الصلاة والخطابة جعلهم يتبوءون هذه الرتب .

المبحث الثالث :

خصائص ومميزات مجتمع الدراسة .

أولاً : السن .

رتبة الإمام / السن	إمام أستاذ رئيسي		إمام أستاذ		إمام مُدرِّس		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[25 . 35 [	--	--	11	% 11.60	02	% 2.10	**13**	**% 13.70**
[35 . 45 [	04	% 4.20	54	% 56.80	04	% 4.20	**62**	**% 65.30**
[45 . 55 [	04	% 4.20	06	% 6.30	02	% 2.10	**12**	**% 12.60**
[55 . فما فوق ...	--	--	--	--	08	% 8.40	**08**	**% 8.40**
المجموع	**08**	**% 8.40**	**71**	**% 74.70**	**16**	**% 16.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 03 : يبيّن توزيع السن في مجتمع الدراسة .

التحليل الإحصائي :

تظهر من المعطيات الإحصائية لمتغير السن ، أن الفئة السنية [35 – 45 [هي الغالبة ، حيث 62 إمام من مختلف الرتب تتراوح أعمارهم ما بين 35 و45 سنة بنسبة 65.30 % ، تليها الفئتين [25 – 35 [و[45 – 55 [حيث الذين تترامح أعمارهم ما بين 25 و 35 سنة ، وما بين 45 و 55 سنة يوجد بها 13 و 12 إمام على التوالي بنسبة 13.70 % و 12.60 % . أما المقبلين على التقاعد فعددهم 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

من جهة أخرى ، نسجل أن رتبة إمام أستاذ هي الغالبة في الفئة العمرية [35 – 45 [، 54 إمام أستاذ ، أي بنسبة 56.80 % ، تليها رتبة إمام أستاذ رئيسي وإمام مدرس 04 أئمة لكل منهما بنسبة 4.20 % . نفس الشيء بالنسبة للفئة العمرية [25 – 35 [سنة ، حيث نجد رتبة إمام أستاذ 11 إمام بنسبة 11.60 % ، مقابل 02 إمام مدرس بنسبة 2.10 % . بينما لا نجد رتبة إمام أستاذ رئيسي . كذلك بالنسبة للفئة العمرية [45 – 55 [سنة ، نسجل نفس الترتيب ، حيث تغلب رتبة إمام أستاذ على بقية الرتب ، فنجد 06 إمام أستاذ بنسبة 6.30 % مقابل 04 إمام أستاذ رئيسي بنسبة 4.20 % وأخيراً 02 إمام مدرس بنسبة 2.10 % . أما الفئة العمرية الأخيرة [55 – فما فوق ... ، فهي ما أسميته المقبلين على التقاعد ، فهي وحدها بنسبة 8.40 % ، أي 08 أئمة .

التحليل السوسيولوجي :

يعتبر السن المثالي لأداء وظيفة الإمام هو فئة السن الغالبة في الجدول ، حيث [35 – 45 [سنة ، يكون الإمام قد تخرج من الجامعة بشهادة في العلوم الشرعية وقام بتربص في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية ، ولديه الإمكانيات التي تمكنه من أداء رسالته ، حيث أنه راجح العقل وفهم ما قُدم له من مادة خلال فترة التكوين أو التربص في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية . فرغم أن خاصية السن يحددها قانون الوظيفة العمومية ، لأن هذه الرتب أو المناصب تعتبر وظائف إدارية قبل أن تكون مهمات دينية . فما تشترطه الوظيفة العمومية يعتبر أمر عام يخص مختلف القطاعات والإدارات بما فيها قطاع الشؤون الدينية والأوقاف ، لذلك وجدنا أن أصغر إمام يبلغ من العمر (30) سنة ولديه خبرة في هذا المنصب أربع (04) سنوات ، أي أن توظيفه وتكوينه الأكاديمي والديني للحصول على منصب إمام أستاذ يتطلب (دون الرسوب) أن يكون قد بلغ ستة وعشرون (26) سنة .

إن ما يلاحظ في السن المثالية للإمام ، فهو يرجع إلى الخلفية الدينية التي تعتقد بأن الخالق تعالى أخبر المؤمنين بالسن المثالي لتقلد رسالة الدعوة ، أي بلغ الأربعين سنة ، وهو سن الذي بُعث فيه الرسول ﷺ ، لذلك نجد الكثير من الاحترام والتقدير وحتى التبجيل للإمام الذي بلغ هذا السن أو يفوقه . وهي نفس الملاحظة التي سجلناها عند مقابلتنا للأئمة ، فإن الذين تتراوح أعمارهم ما بين الأربعين (40) والخمسين (50) سنة ، لاحظنا عندهم نوع من الهيبة والوقار ، والتفكير الملي قبل الإجابة ، والتطرق إلى الموضوع من جوانب مختلفة . لقد أعطى غالبيتهم الانطباع على سمو المهمة التي يقوم بها . فيما سجلنا عند الشباب منهم ، أي الذين يقلُّ سنهم عن الأربعين نوع من الحماسة ، والارتجال في الإجابات ، وصل إلى ترك الانطباع بالتباهي بما يقوم به وهو يقدم بعض التعليمات لأعوانهم في تسيير شؤون المسجد مثل : ضرورة الرجوع إليهم في كل كبيرة وصغيرة تتعلق بأي أمر من الأمور .

أما الفئة الأخيرة ، المقبلة على التقاعد ، فهي الأكثر رسوخاً ، فبعضهم خبرته في تسيير شؤون المسجد أكبر من سن بعض الأئمة ، فمن خلال حديثنا إلى بعض هؤلاء الأئمة ركزوا على ضرورة إعطاء مهمة تبليغ مقاصد الدين عن طريق الإمام إلى الراشدين وأصحاب التجربة ، لأنها أمر جلل لا يحسنه إلا العالم بالدين والخبير بأمور الدنيا . وهنا يرى الكثير منهم أن الأئمة الشباب تنقصهم الحنكة في إمامة الناس ، فالإمامة ليست أداء الصلوات ، إنها الفتوى وما أدراك ما الفتوى . وضرورة وضع الأئمة الشباب حتى وصاية الأئمة الأكثر تجربة لأداء الصلوات وتسيير شؤون المسجد والتمرن على مسايرة متطلبات المصلين من فتية وحل مشاكل مختلفة .

لقد ركز الكثير من المبحوثين أن أبناء الحي عندما يرون الإمام صغير السن (شاب) لا يعرضون عليه مشاكلهم على الرغم من قداسة وأهمية المنصب الذي يشغله ، فما بالك إذا كان هذا المسجد هو الكبير أو الرئيسي في الحي ، وهو ما يجعل المصلين يتنقلون إلى أئمة في مساجد بأحياء أخرى أو حتى مدن أخرى للاستشارة أو أخذ الفتوى ، لأن معظم المصلين يعتقدون أن الإمام الشاب تنقصه الحنكة والخبرة في أمور الدنيا ، وبالتالي لا يمكن استشارته أو طلب الفتوى منه في أمور لا يستطيع فقهها رغم أنه قد يكون ضليعاً فيها مما حفظه أو تعلمه في حياته التعليمية .

ثانياً : المستوى التعليمي

رتبة الإمام / المستوى التعليمي	إمام أستاذ رئيسي		إمام أستاذ		إمام مُدرِّس		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
ابتدائي	--	--	02	% 2.10	02	% 2.10	**04**	**% 4.20**
ثانوي	--	--	19	% 20	08	% 8.40	**27**	**% 28.40**
جامعي	08	% 8.40	50	% 52.60	--	--	**58**	**% 61.10**
بدون	--	--	--	--	06	% 6.30	**06**	**% 6.30**
المجموع	**08**	**% 8.40**	**71**	**% 74.70**	**16**	**% 16.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 04 : يبيّن المستوى التعليمي لمجتمع الدراسة .

التحليل الإحصائي :

تظهر من المعطيات الإحصائية لمتغير المستوى التعليمي ، أن فئة جامعي هي الغالبة ، حيث 58 إمام من مختلف الرتب مستواهم التعليمي جامعي بنسبة 61.10 % ، تليها المستوى الثانوي 27 إمام بنسبة 28.40 % ، ثم بدون مستوى 06 أئمة بنسبة 6.30 % وأخيراً مستوى ابتدائي 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

من جهة أخرى ، نسجل أن رتبة إمام أستاذ هي الغالبة في المستوى الجامعي ، أي 50 إمام أستاذ بنسبة 52.60 % ، تليها رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فكل المبحوثين من هذه الرتبة جامعيين ، أي 08 أئمة بنسبة 8.40 % . نفس الشيء بالنسبة للمستوى الثانوي ، حيث نجد رتبة إمام أستاذ 19 إمام بنسبة 20 % ، مقابل 08 إمام مدرس بنسبة 8.40 % . فيما تتساوى في فئة ابتدائي رتبة إمام أستاذ مع إمام مدرس ، 02 إمام لكل فئة بنسبة 2.10 % . أما فئة بدون مستوى فقد اقتصرت على رتبة إمام مدرس ، 06 أئمة بنسبة 6.30 % .

التحليل السوسيولوجي :

تجدر الإشارة إلى أن المستوى التعليمي للأئمة لا يعبر عن واقع الأئمة في المساجد الجزائرية ، وهذا يعود إلى نوع العينة المختارة ، فهي عيّنة قصدية ، العامل الأساس فيها هو المساجد الكبيرة أو العتيقة ، وهي مساجد ذات أهمية بالنسبة للبلديات التي قمنا بزيارتها ، فبالإضافة إلى رتبة الإمام الأستاذ رئيسي التي تتطلب الترتيب فيها شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية أو شهادة الليسانس زائد عشر (10) سنوات خبرة في منصب إمام أستاذ ، فإن رتبة إمام أستاذ هي الأخرى ــ كما ذكرنا في المبحث الثاني من هذا الفصل ــ تتطلب شهادة ليسانس في العلوم الإسلامية أو عشر (10) خبرة في رتبة إمام مدرس .

إن المستوى التعليمي ضروري للقيام بمهمة الإمام ، لكن غالبية المبحوثين يركزون على التعليم الديني والتبحر في علومه ، وليس التعليم الأكاديمي (ليسانس أو ماجستير) ، لأن هذه الشهادات لا تمكن الإمام من التبحر في علوم الدين كما ينبغي ، ولذلك يضرب لنا أحد الأئمة (إمام أستاذ رئيسي) العديد من الأمثلة عن شخصيات بارزة من أعلام الخطاب الديني المعاصر في بعض الدول العربية ، والذين لم يتلقوا تعليماً أكاديمياً في الجامعات ، لكنهم أقطاب في تخصصهم الديني ، وقدموا دروساً ومحاضرات في الكليات والمعاهد الدينية لطلبة الجامعات .

فالخبرة التي يكتسبها الإمام أو الخطيب من المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات تغني في الكثير من الأحيان عن المادة المقدمة في الكليات والجامعات ، وهو ما نلاحظه عن الشروط الإدارية التي تضعها الوظيفة العمومية في توظيف الأئمة بمختلف الرتب ، إذ تشترط تكويناً إضافياً في أحد المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية ، أو تربصاً لمدة محددة يستطيع بموجبها الإمام ممارسة نشاطه اليومي .

لقد لاحظنا ذلك عند مقابلتنا للأئمة ، خاصة الذين ذكروا بأنه ليس لديهم مستوى تعليمياً ، أو تعليمهم ابتدائي ، فهؤلاء انتقلوا مباشرة (كبار السن ، أو المستوى الابتدائي) إلى الزوايا ، حيث أتموا حفظ القرآن الكريم ودرسوا بها علوم الدين ، مثل ، علم الحديث والتفسير ، وبالتجربة (خاصة كبار السن) تمكنوا من التدرج في الرتب ، من إمام معلم القرآن إلى إمام مدرس ، ومنهم (مستوى ابتدائي) وصلوا إلى رتبة إمام أستاذ (إمامين 02) .

ثالثاً : الحالة المدنية

رتبة الإمام / الحالة المدنية	إمام أستاذ رئيسي		إمام أستاذ		إمام مُدرِّس		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
أعـزب	--	--	02	% 2.10	--	--	**02**	**% 2.10**
متزوج	08	% 8.40	69	% 72.60	16	% 16.80	**93**	**% 97.90**
أرمـل	--	--	--	--	--	--	**--**	**--**
مطلق	--	--	--	--	--	--	**--**	**--**
المجموع	**08**	**% 8.40**	**71**	**% 74.70**	**16**	**% 16.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 05 : يبيّن الحالة المدنية لمجتمع الدراسة .

التحليل الإحصائي :

تظهر من المعطيات الإحصائية لمتغير الحالة المدنية ، أن عينة البحث اقتصرت على فئتين ، متزوج وأعزب ، حيث تمثل فئة متزوج الغالبية الساحقة ، 93 إمام متزوج بنسبة 97.90 % ، تليها فئة أعزب 02 إمام بنسبة 2.10 % كما نسجل أن رتبة إمام أستاذ هي الغالبة في فئة المتزوجين ، 69 إمام أستاذ ، أي بنسبة 72.60 % ، تليها رتبة إمام مدرس ، 16 إمام بنسبة 16.80 % وأخيراً إمام أستاذ رئيسي 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

التحليل السوسيولوجي :

تعتبر حالات عدم الزواج بالنسبة لعيّنة البحث من الأمور الشاذة ، فأغلبية الأئمة غير المتزوجين ، هم على أبواب الزواج ، فبالنسبة لهم مسألة وقت فقط ، وكل الحالات من الشباب صغار السن ، الذين لم يمضِ على تعيينهم الكثير من الوقت ، يحتاج إلى الاستقرار في مكان واحد ، يخشى التحويل . أما الأغلبية من الأئمة فيربطون الزواج بالخلفية الدينية التي تعلموها ، ويحاولون إرساء معالمها لدى أبناء الحي ، فالإمام مقصد الشباب المقبل على الزواج ، بل إن حضور ما يسمى بالفاتحة أو عقد القران الشرعي من المهام الموكلة إلى الإمام ، فهو من بين الشروط المبتدعة في المجتمع لدى الكثير من العائلات التي تشترط إحضار العريس أو الخاطب للإمام .

إن الزواج ينبع من الرؤية الإسلامية ، حيث يعطي الدين الإسلامي دلالات كبيرة لعملية الزواج ، فيعتبر من الأمور الضرورية التي يبني عليها الإسلام مبادئه ، أعماله وأهدافه ، فهو من الضروريات الدنيوية والأخروية ، من منطلق لا رهبانية في الإسلام . فالزواج بالنسبة للخطاب الديني هو مشروع أساسي لبناء مؤسسة عظيمة الشأن ، هي الأسرة ، حيث تترعرع في كنفها الأجيال الصاعدة .

فالزواج بالنسبة لعيّنة البحث ــ جميعها دون استثناء ــ رابطة شرعية يحفظ بها النوع البشري ، أجازتها كل الشرائع السماوية ، لما له من مكانة مهمة في النظام الاجتماعي ، ففصل الشارع قواعده وحدد أحكامه منذ اللحظات الأولى وحتى نهايته بعقد القران ، ولم يفسح المجال للتدخل البشري لإعطائه قواعد وأحكام ، بل تولاه الخالق تفضلاً منه ، فوضع له أصوله وأحكامه ، يقول أحد الأئمة :« لأن الله تعالى يعلم عجز عباده من وضع تصميم صالح ينبني عليه هذا

الكيان الاجتماعي الرصين ، ليكتسب الزواج بهذه الرعاية والحماية المقدسة ما يجعل الزوجين يشعرون بأنهما يرتبطان برباط مقدس يشتمله الدين بقدسيته في كل لحظة من مراحله ».

رابعاً : الأقدمية في منصب العمل .

رتبة الإمام / الأقدمية	إمام أستاذ رئيسي		إمام أستاذ		إمام مُدرِّس		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	--	--	25	% 26.20	04	% 4.20	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	06	% 6.30	31	% 32.60	02	% 2.10	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	02	% 2.10	15	%15.80	04	% 4.20	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	- -	--	--	--	06	% 6.30	**06**	**% 6.30**
المجموع	**08**	**% 8.40**	**71**	**% 74.70**	**16**	**% 16.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 06 : يبيّن الأقدمية في مجتمع الدراسة .

التحليل الإحصائي :

تظهر من المعطيات الإحصائية لمتغير الأقدمية في منصب العمل ، أن الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [هي الغالبة ، حيث 39 إمام من مختلف الرتب تتراوح أقدميتهم في منصب العمل ما بين 10 و20 سنة بنسبة 41.10 % ، تليها الفئة [00 – 10 [بنسبة 30.50 % ، أي 29 إمام تتراوح أقدميتهم ما بين ثلاث (03) سنوات وتسع (09) سنوات ، ثم تأتي الفئة [20 – 30 [بنسبة 22.10 % ، أي 21 إمام تتراوح أقدميتهم في منصب العمل ما بين عشرون (20) سنة وأقل من ثلاثون (30) سنة ، وأخيراً المقبلين على التقاعد فعددهم 06 أئمة فاقت أقدميتهم الثلاثون (30) سنة ، بنسبة 6.30 % ، من بينهم إمام بأحد بلديات وهران ، يبلغ من العمر سبعون (70) سنة ، وزاول مهنة إمام منذ أكثر من (45) سنة .

من جهة أخرى ، نسجل أن رتبة إمام أستاذ هي الغالبة في متغير الأقدمية في منصب العمل ، حيث نجد 31 إمام لديهم أقدمية تتراوح ما بين أكثر من عشر (10) سنوات وأقل من عشرين (20) سنة بنسبة 32.60 % ، تليها الأئمة الذين تتراوح أقدميتهم ما بين سنة (01) واحدة وأقل من عشر سنوات ، وهم 25 إمام بنسبة 26.20 % ، ثم 15 إمام في الفئة [20 – 30 [سنة بنسبة 15.80 % . أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فإن هذه الرتبة نجد 06 أئمة خبرتهم تتراوح ما بين [10 – 20 [سنة بنسبة 6.30 % ، وإمامين (02) ينتمون إل الفئة [20 – 30 [سنة بنسبة 2.10 % . أما رتبة إمام مدرس ، فإن أفراد هذه الرتبة يتوزعون على مختلف الفئات ، وهي الفئة الوحيدة التي يوجد بها من لديهم أقدمية لأكثر من ثلاثون (30) سنة وهم يقومون بأداء وظيفة إمام ، بنسبة 6.30 % ، وهي النسبة الغالبة في هذه الرتبة فيما نجد أربعة (04) أئمة في كل من الفئتين [00 – 10 [و [20 – 30 [سنة بنسبة 4.20 % ، وأخيراً إمامين (02) اثنين في الفئة [10 – 20 [سنة بنسبة 2.10 % .

التحليل السوسيولوجي :

يعتبر عامل الأقدمية من بين أهم العوامل التي تؤخذ بعين الاعتبار في تعيين الأئمة في المساجد ذات الأهمية ، أو ذات الخصوصية ، خاصة في الولايات الكبيرة ، مثل الولايات المدروسة . فتعوّد الإمام على أداء مهمته والقيام بما يطلب منه على أكمل وجه . أضف إلى ذلك قبوله من طرف اللجان الدينية ، ورجوع المصلين وغير المصلين إلى فتواه ورأيه واستشارته في أمور دينهم وحتى دنياهم ، تعتبر من العوامل الأساسية التي يكتسبها الإمام بفضل احتكاكه اليومي مع المصلين وأبناء الحي ، وتعامله المستمر في تسيير شؤون المسجد ، ويكون هذا بفضل توالي سنوات العمل ــ أي الأقدمية والخبرة ــ فيتعلم أو يكتسب الأساليب والطرق التي تعينه على أداء مهامه ، هذا من جهة .

ومن جهة ثانية ، فإن أهمية الأقدمية تستعمل لضمان الترقية والتسلسل في السلم الإداري للوظيفة العمومية ، فلا يمكن أن يستمر أي شخص في وظيفة محددة طوال مشواره الوظيفي ، وإنما يطمح إلى الترقية والارتقاء في السلم الوظيفي لممارسة مهام أو وظائف أعلى ، فيكفي أن نذكر أن عدد من الأئمة المبحوثين بدأ بدون مستوى تعليمي ، من معلم للقرآن الكريم ، ومع الخبرة والتجربة وما نسميه بالأقدمية تمت ترقيته إلى رتبة إمام مدرس مكلف بتسيير شؤون مسجد مهم في ولاية مثل ولاية وهران أو ولاية قسنطينة ، ومن إمام بمستوى ثانوي ، أي من إمام معلم تم ترقيته إلى إمام أستاذ .

من جانب آخر ، وبعد مقابلة الأئمة ، يذكر أحد المبحوثين أهمية عامل التجربة والخبرة (أي الأقدمية) ، كيف كان يستعمل الأوراق في إلقاء الدروس وحتى المواعظ ، ولا يستطيع التعمق في أي نقطة خارج ما هو مكتوب ، حيث يقول :« في بداية مشواري ، حتى الدعاء كنت أقرأه من الورقة ، وأخشى ما أخشى أن يوقفني أحد المصلين ، أو يسألني سؤال خارج ما هو مكتوب . أما اليوم ، فالأمر غير ذلك ، أرتجل كل ما أقوم به ، صحيح أنني أحضر الدروس والخطب وأقرأ ما كتب في الموضوع الذي أريد التطرق إليه ، لكنني أجد في ذاكرتي ما أريد وأكثر ، وأخشى ما أخشاه عامل الوقت حتى لا أطيل فأضر بما أقول أكثر مما أنفع » .

خلاصة الفصل

يعتبر هذا الفصل من أهم فصول الدراسة ، لأنه الفصل الذي يربط الجانب النظري بالجانب الميداني ، وتترتب عنه الوصول إلى النتائج ، فلا يمكن الوصول إلى النتائج المرجوة وتحقيق أهداف الدراسة دون التعريف والتعرف على ميدان الدراسة ، الذي ينطلق من الدراسة الاستطلاعية ، حيث الاطلاع على الظروف المحيطة بالظاهرة التي يرغب الباحث في دراستها ، والتعرف على أهم الفروض التي يمكن وضعها وإخضاعها للبحث العلمي صياغة دقيقة تيسر وتسهل التعمق في بحثها في مرحلة لاحقة .

فكانت أول نقطة وضعناها في هذا الفصل هي الدراسة الاستطلاعية ، وذلك لأنها خطوة مهمة ساعدتنا في التعرف على الميدان الذي أجريت فيه الدراسة ، وحساب الإمكانيات التي يجب توفيرها لتحقيق الظروف الملائمة والمواتية للسير العادي لها . فالدراسة التي نحن بصدد القيام بها لها الكثير من الخصوصيات ، خاصة من حيث عدد المساجد . فعددها في الولايات الثلاث المعنية بالدراسة كبير جداً ، ولأن عدد المبحوثين مقصودين بعينهم ، اعتمدنا على العيِّنة القصدية أو العمدية ، حيث تركنا لمدراء الشؤون الدينية والأوقاف اختيار المساجد التي نقوم بزيارتها ، والقيام بمقابلة

إمامها أو خطيبها ، مع الوضع في الحسبان بأن يكون المسجد المختار في كل بلدية (مسجداً واحداً) هو المسجد العتيق أو المسجد الكبير .

كما ركزنا في هذا الفصل على العناصر المستجوبة ، وماذا تعني رتب الإمام ، حيث ذكرنا القوانين المسيرة لهذا الأمر ، انطلاقاً من طريقة التوظيف ، وصولاً إلى مهام وصلاحيات كل رتبة من رتب الأئمة المعنيين بالدراسة . فالأئمة الذين تم مقابلتهم وتسليم الاستمارة إليهم وتسجيل ملاحظاتهم وإجاباتهم حول أسئلة الموضوع ــ المسجلة في الاستمارة أو التي كانت من خلال المقابلة ــ ينقسمون إلى ثلاثة أنواع فقط ، الأعلى رتبة والمتمثلة في إمام أستاذ رئيسي ، إمام أستاذ ــ وهي الغالبة على العناصر المستجوبة ــ وإمام مدرس ، ومعظمهم من الأئمة أصحاب التجربة والأقدمية الكبيرة في منصب العمل ، في حين أن نوع آخر من الأئمة ، ونعني بذلك إمام معلم ، الرتبة التي بدأت في الزوال من الهيكل التنظيمي لسلك الأئمة ، وإمام مدرس القرآن الكريم .

أما المبحث الثالث من هذا الفصل ، والذي خصصناه لخصائص ومميزات عيّنة الدراسة ، حيث تطرقنا إلى متغيرات السن ، المستوى التعليمي ، الحالة المدنية والأقدمية في منصب العمل ، فقدمنا قراءة إحصائية لهذه المتغيرات ، ثم قراءة سوسيولوجية ، أي تسليط الضوء عن الخلفيات الدينية والاجتماعية لهذه المتغيرات ، فلا يمكن إهمال هذه الخلفيات المتعددة ، خاصة لما تكون هذه الخلفية دينية ، إذ حتى السن في مجتمع كالمجتمع الجزائري له اعتباراته ، فلا يمكن لشيخ هرم أو إطار في الدولة أن يتقدم إلى إمام شاب يشاركه بعض أسراره ، أو يسأله في الدين . كما أن للأقدمية في منصب الإمام أمر أكثر من مهم ، لأن الأئمة الذين لديهم خبرة في تسيير شؤون المسجد لا يمكن مقارنتهم بالأئمة الجدد ، ولا نعني تسيير أمور المسجد اليومية أو الإدارية ، بل نعني التسيير الديني (الخطاب) ، لأن الإمام بالأقدمية يحقق ما تسميه الوظيفة العمومية الترقية والتحفيز ، كما يحقق التعرف الجيد بعناصر الخطاب ، وأهمها المتلقي بكل ما يحمله من تناقضات ويأتي به من مشارب . فقد أكد الأئمة أن الخبرة في التعامل أهم من المستوى التعليمي .

إلى جانب ذلك ، تعتبر هذه المتغيرات مساعدة في فهم عينة البحث ، ومساعدة على تحليل معطيات الفرضيات الثلاث في الفصول المقبلة من هذه الدراسة .

الفصل الحادي عشر :

الصفات والسمات الشخصية للخطيب .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الأول .

ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الأولى .

ثالثاً : استنتاج الفرضية الأولى .

الفصل الحادي عشر :

الصفات والسمات الشخصية للخطيب .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الأول :

رتبة الإمام / الصفات	إمام أستاذ رئيسي		إمام أستاذ		إمام مُدرِّس		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العلم	06	% 2.91	48	% 23.30	14	% 6.80	**68**	**% 33.01**
الشخصية	08	% 3.88	69	% 33.50	14	% 6.80	**91**	**% 44.17**
الثقافة	02	% 0.97	34	% 16.50	02	% 0.97	**38**	**% 18.45**
أخرى	02	% 0.97	05	% 2.43	02	% 0.97	**09**	**% 4.37**
المجموع	**18**	**% 8.74**	**156**	**% 75.73**	**32**	**% 15.53**	**206**(*)	**% 100**

الجدول رقم 07 : يبيّن العلاقة بين الصفات والسمات الشخصية ورتبة الإمام .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الصفات والسمات التي يجب توفرها في الإمام حتى يستطيع تسيير أمور المسجد ، أي صياغة الخطاب الديني ، والرتبة التي يشغلها الإمام ، حيث أجمع المبحوثين في عيّنة الدراسة على أن مختلف الصفات تتمحور حول : الصفات الشخصية ، العلم ، الثقافة الواسعة وصفات أخرى متعددة . فتظهر من المعطيات الإحصائية أن عامل صفة الشخصية هي الغالبة ، أو ما يسمى بالاتجاه العام في هذا الجدول تمثله صفة الشخصية ، أي 91 إجابة بنسبة 44.17 % ، ثم صفة العلم 68 إجابة بنسبة 33.01 % ، تليها صفة الثقافة 38 إجابة بنسبة 18.45 % وأخيراً صفات أخرى متعددة ، كل حسب نظرته ، أي 09 إجابات بنسبة 4.37 % .

أما بالنسبة للعناصر المستجوبة ، وحسب رتبة الإمام ، فكانت رأي غالبية الأئمة من رتبة أستاذ مدرس تعتقد أن صفة شخصية الإمام هي الغالبة ، أي 69 إجابة بنسبة 33.50 % ، ثم صفة العلم 48 إجابة بنسبة 23.30 % ، تليها صفة الثقافة 34 إجابة بنسبة 16.50 % وأخيراً صفات أخرى 05 بنسبة 2.43 % . أما رتبة إمام مدرس فيرى أئمة هذه الرتبة كذلك أن صفة الشخصية والعلم ضرورية لتولي منصب الإمام ، أي 14 إجابة بنسبة 6.80 % لكل منهما ، ثم تأتي صفة الثقافة وبعض الصفات الأخرى بنفس الإجابات ، أي 02 بنسبة 0.97 % لكل منهما .

فيما يخص رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فصبت في نفس الاتجاه ، فكل المبحوثين يعتقدون أن صفة الشخصية ذات أهمية كبيرة ، أي 08 إجابات بنسبة 3.88 % ، ثم صفة العلم 06 إجابات بنسبة 2.91 % ، تليها صفة الثقافة بإجابتين 02 ، أي بنسبة 0.97 % ، وأخيراً صفات أخرى بإجابتين 02 كذلك ، أي بنسبة 0.97 % .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وذلك لأن إجابات الأئمة متعددة ، والإمام كانت له الحرية في الاختيارات ، حيث نجد نفس الإمام اختار في إجاباته كل المتغيرات ، أي تحويل إجابة الأئمة إلى الفئات المذكورة في الجدول بعد تبويبها ، لأنها إجابات عن سؤال مفتوح . وهذه الملاحظة تعني كل الإجابات التي يفوق عددها حجم عيّنة الدراسة .

الصفات / الأقدمية	العلم	الشخصية	الثقافة	أخرى	المجموع
	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة
[00 . 10 [	19 % 9.22	25 % 12.14	16 % 7.77	07 % 3.40	**67** **% 32.52**
[10 . 20 [	26 % 12.62	39 % 18.93	13 % 6.31	02 % 0.97	**80** **% 38.83**
[20 . 30 [	19 % 9.22	21 % 10.19	09 % 4.37	-- --	**49** **% 23.79**
[30 . فما فوق ...	04 % 1.94	06 % 2.91	-- --	-- --	**10** **% 4.85**
المجموع	**68** **% 33.01**	**91** **% 44.17**	**38** **% 18.45**	**09** **% 4.37**	**206** **% 100**

الجدول رقم 08 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية والصفات والسمات الشخصية للخطيب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة في صياغة الصفات والسمات التي يجب توفرها في الإمام حتى يستطيع تسيير أمور المسجد ، أي القيام بدور الإمامة وتسيير الحياة الدينية في الحي أو المكان الموجود به المسجد . فتظهر من المعطيات الإحصائية أن الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، 80 إجابة بنسبة 38.83 % ، ثم الفئة [00 – 10 [، 67 إجابة بنسبة 32.52 % ، تليها الفئة [20 – 30 [بنسبة 23.79 % وأخيراً [30 – فما فوق ... 10 إجابات بنسبة 4.85 % .

ما يسمى بالاتجاه العام في هذا الجدول في الشخصية ، أي 91 إجابة بنسبة 44.17 % ، ثم صفة العلم 68 إجابة بنسبة 33.01 % ، تليها صفة الثقافة 38 إجابة بنسبة 18.45 % وأخيراً صفات أخرى متعددة ، كل حسب نظرته ، أي 09 إجابات بنسبة 4.37 % .

أما بالنسبة للصفات التي اختارها المبحوثين ، فصفة الشخصية هي الغالبة في كل الفئات ، حيث نجد في الفئة [10 – 20 [، 39 إجابة حول صفة الشخصية بنسبة 18.93 % من المجموع العام للإجابات ، ثم 25 إجابة بنسبة 12.14 % بالنسبة للفئة [00 – 10 [تليها 21 إجابة بنسبة 10.19 % بالنسبة للفئة [20 – 30 [وأخيراً 06 إجابات بنسبة 2.91 % بالنسبة للفئة [30 – فما فوق ... بعدها تأتي صفة العلم ، حيث نسجل أن 26 إجابة بنسبة 12.62 % جاءت من طرف الفئة [10 – 20 [، ثم اشتركت كل من الفئة [00 – 10 [و[20 – 30 [، في 19 إجابة بنسبة 9.22 % ، وأخيراً 04 إجابات بنسبة 1.94 من الفئة [30 – فما فوق .

فيما يرى عدد قليل من المبحوثين بأن صفة الثقافة الواسعة مهمة في تولي الإمام مهام الخطابة والتحكم فيها ، وأكثرهم من الفئة [00 – 10 [، أي 16 إجابة بنسبة 7.77 % ، ولها دلالتها وخلفيته التي سوف نتحدث عنها لاحقاً ثم 13 إجابة بنسبة 6.31 % كعامل إضافي وليس ذا أولوية ، لأن هذه النسبة ترتيبها الثالث في الفئة [10 – 20 [ونفس الترتيب في الفئة [20 – 30 [بنسبة 4.37 % ، أي 09 إجابات من 49 إجابة للفئة ، من 206 إجابة كلية ، ونفس الشيء بالنسبة للصفات المتنوعة التي لم تدخل في الفئات الثلاث الأولى .

الارتجال / الأقدمية	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	15	% 15.80	--	--	14	% 14.70	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	12	% 12.60	04	% 4.20	23	% 24.20	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	17	% 17.90	--	--	04	% 4.20	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	02	% 2.10	--	--	04	% 4.20	**06**	**% 6.30**
المجموع	**46**	**%48.40**	**04**	**% 4.20**	**45**	**% 47.40**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 09 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية والارتجال في الخُطب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على ارتجال الإمام للخطابات التي يلقيها ، ومدى تأثيرها على المتلقي من جهة ، وتأثيرها على شخصية الخطيب ، وهذا لما تحمله هذه الخاصية من خلفيات اجتماعية ودينية على الخطيب والمتلقي على حد سواء . ويظهر ذلك من الإجابات أو المعطيات الإحصائية ، حيث أن الإجابة بنعم هي الغالبة ، أي 46 إمام يرتجل الخطاب بنسبة 48.40 % ، ثم يأتي المتغير أحياناً 45 إمام بنسبة 47.40 % ، وأحياناً تعني أن الإمام يرتجل بعض الخطب ، الدروس والمواعظ ، لكنه يلتزم بقراءة خطبة الجمعة من الورقة ، وأخيراً لا يرتجلون ، فنجد فقط 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

من جهة أخرى ، فالفئة ذات الأقدمية [20 – 30 [هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، 17 إمام يرتجلون الخطاب بنسبة 17.90 % ، وهي فئة التجربة الكبيرة ، تتكون من (02) إمام أستاذ رئيسي و(15) إمام أستاذ ، وهما رتبتان مهمتان في سلك الأئمة ، حيث تؤثر التجربة على استحضار الإمام للمعطيات من كثرة تداولها . ثم الفئة ذات الأقدمية [00 – 10 [، 15 إمام يرتجل الخطب ، أي أكثر من 50 % من أئمة هذه الفئة العمرية . فرغم أن عهدها بالإمامة قريب نسبياً ، إلا أنها تدخل ضمن إظهار قوة التحكم والسيطرة على المنصب وبعض الخلفيات الاجتماعية والدينية ، وتمثل نسبتهم في هذا الجدول 15.80 % ، تليها الفئة ذات الأقدمية والخبرة [10 – 20 [بنسبة 12.60 % وأخيراً [30 – فما فوق ... (02) إمامان بنسبة 2.10 % .

يعتبر المتغير (أحياناً) دال على تداخل في الإجابات ، ويأتي مباشرة بعد المتغير (نعم) ، لأن بعض الأئمة أكدوا بأن الارتجال صفة مهمة في الخطيب ، لكن هناك أنواع من الخطابات تتطلب القراءة من الورق ، لكن أخرى في الغالب ما تكون ارتجالاً ، وهو تصريح (45) إمام من عيّنة الدراسة . خاصة الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [، حيث أكد 23 إمام بنسبة 24.20 % بأن الارتجال يكون حسب الخطاب ، وحسب الأهمية ، يليه 14 أمام من الفئة ذات الأقدمية [00 – 10 [بنسبة 14.70 % ، الذين أكدوا بأن الارتجال لا يكون إلا في خطبة الجمعة وحدها ، وأخيراً الفئتين [20 – 30 [و [30 فما فوق ... ، فقط (04) أئمة في كل فئة ، من أصل (45) مجيب أكدوا نفس الأمر ، فدروس ما بعد المغرب ، والمواعظ والإجابة على أسئلة المصلين تكون ارتجالاً ، وذلك بنسبة 4.20 % لكل منهما .

الارتجال / رتبة الإمام	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	04	% 4.20	02	% 2.10	02	% 2.10	**08**	**% 8.40**
إمام أستاذ	34	% 35.80	02	% 2.10	35	% 36.80	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	08	% 8.40	--	--	08	% 8.40	**16**	**% 16.80**
المجموع	**46**	**% 48.40**	**04**	**% 4.20**	**45**	**% 47.40**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 10 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام والارتجال في الخُطب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام داخل المسجد ، حيث يجتمع المستوى التعليمي مع الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على ارتجال الإمام للخطابات التي يلقيها ، ومدى تأثيرها على المتلقي والخطيب على حد سواء . ويظهر ذلك من مختلف المعطيات الإحصائية التي يحملها هذا الجدول ، حيث أن رتبة إمام مدرس بما أنها هي الرتبة الغالبة في عينة الدراسة ، فكان إسقاط هذه الغلبة على عدد إجابات المبحوثين ، وذلك بنسبة 74.70 % ، أي 71 إجابة ، تليها رتبة إمام مدرس ، 16 إجابة بنسبة 16.80 % وأخيراً رتبة إمام أستاذ رئيسي ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

لقد أجاب 35 إمام مدرس (أحياناً) بنسبة 36.80 % ، وهي النسبة الأكبر من حيث إجابات ، والتي تعبر على أن الإمام يفاضل بين أنواع الخطابات ، فهناك خطابات يستعمل فيها القراءة من الأوراق ، وأخرى يتعمد ارتجالها ، ثم 34 إمام أجاب (نعم) بنسبة 35.80 % وأخيراً إمامين (02) أجاب (لا) بنسبة 2.10 % معللين ذلك بضرورة انضباط الإمام وتقيده بما يقدمه للمصلين ، لأن الورقة بالنسبة إليهم حافظة للوقت ، ومحددة للموضوع . فيما انقسم أئمة رتبة إمام مدرس إلى صفين متساويين ، 08 أئمة أجابوا (نعم) ومثلهم (08) أجابوا (أحياناً) بنسبة 8.40 % . بينما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فإن ارتجال الخطاب أخذ نصف إجاباتهم ، أي 04 أئمة بنسبة 4.20 % من الإجابات الكلية ، تليها وبنفس العدد والنسبة الإجابة (لا) و(أحياناً) ، أي إمامين (02) بنسبة 2.10 % .

أما تفريع هذه الإجابات على متغير الارتجال ، للإجابة على السؤال :« هل ترتجلون أي خطاب تقدمونه للمصلين ؟ » ، حيث كانت الإجابات مغلقة بثلاث اختيارات هي : (نعم ، لا أو أحياناً) ، فكانت الإجابة بنعم هي الغالبة ، أي 46 إمام يرتجل الخطاب بنسبة 48.40 % ، ثم 45 إمام أحياناً بنسبة 47.40 % ، وأحياناً تعني أن الإمام يرتجل بعض الخطب ، الدروس والمواعظ ، لكنه يلتزم بقراءة خطبة الجمعة من الورقة ، وأخيراً لا يرتجلون ، حيث نجد فقط 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

فالمسجل من هذه الإحصائيات بأن الأغلبية الساحقة تحبذ الارتجال إذا ما اعتبرنا أن الإجابة (أحياناً) تحتوي على نوع من قيام الإمام بارتجال بعض الخطابات ، وهذا ما ظهر في الإجابة عن نوع الخطاب المحبذ ارتجالاً ، فكانت الموعظة ثم الدرس الأكثر تداولاً ، حيث أجابت عيّنة الدارسة 79 إجابة للموعظة بنسبة 44.38 % وأجابت 62 إجابة حول الدرس بنسبة 38.20 % .

الحياد / الأقدمية	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	11	% 11.60	11	% 11.60	07	% 7.40	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	09	% 9.50	15	% 15.80	15	% 15.80	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	07	% 7.40	08	% 8.40	06	% 6.30	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	04	% 4.20	02	% 2.10	--	--	**06**	**% 6.30**
المجموع	**31**	**% 32.60**	**36**	**% 37.90**	**28**	**% 29.50**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 11 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية وحياد الإمام .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على حياد الإمام في الخطاب الذي يقدمه للوافدين على المسجد ، أو من خلال النشاطات التي يقوم بها داخل أو خارج بيت الله ، ومدى تأثيرها على أفراد المجتمع ، خاصة في ظل التغيرات التي يعرفها المجتمع ، وظهور توجهات ومشارب غير المنهل الذي تعودوا عليه . ويظهر ذلك من المعطيات الإحصائية ، فإجابة العيّنة (لا) هي الغالبة ، أي 36 إماماً من عينة الدراسة يرى نفسه غير محايد بنسبة 37.90 % ، ثم يأتي المتغير (نعم) ، أي 31 إماماً بنسبة 32.60 % ، وأخيراً المتغير (أحياناً) بنسبة 29.50 % ، أي 28 إماماً .

من جهة أخرى ، فالفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام بنسبة 41.10 % ، أي 39 إمام تنوعت إجاباتهم حول هذا السؤال ، إذ يرى أغلبيتهم بأن الإمام لا يستطيع أن يكون محايداً ، أو يكون في بعض الأحيان فقط وليس دائماً ، وذلك بمجموع 30 إمام ، 15 لكل منهما بنسبة 15.80 % . بينما يرى 09 أئمة بأن الإمام محايد تماماً فيما يقدمه للمصلين بنسبة 9.50 % .

أما رأي الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [، فهي الثانية من حيث عدد الإجابات 29 إمام بنسبة 30.50 % ، فقد تساوت الإجابة نعم ولا ، أي 11 إمام بنسبة 11.60 % ، بينما يرى 07 أئمة بأن الإمام يمكن أن يكون محايداً في بعض الأحيان ، وذلك بنسبة 7.40 % من المجموع العام . ونفس الاتجاه أخذته الفئة [20 – 30 [، لكنه عرف نوع من التقارب في الإجابات ، حيث يرى 08 أئمة بأن الإمام لا يستطيع أن يكون محايداً بنسبة 8.40 % مقابل 07 أئمة يرون في حياد الإمام ضرورة بنسبة 7.40 % ، مقابل 06 أئمة يرون الحياد في أمور واستحالتها في أمور أخرى ، دون تحديد ذلك أثناء النقاش مع الكثير منهم حول هذه النقطة بنسبة 6.30 % من المجموع العام .

أما الفئة ذات الأقدمية [30 – فما فوق ... ، وهي فئة التجربة الكبيرة ، فيرى 04 أئمة من 06 أن الإمام باستطاعته أن يكون محايداً بنسبة 4.20 % مقابل إمامين (02) أكدوا استحالة حياد الإمام بنسبة 2.10 % ، حيث أكد الإمامان أن الإمام الذي يدعي الحياد فيما يقدمه لا يفهم معنى الحياد ، أو لديه معنى غير المعروف ، إذ يتساءل أحدهم « كيف تقنع المصلين بفكرة أو أمر لا تقتنع أنت به أو لا تؤمن به ؟ ما أقدمه للجمهور هو قناعتي ، خاصة في أمور الفتوى ».

الالتزام / الصفات	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العلم	43	% 20.87	05	% 2.43	20	% 9.71	**68**	**% 33.01**
الشخصية	51	% 24.76	05	% 2.43	35	% 16.99	**91**	**% 44.17**
الثقافة	19	% 9.22	--	--	19	% 9.22	**38**	**% 18.45**
أخرى	02	% 0.97	05	% 2.43	02	% 0.97	**09**	**% 4.37**
المجموع	**115**	**% 55.83**	**15**	**% 7.28**	**76**	**% 36.89**	**206**	**% 100**

الجدول رقم 12 : يبيّن العلاقة بين الصفات والسمات الشخصية والتزام الإمام .

التحليل الإحصائي :

هذا الجدول نريد من خلاله توضيح العلاقة الموجودة بين الصفات الواجب توفرها في الخطيب وعلاقتها بمدى التزام هذا الأخير بتطبيق المذهب المالكي في أمور الفقه والمعاملات وتأثير هذه العلاقة في صياغة الخطاب المقدم للجماهير ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية صفة الشخصية هي الغالبة ، 91 إجابة بنسبة 44.17 % ، تليها صفة العلم بنسبة 33.10 % ، أي 68 إجابة ، ثم الثقافة الواسعة 38 إجابة بنسبة 33.01 % وأخيراً صفات أخرى تنوعت في إجابات عيّنة الدراسة ، 09 إجابات بنسبة 4.37 % .

أما من حيث التزام عيّنة الدراسة بتطبيق المذهب المالكي في الحياة اليومية ، سواء من جهة الإجابات حول انشغالات المواطنين ، أو من حيث طرح القضايا الفقهية والمعاملات ، فالإجابة الغالبة ، أو إحصائياً الاتجاه العام كان في الإجابة (نعم) ، وذلك بالأغلبية البسيطة ، 115 إجابة بنسبة 55.83 % ، وهنا تجدر الإشارة إلى دعوة الكثير من الأئمة إلى ضرورة التقيد الكلي بالمذهب المالكي كأحد عناصر مكونات الهوية الوطنية ، وذهب البعض منهم إلى دعوة الوزارة إلى فصل كل إمام لا يعمل بهذا المذهب ، يقول أحد الأئمة :« المذهب المالكي هو أحد العناصر البارزة في تكوين عناصر الهوية ، لا أفهم كيف يسمح للذين لا يؤمنون بهذا المذهب بإمامة الناس ، هذا ليس تعصب ، لكنه تعريف بهويتي ، وهل في عناصر الهوية نقاش أو تغيير ؟ ».

تليها (أحياناً) ، والتي فهمها المبحوثين على أنها الإجابة التي تسمح للإمام بتطبيق المذهب المالكي حسب الظروف ، وحسب القضايا المطروحة ، وكذلك حسب الشخص السائل . يقول أحد المبحوثين :« الالتزام بالمذهب المالكي يكون حسب السائل ، فإذا كان السائل أمي أو كبير في السن أقدم له الإجابة وفق ما تعوَّد عليه ، أي المذهب المالكي ، أما إذا كان من المتعلمين ، ويمكنه البحث ، فإنني أجيبه بتنوع الآراء في المذاهب ، ويمكن أن أركز على المذهب المالكي كنتيجة نهائية ، أما المخالف فإنني أجيبه حسب مذهبه ، وأقيم له مقارنة بين ما يعرف أو سمع أو قرأ من كتب وفتاوى ، وبين نظرة المذهب المالكي ».

أما الذين يرفضون الالتزام بتطبيق المذهب المالكي ، فهم قلّة ، 15 إمام بنسبة 7.28 % . ولهم رأيهم في ذلك ، وهو ما سوف نتطرق له بالتفصيل في تحليل هذه المعطيات سوسيولوجياً .

الالتزام / الأقدمية	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	10	% 10.50	05	% 5.30	14	% 14.70	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	18	% 18.90	--	--	21	% 22.10	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	19	% 20	--	--	02	% 2.10	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	06	% 6.30	--	--	--	--	**06**	**% 6.30**
المجموع	**53**	**% 55.80**	**05**	**% 5.30**	**37**	**% 38.90**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 13 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية والتزام الإمام بما تقدمه الوصاية .

التحليل الإحصائي :

هذا الجدول نريد من خلاله توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل وعلاقتها بمدى التزام الإمام بتطبيق المذهب المالكي في كل أمور الحياة ، وبالتالي معرفة مدى تأثير الخبرة والتجربة في منصب العمل في هذا الالتزام ، وكذا تأثير هذه العلاقة في صياغة الخطاب المقدم للمصلين والمصليات . فتُظهر المعطيات الإحصائية أن الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [هي الغالبة ، حيث 39 إمام تنوعت إجاباتهم بين الاحتمالات الثلاث بنسبة 41.10 % ، تليها الفئة [00 – 10 [، أين 29 إمام تنوعت إجاباتهم بنسبة 33.50 % ، ثم الفئة [20 – 30 [، حيث 21 إمام بنسبة 22.10 % ، وأخيراً الفئة العمرية [30 – فما فوق ... ، والمتكونة أساساً من 06 أئمة ، كلهم أجابوا إجابة وحيدة ، وهي ضرورة الالتزام بتطبيق المذهب الملكي بنسبة 6.30 % من المجموع العام .

من جهة أخرى ، فإن أغلبية عينة الدراسة ، يرون ضرورة الالتزام بالمذهب المالكي ، 53 إمام بنسبة 55.80 % تليها (أحياناً) بنسبة 38.90 % ، أي 37 إمام ، مع الإشارة بأن معظم الذين أجابوا أحياناً كانوا يقصدون الحالات التي لا يمكن الفتوى وفق المذهب المالكي ، أو القيام بتصرفات يرفضها المذهب المالكي ، حيث يقول أحد الأئمة :« أنا مالكي المذهب ، لكن لتيسير الأمور على المواطن أحاول إيجاد أسهل السبل التي تساعد على الفهم والمرونة في التطبيق ، هذا من جهة ، وللانقياد لأوامر السلطان أو الوالي ، فإن عدم الالتزام بالمذهب في أمر من الأمور لا يضر ». فمعظم الذين أجابوا أحياناً أضافوا الكثير من التعليقات مثل : ضرورة التفتح على المذاهب الفقهية الأخرى ، ومسايرة العصر وغيرها ...

أما الذين يرفضون صراحة الالتزام بتطبيق المذهب المالكي ، فهم 05 أئمة ، بنسبة 5.30 % ، وكلهم جديدي العهد بالإمامة نسبياً ، أي ينتمون إلى الفئة العمرية [00 – 10 [سنوات من العمل ، وهم ما يسميه البعض بالجيل الجديد من الأئمة ، والذين صرحوا بأن الالتزام بمذهب معين دون غيره في هذا العصر يضر أكثر مما ينفع ، وأن الإمام مطالب بإيجاد الحلول السهلة والمرنة التي يتقبلها المواطن ، حيث يقول أحد الأئمة :« المواطن لا يفهم المذهب المالكي من غيره ، المواطن يريد إجابة من صميم الدين وسهلة التطبيق ، تبيّن له من خلالها يسر وسهولة تعامل الدين مع مختلف القضايا ... هذا ما يهم ، لأن لا أحد يسألني هل قال بها مالك أم فضلها الشافعي أو أفتى بها أحمد ... » .

التوجيهات / الأقدمية	نعـــم		لا		نوعاً مـا		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	--	--	12	% 12.60	17	% 17.90	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	--	--	21	% 22.10	18	% 18.90	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	--	--	17	% 17.90	04	% 4.20	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	--	--	06	% 6.30	--	--	**06**	**% 6.30**
المجموع	--	--	**56**	**% 58.90**	**39**	**% 41.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 14 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية ومدى إعاقة توجيهات الوصاية .

التحليل الإحصائي :

هذا الجدول نريد من خلاله توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل وعلاقتها بمدى تأثير التوجيهات والتعليمات التي يقدمها المسؤولين على القطاع (من الوزارة بمديرياتها المختلفة مروراً بالمديرية الولائية بمصالحها وحتى المعتمد) ، وبالتالي معرفة مدى تأثير الخبرة والتجربة في منصب العمل في التعامل مع هذه التوجيهات ، وكذا تأثير هذه العلاقة (بين الخبرة والتوجيهات) في صياغة الخطاب المقدم للجمهور . فتُظهر المعطيات الإحصائية أن كل عناصر عينة الدراسة يرفضون أن تعيق هذه التوجيهات في أداء رسالة الإمام ، فكانت الخانة نعم خالية من أية إجابة .

في كل الترابطات التي سوف نجريها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين الأقدمية ومتغيرات أخرى ، سوف تكون الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [هي الغالبة ، حيث تتكون من 39 إمام بنسبة 41.10 % ، تليها الفئة [00 – 10 [، أي 29 إمام بنسبة 33.50 % ، ثم الفئة [20 – 30 [، 21 إمام بنسبة 22.10 % ، وأخيراً الفئة [30 – فما فوق ... والمتكونة أساساً من 06 أئمة ، أجابوا إجابة وحيدة ، بأن هذه التوجيهات لا تعيق أبداً عمل الإمام في المسجد بنسبة 6.30 % من المجموع العام .

من جهة أخرى ، فعينة الدراسة دون استثناء ، حتى لما ناقشنا هذه القضية (توجيهات الوصاية المختلفة) ومحاولة توضيح معانيها المختلفة ، وكيف قد يخشى الإمام عدم الالتزام بهذه التوجيهات بما أنه مجرد موظف في قطاع عمومي قد يعاقب أو يحول من المسجد المتواجد به ، فهو يحتاج كثيراً إلى الاستقرار حتى يقوم بواجبه على أكمل وجه . لقد رفضت عيّنة الدراسة أن هذه التوجيهات تعيق عمل الإمام ، فلا أحد أجاب (نعم) ، بل تراوحت إجاباتهم بين الخانتين (لا) و(نوعاً ما) ، حيث أجاب 56 إمام بلا ، ما يعادل 58.90 % مقابل 39 إمام أجاب (نوعاً ما) بنسبة 41.10 % .

فالإجابة (نوعاً ما) تخفي في طياتها الكثير من المواقف ، حين يرى أصحاب الإجابة أن هذه التوجيهات ترتبط بشخصية الإمام ، فهي تعيق نوعاً ما حريته في تسيير شؤون المسجد بالطريقة التي يراها مناسبة . كما ينظر البعض أنها قضية مبدأ من حق الوصاية توجيه الأئمة ، لكن الإمام مسؤول ، ومسؤوليته دينية وإدارية ، فهي مسؤولية أمام الخالق قبل أن تكون أمام المخلوق مهما كانت رتبته أو مسؤوليته في هذا القطاع .

التقيّد / الصفات	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العلم	60	% 29.13	08	% 3.88	--	--	**68**	**% 33.01**
الشخصية	77	% 37.38	10	% 4.85	04	% 1.94	**91**	**% 44.17**
الثقافة	38	% 18.45	--	--	--	--	**38**	**% 18.45**
أخرى	09	% 4.37	--	--	--	--	**09**	**% 4.37**
المجموع	**184**	**% 89.32**	**18**	**% 8.74**	**04**	**% 1.94**	**206**	**% 100**

الجدول رقم 15 : يبيّن العلاقة بين الصفات والسمات الشخصية ومدى تقيده بمذهب معين .

التحليل الإحصائي :

هذا الجدول يسعى إلى توضيح العلاقة الموجودة بين الصفات التي يجب أن تتوفر في الخطيب وعلاقتها بمدى تقيده بمذهب معين دون غيره من المذاهب ، أي معرفة مدى تأثير هذه الصفات على التقيد بمذهب معين ، وكذا تأثير هذه العلاقة في نشاط الإمام داخل وخارج المسجد ، سواء في صياغة الخطب ، الدروس والمواعظ ، أو استجابة الإمام لانشغالات واهتمامات المواطنين .

نفس الشيء سوف يتكرر في كل الترابطات التي نقوم بها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين هذه الصفات ومتغيرات أخرى ، حيث تكون صفة الشخصية القوية للإمام هي الغالبة ، 91 إجابة بنسبة 44.17 % ، تليها صفة العلم ، 68 إجابة بنسبة 33.01 % ، ثم صفة الثقافة الواسعة ، 38 إجابة بنسبة 18.45 % وأخيراً صفات أخرى ، 09 إجابات بنسبة 4.37 % .

أما بالنسبة لاعتقاد عينة الدراسة بضرورة تقيد الخطيب بمذهب معين دون غيره من المذاهب ، فالأغلبية الساحقة ترى بضرورة تقيد الإمام بمذهب معين ، ونعني به المذهب المالكي ، حيث 184 إجابة بنسبة 89.32 % ، تليها الإجابات الرافضة ، 18 إجابة فقط بنسبة 8.74 % وأخيراً الإجابة (أحياناً) ، 04 إجابات بنسبة 1.94 % ، إذ تتضمن أحياناً القبول والرفض ، فهي تقبل بضرورة التقيد في أمور ولا تحبذ التقيد في أمور أخرى .

أما الترابط بينهما ، فإن الذين يرون الشخصية القوية ، كانت إجاباتهم بالتقيد ، 77 إجابة بنسبة 37.38 % من المجموع العام ، مقابل 10 إجابات بلا ، وذلك بنسبة 4.85 % وكذلك 04 إجابات (أحياناً) بنسبة 1.94 % ، حيث تعتبر هذه الفئة الوحيدة التي أجابت في هذه الخانة (أحيانا) . أما صفة العلم فإن 60 إجابة تعتقد بضرورة التقيد بنسبة 29.13 % من المجموع العام ، مقابل 08 إجابات بلا ، أي بنسبة 3.88 % . بينما يعتقد الأئمة الذين اختاروا صفة الثقافة الواسعة ، وحتى بعض الصفات الأخرى بضرورة التقيد بمذهب معين ، 38 إجابة بنسبة 18.45 % بالنسبة للأولى ، وبنسبة 4.37 % من المجموع العام ، أي 09 إجابات بالنسبة للثانية .

فصفة الثقافة الواسعة ، وبعض الصفات الأخرى لم تجب على الخانات (لا) أو (أحياناً) على الإطلاق ، أي صفر (00) إجابة بنسبة (00 %) .

التقيّد / رتبة الإمام	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	08	% 8.40	--	--	--	--	**08**	**% 8.40**
إمام أستاذ	61	% 64.20	08	% 8.40	02	% 2.10	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	12	% 12.60	02	% 2.10	02	% 2.10	**16**	**% 16.80**
المجموع	**81**	**% 85.30**	**10**	**% 10.50**	**04**	**% 4.20**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 16 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام ومدى تقيده بمذهب معين .

التحليل الإحصائي :

من خلال هذا الجدول نسعى إلى توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام وعلاقتها بمدى تقيده بمذهب معين دون غيره من المذاهب ، أي معرفة مدى تأثير هذه الرتب على التقيد المذهبي ، وكذا تأثير هذه العلاقة في نشاط الإمام داخل وخارج المسجد ، أي من خلال نشاطات المسجد الداخلية واستجابته لانشغالات واهتمامات المواطنين .

نفس الشيء سوف يتكرر في كل الترابطات التي نقوم بها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين رتبة الإمام ومتغيرات أخرى ، حيث تكون رتبة إمام مدرس هي الغالبة ، 71 إمام بنسبة 74.70 % ، تليها رتبة إمام مدرس ، 16 إمام بنسبة 16.80 % ، وأخيراً رتبة إمام أستاذ رئيسي ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

أما بالنسبة لاعتقاد عينة الدراسة بضرورة تقيد الخطيب بمذهب معين دون غيره من المذاهب ، فالأغلبية الساحقة ترى بضرورة تقيد الإمام بمذهب معين ، 81 إمام أو إجابة بنسبة 85.30 % ، تليها الإجابات الرافضة ، 10 إجابات أو أئمة بنسبة 10.50 % وأخيراً الإجابة (أحياناً) ، 04 إجابات بنسبة 4.20 % ، حيث نذكر أن أحياناً تتضمن ضرورة التقيد والرفض لها .

أما الترابط بينهما ، فإن رتبة إمام أستاذ هي التي تمثل الاتجاه العام إحصائياً ، فكانت إجاباتهم بالتقيد ، 61 إمام أستاذ بنسبة 64.20 % من المجموع العام ، مقابل 08 كانت إجاباتهم (لا) بنسبة 8.40 % وكذلك 02 إجابتين (أحياناً) بنسبة 2.10 % . أما رتبة إمام مدرس ، فكانت 12 إجابة بنسبة 12.60 % من المجموع العام تعتقد بضرورة التقيد ، مقابل 02 إمامين يرفضون ذلك بنسبة 2.10 % ، وبنفس العدد ، 02 إمامين يرون (أحياناً) بنسبة 2.10 % ، ونذكر بأن (أحياناً) تعني القبول والرفض ، فالقبول يكون في أمور بعينها ، والرفض في أمور أخرى متعددة .

أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فكلها ترى بضرورة تقيد الإمام بمذهب معين ، وتؤكد على إلزامية تقيد كل الخطباء عبر كامل التراب الوطني بتطبيق المذهب المالكي ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % من المجموع العام . فالملاحظ على الذين يعتقدون بأن الإمام مجبر على التقيد بالمذهب المالكي يعتقدون أن هذا التقيد كفيل بتوحيد صفوف الأمة ورأب الصدأ ولملمة الصفوف . وهذا عند مناقشة كلمة (مجبر) مع الأئمة المبحوثين ، حيث ذهب أحدهم ــ كما ذكرنا سابقاً ــ إلى ضرورة توقيف كل إمام لا يتقيد بالمذهب الملكي ، ودعوه إلى البحث عن وطن آخر يؤمن بالمذهب الذي يؤمن به هذا الإمام ويتقيد به .

التعامل / الحياد	التوجيه		النصيحة		الإهمال		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	26	% 27.40	05	% 5.30	--	--	**31**	**% 32.60**
لا	28	% 29.50	06	% 6.30	02	% 2.10	**36**	**% 37.90**
أحياناً	20	% 21.10	08	% 8.40	--	--	**28**	**% 29.50**
المجموع	**74**	**% 77.90**	**19**	**% 20**	**02**	**% 2.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 17 : يبيّن العلاقة بين حياد الإمام وتعامله مع المخالفين له في المذهب .

التحليل الإحصائي :

من خلال هذا الجدول نسعى إلى توضيح العلاقة الموجودة بين حياد الإمام فيما يقدمه للجمهور وعلاقته بالتعامل مع المصلين والمصليات الذين يختلفون معه في المذهب ، أي معرفة مدى تأثير هذا الحياد على التعامل ، وكذا تأثير هذه العلاقة في نشاط الإمام داخل وخارج المسجد .

نفس الشيء سوف يتكرر في كل الترابطات التي نقوم بها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين حياد الإمام ومتغيرات أخرى ، حيث تكون الإجابة (لا) هي الغالبة ، 36 إمام بنسبة 37.90 % ، تليها الإجابة (نعم) ، 31 إمام بنسبة 32.60 % ، وأخيراً الإجابة أحياناً ، 28 إمام بنسبة 29.50 % . وتجدر الإشارة أن (أحياناً) تعني عدم الحياد في أمور ، والحياد في أمور أخرى .

أما بالنسبة لتعامل الأئمة مع المخالفين لهم في المذهب فإن الأغلبية الساحقة ترى بالقيام بعملية توجيه المصلين والمصليات ، أي 74 إمام أو إجابة بنسبة 77.90 % ، تليها الإجابة (النصيحة) ، 19 إجابة أو إمام بنسبة 20 % ، وأخيراً الإجابة (الإهمال) ، 02 إجابات بنسبة 2.10 % .

أما الترابط بينهما ، فإن الإجابة (لا) هي التي تمثل الاتجاه العام إحصائياً ، فكانت إجاباتهم بعدم الحياد ، 28 إمام بنسبة 29.50 % من المجموع العام ، وهي ترى التوجيه ، مقابل 06 كانت إجاباتهم (النصيحة) بنسبة 6.30 % وكذلك 02 إجابتين (الإهمال) بنسبة 2.10 % ، حيث تعتبر الفئة الوحيدة التي أجابت على إهمال المصلين والمصليات المخالفين لهم ، تحضيراً لما سماه بعض الأئمة بضرورة المواجهة من أجل استقرار المسجد والقضاء على أسباب الفرقة والمشاكل .

أما فيما يخص الإجابة (نعم) حول الحياد ، فإن الذين يعتقدون التوجيه ، هم 26 إمام بنسبة 27.40 % ، مقابل 05 أئمة يرون النصيحة ، فيما لم نجد (الإهمال) في هذه الفئة من الإجابات ، وهو نفس الشيء بالنسبة للفئة (أحياناً) ، والتي اقتصرت إجاباتها على التوجيه ، 20 إمام بنسبة 21.10 % ، مقابل 08 أئمة يرون النصيحة بنسبة 8.40 % ، وذلك من منطلق الدين حسن الخلق ، الدين النصيحة .

الالتزام / الحياد	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	19	% 20	--	--	12	% 12.60	**31**	**% 32.60**
لا	22	% 23.20	--	--	14	% 14.70	**36**	**% 37.90**
أحياناً	12	% 12.60	05	% 5.30	11	% 11.60	**28**	**% 29.50**
المجموع	**53**	**% 55.80**	**05**	**% 5.30**	**37**	**% 38.90**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 18 : يبيّن العلاقة بين حياد الإمام ومدى التزامه بتوجيهات الوصاية .

التحليل الإحصائي :

من خلال هذا الجدول نسعى إلى توضيح العلاقة الموجودة بين حياد الإمام فيما يقدمه للجمهور وعلاقته بالالتزام هذا الأخير بما تقدمه الوصاية من توجيهات وتعليمات فيما يخص الخطاب ، أي معرفة مدى تأثير هذا الحياد على هذا الالتزام ، وكذا تأثير هذه العلاقة في نشاط الإمام داخل وخارج المسجد .

نفس الشيء سوف يتكرر في كل الترابطات التي نقوم بها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين التزام الإمام ومتغيرات أخرى ، حيث تكون الإجابة (نعم) هي الغالبة ، 53 إمام بنسبة 55.80 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، 37 إمام بنسبة 38.90 % ، وأخيراً الإجابة (لا) ، 05 أئمة بنسبة 5.30 % . تجدر الإشارة أن (أحياناً) تعني الالتزام في أمور ، وعمد الالتزام في أمور أخرى ، حيث يصرح أحد المبحوثين :« أنا ألتزم بما تقرره الوصايا وما تقدمه من نصائح وتوجيهات في الجوانب الإدارية بما أنني موظف في القطاع ، لكن لا ألتزم في أمور الدين ، فما ينافي ما أعتقد به وتطالب به الوصاية لا أقوم به » .

ونفس الشيء سوف يتكرر في المجاميع عند التحدث عن حياد الإمام من عدمه ، حيث يكون مجموع الإجابات عن الإجابة (لا) هي الغالبة ، أي 36 إمام أو إجابة بنسبة 37.90 % ، تليها الإجابة (نعم) ، 31 إجابة أو إمام بنسبة 32.60 % ، وأخيراً الإجابة (أحياناً) ، 28 إجابة بنسبة 29.50 % .

أما الترابط بينهما ، فإن الإجابة (لا) هي التي تمثل الاتجاه العام إحصائياً ، فكانت إجاباتهم بعدم الحياد ، 22 إمام بنسبة 23.20 % من المجموع العام ، وهي ترى الالتزام بالتوجيهات ، مقابل 14 كانت إجاباتهم (أحياناً) بنسبة 14.70 % ، حيث لا نجد في هذه الفئة من يرفض الالتزام بالتوجيهات ، أو أجاب بلا . أما فيما يخص الإجابة (نعم) حول الحياد ، فإن 19 إمام بنسبة 20 % يرون ضرورة تقيد الإمام والتزامه بتوجيهات الوصاية ، مقابل 12 إمام يرون أن الإجابة (أحياناً) هي المناسبة ، وذلك بنسبة 12.60 % ، ولم نجد في هذه الخانة من أجاب بنعم حول الحياد ولا على الالتزام بتوجيهات الوصاية .

في حين أن الأئمة الذين أجابوا (أحياناً) على الحياد ، فإن 12 منهم بنسبة 12.60 % أجابوا (نعم) للتقيد بالتوجيهات والالتزام بها ، مقابل 11 إمام بنسبة 11.60 % من المجموع العام فضلوا الإجابة (أحياناً) ، في حين أنها الفئة الوحيدة التي أجابت برفض تطبيق التوجيهات والتعليمات ، أي 05 أئمة بنسبة 5.30 % ، لأنهم يرون أن هذه التوجيهات تدخل في صلاحياتهم وتعيق مهامهم داخل المسجد وفي المجتمع .

التعامل / التوجيهات	التوجيه		النصيحة		الإهمال		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	--	--	--	--	--	--	--	--
لا	39	% 41.10	15	% 15.80	02	% 2.10	**56**	**% 58.90**
نوعاً ما	35	% 36.80	04	% 4.20	--	--	**39**	**% 41.10**
المجموع	**74**	**% 77.90**	**19**	**% 20**	**02**	**% 2.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 19 : يبيّن العلاقة بين توجيهات الوصاية وتعامله مع المخالفين له في المذهب .

التحليل الإحصائي :

من خلال هذا الجدول نسعى إلى توضيح العلاقة الموجودة بين مدى إعاقة التوجيهات والتعليمات التي تقدمها الوصاية حول الخطاب وعلاقتها بتعامل الإمام مع المخالفين له في المذهب من المصلين والمصليات ، أي معرفة مدى تأثير الالتزام بهذه التوجيهات في التعامل مع المخالفين ، وكذا تأثير هذه العلاقة الإحصائية في علاقة الإمام مع أفراد المجتمع ، والنشاط المبرمج في المسجد .

تُظهر المعطيات الإحصائية أن الاتجاه العام يتمثل في (لا) ، أي أن هذه التوجيهات لا تعيق 56 إمام على أداء مهامه بنسبة 58.90 % ، مقابل 39 إمام بنسبة 41.10 % يرون أن هذه التوجيهات تعيق (نوعاً ما) أداء رسالة الخطيب الذي لا يعترف بضغوط ولي الأمر وتوجيهاته . فقد خلت كل الإجابات من (نعم) فلا أحد يرى أن هذه التوجيهات تعيق مباشرة وذلك (00) إجابة بنسبة (00 %) . فالذين يرون (لا) تنوعت إجاباتهم ، وهي الفئة الوحيدة التي اختار فيها الأئمة الاقتراحات الثلاث (التوجيه) ، (النصيحة) و(الإهمال) .

ففي هذا الجدول نسجل أن 39 إمام من الذين أجابوا (لا) حول التوجيهات يعتقدون (التوجيه) في التعامل بنسبة 41.10 % ، تليها (النصيحة) ، حيث 15 إمام بنسبة 15.80 % وأخيراً (الإهمال) ، إمامين (02) بنسبة 2.10 % . في حين يرى المجيبين (نوعاً ما) ، حول التوجيهات بأن التعامل مع المخالفين يكون بالتوجيه ، أي 35 إمام بنسبة 36.80 % يقابلها ضرورة (النصيحة) ، أي 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

نفس الشيء سوف يتكرر في كل الترابطات التي نقوم بها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين تعامل الإمام مع المخالفين له في المذهب ، حيث تكون المجاميع الخاصة بالإجابة (التوجيه) هي الغالبة ، 74 إمام بنسبة 77.90 % ، تليها الإجابة (النصيحة) ، 19 إمام بنسبة 20 % ، وأخيراً الإجابة (الإهمال) ، إمامين (02) بنسبة 2.10 % ، ثم يتنوع المجموع في الخانات ، وذلك حسب نوعية الترابط بين المتغيرات المقترحة ومتغير التعامل مع المخالفين في المذهب .

ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الأولى :

بعد التحليل الإحصائي لمختلف جداول المحور الأول من الاستبيان ، والقيام بالعديد من الجداول المركبة ، والقيام بالعديد من الترابطات بغية الوصول إلى العوامل التي تؤثر في صياغة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خاصة في هذا لمحور الأول ، حيث ركزنا على إظهار كل ما يتعلق بالعنصر المهم من عناصر الخطاب الدين (الخطيب ، الملقي أو المخاطِب) ، أي شخص الإمام المسؤول الأول عن تسيير شؤون المسجد .

إننا ننطلق من النظرة العامة التي ركز عليها الكثير من أعلام الخطاب الديني في محاولة منهم لوضع دراسة نقدية للخطاب المعاصر والعوامل المؤثرة فيه ، فاتفق الجميع دون استثناء على الدور المفصلي الذي يقوم به المخَاطِب ، فهو العنصر الأساس والفعال ، لأنه الطرف الذي يتولى توجيه الخطاب ، ويقوم بقراءة النصوص وتفسيرها ، ويحاول إسقاطها على الواقع ، من خلال الأمثلة ، الاقتباسات المتعددة ، والنشاطات المنظمة . لكن في بعض الحالات يُعتبر ما يُقدِّمه قراءة لآرائه في نصوص الوحي ، حيث يعتقد أنه من أهل الاجتهاد وأن قوله معتمد به . فهو في هذه الحالة ، قد يهدد انسجام النص الإلهي ، حيث يخرج عن مقصود الشارع الذي ضمنه وحيه ، إلى مقاصد ذاتية . ففي كثير من الأحيان يكون التفسير والتأويل وفق شخصية ، وعلم وثقافة الخطيب الذاتية ، ومكتسباته المعرفية وحتى انتمائه الإيديولوجي ، وبالتالي يقوم بتصدير خطاب وفق فهمه الخاص ، فما يصل إلى ذهن المتلقِي يكون بعيداً عن قصد المشرِّع وعن دلالة النص .

ترتبط الصفات والسمات التي يجب توفرها في الإمام حتى يستطيع تسيير أمور المسجد ، أي صياغة الخطاب الديني ، حسب عيّنة الدراسة بالعديد من المتغيرات ، منها ما هو متوارث عند أعلام الخطاب الديني ، القدامى والمحدثين على حد سواء ، مثل : العلم ، التقوى ، الورع ، قوة الحضور ، البداهة ، الذكاء ، الهندام ، طريقة الكلام وحسنه وخاصة القدوة الحسنة ، وغيرها من الصفات التي حددتها عيّنة الدراسة وجعلناها تحت عنوان كبير : الشخصية القوية . أما الحفظ ، والمطالعة والمعرفة والعلم وغيرها من المرادفات التي جمعناها في خانة واحدة ، تحت عنوان : العلم . وبنفس الطريقة ، فإن المرادفات التي دخلت تحت مفهوم الثقافة ، مثل الثقافة الواسعة ، متابعة ما يحدث في العالم ، معرفة طباع الناس ، الاطلاع على المستجدات ، كلها كانت تحت عنوان الثقافة الواسعة . أما الصفات التي رآها إمام ولم يرها غيره ، وجعلها آخر خصوصية بالنسبة له ، أو الصفات التي لم يتفق عليها الجميع ذكرناها بعنوان صفات أخرى .

لقد ظهر جلياً عند عيّنة الدراسة الأهمية التي تعطى للشخصية القوية ، خاصة عند استيقافهم لمحاولة معرفة المزيد حول المواصفات التي يراها كل إمام في هذه الشخصية ، فيكفي أن نذكر 91 إجابة من أصل 206 إجابة كلية ، أي بنسبة 44.17 % . وهي نسبة جد معتبرة . فقد ظهر ثبات عيّنة الدراسة على أهمية الشخصية القوية ، رغم إدخال مختلف المتغيرات ، أو الخصائص . فهي صفة التقى في أهميتها الأئمة رغم اختلاف رتبهم ، سواء الإمام الأستاذ ، وهي الرتبة الغالبة على عينة الدراسة (71) إمام ، حيث ذكرها هؤلاء (69) مرة بنسبة 33.50 % من المجموع (206) إجابة ، وذكرها إمام مدرس (14) مرة بنسبة 6.80 % ، وذكرها كل الأئمة في رتبة إمام أستاذ رئيسي .

وسجلنا نفس الشيء ، لما أردنا التعرف على أهمية الشخصية القوية بالنسبة لعيّنة الدراسة مقارنة مع الأقدمية في منصب العمل ، وقد ركزنا على هذا العامل ، كونه يوضح الخبرة والتجربة في منصب العمل ، وهو عامل مهم وقوي

لاتخاذ المواقف ، فقد أظهر الأئمة أصحاب الخبرة والتجربة ، خاصة الفئة [20 – 30 [و الفئة [30 – فا فوق ... رزانة وحكمة كبيرتين في التعامل معنا ، وفي طريقة الإجابة على أسئلتنا عكس ما ميز الفئة الأولى [00 – 10 [التي لاحظنا عندها نوع من الحماس ومحاولة إظهار الذات وقوة الحضور المادي والمعنوي بين أسوار المسجد . لقد كانت صفة الشخصية هي الغالبة في كل الفئات ، حيث وجدنا في الفئة [10 – 20 [، 39 إجابة بنسبة 18.93 % من المجموع العام للإجابات ، ثم 25 إجابة بنسبة 12.14 % بالنسبة للفئة [00 – 10 [، تليها 21 إجابة بنسبة 10.19 % بالنسبة للفئة [20 – 30 [وأخيراً 06 إجابات بنسبة 2.91 % بالنسبة للفئة [30 – فما فوق ...

ونفس الشيء سجلناه ، لما عقدنا مقارنة بين هذه الصفة المهمة ، والمستوى التعليمي لدى عيّنة الدراسة ، فكانت نفس النتائج ، الجامعي منهم ، الثانوي ، الابتدائي أو حتى الذي لم يتلق مستوى تعليمي أكاديمي ، أي لم يتمدرس ، فكان المستوى الجامعي ، وهو المستوى الغالب على عينة الدراسة أعطى 132 صفة من 206 ، بنسبة 64.08 % ، وأخذت الشخصية القوية العدد الأكبر من الإجابات ، فهي 56 إجابة بنسبة 27.16 % من المجموع العام للإجابات ، وكذلك فعل الثانوي ، 54 إجابة عن الصفات منها 25 إجابة عن الشخصية بنسبة 12.17 % ، وهكذا ، فقد ركزت عيّنة الدراسة على الشخصية القوية ، مقارنة مع كل الخصائص (السن ، المستوى التعليمي والأقدمية في منصب العمل) .

إننا نعتبر كذلك أن العلم والثقافة الواسعة ، من الصفات الشخصية التي يجب توفرها في الإمام ، فإذا كانت الشخصية القوية تعبير عن الحضور المادي للإمام في المسجد ، أثناء أداء مهامه ، فإن العلم والثقافة عوامل تبيّن كيفية تعامل الإمام مع ما يقدِّم ويواجه خارج المسجد مع المصلين ، مع الوصاية ومع النظرة للخطاب الديني بصفة عامة ومفهوم الدين والتدين عنده . فنحن نقصد محاولة معرفة الخلفيات التي تتحكم في تسيير الإمام للخطاب الديني ، ومدى تأثير ما يقوم به على صياغته في خطب ، دروس ، مواعظ ونشاطات .

فإظهار الشخصية القوية ، ومن ثم تأثيرها يتجلى في العديد من المعطيات ، الأعمال وحتى السلوكات التي حاولنا الوقوف عندها ، ولعل أبرزها الارتجال في الخطاب المقدم ، الحياد أمام المعلومات ، الالتزام بما تقدمه الوصاية من توجيهات وتعليمات في نوع الخطاب الذي يقدمه للعامة ، التقيد بمذهب أو توجه مذهبي بعينه دون غيره من المذاهب والتوجهات ، تعامله مع المصلين المخالفين له في المذهب . فكلها عناصر ناقشنا فيها عيّنة الدراسة وأخذنا مواقفها اتجاهها ، وحاولنا ربطها ، سواء بخصائص ومميزات الدراسة ، أو ربطها ببعضها البعض من خلال تقاربها وتأثيرها .

- **عامل الارتجال :**

وأول هذه الأعمال أو السلوكات التي ترتبط بشخصية الإمام ، ويعطيها أعلام الخطاب الديني أهمية كبيرة في حياة الخطيب ؛ هي الارتجال ، حيث يعمد الإمام إلى التحضير الجيد لكل خطاباته تحضيراً جيداً ، فينظم أفكاره ويرتب فقرات خطابه ، يقول أحد المبحوثين :« فالارتجال كما يعرفه العلماء ، الكلام الذي يأتي من تلقاء النفس ، يصدر بطريقة انفعالية من أجل التأثير على السامع ، وامتلاك حسه وعواطفه ، لكنه لا يمكن أن يكون ، إذا كان الأمر لا يحتمل على البداهة ، أو كان بين قوم ينتظرون سقطاته وهفواته » . والارتجال ملكة تأتي مع الخبرة والتجربة ، يحاول

الإمام من خلالها إظهار قوة شخصيته ، ومدى تحكمها فيما تقدمه للمصلين ، ومع علمه وثقافته الواسعة ، فهو لا يحتاج إلى أوراق يرجع إليها .

لقد أظهرت النتائج العلاقة الوطيدة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على ارتجال الإمام للخطابات التي يلقيها ، ومدى تأثيرها على المتلقي من جهة ، وتأثيرها على شخصية الخطيب ، وهذا لما تحمله هذه الخاصية من خلفيات اجتماعية ودينية على الخطيب والمتلقي على حد سواء . فقد أجاب 46 إمام بأنه يرتجل الخطاب ، ولا يعتمد على الأوراق بنسبة 48.40 % ، يمكن إضافة إليهم الأئمة الذين يرتجلون أحياناً ، أي 45 إماماً يدركون أهمية الارتجال ، لكنه يحاول تفضيل قراءة الورقة في بعض الخطابات ، مثل خطبتي الجمعة ، وذلك بنسبة 47.40 % . فيكفي أن نذكر أن الفئة ذات الأقدمية [20 – 30 [، وهي فئة التجربة الكبيرة ، تتكون من إمامين (02) برتبة إمام أستاذ رئيسي ، و (15) إمام برتبة إمام أستاذ ، وهما رتبتان مهمتان في سلك الأئمة ، حيث تؤثر التجربة على استحضار الإمام للمعطيات من كثرة تداولها .

فأهمية الارتجال لدى الإمام تظهر من خلال اهتمام الفئة ذات الأقدمية [00 – 10 [، حيث 15 إمام يرتجل الخطاب المقدم ، أي أكثر من 50 % من أئمة هذه الفئة . فرغم أن عهدها بالإمامة قريب نسبياً ، إلا أنها تدخل ضمن إظهار قوة التحكم والسيطرة على المنصب وبعض الخلفيات الاجتماعية والدينية ، كما يمكن إدراجه ضمن ظاهرة التقديس ودور العامل الروحي كعامل متعالي وأنطولوجي في حياة الأفراد والمجتمعات . حتى لما يجتمع المستوى التعليمي مع الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على ارتجال الإمام للخطابات التي يلقيها ، ومدى تأثيرها على المتلقي والخطيب على حد سواء . ففي رتبة إمام مدرس 71 إمام بنسبة 74.70 % يرتجلون الخطاب ، ورتبة إمام مدرس 16 إمام بنسبة 16.80 % يفعلون نفس الشيء ، وكل أئمة رتبة إمام أستاذ رئيسي ، أي 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

لقد أكد أغلبية الأئمة بأن الارتجال صفة مهمة في الخطيب ، لكن هناك أنواع من الخطابات تتطلب القراءة من الورق ، وهو تصريح (91) إمام من عينّة الدراسة ، لأن أحياناً تعني أن الإمام يرتجل بعض الخطابات ، الدروس والمواعظ ، لكنه يلتزم بقراءة خطبتي الجمعة من الورقة . وهذا ما ظهر في الإجابة عن نوع الخطاب المحبذ ارتجالاً ، فكانت الموعظة ثم الدرس الأكثر تداولاً ، حيث أجابت عيّنة الدارسة 79 إجابة للموعظة بنسبة 44.38 % وأجابت 62 إجابة حول الدرس بنسبة 38.20 % .

- **عامل الحياد :**

ونعني به حياد الإمام أمام ما يقدمه من معلومات ، وما يقوم به من نشاطات داخل وخارج المسجد ، بمعنى آخر ، هل يقدم الإمام ما يعتقد ويؤمن به ، أم يقدم ما يطلب منه ، دون النظر إلى توجهه المذهبي ، ثقافته الخاصة ، أو حتى إيديولوجيته التي تحرك ما يقوم به ؟ لذلك حاولنا طرح سؤال مباشر على عيّنة الدارسة :« هل تعتقدون أن الخطيب محايد في نقل المعلومات إلى الجماهير ؟ » . وهو سؤال مغلق حاولنا من خلاله حصر إجابات عيّنة الدراسة في ثلاث حالات (نعم ، لا ، أحياناً) . فكانت الإجابات غير متوقعة ، إذ كنا نعتقد أن الأئمة سيقولون بأن الإمام محايد ، يقوم بواجبه الوظيفي ، ملتزم بأداء الرسالة المطالب بتقديمها دون الخوض في قبوله وتوافقها مع ما يؤمن به ويعتقد كما فعل (32) إمام بنسبة 32.60 % .

لقد كانت الإجابة (لا) هي الممثلة للاتجاه العام ، أي 36 إماماً يرى نفسه غير محايد بنسبة 37.90 % ، ثم 28 إماماً يرى نفسه محايداً في بعض الأحيان وغير محايد في أحيان أخرى بنسبة 29.50 % ، حتى لما قمنا بربط هذا المتغير بمجموعة الخصائص التي وضعناها لعيّنة الدراسة ، إذ كان تأثير الأقدمية في منصب العمل ، أو الخبرة والتجربة في ميدان الإمامة ، فكانت فالفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [هي الممثلة للاتجاه العام بنسبة 41.10 % ، أي 39 إمام تنوعت إجاباتهم حول هذا السؤال ، إذ يرى أغلبيتهم بأن الإمام لا يستطيع أن يكون محايداً ، أو يكون في بعض الأحيان فقط وليس دائماً ، وذلك بمجموع 30 إمام ، 15 لكل منهما بنسبة 15.80 % . ثم الفئة [10 – 20 [، حيث نجد 29 إمام بنسبة 30.50 % ، أين تساوت الإجابة نعم ولا ، أي 11 إمام بنسبة 11.60 % ، ونفس الاتجاه أخذته الفئة [20 – 30 [، لكنه عرف نوع من التقارب في الإجابات ، حيث يرى 08 أئمة بأن الإمام لا يستطيع أن يكون محايداً بنسبة 8.40 % مقابل 06 أئمة يرون الحياد في أمور واستحالتها في أمور أخرى ، دون تحديد ذلك أثناء النقاش مع الكثير منهم حول هذه النقطة بنسبة 6.30 % من المجموع العام .

- **عامل التوجيهات والتعليمات :**

ونعني به الالتزام بما تقدمه الوصايا من توجيهات وتعليمات فيما يخص نوع الخطاب ، ونقصد به تطبيق الإمام لما يصله من طرف الوصاية ، سواء التوجيهات الدينية أو القوانين الخاصة المنظِمة للقطاع وكيفية تسييره ، مثل : التعليمات والمذكرات ، أو المراسيم التنفيذية والقرارات والأوامر ، بما أنهم موظفين تابعين للقطاع العمومي مع شيء من الخصوصية . فكانت إجابات عيّنة الدراسة في أغلبها (نعم) تلتزم بما يُقدم لها من توجيهات وتعليمات ، أي 53 إمام بنسبة 55.80 % ، ثم 37 (أحياناً) بنسبة 38.90 % ، مقابل 05 أئمة أجابوا (لا) بنسبة 5.30 % .

حتى لما ربطنا بين الأقدمية في منصب العمل وعلاقتها بمدى تأثير التوجيهات والتعليمات التي يقدمها المسؤولين على القطاع (من الوزارة بمديرياتها المختلفة مروراً بالمديرية الولائية بمصالحها وحتى المعتمد) ، وبالتالي معرفة مدى تأثير الخبرة والتجربة في منصب العمل في التعامل مع هذه التوجيهات ، وكذا تأثير هذه العلاقة (بين الخبرة والتوجيهات) في صياغة الخطاب المقدم للجمهور . فكل المعطيات تشير إلى رفض الأئمة بأن تكون هذه التوجيهات تعيق أداء رسالة الإمام . وحتى لما ناقشنا هذه القضية (توجيهات الوصاية المختلفة) ومحاولة توضيح معانيها ، وكيف قد يخشى الإمام عدم الالتزام بهذه التوجيهات بما أنه مجرد موظف في قطاع عمومي قد يعاقب ، أو يحول من المسجد المتواجد به ، فرفضت عينة الدراسة ، بل تراوحت إجاباتها بين (لا) و(نوعاً ما) ، 56 إمام أجاب (لا) ، بنسبة 58.90 % مقابل 39 إمام أجاب (نوعاً ما) بنسبة 41.10 % .

فالإجابة (نوعاً ما) تخفي في طياتها الكثير من المواقف ، حين يرى أصحاب الإجابة أن هذه التوجيهات ترتبط بشخصية الإمام ، فهي تعيق نوعاً ما حريته في تسيير شؤون المسجد بالطريقة التي يراها مناسبة . كما ينظر البعض أنها قضية مبدأ من حق الوصاية توجيه الأئمة ، لكن الإمام مسؤول ، ومسؤوليته دينية وإدارية ، فهي مسؤولية أمام الخالق قبل أن تكون أمام المخلوق مهما كانت رتبته أو مسؤوليته في هذا القطاع . كما أنها تدخل ضمن حاجات ودوافع متزامنة في اتجاهين أساسيين مترابطين : توجد أولا مرتبة الرغبة (L'instance du désir) مع كل القوى الملحقة ، الرغبة في الظهور ، الرغبة في حديث أبناء الحي أو المصلين عنه ، وعن الخطاب المقدم وطريقة تفاعله مع الكلمات ،

وحركاته ونبرة صوته ، وغيرها ... ومرتبط كذلك بإلحاح الإمام في الفهم (L'exigence de l'intelligibilité) ، وهو إلحاح كامن في أعماق الإنسان ، أي إنسان ، حتى ولو كان الإمام الحامل للواء الدين الإسلامي والساعي إلى إقناع الآخرين به .

- **عامل إعاقة التوجيهات :**

تجدر الإشارة أن عيّنة الدراسة لا ترى أبداً بأن هذه التوجيهات تعيق دور الإمام (الخطيب) في القيام بدوره التربوي ، الديني والاجتماعي ، فكانت إجابة (نعم) صفرية ، حيث ظهر في إجاباتهم فقط (لا) و(نوعاً ما) على التوالي ، 65 إمام أجاب (لا) بنسبة 58.90 % ، مقابل 39 إمام أجاب (نوعاً ما) بنسبة 41.10 % . ولمعرفة مدى إعاقة هذه التوجيهات ــ رغم أنهم لم يصرحوا بها مباشرة ــ حاولنا ربط هذا المتغير بمدى حياد الإمام في نقل المعلومات إلى الجمهور ، وذلك لمعرفة تأثير هذا الحياد على إعاقة التوجيهات ، فجاءت (لا) ممثلة للاتجاه العام ، فإجابات عدم الحياد تعني 22 إمام بنسبة 23.20 % ، وهي ترى الالتزام بالتوجيهات ، مقابل 14 أجابوا (أحياناً) بنسبة 14.70 % . أما الإجابة (نعم) حول الحياد ، فإن 19 إمام بنسبة 20 % يرون ضرورة تقيد الإمام والتزامه بتوجيهات الوصاية ، مقابل 12 إمام يرون أن الإجابة (أحياناً) هي المناسبة ، وذلك بنسبة 12.60 % .

في كثير من النقاشات التي قمنا بها مع الأئمة ، حيث حاولنا وضعهم في جو يسمح لهم بالإدلاء ببعض التصريحات التي تظهر الخلفية الحقيقية للإجابات المختارة ، والعوامل التي تؤثر على شخص الإمام ، بما أنه الآمر الناهي داخل أسوار المسجد وخارجه ، بين أبناء الحي ، لما يعطيه المنصب الذي يشغله من مكانة اجتماعية ، وتقدير يصل حد التقديس عند بعض فئات المجتمع . لقد لاحظنا أغلبية الأئمة يردون على أسئلتنا التي نحاول من خلالها إخراجهم عن واجب التحفظ في كثير من المرات بابتسامة ، فتذكرنا بذلك السياج الدوغمائي الذي يعبر عن مجمل العقائد الدينية والتصورات والمسلمات والموضوعات التي تتيح لنظام من العقائد أن يشتغل بمنأى عن كل تدخل نقدي سواء من الداخل أو الخارج ، فالمؤمنون المنغلقون داخل هذا السياج الدوغمائي يتبعون إستراتيجية معينة تدعى إستراتيجية الرفض ، أين تستخدم ترسانة كاملة من الإكراهات والمجريات الاستدلالية والشكلانية التي تتيح المحافظة على الإيمان أو تحيّشه وتعبئته إذا لزم الأمر ، وفي شكل آخر ، فهي تتبنى نوع من التعصب للرأي ، أو ما يسميه أركون بالأرثوذوكسية الإسلامية ، أي التعصب للرأي أو المذهب ، وهي ملازمة لذلك السياج الدوغمائي .

كما أن الالتزام بتوجيهات وتعليمات الوصاية ، وفي كثير من المرات ، وخاصة بالنسبة للأئمة أصحاب الخبرة والتجربة ، يدخل في ما يسميه أركون سيطرة اللا مفكر فيه ، أو المستحيل التفكير فيه ، لأن العقل الإسلامي بصورة عامة عقل تابع ، يعمل داخل إطار المعرفة الجاهزة ، ويستخرج كل المعرفة استناداً إلى العبارات النصية التي توضع أمامه ، فهو يأتي في الدرجة الثانية بعد النصوص ، حيث يعيش في مرحلة استهلاك واجترار وتقليد دون الخلق والإبداع .

- **عامل التقيد بالمذهب المالكي :**

يعتبر المذهب المالكي ، من أهم المذاهب الفقهية ، وتوارث الجزائريون ، كما هي صفة سكان شمال إفريقيا ودول المغرب العربي الرجوع إليه في تفسير ما يطرأ عليه ، وما يواجهوه من أمور دينهم ، وذلك لما له من صفات أعمها الاعتدال والوسطية ، وعلى مرّ العصور لا يزال هذا المذهب هو السائد في الجزائر ، يقدم كمادة أساسية في تكوين

الإطارات الدينية ، وهو عامل مهم في المجتمع الجزائري ، خاصة عند الأئمة ، وعند الوصاية ، إذ تؤكد على ذلك ، ليس التوجيهات أو التعليمات ، ولكن حتى النصوص القانونية . فيكفي أن نذكر أن 81 إمام من عينة الدراسة ترى بضرورة التقيد الكامل واللا مشروط بالمذهب المالكي بنسبة 85.30 % ،، مقابل 10 أئمة لا يرون ذلك بنسبة 10.50 % ، و04 أئمة يرون (أحيانا) بنسبة 4.20 % .

هذه النسبة المعتبرة ، والتي ترى التقيد بالمذهب المالكي جعلتنا نعقد الكثير من الترابطات ، حتى نرى تأثيرها على مختلف العوامل ، أو الخصائص التي تتميز بها عيّنة الدراسة . فمن خلال الصفات الواجب توفرها في الإمام نجد أن التقيد مثَّلّ الأغلبية ، 115 إجابة بنسبة 55.83 % ، وهنا تجدر الإشارة إلى دعوة الكثير من الأئمة إلى ضرورة التقيد الكلي بالمذهب المالكي كأحد عناصر مكونات الهوية الوطنية ، وذهب البعض منهم إلى دعوة الوزارة إلى فصل كل إمام لا يعمل بهذا المذهب ، حيث يقول أحد الأئمة :« المذهب المالكي هو أحد العناصر البارزة في تكوين عناصر الهوية ، لا أفهم كيف يسمح للذين لا يؤمنون بهذا المذهب بإمامة الناس ، هذا ليس تعصب ، لكنه تعريف بهويتي ، وهل في عناصر الهوية نقاش أو تغيير ؟ ».

إن الذين يرون الشخصية القوية ، كانت إجاباتهم بالتقيد ، 77 إجابة بنسبة 37.38 % من المجموع العام ، مقابل 10 إجابات بلا ، وذلك بنسبة 4.85 % وكذلك 04 إجابات (أحياناً) بنسبة 1.94 % . أما صفة العلم فإن 60 إجابة تعتقد بضرورة التقيد بنسبة 29.13 % من المجموع العام ، مقابل 08 إجابات بلا ، أي بنسبة 3.88 % . بينما يعتقد الأئمة الذين اختاروا صفة الثقافة الواسعة ، وحتى بعض الصفات الأخرى بضرورة التقيد بمذهب معين ، 38 إجابة بنسبة 18.45 % بالنسبة للأولى ، وبنسبة 4.37 % من المجموع العام ، أي 09 إجابات بالنسبة للثانية . أما بالنسبة للأقدمية في منصب العمل ، أو تأثير الخبرة والتجربة في منصب العمل في هذا الالتزام ، وكذا تأثير هذه العلاقة في صياغة الخطاب المقدم للمصلين والمصليات ، جاءت الأغلبية ترى بضرورة الالتزام بالمذهب المالكي ، 53 إمام بنسبة 55.80 % تليها (أحياناً) بنسبة 38.90 % ، أي 37 إمام .

تجدر الإشارة بأن معظم الذين أجابوا أحياناً كانوا يقصدون الحالات التي لا يمكن الفتوى وفق المذهب المالكي ، أو القيام بتصرفات يرفضها المذهب المالكي ، حيث يقول أحد الأئمة :« أنا مالكي المذهب ، لكن لتيسير الأمور على المواطن أحاول إيجاد أسهل السبل التي تساعد على الفهم والمرونة في التطبيق ، هذا من جهة ، وللانقياد لأوامر السلطان أو الوالي ، فإن عدم الالتزام بالمذهب في أمر من الأمور لا يضر ». فمعظم الذين أجابوا أحياناً أضافوا الكثير من التعليقات مثل : ضرورة التفتح على المذاهب الفقهية الأخرى ، ومسايرة العصر وغيرها ...

- **عامل التعامل مع المخالفين :**

يعتبر هذا العامل كذلك من العوامل التي تُظهر مدى تحكم الإمام في تسيير أمور المسجد ، وتسيير المقبلين عليه وهم يحملون خلفيات متعددة أفرزها الواقع الاجتماعي والتغيرات التي طرأت عليه ، قد ساهمت فيها الكثير من المعطيات المحلية والوطنية وحتى الدولية . ففي استبيان المقابلة حاولنا حصر هذا السؤال ، وذلك بجعله سؤالاً مغلقاً ، واجب على المبحوث اختيار أحد الإجابات المقترحة للإجابة على السؤال التالي :« كيف تتعاملون مع المصلين والمصليات الذين يختلفون معكم في المذهب ؟ ». فكانت الاقتراحات تتمثل في : التوجيه ، النصيحة أو الإهمال ، وعليه جاءت الإجابات

بأن 74 إمام يرى (التوجيه) بنسبة 77.90 % ، مقابل 19 إمام يرى النصيحة بنسبة 20 % وإمامين (02) يريان (الإهمال) بنسبة 2.10 % .

هذا التعامل المبني بالنسبة لعينة الدراسة على التوجيه وليس النصيحة ، على الخلفية : الدين حسن الخلق ، الدين النصيحة . جعلنا نفتح نقاشاً حول خلفية هذا الموقف ، وإعادة النظر في حياد الإمام فيما يقدمه إلى الجمهور ، لقد كانت (لا) هي الغالبة ، فإجاباتهم بعدم الحياد ، 28 إمام بنسبة 29.50 % ، ترى التوجيه ، مقابل 06 إجاباتهم النصيحة بنسبة 6.30 % وإجابتين (02) للإهمال بنسبة 2.10 % . أما فيما يخص الإجابة (نعم) حول الحياد ، فإن الذين يعتقدون التوجيه ، هم 26 إمام بنسبة 27.40 % ، مقابل 05 أئمة يرون النصيحة . ونفس الشيء لما حاولنا معرفة طريقة التعامل مع توجيهات وتعليمات الوصاية ، حيث سجلنا أن 39 إمام من الذين أجابوا (لا) حول التوجيهات يعتقدون (التوجيه) في التعامل بنسبة 41.10 % ، تليها (النصيحة) ، حيث 15 إمام بنسبة 15.80 % ، وأخيراً (الإهمال) ، إمامين (02) بنسبة 2.10 % . في حين يرى المجيبين (نوعاً ما) ، حول التوجيهات بأن التعامل مع المخالفين يكون بالتوجيه ، أي 35 إمام بنسبة 36.80 % يقابلها ضرورة (النصيحة) ، أي 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

ثالثاً : استنتاج الفرضية الأولى :

إن المعطيات الإحصائية وعملية تحليل هذه المعطيات ، أي القيام بإسقاطاتها أو تحليلها سوسيولوجياً يقودنا إلى العديد من النتائج التي نستخلص منها أو نستنتج صحة الافتراض الأول لهذه الدراسة من عدمه ، والذي اعتمد على أن الخطيب أو الإمام في المسجد يقوم بشكل من الأشكال بتقديم خطاب لا يستطيع الخروج فيه عن ثقافته الذاتية ومكتسباته الشخصية والعلمية ، ففي الكثير من الأحيان ما تسيطر قناعة الخطيب ومدى تأثره بما يحدث في المجتمع الخارجي ، فهو بذلك أسير هذه المعطيات ولا يستطيع أن يخفي هذه القناعات حتى لو عارضت الخطاب الرسمي .

ومن بين النقاط التي نستخلصها نذكر ما يلي :

- لقد انطلقنا من النظرة العامة التي ركز عليها الكثير من أعلام الخطاب الديني في محاولة منهم لوضع دراسة نقدية للخطاب المعاصر والعوامل المؤثرة فيه ، فاتفق الجميع دون استثناء عن الدور المفصلي الذي يقوم به المخَاطِب ، فهو العنصر الأساس والفعال ، لأنه الطرف الذي يتولى توجيه الخطاب ، ويقوم بقراءة النصوص وتفسيرها ، ويحاول إسقاطها على الواقع ، من خلال الأمثلة ، الاقتباسات المتعددة ، والنشاطات المنظمة ، حيث يُعتبر ما يُقدِّمه الإمام ، حتى ولو كان وفق توجيهات الوصاية ، قراءة لآرائه في نصوص الوحي ، حيث يعتقد أن قوله معتمد به . ففي كثير من الأحيان يكون التفسير والتأويل وفق شخصية ، وعلم وثقافة الخطيب الذاتية ، ومكتسباته المعرفية وحتى انتمائه الإيديولوجي ، وبالتالي يقوم بتصدير خطاب وفق فهمه الخاص ، فما يصل إلى ذهن المتلقِي يكون بعيداً عن قصد المشرِّع وعن دلالة النص .
- إننا نعتبر كذلك أن العلم والثقافة الواسعة ، من الصفات الشخصية التي يجب توفرها في الإمام ، فإذا كانت الشخصية القوية تعبير عن الحضور المادي للإمام في المسجد ، أثناء أداء مهامه ، فإن العلم والثقافة عوامل تبيّن كيفية

تعامل هذا الأخير مع ما يقدِّم ويواجه خارج المسجد مع المصلين ، مع الوصاية ومع النظرة للخطاب الديني بصفة عامة ومفهوم الدين والتدين .

- من بين السلوكات التي ترتبط بشخصية الإمام وقوة حضورها ، ويعطيها أعلام الخطاب الديني أهمية كبيرة في حياة الخطيب ؛ هي الارتجال ، حيث يعمد الإمام إلى التحضير الجيد لكل خطاباته تحضيراً جيداً ، فينظم أفكاره ويرتب فقرات خطابه . والارتجال ملكة تأتي مع الخبرة والتجربة ، يحاول الإمام من خلالها إظهار قوة شخصيته ، ومدى تحكمها فيما تقدمه للمصلين ، ومع علمه وثقافته الواسعة ، فهو لا يحتاج إلى أوراق يرجع إليها .
- يدعو الكثير من الأئمة إلى ضرورة التقيد الكلي بالمذهب المالكي كأحد عناصر مكونات الهوية الوطنية ، وذهب البعض منهم إلى دعوة الوزارة إلى فصل كل إمام لا يعمل بهذا المذهب ، فهو أحد العناصر البارزة في تكوين عناصر الهوية . فتقديم المذهب المالكي كونه أحد الأركان الأساسية للوسطية والاعتدال ، يضمن وحدة واستقرار وتماسك المجتمع والحفاظ على مرجعيته الدينية . فهذه الوحدة المذهبية تعتبر الضمن لقوة المجتمع ، وتبين مدى صلابته وتميزه ثقافياً سياسياً واجتماعياً .
- في المقابل ، أمام هذه المكانة الرصينة ، وهذه المنزلة التي تصل حتى التقديس عند بعض فئات المجتمع ، تصلها الكثير من التوجيهات والتعليمات من عند الجهة الموظفة ، التي عينته في هذا المسجد ، فيرتبط الالتزام بها والتقيد بمحتواها بشخصية الإمام ، فهي تعيق نوعاً ما من حريته في تسيير شؤون المسجد بالطريقة التي يراها مناسبة . فإذا كان من حق الوصاية توجيه الأئمة ، فهذا يعني أن الإمام ليس وحده في هذا الفضاء ، خاصة إذا ذكرنا الترسانة القانونية والإمكانيات البشرية التي تضعها الوصاية لمراقبة ومتابعة هذا الشخص (الإمام) من معتمدين ، مفتشين ومراقبين لنوعية الخطاب ، ومدى تطبيق هذه التوجيهات والتعليمات .

وعليه ،

صحيح أن الإمام هو المسؤول الأول والأخير عن المسجد ، مسؤول عن إدارته ، مسؤول عن تنظيم النشاطات فيه ، صياغة دروسه وخطبه ، صحيح أنه لا يستطيع أن يقدم خطاباً يمكن أن يخرج به عن ثقافته الذاتية ومكتسباته وصفاته الشخصية والعلمية ، لأنه لا يستطيع أن ينجح في مهامه ولا أن يسيطر على تسيير أمور المسجد إذا قدم شيء لا يقتنع به ، ويظهر ذلك من خلال مختلف العوامل التي تظهر هذه الشخصية وتحقق المكانة الاجتماعية ، لكنه في نفس الوقت ، لا يستطيع أن يخرج عن تعليمات وتوجيهات الجهة التي قامت بتوظيفه ، وسهرت على تكوينه وفق المنهاج الذي رأته الأنسب لتحقيق أهدافها . كما لا يمكنه أن يخرج عن الصورة الشاملة للدين الإسلامي الذي يتفق عليها أبناء المجتمع الذي يقود خطابهم ويتكفل بتسطير نشاطاته وصياغة كلماته .

الفصل الثاني عشر :

الطريقة الإدارية للتسيير .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الثاني .

ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الثانية .

ثالثاً : استنتاج الفرضية الثانية .

الفصل الثاني عشر : الطريقة الإدارية للتسيير .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الثاني :

التدخل / الأقدمية	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	--	--	18	% 18.90	11	% 11.60	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	05	% 5.30	12	% 12.60	22	% 23.20	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	--	--	17	% 17.90	04	% 4.20	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	02	% 2.10	04	% 4.20	--	--	**06**	**% 6.30**
المجموع	**07**	**% 7.40**	**51**	**% 53.70**	**37**	**% 38.90**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 20 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية وتدخلات الوصاية في العمل اليومي .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على إمكانية التدخل المباشر من الوصاية في العمل اليومي للخطيب ، أي مدى استجابة الإمام بفعل خبرته وتجربته لمحاولات التدخل ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (لا) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 51 إمام لا يرى بأن الوصاية تتدخل بأي شكل من الأشكال في عمله داخل المسجد بنسبة 53.70 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، أي 37 إمام بنسبة 38.90 % ، وأحياناً تعني أن الإمام يلاحظ تدخل الوصاية في بعض الأمور ولا تتدخل في أخرى ، ثم الإجابة (نعم) ، حيث يرى 07 أئمة من الفئتين [10 – 20 [و [30 – فما فوق ... بأن الوصاية تتدخل في عمل الإمام ونشاطه بمختلف الطرق ، وذلك بنسبة 7.40 % .

من جهة أخرى ، فالفئة [00 – 10 [هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، 18 إمام يرى بأن الوصاية لا تتدخل في عمله بنسبة 18.90 % ، وهي فئة التي اعتبرناها جديدة نسبياً . ثم الفئة [20 – 30 [، 18 إمام لا يرى أي تدخل للوصاية في عمله ، يشعر بالحرية والاستقلالية التامة بنسبة 17.90 % ، تليها الفئة [10 – 20 [، أي 12 إمام بنسبة 12.60 % وأخيراً [30 – فما فوق ... 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

من جهة أخرى ، نسجل أن عينة الدراسة ، تتجه الأغلبية فيها إلى عدم تسجيل أي تدخل من الوصاية في عملها ، فالإجابة (لا) هي الغالبة ، حيث 51 إمام بنسبة 53.70 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، حيث 37 إمام بنسبة 38.90 % ، وأخيراً الذين يرون في تدخل الوصاية مباشرة في عمل الإمام ، سواء عن طريق المسؤولين المحليين أو من خلال المكالمات أو المراسلات الرسمية ، 07 أئمة بنسبة 7.40 % .

تجدر الإشارة أن الإجابة (أحياناً) فسرها أصحابها على أساس أن المديرية تراسل الأئمة في مناسبات بعينها وتطلب منهم مثلاً : إدراج نقطة معينة في خطبة الجمعة أو تخصيص الدرس لموضوع بعينه ، أو القيام بنشاط تسميه الوصاية ، مثل صلاة الاستسقاء ، أو صلاة الغائب على ملك دولة عربية توفي مؤخراً ، حيث طلب منهم أداء صلاة الغائب في يوم محدد على المستوى الوطني .

التدخل / الصفات	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العلم	05	% 2.43	42	% 20.39	21	% 10.19	**68**	**% 33.01**
الشخصية	07	% 3.40	47	% 22.82	37	% 17.96	**91**	**% 44.17**
الثقافة	--	--	22	% 10.68	16	% 7.77	**38**	**% 18.45**
أخرى	--	--	07	% 3.40	02	% 0.97	**09**	**% 4.37**
المجموع	**12**	**% 5.83**	**118**	**% 57.28**	**76**	**% 36.89**	**206**	**% 100**

الجدول رقم 21 : يبيّن العلاقة بين صفات وسمات الإمام وتدخلات الوصاية .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الصفات الواجب توفرها في الإمام ، والتدخل المباشر من الوصاية في العمل اليومي ، أي عامل الصفات ، خاصة الشخصية القوية وتأثير ذلك على إمكانية تدخل الوصاية في العمل اليومي للخطيب ، أي مدى استجابة الإمام بفعل هذه الصفات التي رأتها عينة الدراسة ضرورية لتولي منصب الإمامة في المساجد الجزائرية ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (لا) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 118 إجابة في الصفات المختلفة أكدت بأن الوصاية لا تتدخل بأي شكل من الأشكال في عمل الإمام داخل المسجد بنسبة 57.28 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، أي 76 إجابة بنسبة 36.89 % ، وأحياناً ــ كما ذكرنا في أكثر من موقع ــ تعني أن الإمام يلاحظ تدخل الوصاية في بعض الأمور ولا يرى في أخرى ، ثم جاءت الإجابة (نعم) ، حيث ترجمتها 12 إجابة بنسبة 5.83 % .

من جهة أخرى ، فصفة الشخصية القوية هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فتوجد 47 إجابة لا ترى تدخل الوصاية بنسبة 22.82 % من المجموع العام ، تليها (أحياناً) ، حيث نجد 37 إجابة بنسبة 17.96 % ، ثم 07 إجابات ترى في تدخل الوصاية مباشرة في عملها بنسبة 3.40 % ، فهي ترفض هذا التدخل من جهة ، وتراه مطلوب من جهة أخرى بالنظر إلى التغيرات التي يعرفها المجتمع . أما صفة العلم فهي في المرتبة الثانية من حيث عدد الإجابات ، حيث تنوعت ما بين (لا) ، (أحياناً) و(نعم) ، فنجد الأغلبية ، أي 42 إجابة أجابت (لا) بنسبة 20.39 % من المجموع العام ، مقابل 21 إجابة (أحياناً) و(نعم) 05 إجابات بنسبة 20.49 % .

أما صفة الثقافة وصفات أخرى متنوعة ، فلم نجد إجابة (نعم) ، حيث اقتصرت على (لا) أو (أحياناً) ، فنجد في صفة الثقافة ، 22 (لا) بنسبة 10.68 % من المجموع العام ، مقابل 16 (أحياناً) بنسبة 7.77 % ، كذلك نجد صفات أخرى ، اختارت الإجابة (لا) ، 07 إجابات بنسبة 3.40 % من المجموع العام مقابل إجابتين (02) أحياناً بنسبة 0.97 % .

التدخل / رتبة الإمام	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	--	--	02	% 2.10	06	% 6.30	**08**	**% 8.40**
إمام أستاذ	05	% 5.30	37	% 38.90	29	% 30.50	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	02	% 2.10	12	% 12.60	02	% 2.10	**16**	**% 16.80**
المجموع	**07**	**% 7.40**	**51**	**% 53.70**	**37**	**% 38.90**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 22 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام وتدخلات الوصاية في العمل اليومي .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام في عينة الدراسة ، والتدخل المباشر من الوصاية في العمل اليومي ، أي عامل الرتبة ، خاصة الرتب المهمة ، مثل إمام أستاذ رئيسي وإمام أستاذ وتأثير ذلك على إمكانية تدخل الوصاية في العمل اليومي للخطيب ، أي مدى استجابة الإمام بفعل الرتبة ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (لا) هي الغالبة دائماً ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 51 إمام أكَّد بأن الوصاية لا تتدخل بأي شكل من الأشكال في عمله داخل المسجد بنسبة 53.70 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، أي 37 إمام يرى تدخل الوصاية بأشكال مختلفة ، وفي مناسبات بعينها ، حيث يجد الإمام نفسه أمام الأمر الواقع ، فهو مطالب بتطبيق التعليمات أو التوجيهات الفوقية ، وذلك بنسبة 38.90 % ، فيما يصر 07 أئمة على التدخل المباشر بنسبة 7.40 % .

من جهة أخرى ، فرتبة إمام أستاذ الغالبة ، وهي صفة من صفات عينة الدراسة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فيرى 37 إمام أستاذ بعدم وجود تدخل بنسبة 38.90 % ، تليها الإجابة (أحياناً) توجد تدخلات ولو بشكل غير مباشر ، أي 29 إمام بنسبة 30.50 % ، وأخيراً إمامين (02) أكدوا بوجود تدخل مباشر في عملهم ، سواء من طرف الوزارة عن طريق التعليمات ، أو عن طريق المديرية الولائية بمصالحها عن طريق التوجيهات في اللقاءات والندوات والأيام الدراسية ، أو من خلال المعتمد المسؤول عن مختلف الأئمة في منطقة بعينها ، وذلك بنسبة 2.10 % من المجموع العام .

أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فلم نسجل عند الأئمة الثمانية (08) إجابة (نعم) ، بل اقتصرت إجابتهم على (لا) ، أي إمامين (02) بنسبة 2.10 % ، ثم (أحياناً) ، 06 أئمة بنسبة 6.30 % من المجموع العام أو الكلي . وهنا تجدر الإشارة إلى أن إجابة إمام أستاذ رئيسي (أحياناً) ، توحي بتدخل الوصاية في أمور الخطاب ، حتى وإن أكَّد ممثليها بأن الإمام مستقل ، فمحاورة أئمة هذه الرتبة ، والرتبة الغالبة ، بيّنت بعض الطرق التي تستعملها الوصاية من أجل السيطرة على تسيير المسجد ، رغم أن الكثير منهم يتقبل هذا التدخل ، بل ويجعله من صميم صلاحيات الوصاية الشرعية والقانونية ، ويعدد الأئمة الكثير من الأسباب التي تدعوا إلى ذلك ، ومنهم من يذكر بالمراحل الصعبة التي عاشها المجتمع الجزائري .

التلقي / الأقدمية	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	02	% 2.10	16	% 16.80	11	% 11.60	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	16	% 16.80	09	% 9.50	14	% 14.70	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	09	% 9.50	02	% 2.10	10	% 10.50	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	02	% 2.10	--	--	04	% 4.20	**06**	**% 6.30**
المجموع	**29**	**% 30.50**	**27**	**% 28.40**	**39**	**% 41.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 23 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية وتلقي توجيهات من الوصاية .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على إمكانية تلقي الإمام لتوجيهات من الوصاية في نوع الخطاب المقدم ، أي مدى تأثير هذه التوجيهات (إن وجدت) على استجابة الإمام بفعل خبرته وتجربته ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نوعاً ما) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 39 إمام (نوعاً ما) يتلقى توجيهات في نوع الخطاب المقدم للمصلين والمصليات بنسبة 41.10 % ، تليها الإجابة (نعم) ، أي 29 إمام بنسبة 30.50 % ، بينما يصرح 27 إمام بأنه لا يتلقى توجيهات فيما يخص الخطاب الذي يقدمه بنسبة 28.40 % .

أما توزيع الإجابات حسب فئات الأقدمية ، فالفئة [10 – 20 [هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، 16 إمام يرى بأن الوصاية توجه الخطاب المقدم بطريقة أو بأخرى بنسبة 16.80 % ، وكذلك الفئة [00 – 10 [، حيث 16 إمام لا يرى أي توجيه للخطاب ، بل هامش الحرية كبير في اختيار الموضوع وطريقة إيصاله إلى الجمهور بنسبة 16.80 % من المجموع العام ، وهي الفئة التي قلنا بأنها جديدة نسبياً في منصب العمل .

إن الاختيار الذي تمَّ من الفئتين [20 – 30 [و [30 – فما فوق ... ، وهما الفئتان اللتان تمثلان التجربة والخبرة الكبيرتين ، فمن 27 إمام ، وجدنا فقط إمامين (02) من صرحا بعدم وجود توجيهات ، أي الإجابة (لا) ، وهو ما نسبته 2.10 % ، بينما نجد 14 إمام يجيب (نوعاً ما) ، أي هناك توجيهات بصيغ مختلفة بنسبة 14.73 % ، وسجلنا 11 إمام يصرح مباشرة بوجود توجيهات ، تكاد تكون مباشرة بنسبة 11.57 % من المجموع الكلي ، وهي نسب معتبرة .

عند مناقشتنا للإجابة (نوعاً ما) ماذا تعني للذين أجابوا بها ، فقد أكد غالبية المبحوثين أن هذه التوجيهات لا يمكن اعتبارها تدخلاً في صلاحيات الإمام ، ولكن منبعها اهتمام أولياء الأمور (المسؤولين) عن توحيد الصفوف وجعل الخطاب واحد يعبر عن وحدة الشعب والأمة . يقول أحد الأئمة من ولاية وهران :« لا يمكن اعتبار هذه التوجيهات تدخلاً في صلاحيات الإمام ، أو اعتبارها إنقاصاً له ، لكنها ضرورة شرعية تقتضيها أحوال الأمة ، ويقتضيها العصر وتقلباته ، فأولياء الأمور مسؤولون عن كل المساجد ، وأنا مسؤول عن مسجدي هذا ، ونحن في الجزائر ، فكيف نكون وحدة إذا لم ننهل من نفس المنبع ونأخذ من نفس المصدر ؟ وهذه ليست مسؤوليتي ، إنها مسؤولية الوصاية ».

التلقي / الصفات	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العلم	27	% 13.11	15	% 7.28	26	% 12.62	**68**	**% 33.01**
الشخصية	27	% 13.11	25	% 12.14	39	% 18.93	**91**	**% 44.17**
الثقافة	11	% 5.34	12	% 5.83	15	% 7.28	**38**	**% 18.45**
أخرى	--	--	07	% 3.40	02	% 0.97	**09**	**% 4.37**
المجموع	**65**	**% 31.55**	**59**	**% 28.64**	**82**	**% 39.81**	**206**	**% 100**

الجدول رقم 24 : يبيّن العلاقة بين صفات وسمات الإمام وتلقيه لتوجيهات من الوصاية .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الصفات الواجب توفرها في الإمام ، وتلقي هذا الأخير لتوجيهات من طرف الوصاية في نوع الخطاب المقدم ، أي عامل الصفات ، خاصة الشخصية القوية وتأثير ذلك على إمكانية توجيه الوصاية للخطاب المقدم ، أي مدى استجابة الإمام بفعل هذه الصفات التي رأتها عينة الدراسة ضرورية لتولي منصب الإمامة ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نوعاً ما) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 82 إجابة في الصفات المختلفة أكدت بأن الوصاية نوعاً ما توجه الخطاب بأي شكل من الأشكال بنسبة 39.81 % ، تليها الإجابة (نعم) ، أي 65 إجابة بنسبة 31.55 % ، ثم الإجابة (لا) ، ترجمتها 59 إجابة بنسبة 28.64 % .

نفس الشيء سوف يتكرر في كل الترابطات التي نقوم بها بين المتغيرات ، والتي نربط فيها بين الصفات الواجب توفرها في الإمام ، حيث تكون المجاميع الخاصة بصفة (الشخصية) هي الغالبة ، 91 إجابة بنسبة 44.17 % ، تليها صفة (العلم) ، 68 إجابة بنسبة 33.01 % ، ثم صفة (الثقافة) ، أي 38 إجابة بنسبة 18.45 % ، وأخيراً صفات أخرى متعددة ، أي 09 إجابات بنسبة 4.37 % .

من جهة أخرى ، فصفة الشخصية القوية هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فتوجد 39 إجابة ترى تدخل الوصاية (نوعاً ما) بنسبة 18.93 % ، تليها (نعم) ، 27 إجابة بنسبة 13.11 % ، ثم 25 إجابة ترى أنها لم تشعر بتوجيه الوصاية للخطاب المقدم ، وبالتالي الإجابة (لا) بنسبة 12.14 % . كما نجد صفة (العلم) في المرتبة الثانية ، حيث (نوعاً ما) هي الأولى ، 26 إجابة بنسبة 12.62 % من المجموع العام ، مقابل 27 إجابة (نعم) بنسبة 13.11 % وأخيراً (لا) 15 إجابة بنسبة 7.28 % .

أما صفة (الثقافة) فقد تنوعت الإجابات في الخانات الثلاث ، حيث نجد (نوعاً ما) 15 بنسبة 7.28 % ، تليها (نعم) 11 إجابة بنسبة 5.34 % و(لا) 12 إجابة بنسبة 5.83 % ، بينما اقتصرت إجابات (صفات أخرى) على (لا) ، 07 إجابات بنسبة 3.40 % و(نوعاً ما) إجابتين (02) بنسبة 0.97 % ، حيث ترفض هذه الفئة وجود توجيه مباشر للخطاب المقدم ، وإنما يتم بأسلوب لبق ومسؤول من أجل إدراج نقطة أو نقطتين في مناسبات بعينها ، ترى الوصاية أهميتها لإبلاغها إلى أفراد المجتمع .

التلقي / رتبة الإمام	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	--	--	02	% 2.10	06	% 6.30	**08**	**% 08.40**
إمام أستاذ	23	% 24.20	21	% 22.10	27	% 28.40	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	06	% 6.30	04	% 4.20	06	% 6.30	**16**	**% 16.80**
المجموع	**29**	**% 30.50**	**27**	**% 28.40**	**39**	**% 41.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 25 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام وتلقيه لتوجيهات من الوصاية .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام في عينة الدراسة ، وتلقي توجيهات من الوصاية حول الخطاب المقدم لأفراد المجتمع ، أي عامل الرتبة ، خاصة الرتب المهمة ، مثل إمام أستاذ رئيسي وإمام أستاذ وتأثير ذلك على إمكانية توجيه الوصاية للخطاب المقدم للجمهور ، أي مدى استجابة الإمام بفعل الرتبة ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نوعاً ما) هي الغالبة دائماً ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 39 إمام يرى بأن الوصاية لا توجه الخطاب المقدم بأي شكل من الأشكال بنسبة 41.10 % ، تليها الإجابة (نعم) ، أي 29 إمام يرى توجيه الخطاب بطرق مختلفة ، وهو مجبر على تطبيق هذه التوجيهات ، حيث يجد الإمام نفسه أمام الأمر الواقع ، فهو مطالب بتطبيق التعليمات أو التوجيهات الفوقية ، وذلك بنسبة 30.50 % ، فيما يصر 27 إمام على عدم تدخل الوصاية أو توجيهها للخطاب الذي يحضره بنفسه ويختار موضوعه حسب مقتضيات الساعة والعصر ، وهمّه ما يرى حاجة المجتمع إليه ، وذلك بنسبة 28.40 % .

من جهة أخرى ، فرتبة إمام أستاذ الغالبة ، وهي صفة من صفات عينة الدراسة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فيرى 27 إمام أستاذ بأنه (نوعاً ما) يتلقى توجيهات وتعليمات بنسبة 28.40 % ، تليها (نعم) توجد توجيهات بشكل مباشر وصريح ، أي 23 إمام أستاذ بنسبة 24.20 % ، وأخيراً 21 إمام لا يرى أي تدخل أو توجيه أو تعليمات أو ما شابه ذلك بنسبة 22.10 % من المجموع العام .

أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فلم نسجل عند الأئمة الثمانية (08) إجابة (نعم) ، بل اقتصرت إجابتهم على (نوعاً ما) ، أي 06 أئمة بنسبة 6.30 % من المجموع العام أو الكلي ، ثم (لا) ، فإمامين (02) بنسبة 2.10 % . وهنا تجدر الإشارة أن إجابة إمام أستاذ رئيسي (نوعاً ما) ، توحي بتدخل الوصاية في أمور الخطاب ، حتى وإن أكَّد ممثليها بأن الإمام مستقل ، فمحاورة أئمة هذه الرتبة ، والرتبة الغالبة ، بيّنت بعض الطرق التي تستعملها الوصاية من أجل السيطرة على تسيير المسجد وتوجيه خطابه كما تشاء ، رغم أن الكثير منهم يتقبل هذا التدخل ، بل ويجعله من صميم صلاحياتها ، ويعدد الأئمة الكثير من الأسباب التي تدعوا إلى ذلك ، ومنهم من يذكر بالواقع الصعب الذي تعيشه الأمة ، والتطورات المتناقضة التي يعرفها العالم ، والتي لا يمكن للإمام بمفرده السيطرة عليها والتعامل معها بالصيغة أو الطريقة المثلى ، وهو ما يستدعي تدخل المتخصصين وأهل العلم والمشورة ، وهؤلاء لا يستطيع الإمام الوصول إليهم ، فهي من صلاحيات الوصاية .

التكوين / الوحدة المذهبية	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	04	% 4.20	53	% 55.80	32	% 33.70	**89**	**% 93.70**
لا	--	--	06	% 6.30	--	--	**06**	**% 6.30**
نوعاً ما	--	--	--	--	--	--	--	--
المجموع	**04**	**% 4.20**	**59**	**% 62.10**	**32**	**% 33.70**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 26 : يبيّن العلاقة بين اعتقاد الوصاية بالوحدة المذهبية وتكوين المقدم للإمام .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الوحدة المذهبية ، والتكوين المقدم للخطيب من طرف معاهد التكوين التابعة للوصاية ، أي تأثير التكوين المقدم للإمام حتى يتحصل على هذه الوظيفة ، والهدف الذي تسعى إلى تحقيقه الوصاية من خلال الرجوع إلى المذهب المالكي من أجل توحيد المواطنين ، أي مدى استجابة الإمام لهذا التكوين المقدم ، وما هي فائدته ؟ وهل بهذا النوع من التكوين يستطيع الإمام توحيد صفوف المواطنين .

تظهر من المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 89 إمام يرى بأن الوصاية صائبة في الاعتماد على المذهب المالكي وحده دون غيره من المذاهب لتوحيد المجتمع ، وذلك بنسبة كبيرة 93.70 % ، تليها الإجابة (لا) ، أي 06 أئمة فقط ينظرون إلى أن الوحدة المذهبية لا تحقق وحدة المجتمع ، وذلك بنسبة 6.30 % ، بينما خلت إجابة عيّنة الدراسة من الإجابة الثالثة (نوعاً ما) ، فلم تظهر أي إجابة .

من جهة أخرى ، فأغلبية عيّنة الدراسة يرون أن التكوين المقدم للظفر برتبة إمام لا يكفي ، حيث يرى 59 إمام من عينة الدراسة بأن التكوين المقدم ، أو التكوين المكمل لا يواكبان التطور الحاصل في المجتمع ، وذلك بنسبة كبيرة 62.10 % ، فيما يرى 32 إمام بأنه (نوعاً ما) يكفي بنسبة 33.70 % ، ليبقى 04 أئمة يرون بأن التكوين المقدم كافي ووافي بنسبة 4.20 % ، إذ يرون بأن السبب ليس في المادة المقدمة ، أو من يقدم هذا التكوين ويسهر على التأطير ، وإنما المشكل مركب وصعب .

أما تركيب هذا الجدول ، فإن الأئمة الذي يرون بضرورة الوحدة المذهبية وعدم كفاية التكوين المقدم فهم 53 إمام بنسبة 55.80 % ، وهي النسبة الغالبة ، وهي الفئة الوحيدة التي يوجد بها تنوع في الإجابات ، حيث نجد فيها أن الذين يرون ضرورة الوحدة المذهبية ، فيها كذلك من يرون بأن التكوين المقدم يكفي (نوعاً ما) ، أي 32 إمام بنسبة 33.70 % ، ليبقى 04 أئمة يرون بضرورة الوحدة المذهبية وكفاية التكوين المقدم بنسبة 4.20 % . فهؤلاء ، أي 04 أئمة يرجعون ضرورة الوحدة المذهبية إلى ما تقدمه الوصاية من مادة تكوينية تركز أساساً على هذه النقطة ، حيث يقول أحدهم :« كل مراحل التكوين يركز الأساتذة على المذهب المالكي كمرجعية دينية ضرورية لتوحيد صفوف الأمة ، وجل المادة المقدمة مستنبطة من المذهب المالكي ، فإذا كان بهذه المادة وهذا التوجيه يتحدث البعض بأن التكوين لا يكفي لتوحيد المذهب ، فأي تكوين يقصدون ، وأي مذهب يوحدون ؟ » .

المشاركة / الوحدة المذهبية	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	43	% 45.30	23	% 24.20	23	% 24.20	**89**	**% 93.70**
لا	--	--	06	% 6.30	--	--	**06**	**% 6.30**
نوعاً ما	--	--	--	--	--	--	--	--
المجموع	**43**	**% 45.30**	**29**	**% 30.50**	**23**	**% 24.20**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 27 : يبيّن العلاقة بين الاعتقاد بالوحدة المذهبية والمشاركة في الدورات التكوينية .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الوحدة المذهبية ، والمشاركة بانتظام في الدورات التكوينية وعملية الرسكلة التي تقوم بها الوصاية ، أي تأثير المادة المقدمة في الدورات التكوينية على ترسيخ الوحدة المذهبية التي تعتقدها الوصاية ، وذلك من خلال الرجوع إلى المذهب المالكي من أجل توحيد المواطنين ، أي مدى استجابة الإمام للتكوين المقدم في الدورات التكوينية ، ومدى الفائدة التي يجنيها الإمام ، فهل بهذا النوع من التكوين والرسلكة يستطيع الإمام الحفاظ على الوحدة المذهبية ، ويستطيع توحيد صفوف المواطنين ؟ .

تظهر من المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 43 إمام يرى بأن الوصاية صائبة في الاعتماد على المذهب المالكي وحده دون غيره من المذاهب لتوحيد المجتمع ، والحفاظ على وحدة الأمة بنسبة كبيرة 93.70 % ، تليها الإجابة (لا) ، أي 06 أئمة فقط ينظرون إلى أن الوحدة المذهبية لا تحقق وحدة المجتمع بنسبة 6.30 % ، بينما خلت إجابة عيّنة الدراسة من الإجابة الثالثة (نوعاً ما) ، فلم تظهر أي إجابة .

من جهة أخرى ، نجد المشاركة بانتظام في الدورات التكوينية والرسكلة التي تقوم بها الوزارة ، حيث يشارك فيها 43 إمام من عينة الدراسة ، أي (نعم) بنسبة 45.30 % ، تليها الذين لا يهتمون بهذه الدورات التكوينية ، أي الإجابة (لا) ، 23 لإمام بنسبة 30.50 % . بينما 23 إمام أجابوا (أحياناً) بنسبة 24.20 % ، وهو دليل على عدم المشاركة بانتظام ، لكنهم يشاركون حسب نوعية الدورة والداعين إليها .

أما تركيب هذا الجدول ، فإن الأئمة الذي يرون بضرورة الوحدة المذهبية والمشاركة بانتظام في الدورات التكوينية وعملية الرسكلة هُم 43 إمام بنسبة 45.30 % ، وهي النسبة الغالبة ، وهي الفئة الوحيدة التي يوجد بها تنوع في الإجابات ، حيث نجد فيها أن الذين يرون ضرورة الوحدة المذهبية ، فيها كذلك من يرون بأن المشاركة في الدورات التكوينية لا تضيف له الشيء الجديد ، لذا فهو لا يشارك ، وفيها الذين يشاركون (أحياناً) ، وليس بانتظام ، وهما بنفس العدد ، أي 23 إمام بنسبة 24.20 % .

الملاحظة المسجلة ، هو اختلاف رؤى الأئمة حول أهمية الدورات التكوينية وعملية الرسكلة التي تقوم بها الوصاية ، حيث يعتقد المجيبين (نعم) بأنها تضعهم أمام المستجدات الجديدة وكيفية التعامل معها من طرف أخصائيين وأصحاب الباع الطويل في هذا المجال ، أما المجيبين (لا) فيعتقدون أنها دورات نظرية أهدافها إعلامية ، ولا تفيد المشاركة فيها على الإطلاق .

الشروط / التكوين	الثقافة الدينية	العلم والتكوين	مراعاة الواقع	أخرى	المجموع
	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة
نعم	04 % 2.19	02 % 1.09	-- --	-- --	**06** **% 3.28**
لا	46 % 25.14	33 % 18.03	38 % 20.77	07 % 3.83	**124** **% 67.76**
نوعاً ما	21 % 11.48	13 % 7.10	13 % 7.10	06 % 3.28	**53** **% 28.96**
المجموع	**71** **% 38.80**	**48** **% 26.23**	**51** **% 27.87**	**13** **% 7.10**	**183**(*) **% 100**

الجدول رقم 28 : يبيّن العلاقة بين التكوين المقدم للإمام والشروط الواجب توفرها .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين التكوين المقدم للإمام والشروط الواجب توفرها فيه لتسيير المسجد وأداء رسالته على أكمل وجه ، أي تأثير المادة المقدمة في مرحلة التكوين على الشروط التي اختارتها عينة الدراسة في الإجابة على السؤال :« ما هي الشروط التي ترونها ضرورية ، والواجب توفرها في الخطيب حتى يقوم برسالته على أكمل وجه ؟ » . وهذا يعني مدى استجابة الإمام للتكوين المقدم مع الصفات التي تمثلت أساساً في « الثقافة الدينية ، العلم والتكوين ، مراعاة الواقع وشروط أخرى متنوعة ».

تظهر من المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (لا) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 124 إجابة بنسبة 67.76 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 53 إجابة بنسبة 28.96 % ، وأخيراً (نعم) ، 06 إجابات فقط بنسبة 3.28 % . من جهة أخرى ، نجد أن شرط (الثقافة الدينية) هي الغالبة ، أي 71 إجابة بنسبة 38.80 % ، يليها شرط (مراعاة الواقع) ، 51 إجابة بنسبة 27.87 % ، ثم شرط (العلم والتكوين) ، أي 48 إجابة بنسبة 26.23 % ، وأخيراً شروط أخرى متنوعة تفرقت في تحديدها عينة الدراسة ، أي 13 إجابة بنسبة 7.10 % .

فالجدول يبين أن الأئمة الذي يرون بعدم كفاية التكوين مع شرط (الثقافة الدينية) يمثلون الاتجاه العام ، 46 إجابة بنسبة 25.14 % ، يليها شرط (مراعاة الواقع) ، أي 38 إجابة بنسبة 20.77 % ، ثم (العلم والتكوين) ، أي 33 إجابة بنسبة 18.03 % ، وأخيراً شروط أخرى ، 06 إجابات بنسبة 3.28 % . وبنفس الكيفية جاءت (نوعاً ما) حيث (الثقافة الدينية) لدينا 21 إجابة بنسبة 11.48 % ، ثم تساوت (العلم والتكوين) مع (مراعاة الواقع) ، أي 13 إجابة بنسبة 7.10 % ، وأخيراً شروط أخرى ، 06 إجابات بنسبة 3.28 % . غير أن الإجابة (نعم) اقتصر على الأئمة الذين اختاروا شرط (الثقافة الدينية) ، 04 إجابات بنسبة 2.19 % ، مقابل (العلم والتكوين) ، حيث نجد إجابتين (02) بنسبة 1.09 % من المجموع الكلي (183 إجابة) .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وهي نفس الملاحظة التي سوف نذكرها كلما تم تغير عدد إجابات عيّنة الدراسة ، وذلك من خلال تبويب الإجابة على الأسئلة المفتوحة ، أو الإجابات التي تسجيلها عن طريق المسجلة .

التسيير / رتبة الإمام	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	--	--	06	% 6.30	02	% 2.10	**08**	**% 8.40**
إمام أستاذ	11	% 11.60	18	% 18.90	42	% 44.20	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	04	% 4.20	06	% 6.30	06	% 6.30	**16**	**% 16.80**
المجموع	**15**	**% 15.80**	**30**	**% 31.60**	**50**	**% 52.60**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 29 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام وتسييره لشؤون المسجد .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام في عينة الدراسة ، ومدى إعاقة تكليف الإمامة بتسيير الأمور اليومية للمسجد (إدارة المسجد ما عدا الخطابة) عن القيام بدوره التربوي ، الديني والاجتماعي ، أي تأثير عامل الرتبة ، خاصة الرتب المهمة ، مثل إمام أستاذ رئيسي وإمام أستاذ على تسيير أمور المسجد اليومية أو الإدارية ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نوعاً ما) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 50 إمام يرى بأن تسيير أمور المسجد الإدارية يعيقه عن أداء رسالته بنسبة 52.60 % ، تليها الإجابة (لا) ، أي 30 إمام يرى بأن التسيير الإداري للمسجد شيء عادي ولا يؤثر ، وذلك بنسبة 31.60 % ، فيما يصر 15 إمام على أن إدارة المسجد ، أو تسييره الإداري يعيقه في التفرغ للأداء الجيد للإمامة وتحضير الخطاب الملائم ، وذلك بنسبة 15.80 % .

من جهة أخرى ، فرتبة إمام أستاذ الغالبة ، وهي صفة من صفات عينة الدراسة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فيرى 42 إمام أستاذ بوجود (نوعاً ما) إعاقة أو عرقلة بنسبة 44.20 % ، تليها (لا) توجد أي عراقيل أو إعاقة ، أي 18 إمام أستاذ بنسبة 18.90 % ، وأخيراً 11 إمام أستاذ يرى بوجود إعاقة وتداخل في مهام الإمام بين التفرغ للرسالة الدينية والتسيير الإداري الروتيني لأمور المسجد ، وذلك بنسبة 11.60 % من المجموع العام أو الكلي لعينة الدراسة . ثم رتبة إمام مدرس ، وهي الثانية في الترتيب من حيث الحجم ، وأئمة هذه الرتبة تنوعت إجاباتهم حول هذا السؤال ، فنجد (نوعاً ما) و(لا) متساويتان ، وأجاب بها 06 أئمة بنسبة 6.30 % مقابل 04 أئمة أجابوا (نعم) ، فتكليفهم بتسيير شؤون المسجد يعيق المهمة السامية للإمام . أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فلم نسجل عند الأئمة الثمانية (08) إجابة (نعم) ، بل اقتصرت إجابتهم على (لا) ، أي 06 أئمة بنسبة 6.30 % من المجموع العام ، ثم (نوعاً ما) ، فإمامين (02) بنسبة 2.10 % .

وهنا تجدر الإشارة أن إجابة إمام أستاذ رئيسي (نوعاً ما) ، توحي بوجود نوع من الإعاقة في التوفيق بين الجانب التربوي ، الديني والاجتماعي ، وبين التسيير الإداري للمسجد . إذ يرى الكثير من المبحوثين عند مناقشتهم لهذه النقطة ، وهي عرقلة التسيير الإداري لشؤون المسجد للإمام في أداء رسالته السامية ، فقد أجمعوا أن متطلبات المسجد والسهر على وضع الظروف الملائمة للمصلين أمر مهم ، لكن البحث عن الوسائل المادية وعن المحسنين للتكفل بما ينقص المسجد أمر مؤرق ومتعب ، وله خلفيات غير إيجابية بالنسبة لشخصية الإمام ، خاصة في مجتمعنا عندما يقترن العمل الديني بتسيير المال .

المراقبة / رتبة الإمام	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	02	% 2.10	02	% 2.10	04	% 4.20	**08**	**% 8.40**
إمام أستاذ	14	% 14.70	29	% 30.50	28	% 29.50	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	08	% 8.40	06	% 6.30	02	% 2.10	**16**	**% 16.80**
المجموع	**24**	**% 25.30**	**37**	**% 38.90**	**34**	**% 35.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 30 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام مراقبة الوصاية له .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام في عينة الدراسة ، وشعوره بمراقبة الوصاية لأدائه داخل المسجد ، أي تأثير عامل الرتبة ، خاصة الرتب المهمة ، مثل إمام أستاذ رئيسي وإمام أستاذ على المراقبة التي تقوم بها الوصاية وعمليات التفتيش (Inspections) لإطارات الوصاية بدون علم الإمام ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابات متقاربة جداً ، فجاءت الإجابة (لا) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 37 إمام لا يشعر بمراقبة الوصاية له بنسبة 38.90 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 34 إمام يشعر (نوعاً ما) بأن الوصاية تراقب الخطاب المقدم للجمهور ، خاصة عندما تطلب بإدخال نقطة أو الحديث عن موضوع ما في خطبة الجمعة ، وذلك بنسبة 35.80 % ، فيما يصر 24 إمام على أن الوصاية تراقب عمله بشكل دائم ومستمر على الأقل عن طريق السيد المعتمد الذي يمثل الوصاية في المنطقة الموجود فيها المسجد ، أو عن طريق المفتشين الذي يتنقلون باستمرار لمتابعة السير العادي للمساجد ، وذلك بنسبة 25.30 % .

من جهة أخرى ، فرتبة إمام أستاذ الغالبة ، وهي صفة من صفات عينة الدراسة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فيرى 29 إمام أستاذ بعدم وجود رقابة على نشاط الإمام بنسبة 30.50 % تليها (نوعاً ما) توجد رقابة ، أي 28 إمام أستاذ بنسبة 29.50 % ، وأخيراً 14 إمام أستاذ يرى صراحة بوجود مراقبة لهم من طرف الوصاية وممثليها ، وذلك بنسبة 14.70 % من المجموع العام أو الكلي لعينة الدراسة . ثم رتبة إمام مدرس ، وهي الثانية في الترتيب من حيث الحجم ، فأئمة هذه الرتبة تنوعت إجاباتهم حول هذا السؤال ، حيث أجاب (نعم) 08 أئمة بنسبة 6.30 % مقابل 06 أئمة أجابوا (لا) بنسبة 6.30 % و(نوعاً ما) إمامين (02) بنسبة 2.10 % .

أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فاتخذت نفس اتجاه الرتب الأولى من حيث الإجابة على هذا السؤال ، حيث نسجل أن 04 أئمة أجابوا (نوعاً ما) بنسبة 4.20 % ، ثم تساوت الإجابتين (نعم) و(لا) بنفس عدد الإجابات ، أي إمامين (02) بنسبة 2.10 % .

نشير هنا أن إجابات الأئمة ، حتى الذين لا يرون بأن الوصاية تراقبهم ، يجعلون من أمر المراقبة أمر ضروري وأكيد ، لأن أهمية المسجد لا يمكن أن يغفل عنها أولياء الأمور (الوصاية) ، « فكيف نترك مكان بهذه القدسية ، وهذا الدور المفصلي في حياة المجتمع دون مراقبة مستمرة ومعمقة ؟ » يقول أحد الأئمة .

التسيير / الأقدمية	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	--	--	13	% 13.70	16	% 16.80	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	08	% 8.40	11	% 11.60	20	% 21.10	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	05	% 5.30	04	% 4.20	12	% 12.60	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	02	% 2.10	02	% 2.10	02	% 2.10	**06**	**% 6.30**
المجموع	**15**	**% 15.80**	**30**	**% 31.60**	**50**	**% 52.60**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 31 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية وتسيير الإمام لشؤون المسجد .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي ما أسميناه عامل الخبرة والتجربة ، ومدى إعاقة تكليف الإمامة بتسيير الأمور اليومية للمسجد (إدارة المسجد ما عدا الخطابة) عن القيام بدوره التربوي ، الديني والاجتماعي ، أي تأثير عامل الأقدمية على تسيير أمور المسجد اليومية أو الإدارية ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نوعاً ما) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 50 إمام يرى بأن تسيير أمور المسجد الإدارية يعيقه عن أداء رسالته بنسبة 52.60 % ، تليها الإجابة (لا) ، أي 30 إمام يرى بأن التسيير الإداري للمسجد شيء عادي ولا يؤثر ، وذلك بنسبة 31.60 % ، فيما يؤكد 15 إمام على أن إدارة المسجد ، أو تسييره الإداري يعيقه عن التفرغ للأداء الجيد للإمامة وتحضير الخطاب الملائم ، وذلك بنسبة 15.80 % .

من جهة أخرى ، فالفئة [10 – 20 [، هي الغالبة ، تتكون من 39 إمام تنوعت إجاباتهم ، حيث أجاب 20 إمام (نوعا ما) بنسبة 21.10 % ، ثم 11 إمام أجاب (لا) بنسبة 11.60 % وأخيراً الإجابة (نعم) ، حيث 08 أئمة بنسبة 8.40 % . ثم جاءت في المرتبة الثانية الفئة [00 – 10 [والتي اقتصرت إجابات الأئمة فيها على (نوعاً ما) حيث 16 إمام بنسبة 16.80 % ، مقابل 13 إمام أجاب (لا) بنسبة 13.70 % . أما المرتبة الثالثة ، فهي الفئة ذات الأقدمية [20 – 30 [، حيث تنوعت إجابات الأئمة ، فيرى 12 إمام أن تسيير شؤون المسجد يعيق (نوعاً ما) مهمة الإمام بنسبة 12.60 % ، تليها الإجابة (نعم) ، أي 05 أئمة بنسبة 5.30 % ، وأخيراً الأئمة الذين لا يعتقدون بأن التسيير اليومي يعيقهم ، أي الإجابة (لا) ، فقد اختارها 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

أما الفئة الأخيرة ، من حيث الترتيب في هذا الجدول ، ومن حيث العدد ، [30 – فما فوق ... فقد كانت الإجابات متساوية بين الخانات الثلاث ، نفس العدد بنفس النسبة ، أي إمامين (02) بنسبة 2.10 % لكل إجابة .

نشير في هذا المقام بأن حديثنا إلى الأئمة بمختلف الفئات والرتب حول إعاقة تسيير شؤون المسجد اليومية ، كان متشابك ، فمن الصعب الأخذ منهم إجابة محددة ، إذ حاولوا في كل مرة التطرق إلى انشغالاتنا العلمية بنوع من العمومية والسطحية ، ومحاولة إبراز الدور الريادي للإمام والمهمة السامية التي يقوم بها ، وما شد انتباهنا أكثر هو محاولة مناقشة موضوع الدراسة في كل مرة نحاول التطرق فيها إلى مواضيع حساسة .

المراقبة / الأقدمية	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	09	% 9.50	07	% 7.40	13	% 13.70	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	07	% 7.40	13	% 13.70	19	% 20	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	06	% 6.30	15	% 15.80	--	--	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	02	% 2.10	02	% 2.10	02	% 2.10	**06**	**% 6.30**
المجموع	**24**	**% 25.30**	**37**	**% 38.90**	**34**	**% 35.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 32 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية ومراقبة الوصاية .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي ما أسميناه عامل الخبرة والتجربة ، ومدى شعور الإمام بمراقبة الوصاية لعمله داخل المسجد ، أي تأثير عامل الأقدمية على علمية المراقبة المستمرة من طرف الوصاية أو ممثليها المحليين ، الولائيين أو القادمين من المستوى المركزي في حالات خاصة ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابات متقاربة جداً ، فجاءت الإجابة (لا) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 37 إمام لا يشعر بمراقبة الوصاية له بنسبة 38.90 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 34 إمام يشعر (نوعاً ما) بأن الوصاية تراقب الخطاب المقدم للجمهور ، خاصة عندما تطلب بإدخال نقطة أو الحديث عن موضوع ما في خطبة الجمعة مثلاً ، وذلك بنسبة 35.80 % ، فيما يؤكد 24 إمام على أن الوصاية ، (نعم) تراقب عمله بشكل دائم ومستمر على الأقل عن طريق السيد المعتمد الذي يمثل الوصاية في المنطقة الموجود فيها المسجد ، أو عن طريق المفتشين الذي يتنقلون باستمرار لمتابعة السير العادي للمساجد ، وذلك بنسبة 25.30 % .

من جهة أخرى ، فالفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [، هي الغالبة ، تتكون من 39 إمام تنوعت إجاباتهم ، حيث أجاب 19 إمام (نوعاً ما) بنسبة 20 % ، ثم 13 إمام أجاب (لا) بنسبة 13.70 % ، وأخيراً الإجابة (نعم) حيث 07 أئمة بنسبة 7.40 % . ثم جاءت في المرتبة الثانية فهي للفئة [00 – 10 [، فقد تنوعت إجابات الأئمة ، إذ يرى 13 إمام أن الوصاية (نوعاً ما) تراقب أداءه بنسبة 13.70 % ، تليها الإجابة (نعم) ، أي 09 أئمة يؤكدون على المراقبة صراحة بنسبة 9.50 % ، وأخيراً الأئمة الذين لا يعتقدون بأن الوصاية تراقبهم ، ولهم هامش من الحرية والاستقلالية ، أي الإجابة (لا) ، فقد اختارها 07 أئمة بنسبة 7.40 % .

أما المرتبة الثالثة ، فهي للفئة [20 – 30 [، والتي اقتصرت إجابات الأئمة فيها على (لا) ، 15 إمام بنسبة 15.80 % ، مقابل الإجابة في الخانة (نعم) ، 06 أئمة بنسبة 6.30 % . أما الفئة الأخيرة ، من حيث الترتيب في هذا الجدول ، ومن حيث العدد ، الفئة ذات الأقدمية [30 – فما فوق ... ، فقد كانت الإجابات متساوية بين الخانات الثلاث ، نفس العدد بنفس النسبة ، إمامين (02) بنسبة 2.10 % لكل إجابة .

ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الثانية :

توجد العديد من المنطلقات الفكرية التي تنطلق منها الوصاية ، حيث تجعل هدف هذه المنطلقات حماية المحيط المسجدي من إدخاله في غمار السياسة ، وهو إشكال لا تقع فيه الجزائر فقط ، بل يطال العالم العربي والإسلامي كله ، فلطالما طُلب من الحكومات إبعاد الدين والمؤسسات الدينية عن التجاذب السياسي . فكل المؤسسات الوصية تسعى جاهدة للحد من التوظيف السياسي للمؤسسات الدينية وللخطاب الديني ، لذلك ما فتئت الوصاية في الجزائر تسطر في برامج التوعية والندوات الفكرية والمحاضرات وبرامج التكوين المستمر وعملية الرسكلة والتقويم ، وغيرها من النشاطات التي تعتقد بأنها تحافظ على وحدة الخطاب الديني ، وبالتالي وحدة المجتمع وتماسكه . وقد يفسر ذلك بالتضامن الإيديولوجي الموجود بين الدولة والدين ، وطبقة علماء الدين المحتكرين لإدارة ذهنية التحريم أو التقديس على حد تعبير ماكس فيبر . فبقدر ما يسود هذا التضامن الإيديولوجي ويقوى ويتسع ، بقدر ما تغيب الثقافة النقدية أو تنعدم ، وهي بحاجة إلى حرية الفكر والتعبير والنشر وإنشاء الجمعيات والمنتديات داخل المجتمع المدني .

فمراقبة النشاط الديني ، وبالتالي مراقبة المؤسسات الدينية بموظفيها له العديد من الخلفيات ، فهي طريقة كل الدول التي تشكلت بعد الاستقلال على هيئة « الدولة (الوطن) ، الحزب الواحد » ، حيث فرضت خطاً واحداً في التفكير وحذفت ما عداه ، كل ما عداه أصبح مرمياً في دائرة اللا مفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه . لقد تكونت هذه الدول بنوع من الدوغمائية ، حيث جعل خطاب التحرير الوطني ثم خطاب البناء الوطني الذي تلاه مباشرة يعارضان الخطاب الكولونيالي في إنكاره لوجود الأمم التي استعمرها .

ففي كل مناسبة نجد خطابات تحذر الخطباء وأئمة المساجد من الانحرافات التي من شأنها أن تخرجهم عن وظائفهم ومهامهم المحددة قانوناً ، والتي تدعوهم إلى ضرورة التقيّد بوظائفهم الدينية عوض الخوض في شأن قد يحسب ضدهم ، أو ضد الرسالة السامية التي يفترض أن يقوم بها المسجد . فالمسجد من منظور الوصاية هو بيت الله الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلواتهم ، وتلاوة القرآن الكريم والاستماع (الخطاب) إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . وأمره لا يؤول إلى أي فرد أو جماعة أو جمعية ، وإنما أمره إلى الدولة المكلفة شرعاً والمسؤولة عن حرمته وقداسته واستقلاليته في أداء رسالته الروحية والتعبدية والتعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية ، فهو وقف عام تابع للدولة ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .

ويظهر تدخل أو مجال عمل الوصاية في العديد من الإجراءات والسلوكات ، فيكفي أنها تحدد قانونياً وظائف المسجد الروحية والتعبدية ، والوظائف التربوية والتعليمية ، والوظائف التثقيفية ، والوظائف التوجيهية الإصلاحية ، ثم الوظائف الاجتماعية ، وكلها منظمة في مراسيم تنفيذية ، مثل المرسوم التنفيذي رقم : 91 – 81 المؤرخ في 23 مارس 1991 ، والمتعلق ببناء المساجد وتنظيمه وتسييره وتحديد وظيفته . هذه الوظائف ، ومختلف الطرق المستجدة التي حاولنا مناقشتها مع عيّنة الدراسة لمعرفة مدى تجاوبها من عدمه مع ما تريده أو تفرضه الوصاية للمحافظة على قدسية المسجد ، ومع الأدوار المرسومة له قانوناً ، ومع المرجعية التي ترتضيها والمبنية على المذهب المالكي ، ولعل أبرز الطرق المستحدثة أو المستجدة إرسال التوجيهات والتعليمات ، القيام بالدورات التكوينية وعملية الرسكلة والتقويم ، الندوات والملتقيات والمحاضرات وغيرها من الوسائل التي نحاول التطرق إليها في سياق هذا التحليل .

لاستدراج عيّنة الدراسة ، طرحنا سؤالاً مباشراً ومغلقاً ، حول تدخل الوصاية (الوزارة أو المديريات الولائية) في العمل اليومي للإمام ، حيث يرى 51 إمام أن الوصاية مهما كان نوعها (لا) تتدخل في الإمام بنسبة 53.70 % ، بينما يرى 37 إمام بأنهم يسجلون بعض التدخلات (أحياناً) في عملهم بنسبة 38.90 % ، بينما يرى 07 أئمة بأن الوصاية (نعم) تتدخل مباشرة في عملهم بنسبة 7.40 % ، وهي نسبة قليلة بالمقارنة مع الإجابات الأخرى ، خاصة إذا علمنا أن الإجابة (أحياناً) بأن الأئمة يشعرون بعض المرات بالتدخل ، وقد حاولوا تعليل ذلك ، كذلك في مرات ، واتخذوا (واجب التحفظ في مرات أخرى) .

ولمعرفة كيفية تعامل عيّنة الدراسة مع تدخل الوصاية مع خصائص ومميزات العينة ، فمثلاً عامل الأقدمية في منصب العمل ، أي عامل الخبرة والتجربة وتأثير ذلك على إمكانية التدخل المباشر من الوصاية في العمل اليومي للخطيب ، أي مدى استجابة الإمام بفعل خبرته وتجربته لمحاولات التدخل ، فقد أظهرت المعطيات أن الفئة ذات الأقدمية [00 – 10 [، بها 18 إمام يرى بأن الوصاية لا تتدخل في عمله بنسبة 18.90 % ، وهي فئة التي اعتبرناها ونعتبرها جديدة نسبياً . ثم الفئة [20 – 30 [، فيوجد بها 18 إمام لا يرى أي تدخل للوصاية في عمله ، يشعر بالحرية والاستقلالية التامة بنسبة 17.90 % ، تليها الفئة [10 – 20 [، والتي يوجد بها 12 إمام بنسبة 12.60 % ، وأخيراً الفئة ذات الأقدمية الكبيرة ، [30 – فما فوق ... فيوجد بها 04 أئمة بنسبة 4.20 % . مع الإشارة إلى أن (أحياناً) فسرها أصحابها على أساس أن المديرية تراسل الأئمة في مناسبات بعينها وتطلب منهم مثلاً : إدراج نقطة معينة في خطبتي الجمعة أو تخصيص الدرس لموضوع بعينه ، أو القيام بنشاط تسميه وتنظمه الوصاية (مديرية أو وزارة) .

أما فيما يخص الصفات الواجب توفرها في الإمام ، والتدخل المباشر من الوصاية في العمل اليومي ، أي عامل الصفات ، خاصة الشخصية القوية وتأثير ذلك على إمكانية تدخل الوصاية في العمل اليومي للخطيب ، أي مدى استجابة الإمام بفعل هذه الصفات التي رأتها عينة الدراسة ضرورية لتولي منصب الإمامة في المساجد الجزائرية ، فقد جاء في مختلف المعطيات أن 118 إجابة في الصفات المختلفة أكدت بأن الوصاية لا تتدخل بأي شكل من الأشكال في عمل الإمام بنسبة 57.28 % ، ثم 76 إجابة (أحياناً) بنسبة 36.89 % ، وأحياناً ــ كما ذكرنا ــ تعني أن الإمام يلاحظ تدخل الوصاية في بعض الأمور فقط ، ولا يراها تتدخل في كثير من الأمور الأخرى .

بالنسبة لتوجيهات الوصاية ، والتي لا يمكن إنكار وجودها ميدانياً ، وحتى تعامل الخبرة والتجربة أو الأقدمية في منصب العمل لا يمكن إخفاؤه ، فمدى تأثير هذه التوجيهات على استجابة الإمام بفعل خبرته وتجربته كانت واضحة ، حيث استعمل الأئمة (واجب التحفظ) ، وبعد النقاش فضلوا الإجابة (نوعاً ما) ، أي 39 إمام (نوعاً ما) يتلقى توجيهات في نوع الخطاب المقدم للمصلين والمصليات بنسبة 41.10 % تليها الإجابة (نعم) ، أي 29 إمام بنسبة 30.50 % . فالأئمة في الفئة [10 – 20 [، 16 منهم يرى بأن الوصاية توجه الخطاب المقدم بطريقة أو بأخرى بنسبة 16.80 % ، وكذلك الفئة [00 – 10 [، حيث 16 إمام لا يرى أي توجيه للخطاب ، بل هامش الحرية كبير في اختيار الموضوع وطريقة إيصاله إلى الجمهور بنسبة 16.80 % .

فما يسمى توجيهات يمكن إدخاله في إطار اهتمام أولياء الأمور (المسؤولين) على توحيد الصفوف وجعل الخطاب واحد يعبر عن وحدة الشعب والأمة . حيث يقول أحد الأئمة من ولاية وهران :« لا يمكن اعتبار هذه

التوجيهات تدخلاً في صلاحيات الإمام ، أو اعتبارها إنقاصاً له ، لكنها ضرورة شرعية تقتضيها أحوال الأمة ، ويقتضيها العصر وتقلباته ، فأولياء الأمور مسؤولون عن كل المساجد ، وأنا مسؤول عن مسجدي هذا ، ونحن في الجزائر ، فكيف نكون وحدة إذا لم ننهل من نفس المنهل ونأخذ من نفس المنبع ؟ وهذه ليست مسؤوليتي ، إنها مسؤولية الوصاية ».

من بين الأمور التي تؤكد عليها الوصاية ، وتسعى إلى ترسيخها عبر عملها اليومي مع المؤسسات الدينية المتنوعة وعلى رأسها المسجد هو الوحدة المذهبية المتمثلة أساساً في المذهب المالكي ، حيث يعتبر المذهب المالكي على حد تعبير كل عيّنة الدارسة ، وحتى المسؤولين في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، وبعض الإداريين في المديريات الثلاث المعنية بهذه الدراسة ، وحتى في أدبيات الوصاية ، الأكثر ملاءمة لخصوصية الشعب الجزائري ، لأن الاعتماد على المذهب المالكي ، هو اعتماد على الوسطية والاعتدال ، والوسطية تعني اعتماد الوسط بين المتمسكين بظاهر النصوص وأصحاب الرأي . كما يرجع الاعتماد على هذا المذهب لتلك المرونة في القواعد ، فهو يتقيد إلا بما يحقق مصلحة ويدرأ مفسدة . فالمذهب المالكي يقوم على ضرورة الاجتهاد حسب التطور وحسب الظروف الاجتماعية للناس بالاعتماد على الكتاب والسنة .

أضف إلى هذا ، فإن المادة المقدمة في إطار تكوين الأئمة تعتمد على المذهب المالكي في كل صغيرة وكبيرة ، فالمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية التي أوكلت لها الوصاية تكوين الأئمة بمختلف الرتب ، سواء أثناء التكوين أو من خلال التربصات ، أو حتى من خلال الدورات التكوينية وعملية الرسكلة . وفي هذا الإطار جاءت إجابة عيّنة الدراسة حول سؤال التوجه الديني بأنه اعتقاد الوصاية ، فأجاب 89 إمام بأنه (نعم) يوافق الوصاية في الاعتماد على المذهب المالكي كتوجه مذهبي وحيد ، وذلك بنسبة 93.70 % ، مقابل 06 أئمة فقط رفضوا الالتزام بمذهب واحد ، بل رأوا إمكانية الاعتماد على مذاهب أخرى بنسبة 6.30 % .

ومن أجل معرفة أهمية المذهب المالكي ، لأنه ترسخ لدينا الاعتقاد بأنه ممثل الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، على الأقل في الفقه والمعاملات ، لذلك حاولنا ربطه بالعديد من المتغيرات ، مثل التكوين المقدم في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية ، المشاركة في الدورات التكوينية وعملية الرسكلة والتقويم ، الشروط الضرورية الواجب توفرها في الخطيب حتى يقوم برسالته على أكمل وجه ، تسيير أمور المسجد الإدارية ثم مراقبة الوصاية لأداء الإمام داخل وخارج المسجد .

فبالنسبة للتكوين ترى عيّنة الدراسة أن هذا التكوين المقدم للظفر برتبة إمام لا يكفي أبداً ، حيث يرى 59 إمام من عينة الدراسة بأن التكوين المقدم ، أو التكوين المكمل لا يواكبان التطور الحاصل في المجتمع ، وذلك بنسبة كبيرة 62.10 % ، فيما يرى 32 إمام بأنه (نوعاً ما) يكفي بنسبة 33.70 % ، ليبقى 04 أئمة يرون بأن التكوين المقدم كافي ووافي بنسبة 4.20 % ، إذ يرون بأن السبب ليس في المادة المقدمة ، أو من يقدم هذا التكوين ويسهر على التأطير ، وإنما المشكل مركب وصعب .

الأئمة الذي قمنا بإجراءات مقابلات معهم ، فمن يرى بضرورة الوحدة المذهبية ، يرى بأن التكوين المقدم غير كافٍ ، فهم 53 إمام بنسبة 55.80 % ، وكذلك نجد من يرون بأن التكوين المقدم يكفي (نوعاً ما) ، أي 32 إمام بنسبة 33.70 % ، ليبقى 04 أئمة يرون بضرورة الوحدة المذهبية وكفاية التكوين المقدم بنسبة 4.20 % ، فهؤلاء ، أي 04 أئمة يرجعون ضرورة الوحدة المذهبية إلى ما تقدمه الوصاية من مادة تكوينية تركز أساساً على هذه النقطة ، حيث

يقول أحد الأئمة :« كل مراحل التكوين يركز الأساتذة على المذهب المالكي كمرجعية دينية ضرورية لتوحيد صفوف الأمة ، وجلّ المادة المقدمة مستنبطة من المذهب المالكي ، فإذا كان بهذه المادة وهذا التوجيه يتحدث البعض بأنه لا يكفي التكوين لتوحيد المذهب ، فأي تكوين يقصدون ، وأي مذهب يوحدون ؟ » .

كما توجد بعض الإجراءات التي تسهر على ديمومتها الوصاية ، حتى تحكم سيطرتها على الفضاء المسجدي ، نجد الدورات التكوينية وعملية الرسكلة ، فهي فرصة للقيام بإسداء الكثير من التوجيهات ، منها ما هو مباشر ، ومنها ما يفهم من الخطاب المقدم من طرف أساتذة جامعيين (دكاترة وباحثين) . وقد لاحظنا ذلك من خلال ملاحظاتنا المسجلة في بعض هذه اللقاءات المنظمة بدار الإمام بالمحمدية (الجزائر العاصمة) ، أو دار الإمام بولاية قسنطينة ، سواء من تنظيم الوزارة الوصية ، أو من طرف مديريات الشؤون الدينية . فهذا النشاط عمل توجيهي بامتياز للخطاب الديني من طرف الوصاية ، حيث تعمد إلى تبليغ مختلف المستجدات التي يعرفها الواقع الاجتماعي ، مثل : التشريعات والقوانين الجديدة التي يتطلب معرفتها والالتزام بها ، أو من خلال ربط عمل الإمام مع المصلين لتوضيح رأي الدين (وفق المذهب المالكي) .

من بين النشاطات التي لفتت انتباهنا ، ندوة في ولاية قسنطينة حول صندوق الزكاة ، حيث ركز ممثل مديرية الشؤون الدينية والأوقاف في تلك الندوة على أهمية دور الإمام في تحقيق سياسة أو أهداف الوزارة في هذا الموضوع ، حيث طالب هذا الأخير الأئمة بضرورة التأكيد من خلال الدروس والخطب ، ومن خلال احتكاكهم بالمصلين في الحي الذي ينتمي إليه المسجد على أهمية هذا الصندوق ، ووجه الأئمة بمثال ربط القرآن الكريم للزكاة بالصلاة ، فهي دعوة صريحة لربط نشاط الإمام بدوره داخل المسجد وخارجه .

تكمن أهمية هذه النشاطات من خلال إلزامية حضور الأئمة (ورقة إثبات الحضور) ومساءلة الغائبين ، فالمشاركة بانتظام في الدورات التكوينية وعملية الرسكلة التي تقوم بها الوصاية ، أي تأثير المادة المقدمة في الدورات التكوينية على ترسيخ الوحدة المذهبية ، وذلك من خلال الرجوع إلى المذهب المالكي من أجل توحيد المواطنين ، أي مدى استجابة الإمام للتكوين المقدم في الدورات التكوينية ، ومدى الفائدة التي يجنيها الإمام . فيكفي ذكر أن 43 إمام يرى بأن الوصاية صائبة في الاعتماد على المذهب المالكي وحده دون غيره من المذاهب لتوحيد المجتمع ، والحفاظ على وحدة الأمة بنسبة كبيرة 93.70 % . كما نجد أن المشاركة بانتظام في الدورات التكوينية والرسكلة التي تقوم بها الوزارة يشارك فيها 43 إمام من عينة الدراسة ، أي (نعم) بنسبة 45.30 % ، و23 إمام يشاركون (أحياناً) في هذه الدورات حسب الظروف الشخصية وأهمية اللقاء ، وذلك بنسبة 24.20 % .

إن الملاحظة المسجلة ، هو اختلاف رؤى الأئمة حول أهمية الدورات التكوينية وعملية الرسكلة التي تقوم بها الوصاية ، حيث يعتقد المجيبين (نعم) بأنها تضعهم أمام المستجدات الجديدة وكيفية التعامل معها من طرف مختصين وأصحاب الباع الطويل في هذا المجال ، أما المجيبين (لا) فيعتقدون أنها دورات نظرية أهدافها إعلامية ولا تفيد المشاركة فيها على الإطلاق . لذلك وجب النظر إلى الشروط الضرورية ، والواجب توفرها في الخطيب حتى يقوم برسالته على أكمل وجه ، بمعنى مدى استجابة الإمام للتكوين المقدم مع الصفات التي تمثلت أساساً في « الثقافة الدينية ، العلم والتكوين ، مراعاة الواقع وشروط أخرى ».

لقد بيّنت المعطيات الإحصائية أن الأئمة الذي يرون بعدم كفاية التكوين مع شرط (الثقافة الدينية) يمثلون الأغلبية ، 46 إجابة بنسبة 25.14 % ، يليها شرط (مراعاة الواقع) ، 38 إجابة بنسبة 20.77 % ، ثم (العلم والتكوين) ، 03 إجابات بنسبة 18.03 % . وبنفس الكيفية جاءت (نوعاً ما) حيث (الثقافة الدينية) لدينا 21 إجابة بنسبة 11.48 % ، ثم تساوت (العلم والتكوين) مع (مراعاة الواقع) ، أي 13 إجابة بنسبة 7.10 % ، وأخيراً شروط أخرى ، 06 إجابات بنسبة 3.28 % . غير أن الإجابة (نعم) اقتصر الأئمة على شرط (الثقافة الدينية) ، 04 إجابات بنسبة 2.19 % ، مقابل (العلم والتكوين) ، حيث نجد إجابتين (02) بنسبة 1.09 % من المجموع الكلي للإجابات (183 إجابة) .

في نفس السياق ، ولمتابعة معرفة كيفية التسيير الإداري ومدى تحكمه في صياغة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، تطرقنا إلى تعامل الوصاية مع الإمام داخل المسجد ، وقد تطرقنا إلى جملة من النقاط التي ناقشنا فيها عيّنة الدراسة . إذ لا بد من التذكير أن الوصاية ممثلة في الشؤون الدينية والأوقاف تضع تحت تصرفها العديد من الآليات ، من الشخص المسؤول عن مجموعة من المساجد ، إلى المصالح الإدارية بمديرية الشؤون الدينية وصولاً إلى المفتشين ولجان التفتيش الولائية والوطنية . فكلها آليات بيد الوصاية حتى تتمكن من التحكم اللازم في كل جزئيات العملية الدينية منذ تعيين الإمام وصولاً إلى نشاطه (الخطاب الديني) ، يومياً وأسبوعياً ، ثم في مختلف المناسبات .

إن الإمام هو المسؤول الأول والأخير عن تسيير المسجد ، ونعني تسيير الأمور اليومية للمسجد (إدارة المسجد ما عدا الخطابة) ، فهو المسؤول قانونياً ودينياً عن المسجد ، فهذا التسيير تتطلبه الوظيفة التي يقوم بها (الإمام) كموظف لدى القطاع العام ، أو الوظيفة العمومية ، ومعظم الوظائف الإدارية والدينية بيّنها القانون الخاص بموظفي قطاع الشؤون الدينية ، فهي في المقام الأول ، لأن الإمام يعمل من خلالها على توفير الظروف الملائمة للمصلين ، فهي تأتي قبل القيام بدوره التربوي ، الديني والاجتماعي ، حيث ترى أغلبية عيّنة الدراسة بأن مثل هذه المهام تعيق (نوعاً ما) المهمة الدينية والاجتماعية للإمام ، فقد سجلنا 50 إمام يرى بأن تسيير أمور المسجد الإدارية يعيقه في أداء رسالته بنسبة 52.60 % ، فيما يصر 15 إمام على أن إدارة المسجد ، أو تسييره الإداري يعيقه في التفرغ للأداء الجيد للإمامة وتحضير الخطاب الملائم ، وذلك بنسبة 15.80 % ، خاصة إذا اعتبرنا أن توفير الظروف الملائمة للمصلين ، نظافة المسجد وصيانته تتطلب مداومة الاتصال بالمسؤولين على المستوى الولائي والمحلي (البلديات) ، وهو أمر يعتبره الكثير عمل مضني ، خاصة أن القانون غير واضح في هذا المجال .

نشير في هذا المقام بأن حديثنا إلى الأئمة بمختلف الفئات والرتب حول إعاقة تسيير شؤون المسجد اليومية ، كان متشابك ، فمن الصعب الأخذ منهم إجابة محددة ، إذ حاولوا في كل مرة التطرق إلى انشغالاتنا العلمية بنوع من العمومية والسطحية ، ومحاولة إبراز الدور الريادي للإمام والمهمة السامية التي يقوم بها ، وما شد انتباهنا أكثر هو محاولة مناقشة موضوع الدراسة في كل مرة نحاول التطرق فيها إلى مواضيع حساسة ، بل إن بعض الأئمة رفض تسجيل إجاباته لما وضعنا أمامه جهاز التسجيل ، فمنهم من راجع رخصة البحث عدة مرات ، ومنهم من تساءل عن جدية الوصاية في منحنا مثل هذه الرخص لمناقشة مواضيع بهذه الحساسية (على حد وجهة نظره) .

فالوصاية تضع ترسانة من الوسائل المادية والبشرية لمراقبة الأئمة والمساجد على حد سواء ، والإمام يشعر بتلك المراقبة رغم أن 37 إمام صرحوا بأنهم لا يشعرون بمراقبة الوصاية لنشاطهم بنسبة 38.90 % ، في حين صرح 34 إمام بأنه يشعر (نوعاً ما) بهذه المراقبة ، وصرح 24 إمام بأن الوصاية تراقب عمله بشكل دائم ومستمر ، على الأقل عن طريق المعتمد بنسبة 25.30 % ، إذ نشير أن إجابات الأئمة ، حتى الذين لا يرون بأن الوصاية تراقبهم ، يجعلون من أمر المراقبة أمراً ضرورياً وأكيداً ، لأن أهمية المسجد لا يمكن أن يغفل عنها أولياء الأمور ، فكيف يترك مكان بهذه القدسية ، وهذه الأهمية ، وهذا الدور المفصلي في حياة المجتمع دون مراقبة مستمرة وعميقة ؟ .

لم تكن نتائج أو إجابات الأئمة حول أسئلة مراقبة الوصاية لهم تحمل ما حاولوا التلميح له في حوارنا معهم ، ما عدا الذين أجابوا بأنهم مراقبون ليس فقط من الوصاية ، بل من جهات أخرى (جهات أمنية أو استخباراتية) ، خاصة إذا كان المسجد ترتاده شخصيات سياسية أو دينية معروفة ، فهم 24 إمام بنسبة 25.30 % ، منهم 09 أئمة من الفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [، وهي فئة جديدة نسبياً . لكننا يمكن اعتبار أن الإجابة (نوعاً ما) هي إجابة مركبة ، لا تحمل في ظاهرها ما يريد التصريح به الأئمة ، لأنهم فعلاً مراقبون ، فهم 34 إمام من كل فئات الأقدمية خاصة ذات التجربة والخبرة [20 – 30 [سنة عمل .

على الرغم من كل هذه المعطيات ، إلا أننا نسجل أن مراقبة الإمام غير كاملة بالمعنى الصحيح ، فهو يحمِّل خطابه ما يريد ، يحمل شعار (لا أخشى لومة لائم) ، فإذا كان لا يصرح بما يريد أثناء الدرس (قبل الجمعة) ، أو خطبتي الجمعة ، حيث يكون خطابه يحمل الشمولية والعموم ، فإنه من خلال احتكاكه بالناس ونشاطه اليومي ، داخل المسجد في الدروس (درس ما بعد صلاة المغرب خاصة) ، فإنه من خلال النقاش يمرر ما يريد ، ولا يأبه بالمراقبة ، بل قد يصل إلى عدم اعتباره لما تقوم به الوصاية ، وهي فئة قليلة الاحتكاك بالوصاية ، ربما الرابط الوحيد ، هو الراتب الذي يتقضاه . فمنهم من صرح لنا بأنه عندما يدخل المسجد يترك ما يؤمن به خارج الأسوار ، وما يؤمن به ويعتقده يقدمه خارج أوقات العمل ، وحتى خارج المسجد في مناسبات بعينها .

ثالثاً : استنتاج الفرضية الثانية :

إن المعطيات الإحصائية وعملية تحليل هذه المعطيات ، أي القيام بإسقاطاتها أو تحليلها سوسيولوجياً يقودنا إلى العديد من النتائج التي نستخلص منها أو نستنتج صحة الافتراض الثاني لهذه الدراسة من عدمه ، والذي اعتمد على أن الخطاب الديني يخضع للتسيير الإداري الذي تشرف عليه الوصاية ، فمن أجل الحفاظ على وحدة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، ولأن المسجد مؤسسة دينية تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ممثلة الخطاب الرسمي ، فهي تسهر بمختلف الوسائل على توجيه وتحديد معالم الخطاب الديني الموجه إلى أفراد المجتمع ، باستعمال وسائل وطرق إدارية تفرض على الخطيب (الإمام) إتباعها والالتزام بها .

ومن بين النقاط التي تم استخلاصها نوردها على الشكل التالي :

- كل المؤسسات الوصية تسعى جاهدة للحد من التوظيف السياسي للمؤسسات الدينية وللخطاب الديني ، لذلك ما فتئت الوصاية في الجزائر تسطر في برامج التوعية والندوات الفكرية والمحاضرات وبرامج التكوين المستمر وعملية

الرسكلة والتقويم ، وغيرها من النشاطات التي تعتقد بأنها تحافظ على وحدة الخطاب الديني ، وبالتالي وحدة المجتمع وتماسكه . وقد يفسر ذلك بالتضامن الإيديولوجي الموجود بين الدولة والدين ، وطبقة علماء الدين .

- تسعى الوصاية إلى مراقبة النشاط الديني ، وبالتالي مراقبة المؤسسات الدينية بموظفيها ، لأنها طريقة كل الدول التي تشكلت بعد الاستقلال على هيئة « الدولة (الوطن) الحزب الواحد » حيث فرضت خطاً واحداً في التفكير وحذفت ما عداه ، فكل ما عداه أصبح مرمياً في دائرة اللا مفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه .
- تحذير الخطباء وأئمة المساجد من الانحرافات التي من شأنها أن تخرجهم عن وظائفهم ومهامهم المحددة قانوناً ، والتي تدعوهم إلى ضرورة التقيّد بوظائفهم الدينية عوض الخوض في شأن قد يحسب ضدهم ، أو ضد الرسالة السامية التي يفترض أن يقوم بها المسجد .
- المسجد من منظور الوصاية هو بيت الله الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلواتهم ، وتلاوة القرآن الكريم والاستماع (الخطاب) إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . وأمره لا يؤول إلى أي فرد أو جماعة أو جمعية ، وإنما أمره إلى الدولة المكلفة شرعاً والمسؤولة عن حرمته وقداسته واستقلاليته في أداء رسالته الروحية والتعبدية والتعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية ، فهو وقف عام تابع للدولة ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .
- يظهر تدخل أو مجال عمل الوصاية في العديد من الإجراءات والسلوكات ، فيكفي أنها تحدد قانونياً وظائف المسجد الروحية والتعبدية ، والوظائف التربوية والتعليمية ، والوظائف التثقيفية ، والوظائف التوجيهية الإصلاحية ، ثم الوظائف الاجتماعية ، وكلها منظمة في مراسيم تنفيذية . فهذه الوظائف ، ومختلف الطرق المستجدة ومع الأدوار المرسومة له قانوناً ، ومع المرجعية التي ترتضيها والمبنية على المذهب المالكي . ولعل أبرز الطرق المستحدثة أو المستجدة إرسال التوجيهات والتعليمات ، القيام بالدورات التكوينية وعملية الرسكلة ، الندوات والملتقيات والمحاضرات وغيرها ...
- مختلف التوجيهات ، تدخل ضمن اهتمام أولياء الأمور (المسؤولين) على توحيد الصفوف وجعل الخطاب واحد يعبر عن وحدة الشعب والأمة . حيث لا يمكن اعتبار هذه التوجيهات تدخلاً في صلاحيات الإمام ، أو اعتبارها إنقاصاً له ، لكنها ضرورة شرعية تقتضيها أحوال الأمة ، ويقتضيها العصر وتقلباته ، فأولياء الأمور مسؤولون عن كل المساجد ، ومن بين الأمور التي تؤكد عليها الوصاية ، وتسعى إلى ترسيخها عبر عملها اليومي مع المؤسسات الدينية المتنوعة وعلى رأسها المسجد هو الوحدة المذهبية المتمثلة أساساً في المذهب المالكي .
- الاعتماد على المذهب المالكي يرجع لكون هذا المذهب يعتمد على الوسطية والاعتدال ، أي اعتماد الوسط بين المتمسكين بظاهر النصوص وأصحاب الرأي . كما يرجع الاعتماد على هذا المذهب لتلك المرونة في القواعد ، فهو يتقيد إلا بما يحقق مصلحة ويدرأ مفسدة . فالمذهب المالكي يقوم على ضرورة الاجتهاد حسب التطور وحسب الظروف الاجتماعية للناس بالاعتماد على الكتاب والسنة ، لذلك كانت المادة المقدمة في إطار تكوين الأئمة تعتمد على المذهب المالكي في كل صغيرة وكبيرة ، فالمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية التي أوكلت لها الوصاية تكوين الأئمة بمختلف الرتب ، سواء أثناء التكوين أو من خلال التربصات ، أو حتى من خلال الدورات التكوينية وعملية الرسكلة .
- توجد بعض الإجراءات التي تسهر على ديمومتها الوصاية ، حتى تحكم سيطرتها على الفضاء المسجدي ، نجد الدورات التكوينية وعملية الرسكلة ، فهي فرصة للقيام بإسداء الكثير من التوجيهات ، منها ما هو مباشر ، ومنها ما

يفهم من الخطاب المقدم من طرف أساتذة جامعيين . وقد لاحظنا ذلك من خلال ملاحظاتنا المسجلة في بعض هذه اللقاءات المنظمة سواء من طرف الوزارة الوصية ، أو من طرف مديريات الشؤون الدينية . فهذا النشاط عمل توجيهي للخطاب الديني ، تستعمله لتبليغ مختلف المستجدات التي يعرفها الواقع الاجتماعي ، مثل : التشريعات والقوانين الجديدة التي يتطلب الالتزام بها ، أو من خلال ربط عمل الإمام مع المصلين لتوضيح رأي الدين فيها .

- لقد بيّنت المعطيات أن التكوين المقدم غير كافٍ لمواجهة التغيرات التي يعرفها المجتمع ، وأن الإمام ، وحتى الوصاية تحتاج إلى آليات أخرى ، لذلك يذهب ما تقوم به الدولة سداً ولا يحقق ما تهدف إليه ، والواقع يثبت ذلك ، حيث يفر المواطن من كل تدخل للدولة في أمور الدين ، لأنه يعلم أو يدرك بأن هذا التدخل لا يخدم مصلحة الدين بقدر ما يخدم سياسة الوصاية .

- أضف إلى ذلك ، التسيير الإداري للمسجد ، والذي يُخرج الإمام من قدسية الرسالة والخطاب الديني إلى الواقع المعاش بكل تناقضاته ، خاصة عندما يعلم المصلي بأنها تضع تحت تصرفها العديد من الآليات ، من الشخص المسؤول عن مجموعة من المساجد ، إلى المصالح الإدارية بمديرية الشؤون الدينية وصولاً على المفتشين ولجان التفتيش الولائية والوطنية . فكلها آليات بيد الوصاية حتى تتمكن من التحكم اللازم في كل جزئيات العملية الدينية منذ تعيين الإمام وصولاً إلى نشاطه (الخطاب الديني) ، يومياً ، أسبوعياً ثم في مختلف المناسبات .

- إن الإمام هو المسؤول الأول والأخير عن تسيير المسجد ، ونعني تسيير الأمور اليومية للمسجد (إدارة المسجد ما عدا الخطابة) ، فهو المسؤول قانونياً ودينياً عن المسجد ، فهذا التسيير تتطلبه الوظيفة التي يقوم بها (الإمام) كموظف لدى القطاع العام ، أو الوظيفة العمومية ، ومعظم الوظائف الإدارية والدينية بيّنها القانون الخاص بموظفي قطاع الشؤون الدينية ، فهي في المقام الأول ، لأن الإمام يعمل من خلالها على توفير الظروف الملائمة للمصلين ، فهي تأتي قبل القيام بدوره التربوي ، الديني والاجتماعي .

- الوصاية تضع ترسانة من الوسائل المادية والبشرية لمراقبة الأئمة والمساجد على حد سواء ، والإمام يشعر بتلك المراقبة ، وهي (المراقبة) بالنسبة للأئمة أمر ضروري وأكيد ، لأن أهمية المسجد لا يمكن أن يغفل عنها أولياء الأمور ، لاستحالة ترك مكان بهذه القدسية ، وهذه الأهمية ، وهذا الدور المفصلي في حياة المجتمع دون مراقبة مستمرة ومعمقة .

- نسجل أن مراقبة الإمام غير كاملة بالمعنى الصحيح ، فهو يحمِّل خطابه ما يريد ، فإذا كان لا يصرح بما يريد أثناء الدرس (قبل الجمعة) ، أو خطبتي الجمعة ، فإنه من خلال احتكاكه بالناس ونشاطه اليومي ، داخل المسجد في الدروس خاصة درس ما بعد صلاة المغرب ، فالإمام لا يأبه بالمراقبة ، ويقدم ما يؤمن به في كل مناسبة ، حتى أنه يقدم أفكاره خارج الأسوار ، وما يؤمن به ويعتقده يقدمه خارج أوقات العمل ، وحتى خارج المسجد في مناسبات بعينها .

وعليه ،

صحيح أن الوصاية هي المسؤولة قانوناً وشرعاً عن كل ما يخص المسجد ، منذ تكوين الإمام وتوظيفه ، ومن ثم تقوم بتوجيهه ومراقبته ومراقبة عمله ، وإذا اقتضى الأمر تقوم بإعداد النشاطات التي تساعده فيها على معرفة المستجدات وكيفية مواجهة التغيرات التي يعرفها المجتمع . ثم صحيح أن الوصاية لديها كل الآليات حتى تتمكن من مراقبة الإمام

داخل المسجد ، ومراقبة عمله وحتى مدى إخلاصه للطريقة التي تعتقدها في إيصال الدين الإسلامي إلى أفراد المجتمع ، خاصة في اعتمادها على المذهب المالكي كعامل توحيد وتماسك ، إلا أن الواقع يثبت عدم نجاعة هذه المراقبة ، إذا كان الإمام لا يؤمن بما تقدمه الوصاية ، أو ركب موجة المصلين الذين يرفضون تدخل الدولة في أمور الدين ، فيصبح بذلك الخطاب الديني الذي يصاغ في هذه المساجد لا تتحكم فيه الوصاية ، بقدر ما تتحكم فيه توجهات وقناعات الإمام والجماعة التي ينتمي إليها .

الفصل الثالث عشر :

الصورة الشاملة للدين الإسلامي .

أولا : عرض وتحليل جداول المحور الثالث .

ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الثالثة .

ثالثاً : استنتاج الفرضية الثالثة .

الفصل الثالث عشر :

الصورة الشاملة للدين الإسلامي .

أولاً : عرض وتحليل جداول المحور الثالث :

تطبيق المذهب / رتبة الإمام	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إمام أستاذ رئيسي	06	% 6.30	--	--	02	% 2.10	**08**	**% 8.40**
إمام أستاذ	46	% 48.40	02	% 2.10	23	% 24.20	**71**	**% 74.70**
إمام مدرس	14	% 14.70	02	% 2.10	--	--	**16**	**% 16.80**
المجموع	**66**	**% 69.50**	**04**	**% 4.20**	**25**	**% 26.30**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 33 : يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام والالتزام الكلي بتطبيق المذهب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين رتبة الإمام في عينة الدراسة ، والتزامه بتطبيق المذهب المالكي في كل الأمور التي تقابله ، أي تأثير عامل الرتبة ، خاصة الرتب المهمة ، مثل إمام أستاذ رئيسي وإمام أستاذ على تطبيق المذهب المالكي من خلال الخطب ، الدروس ومختلف النشاطات ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 66 إمام يطبق المذهب المالكي بنسبة 38.90 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 25 إمام يطبقون (نوعاً ما) المذهب المالكي ، أي حسب الظروف ، وذلك بنسبة 26.30 % ، فيما يرفض 04 أئمة تطبيق المذهب المالكي في المسجد الذي يقوم على تسييره ، وذلك بنسبة 4.20 % .

من جهة أخرى ، فرتبة إمام أستاذ الغالبة ، وهي صفة من صفات عينة الدراسة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، حيث توزعت إجاباتها بين الخانات الثلاث ، فيرى 46 إمام أستاذ بضرورة تطبيق المذهب المالكي في كل شيء ، في الخطاب المقدم ، وفي كل النشاطات التي يقوم بها بنسبة 48.40 % ، تليها (نوعاً ما) يطبق المذهب حسب الظروف والحالات التي تعترضه ، أي 23 إمام أستاذ بنسبة 24.20 % ، وأخيراً إمامين (02) من هذه الرتبة يرفضون صراحة تطبيق المذهب المالكي بنسبة 2.10 % من المجموع العام . ثم رتبة إمام مدرس ، وهي الثانية في الترتيب ، فأئمة هذه الرتبة اقتصرت إجاباتهم على (نعم) و(لا) فقط ، بحيث أجاب (نعم) 14 إمام بنسبة 14.70 % مقابل إمامين (02) أجابوا (لا) بنسبة 2.10 % . أما رتبة إمام أستاذ رئيسي ، فاتخذت نفس اتجاه الرتب الثانية ، حيث أجابت العيّنة على (نعم) و(نوعاً ما) فقط فأجاب 06 أئمة (نعم) بنسبة 6.30 % مقابل إمامين (02) بنسبة 2.10 % .

نشير هنا أن إجابات الأئمة ، خاصة الذين يؤكدون على ضرورة تطبيق المذهب المالكي في كل كبيرة وصغيرة ، يعتقدون بأنه إلى جانب ما يحققه المذهب المالكي من اعتدال ووسطية يجعلانه يمثله الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، فإنه مع مرور الزمن أصبح أحد العناصر المكونة للهوية الجزائرية ، وحقق به المجتمع الجزائري وحدته وتماسكه ، رافضين محاولة جر المجتمع الجزائري إلى ما يسميه البعض الانفتاح على المذاهب وغيرها من الشعارات التي لا تبني وحدة المجتمع بل تأتي على كيانه وتهدده في تواجده .

تطبيق المذهب / الأقدمية	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
[00 . 10 [	17	% 17.90	--	--	12	% 12.60	**29**	**% 30.50**
[10 . 20 [	28	% 29.50	02	% 2.10	09	% 9.50	**39**	**% 41.10**
[20 . 30 [	15	% 15.80	02	% 2.10	04	% 4.20	**21**	**% 22.10**
[30 . فما فوق ...	06	% 6.30	--	--	--	--	**06**	**% 6.30**
المجموع	**66**	**% 69.50**	**04**	**% 4.20**	**25**	**% 26.30**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 34 : يبيّن العلاقة بين الأقدمية والالتزام الكلي بتطبيق المذهب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الأقدمية في منصب العمل ، أي الخبرة والتجربة في مجال الإمامة وتسيير أمور المسجد الدينية ، الاجتماعية وحتى الإدارية ، ومدى الالتزام بتطبيق المذهب المالكي ، أي تأثير عامل الخبرة والتجربة التي يتمتع بها الإمام على تطبيق المذهب المالكي ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية ــ وهي نفس النتائج من حيث المجاميع ــ بأن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 66 إمام يطبق المذهب المالكي بنسبة 38.90 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 25 إمام يطبقون (نوعاً ما) المذهب المالكي ، أي حسب الظروف والمناسبات ، وذلك بنسبة 26.30 % ، فيما يرفض 04 أئمة تطبيق المذهب المالكي في المسجد الذي يقوم على تسييره ، وذلك بنسبة 4.20 % .

من جهة أخرى ، فالفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [، هي الغالبة ، تتكون من 39 إمام تنوعت إجاباتهم ، فأجاب 28 إمام (نعم) بنسبة 29.50 % ، ثم 09 أئمة أجابوا (نوعاً ما) بنسبة 9.50 % وأخيراً الإجابة (لا) ، حيث إمامين (02) بنسبة 2.10 % . ثم جاءت في المرتبة الثانية الفئة [00 – 10 [، أين اختصرت الإجابة على (نعم) ، فيرى 17 إمام أن تطبيق المذهب المالكي ضرورة بنسبة 17.90 % ، مقابل الإجابة (نوعاً ما) ، أي 12 إمام يحاولون تطبيق المالكي حسب الظروف بنسبة 12.60 % . أما المرتبة الثالثة ، فهي للفئة [20 – 30 [، والتي تنوعت الإجابات فيها ، فأجاب 15 إمام (نعم) بنسبة 15.80 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، 04 أئمة بنسبة 4.20 % ، وأخيراً (لا) ، حيث إمامين (02) بنسبة 2.10 % . أما الفئة الأخيرة [30 – فما فوق ... ، وهي الفئة الأكثر تجربة ، فلديهم إجابة وحيدة ، وهي (نعم) ، 06 أئمة بنسبة 6.30 % .

تجدر الإشارة إلى أن الفئة الأخيرة [30 – فما فوق ... تعتبر من المدرسة القديمة ، تعلمت في الزوايا القرآنية وتدرجت في مختلف مستويات العمل المسجدي ، حتى صار منهم من لديه رتبة إمام أستاذ ، فمنذ البدايات نهلوا الفقه والمعاملات وتسيير الشؤون الدينية وفق مذهب الإمام مالك والتابعين له ، بل إن بعضهم لا يعرف على ما تنبني عليه المذاهب الأخرى .

الالتزام الكلي / التكوين	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	02	% 2.10	02	% 2.10	--	--	**04**	**% 4.20**
لا	04	% 4.20	32	% 33.70	23	% 24.20	**59**	**% 62.10**
نوعاً ما	02	% 2.10	19	% 20	11	% 11.60	**32**	**% 33.70**
المجموع	**08**	**% 8.40**	**53**	**% 55.80**	**34**	**% 35.80**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 35 : يبيّن العلاقة بين التكوين المقدم والالتزام الكلي بتطبيق المذهب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين كفاية التكوين المقدم لأداء مهمة الإمام ، وإعاقة الالتزام بتطبيق التوجه المذهبي في أداء رسالته ، أي تأثير عامل التكوين المقدم من مادة علمية مبنية على التوجه المذهبي وإعاقته في أداء الرسالة ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (لا) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 53 إمام يطبق المذهب المالكي ولا يعيق هذا التطبيق في أداء رسالته بنسبة 55.80 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، أي 34 إمام يطبقون المذهب المالكي أحياناً ، ويعيقهم هذا التطبيق بنسبة 35.80 % ، فيما يرى 08 أئمة أن تطبيق المذهب المالكي ، وانتهاج هذا التوجه المذهبي يعيق كثيراً أداء الإمام لرسالته في مجتمع يعرف التفتح على المذاهب ، بل إن الكثير منهم لا تهمه أصلاً ، يأخذ بالرأي السهل وغير المكلف ، وذلك بنسبة 8.40 % .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين يرون التكوين المقدم للإمام غير كافٍ ، هي الغالبة ، تتكون من 59 إمام تنوعت إجاباتهم ، حيث أجاب 32 إمام (لا) بنسبة 33.70 % ، ثم 23 إمام أجاب (أحياناً) بنسبة 24.20 % وأخيراً الإجابة (نعم) ، 04 أئمة بنسبة 4.20 % . ثم جاءت في المرتبة الثانية الإجابة (نوعاً ما) ، فتنوعت إجاباتهم ، فأجاب 19 إمام (لا) تعيق الالتزام بالمذهب المالكي بنسبة 20 % ، ثم 11 إمام ، ترى (أحياناً) يعيق الالتزام بالمذهب المالكي أداء مهام الإمام بنسبة 11.60 % ، وإمامين (02) يرى صراحة بأن الالتزام يعيق بشكل كبير عمل الإمام في ظل التغيرات التي يعرفها المجتمع بنسبة 2.10 % . أما المرتبة الثالثة ، فهي الإجابة (نعم) ، والتي يرى فيها المبحوثين أن التكوين المقدم للإمام كافٍ لأداء رسالته على أكمل وجه ، فقد اختصرت على إجابتين (نعم) و(لا) ، حيث كانت الإجابتين متساويتين ، فإمامين (02) لكل إجابة بنسبة 2.10 % .

نشير أن موضوع المذهب المالكي والالتزام به كان محل نقاش واسع مع عينة الدراسة ، حيث وجدنا أن الأغلبية الساحقة ترى أن الصورة الشاملة للدين الإسلامي لا يمكن أن تكون خارج المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية ، فيقول أحد الأئمة :« إني لا أرى الجزائري خارج عن هذه الثلاثية ؛ المذهب المالكي ، العقيدة الأشعرية وبعض من تصوف الشيخ الجنيد » . كما نشير إلى أن الرافضين للالتزام بالمذهب المالكي ينطلقون من التطورات التي يعرفها العالم والمجتمع الجزائري خاصة في ظل الفضائيات والأنترنت ، فالسواد الأعظم من الجزائريين لا يعرفون حتى معنى المذهب المالكي ، إنهم ينظرون إلى ما يفيد دينهم ودنياه باسم الإسلام لا باسم الأئمة .

الالتزام الكلي / التنشيط	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إتقان الخطاب	03	% 2.10	39	% 27.27	28	% 19.58	**70**	**% 48.95**
أعمال الخير	03	% 2.10	23	% 16.08	18	% 12.59	**44**	**% 30.77**
دورات التكوين	02	% 1.40	05	% 3.50	13	% 9.09	**20**	**% 13.99**
صلاحيات أخرى	--	--	06	% 4.20	03	% 2.10	**09**	**% 6.29**
المجموع	**08**	**% 5.59**	**73**	**% 51.05**	**62**	**% 43.36**	**143**(*)	**% 100**

الجدول رقم 36 : يبيّن العلاقة بين تنشيط المسجد والالتزام الكلي بتطبيق المذهب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين التنشيط الديني ، أي الصلاحيات التي تمكِّن الإمام من القيام بخطوات عملية قد رأتها عينة الدراسة لتنشيط المسجد والعمل على توحيد صفوف المسلمين ، مع إعاقة الالتزام بتطبيق التوجه المذهبي في أداء رسالة الإمام الدينية ، التربوية والاجتماعية ، أي تأثير عناصر تنشيط المسجد على التوجه المذهبي وإعاقته في أداء الرسالة ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (إتقان الخطاب) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 70 إجابة بنسبة 48.95 % ، تليها الإجابة (أعمال الخير) ، أي 44 إجابة بنسبة 30.77 % ، ثم (دورات التكوين) ، أي 20 إجابة بنسبة 13.99 % ، وأخيراً بعض الصلاحيات الأخرى ، أي 09 إجابات بنسبة 6.29 % .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين يرون بأن الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد يعيق الإمام في أداء رسالته داخل وخارج المسجد قد تنوعت إجاباتهم ، حيث الإجابة (لا) هي الغالبة ، حيث تتكون من 73 إمام ، وكانت إجاباتهم حول صلاحيات التنشيط متنوعة ، فقد أجاب 39 إمام على (إتقان الخطاب) بنسبة 27.27 % ، مقابل 23 إمام أجاب (أعمال الخير) بنسبة 16.08 % ، ثم 05 أئمة أجابوا (دورات التكوين) بنسبة 3.50 % ، وأخيراً 06 أئمة أجابوا (صلاحيات أخرى) بنسبة 4.20 % .

نفس الشيء بالنسبة للإجابة (أحياناً) التي جاءت في المرتبة الثانية ، والتي تتكون من 62 إمام ، حيث توزعت إجاباتهم كذلك على كل الفئات ، فقد أجاب 28 إمام (إتقان الخطاب) بنسبة 19.58 % ، تليها (أعمال الخير) ، 18 إمام بنسبة 12.59 % ، ثم الإجابة (دورات التكوين) التي اقترحتها 13 إمام بنسبة 9.09 % ، وأخيراً الإجابة (صلاحيات أخرى) ، فقد أجاب بها 03 أئمة بنسبة 2.10 % . أما الإجابة للأئمة الذين أجابوا (نعم) حول مدى إعاقة الالتزام بالتوجه المذهبي لعملهم ، وهم 08 أئمة ، فقد خلت من الإجابة (صلاحيات أخرى) ليتوزع الأئمة على الإجابات المتبقية ، فكانت الإجابة (إتقان الخطاب) و(أعمال الخير) بنفس العدد ، أي 03 أئمة بنسبة 2.10 % ، مقابل إمامين (02) أجابوا (دورات التكوين) بنسبة 1.40 % من المجموع الكلي (143 إجابة) .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وهي نفس الملاحظة التي سوف نذكرها كلما تم تغير عدد إجابات عيّنة الدراسة ، وذلك من خلال تبويب الإجابة عل الأسئلة المفتوحة ، أو الإجابات التي تم تسجيلها عن طريق المسجلة .

تحقيق الأهداف / جوانب الخطاب	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
النظر في المراجع	12	% 6.78	14	% 7.91	45	% 25.42	**71**	**% 40.11**
النظر للأحوال	06	% 3.39	14	% 7.91	45	% 25.42	**65**	**% 36.72**
النظر في التكوين	04	% 2.26	08	% 4.52	22	% 12.43	**34**	**% 19.21**
جوانب أخرى	--	--	02	% 1.13	05	% 2.82	**07**	**% 3.95**
المجموع	**22**	**% 12.43**	**38**	**% 21.47**	**117**	**% 66.10**	**177**(*)	**% 100**

الجدول رقم 37 : يبيّن العلاقة بين جوانب الخطاب وتحقيقه للأهداف المرجوة .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين جوانب الخطاب ، أي الجوانب التي تعتقد عينة الدراسة بأنه يجب إعادة النظر فيها ، مع تحقيق الأهداف ، أي كفالة الخطاب المستعمل داخل المسجد في تحقيق الأهداف الإسلامية المرجوة . بصيغة أخرى تأثير الجوانب التي يُعتقد ضرورة إعادة النظر فيها لاستطاعة الخطاب الديني تحقيق الأهداف الإسلامية التي يسعى الإمام للوصول إليها من خلال عمله اليومي داخل المسجد وبين أفراد المجتمع .

يظهر من المعطيات الإحصائية بأن (إعادة النظر في المراجع) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 71 إجابة بنسبة 40.11 % ، تليها (إعادة النظر في الأحوال) ، أي 65 إجابة بنسبة 36.72 % ، ثم (إعادة النظر في التكوين) ، أي 34 إجابة بنسبة 19.21 % ، وأخيراً بعض الجوانب الأخرى ، أي 07 إجابات بنسبة 3.95 % . أما بالنسبة لتحقيق الأهداف ، أو استطاعة الخطاب المستعمل في تحقيق الأهداف ، فإن الإجابة (نوعاً ما) هي الغالبة ، أي 117 إجابة بنسبة 66.10 % ، يليها الإجابة (لا) ، 38 إجابة بنسبة 21.47 % وأخيراً الإجابة (نعم) ، 22 إجابة بنسبة 12.43 % .

من جهة أخرى ، فالإجابة (إعادة النظر في المراجع) ، تنوعت معها الإجابات في التكوين ، حيث نجد 45 إجابة (نوعاً ما) بنسبة 25.42 % ، تليها الإجابة (لا) ، 14 إجابة بنسبة 7.91 % وأخيراً الإجابة (نعم) ، أي 12 إجابة بنسبة 6.78 % . بنفس التنوع في مختلف الإجابات قابلت الإجابة (إعادة النظر في الأحوال) ، حيث نجد 45 إجابة (نوعاً ما) بنسبة 25.42 % ، تليها الإجابة (لا) ، أي 14 إجابة بنسبة 7.91 % ، ثم الإجابة (نعم) ، أي 06 إجابات بنسبة 3.39 % .

ونفس الشيء عرفته الإجابة (إعادة النظر في الأحوال) ، حيث نجد 22 إجابة (نعم) بنسبة 12.43 % ، ثم (لا) ، 08 إجابات 4.52 % ، ثم (نعم) ، 04 إجابات بنسبة 2.26 % . فيما اقتصرت إعادة النظر في جوانب أخرى على (نوعا ما) ، 05 إجابات بنسبة 2.82 % ، والإجابة (لا) ، أي إجابتين (02) بنسبة 1.13 % من المجموع الكلي للإجابات (177 إجابة) .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وهي نفس الملاحظة التي سوف نذكرها كلما تم تغير عدد إجابات عيّنة الدراسة ، وذلك من خلال تبويب الإجابة عل الأسئلة المفتوحة ، أو الإجابات التي تم تسجيلها عن طريق المسجلة .

التعامل / التنشيط	التوجيه		النصيحة		الإهمال		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
إتقان الخطاب	55	% 38.46	13	% 9.09	02	% 1.40	**70**	**% 48.95**
أعمال الخير	30	% 20.98	12	% 8.39	02	% 1.40	**44**	**% 30.77**
دورات التكوين	16	% 11.19	04	% 2.80	--	--	**20**	**% 13.99**
صلاحيات أخرى	08	% 5.59	01	% 0.70	--	--	**09**	**% 6.29**
المجموع	**109**	**% 76.22**	**30**	**% 20.98**	**04**	**% 2.80**	**143**	**% 100**

الجدول رقم 38 : يبيّن العلاقة بين تنشيط المسجد والتعامل مع التوجهات المختلفة للمصلين .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين التنشيط الديني ، أي الصلاحيات التي تمكِّن الإمام من القيام بخطوات عملية قد رأتها عينة الدراسة لتنشيط المسجد والعمل على توحيد صفوف المسلمين ، مع كيفية التعامل مع المخالفين في التوجه المذهبي ، أي تأثير عناصر تنشيط المسجد على كيفية التعامل مع المخالفين ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (إتقان الخطاب) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 70 إجابة بنسبة 48.95 % ، تليها الإجابة (أعمال الخير) ، أي 44 إجابة بنسبة 30.77 % ، ثم (دورات التكوين) ، أي 20 إجابة بنسبة 13.99 % ، وأخيراً بعض الصلاحيات الأخرى ، أي 09 إجابات بنسبة 6.29 % . كما نجد أن الإجابة (التوجيه) تمثل الاتجاه العام للجدول ، حيث نجد 109 إجابة بنسبة 76.22 % ، تليها (النصيحة) ، 30 إجابة بنسبة 20.98 % ، ثم الإهمال 04 إجابات بنسبة 2.80 % من المجموع الكلي للإجابات (143 إجابة) .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين يرون (إتقان الخطاب) تعددت إجاباتهم في التعامل مع المخالفين ، حيث نجد 55 ترى (التوجيه) بنسبة 38.46 % ، تليها 13 إجابة تفضل (النصيحة) بنسبة 9.09 % ، ثم إجابتين (02) تعتقد الإهمال بنسبة 1.40 % . أما الأئمة الذين يرون (أعمال الخير) ، هم كذلك تعددت إجاباتهم حول التعامل مع المخالفين ، حيث نجد 30 إجابة ترى (التوجيه) بنسبة 20.98 % ، تليها 12 إجابة تفضل النصيحة بنسبة 8.39 % ، ثم إجابتين (02) تعتقد (الإهمال) بنسبة 1.40 % .

أما فيما يخص (دورات التكوين) ، فإن إجابات التعامل مع المخالفين اقتصرت على (التوجيه) ، ثم (النصيحة) فقط ، حيث نجد 16 إجابة ترى (التوجيه) بنسبة 11.19 % ، مقابل 04 إجابات تفضل (النصيحة) بنسبة 2.80 % . فيما اقتصرت كذلك الإجابة (صلاحيات أخرى) على (التوجيه) ثم (النصيحة) ، إذ نجد 08 إجابات ترى (التوجيه) بنسبة 5.59 % ، مقابل إجابة واحدة تفضل (النصيحة) بنسبة 0.70 % .

التعامل / الالتزام الكلي	التوجيه		النصيحة		الإهمال		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	05	% 5.30	03	% 3.20	--	--	**8**	**% 8.40**
لا	39	% 41.10	12	% 12.60	02	% 2.10	**53**	**% 55.80**
أحياناً	30	% 31.60	04	% 4.20	--	--	**34**	**% 35.80**
المجموع	**74**	**% 77.90**	**19**	**% 20**	**02**	**% 2.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 39 : يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي والتعامل مع المخالفين لهذا التوجه .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الالتزام الكلي ، أي مدى إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد في أداء الإمام لرسالته ، ، مع كيفية التعامل مع المخالفين في المذهب ، أي تأثير هذه الإعاقة في كيفية التعامل مع المخالفين . نذكر بأن كل الترابطات التي يكون فيها التعامل مع المخالفين في التوجه ، يكون فيها (التوجيه) هو الصفة أو الإجابة الغالبة ، أي 74 إمام بنسبة 77.90 % ، تليها (النصيحة) ، أي 19 إمام بنسبة 20 % وأخيراً (الإهمال) ، إمامين (02) بنسبة 2.10 % . كما أن كل الترابطات التي يكون فيها إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد من المتغيرات ، فإن المجاميع تكون على الشكل التالي : الاتجاه العام هو الإجابة (لا) ، 53 إمام بنسبة 55.80 % ، المرتبة الثانية : الإجابة (أحياناً) ، 34 إمام بنسبة 36.80 % ، وأخيراً الإجابة (نعم) ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % . فهذه القيّم سوف تتكرر معنا كلما أقمنا ارتباطاً يكون فيه أحد المتغيرين موجود .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين أجابوا (لا) في إعاقة الالتزام بالتوجه المذهبي الوحيد ، قد تعددت إجاباتهم في التعامل مع المخالفين ، حيث نجد 39 ترى (التوجيه) بنسبة 41.10 % ، تليها 12 إجابة تفضل (النصيحة) بنسبة 12.60 % ، ثم إجابتين (02) تعتقد الإهمال بنسبة 1.40 % . أما الأئمة الذين يرون بأن إعاقة الالتزام بالتوجه المذهبي تكون (أحياناً) وليس دائماً ، فقد اقتصرت على (التوجيه) أو (النصيحة) ، حيث نجد 30 إمام يرى (التوجيه) بنسبة 31.60 % ، مقابل 04 إجابات تفضل (النصيحة) بنسبة 4.20 % . كما أن الأئمة الذين يعتقدون (نعم) ، بأن الالتزام الكلي يعيق الإمام في أداء رسالته ، حيث اقتصرت إجاباتهم على (التوجيه) ، 05 إجابات بنسبة 5.30 % مقابل 03 إجابات تفضل (النصيحة) بنسبة 3.20 % .

نشير إلى الأهمية التي أولتها عيّنة الدراسة للكيفية التي يتم التعامل فيها مع المذهب المالكي ، سواء من جهة الوصاية ، أو من جهة بعض الأئمة الجدد نسبياً ، حيث يرجعون ذلك إلى تأثير قضايا المجتمع على المساجد وليس العكس ، إن حديث السنوات الأخيرة التي فتح فيها المجتمع الحديث عن مختلف المكونات الأساسية للهوية الوطني ، جعل من المذهب المالكي كأحد هذه المكونات محل نقاش ، مثل اللغة وما حملته هذه النقاشات من تناقضات يعيشها المجتمع الجزائري ، يقول أحد الأئمة :« لقد عايشنا فترة خشينا فيها أن تناقش إسلامية المجتمع ، وضرورة التفتح على الديانات ، لكنها اقتصرت على التفتح على المذاهب ، وهذا ما يجعل بعض الأئمة رغم تكوينه المالكي وقناعتهم بما فيه من اعتدال ووسطية لا توجد في أي مذهب آخر ، إلا أنهم يضعونه موضع الشك » .

التنوع / الالتزام الكلي	نعـــم		لا		نوعاً ما		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	04	% 4.20	--	--	04	% 4.20	**8**	**% 8.40**
لا	28	% 29.50	08	% 8.40	17	% 17.90	**53**	**% 55.80**
أحياناً	13	% 13.70	09	% 9.50	12	% 12.60	**34**	**% 35.80**
المجموع	**45**	**% 47.40**	**17**	**% 17.90**	**33**	**% 34.70**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 40 : يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي ومساهمة التنوع في المشارب في تطوير الخطاب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الالتزام الكلي ، أي مدى إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد في أداء الإمام لرسالته ، مع اعتقاد الأئمة في التنوع في المناهل والمشارب ، ومدى مساعدتها على تطوير الخطاب الديني ، أي تأثير هذه الإعاقة في كيفية التعامل مع التنوع الذي يأتي به المصلين إلى المسجد . فنذكر بأن كل الترابطات التي يكون فيها إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد من المتغيرات ، فإن المجاميع ، وليس خانات الترابط داخل الجدول يكون الاتجاه العام هو الإجابة (لا) ، 53 إمام بنسبة 55.80 % ، المرتبة الثانية الإجابة (أحياناً) ، أي 34 إمام بنسبة 36.80 % ، وأخيراً الإجابة (نعم) ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

تظهر من المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 45 إمام بنسبة 47.40 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 33 إمام بنسبة 34.70 % ، وأخيراً الإجابة (لا) ، أي 17 إمام يرى بأن التنوع لا يساعد بنسبة 17.90 % .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين يرون بأنه (لا) يمكن للتوجه المالكي أن يعيق رسالتهم وعملهم ، تنوعت إجاباتهم ، حيث يرى 28 إمام أن التنوع يساعد الإمام ، أي (نعم) بنسبة 29.50 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 17 إمام بنسبة 17.90 % ، ثم الإجابة (لا) ، حيث يرى 08 أئمة بأن هذا التنوع مضر ، ولا يخدم مصالح الأمة والمجتمع ، وذلك بنسبة 8.40 % . أما الذين يرون بأن الالتزام الكلي يعيق (أحياناً) عمل الإمام ورسالته ، فقد تنوعت كذلك إجاباتهم ، حيث يرى 13 إمام بأن التنوع (نعم) يفيد في تطوير الخطاب بنسبة 13.70 % ، بينما يرى 12 إمام أن هذا التنوع (نوعاً ما) يساهم بنسبة 12.60 % ، في حين يرفض 09 أئمة التنوع ، وضرورة توحيد المنهل أو المنبع الذي يأخذ منه المجتمع لتوحيد الصفوف بنسبة 9.50 % . أما الأئمة الذين يعتقدون بأن الالتزام بالتوجه المذهبي يعيق عملهم ويؤخر وصول رسالتهم ، وتحقيق خطابهم للمبتغى ، أي الإجابة (نعم) ، فقد اقتصرت إجاباتهم على خانتين فقط ، وبعدد متساوٍ من الإجابات ، أي 04 أئمة بنسبة 4.20 % .

تجدر الإشارة أن الأئمة الذين رأوا في أن التنوع في المشارب والمناهل مفيد ، وعلى التزامهم الكلي بالمذهب المالكي ، يرون بأن هذا التنوع يفيد الإمام ولا يفيد الخطاب ، يفيد الإمام من حيث أنه يمكنه من التعامل مع هذه المشارب وهذه التوجهات عن علم ، وتقوي من وسائله في الدفاع عن دعائم خطاب الأمة .

المصادر / الالتزام الكلي	الأنترنت	كتب دينية	كتب أدبية	مصادر أخرى	المجموع
	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة
نعم	02 % 1.19	08 % 4.76	-- --	01 % 0.60	**11** **% 6.55**
لا	19 % 11.31	51 % 30.36	10 % 5.95	03 % 1.79	**83** **% 49.40**
أحياناً	19 % 11.31	34 % 20.24	18 % 10.71	03 % 1.79	**74** **% 44.05**
المجموع	**40** **% 23.81**	**93** **% 55.36**	**28** **% 16.67**	**07** **% 4.17**	**168**(*) **% 100**

الجدول رقم 41 : يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي والمصادر المستعملة لإعداد الخطاب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الالتزام الكلي ، أي مدى إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد في أداء الإمام لرسالته ، مع المصادر التي يستعين بها الإمام في تحضير مادة الخطاب ، أي تأثير هذه الإعاقة في كيفية التعامل مع التنوع الذي يأتي به المصلين إلى المسجد . فنذكر بأن كل الترابطات التي يكون فيها إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد من المتغيرات ، فإن المجاميع ، يكون الاتجاه العام هو الإجابة (لا) ، 53 إمام بنسبة 55.80 % ، المرتبة الثانية الإجابة (أحياناً) ، أي 34 إمام بنسبة 36.80 % ، وأخيراً الإجابة (نعم) ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % . فتظهر من المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (كتب دينية) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 93 إجابة بنسبة 55.36 % ، ثم الإجابة (الأنترنت) ، أي 40 إجابة بنسبة 23.81 % ، ثم (كتب أدبية وعلمية) ، أي 28 إجابة بنسبة 16.67 % ، وأخيراً الإجابة (مصادر أخرى) ، أي 07 إجابات بنسبة 4.17 % .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين يرون بأنه (لا) يمكن للتوجه المالكي أن يعيق رسالتهم وعملهم ، تنوعت إجاباتهم ، حيث سجلنا 51 إجابة ترى اعتمادها الأساسي على الكتب الدينية القديمة بنسبة 30.36 % ، تليها الإجابة (الأنترنت) ، أي 19 إجابة بنسبة 11.31 % ، ثم الإجابة (كتب أدبية) ، أي 10 إجابات بنسبة 5.95 % وأخيراً (مصادر متنوعة) ، أي 03 إجابات بنسبة 1.79 % .

أما الذين يرون بأن الالتزام الكلي يعيق (أحياناً) عمل الإمام ، فقد تنوعت كذلك إجاباتهم فنسجل 34 إجابة (كتب دينية) بنسبة 20.24 % ، (الأنترنت) 19 إجابة بنسبة 11.31 % ، (كتب أدبية) ، 18 إجابة بنسبة 10.71 % ، (مصادر أخرى) ، 03 إجابات بنسبة 1.79 % . أما الأئمة الذين يعتقدون (نعم) بأن الالتزام بالتوجه المذهب يعيق عملهم ، فنسجل 08 إجابات (كتب دينية) بنسبة 4.76 % ، (الأنترنت) إجابتين (02) بنسبة 1.19 % ، و(مصادر أخرى) ، إجابة واحدة (01) بنسبة 0.60 % .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وهي نفس الملاحظة التي سوف نذكرها كلما تم تغير عدد إجابات عيّنة الدراسة ، وذلك من خلال تبويب الإجابة عل الأسئلة المفتوحة ، أو الإجابات التي تم تسجيلها عن طريق المسجلة .

مراجع أخرى / الالتزام الكلي	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	06	% 6.30	02	% 2.10	--	--	**8**	**% 8.40**
لا	33	% 34.70	06	% 6.30	14	% 14.70	**53**	**% 55.80**
أحياناً	28	% 29.50	--	--	06	% 6.30	**34**	**% 35.80**
المجموع	**67**	**% 70.50**	**08**	**% 8.40**	**20**	**% 21.10**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 42 : يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي واستعمال المراجع الفكرية والعلمية لإعداد الخطاب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين الالتزام الكلي ، أي مدى إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد في أداء الإمام لرسالته ، مع استعمال لمراجع أخرى غير المتوارث عليها (كتب فكرية وعلمية) ، أي تأثير هذه الإعاقة في كيفية التعامل مع التنوع الذي يأتي به المصلين إلى المسجد . فنذكر بأن كل الترابطات التي يكون فيها إعاقة الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد من المتغيرات ، فإن المجاميع ، وليس خانات الترابط داخل الجدول يكون الاتجاه العام هو الإجابة (لا) ، 53 إمام بنسبة 55.80 % ، الرتبة الثانية الإجابة (أحياناً) ، أي 34 إمام بنسبة 36.80 % ، وأخيراً الإجابة (نعم) ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % . حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 67 إمام بنسبة 70.50 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، أي 20 إمام بنسبة 21.10 % ، وأخيراً الإجابة (لا) ، 08 أئمة بنسبة 8.40 % .

من جهة أخرى ، فإن الأئمة الذين يرون بأنه (لا) يمكن للتوجه المالكي أن يعيق رسالتهم وعملهم ، تنوعت إجاباتهم ، حيث سجلنا 33 إمام يرى اعتماده على بعض الكتب العلمية بنسبة 34.70 % ، تليها الإجابة (أحياناً) ، أي 14 إمام بنسبة 14.70 % ، وأخيراً (لا) يستعملون الكتب العلمية ، أي 06 أئمة بنسبة 6.30 % . أما الذين يرون بأن الالتزام الكلي يعيق (أحياناً) عمل الإمام ، فقد اقتصرت إجاباتهم على (نعم) ، أي 28 إمام بنسبة 29.50 % ، مقابل (أحياناً) ، أي 06 أئمة بنسبة 6.30 % . أما الأئمة الذين يعتقدون (نعم) بأن الالتزام بالتوجه المذهب يعيق عملهم ، فنسجل 06 أئمة أجابوا (أحياناً) بنسبة 6.30 % ، مقابل إمامين (02) أجابوا (لا) بنسبة 2.10 % .

تجدر الإشارة بأن الأئمة الذين التقينا بهم ، وحاورناهم في موضوع الدراسة والمصادر والمراجع المستعملة ، وهل تواكب الواقع الذي يعيشه اليوم ، خاصة لما حاولنا التحدث عن الواقع الاجتماعي الذي تم تأليف فيه هذه الكتب ، أكد أغلبية المبحوثين أن المجتمع لا يزال في حاجة إلى كتب التراث ، خاصة كتب التفسير والسيرة والفقه ، لأنها كتب تتحدث عن أمور في الدين لا يستطيع الإمام الاستغناء عنها ، لكنهم أجمعوا أنهم يطالعون الأنترنت لتحميل بعض الكتب النادرة ومطالعة الجديد من الفتوى ، كما يستمعون إلى الدعاة ، حتى الذين يختلفون معهم في المذهب من أجل تراكم المعلومات وتكوين مادة يستطيع الإمام استغلالها للتحضير الجيّد لمختلف الخُطب ، الدروس والمواعظ .

المواصفات / التنوع	واقعي	هادف وموجه	عاطفي وحماسي	أخرى	المجموع
	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة
نعم	25 % 14.88	40 % 23.81	12 % 7.14	-- --	**77** **% 45.83**
لا	06 % 3.57	13 % 7.74	02 % 1.19	02 % 1.19	**23** **% 13.69**
نوعاً ما	29 % 17.26	20 % 11.90	14 % 8.33	05 % 2.98	**68** **% 40.48**
المجموع	**60** **% 35.71**	**73** **% 43.45**	**28** **% 16.67**	**07** **% 4.17**	**168**(*) **% 100**

الجدول رقم 43 : يبيّن العلاقة بين التنوع في المشارب ومواصفات الخطاب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين التنوع في التوجه والمشارب ومساعدته في تطوير الخطاب ، مع مواصفات الخطاب التي رأتها عيّنة الدراسة بأنها تصل بسهولة إلى الجماهير ، أي تأثير هذه التنوع في التوجه والمشارب مع ما يراه الأئمة بأنه يؤثر في المتلقي . فنذكر بأن كل الترابطات التي يكون فيها التنوع متغير فإن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 45 إمام بنسبة 47.40 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 33 إمام بنسبة 34.70 % ، وأخيراً الإجابة (لا) ، أي 17 إمام يرى بأن التنوع لا يساعد بنسبة 17.90 % . أما مواصفات الخطاب المؤثر ، والذي يسهل بسهولة إلى الجماهير ، هو الخطاب الذي يحمل صفة (هادف وموجه) هي الغالبة ، أي 73 إجابة بنسبة 43.45 % ، تليها (واقعي) ، أي 60 إجابة بنسبة 35.71 % ، ثم خطاب (عاطفي وحماسي) ، أي 28 إجابة بنسبة 16.67 % ، وأخيراً (مواصفات أخرى) ، أي 07 إجابات بنسبة 4.17 % .

إن الأئمة الذين يرون بأن (نوعاً ما) التنوع يساهم في تطوير الخطاب الديني ، كانت إجاباتهم متنوعة فيما يخص مواصفات الخطاب ، حيث جاءت صفة (واقعي) هي الغالبة ، أي 29 إجابة بنسبة 17.26 % ، تليها (هادف وموجه) ، 20 إجابة بنسبة 11.90 % ، ثم (عاطفي وحماسي) ، 14 إجابة بنسبة 8.33 % ، وأخيراً (مواصفات أخرى) ، 05 إجابات بنسبة 2.98 % . أما الذين يرون أن التنوع (لا) يساعد ، فجاءت إجاباتهم متنوعة ، حيث (هادف وموجه) هي الغالبة ، أي 13 إجابة بنسبة 7.74 % ، تليها (واقعي) ، 06 إجابات بنسبة 3.57 % ، ثم (عاطفي وحماسي) مع (مواصفات أخرى) بنفس عدد الإجابات ، إجابتين (02) بنسبة 1.19 % .

أما الذين يرون بأن التنوع (نعم) يفيد ، فكانت صفة (هادف وموجه) هي الغالبة ، 40 إجابة بنسبة 23.81 % ، تلتها (واقعي) ، 25 إجابة بنسبة 14.88 % ، وأخيراً (عاطفي وحماسي) ، 12 إجابة بنسبة 7.14 % من المجموع الكلي لإجابات (168) .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وهي نفس الملاحظة التي سوف نذكرها كلما تم تغير عدد إجابات عيّنة الدراسة ، وذلك من خلال تبويب الإجابة عل الأسئلة المفتوحة ، أو الإجابات التي تم تسجيلها عن طريق المسجلة .

التجديد / التنوع	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	34	% 35.80	02	% 2.10	09	% 9.50	**45**	**% 47.40**
لا	15	% 15.80	--	--	02	% 2.10	**17**	**% 17.90**
نوعاً ما	25	% 26.30	--	--	08	% 8.40	**33**	**% 34.70**
المجموع	**74**	**% 77.90**	**02**	**% 2.10**	**19**	**% 20**	**95**	**% 100**

الجدول رقم 44 : يبيّن العلاقة بين اعتقاد الوصاية بالوحدة المذهبية وتكوين الإمام .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين التنوع في التوجه والمشارب ومساعدته في تطوير الخطاب ، مع ضرورة تجديد الخطاب حتى يتلاءم مع مستجدات الواقع المعاش ، أي تأثير هذه التنوع في التوجه والمشارب مع رؤية الأئمة لتجديد الخطاب الديني . نذكر بأن كل الترابطات التي يكون فيها التنوع متغير فإن الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 45 إمام بنسبة 47.40 % ، تليها الإجابة (نوعاً ما) ، أي 33 إمام بنسبة 34.70 % ، وأخيراً الإجابة (لا) ، أي 17 إمام يرى بأن التنوع لا يساعد بنسبة 17.90 % .

أما بالنسبة لتجديد الخطاب الديني ، فإن (نعم) ، التي تعني ضرورة تجديد هذا الخطاب هي الإجابة الغالبة ، أي 74 إمام بنسبة 77.90 % ، وهي نسبة كبيرة جداً ، تليها (أحياناً) ، أي 19 إجابة بنسبة 20 % ، وأخيراً (لا) ضرورة للتجديد ، أي إجابتين (02) بنسبة 2.10 % .

إن الأئمة الذين يرون بأن (نعم) التنوع يساهم في تطوير الخطاب الديني ، كانت إجاباتهم متنوعة فيما يخص ضرورة تجديد الخطاب ، حيث جاءت الإجابة (نعم) هي الغالبة ، أي 34 إجابة بنسبة 35.80 % ، تليها (أحياناً) أي 09 إجابات بنسبة 9.50 % ، وأخيراً (لا) يرون التجديد ، أي إجابتين (02) بنسبة 2.10 % . أما الذين يرون أن التنوع (نوعاً ما) يساعد ، فاقتصرت إجاباتهم على (نعم) لتجديد الخطاب ، أي 25 إجابة بنسبة 26.30 % ، مقابل (أحياناً) ، 08 إجابات بنسبة 8.40 % . والذين يرون بأن التنوع (لا) يفيد ، فنفس الشيء ، اقتصرت إجاباتهم على (نعم) لتجديد الخطاب ، أي 15 إجابة بنسبة 15.80 % ، مقابل (أحياناً) ، أي إجابتين (02) بنسبة 2.10 % .

تجدر الإشارة أن مفهوم التجديد بالنسبة لعيّنة الدراسة ، أخذ الكثير من النقاش ، ووجدنا الكثير من الأئمة على اطلاع بمختلف مفاهيم التجديد ، من التجديد الشرعي المبني على حديث المائة عام ، إلى التجديد العصري الذي تمليه عوامل سياسية وإستراتيجية عالمية أكثر منها محلية أو إسلامية ، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر والتطورات التي عرفها العالم المتقدم ، وسياسة الحرب الشاملة على المعتقدات والديانات من طرف عالم المادة والمصالح .

التجديد / المواصفات	نعـــم		لا		أحياناً		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
واقعي	48	% 28.57	--	--	12	% 7.14	**60**	**% 35.71**
هادف وموجه	58	% 34.52	02	% 1.19	13	% 7.74	**73**	**% 43.45**
عاطفي وحماسي	21	% 12.50	02	% 1.19	05	% 2.98	**28**	**% 16.67**
أخرى	06	% 3.57	--	--	01	% 0.60	**07**	**% 4.17**
المجموع	**133**	**% 79.17**	**04**	**% 2.38**	**31**	**% 18.45**	**168**	**% 100**

الجدول رقم 45 : يبيّن العلاقة بين مواصفات الخطاب وضرورة التجديد .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين مواصفات الخطاب الذي يصل بسهولة إلى الجماهير ، مع ضرورة تجديد الخطاب حتى يتلاءم مع مستجدات الواقع المعاش ، أي تأثير هذه مواصفات الخطاب وبالتالي تأثيره على أفراد المجتمع بإدخال عناصر التجديد .

نذكر بأن ترابطات المتغير مواصفات الخطاب المؤثر ، والذي يسهل بسهولة إلى الجماهير ، والذي يحمل صفة (هادف وموجه) هي الغالبة ، أي 73 إجابة بنسبة 43.45 % ، تليها (واقعي) ، أي 60 إجابة بنسبة 35.71 % ، ثم خطاب (عاطفي وحماسي) ، أي 28 إجابة بنسبة 16.67 % ، وأخيراً (مواصفات أخرى) ، أي 07 إجابات بنسبة 4.17 % . نفس الشيء بالنسبة لتجديد الخطاب ، فإن (نعم) ، وتعني ضرورة تجديد الخطاب هي الإجابة الغالبة ، 74 إمام بنسبة 77.90 % ، تليها (أحياناً) ، 19 إجابة بنسبة 20 % ، وأخيراً (لا) ضرورة للتجديد ، إجابتين (02) بنسبة 2.10 % .

إن الأئمة الذين يرون بأن صفة الخطاب (هادف وموجه) ، جاءت إجاباتهم متنوعة فيما يخص ضرورة تجديد الخطاب المعاصر ، فالإجابة (نعم) هي الغالبة ، أي 58 إجابة بنسبة 34.52 % ، تليها (أحياناً) ، 13 إجابة بنسبة 7.74 % ، وأخيراً (لا) يرون التجديد ، أي إجابتين (02) بنسبة 1.19 % . أما الذين يرون أن الخطاب (عاطفي وحماسي) ، والذي يحرك عواطف المصلين ، هو المؤثر ويصل بسهولة كبيرة ، فكانت إجاباتهم متنوعة ، حيث جاءت الإجابة (نعم) في 21 إجابة بنسبة 12.50 % ، ثم (أحياناً) في 05 إجابات بنسبة 2.98 % ، وأخيراً (لا) ، فجاءت في إجابتين (02) بنسبة 1.19 % .

أما الأئمة الذين يرون بأن الخطاب يجب أن يكون (واقعي) ، فقد اقتصرت إجاباتهم على (نعم) لتجديد الخطاب ، أي 48 إجابة بنسبة 28.57 % ، مقابل (أحياناً) ، 12 إجابات بنسبة 7.14 % . ونفس الشيء بالنسبة للأئمة الذين اختاروا (مواصفات أخرى) ، حيث اقتصرت إجاباتهم على (نعم) لتجديد الخطاب ، أي 06 إجابات بنسبة 3.57 % ، مقابل (أحياناً) ، أي إجابة وحيدة (01) بنسبة 0.60 % .

المصادر / التنشيط	الأنترنت	كتب دينية	كتب أدبية	مصادر أخرى	المجموع
	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة	التكرار النسبة
إتقان الخطاب	29 % 10.70	70 % 25.83	23 % 8.49	04 % 1.48	**126** **% 46.49**
أعمال الخير	24 % 8.86	43 % 15.87	19 % 7.01	04 % 1.48	**90** **% 33.21**
دورات التكوين	09 % 3.32	19 % 7.01	13 % 4.80	01 % 0.37	**42** **% 15.50**
صلاحيات أخرى	03 % 1.11	09 % 3.32	-- --	01 % 0.37	**13** **% 4.80**
المجموع	**65** **% 23.99**	**141** **% 52.03**	**55** **% 20.30**	**10** **% 3.69**	**271**(*) **% 100**

الجدول رقم 46 : يبيّن العلاقة بين تنشيط المسجد والمصادر المستعملة في تحضير الخطاب .

التحليل الإحصائي :

الجدول يحاول توضيح العلاقة الموجودة بين التنشيط الديني ، أي الصلاحيات التي تمكّن الإمام من القيام بخطوات عملية قد رأتها عينة الدراسة لتنشيط المسجد والعمل على توحيد صفوف المسلمين ، مع المصادر التي يستعين بها الإمام في تحضير مادة الخطاب ، أي تأثير عناصر تنشيط المسجد المختلفة على المصادر التي يستعملها الإمام ، حيث تُظهر المعطيات الإحصائية بأن الإجابة (إتقان الخطاب) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 126 إجابة بنسبة 46.49 % ، تليها الإجابة (أعمال الخير) ، أي 90 إجابة بنسبة 33.21 % ، ثم (دورات التكوين) ، أي 42 إجابة بنسبة 15.50 % ، وأخيراً (صلاحيات أخرى) ، أي 13 إجابة بنسبة 4.80 % . كما تظهر الإجابة (كتب دينية) هي الغالبة ، أو الممثلة للاتجاه العام ، أي 141 إجابة بنسبة 52.03 % ، تليها الإجابة (الأنترنت) ، 65 إجابة بنسبة 23.99 % ، ثم (كتب أدبية) ، 55 إجابة بنسبة 20.30 % ، وأخيراً (مصادر أخرى) ، أي 10 إجابات بنسبة 3.69 % .

فالأئمة الذين ينظرون في (إتقان الخطاب) من أجل القيام بدورهم الريادي ورسالتهم النبيلة ، جاءت إجاباتهم متنوعة فيما يخص المصادر المستعملة ، فالإجابة (كتب دينية) هي الغالبة ، 70 إجابة بنسبة 25.83 % ، تليها استعمال (الأنترنت) ، 29 إجابة بنسبة 10.70 % ، ثم استعمال (كتب أدبية) ، 23 إجابة بنسبة 8.49 % ، وأخيراً استعمال (مصادر أخرى) ، 04 إجابات بنسبة 1.48 % . أما الذين يرون (أعمال الخير) ، فكانت إجاباتهم متنوعة كذلك ، حيث جاءت الإجابة (كتب دينية) هي الغالبة ، 43 إجابة بنسبة 15.87 % ، تليها (الأنترنت) ، 24 إجابة بنسبة 8.86 % ، ثم (كتب أدبية) ، 19 إجابة بنسبة 7.01 % ، وأخيراً استعمال (مصادر أخرى) ، 04 إجابات بنسبة 1.48 % .

(*) نلاحظ أن العدد الكلي للإجابات أكبر بكثير من عيّنة الدراسة (95) ، وهي نفس الملاحظة التي سوف نذكرها كلما تم تغير عدد إجابات عيّنة الدراسة ، وذلك من خلال تبويب الإجابة عل الأسئلة المفتوحة ، أو الإجابات التي تم تسجيلها عن طريق المسجلة .

أما الأئمة الذين يرون (دورات التكوين) ، فكانت إجاباتهم متنوعة كذلك ، حيث جاءت الإجابة (كتب دينية) هي الغالبة ، 19 إجابة بنسبة 7.01 % ، ثم (كتب أدبية) ، 13 إجابة بنسبة 4.80 % ، تليها (الأنترنت) أي 09 إجابات بنسبة 3.32 % ، وأخيراً استعمال (مصادر أخرى) ، أي إجابة واحدة (01) بنسبة 0.37 % . أما الذين يرون (صلاحيات أخرى) ، فكانت إجاباتهم متنوعة كذلك ، حيث الإجابة (كتب دينية) هي الغالبة ، 09 إجابات بنسبة 3.32 % ، تليها (الأنترنت) ، 03 إجابات بنسبة 1.11 % ، وأخيراً استعمال (مصادر أخرى) ، أي إجابة واحدة (01) بنسبة 0.37 % من المجموع الكلي للإجابات (271) .

ثانياً : تحليل معطيات الفرضية الثالثة :

لقد اعتمدنا منذ البداية على أن الخطاب الديني هو كل بيان باسم الدين ، لكن هذا البيان له العديد من القواعد التي يستند عليها ، أبرزها بالنسبة للخطاب الديني في المساجد الجزائرية التوجه المذهبي ، أو استعمال المذهب المالكي . ومن أجل التحقق من صحة الفرضية الثالثة ، كان لا بد من النظر في مدى الالتزام بالمذهب الملكي عند عيّنة الدراسة ، تنشيط المسجد الذي يتطلب إتقان الخطاب المسجدي ، المشاركة مع الوصاية في الدورات التكوينية ، تسطير البرامج التي تساهم في مساعدة الغير .

كما تظهر صورة الخطاب الديني من خلال المصادر والمراجع التي يستعملها الإمام لصياغة الخطاب ، والتي من خلالها يتم معرفة أكثر الخطابات وصولاً إلى المتلقي ، وبالتالي كيفية تعامل الإمام مع هذه المعطيات ، خاصة فيما تعلق بمحاولة تجديد هذا الخطاب من عدمه ، وهل يرافق هذا التجديد من إعادة النظر في الجوانب التي يتكون منها الخطاب الديني ؟. وهي جملة النقاط التي ضمها المحور الثالث من التقنية المستعملة في هذه الدراسة (الاستبيان بالمقابلة) ، حيث تحصلنا على العديد من المعطيات المهمة ، وسجلنا الكثير من الملاحظات التي سوف نتطرق لها في سياق تحليل معطيات الفرضية الثالثة .

إن الالتزام بالمذهب المالكي بالنسبة للمجتمع الجزائري يرجع إلى كونه يمثل الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، هذا الالتزام يرجع إلى العديد من الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشاره دون غيره من المذاهب ، ولعل أهمها سعة أصوله وقواعده ، وهي ميزة تميز بها عن غيره من المذاهب ، إذ تصل أدله الفقه المالكي إلى ستة عشر (16) دليلاً متنوعاً ما بين المنقول والمعقول ، وهو دليل على مرونته واستيعابه لمستجدات الناس ووقائعهم . كذلك كثرة وتنوع المصادر والمراجع والمؤلفات ، ففي المذهب المالكي وانطلاقاً من مؤلف الإمام مالك بن أنس ووصولاً إلى يومنا هذا تزخر المكتبة المالكية بالكثير من المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع إليها بسهولة لصياغة الخطاب دون عنان وبسهولة كبيرة . وهناك عامل آخر يؤكد عليه المؤرخون ، ومن بينهم عبد الرحمن ابن خلدون ، الذي يعتبر أن البيئة البدوية التي عاش فيها مالك وتعرفها المدينة المنورة قريبة من عقلية وطبيعة المجتمع الجزائري .

نشير أن موضوع المذهب المالكي والالتزام به كان محل نقاش واسع مع عينة الدراسة ، حيث وجدنا أن الأغلبية الساحقة ترى أن الصورة الشاملة للدين الإسلامي لا يمكن أن تكون خارج المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية ، حيث يقول أحد الأئمة :« إني لا أرى الجزائري خارج عن هذه الثلاثية ؛ المذهب المالكي ، العقيدة الأشعرية وبعض من

تصوف الشيخ الجنيد » . لأن غالبية الأئمة يرون أن أسس المرجعية الدينية للجزائر والمجتمع الجزائري مبنية على هذه الركائز الثلاث ، لأن انتشار مذاهب وطرق جديدة في الفقه ، العقيدة والسلوك سوف يسبب زعزعة كبيرة لاستقرار المجتمع ويزيد من عوامل وأسباب الجدال والتفرقة ، لأن انتشار مثل هذه المذاهب يهدد الوحدة والانسجام الدينين اللذين كانا سبباً في استقرار الجزائر لقرون خلت . كما نشير إلى أن الرافضين للالتزام بالمذهب المالكي ينطلقون من التطورات التي يعرفها العالم والمجتمع الجزائري خاصة في ظل الفضائيات والأنترنت ، إذ يقول أحد الأئمة :« فالسواد الأعظم من الجزائريين لا يعرفون حتى معنى المذهب المالكي ، إنهم ينظرون إلى ما يفيد دينهم ودنياه باسم الإسلام لا باسم الأئمة ».

لا شك أن محاولة استكشاف تأثير المذهب المالكي على عيّنة الدراسة سوف يكون بالغ الأهمية ، إذ يكفي أن نذكر أن كل مناهج الوصاية مبنية على هذا التوجه المذهبي ، وحتى القانون المسير لأمور المسجد قطاع الشؤون الدينية يأخذ أدبياته من نفس المشرب ، ويكفي أن نقول أن 66 إمام يلتزم كلية بتطبيق المذهب المالكي بنسبة 69.50 % ، ثم (نوعاً ما) يطبق 25 إمام ويلتزم بنسبة 26.30 % ، وهذه الإجابة لا ترفض الالتزام ، لكن أئمة هذه الفئة صرحوا بأن عدم تطبيق المذهب المالكي يكون في حالات بعينها أين يحاول الإمام الاستنجاد بمذهب فقهي آخر ، تكون فيه القضية التي يعالجها أكثر وضوحاً من المذهب المالكي .

ثم أن نوعية هذه الاستجابة حسب خصائص ومميزات عيّنة الدراسة لم تختلف ، فنجد حسب الرتبة أن رتبة إمام أستاذ يرى فيها 46 إمام بضرورة تطبيق المذهب المالكي في كل شيء ، في الخطاب المقدم ، وفي كل النشاطات التي يقوم بها بنسبة 48.40 % ، تليها (نوعاً ما) يطبق المذهب حسب الظروف والحالات التي تعترضه ، أي 23 إمام أستاذ بنسبة 24.20 % ، وأخيراً نجد فقط إمامين (02) من هذه الرتبة يرفضون صراحة تطبيق ، أو اللجوء إلى المذهب المالكي بنسبة 2.10 % . ثم رتبة إمام مدرس ، يرى 14 إمام منها الالتزام بالمذهب المالكي بنسبة 14.70 % مقابل إمامين (02) يرفضون ذلك بنسبة 2.10 % . فما يجب الإشارة إليه أن إجابات الأئمة ، خاصة الذين يؤكدون على ضرورة تطبيق المذهب المالكي في كل كبيرة وصغيرة ، يعتقدون بأنه إلى جانب ما يحققه المذهب المالكي من اعتدال ووسطية يجعلانه يمثله الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، فإنه مع مرور الزمن أصبح أحد العناصر المكونة للهوية الجزائرية ، وحقق به المجتمع الجزائري وحدته وتماسكه ، رافضين محاولة جر المجتمع الجزائري إلى ما يسميه البعض الانفتاح على المذاهب وغيرها من الشعارات التي لا تبني وحدة المجتمع ، بل تأتي على كيانه وتهدده في تواجده .

حتى لما قمنا بمقارنة الإجابات في التزام الأئمة بتطبيق المذهب المالكي والأقدمية في منصب العمل ، أي الخبرة والتجربة في مجال الإمامة وتسيير أمور المسجد الدينية ، الاجتماعية وحتى الإدارية ، فالفئة ذات الأقدمية [10 – 20 [، المكونة من 39 إمام ، يرى 28 إمام منهم ضرورة الالتزام بنسبة 29.50 % ، ويرى 09 أئمة أنه (نوعاً ما) يكون الالتزام بنسبة 9.50 % . نفس الشيء بالنسبة للفئة [00 – 10 [، حيث يرى 17 إمام أن تطبيق المذهب المالكي ضرورة بنسبة 17.90 % ، مقابل 12 إمام يحاولون تطبيق المالكي حسب الظروف بنسبة 12.60 % . والفئة [20 – 30 [، يرى فيها 15 إمام (نعم) بنسبة 15.80 % ، ثم 04 أئمة (نوعاً ما) بنسبة 4.20 % .

تجدر الإشارة إلى أن الفئة الأخيرة [30 – فما فوق ... تعتبر من المدرسة القديمة ، تعلمت في الزوايا القرآنية وتدرجت في مختلف مستويات العمل المسجدي ، حتى صار منهم من لديه رتبة إمام أستاذ ، فمنذ البدايات نهلوا الفقه والمعاملات وتسيير الشؤون الدينية وفق مذهب الإمام مالك والتابعين له ، بل إن بعضهم لا يعرف على ما تنبني عليه المذاهب الأخرى . وهي الفئة التي يمكن أن نقول عنها أنها وصلت حد التطرف في الالتزام بالمذهب المالكي ، فمن بين هؤلاء الأئمة من يرى حتمية فصل الأئمة الذين يشككون في المذهب المالكي ولا يرون ضرورة تطبيقه ، وبالنسبة لهم المذهب الملكي هو وصف آخر لجزائرية المجتمع .

كما نشير إلى الأهمية التي أولتها عيّنة الدراسة للكيفية التي يتم التعامل فيها مع المذهب المالكي ، سواء من جهة الوصاية ، أو من جهة بعض الأئمة الجدد نسبياً ، حيث يرجعون ذلك إلى تأثير قضايا المجتمع على المساجد وليس العكس . فحديث السنوات الأخيرة التي فتح فيها المجتمع النقاش حول مختلف المكونات الأساسية للهوية الوطنية ، كان الاعتماد على المذهب المالكي أحد مجالات هذا النقاش ، مثله ، مثل اللغة وما حملته . فقد بيّنت هذه النقاشات الكثير من التناقضات التي يعيشها المجتمع الجزائري ، يقول أحد الأئمة :« لقد عايشنا فترة خشينا فيها أن تناقش إسلامية المجتمع ، وضرورة التفتح على الديانات ، لكنها اقتصرت على التفتح على المذاهب ، وهذا ما يجعل بعض الأئمة رغم تكوينه المالكي وقناعتهم بما فيه من اعتدال ووسطية لا توجد في أي مذهب آخر ، إلا أنهم يضعونه موضع الشك » . رغم أن بعضهم رأى في أن التنوع في المشارب والمناهل مفيد ، مع التزامهم الكلي بالمذهب المالكي ، لكنه يفيد الإمام ولا يفيد الخطاب ، يفيد الإمام حتى يتمكن من التعامل مع هذه المشارب وهذه التوجهات عن علم ، وتساعده في تقوية وسائل الدفاع عن دعائم ومعالم خطاب الأمة .

من جانب آخر توكل للإمام بالمسجد مهمة تنشيط الفضاء المسجدي ، لذلك منحته هذه المهمة التي يقوم بها العديد من الصلاحيات التي تمكّنه من القيام بخطوات عملية ، فقد رأت عيّنة الدراسة أنه لتنشيط المسجد والعمل على توحيد صفوف المسلمين ، لا بد من توفر بعض الصلاحيات ، مثل :« إتقان الخطاب المسجدي ، المشاركة مع الوصاية في الدورات التكوينية ، تسطير البرامج التي تساهم في مساعدة الغير » . فكانت إجابات العيّنة متنوعة ، حيث يرى الأئمة أن (إتقان الخطاب المسجدي) أمر مهم ، 70 إجابة بنسبة 48.95 % ، ثم تأتي (المشاركة في أعمال الخير) حتى يتلاحم أفراد المجتمع ، 44 إجابة بنسبة 30.77 % ، ثم (المشاركة في الدورات التكوينية) ، 20 إجابة بنسبة 13.99 % .

كما تظهر الصورة الشاملة للدين الإسلامي في الخطاب الديني من خلال ما يستعمله الإمام من مصادر ومراجع لصياغة الخطاب أو تسطير البرامج أو تنشيط المسجد ، فالمكتبة المالكية ــ كما ذكرنا ــ كبيرة ومتنوعة ، والاستدلال أو الرجوع إليها يبيّن مدى التزام عيّنة البحث بالمنبع الذي تستقي منه في إعداد الخطاب ، وهذا ما ظهر جلياً في إجابات الأئمة حول المصادر المستعملة ، فكان استعمال (الكتب الدينية) هو الغالب ، وذلك بنسبة 55.35 % ، أي 93 إجابة ، ثم الاستعانة بشبكة (الأنترنت) ، أي 40 إجابة بنسبة 23.80 % ، ثم من أجل البيان اللغوي يحبذ الأئمة استعمال (الكتب الأدبية) ، أي 28 إجابة بنسبة 16.66 % . فماعدا الكتب الأدبية التي يستعين بها الأئمة من أجل تصحيح اللغة أو الاستدلال بالأبيات الشعرية واستعمال الطباق والجناس ، فإن الكتب الدينية هي المسيطرة ، حتى في

استعمالهم لشبكة الأنترنت فإنها من أجل مطالعة الكتب الدينية أو تحميلها ، وحتى الكتب المتنوعة ، فهي عبارة عن كتب دينية ، 07 إجابات بنسبة 04.17 % .

فالمصادر المستعملة خاصة (الكتب الدينية) ، لا تخرج عن كتب التراث القديمة مثل : التفاسير المعتمدة من طرف المذهب المالكي ، السيرة النبوية ، فقه السيرة ، وغيرها ... حيث ترى عيّنة الدراسة ، خاصة لما طرحنا مشكل مواكبة هذه الكتب الواقع الذي نعيشه اليوم ، خاصة وأنها تحدثت أو ألفت ضمن واقع اجتماعي ومتغيرات غير التي نعيشها اليوم ، فأكد أغلبية المبحوثين أن المجتمع لا يزال في حاجة إلى كتب التراث ، خاصة كتب التفسير والسيرة النبوية والفقه ، لأنها كتب تتحدث عن أمور في الدين لا يستطيع الإمام الاستغناء عنها ، لكنهم أجمعوا أنهم يطالعون الأنترنت لتحميل بعض الكتب النادرة ومطالعة الجديد من الفتوى ، كما يستمعون إلى الدعاة ، حتى الذين يختلفون معهم في المذهب من أجل تراكم المعلومات وتكوين مادة يستطيع الإمام استغلالها للتحضير الجيّد لمختلف الخُطب ، الدروس والمواعظ .

ومن أجل رؤية مدى تعامل واستيعاب عيّنة الدراسة لنوع الخطاب المقدم في المجتمع الجزائري ، وهل هو كافٍ لتحقيق الأهداف الإسلامية المرجوة ، فإن 63 إمام يرى بأن هذا الخطاب (نوعاً ما) كفيل بتحقيق مختلف الأهداف ، بنسبة 66.30 % ، وهي إجابة قريبة جداً من الإجابة (لا) التي تبناها 20 إمام بنسبة 21.10 % ، في حين يرى 12 إمام فقط كفالة هذا الخطاب في تحقيق الأهداف المرجوة بنسبة 12.60 % ، ويرجعون عدم رؤية آثاره على سلوكات الفرد والمجتمع إلى عوامل أخرى ، لا دخل للخطاب فيها . ويرجع الأئمة هذا الأمر إلى المتغيرات الكثيرة التي يعيشها المجتمع ، ومدى تأثره بالعوامل الخارجية وعدم تقبله للخطاب الديني الصادر عن أئمة المساجد ، فأغلبية المصلين يرجعون إلى الإمام لما يتعلق الأمر بقضية آنية لم يجد لها جواب في المصادر التي تتوفر لديه أو شك فيها . ومنهم فئة لا ترى إلا أيام الجُمع ، فهؤلاء يستمعون لما يقدمه التزاماً بتعاليم الدين في ضرورة حضور خطبتي الجمعة لتمام الصلاة ، فالأئمة يلاحظون أن الأغلبية لا تحضر للدرس ، وتدخل باقتراب آذان الصلاة ، فهم لا يعنيهم ما يقدم وبالهم وتفكيرهم في أشياء أخرى .

فاعتبار المسجد مؤسسة دينية مفصلية ومركزية تحوم حولها كل مؤسسات المجتمع الإسلامي الأخرى ، حديثة وتقليدية مرده إلى دوره في نشر تعاليم الدين الإسلامي والقيم السلوكية التي جاءت وفق المنهج النبوي الشريف ، وكذلك دوره في نشر الثقافة الإسلامية ، وتربية أفراد المجتمع الإسلامي وتعليمهم من المنبع الأصيل ، فإذا كان ارتباط المسجد بالتعليم الديني في سنواته الأولى ، فقد فهم المسلمون بعد ذلك الدور الريادي ، حيث أصبح المصلى والمدرسة والجامعة وداراً للإفتاء وغيرها ... فكان ولا يزال إلى يومنا هذا مركزاً هاماً للوعي الإسلامي ونشر القيّم الدينية من أجل بناء المجتمع الإسلامي . فتشابك القيّم الدينية والأخلاقية والسلوكية تنصهر داخل المسجد ، ويسعى إلى تحقيقها وفق البناء الاجتماعي والنظرة الشاملة التي رسخها الرسول في الرعيل أو الجيل الأول ، والتي تم توريثها وتلقينها كابر عن كابر ، ومن جيل إلى جيل ، من خلال الوازع الديني ، ووحدة المجتمع وتماسكه ، الحماية من الانحراف والجريمة والتكافل الاجتماعي .

فالحديث عن الوازع الديني هو حديث عن الضبط الاجتماعي ودور المسجد في تقوية عوامل الضبط الاجتماعي حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من الحفاظ على مقوماته ومحاربة كل أشكال الانحراف التي يمكن أن يتعرض لها أفراد

المجتمع ، لأن الإسلام نظام ضابط بكل ما يحتويه من عبادات ومعاملات ، قيم ومبادئ ، أخلاق وآداب ، خاصة إذا زاد عليها ما يمنحها المسجد بقداسته والخطيب بقدوته وتأثيره على المصلين . فالمسلم يلج المسجد وكله استعداد مادي وروحي من أجل استقبال رسائل الخطاب الديني التي تجعل منه رجل صالح لنفسه وأسرته ومجتمعه وفق المعايير الإسلامية .

ومن بين الأدوار المهمة في الحياة الاجتماعية ، سعيه لوحدة المجتمع وتماسكه ، حيث يعتبر المسجد بوضعه الديني والثقافي وحتى الاجتماعي من أهم العوامل التي تشيع المحبة والأخوة بين المسلمين بتلاقيهم مرات في اليوم الواحد ، يسعى فيها الكل إلى مرضاة الله تعالى لا فرق بين غني أو فقير ، بين عالم وجاهل ، كبير أو صغير ، الكل يضع جباههم وأنوفهم على نفس البساط أو الحصير دون إنكار أو تأفف .

إن الخطاب الديني من خلال النشاطات المختلفة التي يقوم بها أفراد المجتمع الإسلامي في المسجد يسعى إلى تهذيب النفوس وإرشادها إلى الطريق الصحيح من خلال تذكيرها بالأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية ، حتى إذا تركز في نفوس المؤمنين ، تحول إلى التحذير من طريق الشر والنهي على إتباعه . فسياسة الخطاب الديني لحماية المجتمع من الجريمة والانحراف تعتمد على أمرين أساسيين هما : السياسة الوقائية المتمثلة في إثارة كوامن الإيمان في القلوب وغرس الوازع الديني في النفوس وذلك بالتربية الأخلاقية ، ثم السياسة العلاجية والتي تتمثل في الردع والزجر الشديد والقصاص والتعزير .

أضف إلى ذلك التكافل الاجتماعي الذي يسعى إلى تحقيقه الخطاب الديني في المسجد ، هو ذلك التعاون الحاصل بين أبناء المجتمع الواحد فرادى وجماعات من أجل تحقيق الخير ودفع الجور ، والذي يتحقق بتضامن أبناء المجتمع وتساندهم فيما بينهم باتخاذهم لمواقف إيجابية بدافع من شعور وجداني عميق نابع من أصل العقيدة الإسلامية . فالتكافل الاجتماعي يعتبر من أهم المقاصد العامة والأهداف السامية للإسلام المبنية على مصلحة الجماعة ووحدتها وتماسكها ، وعلى الأخوة الإنسانية التي تشمل كل أبناء البشر ، أي المجتمع العالمي على اختلاف المعتقدات والديانات وغيرها ...

وهنا يطرح مشكل الخطاب الذي يستقبله الجمهور ، وترى عيّنة الدراسة بأنه لكي يؤثر هذا الخطاب لا بد له من مجموعة من المواصفات ، أجمعت أنها تتكون من ثلاث مواصفات وهي :« خطاب هادف وموجِه ، خطاب عاطفي وحماسي ، خطاب واقعي » ، فكانت عدد الإجابات (هادف وموجه) 73 بنسبة 43.45 % ، تليها الخطاب الذي يكون (واقعي) ، 60 إجابة بنسبة 35.71 % ، وأخيراً خطاب (عاطفي وحماسي) ، 28 إجابة بنسبة 16.67 % . فهذا التنوع والاختلاف في نوع الخطاب المؤثر أدى إلى تبني الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني حتى يوافق هذا العصر ، حيث أكد 74 إمام ضرورة التجديد بنسبة 77.90 % ، بينما يرى 19 إمام بأنه (أحياناً) يرى بضرورة التجديد ، أي في قضايا دون الأخرى ، وفي أمور دون الأخرى ، في حين يصر إمامين (02) بنسبة 2.10 % بأن التجديد باب فتحه يؤدي إلى ركوب هذه الموجه العالمية التي تتبنى تجديد الخطاب الديني للقضاء على الخصوصية الإسلامية للمجتمع .

تجدر الإشارة أن مفهوم التجديد بالنسبة لعيّنة الدراسة ، أخذ الكثير من النقاش ، ووجدنا الكثير من الأئمة على اطلاع بمختلف مفاهيم التجديد ، من التجديد الشرعي المبني على حديث المائة عام ، إلى التجديد العصري الذي تمليه عوامل سياسية وإستراتيجية عالمية أكثر منها محلية أو إسلامية ، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر والتطورات التي عرفها العالم المتقدم ، وسياسة الحرب الشاملة على المعتقدات والديانات من طرق عالم المادة والمصالح ، خاصة أن كل

القضايا التي تتعلق بتجديد الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي ، تعود في نهاية المطاف إلى قضيتين ، حيث تتعلق الأولى بحدود العلاقة الصحيحة بين العقل الإنساني والاعتقادات الدينية . وتهتم الثانية بالأسلوب الصحيح لتفسير النصوص الدينية على وجه العموم ، وتلك التي ترتبط بقضايا التجديد على وجه الخصوص ، والقضيتان تعتمدان بصفة أساسية على تحديد الأسلوب الصحيح لاستخدام العقل ، بحيث لا يتعدى العقل حدوده الدينية ولا يطغى الفكر الديني على العقل .

وعلى هذا يتطلب حسب عيّنة الدراسة إعادة النظر في الكثير من الأمور ، منها على وجه الخصوص :« إعادة النظر في المراجع والمصادر ، النظر في أحوال الأمة ، تكوين الأئمة وإعادة تأهيلهم » ، وهي إجابات تنوعت واختلفت فيها العيّنة ، حيث كانت (إعادة النظر في المراجع والمصادر) تتكون من 71 إجابة بنسبة 40.11 % ، في حين جاءت (النظر في أحوال الأمة) في 65 إجابة بنسبة 36.72 % ، بينما اقتصرت (تكوين الأئمة وإعادة تأهيلهم) في 34 إجابة بنسبة 19.21 % . فكل إمام حاول استحضار تكوينه ونظرته للخطاب المقدم حسب تجربته وتعامله اليومي مع أفراد المجتمع ، ومنهم من حاول الموافقة ما بين الصلاحيات القانونية والمهمة الدينية ، فنظرة عيّنة الدراسة حول (النظر إلى أحوال الأمة) تتطلب دراسة وافية متعددة التخصصات تساهم فيها كل التخصصات الدينية والإنسانية والاجتماعية والسياسية ، لأن معرفة متطلبات المجتمع من مقاصد الدين ، ومعرفة الإنسان الذي تعقدت تركيبته الذهنية والنفسية تدعوا أولياء الأمور إلى إعادة النظر في ماهية الخطاب المقدم وفق مستجدات هذا العصر بكل تناقضاته .

أما إعادة النظر في (تكوين الأئمة وإعادة تأهيلهم) ، فتتطلب لوحدها دراسة معمقة لا تخشى من الإمام ، بل تجعله الوسيلة الضرورية لتحقيق أهداف الخطاب الديني في المجتمع وليس في المساجد فقط ، والأمر المهم أن ينطلق من المسجد ، ويكون هذا بإعادة الاعتبار لرسالة المسجد وللإمام ، خاصة من حيث الظروف الاجتماعية . أما (إعادة النظر في المراجع والمصادر) ، فقصدت بها العيّنة إعادة قراءة مؤلفات المذهب المالكي وفق المعطيات العصر ، وطباعة كتب المذهب المالكي وإعداد البحوث في هذا الإطار ، بحوث ودراسات تتصف بالبساطة والسهولة لإيصال الطريقة المالكية إلى أفراد المجتمع ، وذلك تفادياً لكل القراءات المشبوهة التي يطلع عليها أفراد المجتمع عبر مختلف الوسائل الإعلامية الحديثة ، والتي تدخل فيه الشك والريبة فيما يقدم له إمام المسجد في الحي الذي يقطن فيه .

ثالثاً : استنتاج الفرضية الثالثة :

إن المعطيات الإحصائية وعملية تحليل هذه المعطيات ، أي القيام بإسقاطاتها أو تحليلها سوسيولوجياً يقودنا إلى العديد من النتائج التي نستخلص منها أو نستنتج صحة الافتراض الثالث لهذه الدراسة من عدمه ، والذي اعتمد على أن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية هو كل بيان باسم الدين الإسلامي يوجه للناس سواء المسلمين أو غير المسلمين لتعريفهم بالإسلام ، يأخذ أشكال مختلفة ، مبني على فهم دقيق لطريق المخاطبين وعقلياتهم وبيئاتهم . فهو يشمل النشاط الإسلامي بشكل عام ، الفقهي منه والعلمي والدعوي والثقافي والتربوي والاجتماعي .

ومن بين النقاط التي تم استخلاصها نوردها على الشكل التالي :

- الخطاب الديني هو كل بيان باسم الدين ، لكن هذا البيان له العديد من القواعد التي يستند عليها ، أبرزها بالنسبة للخطاب الديني في المساجد الجزائرية التوجه المذهبي ، أو استعمال المذهب المالكي ، ومن أجل التحقق من صحة الفرضية الثالثة ، كان لا بد من النظر في مدى الالتزام بالمذهب الملكي عند عيّنة الدراسة ، تنشيط المسجد الذي يتطلب إتقان الخطاب المسجدي ، المشاركة مع الوصاية في الدورات التكوينية ، تسطير البرامج التي تساهم في مساعدة الغير .
- إن الالتزام بالمذهب المالكي بالنسبة للمجتمع الجزائري يرجع إلى كونه يمثل الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، هذا الالتزام يرجع إلى العديد من الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشاره دون غيره من المذاهب ، ولعل أهمها سعة أصوله وقواعده ، وهي ميزة تميز بها عن غيره من المذاهب . ثم كثرة وتنوع المصادر والمراجع والمؤلفات التي يمكن الرجوع إليها بسهولة لصياغة الخطاب .
- الصورة الشاملة للدين الإسلامي لا يمكن أن تكون خارج المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية ، لأن انتشار مذاهب وطرق جديدة في الفقه ، العقيدة والسلوك سوف يسبب زعزعة كبيرة لاستقرار المجتمع ويزيد من عوامل وأسباب الجدال والتفرقة ، لأن انتشار مثل هذه المذاهب يهدد الوحدة والانسجام الدينين اللذين كانا سبباً في استقرار الجزائر لقرون خلت .
- تظهر الصورة الشاملة للدين الإسلامي في الخطاب الديني من خلال ما يستعمله الإمام من مصادر ومراجع لصياغة الخطاب أو تسطير البرامج أو تنشيط المسجد ، فالمكتبة المالكية كبيرة ومتنوعة ، والاستدلال أو الرجوع إليها يبيّن مدى التزام الإمام بالمنبع الذي تستقي منه في إعداد الخطاب . فالمصادر المستعملة خاصة (الكتب الدينية) ، لا تخرج عن كتب التراث القديمة مثل : التفاسير المعتمدة من طرف المذهب المالكي ، السيرة النبوية ، فقه السيرة ، وغيرها ...
- يرى أغلبية الأئمة بأن الخطاب الديني اليوم غير كافٍ لتحقيق الأهداف الإسلامية المرجوة ، ويرجعون عدم رؤية آثاره على سلوكات الفرد والمجتمع إلى عوامل أخرى ، لا دخل للخطاب فيها . منها المتغيرات الكثيرة التي يعيشها المجتمع ، ومدى تأثره بالعوامل الخارجية وعدم تقبله للخطاب الديني الصادر عن أئمة المساجد في مختلف جوانبه التربوية ، الثقافية والدعوية .
- إن الخطاب الديني من خلال النشاطات المختلفة التي يقوم بها أفراد المجتمع الإسلامي في المسجد يسعى إلى تهذيب النفوس وإرشادها إلى الطريق الصحيح من خلال تذكيرها بالأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية ، حتى إذا تركز في نفوس المؤمنين ، تحول إلى التحذير من طريق الشر والنهي على إتباعه ، لكن الخطاب الذي يستقبله الجمهور لا يؤثر رغم تنوعه من خطاب هادف وموجِه ، خطاب عاطفي وحماسي ، أو خطاب واقعي ينظر إلى واقع الناس .
- يتطلب إعادة النظر في الكثير من الأمور ، منها على وجه الخصوص إعادة النظر في المراجع والمصادر ، النظر في أحوال الأمة وتكوين الأئمة وإعادة تأهيلهم ، فالنظر إلى أحوال الأمة تتطلب دراسة وافية متعددة التخصصات تساهم فيها كل التخصصات الدينية والإنسانية والاجتماعية والسياسية ، لأن معرفة متطلبات المجتمع من مقاصد الدين ،

ومعرفة الإنسان الذي تعقدت تركيبته الذهنية والنفسية تدعوا أولياء الأمور إلى إعادة النظر في ماهية الخطاب المقدم وفق مستجدات هذا العصر بكل تناقضاته .

- أما إعادة النظر في (تكوين الأئمة وإعادة تأهيلهم) ، فتتطلب لوحدها دراسة معمقة لا تخشى من الإمام ، بل تجعله الوسيلة الضرورية لتحقيق أهداف الخطاب الديني في المجتمع وليس في المساجد فقط ، تجعل من المسجد المنطلق والمبدأ ، ويكون بإعادة الاعتبار لرسالة المسجد وللإمام ، خاصة من حيث الظروف الاجتماعية . أما (إعادة النظر في المراجع والمصادر) ، فتعني إعادة قراءة مؤلفات المذهب المالكي وفق المعطيات العصر ، وطباعة كتب المذهب المالكي وإعداد البحوث في هذا الإطار ، بحوث ودراسات تتصف بالبساطة والسهولة لإيصال الطريقة المالكية إلى أفراد المجتمع ، تفادياً لكل القراءات المشبوهة التي يطلع عليها أفراد المجتمع عبر مختلف الوسائل الإعلامية الحديثة ، والتي تدخل فيه الشك والريبة فيما يقدم له إمام المسجد في الحي الذي يقطن فيه .

وعليه ،

صحيح أن الخطاب الديني وفق المذهب المالكي في المساجد الجزائرية يعبر عن صورة الدين الإسلامي ، وصحيح أن أئمة المساجد لا يدخرون أي جهد للقيام بكل النشاطات التي توصل الدين الصحيح وفق المرجعية الدينية إلى أفراد المجتمع ، وصحيح أن ما يقدم نظرياً من خُطب ودروس ومواعظ يعبر عن الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، وصحيح أن المسجد يقدم إلى المصلين ما يحتاجونه لدينهم ودنياهم ، لكنه في نفس يعبر عن إرادة الوصاية الممثلة في وزارة الشؤون الدينية التي تتحكم فيه بمختلف الأشكال ، فهي تتحكم فيه عن طريق توظيف الأئمة وتكوينهم ومراقبتهم وتوجيههم ، كما تتحكم فيه عبر إجبار الأئمة على إتباع سياستها في صياغة الخطاب وتسطير البرامج التي تراها مناسبة ، والتي تمدهم بها بمختلف الوسائل ، مثل الندوات ودورات التكوين وإعادة التأهيل والرسكلة ، ولكنه كذلك يعبر عن ما يرتئيه الإمام مناسباً ويوافق ما يؤمن به ويعتقده .

الفصل الرابع عشر :

نتائج الدراسة .

أولاً : الاستنتاج الجزئي للفرضيات الثلاث

ثانياً : الاستنتاج العام

ثالثاً : صعوبات الدراسة

خاتمــة

الفصل الرابع عشر : نتائج الدراسة .

تعتبر نتائج الدراسة المرحلة الأخيرة في أي دراسة أو بحث أهم مرحلة ، يسدل بها الباحث الستار عن عملية طويلة ومضنية ، حيث تتضمن « إعداد النتائج التي توصل إليها ــ الباحث ــ بطريقة يتقبلها ويفهمها المتخصصون ... وقوة البحث تتضح هنا في وضع التعميمات بناء على اختبار الفروض أو قبولها أو الرد على التساؤلات التي طرحها الباحث في بداية الدراسة »[1]. أي تقديم خلاصة أو ثمرة الجهد المبذول خلال مرحلة الدراسة أو البحث ، وتسليط الضوء على مختلف الهواجس التي رافقت الباحث في مسيرته ، انطلاقا من إعطاء إجابات على الكثير من التساؤلات المطروحة ووصولاً إلى الاستنتاجات الجزئية فالاستنتاج العام للدراسة .

أولاً : الاستنتاج الجزئي للفرضيات الثلاث :

- **استنتاج الفرضية الأولى :**

لقد اعتمد الانشغال الأول على أن الخطيب أو الإمام في المسجد يقوم بشكل من الأشكال بتقديم خطاب لا يستطيع الخروج فيه عن ثقافته الذاتية ومكتسباته الشخصية والعلمية ، ففي الكثير من الأحيان ما تسيطر قناعة الخطيب ومدى تأثره بما يحدث في المجتمع الخارجي ، فهو بذلك أسير هذه المعطيات ولا يستطيع أن يخفي هذه القناعات حتى لو عارضت الخطاب الرسمي . لأن النظرة العامة التي ركز عليها الكثير من أعلام الخطاب الديني في محاولة منهم لوضع دراسة نقدية للخطاب الديني المعاصر والعوامل المؤثرة فيه ، حيث اتفق الجميع دون استثناء عن الدور المفصلي الذي يقوم به المخَاطِب ، الملقي أو (الإمام في هذه الدراسة) ، فهو العنصر الأساس والفعال ، لأنه الطرف الذي يتولى توجيه الخطاب ، ويقوم بقراءة النصوص وتفسيرها ، ويحاول إسقاطها على الواقع ، من خلال الأمثلة ، الاقتباسات المتعددة ، والنشاطات المنظمة ، حيث يُعتبر ما يُقدِّمه الإمام ، حتى ولو كان وفق توجيهات الوصاية ، قراءة لآرائه في نصوص الوحي ، حيث يعتقد أن قوله في الدين صحيح ، بل إنه يملك الحقيقة المطلقة التي لا يصل إليها الشك .

إن الإمام ينطلق في هذا التوجيه الديني من العديد من المعطيات المتوارثة ، ولعل أبرزها الشخصية القوية ، التي تجعل منه القدوة الحسنة التي يقتدي بها المصلين ، فهو في الكثير من الأحيان المثل الأعلى الذي يتصوره المصلين والحامل للواء الدين ، ومن الصفات الشخصية التي يجب توفرها في الإمام ، فإذا كانت الشخصية القوية تعبير عن الحضور المادي للإمام في المسجد ، أثناء أداء مهامه ، فإن العلم والثقافة عوامل تبيّن كيفية تعامل هذا الأخير مع ما يقدِّم ويواجه خارج المسجد مع المصلين ، مع الوصاية ومع النظرة للخطاب الديني بصفة عامة ومفهوم الدين والتدين .

لقد ركزنا على بعض السلوكات التي ترتبط بشخصية الإمام وقوة حضورها ، ويعطيها أعلام الخطاب الديني أهمية كبيرة في حياة الخطيب ؛ وهي الارتجال ، حيث يعمد الإمام إلى التحضير الجيد لكل خطاباته تحضيراً جيداً ، فينظم أفكاره ويرتب فقرات خطابه . والارتجال ملكة تأتي مع الخبرة والتجربة ، يحاول الإمام من خلالها إظهار قوة شخصيته ، ومدى تحكمها فيما يقدمه للمصلين ، ومع علمه وثقافته الواسعة ، فهو لا يحتاج إلى أوراق يرجع إليها . فكل المعطيات المتوفرة تثبت أن الإمام مسؤول عن تسيير المسجد وإدارته ، ومسؤول عن تنظيم النشاطات في مختلف المناسبات الدينية

---

[1] أحمد بدر : **مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات** ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1988 ، ص : 37 .

والوطنية ، وفي صياغة الخطاب ــ الخُطب والدروس والمواعظ ــ . وقد أثبتت المعطيات أن الإمام لا يستطيع أن يقدم خطاباً يمكن أن يخرج به عن ثقافته الذاتية ومكتسباته وصفاته الشخصية والعلمية ، لأنه لا يستطيع أن ينجح في مهامه ولا أن يسيطر على تسيير أمور المسجد إذا قدم شيء لا يقتنع به . لكن الواقع مركب ومعقد يضع الإمام أمام تعليمات وتوجيهات الجهة التي قامت بتوظيفه ، وسهرت على تكوينه وفق المنهاج الذي رأته الأنسب لتحقيق أهدافها ، ويجد نفسه ، إما مقتنع بما تريد هذه الوصاية ، وإما رافض ، لكن ضرورة الوظيفة تجبره على أداء ما يطلب منه ، هذا من جهة ، أما من جهة أخرى ، فإنه لا يمكنه أن يخرج عن الصورة التي ترسخت بين أبناء المجتمع ، خاصة في التوجه المذهبي أو المرجعية الدينية .

- **استنتاج الفرضية الثانية :**

لقد اعتمد الانشغال الثاني على أن الخطاب الديني يخضع للتسيير الإداري الذي تشرف عليه الوصاية ، فمن أجل الحفاظ على وحدة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، ولأن المسجد مؤسسة دينية تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ممثلة الخطاب الرسمي ، فهي تسهر بمختلف الوسائل على توجيه وتحديد معالم الخطاب الديني الموجه إلى أفراد المجتمع ، باستعمال وسائل وطرق إدارية تفرض على الخطيب (الإمام) إتباعها والالتزام بها . فكل المؤسسات الوصية تسعى جاهدة للحد من التوظيف السياسي للمؤسسات الدينية وللخطاب الديني ، لذلك ما فتئت الوصاية في الجزائر تسطر في برامج التوعية والندوات الفكرية والمحاضرات وبرامج التكوين المستمر وعملية الرسكلة والتقويم ، وغيرها من النشاطات التي تعتقد بأنها تحافظ على وحدة الخطاب الديني ، وبالتالي وحدة المجتمع وتماسكه .

كما تسعى الوصاية إلى مراقبة النشاط الديني ، وبالتالي مراقبة المؤسسات الدينية بموظفيها ، لأنها طريقة كل الدول التي تشكلت بعد الاستقلال ، وفرضت خطاً واحداً في التفكير وحذفت ما عداه ، فكل ما عداه أصبح مرمياً في دائرة اللا مفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه . فدون هوادة تقوم بتحذير الخطباء وأئمة المساجد من الانحرافات التي من شأنها أن تخرجهم عن وظائفهم ومهامهم المحددة قانوناً ، وتدعوهم إلى ضرورة التقيّد بوظائفهم الدينية عوض الخوض في شأن قد يحسب ضدهم ، أو ضد الرسالة السامية للمسجد . فهذا الأخير هو البيت الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء صلواتهم ، وتلاوة القرآن الكريم والاستماع إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . وأمره لا يؤول إلى أي فرد أو جماعة أو جمعية ، وإنما أمره إلى الدولة المكلفة شرعاً والمسؤولة عن حرمته وقداسته واستقلاليته في أداء رسالته الروحية والتعبدية والتعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية ، فهو وقف عام تابع للدولة ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .

لقد سجلنا أن مختلف التوجيهات ، تدخل ضمن التسيير الإداري للخطاب الديني ، الهادف إلى توحيد الصفوف وجعل الخطاب واحد يعبر عن وحدة الشعب والأمة . وهي توجيهات اعتبرت على أنها تدخل صريح في صلاحيات الإمام ، لكنها حسب الإمام نفسه ضرورة شرعية تقتضيها أحوال الأمة ، ويقتضيها العصر وتقلباته . ويتمثل التسيير الإداري في الكثير من الإجراءات التي تسهر الوصاية على ديمومتها من أجل التحكم في الخطاب والسيطرة على الفضاء المسجدي ، ومن بين هذه الإجراءات نجد الدورات التكوينية وعملية الرسكلة ، فهي فرصة للقيام بإسداء الكثير من التوجيهات ، منها ما هو مباشر ، ومنها ما يفهم من الخطاب المقدم من طرف أساتذة جامعيين .

لقد بيّنت المعطيات أن التكوين المقدم في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية غير كافٍ لمواجهة التغيرات التي يعرفها المجتمع ، وأن الإمام ، وحتى الوصاية تحتاج إلى آليات أخرى ، لذلك يذهب ما تقوم به الدولة سداً ولا يحقق ما تهدف إليه ، والواقع يثبت ذلك ، حيث يفر المواطن من كل تدخل للدولة في أمور الدين ، لأنه يعلم أو يدرك بأن هذا التدخل لا يخدم مصلحة الدين بقدر ما يخدم سياسة الوصاية . أضف إلى ذلك ، التسيير الإداري للمسجد ، والذي يُخرج الإمام من قدسية الرسالة والخطاب الديني إلى الواقع المعاش بكل تناقضاته ، خاصة عندما يعلم المصلي بأنها تضع تحت تصرفها العديد من الآليات ، من الشخص المسؤول عن مجموعة من المساجد ، إلى المصالح الإدارية بمديرية الشؤون الدينية وصولاً إلى المفتشين ولجان التفتيش الولائية والوطنية . فكلها آليات بيد الوصاية تتحكم بها في كل جزئيات العملية الدينية منذ تعيين الإمام وصولاً إلى نشاطه (الخطاب الديني) ، يومياً ، أسبوعياً ثم في مختلف المناسبات الدينية والوطنية .

إن الوصاية هي المسؤولة قانوناً وشرعاً على كل ما يخص المسجد ، منذ تكوين الإمام وتوظيفه ، وحتى توجيهه ومراقبته ومراقبة عمله ، وإذا اقتضى الأمر تقوم بإعداد النشاطات التي تساعده فيها على معرفة المستجدات وكيفية مواجهة التغيرات التي يعرفها المجتمع . كما أن لديها كل الآليات حتى تتمكن من مراقبة الإمام داخل المسجد ، ومراقبة عمله وحتى مدى إخلاصه للطريقة التي تعتقدها في إيصال الدين الإسلامي إلى أفراد المجتمع ، خاصة في اعتمادها على المذهب المالكي كعامل توحيد وتماسك ، إلا أن الواقع يثبت عدم نجاعة هذه المراقبة ، إذا كان الإمام لا يؤمن بما تقدمه الوصاية ، أو ركب موجة المصلين الذين يرفضون تدخل الدولة في أمور الدين ، فيصبح بذلك الخطاب الديني الذي يصاغ في هذه المساجد لا تتحكم فيه الوصاية ، بقدر ما تتحكم فيه توجهات وقناعات الإمام والجماعة التي ينتمي إليها .

- **استنتاج الفرضية الثالثة :**

لقد اعتمد الانشغال الثالث على أن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية هو كل بيان باسم الدين الإسلامي يوجه للناس سواء المسلمين أو غير المسلمين لتعريفهم بالإسلام ، يأخذ أشكال مختلفة ، مبني على فهم دقيق لطريق المخاطبين وعقلياتهم وبيئاتهم . فهو يشمل النشاط الإسلامي بشكل عام ، الفقهي منه والعلمي والدعوي والثقافي والتربوي والاجتماعي ، لكن هذا البيان له العديد من القواعد التي يستند عليها ، أبرزها بالنسبة للخطاب الديني في المساجد الجزائرية التوجه المذهبي ، أو استعمال المذهب المالكي ، فالاعتماد عليه بالنسبة للمجتمع الجزائري يرجع إلى كونه يمثل الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، والالتزام به يرجع إلى العديد من الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشاره دون غيره من المذاهب ، ولعل أهمها سعة أصوله وقواعده ، وهي ميزة تميز بها عن غيره من المذاهب . ثم كثرة وتنوع المصادر والمراجع والمؤلفات التي يمكن الرجوع إليها لصياغة الخطاب دون عنان وبسهولة كبيرة .

إن الصورة الشاملة للدين الإسلامي لا يمكن أن تكون خارج المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية ، لأن انتشار مذاهب وطرق جديدة في الفقه ، العقيدة والسلوك سوف يسبب زعزعة كبيرة لاستقرار المجتمع ويزيد من عوامل وأسباب الجدال والتفرقة ، ولأن انتشار مثل هذه المذاهب يهدد الوحدة والانسجام الدينين اللذين كانا سبباً في استقرار الجزائر لقرون خلت . كما تظهر الصورة الشاملة للدين الإسلامي في الخطاب الديني من خلال ما يستعمله الإمام من مصادر ومراجع لصياغة الخطاب أو تسطير البرامج أو تنشيط المسجد .

فالخطاب الديني من خلال النشاطات المختلفة التي يقوم بها أفراد المجتمع الإسلامي في المسجد يسعى إلى تهذيب النفوس وإرشادها إلى الطريق الصحيح من خلال تذكيرها بالأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية ، حتى إذا تركز في نفوس المؤمنين ، تحول إلى التحذير من طريق الشر والنهي على إتباعه ، لكن الخطاب الذي يستقبله الجمهور لا يؤثر رغم تنوعه من خطاب هادف وموجِه ، خطاب عاطفي وحماسي ، أو خطاب واقعي ينظر إلى واقع الناس . أضف إلى ذلك أن التكوين المقدم إلى الأئمة يحتاج على إعادة النظر ، وهو ما لمسناه من خلال الدراسة ، حيث أن الاعتقاد السائد لدى الأئمة ينطبق من جعل التكوين وسيلة ضرورية لتحقيق أهداف الخطاب الديني في المجتمع وليس في المساجد فقط .

فالخطاب الديني وفق المذهب المالكي في المساجد الجزائرية يعبر عن صورة الدين الإسلامي ، والأئمة لا يدخرون أي جهد للقيام بكل النشاطات التي توصل الدين الصحيح وفق المرجعية الدينية إلى أفراد المجتمع ، فما يقدم نظرياً من خُطب ودروس ومواعظ يعبر عن الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، والمسجد يقدم إلى المصلين ما يحتاجونه لدينهم ودنياهم ، وفي نفس الوقت يعبر عن إرادة الوصاية الممثلة في وزارة الشؤون الدينية التي تتحكم فيه بمختلف الأشكال ، فهي تتحكم فيه عن طريق توظيف الأئمة وتكوينهم ومراقبتهم وتوجيههم ، كما تتحكم فيه عبر إجبار الأئمة على إتباع سياستها في صياغة الخطاب وتسطير البرامج التي تراها مناسبة ، والتي تمدهم بها بمختلف الوسائل ، مثل الندوات ودورات التكوين وإعادة التأهيل والرسكلة والتقويم ، ولكنه كذلك يعبر عن ما يرتئيه أو يراه لإمام مناسباً ويوافق ما يؤمن به ويعتقده من أفكار ومبادئ .

ثانياً : الاستنتاج العام :

بلا شك يعتبر الخطاب الديني من أهم المواضيع التي تثار حديثاً ، كما أثيرت من قبل في كل العصور ، في العصر الأول ، أين كانت الدولة الدينية التي تسير بالوحي الإلهي ، أو في القرون الثلاث التي تلت والتي تعتبر عصور ازدهار وانتشار الدين الإسلامي ووصوله إلى مختلف بقاع العالم ، ووصولاً إلى عصور الانحطاط وانحصار الإسلامي ، خاصة بعد غلق باب الاجتهاد وما تلاه من أحداث انحصر فيها الدين الإسلامي فقط في أمور العبادات . وهي نفس المرحلة التي انتقل فيه المسجد من جامع لكل أمور الدين والدنيا إلى مكان مقدس لإقامة الصلوات الخمس وأداء صلاة العيدين ، وانتقل الإمام فيها من حاكم مسيطر على كل مفاصل الحياة إلى مفتي في أمور الفقه ، ثم إلى مجرد موظف من موظفي القطاع العام .

إن المراحل التي مر بها الدين الإسلامي ، والحضارة الإسلامية ، هي نفس المراحل التي مرّ بها الخطاب الديني ، وانتقل من خطاب يشمل الدين كله ، المنقول والمعقول ، يشمل الذكر والفكر ، إلى خطاب يتولى إبلاغ ما يصلح العبادات ويحاول دون تأثير القضاء على المنكرات ، حبيس اختلافات مذهبية يحصيها أعلام الخطاب الديني في أقل من أربعين (40) قضية فقهية ليست من الضروريات ، ولا تحمل صفة الأولوية ، بل أنها من الأمور الثانوية ، العمل بها حسنة وتركها لا يعتد به ، أو لا يجرم الذي لا يقوم به أو يخالفه ، وهو ما جعل هذا الخطاب أسير الاختلافات الفقهية ، وليست حتى المذهبية ، كما كان يرى أئمة المذاهب والتابعين لهم .

لقد أصبح هذا الخطاب حبيس اختلافات ، بل جعل سبباً من أسباب تقهقر العالم الإسلامي وتخلفه عن ركب الأمم والحضارات ، وجعلته القوة الغربية سبباً في دعوة المسلمين إلى التطرف أو ما يسمى الإرهاب في العصر الحديث ، وطالبت الحكومات الوصية على الخطاب الديني بمراجعته وتجديده حتى يواكب التطورات التي يعرفها العالم بصفة عامة والتغيرات التي يعيشها العالم الإسلامي بوجه أخص ، وكلها أفكار وانشغالات جعلت اهتمامنا ينصب حول معرفة بنية الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي ، خاصة المجتمع الجزائري ، وفي مكان يحمل الكثير من الأهمية سواء بالنسبة للدين الإسلامي ، حيث كان منطلق الدعوة إلى الإسلام ، ومنطلق صياغة أول خطاب ديني (الخطاب النبوي) ، وهو المسجد .

وقصد الوقوف على مختلف الانشغالات التي طرحناها في إشكالية الدراسة وتبنيناها في صياغة الفرضيات ، وهي الانشغالات التي تمحورت حول العوامل المؤثرة في صياغة الخطاب الديني ، انطلاقاً من إمام المسجد ، فالمتابعة الإدارية للوصاية ، وصولاً إلى الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، أي كون الخطاب الديني هو كل بيان باسم الدين الإسلامي للمسلمين وغير المسلمين ، ومن خلال الدراسة الميدانية ، وتحليلاتنا النظرية نستخلص ما يلي :

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، يعتمد على الإمام أو الخطيب الذي يقوم بتقديم خطاب لا يستطيع الخروج فيه عن ثقافته الذاتية ومكتسباته الشخصية والعلمية ، حيث تسيطر قناعته ومدى تأثره بما يحدث في المجتمع الخارجي على ما يقدم ، فهو بذلك أسير هذه المعطيات ولا يستطيع أن يخفي هذه القناعات حتى لو عارضت الخطاب الرسمي ، ويغتنم فرصة أنه العنصر الأساس والفعال ، والطرف الذي يتولى توجيه الخطاب ، فيقوم بقراءة النصوص وتفسيرها ، ويحاول إسقاطها على الواقع ، من خلال الأمثلة ، الاقتباسات المتعددة ، والنشاطات المنظمة ، حيث يُعتبر ما يُقدِّمه الإمام ، حتى ولو كان وفق توجيهات الوصاية ، قراءة لآرائه في نصوص الوحي .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب يحمل تصورات وأفكار ومعتقدات تميز الخطيب أولاً ، ثم الجهة التي وظفته ثانياً ، وبالتالي فهو خطاب إيديولوجي يسعى إلى تبرير الممارسات وقيّم المؤسسات وإضفاء بعض الشرعية عليها ، أي المساهمة في ضمان الوظائف الضرورية لإنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية بذلك التوجيه الديني المبني في الأساس على العديد من المعطيات المتوارثة ، ولعل أبرزها الشخصية القوية ، ذات التربية الدينية المستقاة من المذهب السائد في المجتمع الجزائري ، والثقافة الدينية التي تتحكم في سلوكات الإمام داخل وخارج المسجد ، والتي تجعل منه القدوة الحسنة التي يقتدي بها المصلين ، فهو في الكثير من الأحيان المثل الأعلى الذي يتصوره المصلين ويرجعون إليه في أمور دينهم ودنياهم بما أنه الحامل للواء الدين .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، هو إسقاط مباشر لكل النشاطات الدينية التي يقوم بها الإمام داخل وخارج المسجد ؛ داخل المسجد ، من خلال التوجيه الديني عن طريق الخُطب ، الدروس والمواعظ ، أو عن طريق النشاطات المنظمة للاحتفال بالأيام والأعياد الدينية والوطنية ، أي النشاطات المناسباتية التي تسطر فيها المسابقات والمحاضرات . وهذا الإسقاط المباشر يتشارك فيه الإمام مع الوصاية ، فهي نشاطات يقترحها الإمام وتباركها الوصاية وتشارك فيها ، أو تقترحها هذه الأخيرة ، وينفذها الإمام بالاشتراك مع مختلف الشركاء الاجتماعيين ، مثل الجماعات

المحلية ، المدارس أو غيرها ... وخارج المسجد ، من خلال مباركة النشاط الاجتماعي الذي يقوم به أفراد المجتمع ، أو الإجابة على تساؤلات المصلين في قضايا خاصة أو عائلية يريدون معرفة رأي الدين فيها .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، يحمل الكثير من التقديس والتبجيل ، فهو يقترن بالدين الإسلامي بكل ما هو مفكر فيه أو استحالة التفكير فيه ، وكذلك في فضاء مقدس ، إنه المسجد الذي يعتبره أفراد المجتمع بأنه ينتمي إلى أعضاء المجتمع الإسلامي جميعاً لا يمكن استغلاله لتحقيق أهداف سياسية صريحة ، فاستخدامه لمثل هذه الأغراض الدعائية أو كأداة للحفاظ على السلطة ، يؤدي إلى التقليل من شأن روحانية المكان وقداسته باعتباره مكاناً للعبادة والعلاقة الروحية التي تربط بين المؤمن وخالقه . أضف إلى ذلك أن ما يحمله الخطاب الديني من تقديس يعود إلى طبيعة ما ينظر إليه المسلمون عامة على أنه مقدس بحد ذاته ، أين يتولد تلقائياً داخل كل أفعال أفراد المجتمع ، بمعنى أن هناك مسلمات وبديهيات يقبلها الجميع .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، هو صورة ذلك التنظيم والتأطير والمراقبة والتوجيه الذي تقوم به وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، ممثلة المؤسسة الرسمية ، الصورة التي تسعى من خلالها إلى الحد من التوظيف السياسي للمؤسسات الدينية والخطاب الديني الصادر عنها ، عن طريق تسطير وتحضير وعقد الندوات الفكرية والمحاضرات وبرامج التكوين المستمر وعملية الرسكلة والتقويم ، وغيرها من النشاطات التي تحافظ على وحدة الخطاب الديني ووحدة المجتمع وقوته وتماسكه . فتعتقد الوصاية بأن هذا التنظيم ، وهذه المراقبة تجعل من الإمام لا يقع في الانحراف الذي يخرجه عن وظيفته ومهامه المحددة قانوناً ، وتجعل منه يتقيد بوظائفه الدينية عوض الخوض في شأن قد يحسب ضدهم ، أو ضد الرسالة السامية للمسجد .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب مُوجه ، تجعله الوصاية لتعزيز وتبرير الخيارات الكبرى للدولة الوطنية ، ويتم ذلك ضمن التسيير الإداري للمؤسسات الدينية بما فيها المسجد ، تحت شعار توحيد الصفوف وجعل الخطاب واحد يعبر عن وحدة الشعب والأمة . وهي توجيهات اعتبرت ضرورة شرعية تقتضيها أحوال الأمة ، ويقتضيها العصر وتقلباته . فالوصاية هي المسؤولة قانوناً وشرعاً عن كل ما يخص المسجد ، منذ تكوين الإمام وتوظيفه ، وحتى توجيهه ومراقبته ومراقبة عمله ، وإذا اقتضى الأمر تقوم بإعداد النشاطات التي تساعده فيها على معرفة المستجدات وكيفية مواجهة التغيرات التي يعرفها المجتمع . كما أن لديها كل الآليات حتى تتمكن من مراقبة الإمام داخل المسجد ، ومراقبة عمله وحتى مدى إخلاصه للطريقة التي تعتقدها في إيصال الدين الإسلامي إلى أفراد المجتمع ، خاصة في اعتمادها على المذهب المالكي كعامل توحيد وتماسك .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب ناقص وغير محقق لأهداف الإمام وأهداف الوصاية ومواجهة التغيرات التي يعرفها المجتمع الجزائري ، ويرجع ذلك إلى النقص الكبير للتكوين المقدم في مرحلة التربص والتكوين لتولي منصب الإمامة ، أو خلال الدورات التكوينية وعملية الرسكلة وإعادة التأهيل والتقويم ، فالإمام ، وحتى الوصاية تحتاج إلى آليات أخرى ، فإذا كان 95.80 % من الأئمة يرون بأن التكوين غير كافٍ وناقص ، فهذا يعني أن الخطاب المقدم نسبي ، ويكون غير كافٍ وناقص . أضف إلى ذلك نفور المواطن من كل تدخل للوصاية في أمور الدين وإشرافها

على كل ما له صلة بشؤون العبادة ، لإدراكه بأن هذا التدخل لا يخدم مصلحة الدين بقدر ما يخدم سياسة الوصاية وإيديولوجيتها وخياراتها المحلية والوطنية .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب سياسي معبئ للمواطنين ، تستعمله الوصاية لتحقيق سياساتها اتجاه المواطن في مختلف الميادين ، الثقافية ، التربوية ، الاجتماعية وخاصة السياسية . فمن خلال الخطاب الديني تسعى الوصاية إلى نشر الثقافة الإسلامية ذات الخصوصية الوطنية بين أفراد المجتمع ، كما تستعمل الإمام لغرس المبادئ التربوية التي تبنى عليها المنظومة التربوية الوطنية ، وتستغل رجوع المواطن إلى الإمام وقدسية المسجد لحل المشاكل الاجتماعية التي يستعصى حلها ، وكل هذا تضعه ضمن استغلالها الأمثل للفضاء المسجدي ، من خلال عملية التسيير الإداري بمختلف الوسائل الإدارية والبشرية ، فكلها آليات بيد الوصاية تتمكن بها من التحكم اللازم في كل جزئيات العملية الدينية منذ تعيين الإمام وصولاً إلى نشاطه (الخطاب الديني) .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب مذهبي ، يستقي مفرداته من مذهب الإمام مالك ، لأنه تعبير عن الصورة الشاملة للدين الإسلامي المبني على سعة أصوله وقواعده ، وكثرة وتنوع مصادره ومراجعه ومؤلفاته التي يمكن الرجوع إليها لصياغة الخطاب بسهولة . فلأنه خطاب مذهبي فهو لا يخرج عن الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية ، وهي نظرة الوصاية والإمام على حد سواء ، فإذا كان 96.80 % من الأئمة يلتزمون كلية بتطبيق المذهب المالكي ، فهو خطاب مذهبي ، حيث يخشى الإمام ومثله وأكثر تخشى الوصاية من انتشار مذاهب وطرق جديدة في الفقه ، العقيدة والسلوك تسبب نوع من زعزعة استقرار المجتمع ، وزيادة عوامل وأسباب الجدال والتفرقة ، فانتشار مثل هذه المذاهب يهدد الوحدة والانسجام الدينين اللذين كانا سبباً في استقرار الجزائر لقرون خلت .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب واعظ ومرشد ومهذب ، فهو خطاب يسعى إلى تهذيب النفوس وإرشادها إلى الطريق الصحيح من خلال تذكيرها وإرشادها إلى الأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية . وينطلق الخطاب الديني من كون الدين أمر فطري تطلبه النفس ويطلبه المجتمع . فهو خطاب واعظ ؛ لأنه يحمل عبارات الوعظ التي تجعل من الإنسان يأتمر بالمعروف وينتهي عن المنكر ، فهو يبين لأفراد المجتمع ما ينبغي عليه الحال المستقيم ، وما يكون عليه الحال السيئ والفرق بينهما في المجتمع ، وفي صلاحه أو فساده . وهو خطاب مرشد إلى السلوك القويم والأخلاق الحميدة . كما أنه خطاب مهذب ، يسعى إلى تهذيب شخصية المؤمن وتقويتها وجعلها قادرة على أداء وظائفها الإنسانية والحيوية بكل نشاط وتفاعل روحي كبير ، حيث يجعل النفس الإنسانية أقوى وأصلب وأقدر على تحمل المتاعب ومواجهة التحديات عن طريق المشاركة الاجتماعية التي يفرضها المسجد وحق الجوار الديني والتلاقي الاجتماعي .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب ضابط ، وهو يستمد هذا الضبط من وسائل الضبط الاجتماعي الموجودة في الدين الإسلامي ودورها الفعال في كبح الانحراف والجريمة والسلوك السيئ ، ونشر الفضيلة والأخلاق الحميدة بين أفراد المجتمع . فالخطاب الديني يحث على التزام أفراد المجتمع بمفردات الضبط الاجتماعي في علاقاتهم الخاصة والعامة ، وهو ما يؤدي على تقوية الوازع الديني وتكافل الأفراد فيما بينهم وتضامنهم وتماسكهم ووحدتهم . كما أن الخطاب الديني يحمل ماهية القيم الإيجابية التي ينبغي التمسك بها ، وماهية القيّم السلبية التي ينبغي

الابتعاد عنها ، وهي عوامل تقوي من شخصية الفرد والمجتمع ، وتميز بين الصالحين في المجتمع من غيرهم ، حيث يستدل الخطاب الديني بركيزتيه الأساسيتين القرآن الكريم والسنة النبوية ، لتحريك الدوافع النفسية لتقبل ما يقدم وتحويله إلى سلوك داخل المجتمع .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب نظري وغير مؤثر ، فرغم أن الأئمة لا يدخرون أي جهد للقيام بكل النشاطات التي توصل الدين الصحيح وفق المرجعية الدينية إلى أفراد المجتمع ، وفي نفس الوقت ما تقوم به الوصاية من تحكم في الخطاب بمختلف الأشكال ، فهي تتحكم فيه عن طريق توظيف الأئمة وتكوينهم ومراقبتهم وتوجيههم ، كما تتحكم فيه عبر إجبارهم على إتباع سياستها في صياغة الخطاب وتسطير البرامج التي تراها مناسبة ، وتمدهم بها بمختلف الوسائل ، مثل الندوات ودورات التكوين وإعادة التأهيل والرسكلة ، إلا أن ما يقدم من خُطب ودروس ومواعظ ونشاطات مختلفة يبقى يطغى عليه الطابع النظري المثالي ، ولا يؤثر إلا نادراً في أفراد المجتمع الذين يتعاملون معه بفكر مسبق وبخلفيات متعددة ، سواء التي تعتقد بأنه يخدم مصالح الوصاية لا غير ، أو الذين يخالفونهم المذهب أو الطائفة ، فهم ينكرون ذلك الخطاب جملة وتفصيلاً .

إن القراءة المتأنية لكل المعطيات النظرية والميدانية ، وبناءً على كل الاستنتاجات السابقة ، نستخلص ما يلي :

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطابات متعددة ، وليس خطاب واحد ، تشترك فيه الكثير من الأمور ، لأنهم ينتمون لنفس البيئة الاجتماعية ويخضعون لتأثيراتها ، ولكن اختلافها يكمن في اختلاف درجات التأثر . تأثر بالخطيب الذي يتولى مهمة تنفيذ هذا الخطاب وما يحمله من انتماء عقائدي أو ميول ثقافي أو اتجاه إيديولوجي ، أو تأثر بالطريقة الإدارية التي تفرضها الوصاية من خلال الكم الهائل من الآليات والميكانيزمات التي تسيطر بها على الإمام وعلى المسجد في نفس الوقت ، أو تأثر بالتوجه المذهبي والمرجعية الدينية سواء من جهة الخطيب أو من جهة الوصاية .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب نظري ، يطرح رؤى لإصلاح الواقع بإسقاط أحداث الحاضر على وقائع موجودة في كتب التراث ، أو في كتب التاريخ الإسلامي ، يستند على مرجعية وحيدة ليبني بها نسقاً من الرمزيات الموثوقة والمتعالية عن الجدل والتشكيك من أجل التأثير على المتلقي وتحريك عواطفه ، وهنا يجد صاحب الخطاب نفسه يحمله ما لا يطيق من مادة لا يفهمها المتلقي ، أو تتعارض وتتشابك مع الرغبات الفردية ، وتتداخل مع العوامل النفسية ، فيختلط في هذا الخطاب المعقول مع غير المعقول ، والموضوعي مع غيره والواقعي مع المخيال الاجتماعي ، يكون تارة بوعي وتارة أخرى بغير وعي ، حيث يؤسس لهيمنة عقلية وروحية وأدبية على المتلقي تمارس نوعاً من الضغط عليه ، فيؤدي إلى إلغاء الحريات باسم الوحدة الوطنية ، أو باسم الدعوة إلى التفاف الجماهير حول الخطاب المقدم ، أو إلغاء النقد البناء خوفاً من التهديدات الخارجية ، والمحافظة على وحدة الكلمة وتراص الصفوف .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، خطاب تاريخي بامتياز ، لأنه يعتمد على الكتاب والسنة النبوية والأحكام المستنبطة منهما كإطار مرجعي ، حيث أن الكثير من النماذج العملية الشارحة لنصوص الوحي وأحكام الشريعة موجودة في هذا التاريخ ، فالخطاب الديني يأخذ السوابق التاريخية بعين الاعتبار ، ويتخذ منه ـــ أي التاريخ ـــ معياراً وأداة للحكم على الأوضاع الراهنة . فيعود للتاريخ تحت الكثير من العوامل المؤثرة التي تعتبر أن هذا الأخير يشكل نوعاً من الامتداد للمنهج الإلهي الذي يؤمن به ، ويرى بأنه يمكن استخدام هذه الوقائع لسد الكثير من الفجوات في الرؤية الخاصة بالواقع والمستقبل ، خاصة في المجال الفكري والسياسي .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، يعيش أزمة في الملاءمة أو التوفيق ما بين المعتقد والسلوك ، فهو الذي تعلق عليه كل الآمال من أجل إخراج أفراد المجتمع من المشاكل المعقدة التي يعيشها في مختلف المناحي ، العقائدية ، الفكرية وخاصة السلوكية . فالكثير من أعلام الخطاب الديني يرون بوجود فجوة بين مقاصد الخطاب الديني وأثرها في حياة الفرد والمجتمع . وترجع هذه الفجوة إلى قصور الخطاب الديني في معرفة وإدراك عميق للتحولات الجارية في الداخل والخارج ، وإدراك التحديات التي تواجه المجتمع والأمة ، حيث لا يمكن معالجة هذه التحولات والتحديات بخطاب شمولي يستحضر التراث لحل مشاكل العصر . فالخطاب الديني لا يهتم بالحديث عن الكيفيات والأساليب والأدوات التي يحتاجها المجتمع للتقدم والتطور ، فقليل جداً ما نجد من بين أعلام الخطاب الديني من يولي اهتماماً لترسيخ المفاهيم التي تعالج القضايا الاجتماعية الراهنة .

❁ إن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، يعيش في ظل بيئة متخلفة في مجال البحث العلمي والدراسات الاجتماعية المعمقة ، فمهما تكن قوة العقيدة المتشبع بها أو الإيديولوجية التي يتبناها الخطيب ، إلا أن هذا الواقع يعد عامل تثبيط يقف أمامه الخطاب الديني ، لذلك يلجأ إلى الشمولية التي يتصف بها الدين ، ليس في القضايا العامة التي تحتاج إلى الشمول ، بل يلجأ إلى الشمول في القضايا والأمور التي تحتاج أو تتطلب التفصيل ، فيستعمل المفاهيم والمصطلحات الغامضة ، ويبني على أسس ومعطيات ثقافية نسبية منطلقات ومواقف حاسمة .

ثالثاً : صعوبات الدراسة :

أو ما يسمى بالعوائق والعراقيل التي تقف أمام السير الحسن والعادي للبحث العلمي أو الدراسة ، إذ لا يخلوا أي بحث في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية لا تعترض طريقه الكثير من الصعوبات التي لا يحسب لها الباحث أي حساب ، ويسميها فريد الأنصاري العوائق العلمية ، حيث يقول عنها بأنها :« عبارة عن حواجز تقف دون الوصول إلى حقيقة ، أو حقائق ما ، في موضوع علمي معين . إنها مشكلات معرفية جزئية تعرقل الفهم للقضية ، أو لمجموعة من القضايا العلمية ، إما لأمر يتعلق بذات الدارس أو بالموضوع المدروس »[1].

ومن بين الصعوبات التي عرقلت السير العادي لهذه الدراسة ، سواء في الجانب النظري أو الجانب الميداني ، نذكر منها على سبيل الحصر :

01 ـ في الجانب النظري :

- صعوبة حصر الموضوع ، فموضوع الخطاب الديني ، موضوع شاسع ومتشعب ، وقليلة هي المراجع الموجهة مباشرة إلى دراسة الخطاب الديني في المؤسسات الدينية ، مثل : المسجد ، فكل الدراسات تطرقت إلى الخطاب الديني بصفة عامة ، أو في موضوع بعينه ، مثل : تجديد الخطاب الديني .
- الدراسات التي تمكنا من مطالعتها والوصول إليها طغى عليها الجانب الفكري ، فقليلة جداً الدراسات التي تناولت الخطاب الديني من الجانب السوسيولوجي ، إذا ما استثنينا بعض المذكرات المقدمة لنيل شهادة الماجستير أو دكتوراه علوم ، والتي عانت من نفس المشكل .
- صعوبة التوصل إلى دراسات باللغة الأجنبية (فرنسية أو إنجليزية) حول موضوع الخطاب الديني ، ما عدا بعض المقالات ومذكرات التخرج في الماستر ، وهو ما جعل مبحث الدراسات السابقة باللغة الأجنبية يحتوي فقط على المقالات والمداخلات في الملتقيات .

02 ـ في الجانب الميداني :

- تأخر الحصول على رخصة البحث من طرف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، حيث حصلنا عليها فقط خلال التسجيل في السنة الدراسية 2013 – 2014 ، أي السنة الثالثة دكتوراه ، ويرجع ذلك إلى التغيرات التي عرفتها الوزارة في هذه المرحلة (تغيير وزاري) ، وما يرافق هذا التغيير من مرحلة انتقالية أخذت منا الوقت الكثير .
- صعوبة التنقل والاستقرار في الولايات المدروسة ، خاصة وهران وقسنطينة ، وما يكلف ذلك من توفير وسائل مادية ومالية لإنجاح الدراسة ، خاصة في ظل الوضعية الاجتماعية للباحث ، وما يرافق ذلك من ضرورة التوفيق بين الحياة اليومية ومتطلبات البحث .
- تخوف عيّنة الدراسة من الاستجابة العفوية للمقابلات التي أجريناها ، فعامل (واجب التحفظ) عرقل بصفة كبيرة السير العادي للمقابلات ، ففي كثير من الأحيان ما كان جواب الإمام المصرح به لا يعبر عن حقيقة الموقف الصحيح الذي يراه ، فمنهم من كانت له الجرأة بالتصريح بذلك علناً ، خوفاً على الوظيفة أو المهمة التي يشغلها حالياً .

---

[1] فريد الأنصاري : **مرجع سبق ذكره** ، ص : 184 .

خاتمـة :

إن الوصول إلى هذه النقطة ، أو المحطة تكون الدراسة قد مرت بالعديد من المراحل المهمة ، استعرضنا خلالها الاقترابات النظرية ، وحاولنا الإحاطة بكل متطلبات الدراسة العلمية في حقل من حقول علم الاجتماع ، وهو التخصص الذي نزاول فيه الدراسة ، ونعني بذلك علم الاجتماع الديني . انطلاقا بكثير من الهواجس والتساؤلات التي بنيناها في إطار إشكالية الدراسة ، وقمنا بعرض وتحليل مختلف المعطيات الميدانية التي جمعناها من مقابلات عيّنة الدراسة ، وصولاً إلى اختبار الفروض فاستنتاجات الأولية أو الجزئية وصولاً إلى الاستنتاجات العامة ، أي وصول الدراسة إلى مبتغاها .

ففي كل مراحل الدراسة ، رأينا أن تناول الخطاب الديني ، بصفة عامة ، صعب المراس ، ولا يمكن التحكم في كل جوانبه ، لأنه ببساطة يتناول الجانب الفكري من الدين ، أي ما يعتقده أو يراه الإنسان صحيحاً لتطبيق المبادئ الكلية للدين الإسلامي ، نقول الدين الإسلامي ، لأن الخطاب الذي حاولنا دراسته ، هو خطاب الدين الإسلامي دون سواه من الخطابات الدينية الموجودة في المجتمع العالمي . فهذا الخطاب له الكثير من الخصوصيات التي تميزه عن غيره ، أهمها أنه الأكثر شعبية ، وله جماهير كبيرة ، خاصة في المجتمعات الإسلامية .

إن ما سجلناه خلال هذه الدراسة ، كون الكثير من أعلام الخطاب الديني ، يقعون في خلط بين الدين الإسلامي ، وبين الخطاب الديني الناقل له ، أو المفسر لكلياته وجزئياته ، أي يقعون في خلط بين ما يسمى التفريق ما بين الذِكر تعبيراً عن الدين ، وما بين الفكر ، تعبيراً عن فهم الإنسان لهذا الذِكر ، وهذا التفريق ما حمل الخطاب الديني إلى مكانة الدين في حد ذاته ، وأخذ ما للدين من قداسة وتقديس ، وأصبح الذي يريد فهم الخطاب الديني أو يطالب بإعادة النظر فيه حسب متطلبات الواقع يضع نفسه موضع الشك ، ويمكن أن يوصله ذلك إلى إخراجه من الملة أو تكفيره وفق فهم دوغمائي مغلق يسيطر اليوم على صياغة الخطاب الديني .

لا يشكك أحد في المكانة المفصلية للمسجد ، كفضاء للعبادة وتقوية الوازع الديني والسهر على تحقيق الرسالة السامية التي بناها وأسسها النبي ﷺ منذ دخوله المدينة المنورة ، وتأسيس أول مسجد (المسجد النبوي) . ففي الدين الإسلامي ، وحتى في الخطاب الديني ينقل بأن المسجد مكان فضله الخالق بأن وصفه ببيته في هذه الأرض تكريماً وتشريفاً وتفضيلاً ، لذلك كان الخطاب الصادر من هذا المسجد أكثر أهمية والأكثر مصداقية ، والمؤثر في أفراد المجتمع ، لذلك كان المسجد ولا يزال مكان للصراع بين أفراد المجتمع على اختلاف مذهبهم ، مشاربهم ومصادر أفكارهم ، ولذلك حاولت الوصاية السيطرة عليه وإخضاعه لسياساتها ، فارتبط الخطاب الديني بالخطاب السياسي ارتباطاً بين العقيدة والسياسة ، أو ارتباطاً بين الدين والإيديولوجية .

إن هذه الدراسة حاولت تسليط الضوء على العوامل المؤثرة في صياغة الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، انطلاقاً من محاولة معرفة الجهات المؤثرة فيه أو عليه ، فكان الإمام الشخص الأول المقصود بهذه الدراسة ، لأنه المكلف شرعاً وقانوناً بتقديم هذا الخطاب ، شخص تتضافر العديد من العوامل في تقديمه لهذا الخطاب ، ولعل أهمها تلك الصفات والسمات الشخصية ، ثقافية كانت أو علمية ، ذات توجه إيديولوجي يسيطر على ما يقدم ، لأنه لا يمكن لشخص أن ينطق بشيء لا يفهمه أولاً ، ثم لا يقتنع أو لا يؤمن به ، فإن الإمام الذي يقدم ما لا يؤمن به سيكون في موقع حوار الأطرش مع نفسه ، ومع غيره ، لا يستطيع أن يوصل أو يحقق أهداف الخطاب الذي يسهر على صياغته .

لقد تحدثنا عن الصفات التي رأتها عينة الدراسة بأنه يجب توفرها في أي خطيب يعتلي منبر الإمامة ، وهي الصفات التي كانت مبنية على العديد من الإسقاطات ، أهمها ما هو متوارث في التراث الإسلامي حول الدعاة والأئمة من علم وتقوى وورع ومصداقية ، ومنها ما هو إسقاط لما يعيشه الإمام بين أفراد المجتمع واحتكاكه الدائم بالمصلين ، فهو المرجعية الدينية لهم ، يرجعون إليه في مقاربة أمور دينهم بدنياهم ومنحهم نظرة الدين الصحيح لكل ما يستجد عليهم . ثم ما يقدم له من تكوين يمنحه مواصفات الخطيب الناجح المتمكن في تسيير الشؤون الدينية والدنيوية للمسجد الذي يعين على رأسه .

فهذه الصفات التي اختصرتها عينة الدراسة في الشخصية القوية القادرة على السيطرة على أمور المسجد لها تأثير كبير على ما يصاغ من خطاب يقدم لعامة أفراد المجتمع ، يظهر من خلاله الخطيب ، خاصة بعد التمكن من عامل الخبرة والأقدمية في هذا المنصب ، ويتعرف عن كثب عن ذهنية الذين يقابلهم ويقدم لهم مادته في مناسبات دينية ضرورية يلقوا فيها الأسماع والأفئدة لتحريك ما لديهم من عواطف وإثارة ما لديهم من كوامن قد تجعل ما يقول سلوكات داخل المجتمع . غير أن ما يعاب على الخطيب في المساجد الجزائرية هروبه للتعميم واستعمال شمول الدين والابتعاد عن التخصيص الذي يريده المتلقي لحل المشاكل التي يعيشها ، أو يجد إجابات لكثير من الانشغالات التي تؤرقه في تسيير حياته الدنيوية .

كما تحدثنا عن جهة مؤثرة ، تنظر لنفسها بأنها المسؤولة شرعاً وقانوناً عن المساجد ، كما هي مسؤولة عن صياغة أي خطاب يقدم لأفراد المجتمع بأنهم رعية السلطان أو الحاكم أو الرئيس ، تلك هي ما أسميناه في هذه الدراسة بالوصاية ، وهي ممثلة بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، فهي لا تعبر عن مؤسسة دينية ، بل تعبر عن نظام شامل من الإجراءات القانونية والتنظيمية التي تحدد معالم الخطاب الديني المقدم إلى أفراد المجتمع ، صغيرهم عن طريقة ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية ، التي ترسخ في عقل الصغار معالم الدين الإسلامي ، وكبيرهم عن طريق التربية والتثقيف وترسيخ الثقافة الإسلامية ذات الخصوصية الوطنية في نفوس الجميع . وتنطلق الوصاية من كونها حامية الدين والساهرة على تبليغه عن طريق المؤسسات الدينية المختلفة التي هي تحت سيطرتها من منبعه الأصيل ، والذي تراه وفق المذهب المالكي ، العقيدة الأشعرية وبعض من تصوف الشيخ الجنيد .

إن منطلق الوصاية في تأطير الخطاب الديني ، كون الإمام مجرد موظف لديها يبلغ عنها ، وليست له الحرية في الخروج عن ما تريد ، فالخطاب الديني بالنسبة لها وسيلة لتبرير وتعزيز الخيارات الوطنية للدولة ، لذلك فهي تقوم بتنظيم ، تكوين ، تأطير ومراقبة كل العملية منذ البداية ، أي منذ السهر على تكوين الإطارات الدينية في المعاهد الوطنية لتكوين الإطارات الدينية ، ثم التوظيف عن طريق المسابقات التي تتحكم فيها الوظيفة العمومية ، وصولاً إلى التعيين ، ومن ثم المراقبة الدائمة والمستمرة لهذه الإطارات وفق آليات تضعها تحت تصرفها من معتمد إلى مفتش إلى غير ذلك ، ثم مروراً بعملية إعادة التأهيل ، الرسكلة والتقويم ، وهي عملية إدارية تكوينية تهدف من خلالها الوصاية إلى وضع إطاراتها أمام مختلف المستجدات التي تعرفها الجزائر في هذا القطاع ، ويعرفها العالم في مجال الدين ومختلف المتغيرات التي يجب على الأئمة مواجهتها وأخذ الوسائل اللازمة لذلك .

إن الوصاية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف) تكاد تكون هي العامل المؤثر على صياغة الخطاب الديني ، لها تأثير كبير وسلطة على وسيلة الإلقاء ، أي الإمام ، لكن الواقع يثبت عكس ذلك ، وإلا لما تساءلنا عن سعي الوصاية الدائم في تطوير وسائل الخطاب ومراقبة تكاد تكون يومية لنشاطات الإمام ، خاصة في مجال المرجعية الدينية والتوجه المذهبي ، أين وجدنا من يخالفها ـــ أي الوصاية ـــ في هذه المرجعية ، وهذا التوجه ، ويقدم ما يريد وفق ما يقتنع ويؤمن به ولا يخشى انعكاسات ذلك على حياته الاجتماعية . أضف إلى ذلك أن الوصاية لا تتحكم فيما يحدث بين الإمام والمصلين خارج الأوقات الدينية ، ولا تستطيع التحكم في قناعات وانتماءات أفراد المجتمع .

لقد رأينا أن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية يعتمد على ثلاثية لا يستطيع الخروج عليها ، وتمثل الصورة الشاملة للدين الإسلامي ، فالخطاب الديني لا يمكن أن تكون خارج المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية ويعض من تصوف الشيخ الجنيد ، لأن القائمين على هذا الخطاب يرون بأن انتشار مذاهب وطرق جديدة في الفقه ، العقيدة والسلوك سوف يسبب زعزعة كبيرة لاستقرار المجتمع ويزيد من عوامل وأسباب الجدال والتفرقة ، كما أن انتشار مثل هذه المذاهب يهدد الوحدة والانسجام الدينين اللذين كانا سبباً في استقرار الجزائر لقرون خلت ، على الرغم بأن هذا الأمر يعتبر حد من حرية الرأي التي تطالب بها فئات كثير من المجتمع في ظل العولمة وعالمية حقوق الإنسان .

لقد خلصنا إلى أن الخطاب الديني في المساجد الجزائرية مركب ، فهو ليس خطاب واحد ، بل خطابات متعددة تنتمي إلى نفس البيئة الاجتماعية وتخضع لتأثيراتها . كما أنه خطاب نظري ، يطرح رؤى لإصلاح الواقع بإسقاط أحداث الحاضر على وقائع موجودة في كتب التراث ، أو في كتب التاريخ الإسلامي ، يستند على مرجعية وحيدة ليبني بها نسقاً من الرمزيات الموثوقة والمتعالية يؤسس لهيمنة عقلية وروحية وأدبية على المتلقي تمارس نوعاً من الضغط على أفراد المجتمع .كما أنه خطاب تاريخي يعتمد أو يأخذ السوابق التاريخية بعين الاعتبار ، ويتخذ من التاريخ معياراً وأداة للحكم على الأوضاع الراهنة . كما أنه يعيش أزمة في الملاءمة ما بين المعتقد والسلوك ، وهو ما خلق فجوة بين مقاصد الخطاب الديني وأثرها في حياة الفرد والمجتمع الذي يعيش في ظل بيئة متخلفة في مجال البحث العلمي والدراسات الاجتماعية المعمقة ، لذلك يلجأ إلى الشمولية التي يتصف بها الدين ، ليس في القضايا العامة التي تحتاج إلى الشمول ، بل يلجأ إلى الشمول في القضايا والأمور التي تحتاج أو تتطلب التفصيل .

في الأخير ، لا بد أن نشير إلا أن هذه الدراسة المتواضعة ، ما هي إلا محاولة لفهم العوامل المؤثرة في صياغة الخطاب الديني بالمؤسسات الدينية ، خاصة المساجد ، وبالأخص فهم العوامل ذات الخلفيات الاجتماعية والدينية والإدارية (السياسية) التي أدت إلى صياغة الخطاب بهذا الشكل دون غيره من الأشكال ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى محاولة القيام بدراسة سوسيولوجية ودينية للخطاب الديني ، خاصة في هذه المرحلة التي جعلت هذا الخطاب سبباً في مختلف الأزمات التي يعيشها العالم الإسلامي .

قائمة المصادر والمراجع والجداول

I ــ المصادر والمراجع باللغة العربية .

II ــ المصادر والمراجع باللغة الأجنبية .

III ــ الجداول الإحصائية .

I ــ المصادر والمراجع باللغة العربية :

أولاً ــ المصادر :

1. القرآن الكريم .

ثانياً ــ الكتب :

1 ــ كتب في المنهجية :

2. إبراهيم مروان: **أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ،** ط 01 ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2000 .
3. الأنصاري فريد : **أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، محاولة في التأصيل المنهجي ، ضوابط ، مناهج ، تقنيات ، أفاق ،** ط 01 ، سلسلة الحـوار 27 ، منشورات الفرقان ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997
4. أو زينة فريد كامل وآخرون : **مناهج البحث العلمي ، طرق البحث النوعي ،** ط 02 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، 2007 .
5. بدر أحمد : **أصول البحث العلمي ومناهجه،** ط 09 ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر ، 1996 .
6. بدر أحمد: **مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات ،** دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1988 .
7. الجوهري محمد ، الخريجي عبد الله : **طرق البحث الاجتماعي ،** دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1990 .
8. حجاب محمد منير: **الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية ،** ط 03 ، سلسلة دراسات وبحوث إعلامية (6) ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2000 .
9. خضر عبد الفتاح : **أزمة البحث في العالم العربي ،** ط 03 ، سلسلة دراسات تصدر عن مكتب صلاح الحجيلان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1992 .
10. دويدري وحيد رجاء : **البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارسته العلمية ،** ط 01 ، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، 2000 .
11. الربيعة عبد العزيز: **البحث العلمي ، حقيقته ، ومصادره ، ومادته ، ومناهجه ، وكتابته ، وطباعته ، ومناقشته ،** ط 02 ، ج 01 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2000 .
12. الساعاتي أمين: **تبسيط كتابة البحث العلمي ، من البكالوريوس ، إلى الماجستير .. وحتى الدكتوراه ،** ط 01 ، المركز السعودي للدراسات الإستراتيجية ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1991 .

13. سلاطنية بلقاسم ، الجيلاني حسان : **أسس المناهج الاجتماعية ،** ط 01 ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2012 .

14. شفيق محمد : **البحث العلمي – الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية ،** المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ، 1998 .

15. الصيرفي محمد عبد الفتاح حافظ : **البحث العلمي ، الدليل التطبيقي للباحثين ،** ط 01 ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، 2002 .

16. الطحاوي جمال إسماعيل : **مدخل إلى البحث الاجتماعي ،** دار التيسير للطباعة والنشر والتوزيع ، المنيا ، مصر ، 1998 .

17. العايدي محمد عوض : **إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية ، مع دراسة عن مناهج البحث** مركز الكتاب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

18. عقيل عقيل حسين : **فلسفة مناهج البحث العلمي ،** مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، 1999 .

19. عليان ربحي مصطفى ، غنيم عثمان محمد : **مناهج وأساليب البحث العلمي ، النظرية والتطبيق ،** ط 01 دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2000 .

20. العيسوي عبد الفتاح محمد ، العيسوي عبد الرحمن محمد : **مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث ،** سلسلة دراسات في التراث الإسلامي والعربي ، دار الراتب الجامعية بيروت ، لبنان ، 1996 . 1997 .

21. غانم عبد الله عبد الغني : **قراءات وتطبيقات في طرق البحث الأنثروبولوجي ،** ط 01 ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2004 .

22. الفضلي عبد الهادي : **أصول البحث ،** ط 01 ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، اللجنة الدائمة للمناهج والكتب ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، 1992 .

23. قباري محمد إسماعيل : **مناهج البحث في علم الاجتماع ، مواقف واتجاهات معاصرة ،** منشأة المعارف بالإسكندرية ، الإسكندرية ، مصر ، 1982 .

24. القصيبي عبد الغفار رشاد : **مناهج البحث في علم السياسة ،** منشورات جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ، مصر ، 2004 .

25. قنديلجي عامر: **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات ،** ط 01 ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ، 1999 .

26. محمد حسن عبد الباسط : **أصول البحث الاجتماعي ،** ط 02 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1979 .

27. المناسبة أمين محمد سلام : **قواعد البحث العلمي ومناهجه ومصادر الدراسات الإسلامية ،** مؤسسة رام للتكنولوجيات والكمبيوتر ، مؤتة ، الأردن ، 1995 .

2ـ كتب في الموضوع:

28. بغورة الزواوي : **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ،** المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر 2000 .

29. بكار عبد الكريم : **تجديد الخطاب الإسلامي ، الرؤى والمضامين ،** ط 01 ، العبيكان مكتبات ونشر الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2006 .

30. الجابري محمد عابد : **الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ،** ط 05 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مارس 1994 .

31. حمادي إدريس : **الخطاب الشرعي وطرق استثماره ،** ط 01 ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 .

32. دياب محمد حافظ: **سيد قطب ، الخطاب والإيديولوجيا ،** دار العالم الثالث للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) .

33. ريكور بول : **نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ،** ط 02 ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 .

34. الزبير عبد الرحمن عبد الله : **دعوة الجماهير ، مكونات الخطاب ... ووسائل التسديد ،** سلسلة كتاب الأمة ، رقم 76 ، تقديم : عمر عبيد حسنه ، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ، 2000 .

35. الزبير عبد الرحمن عبد الله : **من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق ،** ط 01 ، سلسلة كتاب الأمة ، رقم 56 ، تقديم : عمر عبيد حسنه ، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر ، 1997 .

36. الشاهد السيد محمد : **الخطاب الفلسفي المعاصر (من العام إلى الأعم) ،** دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2000 .

37. الصفار حسن : **الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان ،** ط 01 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 .

38. عمارة محمد : **الخطاب الديني ، بين التجديد الإسلامي ... والتبديد الأمريكاني ،** ط 02 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ، مايو 2007 .

39. الغدامي عبد الله محمد : **الفقيه الفضائي ، تحول الخطاب الديني من المنبر إلى الشاشة ،** ط 02 المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2011 .

40. الغدامي عبد الله محمد : **النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،** ط 03 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 .

41. فاركلوف نورمان : **تحليل الخطاب : التحليل النصي في البحث الاجتماعي ،** ط 01 ، ترجمة : طلال وهبة المنظمة العربيـة للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ديسمبر 2009 .

42. هويدي فهمي : **القرآن والسلطان ، هموم إسـلامية معاصـرة ،** ط 04 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1999 .

3 ـ كتب للدكتور محمد أركون :

43. أركون محمد : **العَلمَنة والدين ـ الإسلام ، المسيحية ، الغرب ،** ط 03 ، ترجمة : هاشم صالح بحوث اجتماعية (04) ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

44. أركون محمد : **الفكر الإسلامي ـ قراءة علمية ،** ط 02 ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت ، لبنان ، 1996 .

45. أركون محمد : **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ،** ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر العاصمة ، الجزائر ، 1993 .

46. أركون محمد : **الفكر العربي (مع مقدمـــة من المؤلف خاصة بالطبعة العربيـة) ،** ط 03 ، ترجمة : عادل العـوَّا ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

47. أركون محمد : **القرآن ، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ،** ط 02 ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مارس 2005 .

48. أركون محمد : **تاريخية الفكر العربي الإسلامي ،** ط 02 ، ترجمة : هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

49. أركون محمد : **قضايا في نقد العقل الديني ، كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ ،** ط 02 ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2000 .

50. أركون محمد : **معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية ،** ط 01 ، ترجمة : هاشم صالح دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 2001 .

51. أركون محمد : **من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ،** ط 01 ، ترجمة : هاشم صالح ، بحوث اجتماعية (II) ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1991 .

52. أركون محمد : **نافذة على الإسلام ،** ط 01 ، ترجمة : صيَّاح الجهيّم ، دار عطية للنشر ، بيروت لبنان ، 1996 .

53. أركون محمد : **نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ،** ط 01 ، ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 2011 .

54. أركون محمد : **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ،** ط 01 ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1999 .

4 ـ كتب للدكتور يوسف القرضاوي :

55. القرضاوي يوسف : **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر ،** ط 01 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1996 .

56. القرضاوي يوسف : **الإسلام والعلمانية ، وجها لوجه ،** ط 07 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1997

57. القرضاوي يوسف : **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ،** ط 05 ، حتمية الحل الإسلامي (1) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1993 .

58. القرضاوي يوسف : **الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2001 .

59. القرضاوي يوسف : **الفتوى بين الانضباط والتسيب ،** ط 01 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1988 .

60. القرضاوي يوسف : **ثقافة الداعية ،** ط 10 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1996 .

61. القرضاوي يوسف : **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2004 .

62. القرضاوي يوسف : **ظاهرة الغلو في التكفير ،** ط 03 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1990

63. القرضاوي يوسف : **عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية ،** ط 02 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1992 .

64. القرضاوي يوسف : **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ،** ط 03 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر 1992

65. القرضاوي يوسف : **في الطريق إلى الله (01) ، الحياة الربانية والعلم ،** ط 01 ، تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1995 .

66. القرضاوي يوسف : **في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة ،** ط 02 ، دار وهبة ، القاهرة مصر ، 1996 .

67. القرضاوي يوسف : **من فقه الدولة في الإسلام ، مكانتها .. معالمها .. طبيعتها .. موقفها من الديمقراطية والتعددية والمرأة وغير المسلمين ،** ط 03 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2001 .

5 ـ كتب متنوعة :

68. آبادي محمد شمس الحق العظيم : **عون المعبود شرح سنن أبي داود ،** ط 02 ، ضبط وتحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 1969 .

69. إبراهيم بن محمد أبو حذيفة : **آداب المسجد ،** ط 01 ، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع ، طنطا ، مصر ، 1989 .

70. ابن الحجاج أبي الحسين مسلم : **صحيح مسلم ،** تحقيق وتصحيح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، دمشق ، سورية ، (د . ت) .

71. ابن عاشور محمد الطاهر : **تفسير التحرير والتنوير ،** الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 .

72. ابن كثير إسماعيل : **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ،** ط 01 ، دار الآفاق العربية ، نشر ، توزيع ، طباعة ، القاهرة ، مصر ، 2006 .

73. ابن ماجه محمد القزويني : **سنن ابن ماجه ،** ط 01 ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) .

74. أبو المجد عبد الجليل ، حارث عبد العالي : **تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة ،** إفريقيا الشرق الدار البيضاء ، المغرب ، 2011 . .

75. أبو زيد نصر حامد : **الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية ،** ط 02 ، مكتبة مدبولي القاهرة مصر ، 1996 .

76. أبو زيد نصر حامد : **نقد الخطاب الديني ،** ط 02 ، سينا للنشر ، القاهرة ، مصر ، 1994 .

77. أبي داود سليمان أبي الأشعث : **سنن أبي داود ،** تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) .

78. أحمد أبو سليمان عبد الحميد : **أزمة العقل المسلم ،** ط 01 ، سلسلة المنهجية الإسلامية (1) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، دار القارئ العربي ، القاهرة ، مصر ، 1991 .

79. أحمد خليل خليل: **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ،** ط 01 ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1984 .

80. أحمد عيسى عبده غالب : **مفهوم التصوف ،** ط 01 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1992 .

81. الأشقر محمد سليمان عبد الله : **الواضح لأصول الفقه للمبتدئين ،** ط 02 ، دار النفائس للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ، 2004 .

82. الألباني محمد ناصر الدين : **سؤال وجواب حول فقه الواقع ،** ط 02 ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، 1990 .

83. الألباني محمد ناصر الدين : **مختصر صحيح الإمام البخاري ،** ط 01 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2002 .

84. أمامة عدنان محمد : **التجديد في الفكر الإسلامي ،** ط 01 ، رسائل جامعية (28) ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، 2003 .

85. البخاري محمد : **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ،** ط 01 ، شرح وتحقيق : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، مصر ، 1979 .

86. البستاني محمد : **الإسلام وعلم الاجتماع ،** ط 01 ، موسوعة الفكر الإسلامي (03) ، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1994 .

87. بكار عبد الكريم : **المتحدث الجيد مفاهيم وآليات ،** ط 01 ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2010 .

88. بن عروس زهرة وآخرون : **الإسلاموية السياسية، المأساة الوطنية،** ط 01، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2002 .

89. بن مالك أنس : **الموطـأ ،** تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

90. بن نبي مالك : **مشكلة الثقافة ،** ط 04 ، مشكلات الحضارة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، سورية ، 1984 .

91. البنا جمال : **حرية الفكر والاعتقاد في الإسلام ،** رسائل 03 ، منشورات مؤسسة فوزية وجمال البنا للثقافة والإعلام الإسلامي (الكوثر) ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، 1998 .

92. البنا رجب : **الأميّة الدينية والحرب ضد الإسلام ،** دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1999 .

93. البهي محمد : **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،** ط 04 ، مكتبة وهبة ، القاهرة مصر ، (د . ت) .

94. البوطي محمد سعيد رمضان : **السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ،** ط 01 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، سورية ، 1988 .

95. بومخلوف محمد وآخـــرون : **واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربويـة في الوسـط الحضـري (القطيعة المستحيلة) ،** ط 01 ، مخبر الوقاية والأرغنوميا ، جامعة الجزائر ، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام ، الحراش ، الجزائر ، 2008 .

96. التبريزي محمد الخطيب : **مشكاة المصابيح ،** ط 02 ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1979 .

97. الترمذي محمد بن عيسى : **سنن الترمذي ،** ط 01 ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) .

98. جاد الحق جاد الحق علي : **الفتاوى الإسلامية ،** ط 01 ، دار الفاروق للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، 2005 .

99. الجزائري أبو بكر جابر : **كتاب المسجد وبيت المسلم ،** ط 01 ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور مصر ، 1992 .

100. الجوزية ابن قيِّم : **إعلام المُوقعين عن رب العالمين ،** ط 01 ، سلسلة مكتبة ابن القيّم ، تقديم وتعليق : أبو عبيدة مشهور آل سلمان ، دار ابن الجـــوزي للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2002 .

101. الحازمي خالد بن حامد : **أصول التربية الإسلامية ،** ط 01 ، سلسلة المنظومة التربوية (05) ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، 2000

102. حبيب رفيق : **المقدس والحرية ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1998 .

103. حرب علي : **نقد الحقيقة (النص والحقيقة II) ،** ط 01 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993 .

104. حريز سامي محمد هشام : **نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، نظرياً وتطبيقياً ،** ط 01 دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2006 .

105. الحسن إحسان محمد : **علم الاجتماع الديني (دراسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية والمجتمع) ،** ط 01 ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2005 .

106. الحسيني السيد : **مفاهيم علم الاجتماع ،** ط 2 ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، قطر ، 1987 .

107. الحلبي علي بن حسين : **فقه الواقع بين النظرية والتطبيق ،** ط 03 ، دراسات في السياسة الشرعية (3) ، شركة النور للطباعة والنشر والتوزيع ، رام الله ، فلسطين ، 1990 .

108. الحمد تركي : **الثقافة العربية أمام تحديات التغيير ،** ط 01 ، بحوث اجتماعية IV ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

109. حمدان عبد الحميد صالح : **علماء التجديد في الإسلام حتى القرن الحادي عشر للهجرة ،** ط 01 ، الدار المصرية اللبنانية ، طباعة ، نشر ، توزيع ، القاهرة ، مصر ، 1989 .

110. حمودة محمد يوسف : **منهج التربية عند الإمـــام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ،** ط 01 مشيخة الطريقة العزمية ، دار المدينة المنورة للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1989 .

111. حميش بنسالم : **التشكلات الإيديـولوجية في الإسلام ، الاجتهادات والتاريخ ، فكر عربي معاصر ،** ط 01 ، فكر عربي معاصر ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، 1993.

112. حنفي حسن : **التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ،** ط 04 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1992 .

113. حنفي حسن : **مقدمة في علم الاستغراب ،** التراث والتجديد ، موقفنا من التجديد الغربي ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1991 .

114. الخريجي عبد الله : **علم الاجتماع الديني ،** ط 02 ، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي الكتاب السابع ، رامتان ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1990 .

115. الخطيب عمر عودة : **لمحات في الثقافة الإسلامية ،** ط 03 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1979 .

116. الدارمي عبد الله ابن عبد الرحمن : **مسند الدرامي المعروف ب (سنن الدرامي) ،** ط 01 ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2000 .

117. دراز محمد عبد الله : **الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ،** مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، 1969 .

118. درويش هدى : **الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية ، اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام (دراسة مقارنة) ،** ط 01 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، مصر ، 2006 .

119. الدمشقي علاء الدين علي : **كتاب أدب الخطيب ،** ط 01 ، قراءة وتعليق : محمد بن الحسين السليماني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

120. الرومي فهد بن عبد الرحمن : **الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها ،** ط 07 ، مكتبة العبيكان الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1996 .

121. الزاحم محمد بن عبد الله : **أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة ،** ط 02 ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1992 .

122. الزحيلي وهبة : **أصول الفقه الإسلامي ،** ط 01 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق سورية 1986 .

123. الزحيلي وهبة : **الوجيز في أصول الفقه ،** ط 01 ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1999 .

124. الزركشي محمد بن عبد الله : **إعلام الساجد بأحكام المساجد ،** ط 05 ، تحقيق : مصطفى المراغي لجنة إحيـــاء التراث الإسلامي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، مصر ، 1999 .

125. الزقزوقي محمد مختار : **الأخلاق والسياسة ،** مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1998 .

126. الزمخشري أبي القاسم محمود : **أساس البلاغة ،** ط 01 ، القدس عاصمة الثقافة العربية 2009 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2009 .

127. الزمخشري جار الله محمود : **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** ط 03 ، تحقيق وتعليق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2009 .

128. زيدان عبد الكريم : **الوجيز في أصول الفقه ،** ط 06 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1987 .

129. الزين سميح عاطف : **الصوفية في نظر الإسلام " دراسة وتحليل " ،** ط 03 ، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ، 1985 .

130. ستكلتز جوزيف : **العولمة ومساوئها ،** ط 01 ، ترجمة : فالح عبد القادر حلمي ، بيت الحكمة بغداد ، العراق ، 2003 .

131. سعيد إدوار : **الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق ،** ط 01 ، ترجمة : محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2006 .

132. السيوطي جلال الدين : **الدُر المنثور في التفسير بالمأثور ،** ط 01 ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

133. الشاطبي أبو إسحاق : **الموافقات في أصول الشريعة ،** ط 01 ، ضبط وتقديم : أبو عبيدة آل سلمان ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الخُبَر ، المملكة العربية السعودية ، 1997 .

134. الشريف محمد بن شاكر : **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ،** ط 01 ، منشورات مجلة البيان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2004 .

135. شلبي عبد الجليل عبده : **الخطابة وإعداد الخطيب ،** ط 03 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1987.

136. شلبي عمر : **الثقافة العربية ، الأصالة ، التحدي ، الاستجابة ،** دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

137. شلتوت محمد : **من توجيهات الإسلام ،** ط 08 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2004 .

138. شلتوت محمود : **إلى القرآن الكريم ،** دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، (د . ت) .

139. شلحت يوسف: **نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني (الطوطمية، اليهودية، النصرانية، الإسلام)** ط 01 ، تحقيق وتقديم : خليل أحمد خليل ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP) ، الجزائر ، 2003 .

140. شُلحُد يوسف : **يُنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده ،** ط 01 ، تعريب : خليل أحمد خليل دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

141. شمس الدين محمد مهدي : **الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي ،** ط 01 ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1999 .

142. الصالح محمد بن أحمد : **المسجد جامع وجامعة ،** ط 01 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض المملكة العربية السعودية ، 2000 .

143. الصالح نضال عبد القادر: **المأزق في الفكر الديني بين النص والواقع ،** ط 01 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، مايو 2006 .

144. صبحي أحمد محمود : **التصوف إيجابياته وسلبياته ،** كتابك 169 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1984 .

145. طبّارَه عفيف عبد الفتاح : **روح الدين الإسلامي ، عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة ،** ط 28 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

146. الطبري محمد بن جرير : **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ،** تحقيق : إسلام منصور عبد الحميد وآخرون ، دار الحديث (طبع . نشر . توزيع) ، القاهرة ، مصر ، 2010 .

147. عباس فضل حسن : **إتقان البرهان في علوم القرآن ،** ط 01 ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، 1997 .

148. عبد الجواد أحمد رأفت : **مبادئ علم الاجتماع ،** مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، مصر ، 1984 .

149. عبد الرحمن عبد الهادي : **سلطة النص ، قراءات في توظيف النص الديني ،** ط 01 ، دار سينا للنشر ، بيروت ، لبنان ، 1998 .

150. العبد الكريم محمد : **صحوة التوحيد ، دراسة في أزمة الخطاب السياسي الإسلامي ،** ط 02 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2013 .

151. عثمان محمد عبد الستار : **المدينة الإسلامية ،** سلسلة عالم المعرفة ، العدد 128 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أوت 1988 .

152. العروي عبد الله : **مفهوم الإيديولوجيا ،** ط 05 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

153. العسقلاني الحافظ أحمد : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،** ط 01 ، تعليق : عبد الرحمن بن ناصر البراك ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2005 .

154. عطية جمال ، الزحيلي وهبة : **تجديد الفقه الإسلامي ،** ط 01 ، حوارات لقرن جديد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 2000 .

155. العفاني سيد بن حسين : **صلاح الأمة في علو الهمة ،** ط 01 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان ، 1997 .

156. العقاد عباس محمود : **لا شيوعية ولا استعمار ،** مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 .

157. عليان شوكت محمد : **الوسطية في الإسلام ، طريق لأمن المجتمعات ،** مركز الدراسات والبحوث ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2012 .

158. عمارة محمد : **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1993 .

159. عمارة محمد : **السلفية ،** موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، 1994 .

160. عمارة محمد : **رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية ،** ط 01 ، سلسلة إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت (01) ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، الإسماعيلية ، مصر ، 2007 .

161. عنصر العياشي : **سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر ،** ط 01 ، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1999 .

162. العيسوي عبد الرحمن : **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ،** دار الفكر الجامعي للطباعة والنشر الإسكندرية ، مصر ، 1984 – 1985 .

163. غارودي روجيه : **الأصوليات المعاصرة ، أسبابها ومظاهرها ،** تعريب : خليل أحمد خليل ، دار عام ألفين ، باريس ، فرنسا ، 2000 .

164. الغرباوي ماجد : **إشكاليات التجديد ،** دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

165. الغزالي أبو حامد محمد : **إحياء علوم الدين ،** ط 01 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان 2005 .

166. الغزالي محمد : **الإسلام والطاقات المعطلة (27) ،** نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2005 .

167. غيث عادل : **المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ،** دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1984 .

168. الفوزان صالح بن عبد الله : **الملخص الفقهي ،** ط 01 ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض المملكة العربية السعودية ، 2003 .

169. فوكوياما فرانسيس : **نهاية التاريخ وخاتم البشر ،** ط 01 ، ترجمة : حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1993 .

170. قطب سيد : **العدالة الاجتماعية في الإسلام ،** ط 13 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1993 .

171. قطب سيد : **في ظلال القرآن ،** ط 32 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

172. قطب سيد : **معالم في الطريق ،** ط 06 ، المكتبات المدرسية ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1979 .

173. كارنيجي ديل : **اكتساب الثقة ، فن الخطابة ،** ط 01 ، الأهلية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 .

174. كوش دينيس : **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،** ط 01 ، ترجمة : منير السعيداني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، مارس 2007 .

175. كولن محمد فتح الله : **أضواء قرآنية في سماء الوجدان ،** ط 02 ، ترجمة : أورخان محمد علي دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 2006 .

176. كيحل مصطفى : **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ،** مقاربات فكرية ، ط 01 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2011 .

177. لاشين موسى شاهين : **فتح المنعم شرح صحيح مسلم ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2002 .

178. لوبون غوستاف : **سيكولوجية الجماهير ،** ط 01 ، الفكر الغربي الحديث ،ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، 1991 .

179. الماوردي أبي الحسن : **أدب الدنيا والدين ،** ط 04 ، شرح وتعليق : محمد كريم راجح ، دار إقرأ بيروت لبنان ، 1985 .

180. محمد إسماعيل شعبان : **أصول الفقه الميسر ،** ط 01 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2008 .

181. محمد بدوي السيد : **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ،** دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر 2000 .

182. مختار على محمد : **دور المسجد في الإسلام ،** سلسلة شهرية ، السنة الثانية ، العدد (14) ، جمادى الأولى ، إصدارات دعوة الحق ، القاهرة ، مصر ، 1972 .

183. المسير محمد سيد أحمد : **زلزال الحادي عشر من سبتمبر وتوابعه الفكرية ،** ط 01 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

184. المسيري عبد الوهاب : **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ،** ط 01 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2002 .

185. المسيري عبد الوهاب ، العظمة عزيز : **العلمانية تحت المجهر ،** ط 01 ، حوارات لقرن جديد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 2000 .

186. مقري عبد الرزاق : **صدام الحضارات محاولة للفهم ، أبعاد وأسباب ومآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية ،** ط 01 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، 2004 .

187. المليجي يعقوب : **الأخلاق في الإسلام ، مع مقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية ،** مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1985 .

188. المودودي أبو الأعلى : **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ،** ط 04 ، تعريب : خليل أحمد الحامدي ، دار القلم ، عمارة السور ، الكويت ، 1980 .

189. المودودي أبو الأعلى : **موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ،** ط 02 ، ترجمة : محمد كاظم سباق ، دار الفكر الحديث ، بيروت ، لبنان ، 1967 .

190. مؤنس حسين : **المساجد ،** سلسلة عالم المعرفة ، العدد (37) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، يناير 1981 .

191. النحلاوي عبد الرحمن : **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ،** ط 03 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، 2004 .

192. الندوي علي الحسني: **بين الدين والمدينة ،** ط 02 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1981 .

193. النسائي أحمد بن شعيب : **سنن النسائي ،** ط 01 ، تحكيم وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (د . ت) .

194. نوبي محمد حسن : **عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة ،** ط 01 ، دار نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2002 .

195. النووي أبي زكريا يحي : **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ،** ط 01 ، تحقيق وتعليق : ماهر ياسين الفحل ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2007 .

196. النيسابوري علي ابن أحمد : **الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،** ط 01 ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1994 .

197. هاليبر رون : **العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب ، الجهود الفلسفية عند محمد أركون ،** ط 01 ، ترجمة : جمال شحيد ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية 2001 .

198. الهرماسي محمد عبد الباقي : **المجتمع والدولة في المغرب العربي ،** ط 01 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1987 .

199. الوردي علي : **وعّاظ السلاطين ،** ط 02 ، دار كوفان للنشر ، لندن ، إنجلترا ، 1995 .

200. اليافعي عبد الله بن أسعد : **الترغيب والترهيب ،** ط 01 ، تحقيق : محمد فارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

ثالثاً ـ المجلات :

201. أبو زيد سمير : **" منهج التجديد الديني عند الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني " ، مجلة كلية دار العلوم** العدد 36 ، جامعة القاهرة ، مصر ، (د . ت) ، ص . ص : 161 – 212 .

202. إيتين بوب : **" بين الدين والإيديولوجيا " ، دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة (الإيديولوجيا) ،** ط 02 ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، العدد رقم 08 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص . ص : 26 – 27 .

203. بودون ريمون: **" ثمانية معايير مميزة للمنظومات الإيديولوجية " ، دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة (الإيديولوجيا) ،** ط 02 ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، العدد رقم 08 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص . ص : 19 – 19 .

204. بوعلي نابي : **" إشكالية تجديد الخطاب الديني الإسلامي " ، المواقف : مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ ،** عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي حول الظاهرة الدينية ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي ، معسكر ، الجزائر ، 2008 ، ص . ص : 169 – 177.

205. حماني إبراهيم: **" الخطاب الديني والتحديات المعاصرة (الخطاب الفقهي نموذجاً) " الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال ،** محاضرات الندوة الفكرية الثامنة أيام 03 ، 04 و 05 أفريل 2010 بالوادي

إصدارات الرابطة الولائية للفكر والإبداع بولاية الوادي ، بمساهمة دار الثقافة بالوادي ، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع ، الوادي ، الجزائر ، 2010 ، ص . ص : 09 – 31.

206. سعدي إبراهيم : " **محمد أركون : نقد فهم الإسلام** " ، **قراءات في مشروع محمد أركون ،** أعمال ندوة مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الجزائر 2 ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، 2011 ، ص . ص : 35 – 46 .

207. العروي عبد الله: " **استعمالات مفهوم الإيديولوجيا** " ، **دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة (الإيديولوجيا)،** ط 02 ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، العـدد رقم 08 ، دار توبقال للنشر الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص . ص : 20 – 21 .

208. عماوي إياد محمد : " **ملامح التغير الاجتماعي في الريف الفلسطيني : دراسة ميدانية لعادات الزواج في ثلاث قرى بمحافظة طولكرم** " ، **سلسلة الدراسات الإنسانية ،** مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد السادس عشر ، العدد 01 ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، رام الله ، فلسطين يناير 2008 ، ص . ص : 273 – 313 .

209. غرس الله عبد الحفيظ : " **الخطاب الديني من منظور العلوم الاجتماعية** " ، **الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال ،** محاضرات الندوة الفكرية الثامنة أيام 03 ، 04 و 05 أفريل 2010 بالوادي ، إصدارات الرابطة الولائية للفكر والإبداع بولاية الوادي ، بمساهمة دار الثقافة بالوادي ، مزوار للطباعة والنشر والتوزيع ، الوادي ، الجزائر ، 2010 ، ص . ص : 107 – 122 .

210. مسرحي فارح : " **آفاق المشروع الفكري لمحمد أركون** " ، **قراءات في مشروع محمد أركون ،** أعمال ندوة ، مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2 ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، 2011 ، ص . ص : 47 – 71 .

رابعاً ـ الموسوعات والقواميس: .

211. بدوي أحمد زكي : **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ،** مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

212. الحنفي عبد المنعم : **الموسوعة الفلسفية ،** ط 01 ، دار ابن زيدون ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

213. الزمخشري أبي القاسم محمود: **أساس البلاغة ،** ط 01 ، إشراف : قسم التحقيق في دار النفائس ، القدس عاصمة الثقافة العربية 2009 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2009 .

214. شارودو باتريك ، مانغونو دومينيك : **معجم تحليل الخطاب ،** ترجمة : عبد القادر المهيري ، حمادي صمود ، المركز الوطني للترجمة ، دار سيناترا ، تونس ، 2008 .

215. العلامة ابن منظور: **لسان العرب ،** دار الحديث (طبع ، نشر ، توزيع) ، القاهرة ، مصر ، 2003 .

216. غيث محمد عاطف : **قاموس علم الاجتماع ،** دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995 .

217. الفار علي محمود إسلام : **معجم علم الاجتماع (إنجليزي ـ عربي) ،** ط 02 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 2001 .

218. الفراهيدي الخليل : **كتاب العين ، معجم عربي ـ عربي ،** ط 02 ، سلسلة المعاجم والفهارس ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

219. الفيروز آبادي محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط ،** ضبط وتوثيق : يوسف الشيخ البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1994 .

220. مارشال جوردون: **موسوعة علم الاجتماع ،** ط 02 ، ترجمة : محمد الجوهري وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2007 .

221. مانغونو دومينيك: **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ،** ط 01 ، ترجمة : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2008 .

خامساً ـ الأطروحات والرسائل الجامعية :

222. الأنصاري أريج : **دور مؤسسات التربية الإسلامية في مواجهة العولمة اللغوية ،** بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، تحت إشراف : آمال المرزوقي ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، 2008 – 2009 .

223. الصيفي فلسطين : **المضامين التربوية في كتابات فتحي يكن ،** بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول التربية ـ تخصص تربية إسلامية ، تحت إشراف : محمد خليل أبو دف ، قسم أصول التربية ـ تربية إسلامية ، كلية التربية ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ، 2008 – 2009 .

224. الطلحي بركة : **الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر ،** رسالة ماجستير في الدعوة ، تحت إشراف : يوسف أمين لأحمد ، قسم الدعوة والاحتساب ، كلية الدعوة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، 1994 .

225. العتوم مهى : **تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث ، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج ،** دراسة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، تحت إشراف : سمير قطامي ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، 2004 .

226. الغانمي بلغيث : **منهج التربية الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاته من خلال البيئة المدرسية ،** بحث مكمل لنيل شهادة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة ، تحت إشراف : نايف الشريف ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، 2008 – 2009 .

227. مخلوف بشير : **موقع الدين في عملية الانتقال الديمقراطي في الجزائر ، فترة (1989 – 1995) ،** بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم في علم الاجتماع السياسي ، تحت إشراف : الزاوي مصطفى ، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ـ السانيا ـ ، الجزائر ، 2012 – 2013.

228. مكي رحاب : **الخطاب التربوي للمرأة في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم العالي ،** بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية ، تحت إشراف : حامد الحربي ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2000 – 2001 .

سادساً ـ الوثائق :

229. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 16 ،** الصادرة بتاريخ : 10 أفريل 1991، السنة 28 .

230. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 46 ،** الصادرة بتاريخ : 16 جويلية 2006 ، السنة 43.

231. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية ، **العدد 73 ،** الصادرة بتاريخ : 28 ديسمبر 2008 ، السنة 45 .

232. السدلان صالح بن غانم : **الأثر التربوي للمسجد ،** محاضرة غير مطبوعة ، ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية ، من تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2002 .

233. عمران قدور : **محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة السنة الرابعة ،** وثيقة غير مطبوعة ، مصلحة التكوين عن بعد ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية ، بوزريعة ، الجزائر .

234. العمري عبد الكريم : **دور المسجد في تحقيق مفهوم الأمن الاجتماعي ،** ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن ، المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية ، أيام 21 – 24 فبراير ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1996 .

II ـ المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

أولاً ـ الكتب :

1 ـ كتب في المنهجية :

235. ANGERS Maurice: **Initiation Pratique à la Méthodologie des sciences Humaines,** Armand colin, Paris, 1995 .

236. MONGEAU Pierre: **Réaliser son Mémoire ou sa Thèse,** Presses de l'Université du Québec, CANADA, 2008.

237. AKTOUF Omar : **Méthodologie des Sciences sociales et approche qualitative des organisations, une introduction à la démarche classique et une critique,** Les presses de l'Université du Québec, Montréal, Canada, 1987.

2 ـ كتب للدكتور محمد أركون :

238. ARKOUN Mohamed: **L'HUMANISME ARABE au IV/X eme Siècle, MISKAWAYH philosophe et historien,** Second Edition, Libraire Philosophique J.URIN, Paris, France, 1982.

239. ARKOUN Mohamed : **Lectures du Coran,** maison neuve et LAROSE, Paris, France, 1982.

3 ـ كتب متنوعة :

240. BOURDIEU Pierre**: Questions de Sociologie,** Les Editions Minuit, France, 1980.

241. FAUCAULT Michel : **La Volonté de Savoir,** Gallimard, Paris, France, 1976.

242. LEWIN Kurt et KAUFMAN Pierre: **Une Théorie du Champs dans les Sciences de l'homme,** Libraire Philosophique J.VARIN, France, 1968.

243. MOUNTAUSSE Mark et REMAUARD Gilles: **100 Fiches pour comprendre la sociologie,** Ed, Bred, France, 2008.

244. RAYMOND Aron : **Les étapes de la Pensée Sociologique,** Ed, GALLIMARD, France, 1967.

ثانياً ـ المجلات :

245. El-MESTARI Djilali : **« Le Discours religieux des manuels scolaires algérien de l'éducation islamique dans le cycle secondaire», Tréma,** IUFM de l'académie de Montpellier, N° 35 – 36, Montpellier, France, 2011, P.P : 70 – 80.

246. MULLER Denis : **« Un nouveau Discours sur la Religion est t'il nécessaire pour le bien de la Laïcité ? Réflexions, éthiques, théologiques et politiques », Annali di studi Religiosi,** N° 14, FBK Press, Italie, 2013, P.P : 13 – 24 .

247. RICOEUR Paul : **«La Philosophie et la spécificité du Langage religieux », Revue d'Histoire et de philosophie religieuses,** N° 01, Université de Paris X (Nanterre), Paris, France, 1975, P.P : 03 – 13 .

ثالثاً ـ الموسوعات والقواميس :

248. BLAY Michel: **Dictionnaires des concepts Philosophiques,** Larousse, CNRS, Paris, France, 2006.

رابعاً ـ الأطروحات والرسائل الجامعية :

249. MABOUNGOU Christophe: **Performativité et Problématique du Discours Religieux chez Jean LADRIERE,** Mémoire de Master 01, sous la direction de M : Denis VERNANT, Faculté des sciences humaines et sociales, Université Pierre Mendès, France, 2009 – 2010.

خامساً ــ الوثائق :

250. Amuchastegui Ana et autres : **Religion, Genre,et Discours Social dans le débat sur la Légalisation de l'Avortement au Mexique,** Document de travail, Programme Genre, globalisation et changements, Institut de hautes études internationales et du développement, Genève, Suisse, 2014.

251. LAROCHELLE Jean louis: **Etat de la Société contemporaine face du Discours de la religion,** Une conférence présentée le 13 Avril 2013, dans le cadre de la seconde édition du Colloque Lonergan sous le thème Discours religieux et modernité, Québec, 2013.

III ــ الجداول الإحصائية :

الرقم	عنوان الجدول	الفصل	الصفحة
01	يبيّن انتشار المساجد في الولايات المدروسة	الفصل 08	227
02	يبيّن توزيع رُتب الأئمة في مجتمع الدراسة	الفصل 10	281
03	يبيّن توزيع السن في مجتمع الدراسة		286
04	يبيّن المستوى التعليمي لمجتمع الدراسة		288
05	يبيّن الحالة المدنية لمجتمع الدراسة		290
06	يبيّن الأقدمية في مجتمع الدراسة		291
07	يبيّن العلاقة بين الصفات والسمات الشخصية ورتبة الإمام	الفصل 11	295
08	يبيّن العلاقة بين الأقدمية والصفات والسمات الشخصية للخطيب		296
09	يبيّن العلاقة بين الأقدمية والارتجال في الخُطب		297
10	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام والارتجال في الخُطب		298
11	يبيّن العلاقة بين الأقدمية وحياد الإمام		299
12	يبيّن العلاقة بين الصفات والسمات الشخصية والتزام الإمام		300
13	يبيّن العلاقة بين الأقدمية والتزام الإمام بما تقدمه الوصاية		301
14	يبيّن العلاقة بين الأقدمية ومدى إعاقة توجيهات الوصاية		302
15	يبيّن العلاقة بين الصفات والسمات الشخصية ومدى تقيده بمذهب معين		303
16	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام ومدى تقيده بمذهب معين		304
17	يبيّن العلاقة بين حياد الإمام وتعامله مع المخالفين له في المذهب		305
18	يبيّن العلاقة بين حياد الإمام ومدى التزامه بتوجيهات الوصاية		306
19	يبيّن العلاقة بين توجيهات الوصاية وتعامله مع المخالفين له في المذهب		307
20	يبيّن العلاقة بين الأقدمية وتدخلات الوصاية في العمل اليومي	الفصل 12	317
21	يبيّن العلاقة بين صفات وسمات الإمام وتدخلات الوصاية		318
22	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام وتدخلات الوصاية في العمل اليومي		319

الرقم	عنوان الجدول	الفصل	الصفحة
23	يبيّن العلاقة بين الأقدمية وتلقي توجيهات من الوصاية	الفصل 12	320
24	يبيّن العلاقة بين صفات وسمات الإمام وتلقيه لتوجيهات من الوصاية		321
25	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام وتلقيه لتوجيهات من الوصاية		322
26	يبيّن العلاقة بين اعتقاد الوصاية بالوحدة المذهبية وتكوين المقدم للإمام		323
27	يبيّن العلاقة بين الاعتقاد بالوحدة المذهبية والمشاركة في الدورات التكوينية		324
28	يبيّن العلاقة بين التكوين المقدم للإمام والشروط الواجب توفرها		325
29	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام وتسييره لشؤون المسجد		326
30	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام مراقبة الوصاية له		327
31	يبيّن العلاقة بين الأقدمية وتسيير الإمام لشؤون المسجد		328
32	يبيّن العلاقة بين الأقدمية ومراقبة الوصاية		329
33	يبيّن العلاقة بين رتبة الإمام والالتزام الكلي بتطبيق المذهب	الفصل 13	340
34	يبيّن العلاقة بين الأقدمية والالتزام الكلي بتطبيق المذهب		341
35	يبيّن العلاقة بين التكوين المقدم والالتزام الكلي بتطبيق المذهب		342
36	يبيّن العلاقة بين تنشيط المسجد والالتزام الكلي بتطبيق المذهب		343
37	يبيّن العلاقة بين جوانب الخطاب وتحقيقه للأهداف المرجوة		344
38	يبيّن العلاقة بين تنشيط المسجد والتعامل مع التوجهات المختلفة للمصلين		345
39	يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي والتعامل مع المخالفين لهذا التوجه		346
40	يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي ومساهمة التنوع في المشارب في تطوير الخطاب		347
41	يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي والمصادر المستعملة لإعداد الخطاب		348
42	يبيّن العلاقة بين الالتزام بالتوجه المذهبي واستعمال المراجع الفكرية والعلمية لإعداد الخطاب		349
43	يبيّن العلاقة بين التنوع في المشارب ومواصفات الخطاب		350
44	يبيّن العلاقة بين اعتقاد الوصاية بالوحدة المذهبية وتكوين الإمام		351
45	يبيّن العلاقة بين مواصفات الخطاب وضرورة التجديد		352
46	يبيّن العلاقة بين تنشيط المسجد والمصادر المستعملة في تحضير الخطاب		353

الملاحـــــق .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 « أبو القاسم سعد الله »

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص : علم الاجتماع الديني

الملحق رقم : 01 .

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تحت عنوان :

الخطاب الديني في المساجد الجزائرية

الاستبيان

إعداد الطالب :

- **بن حليمة محمد**

تحت إشراف :

أ . د : الزبير عرُّوس

ملاحظـة :

. ضع علامة (X) للإجابة المختارة في حال وجود خانات .

. نرجو منكم الإجابة بخط واضح ، وباختصار شديد .

أخي الفاضل ،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،

إن الاستمارة الموضوعة بين أيديكم تدخل في إطار التحضير لدراسة علمية للحصول على شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الديني ، تحت عنوان " الخطاب الديني في المساجد الجزائرية "، ولهذا نرجو منكم ملأها ، على أن تكون الإجابات محددة ومختصرة ، ونرفع إلى علمكم أنني أتعهد أمام الله بأن المعلومات المدلى بها لا تستعمل إلا للأغراض العلمية للدراسة ، وفي البحث العلمي فقط .

شاكرين لكم حسن تعاملكم ومساعدتكم. وبارك الله فيكم

I – المعلومات الشخصية :

1 – السن : ..... سنة

2 – المستوى التعليمي :

ابتدائي ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ بدون ☐

3 – الحالة المدنية :

متزوج ☐ أرمل ☐ مطلق ☐ أعزب ☐

4 – ما هو المنصب الذي تشغله حاليا ؟

إمام أستاذ رئيسي ☐ إمام أستاذ ☐ إمام مدرس ☐ آخر ☐

5 – الأقدمية في منصب العمل : ..... سنة (كل سنوات العمل).

II – المحور الأول : الصفات والسمات الشخصية للخطيب :

6 – ما هي الصفات والسمات الواجب توفرها في الخطيب ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....

.....

.....

.....

.....

.....

7 – هل ترتجلون أي خطاب تقدمونه للمصلين (جمعة ، درس ، موعظة ، محاضرة وغيرها ...) ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

8 – ما هو الخطاب الذي تحبذونه ارتجالاً ؟

الجمعة ☐ الدرس ☐ الموعظةً ☐

9 – هل تقرؤون خطاباتكم من أوراق مكتوبة مسبقا ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

10 – ما هو الخطاب الذي تحبذونه مقروءا من الورقة ؟

الجمعة ☐ الدرس ☐ الموعظةً ☐

11 – هل تعتقدون أن الخطيب محايد في نقل المعلومات إلى الجمهور ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

12 – هل تلتزمون بما تقدمه الوصايا (الوزارة) من توجيهات وتعليمات فيا يخص الخطب ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

13 – هل تعيق هذه التوجيهات دور الإمام (الخطيب) في القيام بدوره التربوي والديني والاجتماعي ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

14 – هل تعتقدون ضرورة تقيّد الخطيب بمذهب معين دون غيره من المذاهب ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

15 – ما هو الحل في رأيكم ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

16 – كيف تتعاملون مع المصلين والمصليات الذين يختلفون معكم في المذهب ؟

التوجيه ☐ النصيحة ☐ الإهمال ☐

17 – هل تعتقدون ضرورة تقيّد المجتمع الجزائري بالوحدة المذهبية (مذهب الإمام مالك) ؟

نعم ☐ لا ☐ أبداً ☐

III – المحور الثاني : الطريقة الإدارية :

18 – هل توجد تدخلات مباشرة من الوصاية (الوزارة أو المديرية الولائية أو غيره ...) في عملكم اليومي ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

19 – هل تتلقون توجيهات من الوصاية في نوع الخطاب الذي تقدمونه إلى المصلين والمصليات ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

20 – إذا كانت الإجابة (نعم) ، فما نوعها ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

21 – تعتقد الوصاية بالوحدة المذهبية كإطار مرجعي للحفاظ على وحدة المواطنين ، هل توافقونها ذلك ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

22 – هل المذهب المالكي المعتمد ، كفيل بتوحيد الخطاب الديني لدى الخطباء عبر كامل التراب الوطني ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

23 – لو طلب منكم بصفة استشارية المشاركة في تحديد معالم ومعايير الخطاب الديني في المساجد الجزائرية ، فما هي اقتراحاتكم العملية ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

24 – هل تعتقدون أن التكوين المقدم للخطيب من طرف الوصاية يكفي لأداء مهمة الخطيب ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

25 – هل تشاركون بانتظام في الدورات التكوينية وعملية الرسكلة التي تقوم بها الوصاية ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

26 – ما هي الشروط التي ترونها ضرورية ، والواجب توفرها في الخطيب حتى يقوم برسالته على أكمل وجه ؟

أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

27 – هل تعتقدون أن تكليفكم بتسيير أمور المسجد اليومية لا يعيق في أداء الرسالة التربوية والدينية والاجتماعية ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

28 – هل تشعرون أن الوصاية تراقب أداءكم داخل المسجد (كأن تبعث بمراقبين يوم الجمعة مثلاً) ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

IV – المحور الثالث : الصورة الشاملة للدين الإسلامي :

29 – هل تلتزمون كلية بتطبيق المذهب المالكي داخل المسجد ، من خلال الخطب ، الدروس ومختلف النشاطات ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

30 – هل ترون أن الالتزام الكلي بالتوجه المذهبي الوحيد يعيق الخطيب في أداء رسالته ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ماً ☐

31 – مطالبون وفق صلاحياتكم القانونية والدينية بتنشيط المسجد والعمل على توحيد صفوف المسلمين ، فما هي الخطوات العملية التي ترونها ضرورية ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

32 – هل الخطاب المستعمل داخل المسجد كفيل بتحقيق الأهداف الإسلامية المرجوة ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

33 – ما هي الصلاحيات التي تنتظرونها من الوصاية لإيصال الدين الكامل إلى الجماهير ؟

أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

34 – ما هي المصادر التي تستعملها في إعداد الخطبة ، الموعظة أو غيرها ... ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

35 – هل تعتقدون ضرورة استعمال مراجع جديدة غير المتوارث عليها (فكرية وعلمية مثلاً) ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

36 – ما هي المواضيع التي تركزون عليها في خطابكم المقدم للجماهير ؟

الفقه ☐ الشريعة ☐ مواضيع أخرى ☐

37 – يعتقد الكثير بأن الخطاب الديني غير قادر على الرقي بالمجتمع والانطلاق به كما فعل الرعيل الأول ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

38 – هل تعتقدون أن المذهب المالكي المعتمد من طرف الدولة كفيل بتطوير وتجديد الخطاب الديني ؟

نعم ☐ لا ☐ أبداً ☐

39 – كيف تتعاملون على التوجهات المختلفة التي يأتي بها الجماهير إلى المسجد (السلفية مثلاً) ؟

الإهمال ☐ المتابعة ☐ المواجهة ☐

40 – هل تعتقدون أن التنوع في التوجه والمناهل والمناهج يساعد في تطوير الخطاب الديني ؟

نعم ☐ لا ☐ نوعاً ما ☐

41 – هل تعتقدون بأن الخطاب الديني المستعمل اليوم يستطيع أن يكون الناطق الرسمي باسم الدين ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

42 – ما هي مواصفات الخطاب الديني الذي يصل بسهولة إلى الجماهير ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

43 – هل ترون بضرورة تجديد الخطاب الديني حتى يتلاءم مع مستجدات الواقع المعاش ؟

نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐

44 – ما هي الجوانب التي تعتقدون بأن الخطاب الديني المستعمل اليوم يجب أن يعاد فيها النظر ؟

أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

45 – ما هو رأيكم في موضوع الدراسة ؟ أرجو الإجابة باختصار وبخط واضح

.....
.....
.....
.....
.....
.....

أخي الفاضل ،

أشكركم على تلبية دعوتي ، وملأ هذه الاستمارة ،كما أذكركم أنها لأغراض علمية بحتة . فجازاكم الله عنّا خير الجزاء ووفقكم الله وسدّد خطاكم لما يحب ويرضى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

قائمة البلديات المتواجد فيها المساجد المدروسة .

الرقم	الولاية	البلدية	الملاحظة
01	الجزائر العاصمة	الدار البيضاء	
02		المحمدية	سوف تحتضن هذه البلدية مسجد الجزائر الكبير ، الذي سوف يكون أكبر مسجد في العالم بعد المسجدين (الحرام والنبوي) .
03		باب الزوار	
04		برج الكيفان	
05		عين طاية	
06		برج البحري	
07		المرسى	
08		الجزائر الوسطى	
09		سيدي امحمد	
10		المدنية	
11		المرادية	
12		باب الوادي	
13		بولوغين	
14		القصبة	
15		وادي قريش	
16		رايس حميدو	
17		محمد بلوزداد	
18		حسين داي	
19		القبة	
20		المقرية	
21		الحراش	
22		وادي السمار	
23		بوروبة	
24		باش جراح	
25		بئر مراد رايس	
26		بئر خادم	

الملحق رقم : 02 .

الرقم	الولاية	البلدية	الملاحظة
27	الجزائر العاصمة	جسر قسنطينة	
28		حيدرة	
29		السحاولة	
30		الأبيار	
31		بوزريعة	
32		ابن عكنون	
33		بني مسوس	
34		براقي	
35		الكاليتوس	
36		سيدي موسى	
37		الرويبة	
38		هراوة	
39		الرغاية	
40		زرالدة	
41		المعالمة	
42		الرحمانية	
43		سطاولي	
44		السويدانية	
45		دالي ابراهيم	
46		الحمامات	
47		أولاد فايت	
48		الشراقة	
49		عين البنيان	
50		بابا حسن	
51		الدويرة	
52		دراية	
53		العاشور	
54		خرايصية	

الرقم	الولاية	البلدية	الملاحظة
55	الجزائر العاصمة	تسالة المرجة	
56		أولاد شبل	
57		بئر توتة	
58	وهران	وهران	
59		قديل	
60		بئر الجير	إمام هذا المسجد هو أصغر إمام في عينة الدراسة ، 30 سنة .
61		حاسي بونيف	
62		السانية	
63		أرزيو	
64		بطيوة	
65		مرسى الحجاج	
66		عين الترك	
67		العنصر	إمام هذا المسجد ، كذلك هو أصغر إمام في عينة الدراسة ، 30 سنة .
68		وادي تليلات	
69		طفراوي	
70		سيدي الشحمي	
71		بوفتيس	
72		المرسى الكبير	
73		بوصفر	
74		الكرمة	
75		البراية	
76		حاسي بن عقبة	
77		بن فريحة	
78		حاسي مفسوخ	إمام هذا المسجد هو أكبر إمام في عينة الدراسة ، 70 سنة .
79		سيدي بن يبقى	
80		مسرغين	
81		بوتليليس	
82		عين الكرمة	

الرقم	الولاية	البلدية	الملاحظة
83		عين البية	
84	قسنطينة	قسنطينة	يعتبر مسجد الأمير عبد القادر حالياً هو أكبر مسجد في الجزائر ، وإمام هذا المسجد متمكن جداً في المذهب المالكي والمرجعية الدينية .
85		بني حميدان	
86		الهرية	
87		زيغود يوسف	
88		ديدوش مراد	
89		الخروب	
90		عين عبيد	
91		حامة بوزيان	الكثير يعتبر أن هذه البلدية يتواجد بها أكبر عدد من المساجد على المستوى الوطني ، ويمكنك ملاحظة هذا الشيء عند التنقل بين شوارعها وأحيائها .
92		أولاد رحمون	
93		عين السمارة	
94		عين الكرمة	
95		ابن زياد	